مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي

٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء الخامس

١١ - ٣٢ هـ

حقق هذا الجزء وعلق عليه

عمار ريحاوي

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

٥



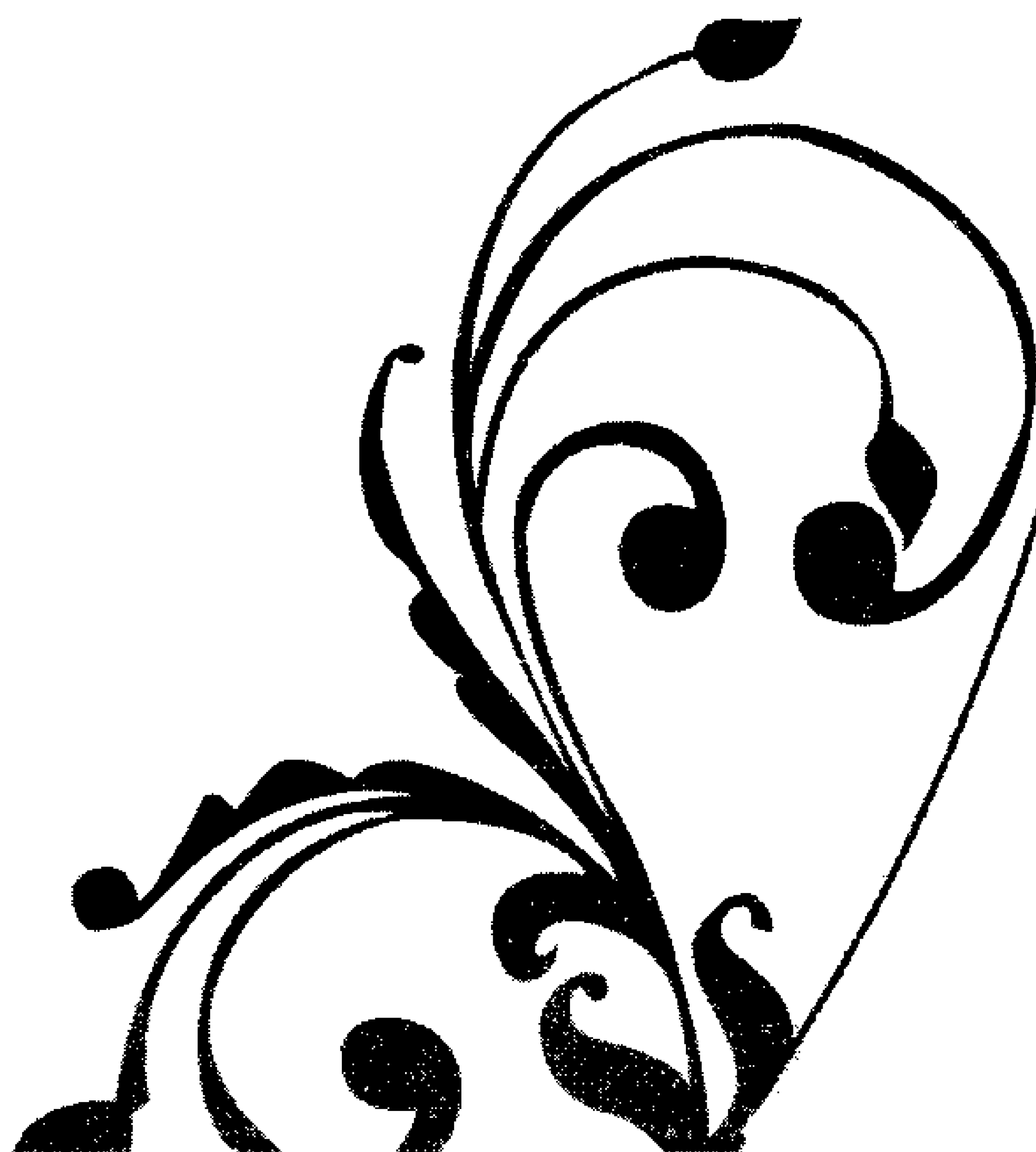
بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ



شركة الرسالة العالمية م.م.
Al-Resalah Al-A'lamiah m.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office
دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي
2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305
الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic
info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com
فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460



المخطوطات المعتمدة في هذا الجزء والذي يليه

١ـ نسخة أحمد الثالث (أ) من سنة (٢هـ) إلى نهاية سنة (٢١هـ).

٢ـ نسخة كوبريللي (ك) من سنة (٩هـ) إلى سنة (٣١هـ).

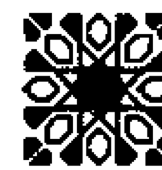
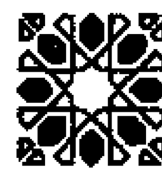
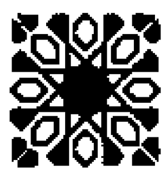
٣ـ نسخة العلائي (ع) عندنا منها من سنة (٢٢هـ) إلى سنة (٣١هـ).

٤ـ نسخة الخزائنية مؤلفة من جزءين:

اـ من سنة (٧هـ) إلى سنة (٢٩هـ).

ب ـ من سنة (٣٠هـ) إلى سنة (٥٠ هـ)

وانظر وصفاً مفصلاً لهذه النسخ في مقدمة الجزء الأول من الكتاب.

أبواب
ذكر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين

الباب الأول في ذكر أبي بكر رضوان الله عليه

قال علماء السِّيَرِ: هو عبد الله بنُ عثمان، وعثمان هو أبو قُحافةَ بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّةَ بن كعب بن لؤي.

ويلتقي مع النبي ﷺ في النسب عند مُرَّة بن كعب، وبين كلّ واحد منهما وبين لؤي تسعةُ آباء، فهو في تعداد النّسب مثلُ رسول الله ﷺ.

وأُم أبي بكر: سَلمى بنت صخر بن عمرو بن عامر بن كعب. وقيل: بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة. وتُكنى أُمَّ الخيرِ، وماتت مُسلمة.

ورُوي عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: ما أسلم أَبَوا أحدٍ من المهاجرين إلا أَبَوا أبي بكر(١)، وكذا ليس في الصحابة مَن اسمُه عبد الله بن عثمان سوى أبي بكر.

واختلفوا لم سُمّي الصِّدِّيق على قولين:

أحدهما: أن جبريل سماه به، فحكى ابن سعدٍ بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ لجبريل ليلة المعراج: «إنَّ قومي لا يُصَدِّقوني»، فقال: يُصَدِّقُك أبو بكر، [وهو] الصديق(٢).

قال الزهري: فلذلك كان يحلفُ عليُّ بن أبي طالب أن الله أنزل اسمَ أبي بكر الصديق من السماء.

وقال الثوري: إنما أشار عليٌّ عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾(٣) [الزمر: ٣٣].

والثاني: أن رسول الله ﷺ سمَّاهُ به. قاله ابن عباس(٤).

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥ـ٣٦/ ١١٣ من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، ونقل عن ابن منده قوله: هذا حديث غريب من حديث هشام بن عروة.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٧٠، وأخرجه ابن الجوزي في المنتظم ٤/ ٥٤ من طريقه، وعبد الله بن أحمد في زوائده على فضائل الصحابة لأبيه (١١٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٠/ ٢٠٤ـ٢٠٥، وابن عساكر ٣٥ـ٣٦/ ٤٥٠.

(٤) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ١٠٤، والمنتظم ٤/ ٥٤.

واختلفوا في تسميته بعَتِيقٍ على أقوالٍ:

أحدُها: أنه اسمٌ سمَّته به أُمه، فقال الهيثم: لم يكن يعيش لأُمِّه ولدٌ، فلما وَلَدَتْه استقبلت به الكعبةَ وقالت: اللهمَّ إنّي قد جعلتُه للكعبة، فأعتِقْه من الموت، فعاش[(١)].

قال: وكان له ثلاثةُ إخوةٍ: عَتِيق ومعتِّق وعُتَيْق.

والثاني: أنه اسمٌ سمّاه به النبيُّ ﷺ، فقال ابن سعدٍ بإسناده عن عائشة ﵂ أنَّها سُئلت: لم سُمِّيَ أبو بكرٍ عَتيقاً؟ فقالت: نظر إليه رسول الله ﷺ يوماً فقال: «هذا عتيقُ [الله] من النار» وفي روايةٍ: «مَن سَرَّه أن يَنظُرَ إلى عتيقٍ من النار فلْيَنْظر إلى هذا»[(٢)].

والثالث: إنما سُمّيَ به لجمال وجهه، قاله الليث بن سعد[(٣)].

وحكى ابن قُتيبة: أن النبي ﷺ لقَّبه بذلك لجمال وجهه[(٤)].

والرابعُ: لأنه كان عَتيقاً في الخير[(٥)]، والعربُ تقول للشيء إذا بلغ النّهايةَ في الجَودة: قد عَتَق. قاله ابن الأنباري[(٦)].

والخامس: لأنه كان كريمَ الطَّرفين، لم يكن في نسبه ما يُعابُ به. قاله مُصعب الزُّبَيري[(٧)].

وروت عمرةُ عن عائشة قالت: كان اسم أبي عبدَ الكعبة، فسمّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله وعَتيقاً[(٨)].

---

(١) أخرجه الدولابي في الكنى (٣٨) ومن طريقه ابن عساكر ٣٥-٣٦/ ١١٠ عن موسى بن طلحة، سألتُ أبي طلحة بن عبيد الله.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٩-١٧٠.

(٣) أخرجه ابن عساكر ٣٥-٣٦/ ١٠١.

(٤) المعارف ١٦٧.

(٥) أخرجه ابن عساكر ٣٥-٣٦/ ١٠١ عن أبي نعيم.

(٦) ذكره الخطابي في غريب الحديث ٢/ ٣٤، والأزهري في تهذيب اللغة ١/ ٢١١، وابن عساكر ٣٥-٣٦/ ١١٢ عن ابن الأعرابي.

(٧) أخرجه ابن عساكر ٣٥-٣٦/ ١١٢ عن مصعب، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٧٣ (مرشد)، وابن قدامة في التبيين ٣٠٥.

(٨) ذكره دون نسبة ابن قتيبة في المعارف ١٦٧، وابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر ١٠٤.

وقال النّخعي: كان أبو بكر يُسمَّى الأوّاه لرأفته ورحمته[١].

وقال الهيثم: لم يتسمَّ بالصديق ولا بالفاروق ولا بذي النُّورَيْن أحدٌ في الجاهلية ولا في الإسلام قبل أبي بكر وعمر وعثمان، وإنما حدثت الألقابُ بعدُ.

واختلفوا في مولده؛ فقال الزهري: وُلد بمِنىً قبل رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

وقال ابن مَنده: وُلد بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهرٍ إلا أياماً، وتوفي بعد رسول الله بسنتين وأشهر، وهو ابن ثلاثٍ وستين سنةً[٢].

وقال الزهري: وَلِيَ الخلافةَ وهو ابن إحدى وستين سنةً[٣]، ولم يتقلَّد الخلافةَ أحدٌ وأبوه حيٌّ سواه، ومات ووَرِثه أبوه أبو قُحافة.

وقال موسى بن عُقبة: لا يُعرف أربعةٌ في الإسلام تناسلوا وأدركوا رسول الله ﷺ سوى أبي بكر وأبيه أبي قُحافة، وابن أبي بكر عبد الرحمن وابنه محمد، ويُكنى أبا عتيق، ولم يتّفق لغير أبي قُحافة هذا[٤].

ذكر صفة أبي بكرٍ ﷺ

ذكر ابن سعدٍ عن عائشة ﷺ قالت: كان أبو بكرٍ نحيفاً، خفيفَ اللَّحم، أبيضَ، أَجْنأَ، لا يَستمسكُ إزارُه، يَسترخي عن حَقْوَيه، مَعروقَ الوجه، ناتِئَ الجَبهة، عاري الأشاجع، وكان يَخضب رأسه ولحيته بالحِنّاء والكَتَم[٥].

قال الجوهري: الأَشاجعُ: أصولُ الأصابع التي تَتَّصلُ بعَصَب ظاهرِ الكفِّ[٦].

وللبخاري عن أنسٍ قال: قَدم النبيُّ ﷺ المدينةَ وليس في أصحابه أَشْمطُ سوى أبي

---

(١) أخرجه ابن سعد ٣/ ١٧١.

(٢) أخرجه ابن عساكر ٣٥ـ٣٦/ ١٠٧.

(٣) بعدها في (ك): وكذا مروان بن الحكم. قلت: وهذا خطأ فإن مروان بن الحكم تقلد الخلافة ثمانية أشهر، وقيل: ستة أشهر، وتوفي وهو ابن أربع وستين سنة.

(٤) انظر فتح الباب في الكنى والألقاب لابن منده ١٠٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٨، وفيه: خفيف العارضين، وهي أشبه.

(٦) الصحاح (شجع). وقوله: أجنأ، من الجَنَأ وهو مَيل في الظهر أو العُنُق، والحقو: موضع الإزار، ومعروق الوجه: قليل لحمه. النهاية (جنأ حقو عرق).

بكر، فغَلَفَها بالحِنّاء والكَتَم[1]. والأشمطُ: الذي يَختلطُ شيبُه بشبابه، وغَلَفها: عمَّها.

وذكر ابن قتيبة في كتاب «غريب الحديث» عن قيس بن أبي حازم قال: كان أبو بكرٍ يَخرجُ إلينا وكأنَّ لِحيَتَه ضِرامُ عَرْفَج. الضِّرامُ: لَهيب النّار.

وقال الجوهريّ: العَرْفَج: شجرٌ يَنبتُ في السَّهل، الواحدةُ عَرْفَجَة، ومنه سُمِّي الرَّجل[2].

وقال الفَرَّاء: العرفجُ: نَبتٌ ضعيفٌ تُسرع النارُ فيه، ثم لا يَلْبَث يسيراً حتى يَطفأ. ومعناه: أنه كان يَخضِبُ بالحِنَّاء والكَتَم، ويُشبعهما خِضاباً، فتشتدُّ حُمْرَتُها[3].

ذكرُ سبب إسلامه

واختلفوا فيه على أقوالٍ:

أحدها: ذكر البَلاذري في «تاريخه» عن ابن الكلبي، عن أبي صالحٍ أنه قال: كان أبو بكرٍ صَديقاً لرسول الله ﷺ، يُكْثِر غِشيانَه في منزله، ومحادثَته، ويَتعرَّفُ أخبارَه، فلما دُعي رسول الله ﷺ للنبوة أتى معه ورقةُ بن نَوفلٍ، وسمع قولَه، وكان مُتوقِّعاً للرسالة وما اختصَّه الله به من كرامته، وكان أبو بكر قد شارك حَكيم بن حِزام في بضاعةٍ، وأراد السَّفَر معه، فإنه ذاتَ يومٍ لمع حَكيم إذ أتى حكيماً آتٍ فقال: إن عَمَّتك خديجة تَزعمُ أن زوجها نبيٌّ مثلُ موسى، فقد هَجرت الآلهة، فانسلَّ أبو بكرٍ انسلالاً حتى أتى رسول الله ﷺ، فسأله عن خَبره، فقصَّ عليه قصَّتَه فقال: صدقتَ بأبي أنت وأُمي، وأهلُ الصِّدقِ أنت، وأسلم، ثم أتى حكيماً فقال له: يا أبا خالدٍ، رُدَّ عليَّ مالي، فقد وجدتُ عند محمدٍ أَربحَ من تجارتك، فأخذ مالَه ولزم رسول الله ﷺ[4].

وذكر المدائنيُّ بمعناه فقال: قال أبو بكرٍ: بينا أنا أُريدُ الطائفَ مع حَكيم بن حِزام وأنا في منزلي بمكة، إذ دخل عليَّ الحارثُ بن صخرٍ، ودخل حكيم بن حِزام، فقال له

(١) صحيح البخاري (٣٩١٩). والكتم: ورق يُخضب به كالآس.
(٢) الصحاح (عرفج).
(٣) غريب الحديث ١/ ٢٤٨-٢٤٩.
(٤) أنساب الأشراف ٥/ ١٢٣.

الحارث: يا أبا خالد، زعم نساؤنا أن عمَّتَك تزعُمُ أن زوجَها رسولُ الله، فأنكر حكيمٌ ذلك، وأكلوا وانصرفوا.

قال: فخرجتُ، فلقيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ له: بَلغني كذا وكذا، وهذا أمرٌ لا يُقارُّكَ(١) عليه قوْمك، فقال: يا أبا بكرٍ، ألا أذكُرُ لك شيئاً إن رضيتَه قَبِلْتَه، وإن كرهتَه كَتمتَه، قال: فقلتُ: هذا أدنى ما لك عندي، فقرأ عليَّ القرآن، وحدَّثني ببُدُوِّ أمره، فقلتُ: أشهد أنك لَصادقٌ، وأن ما دعوت إليه حقٌّ، وأن هذا كلامُ الله، فسمعتْني خديجةُ، فخرجَتْ وعليها خِمارٌ أحمر، فقالت: الحمد لله الذي هداك يا ابنَ أبي قُحافةَ.

فما رُمْت من مكاني حتى أمسيتُ، فخرجتُ وإذا بمجلسٍ من بني أسدِ بن عبد العُزّى فيهم الأسودُ بن عبد المطَّلب وأبو البَخْتَرِيِّ، فقالوا: من أين أَقبلتَ؟ فقلتُ: من عند ابنِ عمِّكم وخَتَنِكم محمدٍ، ذُكِرتْ لي عنده سِلعةٌ يبيعُها بنَسيئةٍ، فجئتُ إليه لأَسومَه بها، فإذا هي سِلْعةٌ ما رأيتُ مثلَها، فقالوا: إنَّك لَتاجرٌ بصيرٌ، وما كنا نعلمُ أن محمداً يبيعُ السِّلع بنَسيئةٍ ولا أنت أيضاً.

وأتاني حكيم يَقودُ بعيرَه فقال: اركب بنا، فقُلتُ: قد بدا لي أن أُقيم؛ إني قد وقعتُ بعدك على بضاعةٍ نفيسةٍ، ما عالجتُ قطُّ أَبينَ رِبحاً منها، فقال: وعند مَن هي؟ فما أعلمها اليوم بمكة. قال: فقلتُ: بلى، وأنتَ دَلَلْتَني عليها، قال: وسمَّيتُها لك؟ قلتُ: نعم، فالله لي عليك أن تَكتُمَها ولا تذكُرَها لأحدٍ، قال: نعم، فقلتُ: إنَّها عند خَتَنِك محمد بن عبد الله، قال: وما هي؟ قلتُ: شهادة أن لا إله إلا الله، قال: فوَجَم ساعةً فقلتُ: أتَتَّهمني يا أبا خالدٍ في عقلي؟ قال: لا، ولا أُحبُّ لك ما فعلتَ(٢).

والقول الثاني حكاه الهيثم، عن كعب الأحبار قال: خرج أبو بكرٍ في الجاهلية تاجراً إلى الشام فنزل ببَحِيرى الرَّاهب، فقال له: من أين أنت؟ قال من مكة، فنام أبو بكرٍ فرأى رؤيا في تلك الليلة، فقصَّها على بَحيرى فقال: إنْ صدقتْ رُؤياك فأنت وزيرٌ لنبيٍّ يُبعث من مكة في حياته، وتَخلُفُه في الأمة بعد وفاته.

---

(١) في (ك): يوافقك.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ١٢٥.

قال: فرجعتُ إلى مكة ورسولُ الله جالسٌ في الحِجْر، فقلتُ: يا محمد، ما الذي تقول؟ فقال: أقولُ: لا إله إلا الله وأني عبدهُ ورسولُه، قال: فما الدّليلُ على صِحَّةِ قولك؟ فقال: رؤياك التي رأيتَ بالشام وقَصصتَها على بَحيرى، وقال لك كذا وكذا. فقام أبو بكرٍ وقبّل رأسَه وقال: صدقتَ، وأسلم[1].

والثالث ذكره ابن داب قال: كان أبو بكرٍ جالساً بفِناء الكعبة، وهناك زيد بنُ عمرو ابن نُفيل، فمرَّ به أُميَّةُ بن أبي الصَّلْت فقال له زيد: كيف أصبحتَ يا باغيَ الخير؟ فقال: بخيرٍ، قال: وهل وَجدتَ؟ قال: لا، ولم آلُ من طَلَبٍ، أي: لم أُقَصِّر، ثم أنشد أُميَّة: [من الخفيف]

كلُّ دينٍ يومَ القيامة إلا ... ما قضى اللهُ في الحنيفة زورُ

وقال: إن هذا النبيُّ المنتَظَر إمّا منّا، أو منكم، أو من أهل فلسطين.

قال أبو بكر: ولم أكن سمعتُ بنبيٍّ يُنتَظر ولا يُبعث، فخرجتُ حتى أتيتُ وَرقةَ بن نَوفلٍ، وكان كثيرَ النَّظر في السماء، كثير هَمْهَمةِ الصَّدر، قال: فقَصَصتُ عليه القصّة فقال: نعم يا ابن أخي، إن هذا النبيّ المنتَظر من أوسط العرب نَسباً، قال فقلتُ: يا عمّ، فما يقول؟ قال: يقول: لا ظُلمَ ولا تَظالُم، قال: وبُعث رسولُ الله ﷺ فآمنتُ به[2].

والرابع ذكره محمد بن كعبٍ القُرظي قال: خرج أبو بكرٍ في تجارة إلى الشام، فنادتْه شجرةٌ في الطريق: ارجع يا ابنَ أبي قُحافة، فآمن بمحمدٍ رسول الله، فرجع فأسلم.

وقال ابن إسحاق: لقي أبو بكرٍ رسول الله فقال: أحقّاً ما تقول قريش؛ من تركك آلهتنا، وتكفيرك آباءنا، وتسفيهك أحلامَنا؟ فقال: «إني رسولُ الله إليكم، بعثني لأُبلّغ رسالتَه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وأن تعبدَه»، ثم قرأ عليه القرآن، فلم يُقرّ ولم يُنكر، ثم أسلم بعد ذلك، ودعا إلى الإسلام، فأسلم على يده الزبيرُ، وطلحةُ، وعثمانُ، وسعدُ بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عَوف، والأرقم بن أبي الأرقم،

(١) تاريخ دمشق ٣٥ـ٣٦/ ١١٨.

(٢) تاريخ دمشق ٣٥ـ٣٦/ ١٢٢ـ١٢٣، والبيت في ديوانه ٣٩٣.

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل رضي الله عنه، وقد أشرنا إلى هذا فيما تقدّم[١].

وروى ابن إسحاقٍ عن أشياخه عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما دعوتُ أحداً إلى الاسلام إلا كانت له عنه كَبْوَةٌ إلا أبا بكرٍ، فإنه ما تَردَّد، وما عتَّم، وما تَلَعْثم عنه حين دعوتُه إليه»[٢]. وقال الجوهري: العَتْمُ: الإبطاءُ، ويقال: ما عتَّم أنْ فعل ذلك بالتشديد، أي: ما لَبِث[٣]. وتلعثم بمعناه.

وقد ذكرنا في حديث الهجرة عن عائشة أنها قالت: ما عَقَلْتُ أبويَّ إلا وهما يدينان الدين[٤]. وكذا قالت أسماءُ بنت أبي بكر.

وقد ذكرنا في السنة الحادية والأربعين من مولد النبي ﷺ اختلافَ العلماء في السابقين إلى الاسلام، وأنَّ أبا بكرٍ أوَّلُ مَن أسلم من الرجال.

ذكر خلافته

قد ذكرنا أنه بويع قبل أن يُدفن رسولُ الله ﷺ، وأنَّ حديث السقيفة كان في اليوم الذي تُوفي فيه رسول الله ﷺ. وإنّما اختلفوا في اليوم الذي بويع فيه. فقال الواقدي: بُويع يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلةً خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة. وقال الزهري: بويع يوم الثلاثاء. والأصحُّ أنه بويع يوم الاثنين في السَّقيفة، ويوم الثلاثاء البيعة العامة، وقد أشرنا إليه فيما تقدَّم من الكلام[٥].

ذكر أول خطبةٍ خطبها

قال ابن سعد: أخبرنا عبيد الله بن موسى، عن هشام بن عروة، قال عبيد الله:

(١) السير والمغازي ١٣٩ـ١٤٠، وأخرجه عن ابن عساكر ٣٥ـ٣٦/ ١٢٣ـ١٢٤.

(٢) السير والمغازي لابن إسحاق ١٣٩ عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي، وأخرجه عنه ابن عساكر ٣٥ـ٣٦/ ١٣٣.

(٣) الصحاح (عتم).

(٤) أخرجه أحمد (٢٥٦٢٦)، والبخاري (٤٧٦)، وسلف في سنة (٤١ من النبوة).

(٥) انظر طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٥ـ١٨٦، وتاريخ الطبري ٣/ ٢١٧ فما بعدها، والمنتظم ٤/ ٦٤.

أظنه[١] عن أبيه قال: لما ولي أبو بكرٍ خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعدُ أيها الناسُ، فإني قد وَليتُ أمرَكم ولستُ بخيركم، ولكن قد نزل القرآن، وسنَّ رسولُ الله ﷺ السُّنن، وعَلَّمنا فعَلِمنا. اعلموا أن أكيسَ الكَيْسِ التقوى، وأن أحمقَ الحُمقِ الفجورُ، وأن أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذ له بحقِّه، وأن أضعفكم عندي القويُّ حتى آخذَ منه الحقَّ. أيها الناسُ، إنَّما أنا متَّبعٌ ولستُ بمبتدع، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن زُغْتُ فقوِّموني.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن وهب بن جرير، عن أبيه قال: سمعتُ الحسن يقول: لمّا بُويع أبو بكرٍ قام خطيباً، فلا والله ما خطب خُطبتَه أحدٌ بعد، فحمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني قد وَليتُ هذا الأمر وأنا له كارهٌ، ووالله لوَدِدْتُ أنّ بعضكم كفانيه، ألا وإنّكم إن كلَّفتُموني أن أعملَ فيكم مثلَ عملِ رسول الله ﷺ لم أقُم به. كان رسول الله ﷺ عبداً أكرمه الله بالوحي وعَصمه به، ألا وإنّما أنا بشرٌ، واعلموا أنَّ لي شيطاناً يَعتريني، فإذا رأيتُموني قد غضبتُ فاجتنبوني، لا أُؤَثّر في أشعاركم وأبشاركم[٢].

وأخرج أحمد في «المسند» طرفاً منه عن قيس بن أبي حازم، وفيه أنها أول خطبةٍ خُطبت في الإسلامِ، وفيها: ولوَدِدْتُ أن هذا كفانيه غيري، وإن أَخذتُموني بسُنَّةِ نبيّكم ما أُطيقُها، إنه كان معصوماً من الشيطان، ويأتيه الوحيُ من السماء[٣]. وسنذكر طرفاً من خُطبه في ترجمته.

ذكر ما فرضوا له

قال ابن سعدٍ بإسناده عن عطاء بن السّائب قال: لما استُخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق، وعلى رَقَبته أثوابٌ يَتَّجِرُ بها، فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا: أين تُريدُ يا خليفةَ رسول الله؟ قال: السوق، قالا: تصنعُ ماذا وقد وَليتَ أمر المسلمين؟ قال: فمن

---

(١) في (ك): قال ابن سعد بإسناده عن هشام بن عروة عن عبد الله أظنه، وهذا خطأ، وليس في (أ)، والمثبت من الطبقات ٣/ ١٨٢، والمنتظم ٤/ ٦٨.

(٢) الطبقات ٣/ ٢١٢، والمنتظم ٤/ ٦٨-٦٩.

(٣) مسند أحمد (٨٠).

أين أُطعِمُ عيالي؟ قالا له: انطلق حتى نَفرِضَ لك شيئاً، فانطلق معهما، ففَرضا له كلَّ يوم شطرَ شاةٍ، وماكسوه في الرأس والبطن.

وقال ابن سعد بإسناده عن حُميد بن هلال قال: لما وَلي أبو بكر الخلافة قال أصحابُ رسول الله ﷺ: افرضوا لخليفة رسول الله ما يُغنيه، قالوا: نعم، بُرْداه إذا أَخلَقهما وضعهما وأخذ مثلَهما، وظَهْره إذا سافر، ونَفقته على أهله كما كان يُنفق قبل أن يُستخلفَ، فقال أبو بكر: رَضيتُ[١].

وقال عُمَير بن إسحاق: خرج أبو بكر وعلى عاتقه عَباءة له، فقال له رجل: أَرِني أكفِك، فقال: إليك عني، لا تَغُرّني أنت وابن الخطاب عن عيالي[٢].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن عروة، عن عائشة قالت: لما وَلي أبو بكر قال: لقد علم قومي أن حِرفَتي لم تكن لتَعْجزَ عن مؤونة عيالي أو أهلي، وقد شُغِلتُ بأمور المسلمين، وسأحترفُ للمسلمين في مالهم، وسيأكل آلُ أبي بكر من هذا المال[٣].

ومعنى يحترف، أي: يَكتسب.

وقال ابن سعد بإسناده عن عمرو بن مَيمون، [عن أبيه] قال: لما استُخلف أبو بكر رضوان الله عليه جعلوا له ألفين، فقال: زيدوني فإن لي عِيالاً، وقد شغلتُموني عن التِّجارة، فزادوه خمسَ مئةٍ[٤].

قال ابن عمر: وكان منزل أبي بكرٍ بالسُّنْح، عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد ابن أبي زهير، من بني الحارث بن الخزرج، فأقام هناك ستة أشهر بعدما بُويع يغدو على رجليه إلى المدينة، ثم تحوَّل إلى المدينة.

وكان رجلاً تاجراً، فكان يغدو كلَّ يوم إلى السوقِ فيبيع ويبتاع.

وكانت له قطعة من غَنَم تروح عليه، وربما خرج بنفسه فيها، وربما كُفيها فرُعيت له.

---

(١) الخبران في الطبقات ٣/ ١٨٤، والمنتظم ٣/ ٧١.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٤، والمنتظم ٤/ ٧٢.

(٣) الطبقات ٣/ ١٨٥.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٥، وأنساب الأشراف ٥/ ١٤٠، وتاريخ دمشق ٣٥-٣٦/ ٤٣٣، والمنتظم ٤/ ٧٢ وما بين معكوفين منها.

وكان يَحلُب للحيِّ أغنامَهم، فلما بويع بالخلافة قالت جاريةٌ من الحيّ: الآن لا يَحلبُ لنا مَنائحنا، فسمعها أبو بكرٍ رضي الله عنه فقال: بلى لَعَمري، لَأَحلُبنّها لكم، وإني لأرجو أن لا يُغيِّرني ما دخلتُ فيه عن خُلُقٍ كنتُ عليه، فكان يَحلُب لهم، وربما قال للجارية: أتُحبِّين أن أُرغي لك أو أُصرِّح؟ فربما قالت: أَرْغِ، وربما قالت صَرِّح - والصَّريح: اللّبن إذا ذهبت رَغْوَتُه[1].

وذكر ابن قتيبة أن أبا بكرٍ كان يقول لهم: أَنْفُجُ أم أُلْبِد؟ فإن قالت: أَنْفِج؛ باعد الإناءَ من الضَّرع[2]، والنَّفْجُ بجيم: الارتفاع - فأقام كذلك ستة أشهر بالسُّنح.

ثم نزل المدينة، فأقام بها، ثم نظر في أمره فقال: لا والله ما يُصلِحُ أمرَ الناس التجارة، وما يَصلُح لهم إلا التَّفرُّغُ والنَّظرُ في شأنهم، ولا بدّ لعيالي مما يُصلحهم، فترك التّجارة، واستَنفق من مال المسلمين ما يُصلحه ويُصلحهم يوماً بيوم.

قال: وكان الذي فرضوا له في كلّ سنة ستة آلاف درهم، فلما حضرته الوفاةُ قال: أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبتُ من أموالهم، فدفعها إلى عمر رضي الله عنهما[3]، وسنذكره عند وفاته.

ذكر أول ما بدأ به بعد البيعة

أوّلُ ما بدأ به بعد البيعة تجهيزُ أسامة بن زيد، وكان نازلاً بالجُرْف، وفيه ثلاثةُ آلاف من أعيان المهاجرين والأنصار، فاجتمع الأنصار إلى عمر بن الخطاب وقالوا: إن النفاق قد نَجَم، وارتدَّت العرب، ومالت اليهود والنصارى إلى منع الجزية، وجيش أسامة فيه أشرافُ الناس، فلو قلتَ لخليفة رسول الله ﷺ أن يَتربَّصَ به، فإنا نخاف أن يَتخطَّفَه الناس، فإن أبى إلا المُضِيّ؛ فسَلْه أن يُولِّي علينا رجلاً منا، أسنَّ من أسامة.

فدخل عمر على أبي بكر، فكلَّمه في تأخير جيشِ أسامة، وقال له: هؤلاء جُلُّ

(١) الصحاح (صرح).

(٢) غريب الحديث ١/ ٢٥٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٥-١٨٦، وتاريخ دمشق ٣٥-٣٦/ ٤٣٤-٤٣٥، وانظر أنساب الأشراف ٥/ ١٤١، والمنتظم ٤/ ٧٢-٧٣.

العرب ـ على ما ترى ـ قد انتَقَضَتْ بك، وليس لك أن تُفرِّق جماعة المسلمين.

فقال أبو بكر: والله لو تَخَطَّفني الطَّيرُ لأَنفذتُ جيشَ أسامة على ما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يَبقَ غيري لأَنفذتُه، قال: فإن الأنصار يسألونك أن تُوَلِّي عليهم رجلاً منهم أقدمَ سناً من أسامة، فوثب أبو بكر، وأخذ بلحية عمر، وقال: ابن الخطاب، أَيَستعملُه رسول الله ﷺ وأنزعُه أنا؟ أتأمُرُني أن أَرُدَّ قضاءً قضى به رسول الله ﷺ؟ فخرج عمر إلى الناس، وقال: ثَكِلتكُم أمُّكم، ماذا لَقيتُ بسببكم من خليفة رسول الله ﷺ.

وخرج أبو بكر بنفسه حتى أتى جيش أسامة، فأَشخَصَهم، وشَيَّعهم ماشياً، وأسامةُ راكبٌ، وعبد الرحمن بن عوف يقودُ دابَّةَ أبي بكر، فقال له أسامة: والله لتركَبَنَّ أو لَأنزِلَنَّ، فقال أبو بكر: والله لا تَنزل ولا أركب، وما عليَّ أن أُغبِّرَ قدميَّ في سبيل الله، فإن للغازي بكلِّ خُطوة يَخطوها سبع مئة حسنة، ويُمحى عنه سبع مئة سيئة.

ثم أوصى الناس فقال: أُوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغدِروا، ولا تُمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة، ولا تحرِقوا نَخْلاً ولا تَعقِروه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمَأكَلَة، وسوف تَمرُّون بأقوامٍ قد فرَّغوا نفوسَهم في الصوامع، فدعوهم وما فَرَّغوا نفوسَهم له، وسوف تَلقَون أقواماً قد فَحصوا أوساطَ رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفِقوهم بالسيوف خَفْقاً، اندفعوا بسم الله.

وسأل أبو بكر أسامة أن يَأذن لعمر بن الخطاب في المقام عنده، وقال: لا غِنى لي عنه، فأذن له، ثم قال أبو بكر لأسامة: ابدأ بما أمرك رسول الله ﷺ به من الغارة على بلاد قُضاعة، ثم ائْتِ مُؤتة، ولا تُقَصِّرَنَّ في شيءٍ أمرك به رسول الله ﷺ، وأغر غارةً سِجالاً يتلاقى عليك جيوش الروم.

فسار أسامة حتى انتهى إلى المكان الذي أمر به رسول الله ﷺ من بلاد قُضاعة والشام وفلسطين، حتى بلغ الدَّارُوم، وعاد سالماً غانماً لهلال جُمادى الأولى.

وكانت غيبتُه أربعين يوماً، وقال عكرمة: غاب خمسين يوماً لأنه سافر في سادس عشر ربيع الأول، وعاد في خامس جمادى الأولى.

ولما توجَّه أسامة جاء أبا بكر رضوان الله عليه خبرُ الأسودِ العَنْسي ومقتله، فكان أوّلَ فتحٍ أتاه.

ولما جهَّز أبو بكر جيش أسامة وفدت عليه وفود العرب مُرتدّين، مُقرِّين بالصلاة مانعين الزكاة، فلم يَقبل ذلك منهم، ورَدَّهم، واستعدَّ لحربهم وجهادهم، وأقام على ذلك حتى قَدم جيشُ أسامة من الشام، فخرج إلى لقائه، وسُرَّ بسلامتهم، واستعان بهم على أهل الرِّدة.

حديث الرِّدَّة

لما تُوفي رسول الله ﷺ وقام أبو بكر ﷺ؛ ارتدَّت العرب بعد خلافته بعشرة أيام، إلا أهل المسجِدَيْن وما بينهما، وأناساً من الأعراب قليل، - وفي رواية: والبحرين وثَقيف، فإنهم استشاروا عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان فيهم مُطاعاً، فقال: لا تكونوا آخر العرب إسلاماً وأوَّلَهم ارتداداً، فنفعهم الله برأيه - ونَجم النِّفاق، والمسلمون كالغنم في الليلة المظلمة؛ لفقد نبيّهم، وقلَّتهم، وكثرةِ عدوِّهم، وخُلُوِّ المدينة من أبطال المسلمين، ووجوه الناس في جيش أسامة.

وكان الأسود العَنْسي قد غَلَب على صَنْعاء ونَجْران والطائف، واستعجل أمره مسيلمة الكذّاب وطُلَيحة بن خويلد، وارتدَّت غَطَفان وطَيِّئ، واجتمع إليهم مَن كان على مثل رأيهم.

وقال ابن إسحاق: أول رِدَّةٍ كانت في العرب مُسَيلِمة باليمامة في بني حنيفة، والأسود بن كعب العَنْسي باليمن في حياة رسول الله ﷺ، وخرج طُليحة الأَسَدي في بني أَسَد، وادَّعى النُّبوَّة، وسجع لهم[١]، وكان فيما يقول: إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم، ولا فتح أدباركم شيئاً، فاذكروا الله أَعِفَّةً قياماً[٢].

وقال أبو هريرة: لما توفي رسول الله ﷺ، واستُخلف من بعده أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تُقاتل الناس وقد قال رسول الله

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٧٥.

(٢) ذكر كلامه ابن حبان في الثقات ٢/ ١٦٦، والمقدسي في البدء والتاريخ ٥/ ١٥٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٨/ ٥٩٩، وابن الجوزي في المنتظم ٤/ ٢٤، وياقوت في معجم البلدان ١/ ٤٠٨.

ﷺ: «أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عَصموا مني دماءهم وأموالَهم إلا بحقِّهم، وحسابُهم على الله»؟

فقال أبو بكر: والله لأُقاتِلَنَّ مَن فَرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عَناقاً أو عِقالاً كانوا يُؤدُّونها ـ أو يُؤدُّونه ـ إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على ذلك.

قال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيتُ أن الله قد شرح صدرَ أبي بكر للقتال، فعرفتُ أنه الحق، أخرجاه في الصحيحين(١).

وقد وافق أبا بكر بعد ذلك جميعُ الصحابة، وصَوَّبوا رأيه، فقال أبو رجاء العُطارِدي: دخلتُ المدينة، فرأيتُ الناس مجتمعين في المسجد، ورأيتُ رجلاً يُقبِّل رأس رجل وهو يقول: نحن فداؤك، لولا أنت هَلَكنا، فقلت: فمَن المقبِّل والمقبَّل؟ قالوا: ذلك عمر بن الخطاب يُقبِّل رأس أبي بكر في قتال أهل الردَّة إذ منعوا الزكاة حتى أَتَوا بها صاغرين(٢).

وأقام أبو بكر رضوان الله عليه بالمدينة يَحترس مدَّة غيبة جيش أسامة، وأقام جماعة على أنقاب المدينة، منهم علي وطلحة والزبير وابن مسعود.

وقدمت عبس وذبيان، فنزل بعضهم بذي القَصَّة وبعضهم بالأَبْرَق، ودخل رؤساؤهم على أبي بكر، فكلَّموه وقالوا: نُصلِّي ولا نُزكِّي، فقال: لا والله، فخرجوا من عنده، وعَزموا على الفَتْك به وبأهل المدينة، وكَمنوا لهم كَميناً بذي حُسى.

وجاؤوا إلى المدينة، فخرج إليهم أبو بكر والمسلمون على النَّواضِح، وعلى مَيمنة أبي بكر النّعمان بن مُقَرِّن، وعلى مَيسرته عبد الله بن مُقَرّن، وعلى السَّاقة سُويد بن مُقَرِّن.

واختلفوا في أسامة هل كان قدم عند هذه الحادثة؟ قال قوم: لم يكن قَدم، وقال آخرون: قدم، ولكن أمره أبو بكر أن يستريح في جنده.

ثم التَقَوا، فانهزم القوم، وتبعهم المسلمون إلى ذي حُسى، فخرج عليهم الكمين

---

(١) البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠)، وهو في مسند أحمد (٦٧).

(٢) صفة الصفوة ١/ ٢٥٠، والمنتظم ٤/ ٨٧.

وقد نفخوا زِقاقاً[(١)]، وشَدُّوا الحبال فيها، ودَهْدَهوها في وجوه النَّواضح التي عليها المسلمون، فنَفرت بهم إلى المدينة لا تلوي على شيء، فظنَّ الكفار أنهم قد ظهروا عليهم، فأرسلوا إلى من بذي القَصَّة من أصحابهم، فاجتمعوا وقصدوا المدينة، فخرج إليهم أبو بكر ماشياً، ومعه المسلمون مُشاةً، وجعل على ميمنته عليّاً رضوان الله عليه، وبني مقرن على ميسرته وساقته، وحملوا على القوم حملةَ رجل واحد، فانهزموا، فما ذَرَّ قَرْنُ الشمس حتى وَلَّوْا، وغنم المسلمون ظهرَهم وأموالَهم.

وبلغ أبو بكر إلى ذي القَصَّة، وعزم على أن يُعسكر هناك، فناشده المسلمون الله لا يفعل خوفاً على المدينة، فرجع وقد استراح جيشُ أسامة، فأقام ثلاثة أيام، ثم خرج بالمسلمين إلى ذي القَصّة فأقام ومعه جيش أسامة، فعقد بها الألوية، وكانت أحدَ عشر لواءً.

فأوَّلُ لواءٍ عَقَده لخالد بن الوليد، وأمره أن يَسير إلى طُليحة بن خويلد، فإذا فرغ منه سار إلى مالك بن نُوَيْرَة بالبُطاح.

قال وَحشيّ بن حَرْب: إن أبا بكر عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «نِعم عبدُ الله وأخو العشيرة خالد بنُ الوليد، وسيفٌ من سيوف الله سَلَّه الله على الكفار والمنافقين»[(٢)].

ثم عقد لواءً لعكرمة بن أبي جهل، وأمره أن يسير إلى مُسيلمة، وعقد لخالد بن سعيد بن العاص وأمره أن يسير إلى مشارف الشام إلى من اجتمع به، وعقد لعمرو بن العاص إلى قُضاعة ومن انضمَّ إليها، وعقد للمهاجر بن أبي أميَّة، وأمره بالمسير إلى اليمن، ومعونة الأبناء على جند الأسود العنسي، ثم يَتوجَّه بحضر موت[(٣)] إلى كِندة، وعقد لحُذَيفة بن مِحْصَن الغَلْفَانيّ[(٤)]، وأمره بأهل دَبا، وعقد لعَرْفَجة بن هَرْثمة وأمره

(١) في (أ، خ): دقاقاً.

(٢) أخرجه أحمد (٤٣).

(٣) في (أ): إلى حضرموت، والذي في تاريخ الطبري ٣/ ٢٤٩، والمنتظم ٤/ ٧٦: وعقد للمهاجر بن أبي أمية، وأمره بجنود العنسي، ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومن أعانه من أهل اليمن عليهم، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت.

(٤) في (أ): الغطفاني، وهو خطأ، فقد ذكره الحافظ في الإصابة ٢/ ٢٢٢ وقال: ضبطه الطبري بالغين المعجمة واللام والفاء، وضبطه أبو عمر بالقاف واللام والعين.

بمُهْرة، وعقد لشُرحْبيل بن حسنة وأمره بالمسير إلى عكرمة بن أبي جهل مَدَداً له، وعقد لطُرَيْفة بن حاجز وأمره ببني سليم، وعقد لسُويد بن مُقرّن وأمره بتِهامة، وعقد للعلاء بن الحَضْرميّ وأمره بالمسير إلى البحرين.

فبينا أبو بكر يَعقد الألويةَ قَدم عليه عَديُّ بن حاتم والزِّبرِقان بنُ بدر، وكان رسول الله ﷺ قد بعث عديَّ بن حاتم على صدقات طيّئ، والزِّبرقان بن بدر على صدقات بني سعد، وطُليحة بن خُوَيلد على صدقات بني أسد، وعُيَينة بن حِصن على صدقات بني فَزارة، ومالك بن نُويرة على صدقات بني يربوع، والفُجاءة على صدقات بني سُلَيم، فلما بلغهم وفاةُ رسول الله ﷺ وعندهم أموال كثيرة رَدُّوها على أهلها، إلا عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فإنهما تمسَّكا بها ودفعا عنها الناس، حتى أدَّياها إلى أبي بكر، فتَقَوّى بها على قتال أهل الرّدة، فلم يزل لعديّ والزبرقان بذلك شرفٌ على قومهما ومَن سواهما من أهل نَجد، قال الحارث بن مالك الطّائي: [من الطويل]

وَفَينا وفاءً لم يرَ الناسُ مثلَه وسَرْبَلَنا مَجداً عديُّ بن حاتمِ[1]

وكان من حديث الزّبرقان أن بني سعد اجتمعوا إليه، فسألوه أن يَردَّ عليهم أموالَهم، وأن يَصنعَ بهم ما صنع مالك بقومه، فأبى، وقال: لا تَعجلوا، فإنه والله لَيَقومَنَّ قائمٌ بهذا الأمر بعد رسول الله ﷺ، فإن كان ذلك القائم قاصرٌ ولم تُبدِّلوا دينكم، ولم تُفرّقوا، وإن كانت التي تَظنّون فهذه أموالكم في أيديكم، لا يغلبكم عليها أحد، فسكتوا، فلما جاءهم اجتماعُ الناس على أبي بكر خرج بها وقد تفرَّق القومُ عنه ليلاً، ومعه الرجال يَطردونها فما علموا به، حتى أتاهم أنه قد أدّاها إلى أبي بكر رضوان الله عليه، فكانت هذه الإبل التي قدم بها الزّبرقان وعديّ أوّلَ إبلٍ وافت أبا بكر من إبل الصدقة، بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقال الزّبرقان أبياتاً منها: [من الطويل]

لقد علمتْ أفناءُ سعدٍ بأنني وَفيتُ إذا ما فارس الغَدْر أحجما
سَرَيتُ بها ليلاً من اهلي فأصبحتْ تَدوس بأيديها الحصادَ المحرَّما
ولن يَخبروني حين أُسألُ نائلاً بخيلاً ولا في النّائبات مُلَوَّما

(١) البيت في كتاب الردة للواقدي ٦٧، ومروج الذهب ٤/ ١٨٣.

وفـيـتُ يـمـيـنـاً لـلـرَّسـول وعـهـدِه ولـم أَرتَقِبْ فيها ابنَ عمٍّ ولا ابْنَما[1]

وقال ابن إسحاق: وكان من حديث عديّ أنه لما أسلم أمّره رسول الله ﷺ على صدقات قومه، وذكر بمعنى ما ذكرنا، قال واجتمع إليه قومُه، وقد اجتمعت عنده إبلُ عطية، فقالوا له: هذا الرجل قد مات، وقد ارتدّ جيرانُنا من بني أسد وغيرهم، وقد انتَقض الناسُ بعده، وقَبض كلُّ قومٍ صدقاتهم، فنحن أحقُّ بأموالنا من غيرنا، فقال: ألم تُعطوا من نفوسكم العهودَ والمواثيقَ على الوفاء طائعين غير مكرهين؟ قالوا: بلى، ولكن قد حدث ما ترى، وما قد صنع الناس، فقال: كلا والذي نَفْسُ عديٍّ بيده، لا أحبس بها أحداً، ولو كنتُ جعلتُها لرجلٍ من الزِّنج لوفيتُ له بها، ولئن أَبيتُم لأُقاتلَنّكم، يعني على ما في يده وما في أيديكم، فأكون أوّلَ قتيلٍ يُقتل على وفاء ذِمَّتي، فلا تطمعوا أن يُسبَّ حاتم في قبره بجريرة عديٍّ ابنِه، وذكر كلاماً طويلاً، فلما رأوا الجدَّ منه كَفُّوا عنه، ثم قَدم بها على أبي بكر رضوان الله عليه، وقال عدي: [من الطويل]

وَفـيـتُ بـعـهـدي أن أُسـبَّ بـه غـداً وطـهَّـرَ أثـوابـي الـوفـاءُ عـلـى خُـبْـرِ
ولـمـا رَأَوا قـومـي دمـي دون ذِمَّـتـي تَـفـرَّقَ بـالـقـوم السَّـبـيـلُ إلـى الـغَـدْرِ
فـأدَّيـتُـهـا بـعـد الـنـبـيِّ بـعـهـده إلـى مَـن تـولّـى بـعـده عُـقـدةَ الأمـرِ
فـوافـت أبـا بـكـر مـعـاً بـفِـصـالـهـا فـسَرَّت أبـا حـفـصٍ وسَرَّت أبـا بـكـرِ
وذَبَّـيـتُ عـنـهـا أن تُـضـام حَـمـيَّـتـي وقلت كصدر السيف يهتزُّ في صدري
فشرَّفْتُ في الإسلام بيت أبي الذي بـنـاه أبـي فـي الـجـاهـلـيـة لـلـفَـخْـرِ

قال الواقدي: ثم أمر أبو بكر رضي الله عنه عدي بن حاتم أن يتقدم إلى قومه طيّئ، وقال: أدرِكْهم لا يُؤكلوا، خوفاً عليهم من جموع طُليحة، وخرج خالد في إثر عديّ، وعاد أبو بكر إلى المدينة.

وأما عديّ فإنه قَدم على قومه وقد ارتدُّوا، فقال: يا قوم، ارجعوا إلى الإسلام فأَبَوا، فقال: قد أتاكم من يَسبي حريمَكم، ويَستبيحُ دماءكم وأموالكم، فقالوا: قد

(١) انظر كتاب الردة ٦٨-٦٩، وتاريخ الطبري ٣/ ٣٠٥

لحق منا قومٌ بطُليحة وهو ببُزاخَة، فَنَهْنِهْ عنا الجيش لنُرسلَ إليهم فيأتونا، فإنا إن خالَفْنا طُليحة وهم في يده قتلهم، فعاد عديّ إلى خالد وهو بالسُّنْح فقال له: أمسك عنا ثلاثاً أجمع لك خمس مئة مقاتل تَضربُ بهم عدوَّك، خيرٌ من أن تُعجِلَهم إلى النار، فأقام خالد، وعاد عديٌّ إلى قومه، وقد عاد من كان ببُزاخة من طيّئ باعتبار الاستعداد لخالد، وتوجه خالد إلى الأنسُر يريد جَدِيلة، فقال له عدي: إن جَدِيلة أحدُ جناحَيْ طيّئ، فأجِّلني أياماً لعل الله أن يأتي بجَدِيلة كما أتى بطيّئ، فأقام خالد، وأتى عديّ جَدِيلة، فلم يزل يُخوِّفُهم حتى أجابوا، فقدم عديّ على خالد منهم بألف فارس مسلمين، فكان عدي بن حاتم خيرَ مولودٍ وُلد في طيّئ وأعظمَهم بَرَكة.

وقال طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﵁: كان أبو بكر يأمر أُمراءَه حين كان يَبعثهم في الرّدة: إذا غشيتُم داراً فإن سمعتم بها أذاناً للصلاة فكُفُّوا حتى تسألوهم [ما الذي نقموا]، وإن لم تسمعوا أذاناً فشُنّوا الغارة، وحَرّقوا، وانهكوا في القتل والجراح، لا يَرُدَّنَّكم وَهَنٌ لموت نبيكم ﷺ(١).

وقال عروة بن الزبير: لما وَجَّه أبو بكر ﵁ خالد بنَ الوليد إلى أهل الردّة قال له: إني لاقيك ببقية الناس من ناحية خيبر، وما يريد أبو بكر ذلك، قد كان أوعَب خالداً بمن عنده، وإنما أراد بذلك المكيدة، وأن يبلغ الناس، وخرج معه إلى ذي القَصّة، فنزل بها وهي على بريد من المدينة، فعبّأ جيوشَه، وعهد ليلة عهده، وأمَّر على الأنصار ثابت بن قيس بن الشمّاس، وأمرُه راجع إلى خالد، وخالد على المهاجرين وقبائل العرب، وأمَره أن يَصمُد إلى طُليحة بن خُويلد الأَسَدي، فإذا فرغ منه صَمَد إلى بني تميم حتى يَفرغ، وأسرَّ ذلك إليه.

قال الواقدي: ثم إن أبا بكر ﵁ كتب كتاباً إلى أهل الردة مع أمرائه، نُسختُه: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ، سلامٌ على مَن اتّبع الهُدى، ولم يَرجع إلى الضلالة والعمى، وذكر مَبعث النبي ﷺ ووفاته، ثم حَذَّرهم وأنذرهم، وقال: وقد بعثت إليكم جيوشاً من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم

(١) أخرجه الطبري ٣/ ٢٧٩ وما بين معكوفين منه.

بإحسان، وأمرتُهم أن لا يُقاتلوا أحداً حتى يَدعونَه إلى داعية الله، فمن استجاب لهم وآمن وعمل صالحاً قَبلوا منه ذلك، ومن أبى قاتلوه وقتلوه أشرّ قِتْلة، وسَبَوا النّساء والذّراري، وعلى الله توكَّلتُ، وإليه أُنيب، والسلام، ثم أمر القوم بالمسير إلى الأماكن التي عيّنها لهم، فساروا.

وقعة بُزاخَة وهروب طُليحة إلى الشام

كان خروج طُليحة بعد مُسيلِمَة والأسود، ادَّعى النبوة، ونزل سَمِيراء، وقَوي أمرُه، فكتب سنان بن أبي سنان إلى النبي ﷺ يُخبره بأمره، وقال: الذي يأتيني يُقال له: ذو النون، وكتب إلى رسول الله ﷺ يدعوه إلى الموادعة، فردّ رسولَه خائباً، ومن سَجعه: والحمام واليَمام، والصُّرَد الصَّوَّام، ليُفتَحنّ علينا العراقُ والشام.

والتقى خالد وطُليحة في يوم بُزاخَة على ماء من مياه بني أسد يقال له: قَطَن، على بريد من المدينة، وقيل هي من أرض نجد، ولما قَرُب خالد من بُزاخَة أرسل ثابتَ بن أَقرم وعُكَّاشة بن محصن[1] طليعةَ الجيش، فساروا بين يديه، وكان طُليحةُ وأخوه سلمة قد خرجا من العسكر يَتحسَّسَان الأخبار، فلقياهما، فقتل طُليحة عُكَّاشة، وسلمةُ ثابتاً، وعاد طُليحة وأخوه إلى عسكرهما، وأقبل خالد بالناس فوجدهما مَقتولين، فشقَّ عليه وعلى الناس، وجَزِعوا جَزعاً شديداً، ولما نظر المسلمون إليهما مقتولَيْن ثَقُلوا على المطيِّ، حتى ما تكاد المطيُّ ترفع أخفافها، ثم أمر بهما خالد فدُفنا بدمائهما، وأخبر طُليحةُ عيينةَ بن حصن بقتل ثابت وعُكّاشة ففرح، وقال: هذا أولُ الفتح، ثم صبَّحهم خالد على بُزاخة، والتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وكان عيينة مع طليحة في سبع مئة فارس من بني فَزارة، وطليحة في أربعة آلاف، ومعه قُرَّة بن هُبَيرة في جَمعٍ عظيم، فنزل طُليحة فتزمَّل في كساء له بفِناء بيتٍ من شَعَر، بيتاً لهم يزعم أنه يُوحى إليه، فقاتل عُيينة حتى هَدَّته الحربُ وأضرستْه، فجاء إلى طُليحة وقال: أتاك جبريل بعد؟ قال: لا، أنا في انتظاره، فعل ذلك ثلاثاً، فلما كان في الرابعة قال: جاء جبريل بعد؟ قال: نعم، قال: فما الذي قال لك؟ قال: قال لي: إن لك رَحاً

(١) في (أ) و(خ): عكاشة بن قيس؟!

كرَحاه، وحديثاً لا تَنْساه، فصاح عُيينة: يا بني فَزارة، انصرفوا عنه فإنه والله كذّاب.

وقال له الأقرع: أظنُّ أنه قد علم الله أنه سيكون لك حديثٌ لا تنساه، هذا والله يا بني فَزارة كذّاب، فانطلقوا لشأنكم. فَفَرُّوا عنه، وبقي طُليحة في أصحابه، وكان قد أعدَّ عنده فرساً، وهيّأ لامرأته النّوار بَعيراً، فركب الفرس، وحمل امرأته على البعير، وسلك الحُوشِيَّة حتى لحق بالشام،

ولما سار إلى الشام هارباً عطش هو وأصحابُه في الطريق، فقالوا: يا أبا عامر ما بقي من كَهانتك؟ فقال لرجل منهم يقال له مخراق: اركب فرساً رِئبالاً، ثم سر عليه إقبالاً، فإنك ترى فارات طوالاً، فإنك تجد عندها ماءً زلالاً، وكان يعرف تلك الأماكن، فمضى مخراق إلى الفارات، فوجد عندها عيناً، فشربوا منها وسقوا.

ونزل طليحة على كلب على النقع، وهو اسم مكان بالشام، ثم أسلم، وحضر فتح نهاوند، وقُتل شهيداً، وأَسرَ خالد عيينةَ بنَ حصن وقُرَّة بنَ هُبيرة، وبعث بهما إلى أبي بكر ﷺ موثقَيْن، فلما دخلا عليه قال له قُرَّة: يا خليفة رسول الله، إني كنت مسلماً، وقد مرَّ بي عمرو بن العاص فأعطيتُه الصدقة، فأرسل أبو بكر إلى عمرو، فشهد بذلك، فتجاوز عنه، وحقن دمَه، ولما دخلوا بعُيَيْنة المدينة، مغلولة يده إلى عنقه، جعل صبيان المدينة يضربونه بالجريد، ويقولون: يا عدوَّ الله، أكفرت بالله؟ وهو يقول: والله ما كنت مسلماً قط، فتجاوز أبو بكر عنه، وحقن دمه.

وكرَّ خالد على بني عامر، وكانوا قد اعتزلوا ناحيةً ينظرون لمن الدَّبَرة، فهزمهم خالد، وأخذ أموالهم، وقتلهم، وقتل بني فَزارة.

وقال الهيثم: لما رأى بنو عامر ما جرى على طُليحة، جاؤوا إلى خالد وأسلموا.

قصة سَلمى بنت مالك بن حذيفة

وأمّها أمُّ قِرْفَة بنت حذيفة(١)، وكانت سَلمى سُبيت في السنة السادسة، فوقعت لعائشة، فأعتقتها.

قال هشام: فدخل رسول الله ﷺ على عائشة وهي عندها فقال: «إن إحداكنّ

(١) كذا، وهو خطأ، فأم قرفة: هي بنت ربيعة بن فلان بن بدر زوجة مالك بن حذيفة. انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٣.

لَتَسْتَنْبِحُ كلابَ الحَوْأب»، ففعلت ذلك سلمى حين ارتدَّت، وقاتلت خالداً[١].

وقيل: إن سلمى وقعت في سهم سَلَمَةَ بن الأكْوع لما قتل زيدُ بنُ حارثة أمَّها [أمّ] قِرْفة بوادي القُرى.

وعامّةُ أرباب السير على أن الذي نبحَتْها كلابُ الحَوْأب عائشة، والحَوْأب: بناءٌ في طريق البصرة.

قال ابن الكلبي: ولما هزم خالد طُليحةَ وعُيينةَ اجتمع فُلّال غطفان إلى سلمى، فأرفَدَتْهم، وكانت مُقيمةً على ظَفَر، وقَوَّتْهم بالسلاح والكراع والرجال، فصارت في جمع عظيم من أسد وغطفان وهوازن وسليم وبعض طيّئ، واستفحلَ أمرُها، فسار إليهم خالد بجيوشه، والتَقَوا وهي راكبةٌ بينهم جَملَ أمِّها أمِّ قِرْفَة، وكان جملاً عظيماً، وهي في مثل عِزِّ أمِّها، فقال خالد: مَن يَعقِرُ جملَها وله مئةُ بعير؟ فلم يُقدم عليه أحد، فحمل خالد والمسلمون فعَقروا جملَها، وقتلوها بعد أن قُتل حولها مئةُ فارس، ثم قَدم فَلُّهم على أبي بكر رضوان الله عليه.

ذكر قدومهم عليه

ولجأ وفدُ بُزاخة من أسد وغطفان إلى أبي بكر يسألونه الصُّلح، فخيَّرهم بين الحرب المُجْلِيَة، والسِّلْم المُخْزِية، فقالوا: هذه المجلية قد عرفناها فما المخزية؟ فقال: ننزعُ منكم الحلقة والسلاح والكُراع، ونَغنم ما أَصبْنَا منكم، وتَردُّون علينا ما أصبتُم منا، وتَدُون لنا قتلانا، ويكون قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، وتتبعون أذناب الإبل.

فقام عمر بن الخطاب وقال: قد رأيتُ رأياً، وسنشير عليك، أما ما ذكرت من الحرب المجلية والسِّلم المخزية، وأنا نَغنم ما أصبنا منهم ويَردُّون علينا ما أصابوا منا فنِعم ما قُلتَ، وأما ما ذكرتَ من أنهم يَدُون قتلانا، فقتلانا قاتلوا على أمر الله، ولتكون كلمةُ الله هي العُليا، فقتلوا، فأجورهم على الله، فليس لهم دِيات، فأعجب الناسَ ما قال عمر، وتبايعوا عليه[٢].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٤، وأخرج أحمد (٢٤٢٥٤) عن قيس أن عائشة أقبلت حتى بلغت مياه بني عامر، فنبحتها الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب،... قالت إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب؟»

(٢) أخرجه مطولاً الحميدي في الجمع بين الصحيحين (١٧) من حديث طارق بن شهاب، وأخرج طرفاً منه =

قال قتادة: فكنا نتحدَّث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابِه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(١) الآية [المائدة: ٥٤].

قصة البطاح ومقتل مالك بن نُوَيْرة

لما فرغ خالد من أسد وغطفان ومَن وافقهم ورد البُطاح، فوجد مالك بن نُويرة قد فرَّقهم في أموالهم، ونهاهم عن الاجتماع، وقال: يا بني يربوع، قد دعانا أمراؤنا إلى دين محمد فخالفْناهم، فلم نُفلِح ولم نُنْجِح، وإني نظرتُ في أمر هؤلاء القوم، فوجدتُه يتأتَّى لهم بغير سياسة، فإياكم ومناوأةَ قوم صُنع لهم أمرُهم، فتفرَّقوا إلى دياركم، وادخلوا في هذا الدّين، فتفرَّق الناسُ على ذلك، وعاد مالك، فنزل موضعه

وقدم خالد البُطاح، فبثَّ السرايا، وكان خالد لا يُغير حتى يَقرب الصُّبحُ، فإن سمع أذاناً كف، وإلا أغار، فأتوه بمالك بن نويرة في نفر من قومه بني يَربوع، فسأل عنهم خالد هل أَذَّنوا؟ فقال أبو قتادة الأنصاري وكان معهم: نعم قد أَذَّنوا وسمعتُهم، وسكت البعض، فحبسهم خالد، وكانت ليلةً قَرَّة، لا يقوم لبردها شيء، فلما كان في بعض الليل نادى منادي خالد: أَدْفِئوا أَسراكم، وكان في لغة كنانة إذا قال الرجل: أَدفئوا الرجل فإنه يكون من الدِّفء، وفي لغة هُذَيل معناه القَتلُ(٢)، وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغوا منهم، فقال خالد: إذا أراد الله أمراً أصابه، فقال له أبو قتادة الأنصاري: هذا رأيُك وعملُك.

وقال عروة بن الزبير: لما فرغ خالد من يوم بُزاخة وانهزم طُليحة أعلن خالد أنه سائر إلى أرض بني تميم، فانخزلت عنه الأنصار وقالوا: ما عهد إلينا أبو بكر في ذلك، فقال خالد: بلى قد عهد إليّ، ولستُ بالذي أَستكرهكم، أنا أسير بمن معي من المهاجرين وقبائل العرب، فسار مَنْقَلَةً أو مَنقلَتين، فندمت الأنصار، وقال بعضهم

= البخاري (٧٢٢١)، وانظر فتح الباري ١٣/ ٢٢٠.

(١) انظر تفسير البغوي ٢/ ٤٥.

(٢) في تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٨: وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فأدفئوه، دفئه قتله، وفي لغة غيرهم: أدفِه فاقتله.

لبعض: والله لئن أصاب القومُ فتحاً إنه لخيرٌ حُرِمتُموه، ولئن أصاب نكبةً ليقال: خذلتموه وأسلمتموه، فبعثوا إلى خالد أن انتظِرْ حتى نأتيك، فتوقّف خالد حتى لحقوا به، ثم مضى فنزل البُطاح من أرض تميم، فبثَّ السرايا، ولم يَلْقَ بها جَمْعاً، فأصاب مالك بنَ نويرة وأصحابَه فقتلهم.

وقال الواقدي: لما أراد خالد قتلَ مالك قال له أبو قتادة: ناشدتُك الله لا تَقتلْه، فوالله لقد سمعتُهم يُؤذِّنون، ورأيتُهم يصلُّون، وإن الرجلَ مسلمٌ، ودمُه حرام، فلم يلتفت خالد إليه، وزبره، فغضب أبو قتادة، وقال: والله لا كنتُ في جيشٍ أنت فيه أبداً، ثم لحق بأبي بكر، فأخبره الخبر، وقال: لم يَقبل قولي وقبل قولَ الأعراب الذين قَصدُهم النَّهبُ والسَّبيُ، ولم يعد إليه[1]،

ويقال: إن أبا بكر أمره أن يرجع إلى جيش خالد، فما رجع، ويقال: إنه رجع حتى قدم مع خالد المدينة، وشهد عليه بما شهد، وقد ادَّعى خالد أن مالكاً راجعه بكلام فيه غلظ، لأن خالداً لما أراد قتلَه قال: إن صاحبَكم أمر أن لا يُقتل مسلم، وأنه لا يُغار على حيٍّ إذا سُمع منه الأذان، فقال له خالد: أي عدو الله، وما تَعدُّه لك صاحباً؟ فقتله، وقتل أصحابه، والذي قتل مالكاً ضرار بنُ الأزور.

وفي رواية: لما أراد خالد قتل مالك جاءت امرأتُه أمُّ تميم بنت المنهال، وكانت من أجمل النساء، فألقت نفسها عليه وقد كشفت وجهها، فقال: إليك عنّي، فقد قتلتيني، يشير إلى أن خالداً لما رآها أعجبَتْه، فقتله ليأخُذَها.

ورُوي عن بعض مَن حضر هذه السريّة قال: رُعنا القومَ تحت الليل، فرِيعت المرأةُ، فخرجت عريانة، فوالله لقد عرفنا حين رأيناها أنه سيُقتَل عنها صاحبُها.

ولما قُتل مالك تزوّج خالد امرأتَه، فكتب إليه أبو بكر ﷺ بالقُدوم عليه، ولما بلغ عمر بنَ الخطاب خبرُ خالد، وقتلُه مالكاً، وأخذُه لامرأته قال: أي عباد الله، قتل عدوُّ الله امرءاً مسلماً، ثم وثب على امرأته، والله لنرجُمنّه بالحجارة، فلما قدم خالد

(١) انظر كتاب الردة للواقدي ١٠٦.

المدينة دخل المسجدَ وعليه ثيابُه عليها صَدأُ الحديد، مُعتَجِراً بعمامةٍ قد غرز فيها ثلاثة أسهم فيها أَثَرُ الدّم، فوثب إليه عمر، فأخذ الأسهُم من رأسه فحطمها، وقال: يا عدو الله، عدوتَ على امرئ مسلم فقتلته، ثم نزوتَ على امرأته، والله لنَرجُمنّك بأحجارك، وخالد لا يَرجع عليه بلا ولاً نعم، وهو يظنُّ أن رأيَ أبي بكر فيه كرأي عمر، فدخل خالد على أبي بكر وعمر في المسجد، فذكر لأبي بكر عُذرَه ببعض الذي ذكر له، فتجاوز عنه، ورأى أنها الحرب وفيها ما فيها، فرضي عنه، فخرج خالد من عنده وعمر في المسجد، فقال له خالد: هَلمَّ يا ابن حَنْتَمَة[1] إليّ، يريد أن يُشاتِمَه، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه، فقام فدخل بيته.

وقال الواقدي: لما دخل خالد المسجد قام إليه عمر وقال: يا عدو الله فعلتَ وفعلت، وقال لأبي بكر: عليك أن تَعزلَه، وتَستقيدَ منه لمالك، فإن في سيفه رَهَقاً، أي: غِشياناً،

وكان خالد يظنُّ أن الذي قال له عمر عن أبي بكر، فأخذ يَحلف ويعتذر، وعمر يُحرّض أبا بكر عليه، ويقول له: أَقِد أولياءَ مالك منه، فقد قتله ونزا على امرأته، ودخل مسجد رسول الله ﷺ ومعه أَسهمٌ فيها دَم، وحضر مُتَمِّم أخو مالك، وطلب القَوَد من خالد، فقال له أبو بكر: هيه يا عمر، ارفع لسانك عنه، فما هو بأوَّل من أخطأ، فقال: أَقِد أولياءَ مالك منه، فقد وجب عليك ذلك، فقال أبو بكر: لا أَشِيم سيفاً سلّه الله على الكفار أبداً، وودى مالكاً، وأمر خالداً بطلاق امرأته بعد أن عَنَّفه على تزويجه إياها.

وقال أبو رياش: دخل خالد المدينة ومعه ليلى بنت سنان زوجة مالك، فقام عمر، فدخل على عليّ فقال: إن من حقِّ الله أن يُقاد من هذا لمالك، قتله وكان مُسلماً، ونزا على امرأته مثل ما ينزو الحمار، ثم قاما فدخلا على سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فتبايعوا على ذلك، ودخلوا على أبي بكر، وقالوا: لا بُدّ من ذلك، فقال أبو بكر: لا أَغمِدُ سيفاً سلّه الله تعالى.

---

(١) في (أ) و(خ): خيثمة، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٠: يا ابن أم شملة، ولعل المثبت هو الصواب، فإن حنتمة هي أم عمر بن الخطاب ﷺ.

حديث أبي شَجَرة الرُّهاوِيّ(١)

كان فيمن قاتل خالداً يوم البُطاح أبو شجرة بن عبد العزّى السُّلَمي، أحدُ بني الشَّريد، وقال من أبيات: [من الطويل]

سَلِ النّاسَ عنّا كلَّ يوم كَريهةٍ ... إذا ما التَقَيْنا دارعين وحُسَّرا
ألسنا نُعاطي المُهْرَ منّا لِجامَه ... ونَطعنُ في الهيجا إذا الرُّمحُ قَصّرا
فروَّيتُ رُمْحي من كتيبةِ خالدٍ ... وإني لأرجو بعدها أن أُعَمَّرا(٢)

فلما قام عمر جلس يوماً يَقسِم الصدقات، فجاء رجل راكبٌ على ناقةٍ، فنزل فأناخها، وجاء إليه فقال: يا أمير المؤمنين أعطني، فقال: مَن أنت؟ فقال: أنا أبو شجرة الرُّهاوي، فقال: يا عدوَّ الله، فروَّيتُ رمحي من كتيبة خالدٍ؟ ثم قام عمر وضربه بالدِّرَّة، فانهزم.

قصة اليَمامة ومقتل مُسيلمة

كان أبو بكر رضوان الله عليه قد بعث عكرمه بن أبي جهل إلى اليمامة نحو مُسيلمة، وأتبعه شُرحبيل بن حسنة، فعجل عكرمة، فبادر نحو مسيلمة ليذهبَ بصِيتها وصوتها، فواقع بني حَنْيفة، فنكبوه وقتلوا بعضَ أصحابه، وبلغ شُرَحبيل فتوقَّفَ، وكتب عكرمة إلى أبي بكر يُخبره ويَستمدُّه، فكتب إليه أبو بكر: يا ابن أمِّ عكرمة لا أَراك ولا تَراني، ثم صرفه إلى وجه آخر، وكتب إلى شُرحبيل بن حسنة: أقِمْ مكانَك حتى يأتيكَ خالد.

ثم كتب إلى خالد أن سِرْ إلى اليمامة، وبعث معه المهاجرين وعليهم أبو حُذيفة، والأنصار وعليهم ثابت بن قيس بن شَمّاس، والقبائل وعلى كل قبيلة رجلٌ، وسار حتى نزل اليمامة، فوجد شُرحبيل قد عَجِل، وفعل كما فعل عكرمة، فنُكب وقُتل جماعةٌ من

---

(١) كذا، وهو خطأ، فإن أبا شجرة الرهاوي رجل آخر غير هذا المذكور، واسمه يزيد بن شجرة، مختلف في صحبته، كان أمير الجيش في غزو الروم، استشهد سنة ثمان وخمسين، انظر سير أعلام النبلاء ٩/ ١٠٦، والإصابة ١٠/ ٣٥٢، وأما هذا فاسمه عمرو بن عبد العزى السلمي من ولد الخنساء الشاعرة، انظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٦٦، وكنى الشعراء لابن حبيب ٢/ ٢٨٤، وخزانة الأدب ١/ ٤٣٤، وجمهرة ابن حزم ٢٦١.

(٢) الأبيات في كتاب الردة للواقدي ٧٩-٨٠، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٦٦

أصحابه، فلامَه خالد على ذلك وعلى عجلتِه.

وكان مسيلمة نازلاً بمكان يُقال له عَقرباء في أربعين ألف مقاتل، فخرج مُجَّاعة بن مُرارة الحنفيّ في سريّة، وطلب ثأراً له في بني عامر، وكان قد غلبه الكَرى، فنزل هو وأصحابه فعَرَّسوا، وكانوا ثلاثة وعشرين فارساً، فمرَّت بهم خيل لخالد وهم نيام، فأخذوهم وأوثقوهم، وكانوا قد أخذوا خولة بنت جعفر العامريّة وهي معهم، فخَلَّصوها، وأتوا بهم خالداً فقال: ما تقولون؟ فقالوا: منّا نبيٌّ ومنكم نبيّ، فأمر خالد بقتلهم، فقال له ساريةُ بنُ عامر رجلٌ منهم: يا خالد إن كنتَ تُريد غداً بأهل اليمامة خيراً أو شراً فاستبْقِ مُجَّاعة ولا تَقتُلْه، فأوثقه بالحديد، وسلَّمه إلى زوجته أمِّ تميم، وقال: استوصي به خيراً.

وقيل: إنما نزل خالد بعقرباء، وهي ماء أو منزل في طريق اليمامة، ثم صفّ خالد عسكَرَه، وجعل على الميمنة زيد بنَ الخطاب، وعلى الميسرة أبا حُذيفة، وعلى المقدِّمة شُرَحبيل بن حسنة، وراية المسلمين مع سالم مولى أبي حذيفة، وصفَّ مسيلمة عسكَرَه، فجعل على ميمنته مُحَكَّم اليمامة وهو مُحَكَّم بن الطُّفيَل، وجعل على ميسرته الرَّجَّال بن عُنْفُوة الذي شهد لمُسيلمة أن النبي ﷺ أشركه في الأمر، وكان وزيرَ مسيلمة وصاحب أمره، وكان أبو بكر قد بعث الرَّجَّال إلى أهل اليمامة؛ وهو يظنُّ أنه على الصدق فخانه.

قال أبو هريرة: كنتُ جالساً إلى رسول الله ﷺ في رَهْطٍ، ومعنا الرجَّال بن عُنْفُوة، فقال رسول الله ﷺ: «إن فيكم لرجلاً ضرسُه في النار مثل أحد»[1]. فهلك القوم، وبقيتُ أنا والرَّجَّال، فكنتُ متخوِّفاً منها حتى خرج الرجَّال مع مسيلمة، فشهد له بالنبوَّة، فكانت فتنةُ الرَّجَّال أعظمَ من فتنة مسيلمة، ثم التقى الناس.

قال الواقدي: وكان زيد بن الخطاب حاملَ راية المسلمين، فانكشف المسلمون، وغلبت بنو حنيفة على الرجَّال، فجعل زيد يشد بالراية ويقول: أما الرجَّال فلا رجَّال، وجعل يصيح بأعلى صوته: اللهمَّ إنني أبرأُ إليك مما جاء به مسيلمة، وأعتذر إليك من

(١) أخرجه الطبري ٣/ ٢٨٧ و٢٨٩، والحميدي في مسنده (١١٧٧).

فِرار أصحابي، وجعل يعدو بالراية في نحر العدو، ويضرب بسيفه حتى وقع قتيلاً.

فأخذ الرايةَ سالم مولى أبي حُذيفة، فقال المسلمون لسالم مولى أبي حذيفة: رايةُ المسلمين بيدك، فانظر كيف تكون، فإنا نَخشى أن نُؤتى من قِبَلك، فقال: بئس حاملُ القرآن أنا إن أُتيتم من قبلي.

ثم حمل مسيلمة وأصحابُه، فلم يَثبت لهم المسلمون، وجالوا جولة، حتى دخل جماعةٌ من بني حَنيفة فُسطاط خالد، وكان مُجَّاعة أسيراً عند امرأته، فألقى عليها رداءه، وقال: أنا جارٌ لها، فنِعمت الجِيرةُ[1] هي، فخَلّوا عنها، وانكشف المسلمون، فنادى ثابت بن قيس بن شَمّاس وبيده راية الأنصار: يا معاشر المسلمين، بئس ما عَوَّدتُم أقرانكم الفِرار، ثم قال: اللهمَّ إني أبرأُ إليك مما جاء به هؤلاء، يعني الكفار، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، ثم قاتل حتى قُتل.

وكان مُحَكَّم اليمامة في أوائل الخيل يقول: اليوم تُسْتَحقَبُ الكرائم غيرَ رَضِيَّات، ويُنكحْنَ غير خَطيبات، فجاءه سهمٌ فقتله، قتله عبد الرحمن بن أبي بكر، وقيل: قتله زيد بنُ الخطاب.

وكان البراء بن مالك إذا حضر الحربَ أخذته الرِّعْدة حتى يَقعدَ عليه الرِّجال، ثم يبول في سراويله، ثم يثور كما يثور الأسد، فلما كان يوم اليمامة أصابه ذلك، فلما سُرِّي عنه صاح: يا معاشر المسلمين، إليّ إليّ فأنا البراء بن مالك، ففاءت إليه طائفة، وكان مسيلمة قد دخل حديقة، وقال له مُحَكّم اليمامة قبل أن يُقتل: يا معاشر بني حَنيفة، ادخلوا الحديقة وأنا أحمي أدبارَكم، فدخلوا.

فلما قُتل مُحَكّم اليمامة جاء البراء بن مالك فدخل الحديقة ومعه المسلمون، فقتل من بني حنيفة عشرة، فلما رأت ذلك بنو حنيفة قالت لمسيلمة: أين ما كنتَ تَعِدُ؟ ويقول: قاتلوا اليوم عن الأحساب. وتسمى حديقة الموت[2]، وكان بنو حنيفة أغلقوا بابها، فقال البراء بن مالك: ألقوني على الجدار، فألقوه، فاقتحمها، وكسر الباب فألقاه، وحمل وَحشيّ وسماك بن خرشة أبو دُجانة الأنصاري على مسيلمة،

(١) في تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٨: فنعمت الحرة هي.

(٢) كذا في (أ) و(خ)، وليس في (ك)، وهذا نص مضطرب، وانظر تاريخ الطبري.

فضربه الأنصاري على رأسه بالسيف، وزَرقه وحشيّ بحربته فقُتل، وكان عبد الله بن عمر حاضراً قال: فسمعتُ امرأةً تَصرخ على ظهر جدار تقول: وانَبِيّاه، قتله العبد الأسود، وكان وحشيّ يقول: وربُّك أعلمُ أيّنا قتلَه. ومرّ رجلٌ من بني حنيفة فرآه مقتولاً، فقال: أشهد أنك نبيٌّ، ولكنْ نبيٌّ شَقيّ، ثم قال: [من مجزوء الكامل]

لهفي عليك أبا ثُمامَهْ لهفي على رُكْنَيْ شمامَهْ
كم آيةٍ لك فيهم كالشمس تَطلعُ في غَمامَهْ[1]

وكان مسيلمة قد خَفي عليهم في القَتلى فلم يَعرفوه، فأرسل خالد، فجيء بمُجَّاعة يَرسُف في قُيوده، فأخذ مُجَّاعة يَكشف عن القتلى، فمر بمُحَكّم اليمامة، وكان رجلاً جَسيماً وَسيماً، فقال خالد: هذا صاحبُكم؟ قال مُجّاعة: لا والله، هذا خيرٌ منه وأكرم، هذا مُحكّم اليمامة، ثم مر بالرَّجّال، فقال: هذا الرَّجّال، حتى مر برجل أُصَيفر أُخَيْنِس، فقال مُجّاعة: هذا مسيلمة، فقال خالد: هذا الذي فعل بكم الأفاعيل؟ فقال مُجّاعة: يا خالد قد كان ذلك، وإنه والله ما جاءكم إلا سَرَعَان الناس، وإن جَماهيرهم لفي الحصون، فقالها لرجل قد نهكته الحرب وأصيب معه أشراف الناس، فقال: ويحك ما تقول؟ فقال: والله إنه الحق، فهَلمَّ لأُصالحك على قومي، فدعني أذهب إليهم، وأشير عليهم بالصُّلح، فقال: اذهب على عهد الله، فذهب، فدخل الحصون، وأمرَ النساء بلُبسِ السِّلاح، وكَثّر السَّواد، فأشرفوا من الحصون، فظنّهم خالد رجالاً، فصالحه على الرّبع من السّبي والحمراء والصَّفراء والحَلْقة، وكان عامَّةُ القراء قد قُتلوا، فصالح خوفاً على الباقين، ثم قيل لخالد بعد ذلك: خدعك مُجَّاعة، فقال: يا مُجَّاعة خَدعتَني؟ فقال: قومي هم، أفنيتَهم فلا تَلُمْني.

وقال سيف: كان خالد بن الوليد قد سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن لمُسيلمة شيطاناً [لا يعصيه]، فإذا اعتراه شيطانُه أَزْبَدَ، فلا يَهُمُّ بخيرٍ إلا صرفَه عنه أو عدلَه عنه، فإذا رأيتم منه غِرَّة فلا تُقِيلوه العَثْرة»[2] فلما كان يومُ اليمامة جعل خالد يدنو منه يطلب غِرَّتَه، فرآه ثابتاً ورَحاهم تدورُ عليه، وعلم أنها لا تزولُ إلا بزواله، فنادى خالد مسيلمة

(١) المعارف ٤٠٥، والبدء والتاريخ ٥/ ١٦٣.
(٢) أخرجه الطبري ٣/ ٢٩٣، وانظر البداية والنهاية ٩/ ٤٦٩.

فأجابه، فعرض عليه أشياء مما يشتهي مسيلمة، وقال له خالد: إن قَبِلنا النّصف فأيَّ الأنصاف تُعطينا؟ فكان إذا هَمَّ بجوابه أعرض بوجهه مُستشيراً، فينهاه شيطانُه أن يَفعل، فأعرض عنه بوجهه مرَّةً من تلك المِرار، فركبه خالد فأَرهقه فأدبر.

وقُتل من أهل اليمامة في ذلك اليوم عشرون ألفاً، ومن المسلمين ألف ومئتان، منهم سبعون من القراء أعيان، وقيل: مئة، فبينا هم كذلك إذ جاءهم كتابُ أبي بكر إلى خالد يقول فيه: إن افتتحتَ اليمامة عَنوة فلا تَدعَنَّ بها غلاماً أَنبتَ من بني حنيفة إلا ضربتَ عُنُقه، فلما قدم الرسول بالكتاب وجده قد صالح، فامتنع خالد وقال: أَبعد الصُّلح؟.

ولما فرغ خالد من أمر بني حَنيفة خطب إلى مُجَّاعة ابنته، فقال له: أتتزوَّجُ النّساء وحولك من المسلمين ألف ومئتا دم؟! إن القاطِعَ لظهرك عند صاحبك إنما هو تزويجُ النّساء، فألحَّ عليه فزوَّجه إياها، وبلغ أبا بكر، فكتب إليه: إنك لفارغُ القلب، تتزوَّجُ النّساء وحولك ألف ومئتا دمٍ من المسلمين لم تَجفَّ بعد، فإذا جاءك كتابي هذا فالْحَقْ بمَن معك من جموع الشام إلى العراق، فلما قرأ خالد كتابَه قال: هذه من عَمل الأُعَيْسِر، يعني عمر بن الخطاب.

قال ابن إسحاق: وكان سببُ تجهيز خالد إلى العراق [أن] أبا بكر ما زال يبعث الأُمراءَ إلى الشام والقبائل؛ حتى ظن أنهم قد اكتَفوا، وأنهم لا يريدون أن يزدادوا رجلاً، فكانوا يُغيرون على أطراف الشام.

وكان المثنَّى بنُ حارثة الشَّيبانيّ يُغير على أهل فارس بالسَّواد، وكان بعد وفاة رسول الله ﷺ قد قدم على أبي بكر، فأسلم في رَهْطٍ من قومه، وحَسُنَ إسلامه، وتفقَّه، ثم استأذن أبا بكر فقال: إنا أناس قد نزلنا بين أرض العرب والعجم من أبناء فارس، وقد قاتلناهم فأَظْهَرَنا الله عليهم، ولي عشيرةٌ أولو بأسٍ وعَدد، فاجعلْ لهم أشياءَ أستميلُهم بها إذا رجعتُ إليهم، فإنه مَنظورٌ إليَّ وإلى ما أرجع به، قال: وما الذي تريد؟ قال: أن تَعقِدَ لي على قومي ومَن اتَّبعني، وأن تَجعلَ لنا ما أَصَبْنا من الغنائم من أهل فارس، فقال أبو بكر رضي الله عنه: فذلك لك ولمن اتَّبعك من المسلمين، وتُقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ثم أذن له فخرج حتى نزل مياه بني بكر بن وائل، فأخبرهم بإسلامه وما

جعل لهم أبو بكر، ودعاهم إلى الإسلام، فأجابه فِئامٌ من الناس.

فكان يُغير على السَّواد وما والاه، فيما بين الطَّفِّ إلى قَنطرة النهرين، حتى أحجزهم في الجَواسق والحصون، فأخذ أموالاً كثيرة، وسبى سَبْيا عظيماً، وقتل الأساورة والأكاسرة، وألحق أهلَ المسالح بالحيرة، وخَلُّوا له المناظر.

فأقام المثنّى بعد فراق أبي بكر حولاً على ذلك، ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يَطلب منه أن يُمِدَّه، فإن في ذلك إعزازَ الإسلام وذلَّ الكفّار، فإن العجم قد خافتنا، وجاءت كتُبهم تَطلب الصُّلح، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله، ابعث إليهم خالد بن الوليد، فيطأ العراق مع المثنى، ويكون قريباً منا، فإن احتاج إليه أهلُ الشام كان قريباً منهم، وإن ألحَّ على العراق حتى يَفتحه كان زيادةَ خيرٍ، فقال أبو بكر لعمر: قد أَصبتَ ووُفِّقتَ وأحسنتَ الرَّأي، فكتب إلى خالد وهو باليمامة أن سِرْ إلى العراق بمَن معك من المهاجرين والأنصار والقبائل، والكتاب:

من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ، إلى خالد بن الوليد ومَن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، سلامٌ عليكم، أما بعد، فإني أَحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فالحمد لله الذي أنجز وَعدَه، ونصر دينَه وأعزَّه، وأذلَّ عَدوَّه، وغلب الأحزاب، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥] وعداً منه لا خُلْفَ فيه، ومقالةً لا ريبَ فيها. وقال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فاستتموا موعود الله إياكم، وأطيعوه فيما فُرض عليكم، [وارغبوا في الجهاد] وإن عَظُمت فيه المؤونة، واشتدت الرَّزِيّة، وبَعُدت الشُّقَّة، فإن ثوابَ الله أعظم، ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ الآية [التوبة: ٤١]. وقد أَمرتُ خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق، فلا يَبرحْها حتى يأتيه أمري، فسِيروا معه، ولا تتثاقلوا عنه، فإنه سَبيلٌ يُعظم الله فيه الأجرَ لمَن حَسُنت فيه نيَّتُه، وعَظُمت في الخير رغبتُه، كفانا الله وإيّاكم مُهمّات الدنيا والآخرة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(١).

---

(١) كتاب الردة ٢١٨-٢١٩ وما بين معكوفين منه.

وبعث بالكتاب مع أبي سعيد الخدري وقال له: لا تُفارقْه حتى تُشخِصه منها، وقل له فيما بينك وبينه: اقْدم العراق، فإن بها رجالاً من المسلمين من ربيعة، وهم أهلُ بأسٍ وعَددٍ وشَرفٍ، فإذا أنت قَدِمتَ فصُلْ بهم على عدوِّك مع مَن معك، وأقم هناك حتى يأتيك مددي إن شاء الله عاجلاً، وإن أنا حَوَّلتُك عنها كنتَ الأمير على الناس أينما كنتَ، ليس عليك دوني أمير، فلما قرأ الكتاب قال: هذا رأي ابن حنتمة، وإني قد صاهرتُ هذا الحيَّ، وأُمِّرت عليهم، فظنَّ أن المقام يُعجبني بين أظهُرهم، فأشار على أبي بكر أن يُحوِّلَني من مكاني، لقد أعجب ابن الخطاب بخلافي، فلما ذكر له أبو سعيد الكلام الذي قاله أبو بكر طابت نفسُه، وحمد الله وأثنى عليه، وقرأ عليهم كتاب أبي بكر، وقال: إني سائر إن شاء الله، فمَن أراد الخير العاجل والثواب الآجل فلينكمِشْ.

قصة البحرين وجُواثا

وهو حِصنُ البحرين، قال ابن الكلبي: كان رسول الله ﷺ قد بعث العلاء بنَ الحَضْرَميّ إلى البحرين إلى المنذر بن ساوى، فأسلم، ومات المنذر فأوصى بثُلث ماله، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدَّت ربيعةُ بالبحرين إلا الجارود بن المُعَلَّى فإنه ثبت على إسلامه.

قال ابن إسحاق: ولما بلغ أهلَ البحرين أن أبا بكر بعث العلاء بنَ الحَضْرميّ إليهم اجتمعوا وقالوا: نَردُّ الملك إلى بني المنذر، وفيهم رجلٌ منهم يُقال له: المنذر بنُ النعمان بن المنذر، يُكنى أبا جوعب، ويُلقَّب بالغَرور، فأتوه لذلك فأبى عليهم، فلم يزالوا به حتى قَبل منهم ذلك، فرأسوه عليهم، وخرجت سَرِيَّةُ المسلمين، فأصابوا رِعاء لبني قيس بن ثعلبة، فاستاقوا الإبلَ والرِّعاء فأَحرزوها، وكانت الإبل للحُطَم، واسمُه شُريح بن عمرو بن شرحبيل من قيس، والحُطَم لقبٌ له[1]، فجمع جمعاً من بني قيس ابن ثعلبة، واستمدَّ الحُرَّ بن جابر العجليّ فأمدَّه.

---

(١) كذا، والذي في تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٤، والأغاني ١٥/ ٢٥٤، وفتوح البلدان ٩٤: شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرثد، وفي كتاب الردة ١٤٩: أبو ضبيعة الحطم بن زيد، وفي أخبار مكة للفاكهي ٢/ ٢٥٨: الحَطَم ابن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن بكر بن وائل، واسمه شريح.

وقال الهيثم: لمّا بعث أبو بكر رضي الله عنه العلاء بنَ الحَضرمي إلى البحرين، فلما وصل إلى اليمامة لحق به ثُمامة بن أثال الحَنَفيّ ومَن أسلم من بني حنيفة، فسلك على الدَّهْنَاء، وانضمّ إليه من سَعد الرّباب مثلُ عَسكرِه، فلما جاء الليل نزل العلاء ونزل الناس، فلما كان نصفُ الليل نَفرت الإبلُ نَفْرَةً لم يبق منها بعيرٌ إلا شَردَ، وعليها أزوِدَتُهم، فاغتمَّ الناس، وقالوا: إن طَلَعت علينا الشمسُ غداً صرنا كأمسِ الذَّاهبِ، فقال العلاء: يا قوم، ألستمُ في سبيل الله؟ ألستم أنصارَ الله؟ قالوا: بلى، قال: فأبشروا، فإن الله لا يَخذل مَن كان على ما أنتم عليه.

فلما طلع الفجر صلّى بهم، ودعا، وتضرَّعَ إلى الله تعالى، فلما طلع الصبح إذا بسَرابٍ يَلمع، فتأمَّلوه وإذا به ماء، فكبَّروا وشربوا منه، فما تَعالى النهارُ إلا والإبلُ قد جاءت تَطرُدُ من كلِّ وَجْهٍ، فأناخت إليهم، فقام كلُّ واحدٍ إلى بَعيره فما فَقدوا عِقالاً، وكان في الرَّكْبِ أبو هريرة، فقال لمِنْجاب بن راشد وكان ماهراً: كيف عِلمُك بهذا المكان؟ فقال: والله ما أَعرف به ماءً قبل اليوم.

وسار العلاء حتى نزل هَجَر، وأرسل إلى الجارود، وكان قد اعتزل القومَ أن يأتيَه في عبْدِ القيس ليُنازلوا الحُطَم، وكان المرتدُّون قد اجتمعوا إليه، وخَندق الفريقان، فكانوا يَقتتلون ثم يَرجعون إلى خنادقهم، فأقاموا على ذلك شهراً، فبينا المسلمون ذات ليلة يَتحسَّسون الأخبار إذ سمعوا في عسكر المرتدّين ضَوضاءَ شديدة، فقال العلاء: مَن يأتينا بخبرهم؟ فقال عبد الله بن حَذَف[1]: أنا، وكانت أمُّه عِجْلِيَّة، فخرج حتى أتى الخندق فأخذوه، وقالوا: مَن أنت؟ فانتسب لهم، ونادى: يا أبجراه، فجاء أبجر بن بُجَير فعَرَفه، فقال: دعوا ابنَ أختي، ثم حمله إلى رحله، فوجد القومَ سُكارى وهم يَهذُون، فخرج من وقته إلى العلاء فأخبره، فركب العلاء والمسلمون، واقتحموا خنادقَهم، ووضعوا السيوفَ فيهم، فأصبحوا بين قتيلٍ وجريحٍ وأسير. وقام الحُطَم إلى فرسه ليَركبه، فلما وَضع رجلَه في الرِّكاب انقطع، فمرَّ به [عفيف] بن منذر التَّميميّ، فضرب رجلَه فأَطَنّها من الفَخذِ، ومرَّ به قيس بنُ عاصم فقتله، وأَسَرَ عفيفُ بنُ المنذر الغَرور بن [سويد، ابن أخي] النعمان[2]، وجاء به إلى العلاء، وكان الحَوفَزان

(١) في (أ) و(خ): خندف، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٨، والأغاني ١٥/ ٢٥٩.

(٢) في (أ) و(خ): المعرور بن النعمان، والمثبت من تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٩، والأغاني ١٥/ ٢٦٠.

الشّيباني قد أَنْجَد الحُطَم، ثم تخلَّى عنه، ثم نازل العلاء حصنَ جُواثا مدّةً فماتوا جوعاً، وقَصد جماعةٌ من الكفار دَارِين، فركبوا إليها في السُّفُن، فتحصَّنوا بها.

وقال سيف بن عمر: خرج الحُطَم بمَن اتَّبعه على الردة من بكر بن وائل، فنزل القَطيف وهَجَر، وانضمَّ إليه مَن كان بها من الزُّطّ والسَّبابجة، وبعث بعثاً إلى دارِين، وأرسل إلى الغَرور أن سِرْ إلى جُواثا واثبُت، فإن ظفرتُ مَلَّكتُك البحرين؛ كما كان النعمان ملك الحيرة.

وقال سيف: مات المنذر بن ساوى بعد وفاة رسول الله ﷺ بقليل، وارتدَّ بعد موته أهلُ البحرين، فأمّا عبد القيس ففاءت بعد رِدّتها، وأما بكر فأقامت على رِدّتها، وكان الجارود بن المُعَلّى قد قَدم على رسول الله ﷺ المدينة فأسلم، وأقام عنده حتى تَفقَّه، ثم عاد إلى عبد القيس، فلما مات رسول الله ﷺ، قالت عبد القيس: لو كان نبياً ما مات، فقام الجارود فيهم خطيباً، وقال: يا قوم هل تعلمون أنه كان لله أنبياءُ فيما مضى؟ قالوا: نعم، قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا، فقال: إن محمداً مات كما ماتوا، وإني أشهد أنه رسول الله، فقالوا: ونحن أيضاً نشهد كذلك، وأنت سيِّدُنا وأفضَلُنا.

قصة دارِين

وهي في البحر، بينها وبين الساحل يومٌ وليلة، يُركب إليها في خليج في البحر، ولمّا انهزم طائفةٌ من المشركين إليها جاء العلاء إلى الخليج وقد أخذوا السُّفُنَ إليهم، فصلى ودعا، وسأل الله تعالى، ونزل فخاضه والمسلمون معه، فكأنما يَمشون على الرَّمْل، فحاصروها، وفتحوها، فقَتلوا المقاتِلة، وسبوا الذرية، وأخذوا الأموال والغنائم، فبلغ سَهمُ الفارس ستّه آلاف، والرّاجل ألفين، ولما فتحها العلاء قال للناس: مَن أحبَّ أن يُقيم فليُقِمْ، ومَن أحبّ أن يَرجع إلى أهله فليرجع، فرجع البعض، وأقام البعض، وكان فيمن رجع ثُمامة بنُ أثال الحَنفيّ، وكان قد نَفَّلَه العلاء خَميصةَ الحُطَم، وكانت ذات أعلام، وكان الحُطَم يُباهي بها، فنزل ثُمامة على ماء لبني قيس بن ثعلبة وعليه خَميصةُ الحُطَم، فقالوا له: هذه خَميصةُ الحُطَم، وأنت قَتَلْتَه، فعَدَوْا عليه، فقتلوه بالحُطَم.

قصة هَجَر

ثم سار العلاء إلى هَجَر فافتَتحها صُلْحاً، وكان بها راهب فأسلم طوعاً، فقيل له: ما سببُ إسلامك؟ فقال: دُعاءٌ سمعتُه في السَّحَر على عَسكرهم: اللهمَّ أنت الرحمن الرحيم، الدّائمُ غير الغافل، والحيُّ الذي لا يموت، وأنت بكل شيء عليم، ورأيتُ فيضاً في الرمال، وتمهيد أَثْباج البحار حين عَبروا[1] في الخليج إلى دارين، فعلمتُ أن القومَ لم يُعانوا إلا وهم على الحق، وكان أهلُ هجر مجوساً، فأسلم البعض، وضرب العلاءُ الجِزيةَ على البعض.

قصّة عُمان ومَهْرَة

نبغ بعُمان رجل يقال له لَقيط بنُ مالك الأزدي، ويُكنى ذا الوشاح[2]، وكان يُسامي الجُلَنْدى في الجاهلية، فادَّعى النُّبوةَ مثلَ مُسيلمة، وغلب على عُمان، فارتدَّ معه أهلُها، وكان بها جَيْفر وعَبْد ابنا الجُلَنْدى، فقاتلهما، فألجأهما إلى الجبال والبحار، فبعث أبو بكر حُذيفة بن مِحصن الحِميريّ إلى عُمان، وعَرْفَجة البارقيّ إلى مَهْرَة، وأمرهما أن يُجِدّا السيرَ، فإذا قَرُبا من عُمان كاتَبا جيفراً وعبداً، وعملا برأيهما، فمضيا لما أمرهما له.

وكان أبو بكر قد سَخِط على عكرمة لما سار إلى قتال مسيلمة ولم يتربّص، فكتب أبو بكر إلى عكرمة يأمره بالمسير إلى عُمان، ويكون عوناً لحُذيفة وعَرفجة، ويقول: لا أراكَ حتى تَفعل ذلك، فسار عكرمة بمَن معه على أَثَرهما حتى أدركَهما، فراسلوا جَيْفراً وعبداً.

وبلغ لقيط، فجمع جُموعه، وعسكر بدَبا، وخرج جَيْفر وعَبْد إلى صُحَار فعسكرا بها، وجاء حُذيفة وعَرْفجة وعكرمة إلى جَيْفَر وعَبْد فنزلوا جميعاً، وكاتبوا مَن كان مع لقيط، وأرغبوهم وخوَّفوهم، فنَفروا عنه، وساروا إلى لقيط، فالتقوا على دَبا، فجعل

---

(١) في (أ) و(خ): ورأيت تمهد ابتداح الرمل حين عبروا؟! والمثبت من تاريخ الطبري ٣/ ٣١٢، والأغاني ١٥/ ٢٦٢، والمنتظم ٤/ ٨٤.

(٢) كذا، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٣١٤، وفتوح البلدان ٨٧، والخراج وصناعة الكتابة لقدامة ٢٧٦، والكامل ٢/ ٣٧٢، والبداية والنهاية ٩/ ٤٨٠: ذو التاج.

لقيط العِيالات[١] وراء الصّفوف ليَحفظوا حَريمَهم، ثم اقتتلوا قتالاً شديداً، ورأى المسلمون الخَلَل، فبينا هم كذلك إذ قدم الخِرِّيت[٢] بنُ راشد في عبد القيس وبني ناجية نجدةً للمسلمين، فحملوا على الكفار فانهزموا، وتبعهم المسلمون، فقتلوا منهم عشرةَ آلاف، وسَبَوا الذَّراري، وقسموا الغنائم، وبعثوا إلى أبي بكر رضي الله عنه بالخُمس.

وأقام حُذيفة بعُمان، وتَوجَّه عكرمة إلى مَهْرة بوصيَّةٍ من أبي بكر، وقد اجتمع بها وبالنَّجد[٣] خلقٌ من المرتدّين، فخرجوا إلى عكرمة، فقاتلوه، فنُصر عليهم، فقتل وسبى، وازداد قوّةً بالظَّهر والمتاع، وبعث إلى أبي بكر بالخُمس.

قصة أهل اليمن

ذكر الواقديّ أن النبي ﷺ كان ولّى على صنعاء المهاجر بنَ أبي أميّة، وعلى حضرموت زياد بنَ لبيد، فتُوفّي وهما على حالهما، فانتقضت كندة على زياد إلا طائفة يسيرة، فقيل له: إن بني عمرو بن معاوية قد جَمعوا لك، فأدركهم قبل أن يَستفحل أمرُهم، فسار إليهم بَغتةً فهزمهم، وحاز غنائمهم، فتعرّض له الأَشْعثُ بن قيس الكِندي[٤] في قومه، فأُصيب أناسٌ من المسلمين، واستظهر عليهم الأشعث، فانحاز زياد بمَن معه، وكتب إلى أبي بكر رضوان الله عليه يُخبره، فكتب أبو بكر إلى المهاجر وهو بصَنعاء أن يُمدّ زياداً، فسار إليه، وقصد الأشعث، فالتَقَوا، وكانت الدَّبَرة على الأشعث ومَن ارتدّ معه، فقتلوهم وسَبَوهم، وجاء عكرمة وقد فرغوا منهم فأشركوه معهم في الغنائم، وتحصَّن الأشعث وملوكُ كِندة في حصن النُّجَير، فحاصروهم مدة، فأرسل إليهم الأشعث يقول: أفتحُ لكم باب الحصن على أن تُؤمِّنوا لي عشرةً من كِندة؟ قالوا: نعم، ففتح لهم الباب فدخلوا، فقتلوا كلَّ مَن فيه، وقد عَزل عشرة أنفس، وهو يرى أنهم لا يحسبونه في العشرة، فقالوا له: إنا قاتلوك، قال: ولم؟ قالوا: لأنك لست

(١) في (أ) و(خ): الغيلان، والمثبت من تاريخ الطبري ٣/ ٣١٥.

(٢) في (أ) و(خ): الحارث، وهو خطأ، والمثبت من الطبري، والكامل ٢/ ٣٧٤.

(٣) في (أ) و(خ): وبالمحدم؟! والمثبت من الطبري ٣/ ٣١٦-٣١٧.

(٤) في (أ) و(خ): المدني، وهو خطأ، انظر جمهرة ابن حزم ٤٢٥، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣٨.

من العشرة، فقال: ويحكم، أتظنّون أني أصالح عن غيري[1] وأخرج بغير أمان؟! فقالوا: نردُّ أمركَ إلى خليفة رسول الله ﷺ، فقال: رضيتُ، فأرسلوا به إليه.

فصل [مسيلمة بن] ثُمامةُ بن حبيب[2]

وهو مسيلمة الكذّاب، وكُنيتُه أبو ثُمامة، وقيل: أبو هارون، وسمَّى نفسَه رحمانَ اليمامة، وكان قد ادَّعى النبوَّةَ قديماً، ولما نزل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ [الاسراء: ١١٠] قالت قريش: ما نَعرفُ رحمانَ إلا رحمان اليَمامة[3]، فلما هاجر رسولُ الله إلى المدينة وفد عليه مسيلمةُ في وفد بني حنيفة وقد ذكرناها فلما عاد إلى قومه ادَّعى النبوَّة، وخاف ألا يَتمَّ له مُرادُه فقال: قد أُشْرِكْتُ مع محمد، وشهد له الرجَّالُ، وكان مُشَعْبِذاً.

وهو أوَّلُ مَن أدخل البيضةَ في القارورة، وكان يَسجع لهم سَجْعاً يُضاهي به القُرآن في زعمه، فمن ذلك:

والليلِ الأَسْحَمِ[4]، والذّئب الأَدْلَم، والجَذَع الأَزْلَم، ما انتهكت بنو حنيفة من مَحْرَم.

والليل الدّامس، والذئب الهامس، ما قطعت حنيفةُ[5] من رطبٍ ويابس.

سبِّح اسم ربك الأعلى، الذي يَسّر على الحُبلى، فأخرج منها نَسمة تَسعى، من بين شَراسيف وحَشا.

والشاة وألوانِها، وأصوافها وألبانها، والسماء وعنانها.

والزّارعات زَرْعا، والحاصدات حَصْدا، والذَاريات ذَرْوا، والطّاحنات طحناً، والعاجناتِ عَجْناً، فالخابزاتِ خَبْزاً، فاللاقماتِ لَقْما. يُعارض بها ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١﴾ [العاديات: ١].

---

(١) في (أ) و(خ): نفسي، والمثبت من المنتظم ٤/ ٨٧، وكتاب الردة ٢١٠.

(٢) ما بين معكوفين من جمهرة أنساب العرب ٣١٠، وهذه الفصول إلى ذكر فاطمة عليها السلام انفردت بذكرها نسخة (ك)، وقد سلف ذكر ردة مسيلمة أخزاه الله.

(٣) انظر تفسير الطبري ١٥/ ١٢٤.

(٤) في تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٣، والمنتظم ٤/ ٢١: الأطحم، وهما بمعنى.

(٥) في الطبري والمنتظم: أسيّد، بدل حنيفة في الموضعين.

ومنه: يا ضفدع يا ضفدع كم تُنَقّين، أعلاك في الماء وأسفلُك في الطّين، لا الشاربَ تَمنعين، ولا الماء تُكَدِّرين.

ووضع عن بني حنيفة التكاليف من الصلوات والصيام والزكاة وغير ذلك(١).

حديث سجاح بنت الحارث بن سويد

من غطفان، وقيل: من بني يربوع(٢)، وتُكنى أمّ صادر، ادَّعت النبوَّة.

قال الواقدي(٣): وكانت كاهنةً، ومن أسجاعها: أَعِدُّوا الرِّكاب، واستعِدُّوا للنِّهاب، لتُغيروا على الرِّباب، فليس دونهم حجاب(٤)، ثم إنها سارت إلى مسيلمة، وكانت قبل مسيرها إليه قد عزمت على حرب أبي بكرٍ، فجمعت جمعاً من تغلبَ، واستنجدت مالك بن نويرة فمنعها من ذلك.

وبلغ مسيلمة خبرُها، فأرسل إليها وطلب مُوادعتَها، فعزمت على قصدِه، وقالت لقومها: سيروا، فقالوا: إلى أين؟ فقالت: رِفُّوا رَفيف النَّعامة(٥)، فإنها غزوةٌ صَرَّامة، لا تلحقكم بعدها ملامة، فتجهَّزوا لقتال بني حنيفة.

ولما بلغ مسيلمة قصدُها إياه خاف إن اشتغل بقتالها أن تَظهر عليه جُيوشُ أبي بكر، وكان أبو بكر قد جهَّز إلى مسيلمةَ شُرحبيل بن حسنة، فأهدى إليها مسيلمةُ، وطلب منها الأمان فأَمَّنتُه، فأتاها في أربعين من بني حنيفة، وكانت راسخةً في نصرانية بني تغلب، فلما نزل عليها سجع لها وزخرف عبارته فأعجبَها وكان مما قال: يا معاشر النساء، إنكنَّ خُلقتُنَّ لنا أزواجا، وجُعلتنَّ أَفراجا، لنُولج فيكنَّ إيلاجا، ثم نُخرجه

---

(١) انظر في مسيلمة تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٣ ـ ٢٨٥، والمعارف ٤٠٥، والبدء والتاريخ ٥/ ١٦٠ ـ ١٦١، والمنتظم ٤/ ٢٠ـ٢٢.

(٢) كذا ذكر، والذي في الطبري ٣/ ٢٦٩، والمنتظم ٤/ ٢٢ أنها سجاح بنت الحارث بن سويد بن عُقفان، التميمية من بني يربوع، وانظر المعارف ٤٠٥، وجمهرة ابن حزم ٢٢٦، والبدء والتاريخ ٥/ ١٦٤، والأغاني ٢١/ ٣٣ فما بعدها، وكتاب الردة ١١١، ومروج الذهب ٤/ ١٨٨، والتنبيه والإشراف ٢٦٤.

(٣) انظر فتوح البلدان ١٠٨.

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٢٧٠، والمنتظم ٤/ ٢٢.

(٥) في الطبري ٣/ ٢٧٢: دفوا دفيف الحمامة.

منكنّ إخراجا، وقال لغُلامه: غَبِّر لها، أي: دَخّن، وقيل: ضرب لها قُبَّةً وقال لغُلامه: جَمِّر، أي: بَخِّر لعلها تَحِنُّ إلى الباه. ففعل، فقالت: مَن جاءك بهذا القرآن؟ قال: جبريل، فقالت: صدق الله وجبريلُ، ثم قال لها: هل لك أن أتزوّجك فيقال: نبيٌّ تزوَّج نبيّةً، فنأكل بقومي وقومك العرب؟ ولي نصفُ الأرض، وكان لقريشٍ نصفُها، وقد وهبتُه لك. فقالت: نعم، فتزوَّجها ثم سجع لها فقال: [من الهزج]

[ألا] قومي إلى المَخْدَع ... فقد هُيِّئ لك المَضْجَع
وإن شئتِ سَلَقْناك[1] ... وإن شئتِ على أربع
وإن شئتِ بثُلثيه ... وإن شئتِ به أجمع

فقالت: لا، بل به أجمع، فإنه للشَّملِ أَجمع، فقال مسيلمة: بذلك نزل عليَّ جبريل. فضربت العربُ بها المثل فقالت: أَغلمُ من سَجاح[2].

وقال قيس بن عاصم المِنقري، وقيل إنَّه لعُطارد بن حاجب بن زراة التميمي: [من البسيط]

أَضحتْ نبيَّتُنا أُنثى نُطيف بها ... وأصبحت أنبياءُ الناس ذُكرانا[3]

ثم أقامت عنده ثلاثاً، وخرجت إلى قومها فقالوا: ما وراءك؟ فقالت: أشهد أنه نبيّ حق، وأخبرتهم أنها تزوّجته، فقالوا: مثلُك لا يتزوَّج على غير مَهْر، فارجعي إليه فاطلبي المهر، فرجعت إليه فقال: قولي لهم: قد وَضعتُ عنكم صلاةَ الفجر والعشاء الآخرة، وأبحتُهم الزنا والخمر، فقالوا: رضينا وانصرفوا.

وقال لها مسيلمة: مَن مُؤذِّنُك؟ فقالت: شَبَث بن رِبْعي الرِّياحي، فقال: مُريه ينادي: إن رسول الله مسيلمة قد وَضع عنكم ما أتاكم به محمد من الصلوات، وأباحكم

---

(١) في (ك): فملقاة، والمثبت من المصادر.

(٢) الأبيات في كتاب الردة ١١٢، والطبري ٣/ ٢٧٣، والأغاني ٢١/ ٣٤، والدرة الفاخرة ١/ ٣٢٥، والبدء والتاريخ ٥/ ١٦٤-١٦٥، والمنتظم ٤/ ٢٣.

(٣) البيت في المعارف ٤٠٥، والطبري ٣/ ٢٧٤، والأغاني، والبدء والتاريخ، ومروج الذهب ٤/ ١٨٨، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٣٨٣، والتنبيه والإشراف ٢٦٤.

فروجَ المومسات، وشُربَ الخمر في الكاسات والطاسات.

وقال سيف: وكان لها مؤذِّنٌ آخرُ يقال له: زهير بن عمرو اليربوعي.

وكان من أعيان أصحابها: الأقرعُ بنُ حابِس، والزِّبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وعطارد بن حاجب، وعمرو بن الأهتم وكلهم من تميم، ثم أسلم الزبرقان والأقرع بن حابس في أيام أبي بكر.

ولم تَزَلْ سجاح مقيمةً في بني تغلب إلى سنة أربعين ثم أسلمت وحَسُنَ إسلامُها.

وذكرها الجوهري فقال: سجاح: اسم امرأةٍ من بني يربوع تنبّأت[١].

وذكر ابن إسحاق أن خالد بن الوليد بعث وفدَ بني حنيفة إلى أبي بكر فقال لهم: ويحكم، ما هذا الذي جاء به صاحبُكم هذا الخبيث، يعني مسيلمة؟ فقالوا: جاءنا والله الكذبُ والباطلُ وبلاءٌ ابتُلينا به، فقال: فما قال لكم؟ فذكروا له من سَجعه بعضَ ما ذكرنا، فقال أبو بكر: ويحكم، والله إن هذا الكلامَ ما خرج من إلٍّ ولا بِرّ[٢]. وقال الجوهري: والإلُّ بالكسر هو الله تعالى[٣].

وقال الهيثم: قال لهم أبو بكرٍ: فهذا سَجعُه، فما ظهر لكم من أحواله؟ فقالوا: أتتْه امرأةٌ فقالت: ادعُ لنخلنا ومائنا بالبركة، فإن محمداً دعا لقومه فأثمر نخلُهُم، وجاشت مياهُهم. قال لها: فكيف؟ قالت: دعا بسَجْلٍ، فمَضْمَض فيه، ثم مجَّه في الآبار، فجاشت بالمياه، فدعا مسيلمةُ بسَجْلٍ وفعل ذلك فغارت المياهُ، ودعا للنّخل فيَبس.

وأُتي بصبيّ، فقال له أبوه: بَرِّك عليه فإن محمداً يُبرِّك على أولاد الصحابة، فمسح يده على رأس الصبي فقَرِع وتَمعَّط شعرُه، وما مسح يدَه على رأس صبيٍّ إلا قَرِع، ولا حَنّكه إلا لَثِغ، فقال لهم أبو بكر: لقد كنتم في ضلالٍ مُبين[٤].

(١) الصحاح (سجح).

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٣٠٠، وانظر غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ١٠٠ و٣/ ٢٣٠.

(٣) الصحاح (ألل).

(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٢٨٤ـ٢٨٥، والمنتظم ٤/ ٢١ـ٢٢.

فصل وفيها تُوفي

عبد الله بن أبي بكر

وأمُّه قُتيلةُ بنت عبد العُزّى، وهو من الطبقة الثالثة من المهاجرين. أسلم قديماً.

قال ابن سعد: ولم يُسمع له بمشهدٍ إلا يومَ الطائف، جُرح رماه أبو محجّن الثقفي بسهم، واندمل جُرحُهُ، وعاش مدَّةً، ثم انتقض عليه في شوَّال من هذه السنة فمات فيه[١].

وخلَّف سبعةَ دنانير فاستكثرها أبو بكرٍ.

وكان له وَلدان: إبراهيم وإسماعيل، فهلكا وانقرض عَقِبُه[٢]. ونزل عمر بن الخطاب وطلحةُ بن عبيد الله وأخوه عبد الرحمن بن أبي بكر في حُفرته، ودُفن بالبقيع.

وذكره الموفَّق رحمه الله في الأنساب وقال: هو شقيقُ أسماء بنت أبي بكر، وكان قد اشترى الحُلَّةَ التي أرادوا أن يُكفِّنوا فيها رسول الله ﷺ بسبعة دنانير، فلما احتُضر قال: لا تُكفِّنوني فيها، فلو كان فيها خيرٌ لكُفِّن فيها رسول الله ﷺ. وصلى عليه أبوه أبو بكر، ودُفِن بعد صلاة الظهر.

وعبدُ الله هو الذي كان يأتي رسولَ الله ﷺ وأباه في الغار بأخبار قريشٍ كل يوم، ويُدلِجُ إليهما[٣].

وقال الشيخ الموفَّق: وعبد الله هو الذي تزوَّج عاتكة بنت زيد، أخت سعيد بن زيد فأمره أبوه بطلاقها، فقال فيها الأشعار، وكانت غَلبت عليه، وشغلته عن مغازيه فلذلك أمره أبوه بطلاقها فقال: [من الطويل]

وإن فِراقي أهلَ بيتٍ أُحبّهم ... على كبرةٍ منّي لَإحدى العَظائمِ[٤]

---

(١) طبقات ابن سعد / ١٥٨، وانظر الطبري ٣/ ٢٤١، والمنتظم ٤/ ٩، والتبيين ٣١٤، والمعارف ١٧٣، والاستيعاب (١٢٩٧).

(٢) كذا ذكر، وهو خطأ، صوابه ما في آخر ترجمته من أن عقبه انقرض وآخرهم إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله، وانظر المعارف ١٧٣، وأنساب الأشراف ٥/ ١٧٧، وجمهرة ابن حزم ١٣٧، والتبيين ٣١٤.

(٣) التبيين ٣١٤، وانظر الاستيعاب (١٢٩٧).

(٤) البيت في أنساب الأشراف ٥/ ١٧٧، والاستيعاب (٣٤٠٣)، والتبيين ٤٢٧.

ثم هجم عليه أبوه يوماً وهو يقول: [من الطويل]

أَعاتِكُ لا أنساكِ ما ذرَّ شارِقٌ ... وما ناح قُمْرِيُّ الحمام المُطَوَّقُ
ولم أر مثلي طلَّق اليومَ مثلَها ... ولا مثلَها في غير جُرْمٍ يُطَلَّقُ
لها خُلُقٌ جَزْلٌ وحِلْمٌ ومَنْصِبٌ ... وخَلْقٌ سَوِيٌّ في الحياة ومَصْدَقُ(١)

فرقَّ له أبوه وأمره برجعتها فقال: [من الطويل]

أَعاتِكُ قد طُلِّقْتِ من غير رِيبةٍ ... ورُوجِعتِ للأمر الذي هو كائنُ
كذلك أمرُ الله غادٍ ورائحٌ ... على الناس فيه إلفةٌ وتَبايُنُ
وما زال قلبي للتَّفرُّقِ طائراً ... وقلبي لما قد قَرَّب الله ساكنُ
ليَهْنِكِ أني لا أرى فيك سَخْطَةً ... وأنك قد تمَّتْ عليك المحاسنُ
وأنك ممّن زيَّن الله وجهَه ... وليس لوَجْهٍ زيَّن اللهُ شائنُ(٢)

قال: ولما مات رَثَتْه وبكت عليه وقالت: [من الطويل]

رُزِئتُ بخيرِ الناس بعد نبيِّهم ... وبعد أبي بكرٍ وما كان قَصَّرا
فآلَيْتُ لا تنفكُّ عيني حزينةً ... عليك ولا ينفكُّ جلديَ أَغبرا
فلله عينا مَن رأى قطُّ مثلَه ... أكرَّ وأَحمى في الهِياج وأَصبرا
إذا أُشرِعت فيه الأَسِنّةُ خاضَها ... إلى الموت حتى يَتركَ النّقع أحمرا(٣)

قلتُ: وقد ذكر أبو تمام في «الحماسة» ثلاثة أبياتٍ، منها هذه، أولها:

آليتُ لا تنفكُّ عيني حزينةً .... إلى آخرها(٤).

ثم خطبها عمر بن الخطاب فتزوّجته، فعمل وَليمةً، فحضرها عليٌّ عليه السلام، وقال لعمر: ائذن لعاتكة أن تُكلِّمني. فأذِن لها، فمال إليها عليٌّ وقال: يا عُدَيَّةُ نفسِها:

فآليت لا تنفكُّ عيني حزينةً

---

(١) الأبيات في أنساب الأشراف ٥/ ١٧٦، والمردفات من قريش ١/ ٦١-٦٢، والأغاني ١٨/ ٥٩، والاستيعاب والتبيين.

(٢) الأبيات في التبيين ٤٢٨، والمردفات ١/ ٦٢، والأغاني ١٨/ ٦٠.

(٣) الأبيات في التبيين والمردفات والأغاني والاستيعاب وفيها: حتى يترك الرمح أحمرا.

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١١٠٢.

فخجلت، فقال له عمر: ماذا فعلت يا أبا حسن؟ دَعْها فكلُّ النساء يفعلن هذا، ثم قُتِل عنها فرثته وقالت: [من الخفيف]

عـيـنُ جُـودي بـعَـبْـرَةٍ ونَـحـيـبِ ... لا تَـمَـلِّـي عـلـى الإمـام الـنَّـجـيـبِ

فَـجعَـتْـني الـمـنـونُ بـالـفـارس الـمعـ ... لَـم يـوم الـهـيـاجِ والـتَّـأنـيـبِ

قُـل لأهـلِ الـضَّـرَّاء والـبـؤس مـوتـوا ... قـد سَـقَـتْـه الـمـنـونُ كـأسَ شَـعـوبِ(١)

ثم خطبها الزبير فتزوَّجته وقد خلا من سنّها، وبقي فيها بقيَّةٌ من جَمالٍ، وكانت تَخرجُ فتُصلّي في المسجدِ، وكان الزبيرُ غَيوراً يقول لها: لو صلَّيتِ في بيتك فتقول: لا تَمنعوا إماءَ الله مساجدَ الله(٢)، فقعد لها ليلةً في طريق المسجد، فقرص عجيزتَها وهي لا تعرفُه، فرجعت إلى بيتها وتركت الصلاةَ في المسجد، فقال لها في ذلك فقالت: كنتُ أخرجُ والناسُ ناسٌ، أما إذا فسدوا فبيتي أَولى بي(٣).

فلما قُتِل عنها الزبير رثتْه فقالت: [الكامل]

غَـدرَ ابـنُ جُـرمـوزٍ بـفـارس بُـهْـمَـةٍ

وسنذكر الأبيات في ترجمة الزبير في قصة عاتكة، ولما قُتِل الزبيرُ عنها تزوّجها محمد بن أبي بكر فقُتل عنها، فخطبها عليٌّ عليه السلام فقالت: إني لأضنُّ بك عن القتلِ(٤) لما نذكر.

وليس لعبد الله بن أبي بكر عَقِبٌ، انقرض نسلُهُ، وآخرُهم إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله له عقب لا غير(٥).

الأسود العنسي الذي ادّعى النُّبوة

واسمه عَيْهَلَةُ بن كعب، واختلفوا فيه: فقال قوم: عَيْهلةُ اسمُه، وقيل: إنَّ عيهلةَ

(١) المردفات من قريش ١/ ٦٣، والأغاني ١٨/ ٦١، والاستيعاب والتبيين.

(٢) أخرجه البخاري (٩٠٠)، ومسلم (٤٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) انظر عيون الأخبار ٤/ ١١٤ـ١١٥.

(٤) المردفات من قريش ١/ ٦٣ـ٦٤، والأغاني ١٨/ ٦١ـ٦، والاستيعاب (٣٤٠٣)، والتبيين ٤٢٨ـ٤٢٩، وتمام البيت: يوم اللقاء وكان غير مُعَرِّدِ.

(٥) انظر أول ترجمة عبد الله بن أبي بكر.

لقبٌ لملكِ اليمن، كما أن النجاشي لقب لملكِ الحبشة. وقال الجوهري: العاهل: الملك الأعظمُ كالخليفة، وريحٌ عَيْهَلٌ: شديدةٌ، والعَيْهل من النُّوق: السّريعة. قال: وقال أبو حاتم: ولا يُقال جَملٌ عَيْهَل(١).

وذكر قصّتَه أربابُ السِّير كسيف بن عمر وابنِ اسحاق وهشام بنِ الكلبي والواقديّ وغيرهم على وجوه:

الوجه الأول: أن أوَّل رِدَّةٍ كانت على عهد رسولِ الله ﷺ على يديْ الأسود، ويقال له: ذو الخمار؛ لأنه كان يقول: يأتيني ذو خِمارٍ، وكان كاهناً مُشَعْبِذاً، يُري الناسَ العجائب، وكان يأتيه شيطان فيحدِّثُه بما يكون فيُخبرُ الناسَ به فافتُتنوا، وكان فصيحاً فسبى عقولَهم بمَنطقه،

وكان أوَّلُ خروجه بعد رجوع رسول الله ﷺ من حجَّة الوداع، فكاتَبْه مَذْحِج، وواعدوه نَجْران، وكانت دارُه بمكان يقال له: كهف خُبَّان، به وُلِدَ ونشأ.

ولما خرج وَثبت مَذْحِج وأهلُ صنعاء، فأخرجوا منها عمرو بن حَزْمٍ وخالد بن سعيد بن العاص، وكانا عاملين عليها للنبي ﷺ، ودخلها الأسودُ في سبع مئة فارسٍ من آل شَعوبٍ(٢)، وخرج إليه من الأَبْناء شَهْرُ بن باذان ـ أو باذام ـ فقتله الأسود ومَن معه، وخرج معاذ بن جبل هارباً، فلقي أبا موسى وهو بمأرِب فاقتحما حَضْرَ مَوْتَ، وغلب الأسودُ على بلاد اليمن ومخاليفها، وجعل أمرُه يَستطير استطارةَ الحريق، ودانت له السواحلُ، وعامله المسلمون بالتَّقِيَّة، وكان خليفتُه في مَذْحج عمرو بن مَعْدي كَرِب.

وأخذ الأسودُ امرأةَ شهر بن باذان، وقتل ابنتَه، واستخفَّ بالأبناء، وهرب فَرْوَةُ ابن مُسَيْك وكان على مُراد، وثب عليه قيس بن عبد يغوث فأجلاه.

وبلغ رسولَ الله الخبرُ عند مَرْجعه من حجَّة الوداع، وقال الواقدي: كتب إليه فروةُ

---

(١) الصحاح (عيهل). وقيل: اسمه عبهلة، بباء، انظر توضيح المشتبه ٢/ ٤٠٥ وحاشية محققه لزاماً.

(٢) كذا، وهو خطأ، صوابه ما في المنتظم ٤/ ١٩: ثم خرج الأسود في سبع مئة فارس إلى شَعوب. قلت: وشعوب كما ذكر ياقوت بساتين في ظاهر صنعاء، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٢٩.

ابن مُسَيْكٍ بذلك، فكتب إلى الأبناء ومَن بأرض اليمن من المسلمين أن يَقتلوا الأسودَ غيلةً أو مُصادَمةً، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً سمَّاهم من حِمْيَر وهَمْدان، وأرسل إلى أولئك.

وكان الأسودُ قد أفسد وعاث، وانتهك المحارم، وتغيَّر على قيس بن عبد يغوث وعَزم على قتله، فاتفق مع الجماعة على قتله، فعملوا الحيلةَ عليه فلم يجدوا طريقاً غيرَ زوجتِه امرأة شهر بن باذان واسمها أزياد، وقالوا لها: قد قَتل زوجَك وبنتَك وفعل ما فعل، فما عندك فيه؟ فقالت: هو أبغض خَلْقِ الله إليَّ، فقالوا: نُريدُ قتلَه، فقالت: إنَّه مُحترسٌ، والحرسُ يُطيفون بقصره، إلّا هذا البيتَ فانقُبوه، وتولّى أمرَه أخوها فيروز الدَّيلمي، وكان قد أبعده الأسود، فدخلوا عليه ليلاً فذَبحوه، فجعل يخور خُوارَ الثور، فقال الحرسُ: ما هذا؟ قالت: النبيُّ يُوحى إليه، فسكتوا وقد كان شيطانُه يأتي إليه فيوسوس له، فيغطُّ ويخور كما يخور الثورُ، ويعمل بما يقولُ له، فلما طلع الفجرُ اجتمع المسلمون وأذَّنوا وقالوا: نشهدُ أن محمداً رسولُ الله وأن عَيْهلَةَ كذّابٌ، وشَنُّوا الغارةَ على أَصحابه ومَن وافقه، فسَبَوْهم وقتلوهم ومزَّقوهم كلَّ مُمَزَّقٍ.

وتراجع عُمّالُ رسول الله إلى مواضعهم، وكتبوا إلى رسول الله بذلك، فسبقهم خبرُ السماء، وذلك قبل موت رسول الله بيومٍ أو بليلةٍ، فأخبر الناسَ بقتلِه وقال: فاز فيروز، ووصل الكتابُ بعد وفاةِ رسولِ الله، فكان بين خروجِ الأسود إلى أن قُتِل أقلُّ من ثلاثة أشهر، وقيل: أربعة أشهر[١].

والوجه الثاني: أن رسولَ الله ﷺ لمّا رجع من حجَّةِ الوَداع فرَّق أمراءه في اليمن، وقسَّمه بينهم، وقيل على حضرموت، وعُكَّاشة بن ثور الغَوْثي على السَّكاسك، ومعاوية بن كندة على السَّكون[٢]، وعمرو بن حَزْم على

(١) المنتظم ٤/ ١٨ـ٢٠.
(٢) كذا، وفي العبارة سقط وخطأ، وصوابها ما في الطبري ٣/ ٢٢٨ أن النبي ﷺ رجع إلى المدينة بعدما قضى حجة الإسلام، وقد وجه إمارة اليمن وفرقها بين رجال. . . واستعمل على أعمال حضرموت على السكاسك والسكون عكاشة بن ثور، وعلى بني معاوية بن كندة عبد الله أو المهاجر، وعلى حضرموت زياد بن لبيد البياضي. . .

نجران، وخالد بن سعيد على ما بين نجران ورِمَع وزَبِيْد، وشَهْر بن باذان على صنعاء، وعامر بن شَهْر على هَمْدان، وأبو موسى على مَأرِب، ويَعلى بن أُميّة على الجَنَد، وكان معاذُ بنُ جبلٍ معلِّماً يتنقّل في البلاد والقبائل، فتوفي رسولُ الله وهؤلاء عُمّالُه على اليمن.

قال سيف بن عمر: فحدَّثني سهل بن يوسف عن أبيه عن عبيد بن صخرٍ قال: بينما نحنُ بالجند على أمورنا المستقيمة إذ وَرَدَ علينا كتابُ الأسودِ مع رسولٍ له يقول فيه: أيُّها المتورِّدون علينا، أمسكوا علينا ما أخذتُم من أرضِنا، ووفِّروا ما جمعتُم، فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه. قال: فقُلنا للرسول: من أين جئتَ؟ فقال: من كهف خَبَّان، فبينما نحنُ ننظر في أمرنا إذ قيل: هذا الأسود بشَعوب، وخرج إليه شهر بن باذام، وذلك لعشرين ليلةً من مَنجمه، فبينما نحن نترقَّبُ الأخبار جاء الخبرُ أن الأسودَ قتل شهراً، وهزم الأبناء، وغلب على صنعاء لخمسٍ وعشرين ليلةً من مَنْجَمه، وخرج معاذُ هارباً، فمرَّ بأبي موسى، فاقتحما حضر موت، فنزل معاذُ السَّكون، ونزل أبو موسى السَّكاسكَ، وانحاز سائرُ أمراء العرب إلى الأطراف فنزلوا الظواهرَ[1]، ولم يرجعْ إلى المدينة سوى عمرو بنِ حَزْمٍ وخالدِ بن سعيد بن العاص.

وكان قُوّادُ الأسود: قيس بن عبد يغوث المُرادي ومعاوية بن فلان الليثي[2]، ويزيد ابن حُصين الحارثي، ويزيد بن أَفْكل الأزدي، وثبّت مُلكه[3]، ثم استَغلظ أمرُه حتى غلب على اليمن وانتهى إلى الطائف، وعاملهُ المسلمون بالتَّقِيَّة، والمنافقون بالردَّة عن الاسلام، وكان خليفتُه في مَذْحج عمرو بن معدي كرب، وأمرُ جُنْدِه إلى قيس بن عبد يَغوث، وأسند أمرَ الأبناء إلى فيروز وداذَوَيْه.

فلما أثخن في الأرض استخفَّ بقيسٍ وفيروز، وتزوَّج امرأة شهر وهي أختُ

---

(١) في الطبري ٣/ ٢٣٠: وانحاز سائر أمراء اليمن إلى الطاهر ـ ابن أبي هالة ـ والطاهر يومئذ في وسط بلاد عكّ بحيال صنعاء.

(٢) في الطبري ٣/ ٢٣٠: معاوية بن قيس الجنبي، وفي تاريخ دمشق ١٤/ ٤٨٤ (مخطوط): معاوية بن فلان الجنبي.

(٣) في (ك) وتاريخ دمشق: وابنا مليكة، والمثبت من الطبري.

فيروز[1]، فاتفق فيروز وداذَوَيْه وقيسٌ على قتله، فدخل عليه فيروز وهو نائم يَغُطُّ، فتكلم الشيطان على لسانه وقال: ما لي ولك يا فيروزُ؟ فلم يلتفت فيروز ودقَّ عُنُقَهُ وذَبحه، فلما قتله قال رسولُ الله ﷺ: «قتل الأسودَ الليلة رجلٌ مُبارَكٌ، من أهل بيتٍ مُبارَكين» قيل: يا رسول الله مَن قتله؟ قال: [«فيروز]، فاز فيروز»[2].

الوجه الثالث: ذكر محمد بن إسحاق في آخر المغازي قَتْلَ الأسود وفيه زيادات فقال: كان سببُ قتلِه أنه كانت عنده امرأةٌ من بني غُطَيْفٍ سباها، وهي عمرةُ بنتُ عبد يَغوث المكْشُوح أختُ قيس، وامرأةٌ من الأبناء ممَّن سَبى يُقال لها: بَهرانةُ بنتُ الدَّيْلم، أختُ فيروز بن الديلمي، فكان فيروز يَدخل عليه [إذا شاء لمكان أخته، وكان قيس يدخل عليه] أيضاً لمكان أخته، وكانا نَديمَيْن له، وكان الأسود قد قتل عُمير بن [عبد] يغوث أخا قيس،

واتفق قيسٌ وفيروز على قتله، وبلغ قيساً أن النبي ﷺ قال للمسلمين: «ستقتلون الأسود». فطمع قيس في قتله، ودخل معهما رجلٌ من الأبناء يُقال له: داذَوَيْه، فأفضى قيسٌ بذلك إلى أُخته وقال لها: قد عَرفتِ عداوتَه لقومك، وما قد ركبهم به، والرجلُ مَقتولٌ لا محالة، فإن استطعتِ أن يكون بنا فافعلي، فنُدرك به ثأرَنا، ويكون مَأثُرة لنا، فتَحيَّني لنا غِرَّته إذا سَكِر.

فطاوعته على ذلك [وقال فيروز لصاحبته مثل ذلك] فقال لها: هذا الرجلُ يُريد أن يُجليَ قومَك من اليمن، فأجابتْه إلى ذلك، فكان مَقتلُه في بيت الفارسية، وذلك لأنها جَعلت في شرابٍ له البَنْج، فلما غلب على عقله بعثتْ إلى أخيها: شأنك وما تُريد، فأقبلوا ثلاثتُهم: قيسٌ وفيروز وداذَوَيْهِ حتى انتهَوْا إلى الباب فقالوا: أيّنا يَكفي الباب لئلا يدخُلَ علينا أحد؟ فقال داذويه: أنا، فوقف عند الباب، ودخلا فجثم فيروز على صدره فضَبَطه، وضربه قيسٌ بسيفه حتى قتله، واحتزَّ رأسَه، وبعث به إلى المهاجر بن أبي أميّة، فعاد المهاجر إلى صنعاء.

---

(١) في الطبري وتاريخ دمشق والمنتظم ٤/ ١٩ أنها ابنة عم فيروز.

(٢) أخرجه الطبري ٣/ ٢٣٦، وابن الجوزي في المنتظم ٤/ ٢٠ من حديث ابن عمر ﷺ، وما بين معكوفين منهما.

وقال قيس بن عبد يغوث المرادي حين قَتل الأسود العَنْسي في الأسود أبياتاً منها:

ضـربـتُـه بـالـسّـيـفِ ضَـرْبَ الأَقْـرانْ
ضَرْبَ امرئٍ لم يَخْشَ عُقْبى العُدوانْ
فـمـات لا يـبـكـيـه مـنّـا إنـسـانْ
ضـلَّ نـبـيٌّ مـات وهـو سَـكْـرانْ

قال: ثم تنازع هؤلاء الثلاثةُ نَفَرٍ في قتله، فقال قيس: أنا قتلتُه واحتززتُ رأسَه، وقال فيروز: أنا ضبطتُه لك، ولولا ذلك لم تَصِلْ إلى قتله، وقال داذَوَيه: أنا كفيْتُكم الباب، وكان أشدَّ ثُغوركم، ولولا ذلك لم تَقدروا على قتله، فالتمس قيسٌ أن يَغتالَهما، فصنع لهما طعاماً، ثم دعا واحداً واحداً، فقَتل داذَوَيه، ونَذِر فيروزُ فخرج، فكان بينهما في ذلك أمرٌ تَعاظم فيه الشرُّ؛ حتى أصلح بينهما المهاجر، فقال قيس في ذلك: [من الكامل]

زعـم ابـنُ حَـمْـراء الـقِـصـاص[1] بـأنّـه ... قَـتـلَ ابـنَ كـعـبٍ نـائـمـاً نَـشـوانـا
كـلاّ وذي الـبـيـتِ الـذي حـجَّـتْ لـه ... شـعـث الـمـفـارق تَـمـسـح الأركـانـا
لأنـا الـذي نَـبَّـهـتُـهُ فـقـتـلـتُـه ... ولـقـد تُـكُـبِّـدَ[2] قـائـمـاً يـقـظـانـا
فـعَـلـوتُـه بـالـسـيـف لا مُـتَـهـيِّـبـاً ... مـمـا يـكـونُ غـداً ولا مـا كـانـا
فـانـصـاع شـيـطـانُ ابـن كـعـبٍ هـاربـاً ... عـنـه وأَدبـرَ مـمـعِـنـاً شـيـطـانـا

انتهت ترجمتُه والله أعلم.



(١) كذا في (ك) وتاريخ دمشق ٥٩/ ١٩٣ (مجمع اللغة)، و١٤/ ٤٨٧ (مصورة دار البشير)، ولعلها: العِجان، يقال: فلانٌ ابن حمراء العِجان إذا كان أعجمياً، أو كانت أمه أمَةً، والعجان: ما بين القُبُل والدُّبُر، وهي كلمة تقولها العربُ في السبِّ والذمِّ. ينظر أساس البلاغة (عجن)، واللسان (حمر) و(عجن).

(٢) يعني: ضُرب كبده.

فصلٌ في ذكر فاطمة بنت رسول الله ﷺ

قد ذكرنا أنها وُلدت قبل النبوَّة بخمس سنين وقريشٌ تبني الكعبة، وكانت أصغرَ بنات رسول الله ﷺ، وذكرنا أن علياً تزوَّجها في السنة الثانية من الهجرة، وذكرنا بعضَ فضائلها.

وقال البخاري بإسناده عن المِسور بن مَخْرمة أن النبي ﷺ قال: «فاطمة بَضْعَةٌ مني، فمَن أغضبها فقد أغضبني». وهذا حديث طويلٌ أخرجاه في الصحيحين[(١)]، وأخرجه أحمد في «المسند» فقال: حدَّثنا أبو اليمان، عن شُعيب، [عن] الزُّهري عن علي بن الحسين أنَّ المسور بن مَخْرمة أخبره أن عليَّ بن أبي طالب خطب ابنةَ أبي جهلٍ، وعنده فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ، فقالت فاطمةُ لرسول الله: إن قومَك يتَّحدثون أنَّك لا تَغضبُ لبناتك، وهذا عليٌّ ناكحٌ ابنةَ أبي جهلٍ. قال: فقام رسولُ الله ﷺ على المنبر، فتشهَّد ثم قال: «أما بعدُ فإني أَنكحتُ أبا العاص بنَ الرَّبيع، فحدَّثني فصدقني، وإن فاطمةَ بَضْعَةٌ منّي، وأكرهُ أن يَفتِنوها، وإنه والله لا تجتمع ابنةُ رسول الله وابنةُ عدوِّ الله عند رجلٍ واحدٍ أبداً».

وفي روايةٍ «لا أُحرِّمُ حلالاً، ولا أُحلُّ حراماً، ولكن والله لا تَجتمع ...» وذكره، فترك عليٌّ الخِطبة، وفي روايةٍ: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن يُنكحوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالب، ألا فلا آذَنُ لهم، قالها ثلاثاً، فإنما ابنتي بَضْعةٌ مني يُرِيبني ما رابَها، ويُؤذيني ما آذاها». وكلُّ هذه الروايات في المتَّفق عليه[(٢)]. البَضْعَةُ: القطعة.

والتي خطبها عليٌّ جويرية بنتُ أبي جهل، وكانت قد أسلمت مع أخيها عكرمة.

ومعنى قوله: لا أُحَرِّمُ حلالاً، أي: إن هذا لا يكون، وقد ظنَّ بعضُ الجُهال أن علياً ارتكب أمراً منكراً، وليس كما ظنَّ، فإن بني مَخزوم سألوا علياً أن يُصاهِرهم، وقصدوا زوالَ الأضغانِ والإحَن التي كانت بينهم وبين بني هاشمٍ في الجاهلية، فأجابهم عليٌّ إلى ذلك طلباً للتَّآلف، لا رَغبةً في النكاح، ولو علم أن ذلك يَصعبُ على

(١) صحيح البخاري (٣٧١٤)، وصحيح مسلم (٢٤٤٩).

(٢) مسند أحمد (١٨٩١٢) و(١٨٩١٣) و(١٨٩٢٦)، وصحيح البخاري (٣١١٠) و(٣٧٢٩) و(٣٧٦٧) و(٥٢٣٠) و(٥٢٧٨)، وصحيح مسلم (٢٤٤٩).

رسول الله وفاطمة ما أجابهم إليه، فلما علم ترك، وهذا من الظنِّ بمثله.

وقال أبو إسحاق الثَّعلبي بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: أقام رسولَ الله أياماً لم يَطعَمْ طعاماً، فدار على منازل أزواجه، فلم يجد عندهنَّ شيئاً، فأتى فاطمةَ عليها السلام فقال: «يا بُنيَّةُ، هل عندك شيءٌ آكلهُ فإني جائع؟» فقالت: لا واللهِ. فلما خرج من عندها بعثتْ إليها جارتُها برغيفين وقطعةِ لحمٍ، فجعلت ذلك في جَفْنَةٍ وغَطَّتْهُ وقالت: والله لأُوثِرَنَّ أبي، وكانت جائعةً هي ومَن عندها، ثم أرسلت الجَفْنَةَ إليه مع الحسنِ والحسين، وفي رواية: فأرسلت إليه فجاء فقالت: يا أبه، قد أتانا الله بشيءٍ فخَبَّيْناه لك، فقال: هلمَّ، فأتَتْه بالجَفْنةِ، فكَشفها فإذا هي مملوءةٌ خُبزاً ولحماً، فلما نظرت إليها بُهتَت وعرفت أنها بركةٌ من الله تعالى، فقال: يا بُنيَّةُ، أنَّى لك هذا؟ قالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، فقال: «الحمد لله الذي جعلك يا بُنيَّةُ شبيهةً بسيّدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً فسُئلت عنه قالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾. ثم أكل رسول الله منها وعليٌّ وفاطمةُ والحسن والحسين وأزواجُ رسول الله وأهلُ بيته حتى شَبعوا. قالت: فاطمة: وبَقيت الجَفنةُ كما هي، فأوسعتُ منها على جيراني وجعل الله فيها بركةً وخيراً[(١)].

وقال أحمد بإسناده عن أنس بن مالك: إن رسول الله ﷺ كان يَمرُّ بباب فاطمةَ إذا خرج إلى الصلاة، أو إلى صلاة الفجر، فيقول: «يا أهلُ، الصلاةَ» وفي روايةٍ: «يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الآية [الأحزاب: ٣٣]. فعل ذلك ستَّةَ أشهر[(٢)].

وقال أحمد بإسناده عن أنس: إن بلالاً أبطأ عن صلاة الصُّبح، فقال له النبي ﷺ: «ما حَبَسَك؟» قال: مررتُ بفاطمة وهي تطحنُ، والصبيُّ يبكي، فقلتُ لها: إن شئتِ كَفيْتُك الرَّحى وكَفَيْتِني الصبيّ، وإن شئتِ كفيتُك الصبيَّ وكفيتني الرَّحى؟ فقالت: أنا أرفَقُ بابني منك، فذاك حَبَسَني، فقال رسول الله ﷺ «فرَحِمْتَها يرحمك الله»[(٣)].

---

(١) قصص الأنبياء للثعلبي ٣٧٦-٣٧٧، وذكره ابن كثير في تفسير الآية (٣٧) من آل عمران، وفي البداية والنهاية ٨/ ٦٤٦-٦٤٧ وقال: هذا حديث غريب إسناداً ومتناً.

(٢) مسند أحمد (١٣٧٢٨).

(٣) مسند أحمد (١٢٥٢٤).

وقال أحمد بإسناده عن الحكم قال: سمعتُ ابنَ أبي ليلى يقول: حدَّثنا عليٌّ: أن فاطمةَ اشتكت ما تلقاه من أثر الرّحى في يدها، وأُتيَ النبيُّ ﷺ بسَبْي، فانطلقتْ فلم تجِدْه، ولقيت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرتْه بمجيء فاطمة إليها، فجاء النبي ﷺ وقد أخذنا مَضاجِعَنا، فذهبنا لنَقومَ فقال: «على مكانكما»، فقَعد بيننا حتى وجدتُ بَرْدَ قدميه على صَدْري، فقال: «ألا أُعلّمكما خيراً مما سألتُما؟ إذا أخذْتُما مضاجعكما أن تُكبِّرا الله أربعاً وثلاثين، وتُسبّحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم». أخرجاه في الصحيحين، وفي رواية: «من خادمٍ وخادمة»[(١)].

ذكر وفاتها: قال ابن سعد بإسناده عن عامرٍ قال: جاء أبو بكرٍ إلى بيت عليٍّ لما مَرِضت فاطمةُ، فاستأذن عليها، فقال عليٌّ: هذا أبو بكرٍ على الباب يَستأذن، فإن شئتِ أن تأذني له فَأْذني، قالت: وذاك أحبُّ إليك؟ قال: نعم، فأَذِنت له، فدخل واعتذر إليها، فرضيت عنه[(٢)]. وهذا يدلُّ على صِحّة الرواية أنها هَجرت أبا بكر مُدَّةَ حياتها.

واختلفوا في كيفيّة غسلها على أقوالٍ:

أحدها: أن الملائكة غَسَّلتها، قاله الهيثم.

والثاني: أن علياً عليه السلام غَسّلها، وهو الظاهر.

والثالث: أنها غَسّلت نفسَها، فقال أحمد بن حنبل في كتاب «الفضائل» بإسناده عن عُبيد الله بن علي بن أبي رافع، عن أبيه، عن أمه سَلمى قالت: اشتكت فاطمة، فأصبحتْ يوماً كأَمثلِ ما كانت، فخرج عليٌّ، فقالت: يا أمّاه، اسكُبي لي غُسْلاً، فسكبتُ لها، فاغتسلتْ ثم قالت: هاتي ثيابي الجُدُد، فأتيتُها بها، فلبستْها ثم قالت: قَدِّمي الفِراشَ إلى وَسَط البيت، فقدَّمَتْه، فاضجعتْ عليه، واستقبلت القبلة، وتبسَّمت، وما رأيتُها مُتَبسِّمةً إلا يومئذ، ووضعَتْ يدها تحت نَحْرِها وقالت: إني مقبوضةٌ، وقد اغتسلتُ فلا يَكشِفني أحدٌ، ثم قُبِضَتْ، ودخل عليٌّ فأخبرتُه، فبكى ثم قال: والله لا يَكشِفها أحدٌ، ثم حملها بغُسْلها ذلك فصلى عليها ودفنها[(٣)].

---

(١) مسند أحمد (١١٤١)، وصحيح البخاري (٣١١٣) و(٣٧٠٥) و(٥٣٦١) و(٦٣١٨)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٧.

(٣) فضائل الصحابة (١٠٧٤)، والمسند (٢٧٦١٥).

ثم قال جدي: في إسناده محمد بنُ إسحاق وعليُّ بن عاصم، فأما ابن إسحاقٍ فكذَّبه مالك، وأما عليُّ بن عاصمٍ فكذَّبه يزيد بن هارون. قال جدي: والغُسْل إنما شرع لحَدَث الموت، فكيف يقعُ قبله؟ ثم قال: وقد احتجَّ أحمدُ والشافعيُّ في جواز غَسْلِ الرُّجل زوجته بأن عليّاً عليه السلام غَسَّل فاطمة(١).

والجواب: أما محمد بن إسحاق فقد وثَّقه أحمد بنُ حنبل وعامّةُ العلماء، وأخذوا عنه المغازي والسِّير وغيرهما، وكلامُ مالكٍ فيه فلغرضٍ نذكره في ترجمة ابن إسحاق(٢).

وقولُه: الغُسْل للحدث بعد الموت، قلنا: يحتمل أنها كانت مخصوصةً بذلك لئلا يطَّلع عليها أحدٌ.

وأما قولُه: إن علياً غَسَّل فاطمة، فهذا موضعُ الخلاف، فإنَّ عند أبي حنيفة ومالك: لا يحلُّ للرَّجل أن يُغسِّل زوجتَه لانقطاع الزوجية بينهما من وجهٍ(٣)، وقد ذكرنا هذا في سيرة رسول الله ﷺ. وأما غسل عليٍّ فاطمة فقد منعناه، ولو سَلِم فقد رُوي أن ابن مسعودٍ قال لعلي: غَسَّلت فاطمة؟ فقال: أما علمت أن رسول الله ﷺ أخبرني أنها زوجتي في الدنيا والآخرة. فدلَّ على أن الزَّوجيَّة باقيةٌ بينهما.

ولما غُسّلت حُمِلت على نَعْشٍ، قال ابن سعد: وهي أول من حُمِل عليه، ورواه ابن عباسٍ قال: فاطمة أوّلُ من جُعل لها النَّعشُ في المدينة، عملتْه لها أسماءُ بنت عُمَيْسٍ، وكانت قد رأتْه بأرض الحبشة(٤).

وفي رواية ابن الكلبي أنها لما اشتدَّ بها المرضُ قالت لأسماء: يا أُمّاه، أُحمَلُ على سرير يراني الناس!؟ فقالت لها: أَصنعُ لك كما كنا نَصنع بالحبشة، فعَمَدت إلى أعوادٍ فقطعتها، ثم عَملتها نَعشاً على السرير، فكان عمر بن الخطاب إذا رآه بعد ذلك

(١) الموضوعات (١٨٤٢)، والعلل المتناهية (٤١٩).

(٢) انظر تهذيب الكمال وفروعه.

(٣) انظر المغني لابن قدامة ٣/ ٤٦١.

(٤) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨.

يقول: نعم هَوْدَجُ الظَّعائن ـ يعني النساء ـ يُحملن عليه، أو الظَّعينة[١].

واختلفوا فيمن صلى عليها على أقوالٍ:

أحدها: عليٌّ والعباس، ونزلا في حُفرتها ومعهما الفضلُ بن العباس، وكان عليٌّ الإمام.

والثاني: أن العباس كان الإمام. ذكر هذين القولين ابنُ إسحاق.

والثالث: عليٌّ وحده، ودَفَناها ليلاً. رواه ابن سعدٍ عن الواقدي قال: سُئل ابن عباس: متى دُفنت فاطمةُ؟ فقال: ليلاً، قيل: فمَن صَلَّى عليها؟ قال: عليٌّ.

والرابع: أبو بكر، حكاه ابنُ سعد عن شَبَابة بن سَوَّارٍ بإسناده عن ابراهيم قال: صلّى أبو بكرٍ على فاطمة وكبَّر عليها أربعاً.

قال الواقدي: والثَّبت عندنا أن علياً عليه السلام دفنها ليلاً، وصلَّى عليها ومعه العباس والفضل، ولم يُعلما بها أحداً، ولا بايعا أبا بكرٍ إلا بعد فاطمة. وشبابة بن سوَّار ضعَّفه الحُفَّاظ[٢].

وقال علماء السِّير: لما دفنها عليٌّ وقف على قبرها وبكى وقال: [من الطويل]

لكلِّ اجتماعٍ من خليلَين فُرْقَةٌ ... وكلُّ الذي دون المماتِ قليلُ
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمدٍ ... دليلٌ على أن لا يدومَ خليلُ[٣]

قال الهيثم: ولما دفن عليٌّ فاطمةَ أتى إلى قبر النبي ﷺ فوقف عليه وقال: السلامُ عليك يا رسول الله، وعلى ابنتِك النازلةِ في جوارك، السريعةِ اللحاق بك، قلَّ تصبُّري عنها، وضَعُف تَجَلُّدي على فراقها، إلا أن لي في التأسّي بعظيم فراقك، وفادح مُصابك مَقْنعَاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استُرْجعتِ الوديعةُ وأُخِذَتِ الرَّهينةُ،

(١) أخرجه الدولابي في الذرية الطاهرة (٢٠٣) و(٢٠٥)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٢٤١١)، وذكره ابن الجوزي في المنتظم ٤/ ٩٥، وابن قدامة في التبيين ٩٢، والذهبي في السير ٥٤ (الخلفاء الراشدون)، والمحب الطبري في ذخائر العقبى ٥٣.

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٢٩ـ٣٠، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٤٠ـ٢٤١، والمصادر في التعليق السابق، وتهذيب التهذيب، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٦٠.

(٣) التعازي للمبرد ٢٠٥، والعقد ٣/ ٣٤١، ومروج الذهب ٤/ ١٦١.

وستُنبِئك ابنتُك بما لقينا بعدك، هذا ولم يَطُل العهدُ، ولم تمتد المدَّةُ، فعليكما مني السلامُ، سلامَ مُوَدِّعٍ لا قالٍ ولا سَئم، فإن أنصرِفْ فلا عن مَلالةٍ، وإن أُقم فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد اللهُ الصابرين وأعدّ للمحزونِيْن(١).

وقال أحمد بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ لعلي: «يا أبا الريحانتَيْنِ، عن قليلٍ يَذهبُ رُكناك، والله خليفتي عليك»، قال: فلما قُبض رسول الله ﷺ قال علي: هذا أحدُ الرُّكنَين، فلما تُوفِّيت فاطمةُ قال: هذا الركنُ الآخر(٢).

واختلفوا في المدَّة التي عاشت فيها بعد رسول الله ﷺ على أقوال:

أحدها: ستة أشهر، قال الواقدي: وهو الثبت عندنا، رواه عروةُ عن عائشة.

والثاني: ثلاثة أشهر، قاله عمرو بن دينار. والثالث: شهران وعشرة أيام، قاله أبو الزبير.

والرابع: أربعون يوماً، قاله الهيثم، والأول أصحّ. وقد فَسَّرته عائشةُ فقالت: توفي رسولُ الله ﷺ يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول، وتُوفيت فاطمةُ ليلة الثلاثاء لثماني عشرة ليلةً خلت من رمضان، وفي روايةٍ: لثلاثٍ خلوْنَ منه(٣).

واختلفوا في مَبلغ سنِّها على أقوالٍ: أحدها ثمانيةٌ وعشرون سنةً وثمانية أشهر؛ لأنها وُلدت قبل النبوّة بخمس سنين. قاله الواقدي. والثاني ثلاثون سنةً. والثالث: سبع وعشرون سنة، والأوَّل أصحّ. وذكر بعضُهم أن عمرَها ثماني عشرة سنةً وليس هذا بشيءٍ(٤).

واختلفوا في موضع قبرها، فذكر ابن سعدٍ عن الواقدي أنها دُفنت في زاوية دار عَقيل، وبين قبرها وبين الطريق سبعةُ أذرعٍ، قال: وقال عبد الله بن جعفر: ما رأيتُ

(١) نهج البلاغة ٢/ ١٨٢.

(٢) فضائل الصحابة (١٠٦٧) عن محمد بن يونس، عن حماد بن عيسى الجهني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جابر، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٢٠١، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ٤٢ (مخطوط) بهذا الإسناد، قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث جعفر، تفرد به عنه حماد بن عيسى ويعرف بغريق الجحفة، لم يكتبه إلا من حديث محمد بن يونس عالياً.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨، وتاريخ الطبري ٣/ ٢٤٠، والذرية الطاهرة ١٥١-١٥٢، والاستيعاب (٣٤١١)، وصفة الصفوة ٢/ ١٤-١٥.

(٤) انظر المصادر في الحاشية السابقة.

أحداً يشكُّ أنَّها في ذلك الموضع.

قال: وقال الواقدي: أخبرني عبد الله بن جعفر، حدثني عبد الله بن الحسين قال: وجدتُ المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام واقفاً ينتظرني بالبقيع نصفَ النهار في حرٍّ شديدٍ، فقلتُ: ما يُوقفُك يا أبا هاشم ها هنا؟ قال: أنتظرك، بلغني أن فاطمة دُفنت في هذا البيت، في دار عقيل مما يلي [دار] الجَحشيِّين، فأُحبُّ أن تَبتاعه لي بما بلغ، أُدفن فيه. فقال عبد الله: والله لأفعلن. قال: فجهد بالعقيليين أن يبيعوه فأبَوْا. قال الواقدي: وهذا الموضعُ مما يلي دار الجحشيين مستقبل خَرجة بني نبيه من بني عبد الدار بالبقيع(١).

وقال قومٌ: إن علياً عليه السلام لما دفنها عفَّى آثار قبرها، وقيل: بقي على حاله، فلما مات ولدُها الحسن دُفن إلى جانبها. وليس في الصحابيات من اسمها فاطمة بنت محمد ﷺ غيرها.

وقد روت الحديث عن رسول الله ﷺ، فأخرج لها ثمانية عشر حديثاً في المسند، منها ثلاثة أحاديث في الصحيحين.

ذكر أولادها الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب:

فتزوّج زينب عبد الله بن جعفر بن أبي طالبٍ، فولدت له عبد الله وعوناً، وماتت عنده.

وأما أُم كلثوم فتزوَّجها عمر بن الخطاب فولدت له زيداً ورُقيَّةَ، ثم قُتِل عنها، فخلف عليها بعد عمر عونٌ بن جعفر فلم تَلِدْ له، ثم مات. وخلف عليها محمد بن جعفر فولدت له جاريةً ففارقَها، ثم خلف عليها بعده عبد الله بن جعفر فماتت عنده ولم تلد له.

فهؤلاء أولادُ فاطمة في أصحِّ الروايات. وزاد فيهم محمد بن إسحاق والليث بن سعد، فأما ابن إسحاق فقال: كان لها ولدٌ اسمه مُحَسِّن، وأما الليثُ فقال: كان لها رُقيةُ ماتت ولم تبلُغْ(٢). وهذا ما انتهى إلينا.



(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٣٠، وانظر الإصابة.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٩، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٣٢، ومن هنا إلى بداية السنة الثانية عشرة ليس في (ك).

فَرْوَة بن الحارث بن النعمان

من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمه من بني عَدي بن النجار، شهد أُحداً، واستُشهد يوم اليمامة، وأبوه الحارث بن النعمان شهد أُحداً وقتل يوم مؤتة(١).

مالك بن عمرو

حليف لبني عبد شمس من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقتل يوم اليمامة شهيداً باتفاقهم، وله رواية عن النبي ﷺ(٢).

مالك بن نُوَيْرَة(٣)

ابن جَمْرَة بن شَدَّاد بن عُبيد بن ثعلبة بن يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي اليَربوعي، وكان يُسمّى الجَفُول.

قال حصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ: لما صدر رسول الله ﷺ من حجّة الوداع سنة عشر، وقدم المدينة بعث المصدِّقين في أول المحرم في العرب، فبعث مالك بن نُويرة على صدقات بني يربوع، وكان قد أسلم، وكان شاعراً.

وقال أبو قتادة: كنا مع خالد بن الوليد حين خرج إلى أهل الردّة، فلما نزل البُطاح ادّعى أن مالكاً ارتد، واحتجَّ عليه بكلام بلغه عنه، فأنكر مالك ذلك، وقال: أنا على الإسلام، وما غيَّرتُ ولا بَدَّلتُ، وشهد له أبو قتادة وعبد الله بن عمر، فقدَّمه خالد، وأمر ضِرار بنَ الأزور الأسدي فضرب عنقه، وكان من أكثر الناس شَعراً، وقبض خالد امرأة مالك، وهي أم تميم، فتزوَّجها، وبلغ عمر بن الخطاب ما فعل، فقال لأبي بكر: إنه قد زنى فارجمه، فقال أبو بكر: إنه تأوَّلَ فأخطأ، ما كنت لأُشيمَ سيفاً سَلَّه الله عليهم أبداً.

وقال التبريزي: كان مالك قد أسلم قبل وفاة رسول الله ﷺ وتَصدَّق، وكان عريف [ثعلبة بن] يربوع، فقُبض رسول الله ﷺ وإبلُ الصَّدقةِ برَحْرَحان، وهو ماءٌ دُوين بطنِ نخل، كثير الكلأ، فأغار عليه مالك، فاقتطع منها ثلاث مئة، فلما قدم بلاد بني تميم لامه الأقرع بن حابس وضِرار بن القعقاع، وبلغ مالكاً أن الأقرع وضرار يمشيان به [في] بني تميم، فقال يُعتبهما، ويدعو على ما بقي من إبل الصدقة: [من البسيط]

---

(١) انظر الاستيعاب (٢٠٧٠)، والإصابة في ترجمة فروة.

(٢) انظر الاستيعاب (٢٩٩١)، والإصابة.

(٣) سلف ذكر مالك في حروب الردة وخبره مطولاً.

أَرانــي الله بــالــنَّـعَـم الــمـنَـدَّى ... بــبُــرْقَــةِ رَحْــرَحــان وقــد أَرانــي
أإنْ قَــرَّت عــيــونٌ واسـتُـفـيـئـتْ ... غـنـائـمُ قـد يـجـودُ بـهـا بَـنـانـي
حـويـتُ جـمـيـعَـهـا بـالـسـيـف صَـلْـتـاً ... ولــم تُــرْعَــد يــداي ولا جَــنــانــي
تَـمَـشّـى يـا ابـن عَـوْذَةَ فـي تـمـيـم ... وصـاحـبُـك الأُقـيـرع تَـلْـحَـيـانـي
فـقـل لابـن الـمـذَبِّ يَـغـضُّ طَـرْفـاً ... عـلـى قـطـع الـمـذَلَّـةِ والـهـوانِ[(١)]

من أبيات.

فلما قام أبو بكر، وبلغه قول مالك بعث خالد بن الوليد إلى مالك وقومِه، وقال: إن سمعتَ فيهم مؤذِّناً فلا تَقتلْ منهم أحداً، وعزم [على] خالد أنْ يَقتل مالكاً إنْ أخذه، فأقبل خالد حتى نزل الجَوَّ جَوَّ البعوضة وبه بنو يربوع، فبات عندهم ولا يخافونه، ثم مرَّ ببني غُدانة وبني ثعلبة، فلم يَسمع فيهم مُؤذّناً، فأوقع بهم، فثاروا ولا يدرون مَن أوقع بهم، ولا مَن بَيَّتَهم، فلما رأوا الجيش قالوا: ما أنتم؟ قالوا: المسلمون، وكان مالك فيهم، فقال: ونحن المسلمون أيضاً، فلم يَسمع منهم، ووضعوا فيهم السيف، وأَعجل مالك عن لبس السِّلاح، وقُتلت غدانة وثعلبة أشدَّ القتل، وقامت ليلى بنت سنان بن ربيعة بن حنظلة امرأة مالك عريانة دون مالك، فأنفذت الرِّماح ساقيها، ولبس مالك أدَاتَه، وخرج فنادى: يا آل عبيد، فلم يُجبْه أحدٌ غير بني بَهان، ففرغ خالد منهم، وبقي مالك، فقال له خالد: يا ابن نويرة هلمَّ إلى الإسلام، فقال مالك: وتعطيني ماذا؟ فقال: أُعطيك ذِمَّةَ الله وذِمَّة رسوله وذِمَّة أبي بكر وذمة خالد أنْ لا أجاوزَ إليك، وأن أقبلَ منك، فأعطاه مالك يدَه وخالد على تلك العزيمة من أبي بكر في قتله، فقال: يا مالك إني قاتلُك، فقال: لا تقتلني، فقال: لا بدّ، وأمر بقتله، فتهيب المسلمون ذلك، وقال المهاجرون: أتقتل رجلاً مسلماً، وقد أعطيتَه ذمَّةَ الله وذمة رسوله، فقام ضِرارُ بن الأَزْوَر من بني كُوز، فقتله، وقيل: قتله عَبد بن الأزور أخو ضرار، وأقبل المِنْهال بن عِصمة الرِّياحي، فكفَّنَ مالكاً، ودَفنه، فذلك قول متمم: [من الطويل]

لـقـد كـفَّـنَ الـمِـنـهـالُ تـحـت ردائـه ... فتىً غيرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أَرْوَعا[(٢)]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمُتَمّم بن نويرة: ما بلغ من حُزنك على أخيك؟ فقال:

(١) شرح الحماسة للتبريزي ٢/ ١٤٩، وطبقات ابن سلام ٢٠٥-٢٠٦، والأغاني ١٥/ ٣٠٥، والخزانة ٢/ ٢٥.

(٢) في (أ) و(خ): لعمري لقد كفن، وكلمة لعمري، أول بيت في هذه القصيدة، وباقي البيت: =

لقد مكثتُ سنة ما أنام بليلٍ حتى أُصبح، وما رأيت ناراً رُفعت بلَيلٍ إلا ظننتُ أن نفسي ستخرج، أذكرُ بها نارَ أخي، إنه كان يَأمرُ بالنار فتُوقد حتى يُصبح، مخافةَ أن يبيتَ ضيفُه قريباً منه، فمتى رأى النار يلوي إلى الرحل وهو بالطيف يأتي متهجداً أسر من القوم يقدم عليهم القادم لهم من السفر البعيد، فقال عمر: أكرم به.

وقال عمر يوماً لمتمم: خَبِّرنا عن أخيك، قال: يا أمير المؤمنين لقد أُسرتُ مرَّةً في حيٍّ من أحياء العرب، فأقبل أخي، فما هو إلا أن طَلع على الحاضر، فما أحدٌ كان قاعداً إلا قام، ولا بقيت امرأة إلا تَطلَّعتْ من خِلال البيوت، فما نزل عن جمله حتى لقوه بي في رمتي، فحلَّني هو، فقال عمر: إن هذا لهو الشرف.

ورثى متمم أخاه مالكاً، من أبيات[1]: [من الطويل]

وكنّا كنَدْمانَيْ جَذِيمةَ حِقبَةً ... من الدَّهر حتى قيل لن يَتصدَّعا
وعِشْنا بخيرٍ في الحياة وقبلَنا ... أصاب المنايا رهطَ كسرى وتُبَّعا
فلما تَفرَّقْنا كأني ومالكاً ... لطُول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا
لقد غَيَّبَ المِنهالُ تحت ردائه ... فتىً غيرَ مِبْطانِ العَشِيَّات أَروعا
تَراه كنَصْلِ السَّيفِ يَهتزُّ للنَّدى ... إذا لم تجد عند امرئ السوءِ مَطْمَعاً
وما كان وَقَّافاً إذا الخيل أَحْجَمت ... ولا طالِباً من خَشْيَةِ الموتِ مَفْزَعَا
ولا بكَهَامٍ سيفُه عن عدوِّه ... إذا هو لاقى حاسراً أو مُقَنَّعا
وإني متى ما أدعُ باسمِك لم تُجِبْ ... وكنتَ حَرِيَّاً أن تُجيبَ وتسمعا
تحيَّتُه منِّي وإن كان نائياً ... وأَمسى تُراباً فوقه الأرضُ بَلْقَعا
وما شارِفٌ حَنَّتْ حنيناً ورَجَّعتْ ... أنيناً فأبكى شَجْوُها البَرْكَ أجمعا
ولا ذاتُ أَظْآرٍ ثلاثٍ رَوَائمٍ ... رأَيْنَ مَجَرّاً من حُوارٍ ومَصْرَعَا

= لعمري وما دهري بتأبين هالك ... ولا جزع مما أصاب فأوجعا

انظر المفضليات ٥٢٦، وشرحه لابن الأنباري ٢/ ٦٤، وللتبريزي ١١٦٧، وأمالي اليزيدي ١٨، وطبقات ابن سلام ٢٠٩، والأغاني ١٥/ ٣٠٧، والعقد الفريد ٣/ ٢٦٣-٢٦٤، وشرح الحماسة للتبريزي ٢/ ١٥٠، والخزانة ٢/ ٢٧، وغيرها كثير.

(١) سلف تخريج القصيدة، وسياق القصيدة هنا مختلف عن المصادر.

بـأَوجـدَ مـنّـي يـوم قـامَ بـمـالـكٍ   مُـنـادٍ فَـصـيـحٌ بـالـفِـراقِ فـأَسْـمـعـا
سَـقـى اللهُ أرضـاً حَـلَّـهـا قـبـرُ مـالـكٍ   ذِهـابَ الـغَـوادي الـمُـدْجِـنـاتِ فـأَمْـرَعـا
وآثَـرَ بـطـنَ الـوادِيَـيْـنِ بـمُـزْنَـةٍ   تُـرَشِّـحُ وسْـمِـيّـاً مـن الـنَّـبـتِ خِـرْوَعـا

وقال الرِّياشِيّ: صلى أبو بكر ﷺ ومُتَمّمٌ خلفَه، فقام مُتَمّم، وبكى بكاءً شديداً وقال: [من الكامل]

نِـعْـمَ الـقـتـيـلُ إذا الـرِّيـاحُ تَـنـاوَحَـتْ   بـيـن الـبُـيـوتِ قـتـلـتَ يـا ابـن الأَزْوَرِ
لا يُـضْـمِـرُ الـفَـحـشـاءَ تـحـت رِدائـه   حُـلْـوٌ شَـمـائـلُـه عَـفـيـفُ الـمِـئـزرِ
أَدَعَـوْتَـه بـالله ثـم قـتـلـتَـه   لَـوْ هُـو دَعـاكَ بـذِمَّـةٍ لـم يَـغْـدِرِ

ثم بكى حتى سالت عينُه العوراء، فقال أبو بكر ﷺ: والله ما دعوتُه ولا قتلتُه[(١)].

وقال متمم: [من الطويل]

لقد لامَني عند القبورِ على البُكا   رَفيـقي لتَذْراف الدُّموعِ السَّوافِكِ
فـقـال أتَـبـكـي كـلَّ قـبـرٍ رأيـتَـه   لـقـبرٍ ثَـوى بـيـن الـلِّـوى فـالـدَّكـادِكِ
فقلتُ له إن الشَّجا يَبعثُ الشَّجا   فـدَعْـنـي فـهـذا كـلُّـه قـبـرُ مـالـكِ[(٢)]

مسعود [بن سنان]

من الطبقة الثانية من الأنصار، حضر مع عبد الله بن عَتيك مَقتل سَلاّم بنِ أبي الحقيق، وهو ممن شهد اليمامة، [واستُشهد فيها][(٣)].

مَعْن بن عديّ

ابن الحارث بن العَجْلان، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبةَ مع السّبعين، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن الخطاب، واستُشهدا جمعياً يوم اليمَامة[(٤)].

(١) التعازي والمراثي للمبرد ٢٠، والأغاني ١٥/ ٣٠٦.
(٢) التعازي والمراثي ٨٨، والعقد الفريد ٣/ ٢٦٢-٢٦٣، وشرح ديوانه الحماسة للمرزوقي ٧٩٧، وللتبريزي ٢/ ١٤٨.
(٣) انظر الاستيعاب (٢٤٤٠)، وسيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٤، والبداية والنهاية ٩/ ٥٠٥.
(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٥، والاستيعاب (٢٤٣٠)، والمنتظم ٤/ ٩٦.

السنة الثانية عشرة من الهجرة

قد ذكرنا انفصال خالد عن اليمامة، وكتاب أبي بكر رضوان الله عليه إليه بالمسير إلى العراق، فمن الناس مَن يقول: إنه رجع من اليمامة إلى المدينة، فقَدم على أبي بكر، فأوصاه بما يَعتمده، ثم سار إلى العراق. ومنهم مَن يقول: إنه سار من اليمامة إلى العراق، وهو الظاهر، فسار بمَن معه من بني تميم وأسد وقيس وعبد القيس والمهاجرين، وجاءه كتاب أبي بكر ﷺ: أن دوخ[1] العراق من أسفلها، فابدأ بفَرْج الهند، وهو الأُبُلَّة، وفارس، وتألَّف تلك الأمم[2].

فخرج من اليمامة في أول المحرَّم من هذه السنة، فسلك على طريق الكوفة، فانتهى إلى السَّواد، فنزل بقُرَيّات يقال لها: بانِقْيا وبارُوسْما وأُلَّيْس، وبها رجل يقال له: ابنُ صَلوبا، فصالحه على أهلها، فقبل خالد منه الصُّلح والجِزية، وكتب له كتاب أمان نُسختُه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابُ أمانٍ من خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله لابن صَلوبا السَّواديّ، ومنزلُه على شاطئ الفرات، إنه آمن بأمان الله تعالى، إذ حقن دمَه بأداء الجزية، وله ذِمَّةُ الله وذمة رسوله والمؤمنين. وأشهد في الكتاب أخاه هشام بنَ الوليد.

ثم سار، فنزل الحيرة وبها إياس بنُ قَبيصَة الطائي، وكان كسرى قد ولَّاه إمارةَ العرب بعد النعمان بن المنذر، فلما رأى جيوش خالد خرج إليه في أعيان العرب وأشرافهم، فقال لخالد: ما الذي أَقدمك علينا؟ فقال: أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن أَجبتُم فأنتم من المسلمين، وإن أَبيتُم فالجزية، فإن أَبيتُم جاهدتُكم برجالٍ هم أحرص على الموت منكم على الحياة، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، فقال له إياس: ما لنا بحربك من طاقة، بل نُقيم على ديننا، ونُصالحك على ما نَتَّفق عليه، فصالحه على تسعين ألف درهم كل سنة، وضمَّ خالد تلك إلى ما صالح عليه ابن صَلوبا، وبعث بها إلى أبي بكر ﷺ فكانت أول جزية وقعت بالعراق.

---

(١) كذا، والذي في الطبري ٣/ ٣٤٣، والمنتظم ٤/ ٩٧: أن يدخل العراق من أسفلها.

(٢) في الطبري ٣/ ٣٤٣: وابدأ بفرج الهند وهي الأبلة، وتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم.

حديث عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حَيّان بن بُقَيْلة مع خالد بن الوليد

قال محمد بن السائب الكلبي: سار خالد من اليمَامة إلى العراق فنزل النِّباج. قال الجوهري: النِّباجُ: قريةٌ بالبادية، أحياها عبد الله بن عامر فيما بعد(١). وكان المثنّى بن حارثة نازلاً بخَفَّان، وكان لمّا قَدِم على أبي بكرٍ قال له: أمِّرني على مَن قِبَلي من قومي أكفِكَ أهلَ فارس، فأَمَّره، وقد ذكرناه. وكان مُقيماً بخَفَّان ويُغير على أسفل الفُرات.

وقال المدائني: وهو أوّلُ من حارب الفُرسَ في أيام أبي بكرٍ. ولما نزل خالد النِّباج كتب إلى المثنى أن يَقدُم عليه، وبعث إليه بكتاب أبي بكرٍ يأمُره فيه بطاعة خالد. فسار المثنى إليه، وسار خالد والمثنى يَشُنّان الغارة على البلاد، والمثنى على مُقدّمته، فعرض لهما جابان صاحبُ أُلَّيْس، فبعث إليه خالدٌ المثنى، فهزمه وقتل مُعظم أصحابه، وكانت الوقعةُ إلى جانب نهرٍ، فجرى ذلك النهرُ من دماء أصحاب جابان، فسُمّي نهرَ الدم إلى اليوم. ثم إن جابان صالحهم على مالٍ فقبلوه، وأقبلوا نحو الحيرة فلقيتهم خيول زاديه صاحبُ خيل كسرى بمجمع الأنهار، وكانت مَسالح بينه وبين الحجاز، فهزمهم المثنى.

ولما رأى ذلك أهلُ الحيرة خرج أشرافُهم للقاء خالد، وفيهم إياسُ بن قبيصة وعبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيّان بن بُقيلة، فجلسوا إلى خالد، فأقبل على عبد المسيح فقال له: من أين أقصى أثرِك؟ قال: من ظهر أبي، قال: من أين خرجتَ؟ قال: من بطن أمّي، قال: على أيِّ شيءٍ أنت؟ قال: على الأرض، قال: ففي أيِّ شيءٍ أنت؟ قال: في ثيابي، قال: ابنُ كم أنت؟ قال: ابنُ رجلٍ واحد، قال: ويلك أتَعقِل؟ قال: نعم وأُقيِّد، قال خالد: إنما أسألُك، قال: وأنا أُجيبُك، قال خالد: ما رأيتُ كاليوم، أسأله عن شيءٍ ويَنحو في غيره. فقال: ما أنبأتُك إلا عما سألتني، فقال خالد: أعربٌ أنتم أم نَبَط؟ قال: عربٌ استَنْبَطنا، ونَبَطٌ استعربنا، قال: فكم أتى لك؟ قال:

(١) الصحاح (نبج).

خمسون وثلاث مئة سنة. قال: فما أَدْرَكْتَ؟ قال: السُّفن تأتي في هذا البحر ـ يعني النَّجف ـ بمتاع السِّند والهند، ورأيتُ المرأة تضعُ على رأسها المِكْتَل، لا تتزوَّد إلّا رغيفاً واحداً حتى تأتي الشام، ثم أصبحت الدنيا اليومَ خراباً. فقال خالد: أسِلْمٌ أنت أم حَربٌ؟ قال: سِلْم. قال: فما هذه الحصونُ التي أرى؟ قال: بنيناها للسَّفيه نحبسُه عنَّا حتى يأتي الحليمُ فينهاه. فقال له خالد: فإني أدعوكم إلى الاسلام، [فإن أبيتم فالجزية] فإن أبيتُم قاتلتكم برجالٍ يحبُّون الموت كما تُحبُّون شُربَ الخمر، فقال: لا حاجة لنا بقتالكم. فصالحه على تسعين ومئة ألف درهم. وفي رواية ابن الكلبي: فهي أول جزيةٍ حُملت من العراق.

قال: ونظر خالد إلى عبد المسيح فرآه يُقلِّبُ شيئاً في يده، فقال له: ما هذا؟ قال: سَمُّ ساعةٍ، قال: وما تَصنع به؟ قال: إن وجدتُ عندك ما يُوافقُني وقومي قبلتُه، وإلا لم أكن بأول مَن ساق إلى قومه ذُلّاً وشراً، فأشربه فأستريح من الحياة، فقال له خالد: فهاته، فناوله إياه، فقال خالد: بسم الله وبالله رب السماوات والأرضين الذي لا إله إلا هو، لا يضرُّ مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ثم أكله فتجلَّلَتْه غَشيةٌ، وضرب بذَقنه على صدره، ثم عَرِقَ، وأفاق كأنما أُنشِط من عِقال، فرجع عبد المسيح إلى قومه، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: جئتُكم من عند شيطانٍ أكل سَمَّ ساعةٍ فلم يضرَّه، فصالحوه على ما أراد، فهذا أمره معمول لهم، فصالحوه، وشرط عليهم خالد أن يكونوا عوناً للمسلمين، فدخلوا تحت شرطه، وكان عبدُ المسيح نصرانياً عاش خمسين وثلاث مئة سنة وقد ذكرناه. وهو الذي بعثه كسرى إلى سطيح بالشام يسألُه عن رؤياه، وقد ذكرناه.

وفي روايةٍ عن هشام عن أبيه قال: لما نزل خالدُ الحيرةَ تَحصّن منه أهلُها، فأرسل إليهم: ابعثوا إليَّ رجلاً من عُقلائكم، فبعثوا عبد المسيح، فلما أتى خالداً قال له: أنعِم صباحا أيها الملكُ؟ فقال خالد: قد أغنانا الله عن تَحيَّتك، وذكر بمعنى ما تقدَّم(١).

---

(١) انظر كتاب الردة للواقدي ٢٢٧ـ٢٢٨، وتاريخ الطبري ٣/ ٣٤٤ـ٣٤٥، وفتوح البلدان ٢٤٤ـ٢٤٥، ومروج الذهب ١/ ٢١٦ والبيان والتبيين ٢/ ١٤٧، وأمالي المرتضى ١/ ٢٦٢، والمنتظم ٤/ ٩٨ـ١٠٠، وأعمار الأعيان ١١٨ـ١٢٠، وفيه فضل تخريج.

وذكر ابنُ أبي الدنيا أن بعض أهل الحيرة خرج إلى ظاهرها، فحفر بئراً قريباً من ديرٍ خرابٍ فإذا كهيئة البيت، ورأى فيه رجُلاً على سريرٍ من زُجاجٍ، وعند رأسه مكتوب: أنا عبد المسيح بن عمرو بن بُقيلة، عشتُ ثلاث مئةٍ وخمسين سنةً حاكماً على الحيرة، ثم جاءني الموتُ فصيَّرني كما ترى، وتحته مكتوب: [من الوافر]

حلبْتُ الدهرَ أَشْطُرَهُ حياتي ... ونِلْتُ من المنى فوق المزيدِ
وكافَحْتُ الأمورَ وكافحتني ... ولم أحفَلْ بمُعْضلةٍ كَؤودِ
وكِدْتُ أنالُ في الشَّرف الثُّريا ... ولكن لا سبيلَ إلى الخُلودِ[1]

فصلٌ في ذكر من عاش ثلاث مئة سنةٍ فما زاد[2]

قال الكلبي: عاش قُسُّ بن ساعدة ثلاث مئة وثمانين سنةً. وقد وهم، والصحيح مئةٌ وثمانون سنةً وقد ذكرناه في صدر السيرة.

وعاش كعبُ بنُ حُمَمَة الدَّوْسي ثلاث مئة وتسعين سنةً، وعاش الرَّبيع بن ضَبُع الفَزاري ثلاث مئة وثمانين سنةً منها ستون سنةً في الإسلام، وعاش المُسْتَوْغِر بنُ ربيعة ثلاث مئة وعشرين سنة وقال: [من الكامل]

ولقد سئمتُ من الحياة وطُولِها ... وعَمَرْتُ من بعد السنين مِئينا
مئةٌ حَدَتْها بعدها مئتان لي ... وازدَدْتُ من بعد الشُّهور سِنينا
هل ما بَقى إلّا كما قد فاتني ... يومٌ يَمرُّ وليلةٌ تَحدونا

فأما من عاش ثلاث مئةٍ فخلقٌ كثيرٌ، منهم: ذو الإصْبَع العَدْواني واسمه: حُرْثان ابن مُحرِّث بن الحارثِ بن ربيعة، وهو أحدُ حُكَّام العرب في الجاهلية.

وروى الهيثم بن عديّ عن مِسْعَر بن كِدام، حدثنا سعيد[3] بن خالد الجَدَلي قال: لمّا قَدِم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مُصعب دعا الناس، فأتيناه فقال: مَن

(١) أمالي المرتضى ١/ ٢٦٣، والمنتظم ٤/ ١٠٠.
(٢) هذا الفصل من (ك)، وليس في (خ) و(أ)، والمصنف ينقل من كتاب جده أعمار الأعيان ١١٤ ـ ١٢٣، وانظر فضل تخريج فيه.
(٣) وكذلك هو في أعمار الأعيان ١١٤، وأمالي المرتضى ١/ ٢٤٩، وصوابه: معبد، انظر جمهرة ابن حزم ٢٤٤، والأغاني ٣/ ٩١.

القومُ؟ فقلنا: جَدِيلة، فقال: جَدِيلةُ عَدْوان؟ قلنا: نعم، فتمثّل عبد الملك: [من الهزج]

عَـذيـرَ الـحـيِّ مـن عَـدْوا ... نَ كـانـوا حـيَّـةَ الأرضِ
ومـنـهـم كـانـت الـسَّـادا ... تُ والـمُـوفـون بـالـقَـرْضِ
ومـنـهـم حَـكَـمٌ يـقـضـي ... فـلا يُـنْـقَـضُ مـا يَـقـضـي

ثم أقبل على رجلٍ كنا قدَّمناه أمامنا، جَسيمٍ وسيمٍ، فقال: لأيّكم هذا الشعرُ؟ فقال: لا أدري، فقلتُ من خَلْفه: لحُرْثان، فقال: لِمَ سُمِّي ذا الإصبع؟ فقال: لا أدري، فقُلتُ: نَهشتْه حيَّةٌ في إصبعه، فقال: من أيّكم كان؟ فقال: لا أدري، فقلتُ: من ناجٍ.

فأقبل على الجَسيم وقال: كم عطاؤك؟ قال: سبعُ مئة درهم، ثم أقبل عليَّ فقال: كم عطاؤك؟ قلتُ: أربع مئة درهم. فقال: يا أبا الزُّعَيْزِعَة، حُطَّ من عطاء هذا ثلاث مئةٍ، وزِدْها في عطاء هذا، يُشيرُ إليّ.

ومنهم عمرو بن حُمَمَة الدَّوسي، وكان حاكما أيضاً على العرب، وهو القائل: [من الطويل]

تـقـول ابـنـتـي لـمّـا رأتـنـي كـأنَّـنـي ... سَـلـيـمُ أفـاعٍ لـيـلُـهُ غـيـرُ مُـودَعِ
ومـا الـموتُ أفـنـانـي ولـكـنْ تـتـابـعـتْ ... عـلـيَّ سـنـونٌ مـن مَـصِـيـفٍ ومَـرْبَـعِ
فـأصـبـحـتُ مـثـلَ الـنَّـسْـرِ طـارت فِـراخُـه ... إذا رامَ تَـطـيـاراً يُـقـالُ لـه قَـعِ
أُخـبِّـرُ أخـبـارَ الـقُـرونِ الـتـي مـضـت ... ولا بُـدَّ يـومـاً أن يُـطـارَ بـمَـصْـرعـي

ومنهم ذو جَدَن الحِميريّ، وشريةُ بن عبد الله الجُعْفي بن سعد العشيرة، وأدرك الإسلام في زمان عمر، وكذا عبيد بن شَرِيَّة الجُرْهمي، وأسلم ووفد على معاوية في آخرين.

وقال ابن قتيبة: عاش عَبيد بن الأبرص ثلاث مئة سنة(١).

كتاب خالد إلى الفرس الذين بالمدائن

روى مجالد عن الشعبي أنه وقف عليه، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد

(١) أعمار الأعيان ١١٧.

ابن الوليد إلى مَرازِبة أهل فارس، سلامٌ على مَن اتَّبع الهدى، أما بعد، فالحمد لله الذي سَلبكم مُلكَكم، وفضَّ جُموعَكم، ووَهَّن كيدَكم، وإنه مَن صلَّى صلاتَنا، وأكل ذَبيحَتَنا فهو المسلم الذي له ما لنا، وعليه ما علينا، فإذا جاءكم كتابي هذا فابعثوا إلي بالرُّهُن، واعتَقدوا مني عقد الذِّمَّة، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثَنَّ إليكم قوماً يُحبون الموتَ كما تُحبون الحياة، والسلام. فلما قرؤوا كتابَه جعلوا يَتعجَّبون[1].

وقال سيف: لمّا فرغ خالد من اليمامة كتب إليه أبو بكر رضوان الله عليه: إنِ اللهُ فتح عليك فاقصد العراق حتى تلتقي عِياضَ بنَ غَنْم، وهو بين النِّباج والحجاز، وكتب إلى عياض أنْ سِرْ حتى تأتي المُصَيَّخ فابدأ بها، ثم ادخل العراق من أعلاها وعارِقْ حتى تلتقي خالداً، وأْذَنا لمِن شاء بالرجوع، ولا تَفتح العراق بمُتكاره.

واستمدَّ خالد أبا بكر، فأمدَّه بالقعقاع بن عمرو التميمي وحدَه، فقيل: أتمدّه برجلٍ واحد؟ فقال: لا يُهزم جيشٌ فيه مثل القعقاع، وأمدّ عِياضاً بعَبد بن يَغوث الحِميري، وكتب إليهما: استَنفِرا مَن ثَبت على الإسلام، ولا يَحضُرنَّ معكم مرتدّ، فلم يشهد تلك الأيام مرتدّ.

فقدم خالد الأُبُلّة، وكان أبو بكر قد أمرهم بفَرْج الهند، وكان على موضع البصرة من قبل الفرس، قُطبة بن قتادة السَّدوسي، وعلى الأُبُلّة هرمز في ثمانية عشر ألفاً[2] ـ فكتب خالد إلى هُرمز: أما بعد، فأَسلِم تَسلَم، أو أَقِرَّ بالجزية، وإلا فلا تَلُومَنَّ إلا نفسَك، فقد جئتُك بقومٍ يُحبون الموت كما تحبون الحياة.

ولم يَسلك خالد بالجيش جُملة، وإنما فَرّقهم في ثلاث طُرق، فسرَّح المثنى قبله بيومين ودليلُه ظَفَر، وسَرَّح بعده عَديَّ بن حاتم وعاصم بن عمرو، [ودليلاهما مالك بن عباد] وسالم بن نَصْر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، وخرج خالد ودليله رافع بن عمرو، ووعدهم جميعاً الحَفير ليجتمعوا هناك، ويُصادموا هُرمزاً، وكان فَرْجُ الهند ـ وهو الأُبُلّة ـ أعظمَ بلاد فارس شأناً، وأشدّه شَوكةً، وكان صاحبُه يُحارب العرب في البرّ، وأهلَ الهند في البحر.

---

(١) كتاب الردة ٢٢٥، والطبري ٣/ ٣٤٦، والمنتظم ٤/ ١٠٠ـ١٠١.

(٢) كذا، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٣٤٣ وما بعدها، والمنتظم ٤/ ١٠١.

وبعث هُرمز إلى [شيري بن] كسرى يَستمدُّه ويُخبره، ثم تَعجَّل إلى الكواظم في سَرَعان الناس ليَلقى خالداً على الحَفير، فبادروهم، ونزل به، وتَهيَّأ للقتال، فجعل على مجنبته أخويه قُباذاً وأَنُو شجان ـ وقيل: إنهما كانا أخوين لأَرْدشير ـ واقترن القوم في السلاسل، فقال بعضهم: هذا طائرٌ مَشؤوم، قَيَّدتُم نفوسَكم لعدوّكم في السلاسل، فلم يلتفتوا، وقالوا: لعلكم تُريدون الهرب.

وكان هرمز سيِّءَ الجِوار للعرب، وهم له كارهون، وكانوا يَضربون المثَلَ بخُبْثِه فيقولون: أخبث من هرمز، وكان هُرمز قد سبق إلى الماء، فعطش المسلمون، فأرسل الله غَمامة، فشربوا منها.

والتقى الفريقان، فقال هُرمز لأصحابه: إذا بارزتُ خالداً فافتُكوا به، ونادى هرمز: ليَبرز إليَّ خالد، فبرز إليه، فتجاولا، واختلفا ضربَتين، واحتضنه خالد، وحمل أصحاب هُرمز عليه، فما شغله ذلك عنه حتى قتله، فلما قتله انهزمت الفُرس، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل، ومنعتْهم السلاسلُ من الهزيمة، فقُتلوا وغَنمهم المسلمون.

وقُتل من أهل فارس ثلاثون ألفاً سوى مَن غَرق، وقسم خالد الغنائم، وبعث بالأخماس إلى أبي بكر مع سعيد بن النعمان، وبعث بالسّلاسل أيضاً، فكانت وِقْرَ ألفِ بعير، على كلِّ بعير ألفُ رطل بالعراقي، فسُمّيت غزاة ذات السلاسل.

وكان فيما بعث خالد إلى أبي بكر رضوان الله عليه قَلنسوة هرمز، وهي مُرَصَّعة بالجَوْهر، وقيمتُها مئةُ ألف درهم ـ وكان أحدهم إذا تم شَرفه جعل قلنسوتَه كذلك ـ وبعث معها بفيلٍ، فكان يُطاف به في المدينة، ويَتعجَّبُ منه الناس، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه أعاد القلنسوة إلى خالد، نَفَّله إياها، وكان يَلبَسها في الحرب.

ثم سار خالد فنزل الجسر الأعظم بالبصرة، وسار المثنّى في آثار القوم، وأرسل معقل بن مُقَرِّن إلى الأُبُلّة فجمع الأموال والسبايا.

وقال الطبري: كانت وقعة الأُبُلّة في سنةأربع عشرة على يد عتبة بن غزوان في أيام عمر رضي الله عنه[1].

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٣٥٠.

ولم يُزعج خالد أهلَ العراق لوصيّة أبي بكر، وإنما كان يَسبي أولادَ المقاتلة، وسار المثنى بن حارثة حتى انتهى إلى النهر المعروف بنهر المرأة، وعليه حصن فيه امرأة، فحاصره، وفتحه، وتزوَّج المرأة.

قصة الحيرة

كان بها مرزبان يقال له: آزاذبه، وقد بلغ نصف الشَّرَف، وقيمةُ قَلَنْسوته خمسون ألفاً، فلما أخرب خالد أَمْغِيشيا علم أنه غيرُ مَتروك، فتهيّأ للحرب، وقَدَّم ابنَه، ثم خرج في أثره، فعسكر خارجاً من الحيرة، وتُسمّى الحيرة فُرات بادَقْلَى وأمر ابنَه بسدّ الفرات، وأقام ابنُ آزاذبه على جانب الفرات، [ولما استقل خالد من أمغيشيا، وحمل الرجال في السفن مع الأنفال والأثقال، لم يفجأ خالد إلا والسفن جوانح، فارتاعوا لذلك، فقال الملّاحون: إن أهل فارس فجّروا الأنهار، فسلك الماء غير طريقه، فلا يأتينا الماء إلا بسدّ الأنهار، فتعجّل خالد في خيل نحو ابن آزاذبه، فتلقاه وجنده على فم فرات بادَقْلَى، فاقتتلوا فأنامهم، وفجّر الفرات] وسدّ الأنهار(١)، فعاد الماء إلى مجراه فجرت السفن، وبلغ آزاذبه مُصابَ ابنه، فقطع الفرات إلى المدائن.

وجاء خالد فنزل الخَوَرْنق والسَّدير والنَّجف، وحاصر قُصور الحِيرة، ودفع كلَّ قصر إلى قائدٍ من قُوَّاده، فحاصر ضرار بن الأزور القصر الأبيض، وفيه إياس بن قَبيصة الطائي ـ وقد ذكرنا وفاة ضرار بن الأزور فيما تقدَّم، فإن صحّت هذه الرواية فقد تأخَّرت وفاتُه ـ وحاصر ضرار بن الخطاب قصرَ الفرس(٢)، وفيه عَديّ بن عَديّ، وحاصر المثنّى بن حارثة قصر ابن بُقَيْلة [وفيه] عبد المسيح، [فدعوهم جميعاً]، وأَجَّلُوهم يوماً، فأبى [أهلُ] الحيرة، فناوشهم المسلمون.

فكان أوَّل القُوَّاد أنشب القتال ضرار بن الأزور، وصَبَّح كلُّ أميرٍ ثَغْرَه، فأكثروا فيهم القتل، فصاحوا: كُفُّوا عنا، وأوّلُ من طلب الصلح عبد المسيح بن بقيلة(٣)، ونزل أشرافُهم إلى خالد، فخيَّرهم بين الدُّخول في الإسلام، وبين [الجزية، وبين]

(١) ما بين معكوفين من تاريخ الطبري ٣/ ٣٥٩.

(٢) وكذا جاء في المنتظم ٤/ ١٠٤، وفي الطبري ٣/ ٣٦٠: العدسيّين.

(٣) في الطبري ٣/ ٣٦١، والمنتظم ٤/ ١٠٤: عمرو بن عبد المسيح، وقد سلف لعبد المسيح ذكر، وسؤال خالد له.

المناجزة، فاختاروا الصُّلح، وأَدَّوا الجِزية، وصالحوه كلَّ سنة على مئة ألف وَتسعين ألف درهم، وأهْدَوا له هدايا، فبعث بالهدايا والفتح إلى أبي بكر رضوان الله عليه فقبلها، وكتب إلى خالد: احسب لهم هداياهم من الجزية.

وكان هذا الفتح في ربيع الأوّل [من هذه] السنة، ثم إنهم كفروا بعد موت أبي بكر رضوان الله عليه، ومنعوا ما كانوا يُؤَدُّونه، فحاربهم المثنى فأذعنوا، ثم كفروا، فقاتلهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأجلاهم، لما نذكر.

قصة سُويد بن مُقَرّن[1] مع كَرامة بنت عبد المسيح

ولما فتح خالد الحيرة قام شُوَيل وقال: يا خالد، سمعت رسول الله ﷺ يَذكر فتح الحيرة ويقول: «كأن [شُرَفَ] قصورها أضراسُ الكلاب»[2]، وكانت قد وُصفت له كَرامة، فسألته إياها، فقال رسول الله ﷺ: «إذا فُتحت عَنوة فهي لك»، فقال خالد: مَن يشهد لك؟ فقام جماعة، فشهدوا له، فلما حاصر خالد القصر الذي هي فيه، أرسل أبوها عبد المسيح يسألُه الصُّلح عليها، فأبى خالد، وقال: لا بد منها، فقال أبوها: إنكم لم تفتحوا القصر عَنوة، وتوقّف الحال، فقالت كرامة: ادفعوني إليه، ما تخافون عليّ وأنا عجوز قد بلغتُ ثمانين سنة، وسأفدي نفسي، وهذا رجلٌ أحمق، رآني في حال شبيبتي، فظنّ أن الشباب يدوم ففعل هذا، فدفعوها إليه، فخدعتْه وقالت: ما أَرَبُك إلى عجوزٍ كما ترى، فاشترت نفسها منه بألف درهم، وكان يظنُّها شابَّة، فقال: ما أرى إلا عجوزاً، فدفعتها إليه وأطلقها، فقال له خالد: ويحك ما صَنعتَ؟ لو طلبتَ فيها أُلوفاً لأخذتَ، فقال: ما كنتُ أظنُّ عدداً يزيدُ على أكثر من ألف درهم، فقال خالد: أردتَ أمراً وأراد الله غيره. واستقام لخالد ما بين الفَلاليج إلى أسفل السَّواد، وقال هشام: استقام له من الكوفة إلى دجلة التي عليها المدائن.

(١) كذا، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٣٦٤ و٣٦٥، والمنتظم ٤/ ١٠٤، والاكتفاء ٤/ ٩٢ و٩٣، والكامل ٢/ ٣٩١، والبداية والنهاية ٩/ ٥٢٣ : (هجر): شويل رجل من الصحابة. وهو الصواب.

(٢) في النسخ: أبيات للكلاب، والمثبت من الطبري ٣/ ٣٦٦.

وكان المسلمون يَمخرون من أرض العرب إلى دجلة، وليس للفُرس حكمٌ ما بين دجلة والفرات، وخيلُ خالد ما بين الحيرة والأُبُلّة، فأقام على ذلك سنة، وسببُه موت أردشير بن بابك[١]، فإنه توفي في هذه السنة، واختل ملك الفرس فلما علم خالد باختلافهم كتب كتابَيْن إلى خواصّ الفرس، وكتاباً إلى العامّة، فأما كتاب الخاصة ففيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس، الحمد لله الذي حَلَّ نِظامَكم، ووَهَّن كيدَكم، فادخلوا في أمرنا نَدعْكم وأرضَكم، ونَجُوز إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون.

وفي الكتاب الآخر: أَسْلِموا تَسلموا، وإلا فأَدُّوا الجِزية. وتهدَّدهم فيه بمعنى ما تقدَّم من كُتبه، ودعا رجلين من السَّواد، فقال لأحدهما: ما اسمُك؟ فقال: مُرَّة، فقال: خذ هذا الكتاب، وادفعه إلى مَن كُتب إليه، ولعلَّ الله أن يُمِرّ عليهم عيشَهم، وقال للآخر: ما اسمُك؟ قال: هِزْقيل، فقال: اللهمَّ أزهِقْ نفوسَهم، وبعثهما بالكتابَيْن، فلما أوصلاهما وَجدا القوم مختلفي الكلمة، يَخلعون ويُمَلّكون.

قصة الأنبار

وسار خالد إلى الأنبار، فتَحصَّن أهلُها منه، وبعث على مُقدّمته الأقرع بن حابس، وكان بها مَرزبان يقال له: شيرازاد من عظماء الفرس، فصَعِد المرزبان والفرس على السور، وجاء خالد فأحدق بالبلد، وقال للرُّماة: ارشقوهم، واقصدوا عيونهم، فرشَقوهم بالنَّبْل، ففقؤوا عشرة آلاف عين في ساعة، وقيل: ألفُ عين، فسُمِّيت تلك الوقعة ذات العيون، فأرسل المرزبان إلى خالد يَسأله الصُّلْحَ على شيء لم يَرضَه خالد، فلم يُجبه، وقال للعسكر: أَلقُوا ما معكم من رَوَايا الإبل في الخندق في أضيق مكان، ففعلوا، فاقتحم خالد الخندق، فبعث إليه المرزبان يسأله الصُّلح، على أن يُلحِقه بمَأْمَنْه وليس معه شيء، فأجابه.

ودخل البلد فوجد فيه أَنابيرَ الطعام من الحنطة والشعير والعنب والتين، وكان

---

(١) يعني سبب اختلال ملك الفرس في هذه الأماكن.

كسرى يَرزق أصحابَه منه، فلذلك سُمِّي الأنبار، ووجد خالد في الأنبار قوماً يكتبون بالعربية وهم من العرب، فقال: من أنتم؟ فقالوا: من إياد نزلنا ههنا في أيام بختنصَّر(١).

ولما سار خالد عن الأنبار استخلف فيها الزّبرقان بن بدر، وكاتب خالد مَن حول الأنبار؛ مثل أهل كَلْواذى والبَوازيج، فصالحهم، وكانوا عيوناً له من وراء دجلة، يُطالعونه بالأخبار، قال هشام: فلما فَصل خالد عن العراق نقض أهلُ الأنبار الصُّلح، وكذا مَن حولهم.

ذكر موضع بغداد اليوم

كان سوقاً لقُضاعة، فبعث خالد المثنّى، فأغار عليهم، وجمع ما كان فيه، وعاد إلى خالد، وقيل: إن هذه الوَقْعة والغارة كانت بعد انفصال خالد عن العراق في سنة ثلاث عشرة، وسنذكرها إن شاء الله تعالى.

قصة عين التَّمْر

ولما فرغ خالد من الأنبار سار إلى عين التَّمْر، وبها جَمعٌ عظيم من الفرس والعرب، وعلى الفرس مِهران بن بَهرام، وعلى العرب عقَّة بن أبي عقّة، فقال عقّة لمهران: نحن أعرف بقتال بعضنا لبعض فدعني وخالداً، فكلَّمت الفرسُ مهران في ذلك، فقال: إن كانت الغلبةُ لعقَّة فهو فتحٌ لكم، وإن كانت عليه وصلوا إليكم وقد ضَعُفوا، وقد نَهَكَتْهم الحرب، فتَظهروا عليهم.

وخرج عقّة إلى خالد، فالتقوا دون عين التّمر، واقتتلوا، فحمل خالد على عقّة، فأسره وقتل أصحابه، وانهزم الباقون، وبلغ مهران فهرب من الحصن، ونزل فيه مَن انهزم من أصحاب عقّة، وسبى جماعةً من الحصن، ووجد في بِيعة الحصن أربعين غُلاماً يتعلّمون الإنجيل، ففرّقهم في المسلمين، وكان فيهم سيرين أبو محمد بن سيرين، وحُمران مولى عثمان بن عفان، وأبو عمرة جد عبدالله بن عبد الأعلى الشاعر،

---

(١) في الطبري ٣/ ٣٧٥ : فسألهم ما أنتم؟ فقالوا قوم من العرب، نزلنا إلى قوم من العرب، فكانت أوائلهم نزلوها أيام بختنصر، فقال: ممن تعلمتم الكتاب؟ فقالوا: تعلمنا الخط من إياد.

وأبو زياد مولى ثَقيف، ونُصَير أبو موسى بن نُصَير، وابن أخت النَّمِر، ويَسار مولى قَيْس بن مَخْرمة وغيرهم، واستُشهد جماعة من المسلمين في عين التَّمْر نذكر أعيانَهم في آخر السَّنة.

قصة دُومَة الجَنْدَل

ولما فرغ خالد من عين التَّمر استخلف عليها عُويمر بن الكاهن الأَسلمي، وسار إلى دومة الجندل، وكان عليها رئيسان:

أُكَيْدر بن عبدالملك والجُوديّ بن ربيعة، فقال أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا يرى أحدٌ وجهَه إلا انهزم، فصالِحوه، فأبى الجُوديُّ عليه، فقال: لا حاجةَ لي بقتال خالد، وخرج أكيدر من الحصن، فوقع عليه جندُ خالد فقتلوه، واستنفر الجُوديُّ قبائلَ العرب بَهراء وكَلْب وغسّان وتنوخ والضَّجاعم وأحلافهم، والتقوا، وخرج الجوديُّ من الحصن، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، وأُسِر الجُوديُّ فقُتل، وفُتح الحصن، وسبى خالد ابنةَ الجوديِّ، وكانت موصوفةً بالجمال، وقيل: إنها أُسرت فاشتراها خالد، وأقام بدومَة أياماً.

قصة الحُصَيد

ولما فتح خالد دومة الجندل تحرَّكت الفُرس عليه، وكاتبهم عربُ الجزيرة، غضباً لمَن قُتل من أصحاب عقّة وفرسانهم، فرجع خالد إلى الحيرة، وبعث الأقرع بن حابس إلى الأنبار، والقَعقاع بن عمرو إلى مكان يقال له: الحُصيد، وبعث عُروة بن الجَعْد البارقي إلى الخنافس، وفي رواية أن الفرس جَهَّزوا رُوزبة وزَرْمهْر من المدائن يقصدان عين التمر، وكان خالد قد نزل قريباً من الحيرة، وكان خليفتَه على الجزيرة القعقاع بنُ عمرو، وأنه هو الذي رتّب هذا الترتيب، وسار القعقاع بجيوشه، فالتقى رُوزبه وزرمهر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل رُوزبه وزرمهر، وانهزمت الفرس، ولم يَشهد خالد أوَّلَ الوَقْعة وأدرك آخرها، وبعث بالغنائم والسبايا إلى المدينة، فاشترى علي بن أبي طالب ابنة ربيعة بن بُجير، فولدت له عُمر ورُقيّة.

قصة الفِراض

وهو حصن بين العراق والشام والجزيرة، فيه فُرسان وسلاحٌ كثير، وهو مجاور للروم، وعزم خالد على قَصْده، وبلغ الروم فغضبوا، واستعانوا بمَن يليهم من مسالح[1] أهل فارس والعرب: تَغْلب وإياد والنَّمِر وغيرهم، واستخلف خالد على الحيرة عياض بن غنم، وسار إليهم في جيوشهم، والتقَوا والفرات بينهم، خالد من المغرب، وهم من المشرق، فراسلوه وقالوا: إما أن تَعبُر إلينا، أو نَعبر إليك، فقال: بل أنتم فاعبروا، فقالوا: تنحَّ من مكانك حتى نَعبر، فقال: لا نفعل، ولكن اعبُروا أسفلَ منا، فعبروا وكانت بينهم وقعة عظيمة، قُتل منهم مئةُ ألف، وأُسِرَ مَن بقي، وغنم المسلمون أموالهم، وذلك أول ذي القعدة، وقيل: في نصفه.

ذكر حجّة خالد

قال سيف: لما فرغ خالد من الفِراض أظهر أنه قاصدٌ الحيرة، وكتم حَجَّه عن الناس، ثم استخلف على الجزيرة المثنّى بن حارثة، وأخذ معه عِدَّةً من أصحابه، وسار يَعتسف الفيافي والمفاوز بالسَّمْت، فتأتّى له ما لم يَتأتَّ لغيره من الأَدِلّاء، وصار ذلك طريقاً من الحيرة إلى مكة وإلى هلمَّ جَرّا، وهي الجادَّةُ المعروفة لأهل العراق، وكان خروجُه إلى ذات عِرْق ثم إلى عرفات، فحجَّ مع الناس ونَسك المناسك، وعاد إلى العراق في الطريق الذي جاء فيه.

وبلغ ذلك أبا بكر رضوان الله عليه، فشق عليه لكونه لم يستأذِنْه في ذلك، فعاتبه بأنْ كتب إليه، فصرفه من العراق إلى الشام، وهذا يدلُّ على أن أبا بكر لم يحجَّ في هذه السنة، لأنه لو حجَّ لاجتمعا، ولم يحتجْ إلى مكاتبته، ولم يُنقل ذلك، فكتب أبو بكر إلى خالد:

من عبدالله بن عثمان خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد، سلام عليك، أما بعد، فإذا أتاك كتابي هذا فسِرْ بمَن معك من المسلمين إلى اليرموك، وإياك أن تَعودَ إلى

---

(١) في (خ) و(أ) والمنتظم ٤/ ١١٠ : مشايخ، والمثبت من الطبري ٣/ ٣٨٣ ، والكامل ٣/ ٣٩٩ ، والمسالح: القوم المسلَّحون في الثغور.

ما فعلتَ، ولا يَدخُلنَّك عُجبٌ فتَخسر، وتمِّم أبا سليمان النيَّة والحُظْوة، يُتمّم الله لك(١)، وإياك أن تُدِلَّ بعملك، فإن المنَّ لله، وهو وليُّ الجزاء والسلام. ولما قرأ خالد كتابَه قال: هذا من عمل الأُعَيسِر، حَسَدني أن يكون فتحُ العراق على يدي.

قال ابنُ إسحاق: كتب أبو بكر رضوان الله عليه وهو بالعراق: أما بعد، فدَع العراق، وخَلِّف فيه أهلَه الذين قدمتَ عليهم وهم فيه، ثم امضِ متخفِّفاً في أهل القوَّة من أصحابنا، الذين قدموا معك من أهل الحجاز، حتى تأتي الشام، فتلقى أبا عبيدة ومن معه من المسلمين، فإذا لَقيتَهم فأنت أميرُ الجماعة، والسلام.

ذكر انفصال خالد عن العراق إلى الشام

لما انفصل خالد عن العراق استخلف المثنى بن حارثة على مَن تخلَّف من المهاجرين، ومَن بقي معه من الصحابة والتابعين، فانحاز بهم نحو البرّيّة مما يلي الأنهار، مخافةً عليهم من الفُرس حتى يأتيهم المدد، وأخذ خالد على السَّماوة حتى انتهى إلى قُراقر، وبينها وبين سُوَى خمس ليال، فلم يعرف الطريق، فدُلَّ على رافع بن عمرو، وكان هادياً خِرّيتاً، فقال: ما عندك يارافع؟ فقال: هذه مَفاوز موحشة، ومَهامِه مُقفرة، ما سلكها إلا مغرور، ومعكم أَثقال، فمن استطاع منكم أن يُصيِّر أُذنَ راحلته على ماء فليفعل، ثم قال: ابغِني عشرين جَزوراً عظاماً سماناً، فأتاه بها، فظمَّأهُنّ حتى أَجْهَدَهُنَّ عطشاً، ثم سقاهنّ من الماء حتى روين، ثم قطع مَشافرَهُنَّ لئلا يَجتَرْن، وكَعَمَهُنَّ(٢) لئلا يَفسُدَ الماء في أجوافهنَّ بالجرة، ولئلا يخرج، ثم قال لخالد: سِرْ.

فسار، فكلما نزلوا منزلاً نحر من تلك الجزائر أربعاً، وسقى ما في بطونهنّ الخيل، وشرب الناس مما تزوَّدوا من الماء، فلما كان اليوم الخامس وقد نُحرت الجَزور كلها قال له خالد: ماترى؟ وكان رافع قد رَمِدَ، فقال: انظروا هل تَرون شجرَ عَوسَج؟ فنظروا، فقالوا: لا، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هلكتَ يا خالد وأهلكْتَ، ثم وقف وقال: انظروا جيداً، فنظروا، فلاح لهم شجرُ العَوْسَج على بُعد، فأخبروه، فقال: الله أكبر، أدركتُم الرِّواء، فلما وصلوا إلى شجر العَوْسج وجدوا عندها عيناً عذبة، فشربوا وسقوا،

(١) في الطبري ٣/ ٣٨٥ : فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة، فأتمم يتم الله لك.

(٢) كَعَمَ البعيرَ: إذا شدَّ فاه لئلَّا يعض أو يأكل. اللسان (كعم).

فقال رافع: والله ما سلكتُ هذا المكان إلا مرةً واحدةً مع أبي وأنا غلامٌ صغير، فقال أبو أحيحة القرشي من أصحاب خالد: [من الرجز]:

لله دَرُّ رافـــعٍ أنَّـــى اهـــتـــدى

فَـــوَّز مـــن قُـــراقـــرٍ إلـــى سُـــوى

خِـمـسـاً إذا مـا سـارهـا الـجـيـشُ بَـكـى

مـا سـارهـا قـبـلَـك إنـسـيٌّ يُـرى

والـعـيـنُ عـيـنٌ قـد تَـغـشَّـاهـا الـقـذى

فـهـو يَـرى بـقـلـبـه مـا لا يـرى

قـلـبٌ حَـفـيـظٌ وفُـؤادٌ قـد وَعـى

والـسَّـيـرُ زَعْـزَاعٌ فـمـا فـيـه وَنَـى

هـذا لـعَـمْـري رافـعٌ هـو الـهُـدى

عند الصباح يَحمَدُ القومُ السُّرى[١]

ورافع هذا من طيئ، ويقال له: رافع الخير، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، غزا مع عمرو بن العاص غزاة ذات السَّلاسل، وصحب أبا بكر فيها، وروى عنه ولم ير رسول الله ﷺ[٢].

وقال ابن عساكر كُنيتُه أبو الحسن السِّنبِسي، وله صحبة، وروى عنه طارق بن شهاب، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً، وأمَّر عليهم عمرو بنَ العاص، وفيهم أبو بكر وعمر، فقال: دُلُّونا على رجلٍ يَختصر الأرض، [ويأخذ] غير الطريق، فدُلَّ عليَّ، فكنتُ دليلَهم في تلك الغزاة، ورافقتُ فيها أبا بكر، فكان يُنيمُني على فراشه، ويُلبِسني كساءً له من أكسية فَدَك، قال: وتُوفّي في أيام عمر بن الخطاب.

---

(١) تاريخ دمشق ١/ ٢٣٢ (مخطوط)، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٤١٥-٤١٦، والفتوح ١/ ١٣٢-١٣٨، وفتوح البلدان ١١٨، والمنتظم ٤/ ١٠٩-١١٠، ومجمع الأمثال ٢/ ٣، وطبقات ابن سعد ٦/ ٦٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٦٧-٦٨.

وقال الدارقطني: هو الذي قطع ما بين الكوفة ودمشق في خمس ليال[١].

واستقامت لخالد الطريق، وتواصلت به المياه حتى نزل مَرْج عَذراء وبه ناس من غسان، فأصاب منهم، ومضى حتى نزل على قناة بُصرى وبها أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة والأمراء، فصالحهم أهلُ بُصرى على الجزية، فكانت أول جزية وقعت بالشام في أيام أبي بكر رضوان الله عليه، ولما وصل خالد إليهم صار أميراً عليهم.

وقال هشام: لما خرج خالد من البرّية، ووصل إلى أطراف الشام قال: مَن يأخذ بنا إلى اليرموك من وراء الروم؟ فأخرجوه قِبلي القريتين، فمرَّ بالغوطة وبها غسَّان، وعليهم الحارث بن الأَيهم الغساني، فانتَسف خالد عسكرهم وعيالهم، ثم نازل بُصرى فافتتحها، وهي أول مدينة فُتحت بالشام.

وقال الهيثم: لما وصل خالد إلى سُوى شنَّ الغارات، وكان عليه بَهراء، وهم أهلُ ذلك الماء، فأغار عليهم قُبيل الصبح، وناس منهم يَشربون الخمر، فقيل: الغارة، فقال واحد منهم: تَمِّموا فلعلكم لا تشربونها بعد اليوم، وكان عندهم مُغنٍّ وهو يقول: [من الطويل]

ألا عَلِّلاني قبل جيشِ أبي بكر   لعلّ منايانا قريبٌ وما ندري
ألا عَلِّلاني بالزُّجاج وكَرِّرا   عليَّ كُمَيتَ اللونِ صافيةً تَجري
ألا فاسقياني من سُلافةِ قهوةٍ   تُسَلِّي همومَ النفسِ من جَيِّد الخمر

وسمعه خالد، فهجم عليه، فضرب رأسه، فأبانه ووقع في الجَفنة[٢].

وفي هذه السنة تزوَّج عمر بن الخطاب عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بعد وفاة عبدالله بن أبي بكر الصديق، وكانت تحت عبدالله، وقد ذكرناها في ترجمته.

وفيها اشترى عمرُ أسلمَ مولاه.

وفيها تزوَّج عليٌّ أمامةَ بنت أبي العاص، وأمُّها زينب بنت رسول الله ﷺ، أخت فاطمة عليها السلام.

(١) تاريخ دمشق ٦/ ١٨٣-١٨٧ (مخطوط).
(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٤١٦-٤١٧.

وفيها جمع أبو بكر القرآن، قال البخاري: حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، عن ابن السَّبَّاق، عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليَّ أبو بكر مَقْتَلَ أهلِ اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب جالسٌ عنده فقال: أَخبَرني عمر أنَّ القتلَ قد استَحَرَّ يومَ اليمامة بقُرَّاء القرآن، وأخشى أن يَستَحِرَّ القتلُ بهم في كل مَوطن، فيَذهبَ كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تَجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلتُ لعمر: كيف أفعلُ شيئاً لم يفعلْه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل يُراجِعُني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرَ عمر.

ثم قال أبو بكر: يا زيد، إنك رجلٌ شابٌّ عاقلٌ لا نَتَّهمُك، وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ، فتَتبَّع القرآن فاجْمعه، قال زيد: فوالله لو كلَّفني نَقْلَ جبلٍ من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ مما أمرني به، فقلتُ: كيف تفعلان شيئاً لم يفعلْه رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خيرٌ، فلم يزل يُراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فتتبَّعتُ القرآن، فجمعتُه من الرِّقاع والعُسُب والأكتاف وصدور الرجال، حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خُزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخرهما.

فكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفّاه الله، ثم عند عمر حتى تَوفَّاه الله، ثم عند حَفصة بنت عمر.

انفرد بإخراجه البخاري(١)، ثم إن عثمان رضوان الله عليه جمع القرآن مرةً ثانية.

وفيها اعتمر أبو بكر في رجب، دخل مكةَ ضَحوة، فأتى منزلَه، وأبو قحافة جالس على باب داره، ومعه فِتيانٌ يُحدّثهم، فقيل له: هذا ابنُك، فنهض قائماً، وعجل أبو بكر أن يُنيخ راحلته، فنزل عنها وهي قائمة، فجعل يقول: يا أبة لا تَقُم، ثم لاقاه فالتزمه، وقبَّلَ بين عيني أبي قحافة، وجعل الشيخ يبكي فرحاً بقُدومه.

وجاء إلى مكة عَتَّاب بن أسيد، وسُهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل،

---

(١) صحيح البخاري (٤٦٧٩).

والحارث بن هشام، فسلّموا عليه: سلامٌ عليك يا خليفة رسول الله، وصافحوه جميعاً، وأبو بكر يَبكي كلما ذكروا رسول الله ﷺ، وسلَّموا على أبي قُحافة، فقال أبو قحافة: يا عَتيق، هؤلاء الملأ من قريش فأَحسنْ صُحبتهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبه، لا حول ولا قوة إلا بالله، طُوِّقتُ عظيماً من الأمر، لا قوة لي به ولا يدان إلا بالله تعالى[١]، ثم دخل إلى البيت، فاضطبع بردائه، ثم استلم الرّكن، ثم طاف سبعاً وركع ركعتين، ثم انصرف إلى منزله، فلما كانت الظهر خرج فطاف أيضاً بالبيت، ثم جلس قريباً من دار الندوة وقال: هل من أحد يَتشكّى من ظُلامة، أو يَطلبُ حقاً، فما أتاه أحد، وأثنى الناس على واليهم خيراً، ثم صلّى العصر وودَّعه الناس، ثم خرج راجعاً إلى المدينة[٢].

وعزى أبو بكر سهيل بنَ عمرو في ولده عبدالله بن سهيل، وكان قد استُشهد باليمامة، فبكى سهيل وقال: لقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «يشفع الشهيد في سبعين من أهله»، وأنا أرجو ألا يَبدأ ابني بأحدٍ قبلي[٣].

وشكا إلى أبي بكر بعضُ أهل مكة [أبا] سفيان بن حرب، فأحضره، وجعل يَصيح عليه وينتهره، وأبو سفيان يَذلُّ له، فقال له أبو قحافة: يا عَتيق، أعلى أبي سفيان تَصيح، لقد تعدَّيتَ قَدْرَك، وجاوزْتَ[٤] طَوْرَكَ، فقال له: يا أبتِ، إن الله هدم بالإسلام بيوتاً منها بيتُه، وعَمر به بيوتاً منها بيتُك، وفي رواية: إن الله أعزَّ بالإسلام قوماً وأذل به آخرين[٥].

واختلفوا فيمن حج بالناس، فقال ابن سعد: حج أبو بكر بالناس تلك السنة، وأَفرد الحج، واستَخلف على المدينة عثمان بن عفان[٦].

وقال الهيثم: حجّ بهم عمر بن الخطاب، وقيل: عبد الرحمن بن عوف.

---

(١) المنتظم ٤/ ١١١.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٧، وأنساب الأشراف ٥/ ١٤٢-١٤٣، وتاريخ دمشق ٣٥-٣٦/ ٤٣٥-٤٣٦.
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٠٦، وأخرج الحديث أبو داود (٢٥٢٢)، وابن حبان (٤٦٦٠)، والبيهقي ٩/ ١٦٤ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
(٤) في (أ) و(خ): وجمرت؟!
(٥) انظر مروج الذهب ٤/ ١٧٩-١٨٠.
(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ١٧٨.

وقال ابن إسحاق: لم يحجّ في خلافته؛ لأنه كان مشغولاً بتجهيز الجيوش إلى العراق والشام، وإنما اعتمر في رجب[١].

وفيها توفي أردشير بن شيرويه، واختلف أهلُ مملكته يُولّون ويَعزلون، ويَخلعون ويُملّكون، وكان ذلك من سعادة الإسلام والمسلمين.

وكان شيرويه قد أفنى أولاد الملوك ومن كان يُناسبه إلى كسرى بن قباذ فلم يبق للفرس مَن يجتمعون إليه، فتحيّروا في أمرهم، ولم يبق لهم إلا الدَّفع عن المدائن، فولَّوا ابن أرد شير، واسمه قباذ، وكان عمره سبع سنين، فأقام خمسة أشهر[٢].

وكان شهريار بن أبرويز مقيماً بأنطاكية، قد جهزه أبوه شهريار إلى المدائن، وكان أخوه شيرويه قد قتل أباه أبرويز على ما تقدم، فلما وصل إلى المدائن ملكها، وقتل قباذ ابن أردشير وظلم وطغى وبغى، وفضح النساء، وهتك الحريم، فوثبوا عليه فقتلوه، وكان مُلكه عشرين يوماً.

بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري

وكنيته أبو النعمان، من الطبقة الأولى من الخزرج، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وأمُّه أنيسة بنت خليفة من ولد امرئ القيس، وهو والد النعمان بن بشير، وكان يكتب بالعربية في الجاهلية، واستعمله رسول الله ﷺ على السلاح في عُمرة القضيّة سنة سبع، وهو الذي كسر الأمر على سعد ابن عبادة يوم السقيفة، وبايع أبا بكر أول الناس[٣].

قال عمر بن الخطاب يوماً في مجلس فيه المهاجرون والأنصار: أرأيتم لو تَرخَّصت في شيءٍ ما كنتم تصنعون؟ فقال بشير: لو فعلتَ قَوَّمناك تقويمَ القِداح[٤].

وكان بشير زوج أخت عبدالله بن رواحة، وله منها ابنة يقال لها عمرة[٥]، واستشهد

---

(١) انظر الطبقات الكبرى، وتاريخ الطبري ٣/ ٣٨٦.

(٢) انظر المنتظم ٤/ ١٠٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٣١، والاستيعاب (١٨٦)، والمنتظم ٤/ ١١٢.

(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٣٧٢ (مخطوط).

(٥) كذا وهو خطأ، صوابه ما في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٣١، وجمهرة ابن حزم ٣٦٤، وتاريخ دمشق ٣/ ٣٦٩ من أن ابنته اسمها: أُبيَّة، وأمها عمرة بنت رواحة أخت عبدالله بن رواحة.

بشير يوم عين التَّمر، وأسند الحديث عن رسول الله ﷺ، وروى عنه ابنه النعمان وغيرُه.

عمير بن رئاب بن حُذافة السَّهمي

وأمُّه أم وائل بنت معمر بن حبيب.

وعمير من الطبقة الثانية من المهاجرين، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وقُتل بعين التمر شهيداً، ولا عقب له، ولا رواية(١).

كنّاز(٢) بن الحُصين بن يربوع

أبو مَرْثَد الغَنَوي، حليفُ حمزة بن عبدالمطلب، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين عبادة بن الصامت، وله صُحبة ورواية، وتوفي بالمدينة وهو ابن ستٍّ وستين سنة، وولَدُه مَرْثَد بن أبي مرثد، شهد بدراً على فَرسٍ يقال له: السَّبل، وشهد أحداً، وقتل يوم الرَّجيع [شهيداً، وكان أميراً في هذه السرية، وذلك في صفر] على رأس ستة وثلاثين شهراً من مُهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة(٣).

أبو العاص بن الربيع

ابن عبد العُزَّى بن عبد شمس بن عبد مناف، واسمه مُهَشِّم، وأمُّه هالة بنت خويلد، أخت خديجة زوج النبي ﷺ، وزوَّجه رسول الله ﷺ ابنتَه في الجاهلية، فولدت له عليًّا وأُمامة.

فأما علي فدخل رسول الله ﷺ يومَ الفتح مكةَ وهو رديفُه، ومات صغيراً قد ناهز الحُلُم.

وأما أُمامة فتزوَّجها علي رضي الله عنه.

وأبو العاص من الطبقة الثالثة من المهاجرين، أسلم بين الخندق وفتح مكة، وكان

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٧ ، والاستيعاب (١٧١٦).

(٢) في (أ) و(خ): حماد، وهو خطأ، صوابه من الطبقات الكبرى ٣/ ٤٧ ، والاستيعاب (٢٢٢٠)، والمنتظم ٤/ ١١٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٨ وما بين معكوفين منه، والاستيعاب (٢٣٩٤).

يقال له: جَرْو البطحاء، لأنه كان وَسيطاً في نسبه، وكان من رجال قريش المعدودين، ويقال له: الأمين، وكان صاحبَ مالٍ ومروءة وأمانة، وكان النبي ﷺ يَشكره ويُثني عليه، وقال: ما ذَمَمْنا صهر أبي العاص.

وقال مَعروف المكي: خرج أبو العاص بن الربيع في بعض أسفاره إلى الشام في الجاهلية، فاشتاق إلى زينب ﵂ فقال: [من البسيط]:

ذكـرتُ زيـنـبَ لـمـا ورَّكـت إرمـا ... فقلتُ سَقياً لشخص يَسكن الحَرَما

بـنـت الأمـيـن جـزاهـا الله صـالـحـةً ... وكـلُّ بـعـلٍ سـيـثـنـي بـالـذي عـلـمـا

وإرم: هي دمشق.

وكان أبو العاص مصافياً لرسول الله ﷺ، فكان يُكثر غِشيانه في منزل أمّه هالة. أسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر، ولما أسلم رجع إلى مكة ولم يشهد مع رسول الله ﷺ مشهداً، وتوفي في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة، وقيل سنة ثلاث عشرة. وقال ابن منده: قتل يوم اليمامة، ولم يتابعه على ذلك أحد، وليس له عقب إلا من قبل ابنة له، وأخوه عمرو بن الربيع من مسلمة الفتح(١).



(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣١-٣٢، والاستيعاب (٣٠٤٢)، والمنتظم ٤/ ١١٣، وتاريخ دمشق ١٩/ ١٠٩-١٢٠، والتبيين ٢٢٣.

السنة الثالثة عشرة

وفيها جهّز أبو بكر رضوان الله عليه الجيوش إلى الشام، وقال الواقدي: بعد مُنصرفه من حجّه إلى المدينة، وعقد الألوية؛ فأولُ لواءٍ عَقَده لواء خالد بن سعيد بن العاص، ثم لواء عمرو بن العاص، ثم لواء يزيد بن أبي سفيان، ثم لواء أبي عبيدة بن الجراح، ثم لواء شُرحبيل بن حَسَنة، ثم لواء الوليد بن عقبة. وقَدَّم على الجميع خالد ابن سعيد بن العاص، ثم عزله قبل أن يسيروا، وولّى عليهم يزيد بن أبي سفيان، وقال لعمرو بن العاص: اذهب إلى فلسطين، فخرج على طريق أَيْلة، ثم قال للباقين: سيروا على تبوك واخرجوا على البَلْقاء، وكانوا سبعة آلاف، وأمَر خالد بن سعيد بن العاص أن يقيم بتيماء رِدْءاً لهم.

وخرج أبو بكر معهم ماشياً يُشيِّعهم على عادته في جيش أسامة وغيره، وكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام يزيد بن أبي سفيان.

قال المصنف: وقد اختلفت الروايةُ في تجهيز أبي بكر الجيوشَ إلى الشام على قولين، أحدهما ذكره الهيثم وقال: إنه جَهّزهم في سنة اثنتي عشرة، ودليلُه قصّة خالد لما جاء من العراق إلى الشام واجتمع بالأمراء على بُصرى، والثاني: أنه جهزهم في أول هذه السنة، والأول أظهر.

ذكر وصيّة أبي بكر رضوان الله عليه لأمرائه:

وكان مما أوصى الأمراء أن قال ليزيد بن أبي سفيان: يا يزيد، إذا أقبلتَ على أهل عملك فعِدْهُم الخير، وإذا وعدتَ فأنجز، ولا تُكثر الكلام فإن بعضَه يُنسي بعضاً، وإذا قَدم عليك رُسُل عدوِّك فأحسن نُزُلَهم، فإنه أولُ خيرك إليهم، ولا تُطِلْ مُقامَهم عندك؛ لئلا يَطّلعوا على عورات المسلمين، واحفظ سِرَّك لئلا يَخرج أمرُك، وإذا استشرتَ فاصدُق الخبر، ولا تكتم المستشار فتُؤتى من قِبل نفسك، وإذا بلغك عن عدوِّك عَورة فاكتُمها حتى تواتيه، واستر الأخبار في عسكرك، وأَذْكِ العيون والحرس، واصدُق اللقاء إذا لقيت، ولا تَجبن فتُجبن مَن سواك[1].

(١) انظر تاريخ دمشق ١٨/ ٣١١ (مخطوط).

وقال ابن عمر: مشى أبو بكر معهم ميلين، فقالوا: يا خليفة رسول الله ارجع، أولو انصرفت، قال: لا، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن اغبرَّتْ قدماه في سبيل الله حرَّمَهما الله على النار»(١)، ثم قام في الجيش فقال: أوصيكم بتقوى الله، [لا تعصوا، ولا تغلوا] ولا تغدروا، ولا تُمثّلوا، ولا تهدموا بِيعةً، ولا تحرقوا نخلاً، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تقتلوا شيخاً كبيراً ولا صبياً صغيراً، وستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسَهم، فذروهم وما حبسوا أنفسهم له، وستَجدون مَن يغدوا عليكم بألوان الطعام ويروح، فلا يأتيكم [لونٌ] إلا ذكرتُم اسمَ الله عليه، بسم الله، سيروا على بركة الله، ثم عاد إلى المدينة(٢).

وقال يزيد بن أبي سفيان: أوصاني أبو بكر رضي الله عنه لما بعثني إلى الشام، فقال: يا يزيد، إن لك قرابةً عَسيتَ أن تُؤثرهم بالإمارة، وذلك أكثرُ ما أخاف عليك، فإن رسول الله ﷺ قال: «مَن وَلي من أمر المسلمين شيئاً فأَمَّر عليهم أحداً مُحاباةً فعليه لعنةُ الله، لا يَقبل الله منه صرفاً ولا عدْلاً حتى يُدخله جهنّم، ومَن أعطى أحداً حِمى الله فقد انتهك في حِمى الله شيئاً بغير حقِّه، فعليه لعنةُ الله، أو قال: فقد بَرِئت منه الذِّمَّة، أو ذمَّةُ الله تعالى»(٣).

ذكر سبب عزلِ خالد بن سعيد

قال ابن إسحاق: قدم خالد بن سعيد من اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ، فتربص ببيعة أبي بكر شهرين، ولقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، فقال: يا بني عبدمناف لقد طِبتُم نفساً عن أمركم يليه غيرُكم، فأما أبو بكر فلم يحقدْها عليه، وأما عمر فاضْطَغَنها عليه، فلما أمَّره قال له عمر: أَتُؤمِّره وقد صنع ماصنع، وقال ما قال، فلم يزل به حتى عزله، وأمّر يزيد بن أبي سفيان(٤).

وقال سيف: قدم خالد بن سعيد من اليمن، وكان قد ولاه رسول الله ﷺ اليمن،

(١) أخرجه أحمد (١٥٩٣٥)، والبخاري (٩٠٧) من حديث أبي عبس رضي الله عنه.
(٢) المنتظم ٤/ ١١٦، وتاريخ دمشق ١٨/ ٣١٠.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/ ٣١٠.
(٤) تاريخ الطبري ٣/ ٣٨٧، والمنتظم ٤/ ١١٦.

فأقام يتربّص ببيعة أبي بكر شهرين، وقال: أمّرني رسول الله ﷺ ولم يعزلْني حتى قبضه الله، فخرج يوماً وعليه جُبَّةٌ حرير أو ديباج، فلقي عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، فصاح عمر بمَن يليه: مَزِّقوا عليه جُبَّتَه، فصاح خالد: يا أبا الحسن، يا بني عبدمناف، أغُلِبتم عليها؟ فقال له عمر: فضَّ الله فاك، والله لا تزال تَخوضُ فيما قلت، ثم لا تضرَّ إلا نفسَك، فلما عقد له أبو بكر على الشام قال له عمر: أَتُولِّيه وقد قال ما قال، وإنه والله لمَخْذولٌ، ضعيفُ الرؤية[1]، كاذبٌ أحمق، فلا تستنصر به، فأطاع أبو بكر عمر في بعض أمره، ثم عصاه في البعض، فعزله عن إمرة الشام، وجعله ردءاً بتيْماء، وقال له: أقم بها رِدءاً للمسلمين.

وقال الواقدي: لما قدم خالد بن سعيد من اليمن أقام في بيته ثلاثة أشهر لم يبايع، ولا دخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم مرَّ عليه أبو بكر وهو على باب داره، فسلّم عليه فقال له خالد، أتحبُّ أن أُبايعك؟ فقال: أحبُّ أن تَدخل في صالح ما دخل فيه المسلمون، فقال: مَوعدك العَشيَّة، فجاء وأبو بكر على المنبر فبايعه، وكان رأيُ أبي بكر فيه حسناً، وكان مُعظّماً له، فلما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشام عقد له لواءً على المسلمين، وجاء أبو بكر باللواء إلى بيت خالد، فعاتبه عمر، ولم يزل به حتى عزله عن إمرة الشام، وأرسل إلى خالد أبا أَرْوى الدَّوْسي: ارْدُدْ علينا لواءَنا، فدفعه إليه وقال له: والله ما سرَّتنا ولايتُكم، ولا ساءنا عزلُكم، وإن الملومَ لغيرُك ـ يعني عمر، لأنه هو الذي نقل الحديث، وألجأه إلى عزله ـ فما شعر خالد إلا بأبي بكر وقد دخل عليه داره، وأخذ يَعتذر إليه، ويعزم عليه أن لا يذكر عمر بحرف، قالت أم خالد بنت خالد: فوالله ما زال أبي يترحَّم على عمر حتى استشهد[2].

ولما سار خالد إلى الشام مع الأمراء كان يسير تحت لواء أبي عبيدة، فقيل له: تدعُ المسير تحت لواء ابن عمك يزيد بن أبي سفيان وتسير تحت لواء الغير! فقال: مَسيري مع أخي في ديني أحبُّ إليَّ من مسيري مع ابن عمي[3].

(١) في الطبري ٣/٣٨٨: ضعيف التروئة.
(٢) طبقات ابن سعد ٤/٩٩، وتاريخ دمشق ٤/٤٥٥ (مخطوط).
(٣) تاريخ دمشق ٤/٤٥٦.

قال هشام: سار خالد تحت لواء شرحبيل بن حسنة، فقيل له في ذلك فقال: لأن شرحبيل بن حسنة رفيقي في الهجرة إلى الحبشة، وكان على عهد رسول الله ﷺ يَنصرني على ابن عمي.

وقال أبو بكر رضوان الله عليه لشرحبيل: إن خالداً قد اختارك على ابن عمِّه، فاعرف له ذلك، فإن رسول الله ﷺ توفي وهو راضٍ عنه، وولاه، وكنتُ قد ولَّيتُه، ثم رأيتُ عزلَه، وعسى أن يكون خيراً له في دينه، وبلغ خالداً فقال: والله ما عزلني إلا طاعة للأعيسر، ثم ذكره بعد.

ولما توجه الأمراء قال أبو بكر لخالد بن سعيد: إذا نزلت تيماء فادعُ ما حولَها من العرب، وأقم هناك حتى يأتيك أمري. فسار إليها فأقام بها، واجتمع إليه خلقٌ كثير، وبلغ الروم فضربوا البعْثَ على عرب الضاحية بالشام، فنفر إلى نُصرة الروم طوائف العرب: بَهْراء وكلب وتنوخ وجُذام وغسّان ولَخْم وغيرهم، فكتب خالد إلى أبي بكر يَستمدُّه، فكتب إليه أبو بكر: أَقدِمْ ولا تُحجم، واستنصر بالله، فسار إليهم خالد فتفرَّقوا، ودخل عامَّتُهم في الإسلام.

وسار إلى خالد بِطريقٌ من الروم في جمعٍ عظيم، اسمه باهان، والتقوا، فهزمه خالد، وقتل جُنده، وكتب إلى أبي بكر ﷺ بالفتح وأن يُمدَّه فأمدّه.

وأما عمرو بن العاص فإنه لما تَوَجَّه إلى فلسطين كتب إليه أبو بكر يُخيِّره بين أن يغزو إلى الشام، وبين أن يَرجع إلى ما ولاه رسول الله ﷺ من صدقات كلب وقضاعة، فاختار الجهاد في سبيل الله، وكتب إلى الوليد بن عُقبة بمثل ذلك فأجابه مثل ما أجاب عمرو، فأمَّر عمرو على فلسطين والوليد على الأردن.

وكان يزيد بن أبي سفيان أميرَ الجيوش، وفي جُنده سُهيل بن عمرو وأشراف مكة، واستعمل أبو بكر أبا عبيدة على حمص، وأمدّ خالد بن سعيد بعكرمة بن أبي جهل وذي الكَلاع، وكتب إلى الوليد بن عُقبة أن يجتمع مع خالد بن سعيد بمشارف الشام، فسار خالد إلى مرج الصُّفَّر، فاجتمع بالوليد، ثم نزلا بالواقوصة، وقيل: بين الواقوصة ودمشق.

ولما سار خالد للقاء الوليد أخذ عليه الطريق بِطريق يُقال له: ماهان، وكان قد

تقدَّم خالداً ابنُه سعيد في جماعة، فصادفهم البطريق وهم لا يشعرون، فهزمهم، وبلغ الخبر خالد بن سعيد فهرب في نَفرٍ يسير، فلم تنته [الهزيمة به] عن ذي المروةِ، ثم قدم المدينة منهزماً، فغضب أبو بكر على خالد ونال منه، وقال: إنك لا تخوض الغمرات، ولا تصبر في الشدائد، ويا ليتني أطعتُ عمر فيك، ثم ردَّه إلى الشام، وأقام عكرمة بن أبي جهل بتيماء ردءاً للمسلمين، ثم أمّر أبو بكر معاوية بن أبي سفيان، وأَمَره أن يلحق بأخيه يزيد بن أبي سفيان، فسار إليه يسير تحت لوائه.

فصل ذكر جموع الروم

قال علماء السِّير: ولمّا بلغ الروم مسيرُ يزيدَ بن أبي سفيان والأمراء إلى الشام، كتبوا إلى هرقل وهو بحمص يُخبرونه بذلك، فجمع خواصَّه وعلماءَه واستشارهم وقال: الرأيُ عندي الصلحُ، وأن لا تُقاتلوا هؤلاء القوم. فخالفوه وقالوا: لابد من قتالِهم وإخراجهم من الشام إلى حيث جاءوا. وقيل: إنما كان هرقل بالقسطنطينيةِ فسار حتى نزل حمص، وكانت دار الملك بالشامِ، ثم جمع العساكر وسيَّرهم إلى المسلمين، فبعث أخاه لأبيه وأمه واسمه تَذارق إلى عمرو بن العاص في تسعين ألفاً، فنزلوا قريباً من فلسطين بثنيّة جلّق، وبعث جَرَجَه بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان، فعسكر بإزائه في خمسين ألفاً، وبعث الدّراقص إلى شُرَحبيل بن حسنة في ستين ألفاً قريباً منه، وبعث الفيقار بن نسطوس إلى أبي عبيدة بن الجراح، فنزل بإزائه في ستين ألفاً. وكان مقصود هرقل أن يُرعب المسلمين، ويحول بين بعضهم والبعض، فهابهم المسلمون؛ لأن جموعهم لم تبلغ سبعةً وعشرين ألفاً، وجموعُ الروم مئتان وستون ألفاً سوى مَن تأخَّر مع هرقل، ومَن كان في المدائن والحصون من المقاتلة، وكانوا يزيدون على أربع مئة ألف مقاتل.

فكتب المسلمون إلى عمرو بن العاص ما الرأي؟ فكتب إليهم: أن نَجتمع، فإن مثلنا إذا اجتمعنا كالقِداح المجتمعة لن نُغلب عن قلّةٍ.

وكتبوا إلى أبي بكرٍ فأجابهم بمثل ما قال عمرو، وقال: انزلوا اليرموك. فساروا إليه بأجمعهم فنزلوه. وكتب هرقلُ إلى جيوشه: انزلوا بإزائهم، فنزلوا، وصار الوادي خندقاً بينهم، وهو وادٍ عظيم لا يُدْرك، ونزلت الرومُ بمكانٍ ضيِّقٍ ليس لهم طريقٌ إلّا

من مكانٍ واحدٍ، فقال عمرو: هذا فتحُ باب النصر والظَّفر.

فأقاموا على تلك الحال شهر صفر وشهريْ ربيعٍ لا يصلُ أحدٌ من الفريقين إلى الآخر: فكتب المسلمون إلى أبي بكرٍ يستمدّونه فأمدَّهم بخالدِ بن الوليد من العراق، فوافاهم خالدٌ في شهر ربيع الآخر على ما ذكرنا.

وقال الواقدي: وافاهم خالدٌ قبل أن ينزلوا اليرموكَ، وإنما كان أبو عبيدة وشُرَحبيل بن حسنة على بُصرى، فوافاهم خالدٌ هناك فلما فصلوا عن بُصرى نزلوا اليرموك.

وكان مع خالد لما قدم من العراق تسعةُ آلافٍ فصار المسلمون في ستةٍ وثلاثين ألفاً، وجاءهم عكرمةُ وفُلّالُ خالد بن سعيد بن العاص في عشرة آلاف، فصار المسلمون في ستة وأربعين ألفاً ففرحوا وقويت قلوبُهم.

وكان الروم نحواً من ثلاث مئة ألفٍ منهم ثمانون ألفاً قد قُرِنوا بالسلاسل. وقيل: كان جملةُ الروم مئتين وستين ألفاً.

وقال الهيثم: كتب إليهم أبو بكرٍ: انزلوا اليرموكَ واجتمعوا كما قال عمرو بن العاص، وعسكِروا بمكانٍ واحدٍ، فلن يُؤتى مثلكم عن قِلَّةٍ، واللهُ ناصر من ينصرُه، وليصل كلُّ أميرٍ منكم بعسكره، وأذكوا الحرسَ والعيون والطوالع.

وكتب إلى خالد: سِرْ من العراق إلى الشام، واستخلف المثنى بن حارثة. فسار خالدٌ ووافاهم في شهر ربيع الآخر.

وقال هشام: فجهَّز إليهم هرقل جيشاً كثيفاً عليه بطريق يُقال له: ماهان. فطلع عليهم وبين يديه الشمامسة والرهبانُ والقُسس يُحرِّضونهم على القتال، فوافى قُدومُه قدوم خالدٍ فقال خالد: أنا له فالتقوا، وتحركت الروم من منزلها، فقاتلهم الأُمراءُ وقاتل خالد بن الوليد ماهان، فانهزم وقُتل من أصحابه خلق عظيم.

قصة اليرموك

قال علماءُ السِّير كابن اسحاق والواقدي وهشام وسيف بن عمر وغيرهم، قالوا: لما هزم خالد بن الوليد ماهان وألجؤوا الرومَ إلى الخنادق، خرجت الرومُ على تعبئةٍ لم

ير الراؤون مثلها؛ منهم ثمانون ألفاً مقرَّنون في السلاسل، والرجّالة وكانوا مئةً وخمسين ألفاً حولهم مثل الخنادق، والقسس والرُّهْبانُ والشمامِسة والأساقِفَةُ بين أيديهم قد نَشروا الأناجيل، والصُّلْبانُ في أعناقهم، وهم يُحرِّضونهم على القتال، فشاهد المسلمون أمراً لم يُشاهدوا مثلَه، وهالهم ذلك، وكان في أول جُمادى الأولى.

فقام خالدُ بن الوليد في الناس وقال: هذا يوم من أيام الله تعالى. لا ينبغي فيه الجبنُ والعجزُ والفَشَلُ، أَخْلِصوا لله تعالى جهادَكم، وأريدوا وجهه بعملكم وعندي رأي، قالوا: وما هو؟

قال: نقسم الإمارة بيننا، واحدٌ اليوم، وواحد غداً، وواحد بعد غد، فإنا إن ألجأناهم إلى الخنادق اليوم لم نزل ظاهرين عليهم أبداً، وإن هزمونا اليوم لم نُفْلح أبداً. قالوا: فافعل.

فقال: أنا اليوم أميرُكم.

فأمَّروه عليهم فكردس الخيل ستة وأربعين كُردوسا[1]، وجعل أبا عبيدة في القلبِ، وعمرو بن العاص في الميمنة، ويزيد بن أبي سفيان في الميسرة، وفي الجناح الواحد شُرَحْبيل بن حسنة وفي الآخر القعقاع بن عمرو، وفرق الأمراء على الكراديس مثل الزبير بن العوام، وعكرمة بن أبي جهل، وعياض بن غَنْم، وهاشم بن عتبة، وعبدالرحمن بن خالد، وصفوان بن أُميَّة، ومعاوية بن خُدَيْج، وعبد الله بن قيس، وعمرو بن عَبَسة، وزياد بن حنظلة، ودِحْية بن خليفة، وسعيد بن خالد، وحبيب بن مسلمة، وأبو الأعور السُّلَمي، وابن ذي الخِمار.

وقال جدي في المنتظم[2]: وجعل ذا الكلاع على كردوس. وهو وهم، لما ذكرنا أن ذا الكلاع أسلم في أيام عمر، وسنذكره.

وكان القاضي على العسكر أبو الدرداء، وكان الواعظ والمحرِّضَ أبو سفيان بن حرب، وكان يقفُ على الكراديس ويقول: الله الله، أنتم أنْصَارُ الدين، وهذا يوم من

(١) في الطبري ٣/٣٩٦، والمنتظم ٤/١١٨: ستة وثلاثين كردوساً إلى أربعين.
(٢) في ٤/١١٩.

أيام الله تعالى، وروي عنه خلاف هذا لما نذكر في ترجمته في سنة اثنتين وثلاثين.

وكان على الطّلائع قَباث بن أَشْيَم، وعلى الأقباض عبدالله بن مسعود، وكان القارئ المقدادُ بن الأسود، وقيل: ابن مسعود، قال ابن عباس: وكان رسولُ الله ﷺ قد سنَّ عند لقاء المشركين قراءة سورةِ الأنفال، قال ابن إسحاق: وشهد اليرموكَ ألفٌ من الصحابة، منهم مئة من أهل بدر وتسع مئة من غيرهم.

وتطاردت الفرسانُ، ونشب القتالُ، فبينما هم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة وهو مَحْميةُ بن زُنَيم، فأخذته الخيولُ، وسألوه الخبرَ، فأخبرهم بالسلامة وبوصول المدد، وإنَّما جاء بكتاب عمر رضوان الله عليه إلى أبي عبيدة يُخبره بوفاة أبي بكر، وتولية أبي عبيدة على الناس، فأبلغوه خالداً، فأسرّ إليه بموت أبي بكر، وأخبره بما قال للجند فقال: أحسنت، وأخذ خالد الكتاب فجعله في كنانته، وخاف إن أظهره أن ينتشر عليه الأمرُ، ويضطربَ النَّاسُ.

قال المصنف رحمه الله: والأصحُّ أن هذا الكتاب لم يكن فيه عزلُ خالدٍ، وإنما كان فيه وفاةُ أبي بكر، وأنه مات قبل اليرموك بعشر ليال، وإنما عُزِلَ خالدٌ في الكتابِ الثاني لما نذكر.

قصة جرجة بجيمين

قال علماء السير: فلما تراءى الفريقان خرج قائدٌ عظيم من قُوادِ الروم يقال له: جَرَجة بن توذرا، فوقف بين الصفين وقال: ليَبْرُز إليَّ خالدٌ بأمان، فبرز إليه وأمّنه، فقال له: يا خالد اصدُقني فإنَّ الحرَّ لا يكذبُ، ولا تُخادعني فإن الكريم لا يُخادعُ المسترسل بالله، أسألك بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاه لك، فلا تَسُلُّه على أحد أو على قومٍ إلا هزمتَهم؟ قال: لا، قال: فبم سُمِّيتَ سيف الله؟ فقال خالد: هذا لقبٌ لقَّبني به رسول الله ﷺ لما أسلمتُ فقال: «أنت سيفٌ من سيوف الله سلَّه الله على المشركين» ودعا لي بالنَّصْرِ، فلا ألقى أحداً إلا هزمتُه. فقال له: يا خالد إلام تدعون؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرارِ بما جاء من

عند الله.

قال: فمن لم يُجِبكم إلى ذلك؟ قال: فالجِزيةُ. قال: فمن لم يُؤدِّها؟ قال: نُؤذِنُهُ بحربٍ ثم نُقاتِله. قال: فما منزلةُ مَن أجابكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتُنا. قال: فهل لمن دخل فيه اليوم مثل مالكم من الأجر؟ قال: نعم وأفضلُ. قال: فكيف يُساويكم وقد سبقتُموه؟ قال: لأنا دخلنا في هذا الأمر ونبيُّنا ﷺ حيٌّ بين أظهُرنا، يأتيه خَبرُ السماء، وحُقَّ لمن رأى ما رأينا أن يُبايعَ ويُسلمَ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب، وما ظهر لنبيِّنا من المعجزات، فمَن دخل في هذا الدين كان على بيِّنةٍ من ربه وهُدى فكان أفْضلَ.

فقال: صدقتَني، وقلب التّرس، ومال مع خالد وقال: علِّمني الإسلام، فمال به خالد إلى فُسطاطِه فشنَّ عليه ماءً، ثم أسلم وصلَّى ركعتين.

وحملتِ الرومُ على المسلمين لما شاهدوا ذلك حَمْلةً مُنكَرةً فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، [عليهم] عكرمةُ بنُ أبي جهل والحارث بن هشام وغيرهما.

وركب خالد وجَرجة، فتراجعت الرومُ إلى مواقفها، فزحف خالدٌ ومعه جرجة والمسلمون، فما زالوا يضربونهم بالسيوف من لدن ارتفاع النهار إلى أن جَنحتِ الشمسُ للغُروب، ثم أُصيب جَرَجَةُ، ولم يكن سجد لله تعالى إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما. ـ ويقال: إن ماهان بعث جَرَجَة رسولاً إلى خالدٍ، فلما شاهد أحوال المسلمين أسلم ـ وصلى الناسُ الظُّهرَ والعصر بالإيماءِ، ومال خالد عليهم بالقَلْب، فتفرَّقت خيولهم، وعدل نحو الرَّجَّالةِ فأبانهم، واقتحم خنادقهم، فاقتحموا الواقُوصَةَ خَوْفاً من القتل، فتردّى فيها المقرَّنون في السلاسل بأسرهم، وهلك معهم أربعون ألفاً، فكان جملةُ الهالكين عشرين ومئة ألف، ثمانون ألف مقيّدٍ، وأربعون ألف مطلقٍ، سوى من قُتل في المعركة من الفرسان والرَّجَّالة، وتجلَّل الفيقارُ نائبُ الملك وأشرافُ الرومِ بَرانِسَهم، وجلسوا وقالوا: لا نُحِبُّ أن نرى يومَ السوء بالنَّصْرانية[1]، فقُتلوا في تزمُّلِهم.

(١) في الطبري ٣/ ٤٠٠، والمنتظم ٤/ ١٢٢: لا نحب أن نرى يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور، وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية.

وكان الفيقارُ قد بعث قبل ذلك جاسوساً إلى عسكرِ المسلمين ليأتيه بأخبارهم، فعاد إليه فقال: رأيتُهم بالنَّهار فرساناً، وبالليل رُهباناً، ولو سرق ابنُ ملكهم لقطعوا يده، ولو زنى لأُقيم عليه الحدُّ لإقامة الحقِّ فيهم، فقال الفيقارُ: لَبَطنُ الأرض لنا اليوم خيرٌ من ظهرها.

وقُتل أخو الملك ووجوهُ أصحابهِ، وأُسرَ التذارق صاحبُ جيشه، وانتهت الهزيمةُ إلى هِرَقْل وهو دون حمص فارتحل وجعل حمص بينه وبينهم.

وقال سيف: أُصيب يوم اليرموك وجوهُ المسلمين: عكرمةُ بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وعبد الرحمن بن العوام أخو الزبير بن العوام، وأبان بن سعيد، وأثبت خالد بن سعيد بن العاص فلا يُدرى أين ذهب.

قلت: وهذا وهم، فإن خالد استُشهد بمرج الصُّفَّرِ لما نذكُرُ.

قال: وأُصيب ضرار بن الأزور فعاش بعد ذلك. وهذا وهمٌ أيضاً، فإن ضرارَ بن الأزورِ قُتل يوم اليمامة. قال: واستُشْهِدَ الطفيلُ بن عمرو، وهذا وهم، لأن الطُّفيلَ استشهد يوم اليمامة، وسنذكرُ أعيان مَن استشهد باليرموك في آخر السنة.

وقال الواقدي: قاتل النساءُ يومئذٍ قتالاً شديداً منهن: جويرية بنتُ أبي سفيان. وأُصيبت عينُ أبي سفيان بن حرب، وأُخرج النَّصْلُ منها.

وعامة علماء السِّير على أن وقعة اليرموك كانت في السنة الثالثة عشرة من الهجرة إلّا الواقديَّ، فإنه قال في سنة خمس عشرة، حكاه ابن سعد عنه، وكذا قال ابن عساكر في تاريخه فإنه قال: المحفوظُ أنها كانت في سنة خمس عشرة، قال: وقال سيف: في سنة ثلاث عشرة ولم يُتابعه عليه أحدٌ[1].

قلتُ: قد تابعه ابن إسحاق وهشام وعامة العلماء، فإنهم قالوا: أوَّلُ فتحٍ أتى عمر ابن الخطاب من الشام فتحُ اليرموك على عشرين ليلةً من وفاة أبي بكرٍ رضي الله عنه.

وقال الهيثم: كان أبو بكرٍ قد هيَّأ لكل كُورةٍ أميراً، ومرض في جُمادى الأُولى وتُوفي في نصفه قبل اليرموك بعشر ليالٍ.

(١) انظر طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٩ و ١٩٦ ، وتاريخ دمشق ١/ ٢٥٤-٢٥٥ ، والمنتظم ٤/ ١٢٣ .

وقال ابن إسحاق: قدم بفتح اليرموك على عمر جريرُ بنُ عبدالله الحميري، ثم أقام أبو عبيدة بمرج الصُّفَّرِ حتى ورد عليه كتابُ عمر بمنازلة دمشق.

واختلفوا في أوَّل صلحٍ جرى بالشام في أوَّل الإسلام ،فقال الواقدي: كان ذلك على قريةٍ بالبلقاء يُقال لها: مَآب، مرَّبهم المسلمون فقاتلوهم ثم صالحوهم.

وقال ابن إسحاق: أوَّل صُلحٍ جرى صلح خالد بن الوليد مع أهل بُصْرى، لمَّا انفصل عن الغوطة، صالح على كلِّ رأسٍ دينارٌ وجريب حنطةً، أو قيمةُ الجريب ديناراً وذلك في كلّ عام.

وقال الهيثم: كان ذلك أوَّل صلحٍ في الشام اتفقوا عليه: خالد وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة ثم انفصلوا عن بُصْرى، وجرت وقعةُ اليرموك بعد ذلك.

وقال القعقاع بن عمرو في يوم اليرموك: [من الوافر]

ألم ترنا على اليرموك فُزنا ... كما فُزنا بأيام العراقِ
فَتحْنا قبلَها بُصرى وكانت ... مُحرَّمةَ الجناب على العناق
وعَذْراء المدائن قد فتحنا ... ومرجَ الصُّفَّريْنِ على العِتاق
قَتلنا الرّومَ حتى ما يُساووا ... على اليرموك ثُفروقَ الوِراقِ
فَضَضْنا جمعَهم حتى استحالوا ... على الواقوص بالبُتْر الرِّقاق
غداةَ تَهافتوا فيها فصاروا ... إلى أمرٍ يُعضّل بالذّواق

وقال الأسود التميمي: [من الطويل]

وكم قد أَغَرْنا غارةً بعد غارةٍ ... ويوماً كريهاً قد أضلت أهاوِلُه
لقيناهم اليرموك لما تضايقتْ ... بقيصر باليرموك منه حمائلُهْ
فلا يَعْدَ مَنْ منا هرقلُ كتائباً ... إذا رامها رام الذي لا يحاولُه(١)

فصل: وفيها في أوَّلِ السنةِ كان قد استقام أمرُ شهريار بن كسرى(٢) بعد خُروج خالد إلى الشام، فوجَّه شهريار إلى المثنى بن حارثة خليفة خالد على العراقِ جيشاً في

(١) أبيات الأسود والقعقاع في تاريخ دمشق ١/ ٢٦٦-٢٦٧ (مخطوط).
(٢) في الطبري ٣/ ٤١١ ، والمنتظم ٤/ ١٢٣ : شهربراز بن أردشير بن شهريار.

عشرة آلافٍ مع هرمز جاذَوَيْه، ومعه فيلٌ عظيم، وكتب شهريار إلى المثنى كتاباً يُرعبه فيه ويقول: قد بعثتُ إليك جنداً من وَحْشِ أهل فارس، إنما هم رُعاةُ الدَّجاج والخنازير، ولستُ أُقاتِلُك إلا بهم. فكتب إليه المثنى: الحمدُ لله الذي اضطرك إلى رُعاةِ الدجاج والخنازير. فقرأ كتابَه على أهل فارس، فجزع أهل فارس وقالوا: جَرَّأْتَ علينا عدوَّنا. وإنَّما أُتيَ شهريارُ من حيثُ مولدُهُ ولؤمُ مَنشَئه، لأنه كان نشأ بمَيْسان، وقالوا له: إذا كتبتَ بعدها كتاباً إلى أحدٍ فاستَشِر.

وسار المثنى من الحيرةِ فالتقوا ببابلَ فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكان الفيلُ يخرقُ الصفوفَ بحملاته، فقال المثنى: مَنْ له؟ فقصده رجلٌ من العربِ فقتله، فانهزمت الفرسُ، والمسلمون في آثارِهم يقتلون ويأسِرون، وانهزم هرمز جاذَوَيه، وقُتِلَ شهريار. وقيل: مات حين انهزم الجيشُ. والأصحُّ أن أهلَ فارسٍ قتلوه وقد ذكرناه في صدر الكتاب في الفُرْسِ الثانية.

ولمّا قُتِلَ شهريارُ لم يَبْقَ من الفُرسِ ذكرٌ؛ قتل شيرويه بن أبرويز الجميع إلا ابنتين لأبرويز، وهما: بوران، فأقامتِ العدْلَ وأحسنت السيرةَ، فأقامت سنةً وسبعة أشهر ثم ماتت، وقيل: قُتِلَتْ. فملَّكوا عليهم آزَرْمي دخت أُخت بوران، فأقامت ستَّة أشهر وقُتِلت. ثم ملَّكوا يَزْدَجرْدَ بنَ شهريار.

قال هشام: وأبطأ على جيوشِ العراقِ خبرُ أبي بكرٍ ومَدَدُهُ، فاستخلف المثنى بنُ حارثة على الناس بشير بن الخَصاصية، وخرج إلى أبي بكرٍ ليُخْبرَه خبرَ فارس ويستأذنه فيما يفعلُ، فقَدم المدينة وأبو بكرٍ مريضٌ، فقال أبو بكرٍ لعمر: إني لأرجو أن أموتَ في يومي هذا، فلا تُمْسِيَنَّ حتى تَندبَ الناس مع المثنّى، وإن تأخَّرْتُ فلا تُصْبحنَّ حتى تَندبَ الناس معه. ولا تشغلنَّكم مصيبةٌ عن دينكم، وقد رأيتَ ما صَنعتُ عند وفاة رسول الله ﷺ فمات أبو بكرٍ ونَدب عمرُ الناسَ مع المثنى.

ذكر استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما

لما اشتد بأبي بكر رضوان الله عليه مرضُه دعا عبدالرحمن بن عوف فقال: أخبرني عن عمر، فقال: ما تسألُني عن أمرٍ إلا وأنت أَخبرُ به مني، [فقال أبو بكر: وإنْ] فقال عبدالرحمن: هو والله أفضلُ من رأيك فيه، ثم دعا عثمان فقال: أخبرني عن عمر،

فقال: أنت أَخبَرُنا به، فقال: على ذلك، فقال عثمان: علمي به أن سريرتَه خيرٌ من عَلانيته، وليس فينا مثله، فقال أبو بكر: لو تركته لما عدوتُك، وشاور معهما سعيد بن زيد وأُسَيد بن حُضَير وغيرهما من المهاجرين والأنصار.

وسمع بعض أصحاب النبي ﷺ بذلك، فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم: ما أنت قائلٌ لربّك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غِلظَتَه؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تُخوِّفوني، خاب مَن تزوَّد من أمركم بظُلْمٍ، أقول: اللهمَّ إني استخلفتُ عليهم خيرَ أهلك، أبلغ عني ما قلتُ لك من وراءك، ثم اضطجع.

قالت عائشة ﵂: الذي قال لأبي بكر ذلك هو طلحة وعلي بن أبي طالب.

ثم قال لعثمان: اكتب، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن [أبي] قُحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها إلى الآخرة، وعند أول [عهده] بالآخرة داخلاً فيها، إني قد استخلفتُ عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آلُ الله ورسولَه ودينَه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عَدَل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإنْ بَدَّلَ أو غيَّر فلكلِّ امرئٍ ما اكتسب [من الإثم]، والخيرَ أردتُ، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنقلَبٍ يَنقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ثم أمر بالكتاب فخُتِم.

وفي رواية: لمّا أَملى أبو بكر ﵁ صدرَ الكتاب، وبقي ذكر عمر، فذُهب به قبل أن يُسمِّي أحداً، فكتب عثمان: إني قد استخلفتُ عليكم عمر، ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليَّ ما كتبتَ، فقرأ عليه ذكرَ عمر، فكبّر أبو بكر وقال: أراك قصدتَ أنني لو ذُهب بي في غَشيتي هذه أن لا يَختلف الناسُ، فجزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله، والله لو سَمَّيتَ نفسَك لكنتَ لها أهلاً.

ثم أمره فخرج بالكتاب مختوماً فقال للناس: أتُبايعون لمن في هذا الكتاب؟ قالوا: نعم، قال علي كرم الله وجهه: قد عَلِمنا به، وهو عمر، وأَقَرُّوا بذلك، ورَضُوا به جميعاً وبايعوا، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً فأوصاه بما أوصاه[1].

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٩-٢٠٠ ، والطبري ٣/ ٤٢٨ ، والمنتظم ٤/ ١٢٥-١٢٦ .

الباب الثاني

في ذكر عمر رضي الله عنه

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن عبدالله بن قُرْط بن رَزاح بن عديّ بن كعب بن لؤي، أبو حفص العَدَويّ القرشي.

قال وهب: اسمه في التوراة الفاروق.

وكان أبوه الخَطّاب من رجالات قريش، وأمُّ الخطاب من بني فَهم، وأم عمر حَنْتَمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم.

فصل: ذكر صفته:

قال الواقدي: كان أبيضَ أَمْهَق تعلوه حُمرة طُوالاً[(١)]. قال الجوهري: الأمهق: الشديد البياض كلونِ الجِصِّ[(٢)].

وكان أصلعَ شديدَ حُمرة العينين في عارِضه خفَّةٌ، يخضب عارضيه بالحِنَّاء والكَتَم، وصفته في التوراة: قرن من حديد، أمير شديد.

قال ابن قتيبة وهذا وصفُ أهل الحجاز. أما وصفُ الكوفيين فيقولون: كان آدمَ شديدَ الأُدْمَةِ[(٣)].

قال الواقدي: والثبت عندنا هو الأوَّلُ، اللهمَّ إلَّا أن يكون تغيَّر لونه عامَ الرمادةِ لما أكل الزيت[(٤)].

وقال ابن قتيبة: كان أَرْوَحَ، وهو الذي يتدانى عَقباه إذا مشى، قال: وكان كأنه من رجال سدوس، يعني من طُوله، فكان إذا مشى كأنه راكبٌ والناسُ يمشون.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٤.

(٢) الصحاح (مهق).

(٣) المعارف ١٨١.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٤.

وقال ابن قتيبة أيضاً: كان أعسر من اليسار[1]. وقال أبو جعفر الطبري في «تاريخه»: كان أَعسرَ يَسَرَ[2]، ويُسمَّى الأيسر. قلتُ: وقال الجوهري: ويقال رجلٌ أعسَرُ بيِّنُ العَسَرِ، للذي يعملُ بيساره، وأما الذي يعملُ بكلتا يَدَيه فهو أعسَرُ يَسَرٌ بغير ألف، قال: وكان عمر بن الخطاب أَعسرَ يَسَراً[3]. وقال المسعودي: كانت أم عمر سوداءَ[4]، وليس كما ذكر، بل كانت سمراءَ.

وكان منزلُه في الجاهلية بمكة، في أصل الجبل الذي يقال له اليوم: جبل عمر، وكان في الجاهلية يقال له: العاقر، وبه كانت منازل عديّ بن كعب.

ذكر خلافته:

قال الواقدي: تُوفي أبو بكر رضي الله عنه ليلة الثلاثاء، لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة، فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة يوم مات أبو بكر في ليلته[5]، وكان سنُّه يوم وَلي الخلافة اثنان وخمسون سنة، وكذا علي رضوان الله عليه.

ذكر أول خطبة خطبها:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فقد ابتُليتُ بكم، وابتُليتُم بي، وخَلفتُ فيكم بعد صاحبي، فمن كان بحضرتنا باشَرْناه بأنفسنا، ومَن غاب عنا وَلَّينا أهلَ القُوَّة والأمانة، فمن يُحسن نَزِدْه حسناً، ومَن يُسئ نُعاقبْه، ويغفر الله لنا ولكم.

وقال ابن سعد: قال عمر: اللهمَّ إني شديدٌ فليِّنِّي، وإني ضعيفٌ فقوِّني، وإني بخيلٌ فسَخِّني[6].

وقال حُميد بن هلال: حدَّثنا مَن شهد وفاة أبي بكر رضوان الله عليه، قال: لما فرغ عمر من دفنه نفض يده من تراب قبره، ثم قام خطيباً مكانه فقال: إن الله ابتلاكم بي

---

(١) المعارف ١٨١.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ١٩٦.

(٣) الصحاح (عسر).

(٤) مروج الذهب ٤/ ١٩٢.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٦ و ٢٧٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٤ وما قبله وما بعده منه.

وابتلاني بكم، وأبقاني فيكم بعد صاحبي، فوالله لا يَحضُرني شيءٌ من أمركم فيَليه أحدٌ دوني، ولا يتغيَّبُ عني فآلو فيه [عن الجَزْء والأمانة] ولئن أحسنوا لأُحسِنَنَّ إليهم، ولئن أساؤوا لأُنَكِّلَنَّ بهم، قال الرجل: فوالله مازال على ذلك حتى فارق الدينا.

وقال: إنما يَحِلُّ لي من مال الله حُلَّتان؛ حُلَّةٌ في الشتاء، وحُلَّةٌ في الصيف، وما أحجُّ عليه وأعتمر من الظّهر، وقُوتي وقوتُ أهلي كقوتِ رجلٍ من قريش، وما أنا إلا رجلٌ من المسلمين.

وقال: إني أنزلتُ نفسي من مال الله منزلةَ اليتيم، إن استغنيتُ استعفَفْتُ، وإن افتقرتُ آكل بالمعروف، [فإن أيسرتُ] قَضيتُ.

إنما يحل لي من هذا المال ما كنتُ آكلاً من صُلْبِ مالي الخلّ والزيت.

ذكر تسميته بأمير المؤمنين:

لما وَلي قيل له: يا خليفة خليفة رسول الله ﷺ، [فقال المسلمون: فمن جاء بعد عمر قيل له: خليفة خليفة خليفة رسول الله] فيطول هذا، ولكن أجمِعوا على اسمٍ يُدعى به مَن بعده من الخلفاء، فقال بعض الصحابة: نحن المؤمنون وعمر أميرُنا، فدُعي أمير المؤمنين، وهو أوّل مَن سُمِّي بذلك(١). وقال المسعودي: أوَّلُ مَن سمّاه به عديّ بن حاتم، وقيل: المغيرة بن شعبة، وقيل: أبو موسى الأشعري كتب إليه: لعبد الله [عمر] أمير المؤمنين، فلما قرأ الكتاب قال: إني لعبدُ الله وأميرُ المؤمنين، والحمد لله ربّ العالمين(٢).

وقعة أجنادين

وهي بلدة بين الرّملة وبيت جِبرين من أعمال فلسطين، وكانت في رجب، وقيل: كانت بعد فتح دمشق، وقيل: كانت قبل اليرموك في حياة أبي بكر، وقيل: كان بأجنادين وقعتان: وقعة في جمادى الأولى وأخرى في رجب.

قال سيف: اجتمع عمرو بن العاص والأمراء بأجنادين فعسكروا بها، وجاءهم

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨١ وما بين معكوفتين منه.

(٢) مروج الذهب ٤/ ١٩٢-١٩٣ .

القُبُقلار نائب الملك، فاقتتلوا، فقُتل القبقلار، واستُشهد جماعة من المسلمين نذكرهم في آخر السنة(١).

ذكر عزل خالد بن الوليد عن الشام

لم يزل عمر ساخطاً على خالد مدّة خلافة أبي بكر لكلام كان يبلغه عنه من الاستخفاف به، واطّراح جانبه، وما كان يُسمّيه إلا باسم أمه وبالأعيسر، وكان أكبر ذنوب خالد عنده قتل مالك بن نويرة بعد إسلامه، وأخذه لامرأته، ودخوله المسجد وعلى رأسه السّهام فيها دم، وكان يحثُّ أبا بكر على عزله، ويُحرِّضه على قتله بسبب قتله لمالك، وكان أبو بكر يتوقّف.

فلما مات أبو بكر وَولي عمر قال: والله لا يلي خالد عملاً أبداً. وقال ابن سيرين: قال عمر بن الخطاب: والله لأعزلن خالداً عن الشام، والمثنى مُثنَّى بني شيبان عن العراق؛ حتى يعلما أن الله يَنصر هذا الدين، وليسا بناصِرَيْه(٢).

قال سيف: فكتب عمر إلى أبي عبيدة: سلام عليك، أما بعد فإني قد عزلتُ خالداً عن جند الشام، وولَّيتُك أمرَهم، فقم به والسلام. فوصل الكتاب إلى أبي عبيدة، فكتم الحال حياءً من خالد، وخوفاً من اضطراب الأمور، ولم يوقفه على الكتاب حتى فُتحت دمشق، وكان خالد على عادته في الإمرة وأبو عبيدة يصلي خلفه، وقدم بهذا الكتاب شَدّاد بن أوس بن ثابت الأنصاري ومَحمِيَة بن جَزْء في رجب.

وقعة فِحل

وسار المسلمون من أجنادين إلى فِحل، وهي بلدة بأرض فلسطين، وقيل: بالأردن، وكان الروم قد اجتمعت بها ونزلت بِبَيْسان، وتقدَّم خالد بن الوليد في المقدمة، فبثقت الروم المياه، وهي أرض سَبْخة، فصارت وَحْلاً، ولم يعلم المسلمون، فلما غشيها خالد وَحِلت خيولُهم، فلقوا منها عناءً، ثم سلمه الله تعالى، وانحازت الروم إلى فِحل، وقصدهم المسلمون، فنصرهم الله عليهم فانهزموا، وغنم

---

(١) انظر الطبري ٣/ ٤١٧-٤١٨، وفتوح البلدان ١٢٠-١٢١، وتاريخ دمشق ١/ ٢٣٦ (مخطوط).

(٢) في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٤: حتى يعلما أن الله إنما كان ينصر عباده، وليس إياهما كان ينصر.

المسلمون أموالَهم، واستشهد جماعةٌ من المسلمين نذكر أعيانهم في آخر السنة. وكانت الوقعة في ذي القعدة قبل فتح دمشق، وفيها يقول القعقاع بن عمرو: [من الكامل]:

كم من أبٍ لي قد وَرِثتُ فعالَه جَمِّ المكارم بحرُهُ تَيَّارُ
وَرِث المكارم عن أبيه وجدِّه فبنى بناءهمُ له استبصارُ
وغداة فِحْل قد رَأَوني مُعلماً والخيلُ تَنْحطُ والبَلا أطوارُ
مازالت الخيلُ العِرابُ تَدوسُهم في جوف فِحْل والهبا مَوَّارُ
حتى رَمَيْنَ سراتَهم عن أسرهم في رَدْغَةٍ ما بعدها استِمرارُ[1]

ذكرُ فتوح دمشق ومرج الصُّفَّر

قال سيف: وسار أبو عبيدة والمسلمون إلى دمشق، فخرج إليهم ماهان قريباً من دمشق، فقاتلهم فهزموه، فدخل دمشقَ.

وقال الواقدي: سار أبو عبيدة نحو دمشق فنزل بمرج الصُّفَّر، واجتمعت الروم إلى ماهان فخرج بهم إلى المرج، واقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت الروم، فدخلوا دمشقَ فتحصّنوا بها، وقُتل بمرج الصُّفَّر جماعةٌ من المسلمين نذكرُهم في آخر السنة.

ثم سار المسلمون فنزلوا على دمشق، وبَثُّوا الخَيْلَ ما بين دمشق وحمص، وقطعوا الموادَّ عنها، ونصبوا عليها المجانيق، وجَدُّوا في القتال، وفرَّقَ أبو عبيدة الأُمراء على الأبوابِ: فنزل خالدٌ على باب الجابية، ويزيدُ بن أبي سفيان على باب الصغير، وأبو عبيدة على الباب الشرقي، ونزل أبو الدرداءِ ببَرْزَةَ في جماعةٍ من المسلمين.

وجَدُّوا في القتال ستّين ليلةً، فوهن الرومُ وضَعُفوا، وانقطعت الموادُّ عنهم، واتَّفق أنه وُلِدَ لبطريقٍ ولدٌ، فأكلوا في الليلِ وشَرِبوا، وغَفلوا عن مواقفهم، ولم يعلم بهم إلا خالدٌ لأَنه كان يتعرَّفُ أخبارَهم، وكان قد عمل حبالاً مثلَ السلالمِ، واتَّفق مع القعقاع ابن عمرو ومذعور بن عديّ على أنَّهم يتسلَّقون في الحبالِ، وأرسل إلى يزيد بن أبي سفيان وأبي عبيدة وقال: إذا سمعتُم التكبير فاقصدوا الأبواب. وتسلَّق خالد ومَن معه

(١) تاريخ دمشق ١/ ٢٣٩ (مخطوط)، ومعجم البلدان (فحل) ٤/ ٢٣٧ .

على باب الجابيةِ، ونزل فقتل البَوَّابين وكسر أغلاق الباب وفتحه، ودخل المسلمون، ووقع الصوت وكبَّروا وفتحوا الباب الصغير، والباب الشرقي، ودخل الناس فصاحوا: الأمان الأمان، والتقى المسلمون في وسط البلد، وقيل: إن الروم فتحوا الباب الصغير والباب الشرقي على الأمان، ودخل خالد من بابِ الجابيةِ عَنوةً، فالتقاه الأُمراءُ في وسط البلد وهذا أصحُّ.

وقال سيف: رابط المسلمون دمشق ستة أشهر[1]، وكان أبو عبيدة استخلف على اليرموك بشيرَ بن كعبٍ، وكانت الرومُ قد اجتمعت بفِحْلٍ، فلم يدر أبو عبيدة بأيِّهما يبدأ بدمشق أم بفِحْل، فكتب إلى عمر يستشيرُه، فضم خالد بن الوليد إلى أبي عبيدة، وأمر عمرو بن العاص بأن يكون مدداً لأهل فلسطين، وكتب: أن ابدؤوا بدمشق فإنَّها حصنُ الشام وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهلَ فِحْلٍ بخَيلٍ تكون بإزائهم، فنازلوا دمشق نحواً من سبعين ليلة وهرقل يومئذٍ بحمص، فحالت بين دمشقَ وبينه خيولُ المسلمين وفُتحت دمشق على الوجه الذي ذكرنا.

وقد حكينا عن ابن إسحاق أن وقعةَ فِحْلٍ كانت قبل فتح دمشقَ، وهو الأصحُّ.

وجرى الصلحُ بين أبي عبيدة وأهل دمشق على مُقاسمةِ الدينار والدرهم والعقار، وعلى كل رأسٍ دينار.

واختلفوا في أي سنةٍ فُتحت دمشق؟ فقال سيف: في هذه السنة، وهي سنة ثلاث عشرة، وقال ابن إسحاق والواقدي: في سنة أربع عشرة[2].

وأصيبت قدمُ أبي الزهراء القُشيري بدمشق، وقيل قدم أخيه، فلما هاجا بنو قُشَير بني جَعْدة فخروا عليهم بذلك، وعدوه من المآثر، فقال نابغة بني جَعْدة: [من البسيط]

فإن تكن قَدمٌ بالشام نادِرَةً   فإن بالشام أقداماً وأوصالا

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/ ٤٤١ أن هذا قول الواقدي.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٤-٤٤٢، وفتوح البلدان ١٢٧، والمنتظم ٤/ ١٤٢-١٤٦، وتاريخ دمشق ١/ ٢٤٠ فما بعدها.

وإن يكن حاجبٌ ممّن فَخرتَ به فلم يكن حاجبٌ عمًّا ولا خالا
ثم فَخَر عليهم وقال:
تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لَبَنٍ شِيبا بماءٍ فعاد الكلُّ أبوالا[١]

ذكر إظهار أبي عبيدة كتاب عمر بعزل خالد

ولما فتحت دمشق أظهر أبو عبيدة كتاب عمر بعزل خالد، وكان عمر كتب إلى أبي عبيدة يَلومه على إخفاء كتابه، فأوقف خالداً عليه، فقال خالد: وهذا الكتاب له مدة وأنت تصلي خلفي ولم تعلمني، فجزاك الله خيراً، وهذا فعلُ ابن حنتمة.

وقد أخرج الإمام أحمد رحمة الله عليه حديثاً في الباب فقال: حدثنا حسين بن علي الجُعفي، عن زائدة، عن عبدالملك بن عُمير قال: استعمل عمر أبا عبيدة بن الجراح على الشام، وعزل خالد بن الوليد، فقال خالد بن الوليد: بعَث عليكم أمينَ هذه الأُمَّة، سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك، فقال أبو عبيدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالد سيف من سيوف الله، ونِعم فتى العَشيرة»[٢].

ذكر طبريّة وبَيْسان

ثم بعث أبو عبيدة أبا الأعور السُّلَمي إلى طبرية، وعمرو بن العاص إلى بَيْسان وشرحبيل بن حسنة، ففتحوهما عَنوة، وقيل: صلحاً على صلح دمشق وهو الظاهر، وكتب أبو عبيدة إلى عمر بما فتح الله على المسلمين، وبعث إليه بالأخماس، وكتب إليه عمر: أن ابعث إلى العراق مدداً، فبعث القعقاع بن عمرو وهاشم بن عتبة في عشرة آلاف، وذلك بعد فتح دمشق.

كتاب عمر إلى أبي عبيدة في مضي خالد

وكتب عمر إلى أبي عبيدة: أما بعد، فإنْ أكذب خالدٌ نفسَه فهو أميرٌ على مَن معه، وإن لم يُكذب نفسَه فأنت الأمير على ماهو عليه، ثم انزع عمامتَه عن رأسه، وقاسمه مالَه نصفَين، وبلغ خالداً فقال: فعلها الأُعيسر ابن حنتمة، لا يزال كذا، ودخل على

(١) تاريخ دمشق ١/ ٢٥٠، وانظر ديوان النابغة الجعدي ١٠٩.
(٢) مسند أحمد (١٦٨٢٣).

أخته فاطمة بنت الوليد ـ وكانت عند الحارث بن هشام ـ فقال: ما يَرضى في كذا وكذا، فقالت: والله لا يُحبّك عمر أبداً، وما يريد إلا أن تُكذب نفسَك فيعزلك، فقبّل رأسَها، وأرسل إلى أبي عبيدة وقال: لا أُكذب نفسي أبداً، تعال فقاسمني مالي، فقاسمه حتى أخذ نَعْلاً وأعطاه نعلاً[١]، فتكلّم الناس في عمر وقالوا: هذه والله العداوة، ولم يعجب الصحابة مافعل بخالد، وقد روي أن خالداً امتنع من ذلك، فقام إليه بلال بنُ حمامة المؤذن ليَعْقِلَه بعمامته، فقال له: إيهاً، ماتُريد؟ ونال منه، ثم قال لبلال: افعل ما تُريد، فيقال: إنه عَقَلَه بعمامته.

حديث المثنّى بن حارثة وأبي عبيد[٢] الثقفي

قد ذكرنا وصيّة أبي بكر لعمر رضي الله عنهما أن يندب الناس مع المثنى، فندب عمر النّاس صبيحةَ البيعة بعد مافرغ من دفن أبي بكر، وكان المسلمون يكرهون قتال الفُرس لشدَّة بأسهم، فندب الناسَ ثلاثة أيام، فما انتدب له أحد، فقال: أيها الناس، إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُّجعة، ولا يَقوى عليه أهلُه إلا بذلك، فسيروا في الأرض التي وعدكم الله في كتابه أن يُورثكموها؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[التوبة: ٣٣]، والله مُظهر دينه، ومعزّ ناصره، ومموّل[٣] أهله مواريثَ الأمم.

وقام المثنى فقال: أيها الناس، لا يَعظمنّ عليكم قتالُ فارس، فإنا قد غلبناهم على السّواد، وقاسمناهم البلاد، وصغُر أمرُهم، وحقر شأنهم. ورغَّب الناسَ في الجهاد، فأولُ مَن انتدبَ أبو عبيد بن مسعود الثقفي، وقال: أنا أول مَن أجاب، ثم أجاب سعد ابن عُبيد الأنصاري، وسَليط بن قيس وسلمة بن أسلم وكانا من أهل بدر، فقيل لعمر: أمِّر على الناس رجلاً من المهاجرين الأوَّلين أو من الأنصار، لا تُؤَمِّر عليهم رجلاً من ثَقيف، يعني أبا عبيد، فقال: لا والله، إن الله إنما أعزّ الإسلام بمَن بادر إلى نُصرته، وسارع إلى قتال عدوِّه، وإذا كرهتم لقاءَ العدوّ فأولى بالتَّقدُّم والرياسة مَن أجاب.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٧ .

(٢) في (أ) و(خ): وأبي عبيدة، والمثبت من الاستيعاب (٣٠٤١)، الإصابة ٤/ ١٣٠ ، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٤٤ ، والمنتظم ٤/ ١٤٤ .

(٣) في الطبري والمنتظم: ومولي.

ثم أمَّر عمر أبا عبيد على الجيش، وكانوا خمسة آلاف، وقيل: سبعة آلاف، وأوصى أبا عُبيد وقال له: اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ، وأشركهم في الأمر، لا تَقطع أمراً دون سَليط بن قيس وسلمة، فإن الحرب لا يُصلحها إلا الرجل الذي يَعرف الفُرصة، فقال أبو عبيد: أنا لها.

وكان أول جيش جهزه عمر رضوان الله عليه إلى العراق، ثم بعث بعده يعلى بنَ أميّة إلى اليمن، وأمره بإجلاء أهل نجران؛ لوصيَّة رسول الله ﷺ في مرضه بأن يُخرجوا مَن بأرض العرب مِن اليهود والنصارى، وأوصى بذلك أبو بكر في مرضه.

ثم ندب عمر أهل الردَّة، فأقبلوا سراعاً من كلّ وجه، فرمى بهم الشام والعراق، وتقدّم المثنّى إلى العراق، فوجد الفُرس قد قتلت شهريار وتوَّجت رُستماً، وجعلت بوران بنت كسرى ـ وهي التي أهدت لرسول الله ﷺ، وقبل هديَّتها ـ عَدْلاً بين الناس؛ إلى أن يَصطلحوا على من يرونه أهلاً. وكان مسير المثنى من المدينة إلى الحيرة في عشر ليالٍ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر، وقيل: بعد عشرين يوماً.

قصة النَّمارق

ولما رجع المثنى إلى الحيرة، ولحقه أبو عبيد بلغ رستماً، فكتب إلى دهاقين السَّواد ومَن عندهم أن يثوروا على مَن يليهم من المسلمين، ووعدهم يوماً بعينه، وبعث جُنداً لمصادمة المثنى، وبعث جابان[1] إلى أسفل السواد ليثور على مَن فيه، فنزل بمكان يُقال له: النمارق، وبعث رستم نَرسي، فنزل مكاناً يقال له: زندورد، ونرسي ابن عمّ كسرى[2]، وكانت كَسْكَر قَطيعة له، وثار أهلُ فارس من الدَّهاقين والرَّساتيق وغيرهم من أعلى الفرات إلى أسفل.

وجاء المثنى فنزل خَفّان لئلا يُؤتى من خلفه، فأقام حتى وصل أبو عبيد، وتهيّؤوا للقتال، وجعل أبو عبيد المثنّى على الخيل، وعلى الميمنة والق بن جيدارة، وعلى الميسرة عمرو بن الهيثم، والتقوا على النَّمَارق، فاقتتلوا، فانهزمت الفرس، وأَسر مطر

(١) في (أ) و(خ): وبعث خالد، والمثبت من تاريخ الطبري ٣/ ٤٤٨، وتجارب الأمم ١/ ١٨٦.
(٢) في الطبري ٣/ ٤٥٠، والمنتظم ٤/ ١٤٦، وتجارب الأمم ١/ ١٨٦: ابن خالة كسرى.

ابن فضَّة التيمي جابان مقدّم العساكر، فخدعه بمال فأطلقه، فأخذه المسلمون وأتوا به أبا عبيد، وأخبروه أنه الملك، وقالوا اقتُله، فقال: إني أخاف الله، كيف أقتله وقد أمَّنه رجلٌ من المسلمين، والمسلمون في الأمان كرجل واحد، فاستبقاه، وأسر أكتلُ بنُ شمَّاخ العُكلي(١) مردانشاه، فقتله ولم يعرفه، وكان من عظماء الفرس.

ولما انهزمت الفرس التجؤوا إلى نرسي، وكان بكَسْكَر ومعه ابن خاله بندويه.

وفي وقعة النمارق يقول عاصم بن عمرو: [من الطويل]

لعَمري وما عمري عليَّ بهيِّنٍ لقد صُبِّحت بالخِزي أهلُ النَّمارقِ
بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربِّهم يَجوسونهم ما بين دُرْنا وبارقِ(٢)

وبعث أبو عبيد بالغنائم إلى عمر، وهي أول غنيمة وصلت من العراق إليه.

وقعة كَسْكَر

وسار أبو عبيد إلى كسكر، وهي مكان بالعراق، والتقوا، وعلى ميمنة نَرسي وميسرته ابنا خاله بسطام، وهما بندويه وتيرويه، وأبو عبيد على تعبية، وكان رستم قد جهّز الجيوش مع الجالينوس، فأعجلهم أبو عبيد قبل وصوله، وكانت الوقعة بين كَسْكر والسَّقَاطِية، فاقتتلوا في صحارى مُلْس، فنصر الله المسلمين وانهزمت الفرس، وهرب نرسي، وغنم المسلمون أموالَهم، وظفر أبو عبيد بحمًى كان لنرسي لم يكن بالعراق مثلُه، وهو حول كسكر، فلم يفرح المسلمون بشيء كفرحهم به لأجل دوابّهم، وأخذ خزائن نرسي، وبعث الأمراء إلى أماكن، فهزموا مَن كان بها، وأهدى بعضُ الدَّهاقين من أهل زَندورد إلى أبي عبيد طعاماً كثيراً أكرموه به، فقال أبو عبيد: أَكُلَّ الجند أهديتُم له مثل هذا؟ قالوا: لا، قال: فبئس المرءُ أنا إن صحبتُ قوماً ثم أستأثِرُ عليهم بشيء، ولم يأكل منه لقمة.

(١) في (أ) و(خ): العجلي، والمثبت من الطبري ٣/ ٤٥٩، والاستيعاب (١٥٨)، والإصابة ١/ ١١٠، والاكتفاء ٤/ ١٢٠.
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٤٥٠-٤٥١.

وقعة الجسر

ولما عاد نَرْسي إلى المدائن مهزوماً جهَّز رستم بَهْمَن جاذويه، وأعطاه درفش كابيان ـ راية أفريدون، وهي راية كسرى العُظمى، وكانت الفُرس تتيمَّن بها ـ فنزل على شرقي دجلة، وأقبل أبو عبيد فنزل غربي دجلة، بمكان يقال له: المَرْوَحَة، مقابلاً لبَهْمَن جاذويه، فأرسلوا إلى أبي عبيد: إما أن تَعبروا إلينا أو نَعبُر إليكم، فقال أبو عبيد: بل نحن نَعبر إليكم، وترك الرأي، ولامه المسلمون، وقالوا: لا، بل هم يَعبرون إلينا كما فعل بهم خالد، فقال أبو عبيد: لايكونوا على الموت أجرأ منا، فعَبر أبو عبيد والمسلمون على جسر نصبوه لهم، في مكان ضيّق المَطْرَد، وقطع الجسرَ أبو عبيد، وقيل: غيره، فقال له سلمة بن أسلم: أيها الرجل، إنه ليس لك علم بما ترى، وقد خالفتنا، فسوف تهلك وتُهلكنا بسوء سياستك، وقال له سليط: ستعلم، فقال لهما أبو عبيد: أَجَبُنْتُما؟! فقال له سليط: إن العرب لم تقاتل فارساً مثل اليوم، فاجعل لها ملجأً، فقال: ما بقي غيرُ القتال، وقد حُمَّ الأمر، فاقتتلوا يوماً.

وكانت الخيول كلما رأت الفِيلة عليها الرجال والتَّجافيف لم تُقدم عليها[(١)]، والفُرس تُنكي فيهم بالنُّشَّاب، وكان معهم فِيلة يقدمها فيل أبيض تَنفِر منه الخيول، فقال أبو عبيد: هل لهذه الدابّة من مَقتل؟ قالوا: نعم مِشفَره، فحمل عليه أبو عبيد راجلاً، ولم يكن رضي الله عنه رأى فيلاً قط قبل ذلك، وهو ينشد ويقول: [من الرجز]:

يـالـك مـن ذي أربـعٍ مـا أكـبـرك
إنـي لـعـالٍ بـالـحُـسـام مِـشْـفَـرَكْ
يـالـك مـن يـومِ وغـى مـا أنـكـرك
وهـالِـكٌ وفـي الـهـلاك لـي دَرَكْ

ثم قال للناس: اقصدوا الفِيلة، وواثب هو الفيلَ الأبيض، فتعلّق ببطنه فقتله، وفعل القوم مثل ذلك، فما تَركوا فيلاً إلا وحَطُّوا رحلَه[(٢)]، وقتلوا أصحابَه، وقُتل من

(١) في المنتظم ٤/ ١٤٧ : وكانت الخيول إذا نظرت إلى الفيلة عليها الحلية، والخيل عليها التجافيف لم تقدم. والتجافيف من آلات الحرب، يوضع على الفرس يتقى بها، كالدرع للإنسان، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٥٦.
(٢) في (أ) و(خ): وحطمه رجل، والمثبت من المنتظم ٤/ ١٤٧ ، والطبري ٣/ ٤٥٧ .

الفُرس ستةُ آلاف في المعركة، وأشرفوا على الهزيمة، ثم أهوى أبو عبيد إلى مشفر الفيل الأبيض، فخطمه بالسيف فقطع مِشفره، وصاح الفيل صيحةً هائلةً منكرة، وخبط أبا عبيد خبطةً، ووقع عليه فمات، ولما رأى المسلمون أبا عُبيد تحت الفيل ضَعُفت نفوسُهم، وحاربوا الفيل حتى تَنحّى عنه، فجرُّوه إلى الرَّحل.

وجال المسلمون جولةً، وركبهم أهلُ فارس، وأخذ اللواءَ سبعةٌ من المسلمين فقتلوا، وقتل الفُرسُ من المسلمين أربعةَ آلاف، وانتهى الباقون إلى الجسر وهو مقطوع فتهافتوا في الفرات، فغرق منهم خلقٌ كثير، وحمى المثنى الناس، وعقد الجسر، وعبر من بقي وهم ثلاثة آلاف، وعبر بعضُ الفُرس في آثارهم، وقيل إن الجسر كان ممدوداً، فقطعه عبدالله بن مَرثَد الثقفي، ثم مَدَّه المثنى وأصحابُه حتى عبر من بقي من المسلمين، ولما قطع الجسرَ عبدالله بن مَرثَد نادى: أيها الناس، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أو تظفروا، فجاء المثنى فضرب عبدالله وقال: ويحك، ما حملك على ما صنعتَ؟ فقال: ليقاتلوا، فعقد المثنى الجسرَ وقال: أيها الناس اعبروا على هينتكم فأنا دونكم.

وقتل سَليط وسلمة بن أسلم عند الجسر، وجُرح المثنى جراحةً كانت سببَ موته، ونجا بمن بقي من الناس، ولما عبروا ارفضُّوا إلى المدينة، وبقي المثنى في عددٍ يسير، ولما وصلوا المدينة استحيوا من الهزيمة، وسبق القومَ عبدُ الله بن زيد ، فوافى عمر رضوان الله عليه على المنبر، فصعد إليه فسارّه، فترحَّم على أبي عبيد وقال: لو انحاز إليَّ لكنت له فئةً، ثم قال للمنهزمين: أنا فِئتُكم، فطابت قلوبهم.

وقيل: إن الذي قطع الجسر عبد الله بن يزيد [بن زيد] بن حُصين بن عمرو بن الحارث بن خَطْمة الأنصاري، من الأوس، وهو من الطبقة الخامسة من الصحابة ممن هم حدثاء الأسنان، وهو الذي جاء إلى عمر بن الخطاب بحديث الجسر.

قال أبو طوالة وغيره: لما برك الفيل على أبي عبيد يوم الجسر فقتله هرب الناس، فسبقهم عبد الله بن يزيد الخَطْمي فقطع الجسر، وقال: قاتلوا عن أميركم، وكان عمر يتوقَّع خبر أصحابِ الجسر، وكان قد رأى رؤيا فكرهها، فكان يُكثر الخروج يطلب الخبر؛ حتى قدم عليه عبدالله بن يزيد الخطمي فأخبره الخبر.

قال ابن سعد: جاء وعمر رضي الله عنه على المنبر، فقال له: يا عبدالله ما الخبر؟ قالت

عائشة رضي الله عنها: فقمت إلى صِير الباب أنظر منه، ما رأيتُ أحداً كان أثبتَ لذلك الخبر من عمر[1].

وأمُّ عبد الله بن يزيد ليلى بنتُ مروان بن قيس، من بني خَطْمة، وكان له أولاد: موسى وأمُّ الحكم والسَّرِيّة، أمُّهم أم بكر بنت حذيفة بن اليمان، وفاطمة وأمُّ عدي وأمُّ أيوب وحفصة، وسُلَيْمة، وأمُّهم أمُّ هارون بنت مسعود، وقيل: أمُّ الجميع أم بكر بنت حذيفة[2].

وقيل: إن عبدالله شهد الحديبية وهو مُدرك، وقال محمد بن عمر: لا نعلمه شهد مَشهداً مع رسول الله ﷺ، وولّاه عبدُ الله بنُ الزبير الكوفة، وشهد أبوه يزيد أُحداً[3].

وأخرج الإمام أحمد لعبد الله بن يزيد حديثين[4]. قال المصنف رحمه الله: لم أقف على وفاة عبدالله بن يزيد.

وأما الفُرس فعبر بعضُهم، وهمَّ الباقون بالعبور، فجاءهم الخبر أن الفرس قد ثاروا في المدائن برستم، ونقضوا ماكان بينهم وبينه من العهد، فرجعوا، وتُسمّى هذه الوقعة وقعة قَسّ النّاطف أيضاً، وكانت في رجب سنة ثلاث عشرة، وقيل: كانت في سنة أربع عشرة، وقيل: سنة خمس عشرة، والأول أشهر.

وقعة أُلَّيْس الصغرى

ولما عبر المسلمون عبر خلفهم جابان، وقيل: بهمن جاذَويه، وفرَّق أصحابه ليأخذوا على المسلمين الطُّرق، ونزل جابان أُلّيس فتبعه المثنى في خيل فأخذه أسيراً، وقال: أنت غَرَرْتَ أبا عبيد حتى عبر الجسر، فقتله بأبي عبيد، وقتل أصحابَه، وكتب كتاب أمان لأهل أُلَّيْس، ورجع إلى عسكره، وهرب أبو محجن الثقفي من أُلّيس إلى الطائف، ثم قدم بعد ذلك إلى القادسية مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

---

(١) طبقات ابن سعد (١٤٠٥) الخانجي، وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٥٩ .

(٢) في (أ) و(خ): حنظلة، والمثبت من طبقات ابن سعد (١٤٠٥).

(٣) طبقات ابن سعد (١٤٠٥).

(٤) هما في المسند (١٨٧٤٠) و(١٨٧٤١).

قصة البُوَيب

جمع المثنى بعد وقعة الجسر جمعاً عظيماً من العرب، ومَن يليه من أهل البادية؛ ليغير على نهر سُليم، فيأخذ بثأر أبي عبيد، وبلغ الخبر رستم، فجهّز إليه مهران بن باذان ليأتيه من خلفه، وبلغ المثنى فعسكر بالسِّباخ من أرض القادسية وخَفَّان، وبعث إلى جرير ابن عبدالله البَجلي ـ وكان قريباً منه ـ في جمع، فتواعدا البوَيب، واجتمعوا هناك.

وجاء مهران فنزل شرقي الفرات بإزائهم، على موضع يقال له: بَسُوسيا، فقال المثنى: هلك مهران، نزل البسوس والسوء، وأرسل إليهم مهران: إما أن تعبروا إلينا أو نعبرَ إليكم، فقال المثنى: لا نُلدغ من جُحر مرّتين، اعبروا إلينا، ونزل مهران منزلاً يقال له: شوميا فقال المثنى: انهضوا بنا إليهم فقد هلكوا وربِّ الكعبة، انتقلوا من السوء إلى الشؤم.

وحمل المثنى فأبلى بلاءً حسناً، فقُتل مهران، قتله غُلامٌ نصرانيّ من بني تغلب، وقُتل من الفرس مئة ألف، وكان المثنى سببَ الهزيمة، حمل على القلب فأزاله، وغنم المسلمون أموالاً عظيمة، وسار المسلمون ما بين دجلة والفرات، ومن الفرات إلى البرية مما يلي القادسية، واعتصم الفرس بساباط.

وقال ابن إسحاق: لما بلغ عمر وقعة الجسر، شقّ عليه، واتّفق قدوم جرير بن عبدالله البَجلي من اليمن في وفدٍ من بَجيلة، فقال عمر: سمعتُم ما جرى على إخوانكم يوم الجسر، فسيروا إلى العراق، وبعث معهم القبائل من بني عامر بن صعصعة، وأمّر على الجيش عرفجة، فغضب جرير وقال لعمر: استعملتَ علينا رجلاً ليس منا؟ وبلغ عرفجة فغضب، وقال[١]: والله لا أسير معهم، فأمّر عمر جرير بنَ عبدالله البَجلي على بَجيلة.

وسار فنزل قريباً من المثنى، فأرسل إليه المثنى أن: أَقبِل فإنما أنت مَددٌ لي، فأرسل إليه جرير: أنا أمير وأنت أمير، وسأستأذن أميرَ المؤمنين.

وسار جرير يريد الجسر، فلقيه مهران عند النُّخيلة، وكان مهران من عظماء الفرس، وكان شرقيَّ دجلة، فعبر إليه، والتقوا، فطعن المنذر بن حسّان الضبيّ مهران،

(١) في (أ) و(خ): فغضب جرير وقال، وهو خطأ.

فوقع عن فرسه، واقتحم عليه جرير بن عبدالله فاحتز رأسه، ثم اختصما فيه واصطلحا، فأخذ جرير سلاحَه، وأخذ المنذر مِنطقته.

وكان مهران قد نشأ باليمن مع أبيه باذان لما كان عاملاً لكسرى عليها، ولما التقى مهران جريراً والمنذر قال: [من الرجز]:

إن تسألوا عني فإني مهران … أنا لمن أنكرني ابنُ باذانْ

وكتب المثنى إلى عمر يشكو جريراً، فكتب إليه: كيف أقدّمُك على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ[1].

وكانت وقعة البُوَيْب في رمضان سنة ثلاث عشرة، وذكر ابن سعد أن جريراً شهد وقعة جسر أبي عبيد.

قصة الخنافس

ولما قُتل مهران قيل للمثنى: هاهنا سوق عظيم يُقال له: الخنافس، يجتمع إليه خلقٌ عظيم من الفرس والعرب والدهاقين، فيقيمون بها أياماً يبيعون ويشترون، وفيها أموال عظيمة، فقصدها يوم سوقها، فانتسف السوق ومَن فيه، وقتل وسبى، وغنم وعاد.

قصة بغداد

قال سيف: كان موضع بغداد في أيام الفرس سوقٌ عظيم يقوم في السنة، فذُكرت للمثنى.

وقد أخرج القصّة الخطيب في تاريخه، عن ابن إسحاق بطوله قال: قال أهل الحيرة للمثنى: ألا ندلُّك على قريةٍ تأتيها تجارُ مدائنِ كسرى والسواد، ويجتمعُ بها في كلّ سنةٍ من أموال الناس مثلُ خراج العراق، وهذه أيام سوقهم يجتمعون فيها، فإن أنت قَدرت على أن تُغير عليهم وهم لا يشعرون، أصبتَ منه مالاً يكون منه عزٌّ للمسلمين، وقوّةٌ على عدوِّهم، وبينها وبين مدائن كسرى يوم واحد. فقال: وأنّى لي بها؟ فقالوا: خُذ على طريق الأنبار، وبين يديك الأدِلّاء، فتسير أولَ الليل من الأنبار فتُصبّحها أو تأتيها ضُحىً.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٧١-٤٧٢.

قال: فخرج من النُّخَيلة ومعه الأدِلّاء من أهل الحيرة، حتى نزل الأنبار، فتحصّن منه صاحبُها، فأرسل إليه المثنى: انزل فأنت آمنٌ على دمك وقريتك[1]، حتى ترجع سالماً إلى حصنك، فنزل، فقال: أريد دليلاً إلى بغداد لأعبر منها إلى المدائن، فبعث معه دليلاً، وأخرج لهم الطعام والعلف، وسار حتى قَرُب من بغداد فنزل، وسار في الليل، فصبَّحهم وهم في أسواقهم، فوضع فيهم السيف، فقتل [وأخذ الأموال]، وقال لأصحابه: لا تأخذوا إلا الذهب والفضة، ومن المتاع ما يقدر أحدكم على حمله، ففعلوا، وحملوا من الأموال ما أعجزهم حملُه، وعادوا غانمين[2].

قال سيف: وكان أهلُ الأنبار قد نقضوا العهد بعد خالدٍ، فأمّنهم المثنى، فأرسلوا إليه بالإقامة عند ذهابه إلى بغداد وعند عوده. وقد ذكرنا أنَّ المثنى أغار على سوق بغداد في أيام خالد بن الوليد، فتكون غارتين.

وحجّ بالناس عمر بن الخطاب، وعند مرجعه من الحج جهّز الجيوش إلى العراق، وقيل: لم يَحجّ في هذه السنة لاشتغاله بتجهيز الجيوش، وبعث عبد الرحمن بن عوف فحجّ بالناس، ثم حج عمر بعد هذه السنة مدّةَ خلافته.

وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص الثقفي، وعلى اليمن يَعلى بن مُنْية، وعلى الشام أبو عبيدة، وعلى العراق المثنى بن حارثة، وعلى البحرين العلاء بن الحضرميّ، وعلى القضاء علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفيها توفي

الأَخْنَس

واسمه أُبيّ بن شَريق بن عمرو الثقفي، أسلم يوم الفتح، وسُمّي الأخنس لأنه أشار يوم بدر على بني يربوع بالرجوع إلى مكة[3]، فرجعوا ولم يشهدوا بدراً، فسلموا من

(١) في (أ) و(خ): وقومك، والمثبت من (ك).

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٢٦، والمنتظم ٤/ ١٥٠.

(٣) في السيرة ١/ ٢٨٢ و ٦١٩، وطبقات ابن سعد (١٠٧٧) الخانجي، والمنتظم ٤/ ١٥٢، والإصابة ١/ ٢٥ أنه رجع ببني زهرة.

القتل، فخَنَس بهم أي: تأخّر.

شهد مع رسول الله ﷺ حُنيناً، وأعطاه مع المؤلَّفة قلوبهم، وله صحبة ورؤية، وليس له رواية، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[البقرة: ٢٠٤](١).

أبان بن سعيد

ابن العاص بن أمية بن عبدشمس، أبو الوليد، وقيل: أبو سعيد، من الطبقة الثالثة من الصحابة، أسلم بين الحُديبية وخيبر، وهو الذي حمل عثمان على فرس عام الحديبية، وأجاره حتى دخل مكة، وبَلَّغ رسالة رسول الله ﷺ وقال له: [من المنسرح]:

أقبِلْ وأدبِرْ ولا تَخَفْ أحداً بنو سعيدٍ أعِزَّةُ الحرمِ(٢)

واستعمله رسول الله ﷺ في بعض سراياه، وولّاه البحرين بعد العلاء بن الحَضْرميّ، ولما تُوفّي رسول الله ﷺ قدم على أبي بكر، فقال له: ارجع إلى عملك، فقال: لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ، وخرج إلى الشام غازياً فاستشهد بأجنادين، وقيل باليرموك، وقيل بمرج الصُّفَّر، وقيل: عاش إلى سنة تسعٍ وعشرين، والأول أشهر.

قال ابن عساكر: وهو الذي قدم على رسول الله ﷺ، فقال له: كيف تركتَ مكة؟ فوصفها وقال: تركتُ أهلها وقد جبذوا، والإذخر قد اغْدَوْدَق، والثُّمام قد أَخْوَص، فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ بالدموع، ثم قال: أنا أفصحكم، ثم أبان بعدي(٣). روى أبان الحديث عن رسول الله ﷺ.

فأما أبوه سعيد بن العاص فكان من سادات قريش وأشرافِها، وكان له عدَّةُ أولاد، منهم أُحيحة، وعبيدة، والعاص، قتلوا كفاراً، وأبان وخالد وعمرو وسعيد والحكم، واستشهدوا في سبيل الله.

فأما أُحيحة فقتل يوم الفِجار، وأما عبيدة فطعنه الزُّبير يوم بدر في عينه بالعَنَزة

---

(١) انظر تفسير الطبري ٤/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) الاستيعاب (٥٠)، والتبيين ١٩٢، وتاريخ دمشق ٢/ ٢٩٧، والإصابة ١/ ٤١.

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ٢٩٦.

فمات، وهو الذي يُكنى: أبا ذات الكرش، وأما العاص فقتله علي يوم بدرٍ كافراً، ولقي عمر رضي الله عنه سعيد بن العاص يوماً، فقال له: تَزعم أني قتلتُ أباك، وَدِدتُ أني فعلتُ ذلك، ما قتله إلا علي، ولكن قتلتُ خالي بيدي العاص بن هشام، فقال له سعيد: يا أمير المؤمنين لو قتلتَه لكنت على حقٍّ، وهو على باطل(١). وأما الذي استشهد من ولد سعيد فسنذكرهم في نواحيهم.

قال عبدالله بن عمرو بن سعيد بن العاص: كان خالد وعمرو ابنا سعيد بن العاص قد أسلما، وهاجرا إلى الحبشة، وأقام غيرهما من ولد أبي أحيحة سعيد بن العاص على ما هم عليه، ولم يسلموا حتى كان يوم بدر، فخرجوا يوم بدر، ولم يتخلَّفْ منهم أحد، فقُتل العاص بن سعيد كافراً، قتله عليّ، وقَتل الزبيرُ عبيدة بنَ سعيد، وأفلت أبان ابن سعيد.

وكان خالد وعمرو ابنا سعيد يكتبان من الحبشة إلى أخيهما أبان، يقولان: الله الله أن تموتَ على ماماتَ عليه أبوك، وقُتل عليه أخواك، فيغضب من ذلك ويقول: لا أفارق دينَ آبائي، وكان أبوه قد مات بماله بالطائف بالظُّرَيْبة كافراً، فقال أبان: [من الطويل]:

ألا ليت ميتاً بالظُّرَيبة شاهداً ... لما يفتري في الدين عمرو وخالدُ
أطاعا بنا أمرَ النساء فأصبحا ... يُعينان من أعدائنا مَن نُكايدُ

فقال خالد بن سعيد: [من الطويل]:

أخي ما أخي لا شاتمٌ أنا عِرضه ... ولا هو عن سوء المقالة مُقْصِرُ
يقول إذا اشتدّت عليه أمورُه ... ألا ليت مَيتاً بالظُّرَيْبة يُنشَرُ
فدع عنك ميتاً قد مضى لسبيله ... وأقبلْ على الحيِّ الذي هو أفقرُ

وأقام أبان بمكة على حاله كافراً إلى زمن الحُديبية، فلما بَعث النبيُّ ﷺ عثمان بنَ عفان في رسالة إلى قريش، أجاره أبان حتى بلَّغ الرسالة، وعاد إلى رسول الله ﷺ، [وعاد رسول الله ﷺ] إلى المدينة.

---

(١) التبيين ١٩٣-١٩٤.

وأقبل خالد وعمرو من الحبشة في السفينتين، وكانا آخر من هاجر منها، فكتبا إلى أبان يدعوانه إلى الإسلام، فأجابهما، وقدم المدينةَ على إثرهما مسلماً، وخرجوا إلى خيبر سنةَ سبعٍ من الهجرة، ورسول الله ﷺ بها، فأسهم لهم، ثم قاموا بالمدينة إلى سنة تسع، فبعث رسول الله ﷺ أباناً عاملاً على البحرين، وكتب له كتاب الصدقات.

وسأل أبان رسول الله ﷺ أن يحالف عبد القيس، فأذن له، فقدم البحرين ومعه لواء أبيض وراية سوداء، فحمل لواءه أبو رافع مولى رسول الله ﷺ، فلما قارب البحرين تَلقَّاه المنذر بن ساوى في ثلاث مئةٍ من قومه، وعبد القيس على ليلةٍ من منزله، فاعتنقا، ورحَّب به المنذر، وسأله عن رسول الله ﷺ، فأخبره أن رسول الله ﷺ قد شفعه في قومه.

وأقام أبان بالبحرين يأخذ الصدقات والجزية والعشور، فاجتمع عنده مال، فكتب إلى رسول الله ﷺ يُخبره، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين، فحمل المال إلى رسول الله ﷺ.

فلما تُوفي رسول الله ﷺ، وارتدّت العرب، وارتدّ أهلُ هجر، قال أبان بن سعيد لعبد القيس: بلِّغوني مَأمني، فقالوا: بل أقم عندنا نجاهد معك في سبيل الله، فنحن قد ثبتنا على إسلامنا، والله مُعزّ دينه ومظهره، فقال: أبلغوني مأمني، يكون لي أسوةٌ بأصحابي، فما مثلي مَن يَغيب عنهم في هذا الوقت، أحيا بحياتهم، وأموت بموتهم، فقال له الجارود العبدي: لا تفعل، أنت عندنا أعزُّ الناس، وعلينا وعليك في هذا وَهن عظيم، يقال: فرَّ من القتال، ولامه الجارود، وقال: أَنشُدك الله أن تَخرج من بين أظهُرنا، فإن دارنا مَنيعةٌ، ونحن لك سامعون مطيعون، ولو كنتَ اليوم بالمدينة لبعثك أبو بكر إلينا، فأبى عليهم، فجهّزوا معه ثلاث مئة منهم.

وكان معه من مال الصدقة مئةُ ألف درهم، فلما قدم على أبي بكر لامه على القدوم، فقال ألا ثبتَّ مع قومٍ لم يُغيّروا ولم يُبدّلوا ، فقال أبان: وهم على ذلك، وأثنى عليهم، قال: فارجع إليهم، فقال أبان: لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ، وقال له عمر: ما كان حقّك أن تَقدم المدينة بغير إذن إمامك، وقال لأبي بكر: أَكرِهْه على

العمل والرجوع إليهم، فقال أبو بكر: لا والله لا أُكرهه بعد أن قال لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ، ثم بعث أبو بكر العلاء بن الحَضرميّ إليهم(١).

بَشير بن عَنْبس

ابن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر، من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد أحداً وما بعدها، ولم يشهد بدراً، وأمُّه من الأزد، ويُقال له: فارس الحواء، اسم فرس له، واستشهد يوم جسر أبي عُبيد(٢).

ولده سهل بن بشير، استشهد يوم القادسية، فولد سهل عبد الله، وأمُّه الفُرَيعة بنت مالك، وخالاه قتادة بن النعمان وأبو سعيد الخدري، وهما أخوال الأم(٣).

تميم بن الحارث

ابن قيس بن عديّ السَّهمي، من الطبقة الثانية من الصحابة، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية. وكانوا ستة أخوة: تميم وسعيد وأبو قيس وعبد الله والسائب والحجاج بنو الحارث.

فأما تميم فاستشهد يوم أجنادين، وأما أخواه سعيد وأبو قيس فمن مهاجرة الحبشة، وأما السائب فخرج يوم الطائف واستشهد بفِحْل، وأما الحجَّاج فأُسر يوم بدر.

وكان أبوهم الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص القرشي، أحد المستهزئين برسول الله ﷺ، وهو ابن الغَيْطلة، وهي أمُّه(٤).

ثعلبة بن عمرو بن مِحْصَن الأنصاري

من الطبقة الأولى من بني النجار، وأمُّه كَبْشة بنت ثابت أخت حسّان الشاعر، شهد

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٩٥-٢٩٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٦٠ (٥١٠)، والاستيعاب (١٨٧)، والاستبصار ٢٥٧، والمؤتلف والمختلف للدارقطني ٣/ ١٥٣٦، والإكمال ١/ ٢٨٨ و٦/ ٨٢، والإصابة ١/ ١٥٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٦٠ (٥١٠).

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٤-١٩٦، والاستيعاب (٢٣٦)، والتبيين ٤٦٦-٤٦٨، والإصابة ١/ ١٨٤.

بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم جسر أبي عبيد، وله عقب، وقيل توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه[١].

الحجاج بن الحارث

هاجر إلى الحبشة المرة الثانية، من الأنصار، شهد أحداً وما بعدها، وفي شهوده بدراً خلاف، واستشهد بأجنادين[٢].

الحارث بن عدي

ابن مالك بن حَرام، من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد أحداً وما بعدها، واستشهد يوم جسر أبي عبيد[٣].

الحارث بن هشام

ابن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مَخزوم، أخو أبي جهل، وكنيته أبو عبدالرحمن، حضر أحداً مع المشركين، ولم يزل متمسِّكاً بالشرك إلى يوم الفتح؛ حتى استأمَنَتْ له أمُّ هانئ بنت أبي طالب، فأسلم وحسن إسلامه، وهو من الطبقة الخامسة، شهد حُنَيناً والطائف مع رسول الله ﷺ، وأعطاه مئةً من الإبل مع المؤلَّفةِ قلوبهم.

ولم يزل مقيماً بمكة بعد [أن أسلم حتى] وفاة رسول الله ﷺ، وهو غير مَغْموصٍ عليه في إسلامه، وهو الذي انهزم يوم بدر وكان مع المشركين، فعيَّره حسان بن ثابت فقال: [من الكامل]

إن كنتِ كاذبةَ الذي حَدَّثْتِني ... فنجوتِ مَنْجى الحارث بنِ هشامِ
ترك الأحبَّةَ أن يُقاتلَ عنهمُ ... ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ ولجامِ[٤]

وقال الحارث يعتذر: [من الكامل]

الله يَعلمُ ما تركتُ قتالَهم ... حتى رَمَوا فرسي بأشقَرَ مُزْبِدِ

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٨، والاستيعاب (٢٧٢)، والإصابة ١/ ٢٠٠.
(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٦، والاستيعاب (٥٢١)، والإصابة ١/ ٣١٠.
(٣) الاستيعاب (٤٥٠)، والإصابة ١/ ٢٨٤.
(٤) ديوانه ١/ ٢٩، والسيرة ٢/ ١٧.

ووجدتُ ريحَ الموت من تلقائهم ... في مأزقٍ والخيلُ لم تَتَبَدَّدِ
فعلمتُ أني إن أُقاتل عنهم ... أُقتلْ ولا يَنْكِي عدوِّيَ مَشهدي
وصددْتُ عنهم والأحبَّةُ فيهمُ ... طمعاً لهم بعقابِ يومِ مُفْسِدِ(١)

قال خلف الأحمر: أبياتُ هُبيرة بن أبي وَهْب في الاعتذار عن الفرار خيرٌ من أبيات الحارث، وهي: [من الطويل]

لعَمْرُك ما وَلَّيتُ ظهري محمداً ... وأصحابَه جُبْناً ولا خِيفةَ القتلِ
ولكنني قَلَّبْتُ أمري فلم أجد ... لسَيفي غناءً إن ضربتُ ولا نَبْلي
وقفتُ فلما خِفتُ ضيعةَ مَوقفي ... رجعتُ لعَودٍ كالهِزَبْر أبي الشِّبْلِ(٢)

وكان الحارث سيِّداً في قومه، شريفاً في الجاهلية، ورُوي أن النبي ﷺ ذكرَ فِعلَه في الجاهلية في قِرى الأضياف وإطعامِ الطعام، فقال: إنه لسَرِي، وكان أبوه سَريًّا، ووَدِدْتُ أن الله هداه إلى الإسلام.

وكان الحارث جواداً شاعراً فاضلاً، وفيه يقول الشاعر: [من الكامل]

أحسبت أن أباك حين تَسبُّني ... في المجد كان الحارثَ بنَ هشامِ
أَولى قريشٍ بالمكارم كلِّها ... في الجاهلية كان والإسلامِ(٣)

قال الواقدي: لم يزل الحارث مُقيماً بمكة، حتى جاء كتابُ أبي بكر يَستنفر الناس إلى الشام لجهاد العدوّ، فاستعدّ للخروج(٤).

وقال الزبير بن بكار: تجهَّز الحارث من مكة غازياً، فخرج بماله إلى الشام وأهله، وتبعه أهلُ مكة يبكون عليه، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب، فبكى وقال: والله لو كنت مستبدلاً داراً بدار، وجيراناً بجيران، ما أردتُ بكم بدلاً، وفي رواية: والله ما خرجتُ رغبةً بنفسي عنكم، ولا أختار بلداً غيركم، ولكن كان هذا الأمر، فخرجتْ فيه

(١) السيرة ٢/ ١٨، والاستيعاب (٤٦٦)، والتبيين ٣٥٧.
(٢) في (خ): كالهزبر بن الشبل، وفي التبيين ٣٥٧: كالهزبر إلى الشبل، وفي السيرة ٢/ ٢٦٧: صددتُ كضرغام هزبر أبي شبل.
(٣) التبيين ٣٥٧، والاستيعاب (٤٦٦).
(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٤٤ و ٧/ ٤٠٤.

رجالٌ من قريش، والله ماكانوا من ذوي أسنانها، ولا في بيوتها، فأصبحنا ولو أن جبال مكة ذهبٌ أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم، ولئن فاتونا في الدّنيا لنَلْتَمسنَّ أن نُشاركهم في الآخرة[١].

وقال الواقدي: إنما خرج الحارث إلى الشام في خلافة أبي بكر، هو وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل غزاة، فنزلوا المدينة، فأتاهم أبو بكر في منازلهم، فسلَّم عليهم ورَحَّب بهم، وسُرَّ بقُدومهم[٢]، وهذا أَصَحّ.

واستشهد الحارث في سنة ثلاث عشرة بأجنادين.

وقال ابن الأعرابي: مرَّ خالد بن الوليد يوم اليرموك بالحارث وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وجماعة من بني المغيرة وغيرهم وهم صَرعى عِطاش، [فأتوا بماء]، فتدافعوه، ينظر عكرمة إلى سهيل وهو ينظر إليه، فقال ابدؤوا به، فماتوا ولم يشربوا، فبكى خالد وقال: بنفسي أنتم[٣].

وقال الواقدي: مات الحارث بطاعون عمواس سنة ثماني عشرة[٤]، ويقال: إنه عاش إلى أيام عثمان، وذهب بصره.

ذكر أولاده: كان له من الولد عبدالله: وُلد على عهد رسول الله ﷺ، ولا صُحبة له، وحديثُه مُرسل.

وعبد الرحمن، كنيته أبو محمد، وكان اسمُه إبراهيم، فغيَّره عمر لما غيَّر أسامي الناس، وكانت عائشة رضوان الله عليها تُثني عليه[٥]، وسنذكره سنة تسع وخمسين.

وأم حكيم زوجة عكرمة بن أبي جهل، أسلمت يوم الفَتْح، وتزوَّجها خالد بن سعيد بن العاص.

روى الحارث الحديثَ عن رسول الله ﷺ.

---

(١) الاستيعاب (٤٦٦)، والتبيين ٣٥٧-٣٥٨، وتاريخ دمشق ٤/ ١٤٠ (مخطوط)، والتوابين ١٤٥.
(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٠٤.
(٣) الاستيعاب (١٩٩١)، والتوابين ١٤٣-١٤٤، والتبيين ٣٦٥.
(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٤٤ و ٧/ ٤٠٤، وانظر تاريخ دمشق ٤/ ١٤١-١٤٤.
(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٥ وأنساب الأشراف ٥/ ٢٤٠، والتبيين ٣٦٠.

خالد بنُ سعيد

ابن العاص بن أُمية بن عبدشمس بن عبد مناف بن قُصَيٍّ، أبو سعيد الأموي، من الطبقة الأولى من المهاجرين.

قال ابن سعدٍ: وأمُّ خالد بنتُ خَبَّاب بن عبد ياليل من كنانة[١].

أسلم قديماً لرؤيا رآها، ذكرها أبو اليقظان وموسى بنُ عقبة، عن أمِّ خالد بنت خالد بن سعيد قالت: قال أبي: لما كان قُبيل المبعث، رأيتُ في المنام كأن ظُلمةً غَشِيت مكَّة، حتى لا يُبصِرُ أحدٌ كفَّه، ثم ظهر نورٌ فعلا في السماء، فأضاء البيتَ ومكَّة، ثم امتدَّ الضوء إلى نجدٍ ويثرب، حتى إني لأنظر إلى البُسْر في النخل، قال: فانتبهتُ، فقصصتُها على أخي عمرو بن سعيد، وكان جَزْلَ الرأي فقال: يا أخي، إنَّ هذا الأمر سيكون في بني عبد المطلب، قال خالد: فهداني الله إلى الإسلام، ثم ذكرها بعد إسلامه لرسول الله ﷺ فقال: «أنا ذلك النورُ»[٢].

قالت أم خالد: فأبي والله أوَّل الناس إسلاماً، ثم عمّي عمرو بن سعيدٍ بعده.

وقد ذكر هذه الرؤيا ابن سعدٍ عن خالدٍ قال: رأيتُ ظُلمةً غشِيت مكَّة، فخرج نورٌ من زمزم مثل ضوء المصباح، فارتفع وعلا وسطع، فملأ السهل والجبل، ثم انحدر إلى يثرب حتى أضاءَ البُسْرَ في النخل، وسمعتُ قائلاً يقول في الضوء: سبحانه سبحانه، ذهبت الظُّلمةُ، وهلك ابن ماردٍ بهضبة الحصى بين أَذْرح والأكمة، سَعِدت هذه الأُمة، جاء نبيُّ الأميين، وبلغ الكتابُ أجلَه، كذبته هذه القرية، بَعدت بَعدت مرَّتين، فقصها على أخيه عمرو بن سعيد فقال له: إن هذا الأمر في بني عبدالمطلب، ألا ترى أن النور من حُفْرة أبيهم[٣]؟!

وذكر الشيخ الموفق في الأنساب قال: قالت أم خالد بنت خالد: كان أبي خامساً في الإسلام تقدَّمه عليٌّ وأبو بكر وزيد بن حارثة وسعد بن أبي وقّاص.

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٤.

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٤٤٨ (مخطوط)، وقال الدارقطني: هذا حديث غريب.

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ١٦٦.

قال: وقال الواقدي: كان بدءُ إسلامه أنه رأى في المنام أنه وُقِف به على شفير النار، فذكر من نعتها ماالله أعلم به، وكأن أباه يدفعه فيها، ورأى رسول الله ﷺ آخذاً بحَقْوَيْه يمنعُه من الوقوع فيها، ففزع، فلما أصبح لقي أبا بكرٍ فأخبره، فقال له: قد أُريدَ بك خيرٌ، هذا رسول الله فاتَّبعْه، فإنه يُخلّصك من أن تقع في النار، وأبوك واقعٌ فيها. فلقي رسول الله ﷺ بأجياد، فقال له: إلام تدعو يا محمد؟ فقال: إلى الله وحده لا شريك له، وأني عبده ورسوله، وخَلْعِ ما أنت عليه من عبادة حجرٍ لا يضرُّ ولا ينفع، ولا يُبصر ولا يسمع، قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله، فسرَّ رسولُ الله بإسلامه.

وعلم أبوه أبو أُحيحة بإسلامه، فأرسل في طلبه مَن بقي من إخوته، ولم يكونوا أسلموا، فأَتَوْه به، فأنَّبه أبوه وشتمه، وضربه بمِقرعة في يده حتى كسرها على رأسه، وقال له: أتبعت محمداً وأنت ترى خلافَه قومَه، وما جاء به من عيبِ آلهتهم وآبائهم؟ فقال خالد: أي والله قد اتَّبعتُه فافعل ما بدا لك، فقال: اذهب يا لُكَع حيث شئت، فوالله لأمنعنَّك القُوت، فقال خالد: إن منعتَني فإن الله يَرزقني ما أعيشُ به، فأخرجه وقال لإخوته: لا يكلِّمه أحدٌ منكم إلا صنعتُ به مثل ما صنعت به، فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺ فلزمه، وكان يعيش معه حتى خرج أصحابُ رسول الله ﷺ إلى الحبشة الهجرة الثانية فخرج معهم[(١)].

وقال هشام: مرض أبو أُحَيْحة فقال: لئن عافاني الله من مرضي هذا لا يُعبد إله ابن أبي كَبْشةَ بمكة أبداً، فقال خالد: اللهمَّ لا تَشفِه، فمات من مرضه ذلك.

وقال الواقدي: قالت أم خالد بنت خالد: هاجر أبي إلى الحبشة المرة الثانية، فأقام بها بضعَ عشرة سنة، ووُلدتُ أنا بها، ثم قدم على النبي ﷺ بخيبر، فكلَّم المسلمين فيه فأسهموا لنا، ثم رجعنا مع النبي ﷺ إلى المدينة فأقمنا بها، وشهد أبي مع رسول الله ﷺ عمرة القَضِيَّة وفتح مكة وحنيناً والطائف وتبوك، وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات اليمن، فتُوفّي رسولُ الله ﷺ وأبي باليمن[(٢)].

---

(١) التبيين ١٨٧-١٨٨، وطبقات ابن سعد ٤/ ٩٤-٩٥.

(٢) التبيين ١٨٨-١٨٩، وطبقات ابن سعد ٤/ ٩٥-٩٦.

قالت: وأول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم بين يدي رسول الله ﷺ أبي.

وقال هشام: كان خالد بن سعيد على اليمن، وأخوه أبان على البحرين، وأخوهما عمرو على تيماء وخيبر، فلما توفي رسولُ الله ﷺ قدموا المدينة، فقال لهم أبو بكر رضوان الله عليه: ما لكم رجعتم عن عمالتكم، ارجعوا إليها، فما أجد أحداً أحقّ بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، فقالوا: نحنُ بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ، ثم مضوا إلى الشام فاستشهدوا جميعاً. ويقال: ما فُتحت بالشام كورةٌ إلا ووجدوا عندها رجُلاً من بني سعيد قتيلاً[1].

وقد ذكرنا أن أول لواءٍ عقده أبو بكر لخالد بن سعيد، وأن عمر كلَّمه فيه فعزله، وولَّى يزيد بن أبي سفيان.

وقال ابن قتيبة: استعمل رسول الله ﷺ خالد بن سعيد على صدقات بني زبيد، فصارت إليه الصَّمصامة التي لعمرو بن معدي كرب، فلم تزل عند ولده حتى اشتراها محمد بن المهدي بن أبي جعفر بعشرين ألف درهم[2].

وقال سيف بن عمر: تزوَّج خالد بن سعيد بأم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي، وأمُّها فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، أخت خالد بن الوليد، وإليها تُنسب قَنطرة أمِّ حكيم بمرج الصُّفَّر، ولها صحبةٌ، وهي التي أسلمت يوم الفتح، واستأمنت لزوجها عكرمة بن أبي جهل، وخرجت خلفه، وكان قد هرب إلى البحر، وقد ذكرناه.

واختلفوا في وفاة خالد بن سعيد[3]: فقال الواقدي: استشهد بمرج الصُّفر. وقال الهيثم: بأجنادين. وقال أبو اليقظان: بفِحْل. والأول أصحّ.

قال الواقدي: شهد خالد أجنادين وفِحلاً، وجاء فنزل مرجَ الصُّفَّر، وكانت أم حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل، فقُتل عنها باليرموك، فاعتدَّت بأربعة أشهرٍ وعشرة أيامٍ، ثم تزوَّجها خالد بن سعيد، وأصدَقها أربع مئة دينارٍ، وكان

---

(١) التبيين ١٨٩.

(٢) المعارف ٢٩٦.

(٣) انظر لاختلافهم طبقات ابن سعد ٩٨/٤، والمعارف ٢٩٦، والاستيعاب (٦٠٦)، وتاريخ دمشق ٥/ ٤٥١-٤٥٩، والإصابة ٤٠٦/١-٤٠٧، والتبيين ١٨٩.

الروم بمقابلة المسلمين، فأراد خالد أن يُعرّس بها فقالت: لو أخَّرت ذلك حتى تنفضَّ الجموعُ، فقال: نفسي تُحدّثني أنني أصابُ في هذه المرة، فقالت: دونك، فأعرس بها عند القنطرة التي بمرج الصُّفَّر، وبها سُميت قنطرة أم حكيم، وأولم عليها، ودعا أصحابه، فما فرغوا من الطعام، حتى صَفَّت الرومُ صفوفَها، والتقوا، وصبر الفريقانِ، وتصافحوا بالسيوف، حتى سُمع وقْعُها على الحديد، وقاتلت أم حكيم بعمود الفُسطاط، حتى قتلت سبعةً من الروم[١].

وقال الموفق في الأنساب عن الأموي قال: حمل خالد وهو يقول: [من الكامل]:

مَن فارسٌ كَرِه الطِّعانَ يُعيرني رُمحاً إذا نزلوا بمَرْج الصُّفَّرِ

فحمل عليه رجلٌ من القوم، فقتله، ثم قلب الروميُّ ترسه، وجاء إلى صفِّ المسلمين مُستأمِناً، فقيل له: مالك؟ فقال: رأيتُ حين قتلتُه قد سَطع منه نورٌ مثلُ السارية، حتى بلغ عَنان السماء[٢].

وقال هشام: حمل خالد في وسط الروم، فخرق الصفوف، فقتلوه على النهر.

وقال ابن عائذ: أقام مع أم حكيم سبعةَ أيام، والأوَّل أَشهر، وقيل: إن خالد بن سعيد فُقِد يوم اليرموك[٣]، والأصحُّ أنه قُتل بمرج الصفر على ما ذكرنا.

قلت: وربما سمع سامع قول الواقدي: فأعرس بها عند قنطرة أم حكيم وبها سُمِّيت، فظنها قصرَ أم حكيم، وليس كذلك، لأن قنطرة أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام عند النهر القريب من الكسوة، وقصر أم حكيم قِبَليّ مرج الصفر، قريباً من غباغب، وأم حكيم التي نُسب إليها القصر هي بنت يحيى، وقيل: بنت يوسف بن يحيى ابن الحكم بن العاص بن أمية، وذكرها الزبير بن بكار، وأمها زينب بنت عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، كانت شاعرة، تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، وطلقها، فتزوجها هشام بن عبدالملك، فولدت له يزيد بن هشام.

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٨-٩٩.

(٢) التبيين ١٩٠، وتاريخ دمشق ٥/ ٤٥٧.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٣/ ٤٠٢.

وكانت لها دارٌ بدمشق، وسوق يقال له: سوق أم حكيم، وبنت القصر المشار إليه، وكانت تخرج فتقيم به.

ويقال: إنه لما تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك تزوج عليها ابنة لأبي بكر ابن عبدالرحمن بن أبي بكر، فحظيت عنده، فطلَّق أمَّ حكيم، فتزوَّجها هشام بن عبدالملك، فلما مات عبدالعزيز بن الوليد تزوج هشام ابنة أبي بكر بن عبد الرحمن، فجمع بينهما، ثم طلَّق هشام ابنة أبي بكر وأبقى أم حكيم، وقال لها: قد أَقَدْتُك منها، كما فعل بك عبدالعزيز حيث طلقك وأبقاها، فولدت لهشامٍ محمداً ويزيد ابني هشام[١].

ذكر أولاد خالد بن سعيد: كان له من الولد عبدالله وسعيد وأم خالد، ولدوا بالحبشة، فأما سعيد فكساه رسول الله ﷺ حلةً فيها حرير، فبها سُمّيت الثياب السعيدية، وولد سعيدٌ بن خالد أربعين ولداً: عشرين ذكراً وعشرين أنثى، ومن ولده عمرو بن سعيد الأشدق الذي قتله عبدالملك بن مروان، وكان شُجاعاً فَطِناً، قال له معاوية: إلى من أوصى بك أبوك؟ فقال: أوصى إليّ، وما أوصى بي[٢].

وأما أم خالد فاسمها أمة، وأمُّها هُمينة بنت خلف بن أسعد الخُزاعية، ولدتها بأرض الحبشة، قالت أم خالد: سمعت النجاشيَّ يوم خرجنا يقول لأصحاب السفينتين: اقرؤوا جميعاً على رسول الله ﷺ مني السلام، قالت أمة: فكنتُ فيمن أقرأ رسول الله ﷺ من النجاشي السلام.

وروت أم خالد عن رسول الله ﷺ أحاديث.

وقال الواقدي: تزوج الزبير بن العوام أمة بنت خالد، فولدت له عمراً وخالداً ابني الزبير[٣].

السائب بن الحارث

ابن قيس بن عديّ السَّهمي، من الطبقة الثانية من المهاجرين، هاجر إلى الحبشة

(١) انظر الأغاني ١٦/ ٢٧٧، ومعجم البلدان ٤/ ٣٥٥.
(٢) المعارف ٢٩٦، والتبيين ١٩٠.
(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٧، والاستيعاب (٣٢٤١)، وتاريخ دمشق ٥/ ٤٥٢، والتبيين ١٩٠.

الهجرة الثانية، وجُرح يوم الطائف، وقُتل بعد ذلك بفِحْل بسواد الأردن سنة ثلاث عشرة، في أول خلافة عمر[١].

سعد بن سلامة بن وَقْش

من الطبقة الثانية من الأنصار، من بني عبد الأَشْهل، وأمه سُهيمة بنت عبدالله من الأوس، شهد أحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم جسر أبي عبيد، وليس له عقب[٢].

سَلمة بن أسلَم

ابن حَريش بن عَدي بن مَجْدَعة، أبو سعد، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كُسر سيفُه يوم بدر، وأعطاه رسول الله ﷺ لَحْي جمل، فصار بيده سيفاً، وخرج به في جيش أسامة بن زيد، الذي جَهَّزه أبو بكر رضوان الله عليه إلى البلقاء، وأمُّه سعاد بنت رافع من بني النجار.

قُتل سلمة يوم جسر أبي عبيد، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقُتل في هذا اليوم أيضاً أخوه مسلمة بن أسلم، وهو من الطبقة الثانية من الأنصار[٣].

سَلمة بن هشام

ابنِ المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمُّه ضُباعة بنت عامر بن قُرْط، من ربيعة، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى في قول بعضهم، ولما رجع إلى مكة حبسه أخوه أبو جهل، وضربه وعذَّبه، وهو أحد الثلاثة الذي كان رسول الله ﷺ يدعو لهم إذا قَنَت في صلاة الفجر، فيقول: «اللهمَّ أَنْجِ الوليد ابنَ الوليد، وسلمة بنَ هشام، وعيَّاش بنَ أبي ربيعة»[٤]، ثم نُسخ القنوت بعد.

وكان سلمة من كبار الصحابة وفُضلائهم، وهو أخو أبي جهل، وكانوا خمسة

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٥ ، والاستيعاب (١٠٦٢)، والتبيين ٤٦٧ ، والإصابة ٢/ ٨-٩ .

(٢) الاستيعاب (٨٩٩) و(١١٢٩) و(٣١٧٥)، والاستبصار ٢٢٢ ، والإصابة ٢/ ٨٢ ، ٤/ ١٩٥ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٤٦ ، والاستيعاب (١٠١٧)، والاستبصار ٢٤٨، والإصابة ٢/ ٦٣ ، وانظر السيرة ٦٨٦ ، وجمهرة ابن حزم ٣٤٢ .

(٤) أخرجه أحمد (٧٢٦٠)، والبخاري (٦٢٠٠)، ومسلم (٣٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

أخوة: أبو جهل والحارث وسلمة وخالد والعاص بنو هشام، فأما أبو جهل والعاص فقُتلا كافِرَين ببدر، وأُسر خالد يومئذ، ثم فُدي ومات كافراً، وأما سلمة والحارث فكانا من خيار المسلمين.

ولم يشهد سلمة بدراً لأنه كان محبوساً، ثم أفلت بعد الخندق، ولحق رسول الله ﷺ فأقام معه، فقالت أمُّه ضُباعة: [من الرجز]:

اللهمَّ ربَّ الكعبةِ المحرَّمة أظهِرْ على كلِّ عدوٍّ سَلَمة
له يدان في الأمور المبهمة كفٌّ بها يُعطي وكفٌّ مُنْعِمة

وشهد سلمة غَزاةَ مؤتة، واستشهد بأجنادين قبل موت أبي بكر رضوان الله عليه بليالٍ، في سنة ثلاث عشرة، وقيل: استشهد في مرج الصُّفَّر، في المحرم سنة أربع عشرة، في أول خلافة عمر(١).

سَليط بن قيس

ابن عمرو الأنصاري، من الطبقة الأولى من بني النجار، وأمُّه زُغَيبة بنت زُرارة بن عُدَس نجارية أيضاً، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكان لما أسلم يَكسر أصنام بني عَديّ بن النجار(٢).

سُلَيم مَولى رسول الله ﷺ

وكُنيتُه أبو كبشة، وقيل: اسمه أوس، من مُوَلّدي السراة، وقيل [من مولّدي] أرض دوس، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وتوفي بالمدينة يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من جُمادى الآخرة، في اليوم الذي استُخلف فيه عمر رضوان الله عليه(٣).

سَهل بن عَتيك بن النُّعمان

من الطبقة الأولى من الأنصار، من بني عمرو بن عوف(٤)، وأمُّه جَميلة بنت

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٠ ، والاستيعاب (١٠١٩)، والتبيين ٣٥٥ ، والإصابة ٢/ ٦٨ .
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥١٢ ، والاستيعاب (١٠٩٨)، والاستبصار ٤٣ ، والإصابة ٢/ ٧٢ .
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٩ ، والاستيعاب (٩٨٩)، والإصابة ٤/ ١٦٥ .
(٤) كذا في (أ) و(خ)، والذي في طبقات ابن سعد ٣/ ٥١٠ ، والاستيعاب (١٠٣٩)، وجمهرة ابن حزم ٣٤٩ ، =

علقمة، من بني مَبذول، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم جسر أبي عبيد، وقيل: إن الذي استشهد يوم الجسر أخوه لأبيه وأمّه، واسمه الحارث بن عَتيك، له صُحبة، ولم يشهد بدراً، وكُنيته أبو أَخْزم، ولسهل رواية عن النبي ﷺ.

طُلَيب بن عمير

ابن وهب بن كثير بن عبد بن قصي، أبو عدي، وأمُّه أروى بنت عبد المطلب، عمَّةُ رسول الله ﷺ، وهو من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً في دار الأرقم، ثم هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وآخى النبيُّ ﷺ بينه وبين المنذر بن عمرو الساعدي، وشهد بدراً في قول بعضهم، وهو أول من دَمَّى مشركاً في سبيل الله، ضرب أبا جهل بلَحْي جمل بمكة في سنة خمس من النبوة(١)، واستشهد بأجنادين وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وقيل: باليرموك، والأول أشهر. والذي استشهد باليرموك: طُلَيب بن عمرو بن وهب بن عبد الله بن قصي بن كلاب(٢).

عبد الله بن الزُّبير

ابن عبد المطلب بن هاشم، ابن عمّ رسول الله ﷺ، أسلم وحَسُن إسلامُه، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم حُنين، وكان رسول الله ﷺ يقول: «ابن عمي وحِبّي»، واستشهد بأجنادين.

قال أبو الحويرث: أول قتيلٍ من الروم يوم أجنادين بِطريق خرج معلماً، فدعى إلى البِراز، فبرز إليه عبد الله بن الزبير، فاختلفا ضربتين، فقتله عبد الله ولم يعرض لسَلَبه، ثم برز إليه آخر، فضربه على عاتقه بالسيف، وقال: خُذها وأنا ابن عبد المطلب، فقطع الدرع، وأسرع السيفُ في منكبه، وعزم عليه عمرو بن العاص أن لا يبارز أحداً، فقال عبد الله: والله إني لا أجدني أصبر، ثم اختلطوا، فوجدوه قتيلاً بين عشرة من الروم،

= والاستبصار ٧٧، والإصابة ٢/ ٨٨ أنه ابن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار.

(١) في المنمق لابن حبيب ٢٦٩، والإصابة ٢/ ٢٣٣ أن المضروب عوف بن صبرة السهمي.

(٢) كذا، وانظر ترجمة طليب بن عمير في المحبر ٧٢، وطبقات ابن سعد ٣/ ١٢٣، والاستيعاب (١٢٦٦)، والتبيين ٢٨٥.

في رِبضة[١]، قد قتلهم وقتلوه، وقائمُ سيفه في يده، فما نُزع من يده إلا بعد نهار، ويقال: إنه استشهد بفِحل.

قال الواقدي: كان لعبد الله يوم قُبض رسول الله ﷺ نحوٌ من ثلاثين سنة، ولا نعلمه غزا مع رسول الله ﷺ، ولا روى عنه حديثاً[٢].

عبد الله بن سفيان

ابن عبد الأسد المخزومي، من الطبقة الثانية من المهاجرين، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة المرّة الثانية، وقتل بأجنادين، وقيل: باليرموك، وقيل: بمؤتة، وأخوه هبَّار ابن سفيان، وعبد الله له رؤية، وهو ابن عمِّ أبي سلمة[٣].

أبو بكر الصديق رضوان الله عليه

واسمُه عبد الله بن عثمان، وقد ذكرنا نسبه وجُمْلةً من فضائلِه[٤]، وهو من الطبقة الأُولى من المهاجِرين، وأحدُ العَشَرة المبشَّرين، المجاهدُ بنفسه وماله في سبيل الله، شهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كُلَّها مع رسولِ الله ﷺ، لم يَفُتْهُ مشهدٌ، وثبت معه يوم أُحُد لمّا انهزَمَ الناسُ، بايعه على الموت، ودفع إليه رسولُ الله رايتَه العُظمى يوم تبوك.

وهو أوَّلُ من أسلم من الرجال، وأوَّلُ من جمع القرآن، وتنزَّه عن شُرْب المُسكر في الجاهلية والإسلام، وكان رئيساً في الجاهلية، إليه مَساق الدِّيات والمغارم، وكان أنسبَ العربِ، ولم يُفْتِ بحضرةِ رسول الله ﷺ سواه.

وذكرنا[٥] أنَّه قال في غزاةِ حنين في حديث أبي قتادة: لا ها الله ذا، وذكرنا[٦] أن

---

(١) مقتل كل قوم قتلوا في بقعة واحدة.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٧١ (١٣٧٦)، والاستيعاب (١٣٧٤)، والتبيين ١٤٠، وتاريخ دمشق ٩/ ٢٢٩ (مخطوط)، والإصابة ٢/ ٣٠٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٥، والاستيعاب ١٤٩٩، والتبيين ٣٨٥، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٦٤، والإصابة ٢/ ٣١٩.

(٤) في أول هذا الجزء، وانظر في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٩، وتاريخ الطبري ٣/ ٤١٩، وأنساب الأشراف ٥/ ١٢١، والاستيعاب (١٢٩٦) و(٢٨٤٥)، والمعارف ١٦٧، والتبيين ٣٠٥، والمنتظم ٤/ ٥٣، وصفة الصفوة ١/ ٢٣٥، وتاريخ دمشق ٣٥-٣٦/ ٣ والإصابة ٢/ ٣٤١.

(٥) سلف في السيرة.

(٦) في أول هذا الجزء.

أمَّه أُمُّ الخير، واسمُها سلمى بنت صخر بن عامر [بن كعب] بن سعد بن تَيْم، وتُوفِّيت في صدر الإسلام بعد أن أسلمت وبايعت.

وأسلم على يد أبي بكر من العشرة خمسةٌ: عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف،

وقال الموفق في الأنساب: وأسلم على يده الأَرْقَم بنُ أبي الأرقم(١).

وهو أوَّلُ مَن أجاب على المنبر وهو يخطب عن ميراث الجدة، قال: لا أَجدُ لها في كتاب الله شيئاً، فشهد عبدُ الرحمن بن عوف والمغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ أعطاها السُّدس، فعمل بما شهدا به.

وكان أول من قضى للجدة بسهم، وأوَّل من أسقط الأخوة من الأب بالجد، وأول مَن قاء مخافةَ الحرام، وأول مَن غَسَّلتْه زوجتُه في الإسلام، وأول من نصَّ على خليفةٍ بعده، وأول مَن دُفن إلى جانب رسول الله ﷺ، وأول من وَلَّى قاضياً بحضرته وهو عمر ابنُ الخطاب، وأوَّلُ مَن ولَّى صاحبَ شرطةٍ وهو أبو عبيدة، وهو أَوَّل مَن اتخذ حاجباً من الخلفاء، وهو سَديف مولاه(٢).

وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، باكياً، خائفاً، خاشعاً، متواضعاً، يحلب أغنام الحيِّ، وقد ذكرناه(٣).

وحكى ابن سعد أن نَقْشَ خاتمه: نعم القادر الله(٤)، وقيل: عبد ذليل بين يدي رب جليل(٥).

وكان يلبس في خلافته الشَّملة والعباءة، وقدم عليه أشراف العربِ وملوك اليمن لما ولي الخلافةَ وعليهم التيجان والحرير والوشي، فلما رأوا لباسَه رموا ما كان عليهم، وسلكوا طريقه في التواضع ومكارم الأخلاق.

---

(١) التبيين ٣٠٦.

(٢) انظر تخريج الدلالات السمعية ٦٦.

(٣) في أول هذا الجزء.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١١.

(٥) الاستيعاب (١٢٩٦).

ذكر إنفاقه على رسول الله ﷺ وما أعتق: قال ابن سعدٍ بإسناده عن أسامة بن زيد ابن أسلم عن أبيه قال: كان أبو بكرٍ معروفاً بالتجارة، لقد بُعث رسول الله ﷺ وعنده أربعون ألفاً ـ قال عروة بن الزبير: أربعون ألف دينار، وغيره يقول: أربعون ألف درهم ـ فلم يزل يُقوِّي المسلمين، ويُعتِق منها؛ حتى قدم المدينة ومعه خمسةُ آلاف درهم، فكان يفعل فيها ما يفعل بمكة، حتى تُوفِّي ولم يترك ديناراً ولا درهماً[(١)].

وقال أحمد بن حنبل: حدثنا [أبو] معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نَفعَني مالٌ كمال أبي بكرٍ» فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله[(٢)]. وفي روايةٍ: «ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلّا وقد كافيناه عليها ما خلا أبا بكرٍ، فإن له عندنا يداً يكافيه الله عليها»[(٣)].

فإن قيل[(٤)]: فقد أنفقت عليه خديجة أضعافَ ذلك، وما قال: ما نفعني مالٌ كمالِ خديجة، فالجواب: أن رسول الله ﷺ كان يُثني على خديجة، ويَعترف بإنفاقها عليه، وإحسانها إليه، على ما ذكرناه في ترجمتها[(٥)]. وقولُه: «ما نفعني مال كمال أبي بكرٍ»، أراد به المبالغةَ في الثناء عليه.

وقد ذكر جدي رحمه الله في كتاب «المنتخب» وقال: إذا أراد الله قَبول نَفقةٍ قَدَّر لها فاقةَ مُحتاجٍ، وأَحوجُ ما كان الاسلامُ إلى نفقة أبي بكرٍ، فلهذا حُلِّي حليةَ: «ما نفعني مالٌ كمالِ أبي بكرٍ».

وقال في إنفاق خديجة: أنفقت خديجةُ لشائبةِ هواها، ونفقةُ أبي بكرٍ لقاعدةٍ بناها.

قلت: فأبو بكرٍ رضي الله عنه إنما أنفق بعد الرسالة ونزول الوحي، وذلك في سنة أربعين من النبوَّة، ورسولُ الله ﷺ تزوَّج خديجة وهو ابن خمسٍ وعشرين سنةً، قبل النبوة بخمس عشرة سنةً، فإنفاقُ خديجةَ عليه مُتقدّم على إنفاق أبي بكر بخمس عشرة سنةً، ثم شاركت

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ١٧٢.

(٢) مسند أحمد (٧٤٤٦)، وفضائل الصحابة له (٢٥).

(٣) سنن الترمذي (٣٦٦١).

(٤) من هنا، إلى قوله: وآمن برسالته ... في الصفحة التالية ليس في (أ) و(خ).

(٥) سلف في السيرة.

أبا بكرٍ بعد النبوة في الإنفاق عشرَ سنين، لأنها تُوفِّيت في السنة العاشرة من النُّبوَّة.

ولا يُقال: أنفقتْ خديجةُ لشائبةِ هواها، لأنها إنما تزوجت رسول الله ﷺ لمّا أخبرها غُلامُها ميسرةُ بحديث بَحيرى الرّاهب، وتظليلِ الغمامة لرسولِ الله ﷺ، ونحوِ ذلك، فتزوَّجته لذلك المعنى، والدليلُ عليه أنها أوّلُ مَن أسلم وصدَّق بنُبوَّته وآمن برسالته، وقد ذكرناه[١].

وقد ذكرنا أن النبيَّ ﷺ لمّا حثَّ على الصدقة في غزاة تبوك، جاء أبو بكرٍ بكلِّ ماله، وجاء عمر بنصف ماله، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما أبقيتَ لعيالك؟ قال: الله ورسوله، وقال لعمر: ما أبقيت لعيالك؟ قال: مثلَ ما جئتُ به، وكان عمرُ قد قال: لأُسابقنَّ اليوم أبا بكرٍ، فلما جاء بالكلِّ قال عمر: والله لا أُسابقُك إلى شيءٍ أبداً[٢].

وأما ما أعتق أبو بكرٍ، فقال هشام: أعتق سبعةً ممن كان يعذبُ في الله تعالى: أعتق بلالاً وعامر بن فُهيرة وزِنّيرة والنَّهْدية وابنتها وجارية بني عمرو وأم عُمَيْسٍ أو عُبَيْس[٣].

وقال هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: قال أبو قُحافة لابنه أبي بكرٍ: يا بُنيّ، أَراك تُعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك تُعتِق رجالاً جُلداً يمنعونك ويقومون دونك، فأنزل الله ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝﴾[٤] الآية [الليل: ٥].

وقد ذكرنا أنه اشترى بلالاً فيما تقدَّم، وقول المشركين: غُبِنْتَ: فقال: المغبونُ من أكل ثمنَ بلالٍ[٥].

فصل في ذكر ما نزل فيه من الآيات: قال ابن عباس: عاتب الله أهل الأرض بقوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ الآية [التوبة: ٤٠]، إلّا أبا بكرٍ رضي الله عنه، فإنه أثنى

---

(١) سلف في السيرة.

(٢) سلف في غزاة تبوك في الجزء الرابع، وأخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، وابن الجوزي في المنتظم ٤/ ٥٧ـ٥٨ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣١٨ـ٣١٩، وتاريخ دمشق ٣٥/ ١٥٧ـ١٥٨.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣١٩، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٧٩ (هجر)، وأسباب النزول للواحدي ٤٨٧، وتاريخ دمشق ٣٥/ ١٦٠.

(٥) سلف في قسم السيرة.

عليه حيث قال: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾[(١)].

قال: وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ﴾ الآيات[(٢)] [الليل: ١٩].

وفيه نزل: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ﴾[(٣)] [الحديد: ١٠].

وفيه نزل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾[(٤)] [التوبة: ١٠٠] في آياتٍ كثيرةٍ.

حديث الأبواب: في آخر حديث التَّخيير، وقد تقدم[(٥)]، «سدوا هذه الأبواب إلا باب أبي بكر»، وفيه: «إن أَمَنَّ الناسِ بصُحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ مُتَّخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»[(٦)].

فإن قيل: فما الحكمة في سد الأبواب؟ قُلنا: تعظيماً لحقِّ أبي بكر ﵁، واعترافاً لفضله، إذ سُدَّت جميعُ الأبواب ـ وهي الخوخات ـ وبقيت خوخته لم تُسَدّ.

حديث المفاخرة: قال أبو الدرداء: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا صاحبُكم فقد غامر» فسلَّم ثم جلس، وقال: كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيءٌ، فأسرعتُ إليه ثم ندمتُ، فسألتُه أن يَغفرَ لي، [فأبى عليَّ] فأقبلتُ إليك، فقال: «يَغفر الله لك يا أبا بكر» قالها ثلاثاً، ثم إن عمر نَدم، فأتى منزلَ أبي بكر فسأل: أَثَمَّ أبو بكر؟ قالوا: لا، فأتى النبيَّ ﷺ، فجعل وَجهُ النبي ﷺ يَتَمعَّر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه وقال: يا رسول الله، أنا كنتُ الظَّالم، وأنا كنتُ أظلم له، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني إليكم، فقُلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقتَ أو صدق، وواساني بنَفسِه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي»؟ قالها مرّتين، فما أُوذي بعدها. انفرد بإخراجه البخاري[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن عساكر ٣٥/ ١٨٦ عن ابن عيينة.

(٢) أخرجه ابن عساكر ٣٥/ ١٦٠ـ١٦١.

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي ٤٣١.

(٤) أخرجه ابن مردويه ـ كما في الدر المنثور ٣/ ٢٦٩ ـ عن ابن عباس ﵄.

(٥) سلف في قسم السيرة.

(٦) أخرجه البخاري (٤٦٦)، ومسلم (٢٣٨٢)، وأحمد (١١١٣٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁.

(٧) في صحيحه (٣٦٦١).

حديث في الصلاة: قد ذكرنا صلاةَ أبي بكر رضوان الله عليه بالناس في مرض رسول الله ﷺ، وهذا حديثٌ يختصُّ بحالة الصّحة.

قال سهل بن سعد: كان قتالٌ في بني عمرو بن عوف حتى تَرامَوا بالحجارة، فبلغ النبيّ ﷺ، فأتاهم ليُصلح بينهم بعد الظهر، وقال: يا بلال، إن حَضرت الصلاة ولم آتِ فَمُرْ أبا بكر أن يُصلّي بالناس، وجاء رسول الله ﷺ من حيث ذهب، فجعل يَتخلّل الصفوف، حتى بلغ الصفَّ الأوّل، ثم وقف، وجعل الناس يُصفِّقون ليُؤذِنوا أبا بكر برسول الله ﷺ، وكان أبو بكر لا يَلتفتُ في الصلاة، فلما أكثروا عليه التفت، فإذا هو برسول الله ﷺ خلفه مع الناس، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن اثْبُتْ، فرفع يديه كأنه يدعو، ثم استأخر القَهْقَرى حتى جاء الصف، فتقدم رسول الله ﷺ فصلى بالناس، فلما فرغ من صلاته قال رسول الله ﷺ: «ما بالكم، أنابَكم في صلاتكم شيءٌ فجعلتم تصفِّقون؟! إذا ناب أحدَكم شيءٌ في صلاته فليسبِّح الله تعالى، فإنما التسبيحُ للرجال، والتَّصفيقُ للنساء»، ثم قال لأبي بكر: «لم رفعتَ يديك، ما منعك أن تَثبُتَ حين أشرتُ إليك؟»، فقال: رفعتُ يديَّ لأني حَمدتُ الله عز وجل على ما رأيتُ منك، ولم يكن لابن أبي قُحافة أن يَؤمَّ برسول الله ﷺ[(١)].

حديث المرأة: قال جُبير بن مُطعم: أتت امرأةٌ النبيّ ﷺ، فأمرها أن ترجعَ إليه، فقالت: أرأيتَ إن جئتُ فلم أرك أو أجدَك؟ كأنها تقول: الموت، قال: «فأتي أبا بكر». متفق عليه[(٢)].

فصل في حديث التَّخَلُّل بالعباءة: قال جدي رحمه الله بإسناده عن عبد الله بن عمر قال: كنتُ عند النبي ﷺ وعنده أبو بكرٍ الصديق، وعليه عباءةٌ قد خَلّها في صدره بخِلالٍ، فنزل عليه جبريل فقال: يا محمد، ما لي أرى على أبي بكرٍ عباءةً قد خَلَّها في صدره؟ فقال: يا جبريل، إنه أنفقَ عليَّ مالَه قبل الفتح، فقال: قُلْ له: الحقُّ يُقرئك السَّلام، ويقول لك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر: أأسخط على ربي؟ أنا عن ربي راضٍ. قالها ثلاثاً[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٨٠٧)، والبخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٥٩)، وصحيح مسلم (٢٣٨٦). ومن قوله: حديث الأبواب ... إلى هنا زيادة من (خ).

(٣) المنتظم ٤/ ٦١، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥/ ١٦٢-١٦٣.

وذكر أبو القاسم بن عساكر في تاريخه عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ بمعناه، فقال: هبط عليَّ جبريل وعليه طِنفسَةٌ، وهو مُتخلِّلٌ بها فقلتُ: «يا جبريلُ، ما نزلتَ إليَّ في مثل هذا الزيِّ!» فقال: إن الله أمر الملائكةَ أن تتخلَّل في السماء؛ لتخلُّلِ أبي بكرٍ في الأرض[١].

فصل في حديث وَرَعِه:

قال أبو نُعيم بإسناده عن زيد بن أرقم قال: كان لأبي بكرٍ مملوكٌ يَغلُّ عليه، فأتاه ليلةً بطعامٍ، فتناول منه لقمةً، فقال له المملوكُ: ما لك كُنتَ تسألُني كلَّ ليلةٍ، ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوعُ، من أين جئتَ بهذا؟ قال: مررتُ بقومٍ في الجاهلية، فرَقيتُ لهم فوعدوني، فلما أن كان اليوم مررتُ بهم، فإذا عرسٌ لهم، فأعطوني، فقال: أفٍّ لك، كدتَ تُهلكني، فأدخل يده في حلْقه، فجعل يتقيّأ، وجعلتْ لا تخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بعُسٍّ من ماءٍ، فجعل يشرب ويتقيّأ، حتى رمى بها، فقيل له: يَرحمك الله، كلُّ هذا من أجل لُقمةٍ؟ فقال: لو لم تَخرُج إلا مع نفسي لأخرجتُها، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كلُّ جسدٍ نَبت من سُحْتٍ فالنارُ أولى به» فخشيتُ أن يَنبتَ شيءٌ من جسدي من هذه اللقمة[٢].

وقد أخرج البخاري في أفراده عن عائشة بمعناه، وفيه: كان لأبي غلامٌ يَغُلُّ عليه، وكان أبي يأكلُ من خَراجه[٣]، والخراج: الضَّريبةُ التي يَتَّفق العبدُ مع سيِّده عليها، يؤدّيها إليه، والكهانة: تعاطي علم الغيب.

وقد ذكرنا أن أبا بكرٍ كان أول من تاجر مخافة أكل الحرام.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٢، ومن طريقه ابن عساكر ٣٥/ ١٦٣-١٦٤ من طريق محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن ثابت الأشناني، عن حنبل بن إسحاق، عن وكيع، عن شعبة، عن الحجاج، عن مقسم، عن ابن عباس. وقال الخطيب عقبه: ما أبعد الأشناني من التوفيق، تراه ما علم أن حنبلاً لم يرو عن وكيع، ولا أدركه أيضاً، ولست أشك أن هذا الرجل ما كان يعرف من الصنعة شيئاً، وقد سمعت بعض شيوخنا ذكره فقال: كان يضع الحديث، وأنا أقول: إنه كان يضع ما لا يحسنه، غير أنه، والله أعلم، أخذ أسانيد صحيحة من بعض الصحف فركب عليها هذه البلايا، ونسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٣١، والمنتظم ٤/ ٦٢.

(٣) صحيح البخاري (٣٨٤٢).

وقد روى ابن أبي الدنيا عنه أنه كان يأخذ بلسانه ويقول: هذا أوردني الموارد(١).

ذكرُ تواضُعِه وخوفِه: قال عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده، عن أبي عمران الجَوْني قال: قال أبو بكرٍ: وَدِدتُ أني شَعرةً في جَنب عبدٍ مؤمن. وفي روايةٍ: يا ليتني كنتُ شجرةً تُعضَدُ، أي: تُقطَعُ، ثم تُؤكل، يا ليتني كنتُ كَبْشاً، فأكلني أهلي ولا أُبعثُ(٢).

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده، عن ابن أبي مُليكة قال: ربّما سقط السَّوطُ أو الخِطامُ من يد أبي بكرٍ، فيَضرب بذراع ناقته، فيُنيخُها، فيأخذُه، فيُقال له: ألا أمرتنا نناولكه؟ فيقول: إن رسول الله ﷺ أمرني أن لا أسأل الناسَ شيئاً(٣).

ذكرُ طرفٍ من خُطبه: قد ذكرنا عند خلافته طرفاً من ذلك.

وحدَّثنا غير واحدٍ، حدثنا إسماعيل بن أحمد بإسناده عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، أن أبا بكرٍ رضي الله عنه كان يقول في خُطبته: أين الوِضاء، الحسنةُ وجوهُهم، المعجَبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بَنَوْا المدائن، وحصَّنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يُعْطَوْن الغَلَبَةَ في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهرُ، فأصبحوا في ظلماتِ القبورِ. الوحا الوحا، النجاءَ النجاءَ(٤).

وقال عبد الله بن عُكيم: خطبنا أبو بكرٍ فقال: أما بعد فإني مُوصيكم بتقوى الله، وأن تُثنوا عليه بما هو أهلُه، وأن تَخلِطوا الرَّغبةَ بالرَّهبة، وتجمعوا الإلحافَ بالمسألة فإن الله تعالى أثنى على زكريا وأهلِ بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقَكم، واشترى منكم القليلَ الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم، لا تَفنى عجائبُه، ولا يُطفأ نورُه، فصدِّقوا قولَه، واستضيؤوا بنوره ليوم الظلمة، وإنما خلقكم لعبادته، ووَكل بكم الكرامَ الكاتبين، يعلمون ما تفعلون.

---

(١) الصمت وآداب اللسان (١٣)، وأخرجه أحمد في الزهد ١٣٥-١٣٦ و١٣٩، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٨.

(٢) الزهد لأحمد ١٣٥ و١٣٩.

(٣) مسند أحمد (٦٥).

(٤) المنتظم ٤/ ٦٩، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠١١١)، وابن عساكر ٣٥/ ٤٤٤.

ثم اعلموا عباد الله أنكم تَغدون وتَروحون في آجال قد غُيِّبت عنكم، أو غُيِّب عنكم علمُها فإن استطعتُم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله تعالى، فسابقوا في مهل آجالكم، قبل أن تنقضي آجالكم، فتُردُّون إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالَهم لغيرهم، ونَسُوا أنفسَهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالَهم، الوحا الوحا، النَّجاء النَّجاء، إن وراءكم طالباً حثيثاً، أمره سريع[١].

ذكر مرض أبي بكر: واختلفوا في سبب ذلك على أقوال:

أحدها ما رواه سيف بن عمر قال: حدثنا مبشر بن الفضيل، حدثنا سالم بن عبد الله ابن عمر، عن أبيه قال: كان سبب موت أبي بكر ﵁ وفاة رسول الله ﷺ، كَمِدَ فما زال جِسْمُه ينحلُ ويذوب حتى مات. وفي روايةٍ عن سالم عن ابن عمر، ولم يذكر عمر[٢].

والثاني أنَّه سُمَّ، فقال ابن سعدٍ بإسناده عن ابن شهابٍ، أنَّ أبا بكرٍ والحارثَ بن كَلَدَة كانا يأكلان خَزيرةً أُهدِيت لأبي بكرٍ، فقال له الحارث: ارفع يدك يا خليفةَ رسول الله، والله إنَّ فيها لَسَمَّ سنةٍ، وأنا وأنت نموتُ في يومٍ واحدٍ عند انتهاء السنة، فماتا عند انقضائها، ولم يزالا عليلَيْن حتى ماتا[٣].

وقد ذكرنا أن الخزيرة أن تقطع اللحم وتَذرَّ عليه الدقيقَ، فإن لم يكن في القدر لحمٌ فهي العصيدةُ[٤].

وقال أبو جعفرٍ الطبري: الذي سمَّتْهُ امرأةٌ من اليهودِ في أرُزَّةٍ[٥].

والثالث: أنه اغتسل في يومٍ باردٍ، فحُمَّ خمسة عشر يوماً وتُوفِّي. حكاه الواقدي عن عائشة[٦].

---

(١) المنتظم ٤/ ٦٩ـ٧٠، وأخرجه هناد في الزهد (٤٩٥)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٣٥، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠١٠٩) (١٠١١٠)، وابن عساكر ٣٥/ ٤٤٨، ومن قوله: قال عبد الله بن عكيم، إلى هنا ليس في (ك).

(٢) تاريخ دمشق ٣٥/ ٥٣٢، وليس فيه ذكر لعمر!؟

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٨.

(٤) سلف في أسماء الولائم والأطعمة من أخبار الأمم الماضية.

(٥) تاريخ الطبري ٣/ ٤١٩.

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠١ـ٢٠٢.

والرابعُ: أنه علق به سِلٌّ قبل وفاة رسول الله ﷺ، فلم يَزلْ به حتى قتله. حكاه عكرمة، عن ابن عباسٍ. قال: وكان يأمرُ أبو بكرٍ عمرَ فيصلي بالناسِ، ويدخلُ عليه الناسُ فيعودونه، وكان عثمانُ ألزمَ الناس له في مرضه.

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن أبي السَّفْر قال: مرض أبو بكرٍ فعاده الناسُ، وقالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: الطبيب أمرضني، وقد رواه أبو نُعيم: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني، قالوا: فأي شيءٍ قال لك؟ قال: قال: إني فعَّالٌ لما أُريد[١].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن مسروقٍ، عن عائشة قالت: لمَّا مرِض أبو بكرٍ مرضَه الذي مات فيه قال: انظروا ما زاد في مالي منذُ دخلتُ الإمارةَ، فابعثوا به إلى الخليفة بعدي، قالت: فلما مات نظرنا؛ فإذا عبدٌ نوبيٌّ كان يحملُ صبيانَه، وناضحٌ كان يَسني عليه، أي: يسقي له بستاناً، وقطيفةٌ، فبعثنا به إلى عمر، فبكى عمرُ وقال: يرحمُ اللهُ أبا بكرٍ، لقد أتعب مَن بعده تعباً شديداً.

وفي روايةٍ عنها: ما كان عنده يومَ مات درهمٌ ولا دينارٌ، ما كان عنده إلا خادمٌ ولِقْحَةٌ ومِحْلَبٌ.

وروى ابن سعدٍ: أن أبا بكرٍ بعث إلى عمر بالعبدِ النُّوبي والناضح والقطيفة، وكانت تُساوي خمسة دراهم، فقال له عبد الرحمن بن عوفٍ: سبحان الله تسلبُ عيالَ أبي بكرٍ هذا؟ رُدَّه عليهم فقال: لا والله، لا يتأثَّمُ بها أبو بكرٍ حالَ حياته وأتحمّلُها بعد مماتِهِ.

وفي روايةٍ: فقال عمرُ لعبد الرحمن: ما تأمرُ؟ قال: رُدَّه عليهم. فقال: لا يَخرُج عن شيءٍ وقتَ الموت وأردُّه في عيالِه[٢].

وقال الشعبي: نظروا فيما وصلَ إليه فكان ستَّة آلاف درهم فقال: حائطي الفُلاني عِوَضُها، وكان يُساوي أضعافها فأدخله في بيتِ المال. وأوصى بعد ذلك بخُمْسِ ماله

(١) الزهد لأحمد ١٤٠، وحلية الأولياء ١/ ٣٤، وأخرجه هناد في الزهد (٣٨٢)، وابن سعد ٣/ ١٩٨، والبلاذري ٥/ ١٥٥، وابن عساكر ٣٥/ ٥٣٣ـ٥٣٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٢ و١٩٣ و١٩٦.

في سبيل الله.

وأخرج ابنُ سعدٍ بمعناه، وفيه: فقال عمر: أنا وليُّ الأمر بعده فردَّها في عياله[(١)].

وذكر ابن سعدٍ: أن عائشة لما احتُضِر أبو بكرٍ تمثَّلت بقول حاتم: [من الطويل]

لعَمرك ما يُغني الثراءُ عن الفتى إذا حَشرَجَتْ يوماً وضاق بها الصَّدْرُ[(٢)]

ففتح عينيه وقال: يا بُنَيَّةُ، لا تقولي كذا، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق: ١٩] وهي قراءة أبي بكر رضي الله عنه[(٣)].

وذكر ابن سعدٍ أيضاً عن عائشة أنها تمثَّلت وأبو بكر رضوان الله عليه يَقضي: [من الطويل]

وأبيض يُستسقى الغَمامُ بوجهه ثمالُ اليتامى عِصمةٌ للأراملِ

ففتح عينيه وقال: ذاك رسولُ الله ﷺ[(٤)].

وقال أحمد بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثَقُل أبي قال: أيّ يومٍ هو؟ قالوا: يوم الإثنين. قال: ففي أي يومٍ قُبض رسولُ اللهِ ﷺ؟ قالوا: فيه. قال: فأني أرجو ما بينه وبين الليل. قالت: وكان عليه ثوبٌ به رَدْعٌ من مِشْقٍ، فقال: إذا مِتُّ، فاغسلوا ثوبيَّ هذين، أو ثوبي هذا، وضُمُّوا إليه ثوبَين جديدَين، فكفِّنوني في ثلاثة أثوابٍ. قالت: فقُلنا: ألا نجعلُها كلها جُدداً؟ قال: لا إنما هي للمهلة. فمات ليلة الثلاثاء. انفرد بإخراجه البخاري[(٥)].

وروى ابن سعدٍ عن عائشة قالت: قال أبي: انظروا مُلاءتيَّ هاتين، فاغسلوهما،

---

(١) الطبقات ٣/ ١٩٣.

(٢) ديوانه ٥٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٥-١٩٧، وأخرجه كذلك أحمد في الزهد ١٣٦، وابن عساكر ٣٥/ ٥٥٢-٥٥٣. وأخرجه الطبري في التفسير ٢١/ ٤٢٧-٤٢٨، والبلاذري في أنساب الأشراف ٥/ ١٥٤، وابن عساكر ٣٥/ ٥٥٤، وعندهم أن قراءته ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾، وانظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢٥، والمحتسب ٢/ ٢٨٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٧-١٩٨.

(٥) مسند أحمد (٣٤١٨٦)، وصحيح البخاري (١٣٨٧).

وكفِّنوني فيهما؛ فإن الحيَّ أحوجُ إلى الجديد من الميِّتِ، إنما هو للمُهْلِ والصديد والتُرابِ[١].

ذكر ما سُمع من أبي بكر عند وفاته: [كان آخر ما تكلم به أبو بكر:] ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١][٢]

ولما احتُضر قال: ما آسى على شيء من الدنيا، إلا على ثلاثٍ فعلتُهنَّ وَدِدت أني تركتُهن، وثلاثٍ وَدِدْتُ أني لو فعلتُهن، وثلاثٍ وَدِدتُ أني سألت رسول الله ﷺ عنهنّ.

أما الأوَّل: فوددت أني [لم] أكن كشَفْتُ بيتَ فاطمة عن شيء، وإن كانوا أغلقوه على حرب، ولم أكن حَرّقتُ الفُجاءةَ السُّلَمي، وحيث لم أقذف الأمر يوم السقيفة إلى أحد الرجلين ـ يعني: عمر وعبد الرحمن بن عوف ـ فكان أميراً وكنت وزيراً[٣].

وأما الثلاث الأخر: فوَدِدْتُ أني يوم أُتيتُ بالأشعث بن قيس أسيراً في الردة كنتُ ضربتُ عُنقَه، فإنه لا يرى شراً إلا أعانه، ووَدِدْتُ أني لما أرسلتُ خالداً إلى الشام أني قذفتُ بعمر بن الخطاب المشرق، فكنتُ قد بَسطتُ يميني وشمالي في سبيل الله، ووددت أني كنتُ في جيوش أهل الرّدة وأقمتُ بذي القَصَّة رِدْءاً للمسلمين.

وأما الثلاث الأول: فوَدِدْتُ أني سألت رسول الله ﷺ عن ميراث العمَّة وبنت الأخ، فإن في نفسي منهما شيء، ووَدِدْتُ أني سألتُه عن هذا الأمر فيمن هو، فلا يُنازَع أهلُه، ووددت أني سألته هل للأنصار فيه نصيبٌ، فنعطيهم إياه[٤].

وقال الواقدي: تُوفي أبو بكر ليلةَ الثلاثاء، ما بين المغرب والعشاء، لثماني ليالٍ بَقين من جُمادى الآخرة[٥].

وقال ابن قتيبة[٦]: توفي يوم الجمعة، وقيل ليلة الجمعة، والأول أصحّ.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٥ـ٢٠٦.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ١٥٥.

(٣) في تاريخ الطبري ٣/ ٤٣٠، وتاريخ دمشق ٣٥/ ٥٤٢ـ٥٤٩: ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين يريد عمر وأبا عبيدة، فكان أحدهما أميراً، وكنت وزيراً.

(٤) من قوله: ذكر ما سمع من أبي بكر عند وفاته، إلى هنا ليس في (ك).

(٥) أخرجه ابن سعد ٣/ ٢٠١ـ٢٠٢، والطبري ٣/ ٤١٩ـ٤٢٠.

(٦) المعارف ١٧١.

وقال هشام: أوصى أن تَغسِله زوجتُه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ، وكانت صائمةً، فقال لها: باللهِ أفطري، فقالت: واللهِ لا أتبِعُه اليومَ حِنْثاً، فشربت ماءً.

وقال ابن سعدٍ: لمّا غسلته خرجت إلى من حضر من المهاجرين والأنصار، فقالت: إني صائمةٌ، وهذا يومٌ شديدُ البرد، فهل عليَّ من غُسْلٍ؟ قالوا: لا.

وروى القاسم بن محمد بن أبي بكرٍ أنّه أوصى أن تَغسِله أسماءُ، فإن عجزت أعانها محمد ابنُه. قال الواقدي: وهذا وهم، لأنَّ الروايةَ الثانية أن أبا بكرٍ أوصى أن تَغسِله أسماءُ، فإن عجزت أعانها عبد الرحمن بنُ أبي بكرٍ، لأنَّ محمداً وُلدَ بذي الحُليفة في سنة عشرٍ من الهجرة، فقد كان لمحمَّدٍ يوم مات أبو بكرٍ ثلاثُ سنين أو نحوها، أما عبدُ الرحمن فكان كبيراً يوم مات أبوهُ[١].

ذِكرُ الصلاة عليه: قال علماءُ السير: صلَّى عليه عمر بين القبر والمنبر، وكبَّر عليه أربعاً، ودُفِن عند رسولِ الله ﷺ ليلاً.

قال الواقدي: سُئل عقبةُ بن عامرٍ: أيُدْفَن الميتُ ليلاً؟ فقال: قد دَفن عمرُ أبا بكرٍ ليلاً، ونزل في حفرتِهِ هو وعثمان وطلحةُ وولده عبد الرحمن بن أبي بكرٍ، وقال ابن عمر: وأردْتُ أن أنزِل، فقال عمرُ: كُفيت، ودُفِنَ ورأسُه عند كَتِفي رسولِ الله ﷺ[٢]، وسُنِّم قبرُه في أصحِّ الروايات[٣].

وقال ابن إسحاق: حُمِل على سريرِ رسولِ الله ﷺ، وكان من خشب السَّاج، منسوجاً باللِّيف، وهو الذي أعطاه إياه سعدُ بن عُبادة لمّا قَدِم المدينة، ثمَّ بيع في ميراث عائشة، فاشتراه معاويةُ بأربعة آلاف درهم، وجعله في المدينة وَقْفاً على المسلمين. وقال ابن قتيبة: إنما اشتراه بعضُ موالي معاوية[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٦-٢٠٨، وتاريخ الطبري ٣/ ٤٢٢.

(٣) كذا، والذي في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٩ و٢١٠، وتاريخ الطبري ٣/ ٤٢٢-٤٢٣، وأنساب الأشراف ٥/ ١٦٤، وتاريخ دمشق ٣٥/ ٥٧٦، والمنتظم ٤/ ١٣٠، أن لحده أُلصق بقبر رسول الله ﷺ، وأنه جُعل مثل قبر النبي ﷺ مُسَطَّحاً، لا مُشرِفاً، ولا لاطئاً.

(٤) المعارف ١٧١، وانظر تاريخ دمشق ٣٥/ ٥٧٤.

ذكر سِنِّه: حكاه الواقدي عن أشياخه قال: تُوفّي أبو بكرٍ وهو ابن ثلاثٍ وستين سنةً، قال الواقدي: وهو الثَّبت عندنا، قال: لأنه ولد بعد رسولِ الله ﷺ بثلاث سنين[١]، وقيل: ابن ستين سنةً. والأوَّل أصحُّ، وعليه عامّةُ أربابِ السِّيَرِ.

ذكر خلافته: قال الواقدي: أقام خليفةً سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ.

وقال هشام: سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليالٍ.

ذكر النَّوح عليه: ذكر ابن سعدٍ أن عائشة أقامت النَّوْح عليه، فبلغ عمر بن الخطاب، فجاء فنهاها، فأبت، فقال لهشام بن الوليد: ادخل على ابنة أبي قُحافة، فاضربها بالدِّرّة، فدخل فعلاها ضَرْباً، فتفرَّق النوائح، ثم قال عمر: أردْتُنّ أن تُعذِّبْنَ أبا بكرٍ بنَوحكنَّ عليه، أو ببكائكنَّ عليه، إن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الميّت لَيُعَذَّبُ ببكاء أهله عليه»[٢].

وذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه[٣] أن المضروبة هي أمُّ فروة أخت أبي بكرٍ، وقال عمر لهشام: ادخل فأخرجها من بيت عائشة، فدخل فقالت له عائشةُ: اخرج من بيتي، فأخرج أمَّ فروة، ثم ضربها ثلاث دررٍ.

قلتُ: وهذا الأصحُّ؛ لأن عمر ما كان يَجهل فضلَ عائشة، وأنها أمُّ المؤمنين وزوجةُ النبيّ ﷺ، وقد كانت مُحْتَرمةً بين الصحابةِ، فكيف يضربها بالدِّرَّة وهي أمُّه؟ وقولُ عمر: ابنة أبي قُحافة يدلُّ عليه، لأن ابنة أبي قُحافة هي أمُّ فروة لا عائشة. وقوله: «إن الميِّت ليُعذَّب ببكاء أهله عليه»، قد أنكر هذا ابنُ عباسٍ، ولو سلم كان معناه إذا أوصى بذلك، وإلّا فلا ذَنبَ للميت[٤].

ذكر ثناءِ عليّ عليه السلام عليه: حدثنا غيرُ واحدٍ قالوا: حدثنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القَزّاز بإسناده، عن أَسِيد بن صفوان قال: لما قُبضَ أبو بكرٍ ﵁ وسُجّي؛ ارتجَّت المدينةُ بالبكاء كيوم قُبِض رسولُ الله ﷺ، فجاء عليُّ بن أبي طالب

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٢.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٠٨-٢٠٩، وأخرج الحديث أحمد (١٨٠)، والبخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٩٢٧).
(٣) في ٣/ ٤٢٣.
(٤) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٦/ ٢٢٨، وفتح الباري ٣/ ١٦١.

مُسرعاً، حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكرٍ وقال:

رحمك الله يا أبا بكرٍ، فلقد كُنتَ إِلْفَ رسول الله، وأنيسَه، وثقتَه، وموضعَ سرِّه، ومشاورَه، وكنتَ أوّلَ القوم إسلاماً، وأخلصَهم إيماناً، وأشدَّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمَهم غناءً في دين الله، وأحوَطَهم على رسول الله ﷺ، وأحدَبَهم على الإسلام، وأحسنَهم صُحبةً، وأكثرَهم مناقبَ، وأفضلَهم سَوابقَ، وأرفعَهم درجةً، وأقربَهم وسيلةً، وأشبَهَهم هَدْياً وسَمْتاً برسول الله ﷺ، وأشرفَهم منزلةً، وأرفعَهم عنده، وأكرمَهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام أفضل الجزاء.

صَدَّقتَ رسول الله ﷺ حين كذَّبَه الناس، وكنت عنده بمنزلةِ السَّمعِ والبصر، سَمَّاك الله في تنزيله صِدِّيقاً فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣](١).

آسيتَه حين بَخِلوا، وقمتَ معه في المكاره حين قَعدوا، وصحِبتَه في الشدَّة أكرمَ الصُّحبة، ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأنت المنزَّل عليه السكينة، ورفيقُه في الهجرة، وخليفتُه في دين الله. قُمتَ حين ارتدُّوا بما لم يَقُمْ به خليفةُ نبيٍّ، ونهضتَ حين وَهَن أصحابُه، وبَرزْتَ حين استكانوا، وقويتَ حين ضَعُفوا، ولزِمتَ منهاج رسول الله ﷺ إذ جبنوا ووَهنوا، فكنت خليفتَه حقاً، لن تنازع ولن تضارع برغم المنافقين وبكَبْتِ الحاسدين.

قمتَ بالأمر حين قَعدوا، فاتَّبعوك فهدوا، وكنتَ أخفَضَهم صوتاً، وأعلاهم فوقاً، وأقلَّهم كلاماً، وأصدقَهم منطقاً، وأبلغَهم قولاً، وأكرمَهم رأياً، وأشجعَهم نفساً، وأشرفهم عملاً، كنتَ والله للدين يعسوباً، أولاً حين نفر الناس عنه، وآخراً حين أقبلوا، كنت للمؤمنين أباً رحيماً حين صاروا عليك عيالاً، حَملت أثقالَ ما عنه ضَعُفوا، ورعيتَ ما أهملوا، وعلمتَ ما جهلوا، وشَمَّرت إذ ظلعوا، وصَبرتَ إذ جَزِعوا، وأدركتَ أوتار ما طلبوا، وراجعوا برأيك رُشْدَهم، فظَفِروا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

كنتَ والله على الكافرين عذاباً صَبّاً ولهباً، وللمؤمنين رحمةً وأنساً وحصناً،

(١) بعدها في (ك): من كلام طويل، واختصر بذلك الخطبة.

ذهبتَ والله بفضائلها، وأدركتَ سوابقَها، لم تُفْلَل حُجَّتُك، ولم تَضعُف بصيرتُك، ولم تَجبُن نفسُك، ولم يُرَعْ قلبُك.

كنتَ كالجبال لا تُحرّكها العواصف، ولا تُزيلها القواصف، كنتَ كما قال رسول الله ﷺ، أمنَّ الناس عليه في صُحبتك وذاتِ يدك، وكنتَ كما قال: «ضعيفاً في بدنك، قوياً في أمر الله»، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جَليلاً في أعين الناس، كبيراً في نفوسهم، لم يكن لأحدٍ فيك مَغمَز، ولا لقائلٍ فيك مَهْمَز، ولا لمخلوقٍ عندك هوادة، الضعيفُ عندك قويٌّ حتى تأخُذَ بحقّه، والقريبُ والبعيد عندك في ذلك سواء.

أقربُ الناس إليك أطوعُهم لله وأتقاهم، شأنُك الحقُّ والصدقُ، والعفوُ والرِّفقُ، قولك حُكْمٌ وحَتْم، وأمرُك حِلمٌ وحَزم، ورأيُك علمٌ وعَزم، اعتدل بك الدِّين، وقوي الإيمان، وظهر أمرُ الله، فسبقتَ والله سَبْقاً بعيداً، وأتعبتَ مَن بعدك إتعاباً شديداً، وفُزتَ بالخير فوزاً مُبيناً، فجَلِلتَ عن البكاء، وعَظُمت رزيَّتُك في الأرض وفي السماء، وهدَّت مُصيبتُك الأنامَ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

رضينا بقضاء الله، وسلَّمنا لأمره، ولن يُصابَ المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبداً، ألحقك الله بنبيِّك، ولا حَرَمنا أجرَك، ولا أضلَّنا بعدك، وسكت الناس حتى سمعوا وقضى كلامَه، ثم بكوا حتى ارتفعت أصواتُهم، وقالوا: صدقتَ يا خَتَن رسول الله ﷺ[(١)].

ذِكْرُ ميراثِه: قال الواقدي: لما تُوفي أبو بكرٍ سمع أبو قُحافةَ الواعيةَ بمكَّة، فقال: ما هذا؟ قالوا: مات ابنك بالمدينة، فقال: رُزْءٌ جليل، فمن قام بعده بالأمر؟ قالوا: عمر بن الخطّاب، فقال: صاحبُه.

وورث أبو قُحافة من ولده السُّدس ـ يعني أبا بكر ـ فكُلِّم فيه فقال: قد رددتُه في ولد عتيق، يعني أبا بكر، ولم يأخذ منه شيئاً[(٢)].

وقد روى بعضهُم: فسمع أبو قُحافة بمكة صوتَ الهائعة، وهو خطأٌ، لأنَّ الهائعة إنَّما تكون في الحرب، والواعيةُ في الموت.

---

(١) تاريخ دمشق ٣٥/ ٥٦٧ـ٥٧١، منال الطالب ٣٩٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٠، وفيه: سمع الهائعة. وسيتكلم عليها المصنف.

وحكى ابن سعدٍ عن الواقديِّ وغيرِه، قالوا: لمّا مات أبو بكرٍ دعا عمر بن الخطّاب الأمناء، ودخل بهم بيتَ مال أبي بكرٍ، ومعه عبدُ الرحمن بن عوفٍ وعثمان ابن عفان وغيرُهما، فلم يَجدوا في بيتِ ماله شيئاً ولا درهماً ولا ديناراً، ووجدوا خَيْشَةً للمال، فنُفِضتْ، فوجدوا فيها درهماً، فترحَّموا على أبي بكر، وكان الواردُ عليه من المعدن وغيره مُدَّة خلافته مئتي ألفٍ، فكان يُنفقُها في سبيلِ الله، وعلى الفقراء والمساكين[(١)].

فصل في ذِكر أزواجِه: قال علماءُ السِّير: تزوَّج أبو بكرٍ في الجاهلية قُتيلَةَ بنتَ عبد العُزّى من ولد عامر بن لؤي، فولدتْ له عبدَ الله وأسماءَ. وتزوَّج أيضاً في الجاهليةِ أمَّ رومان بنت عامر بن عميرة الكنانية. وقيل: أُمّ رومان بنت عامر بن عويمر، حكى القولين ابنُ سعدٍ، ونسبها إلى كنانة[(٢)].

وقال ابن قُتيبة: هي أُمُّ رومان بنت الحارث بن الحويرِث، من بني فراس بن غَنْم ابن كنانة[(٣)].

وقال البلاذري: من قال هذا فقد أخطأ، وإنّما هي بنت عامرٍ، وقيل: بنت عويمر. فولدت له عبد الرحمن وعائشة. وكانت أم رومان قبل أبي بكرٍ عند عبد الله بن الحارث ابن سخبرة. فولدت له الطفيل بن عبد الله فكان الطفيل أخا عائشة لأُمِّها[(٤)].

فأما في الإسلامِ فتزوَّج أسماء بنت عُميس بن معد بن تيم بن الحارث، ونسبها ابن سعدٍ إلى خثعم، فولدت له محمداً[(٥)]. وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب فولدت له محمَّداً. ثم تزوَّجها علي بن أبي طالب فولدت له محمَّداً، فكانت تُدعى أُمَّ المحمَّدين.

وآخرُ مَن تزوَّج أبو بكر في الاسلام: حبيبةَ ابنةَ خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي، كان أبو بكر قد نزل عليه بالسُّنْحِ لمّا هاجر إلى المدينة، فولدت له أُمَّ كلثوم

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٣.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٩.
(٣) المعارف ١٧٣.
(٤) أنساب الأشراف ٥/ ١٦٨ و ١٦٩، وانظر المعارف.
(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ١٦٩.

بعد وفاةِ أبي بكرٍ.

فأما عبدُ الله بن أبي بكرٍ فشهد الطائف مع رسول الله ﷺ، فجُرح، فمات في خلافة أبيه، وقد ذكرناه(١).

وأما أسماءُ فتزوَّجها الزبيرُ بن العوَّام بمكة، فولدت له عدَّة أولادٍ، ثم طلَّقها، فكانت عند ابنها عبد الله بن الزبير حتى قُتلٍ، وسنذكُرُها عند مقتل ابنها.

وأما عبدُ الرحمن بن أبي بكر فشهد بدراً مع الكُفّار، ودعا أباه أبا بكرٍ في ذلك اليوم أن يُبارِزه، فمنعه رسولُ الله وقال له: «يا أبا بكرٍ متِّعنا بنفسك»، ثم أسلم في هدنةِ الحديبيةِ وهاجر إلى المدينةِ، وسنذكرهُ في سنة بضعٍ وخمسين.

وأما محمد فسنذكره في سنة ثمانٍ وثلاثين.

وأما أُمُّ كلثوم فذكر ابن الزبير عن عائشة أنها قالت: لما احتُضِر أبو بكرٍ دعاني، فقال لي: إنه ليس في أهلي أحدٌ أحبُّ إليَّ منك، وإن أعزَّ الناس عليَّ فقراً بعدي أنت، وإني كُنْتُ نَحلتُك جِداد عشرين وَسْقاً من مالي، فوَدِدْتُ والله أنك كنت جَدَدْتِه وأخذتيه، فإنَّما هما أخواك وأختاك، قالت: قلت: هذان أخواي، فمن أُخْتاي؟ قال: ذات بطن بنت خارجة، فإني أظنُّها جاريةً وفي رواية ابن سعد: إني كنتُ نحلتُك أرضي التي تَعلمين بمكان كذا وكذا، وأنا أحبُّ أن تَردِّيها إليَّ، فيكون ذلك قسمةً بين ولدي على كتاب الله، فألقى ربي حين ألقاه ولم أفضِّل بعضَ ولدي على البعض(٢).

وقال الواقدي: خطب عمر بن الخطاب أُمَّ كلثوم بعد وفاة أبي بكرٍ، فأجابته عائشةُ، وكرهته أمُّ كلثوم، فاحتالت حتى أمسكَ عنها ـ وسنذكرُه فيما بعد ـ فتزوَّجها طلحةُ بن عبيد الله، فولدت له زكريا ويوسف مات صغيراً وعائشة، ثم قُتل عنها يوم الجمل، ثم خلف عليها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، فولدت له إبراهيم الأحول، وموسى، وأمَّ حُميدٍ، وأمَّ عثمان(٣).

---

(١) في بداية هذا الجزء.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٥، وما سبق فيه ١٩٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٦٢، والمعارف ١٧٥، وجاء في (ك) عقبها: انتهت ترجمة أبي بكر، السنة الرابعة =

ذكر مواليه: بلال بن رباح، وعامر بن فُهَيْرة، وصَفيّة، وهي أم محمد بن سيرين، وأبو نافع، وكان كثيرَ المال، نزل البصرة، وله بها دار، وقيل: إنه كان لعبد الرحمن بن أبي بكر، وفيه يقول يزيد بن مُفَرِّغ الحميري: [من الطويل]

سقى الله أرضاً لي وداراً تركتُها إلى جنب دارَيْ معقل بن يسار
أبو نافع[١] جارٌ لها وابن بُرْثن فيا لك جارَيْ ذِلَّةٍ وصَغارِ

ومُرَّة مولى أبي بكر، وقيل: إنه كان لعبد الرحمن أيضاً، وكتبت عائشة إلى زياد بن أبيه توصيه به، فسُرَّ بكتابها، وأقطعه نهراً بالبصرة. وقد ذكرنا أن الصديق أعتق جماعةً ممن كان يُعذَّب في الله تعالى.

ذكر عُمَّاله: كان عاملُه على مكة عَتَّاب بن أَسِيد، وعلى الطائف عثمان[٢] بن أبي العاص الثقفي، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أميّة، وعلى حضرموت زياد بن لَبيد، وعلى زَبيد أبو موسى الأشعري، وعلى الجَنَد معاذ بن جبل، وعلى البحرين العلاء بن الحَضْرميّ، وعلى نجران جرير بن عبد الله البَجلي، وعلى دُومة الجندل عياض بن غَنْم، وعلى الشام أبو عبيدة وخالد بن الوليد ومَن سَمّينا من الأمراء، وعلى العراق المثنى بن حارثة، وكان قاضيه عمر بن الخطاب، أقام مدة ولايته لم يحتكم عنده أحد، وكتب له زيد بن ثابت وعثمان بن عفان.

فصل في ذكر من كتب لخليفة ثم صار هو خليفة: كتب عثمان لأبي بكر، ثم ولي عثمان الخلافة، وكذا مروان بن الحكم، وكذا عبد الملك بن مروان، كتب لمعاوية على ديوان المدينة، ثم ولي الخلافة.

ذكر مسانيده: قال ابن الرَّقِّي: أسند عن رسول الله ﷺ مئة واثنين وأربعين حديثاً، أخرج له في «الصحيحين» ثمانية عشر، المتَّفق عليه فيها ستة، وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث واحد، وأخرج له الإمام أحمد في «المسند» ستةً وثلاثين حديثاً، منها متفق عليه، ومنها أفراد.

= عشرة من الهجرة.

(١) في (أ) و(خ): محمد بن مفرغ .... أبو رافع، والمثبت من المعارف ١٧٧، وانظر ديوانه ٨٦، والكامل ٥٥٨.

(٢) في (أ) و(خ): عمار، والمثبت من الطبري ٣/ ٤٢٧، والمنتظم ٤/ ٧٠.

وقال أبو نُعيم: أسند أبو بكر عن رسول الله ﷺ من المتون سوى الطرق مئةَ حديث ونيفاً بمراسيلها(١).

وروى عن أبي بكر جماعة من الصحابة، منهم: عمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمرو، وحذيفة، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمر، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأنس، وأبو هريرة، وعقبة بن عامر، وأبو بَرزة الأسلمي، وأبو أُمامة، ومَعْقل بن سنان، وجابر بن عبد الله، وأبو موسى، وعمران بن الحُصين، وابن الزُّبير، وعائشة رضي الله عنهم في آخرين.

عبد الله بن مِرْبَع الأنصاري

من الطبقة الثانية، وكان أبوه مِربَع من المنافقين، وهو الذي حثا الترابَ في وجه رسول الله ﷺ لما خرج إلى أُحد، وأم عبد الله عُميرة بنت ظُهَيْر بن رافع، شهد عبد الله أحُداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، واستُشهد يوم جسر أبي عُبيد، وقُتل معه أخوه عبد الرحمن لأمه وأبيه(٢).

عبد الرحمن بن العوَّام

من الطبقة الرابعة من المهاجرين، شهد بدراً مع المشركين، ثم نجا، وأسلم عام الفتح، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن.

هرب عبد الرحمن يوم بدر، ومعه أخوه عبيد الله، ومعهما جمل، وكان عبيد الله أعرج، فركب عبد الرحمن الجمل، وأردف أخاه، فلَقيهما حكيمُ بن حزام ماشياً مُنهزماً، فلما رآه عبد الرحمن قال لأخيه عبيد الله: انزل، فقال له: أنشدك الله فيّ فإني أعرج، فقال: ألا تَنزل لرجل إن قُتلت كفاك، وإن أُسرت فداك، فنزلا عن الجمل، وحملا عليه حكيماً، فنجى حكيم وعبد الرحمن على قدميه، وأُدرك عبيد الله، فقُتل كافراً.

استشهد عبد الرحمن يوم اليرموك، وكان له ولد اسمه عبد الله، قتل يوم الدار(٣).

(١) معرفة الصحابة ١/ ١٨٦.
(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٧٨ (٥٤٥)، والاستيعاب (١٤٠٣)، والاستبصار ٢٣٦، والإصابة ٢/ ٣٦٦.
(٣) الاستيعاب (١٥٣٢)، والتبيين ٢٧٠، والإصابة ٢/ ٤١٥.

عَتَّاب بن أَسيد

ابن أبي العيص[١] بن أمية بن عبد شمس، أبو عبد الرحمن، من الطبقة الرابعة ممن أسلم يوم الفتح، وأمُّه أروى بنت أبي عمرو بن أمية.

استعمله رسول الله ﷺ على مكةَ عام الفتح لما خرج إلى حُنين، وسِنُّه يومئذ ثماني عشرة سنة، وقيل: عشرون، وقيل: خمس وعشرون، ورزقه كلَّ يوم درهماً، فأقام عَتَّاب للناس الحجَّ في تلك السنة، وهي سنة ثمان، حج بالمسلمين والمشركين.

وقال ابن عباس: قيل لرسول الله ﷺ: استخْلَفْتَ هذا الأعرابيَّ على مكة؟ فقال: «إني رأيتُه في المنام قد أخذ بحلقة باب الجنة، ففُتح له فدخل»[٢]. وأمر عتاب منادياً ينادي: لا أجد أحداً لا يصلي إلا ضربتُ عنُقَه، فكان المسجد يمتلئ حتى يصلي الناس خارجَ المسجد، ولم يزل عَتَّاب على مكة حتى تُوفي رسول الله ﷺ، فأقرّه أبو بكر رضوان الله عليه عليها، فلم يزل والياً إلى اليوم الذي مات فيه أبو بكر بالمدينة.

فمات عَتَّاب بمكة، وقيل: إن نعي أبي بكر وصل إلى مكة يوم مات عَتَّاب.

وقال عمرو بن أبي عقرب: سمعتُ عَتَّاب بن أَسيد وهو يخطب مستنداً بظهره إلى الكعبة، يحلف بالله تعالى: ما أصبتُ في عملي الذي بعثني عليه رسول الله ﷺ إلا ثوبين، كسوتُهما مولاي كيسان[٣]. وكان عَتَّاب قد سُمّ في اليوم الذي سُمّ فيه أبو بكر رضي الله عنه[٤].

ذكر أولاده: كان له من الولد عبد الرحمن وأبو عثمان وأمية، وأمهم ريطة بنت عبد الله خزاعية[٥]، قتل عبد الرحمن وأبو عثمان يوم الجمل، وسنذكره هناك.

وكان لعتَّاب أخٌ اسمه خالد بن أَسيد، أسلم عام الفتح، وكان فيه تِيهٌ شديد، روى

---

(١) في (أ) و(خ): العاص، والمثبت من طبقات ابن سعد ٥/ ٤٤٦، والمعارف ٧٣، والاستيعاب (٢٠٠٢)، وجمهرة ابن حزم ١١٣، والتبيين ١٩٨، والإصابة ٢/ ٤٥١.

(٢) ذكره ابن قدامة في التبيين ١٩٨، وانظر الإصابة ٢/ ٤٥١.

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده (١٣٥٦)، والبخاري في التاريخ الكبير ٧/ ٥٤، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن قدامة في التبيين.

(٤) المنتظم ٤/ ١٥٧.

(٥) كذا ذكر، وفي طبقات ابن سعد ٦/ ٣٥ أن أبا عثمان وأمية من أولاد خالد بن أسيد.

الحديث عن رسول الله ﷺ، وكان له ولدٌ اسمُه عبد الله، وإليه يُنسب شِعب عبد الله بن خالد، وكان لعبد الله بن خالد من الولد: خالد وأُميّة وعبد العزيز.

ولي خالد بن عبد الله البصرة لعبد الملك بن مروان، وولي أخاه أمية حرب أبي فُدَيك الحَروري، فهزمه أبو فُديك، وكان عبد الملك قد عهد إلى خالد بن عبد الله أن يُولّي المهلَّبَ بن أبي صُفْرة حرب الأزارقة، فخالفه وولّاه جبايةَ الخراج، وولى أخاه عبد العزيز بن عبد الله حرب الأزارقة، فخرج إليهم في ثلاثين ألفاً، وهو يقول: زعم الناس أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلّب، فسوف يعلمون، فلما دنا من عسكر الأزارقة أتاه سعد الطلائع، في خمس مئة فارس، وأعدَّ له من الخمس مئةً، وخرج الكمين واقتتلوا، فانهزم عبد العزيز، وقُتل معظم أصحابه، وتبعهم الخوارج نحو فرسخين، واستباحوا عسكرَه، وأخذوا امرأته، وبلغ عبد الملك فعزل خالداً، وولّى مكانَه أخاه بشر بن مروان.

وكان لعَتَّاب أختٌ يقال لها: عاتكة بنت أَسيد.

قال محمد بن سلام: أرسل عمر بن الخطاب إلى الشّفاء بنت عبد الله الأموية[1]: أن اغدي عليّ، قالت: فغدوتُ، فوجدتُ عاتكة بنت أَسيد ببابه، فدخلنا عليه، فتحدَّثنا ساعةً، فدعا بنَمَطٍ فأعطاها إياه، ودعا بنَمَطٍ دونه فأعطاني إياه، فقلت: تربت يداك يا عمر، أنا قبلها إسلاماً، وأنا بنتُ عمك دونها، وأرسلتَ إليّ، وجاءتك هي من قِبَلها!؟ فقال: ما كنتُ رفعتُ ذلك إلا لك، فلما اجتمعتُما ذكرتُ أنها أقربُ إلى رسول الله ﷺ منك. ولعتّاب بن أَسيد رواية.

عكرمة بن أبي جهل

من الطبقة الرابعة من المهاجرين، ويُقال: من الخامسة، وأمُّه أمُّ مجالد بنت يَربوع، عامرية، وكان عكرمة من رؤساء الكفّار على منهاج أبيه، وهو الذي كان يوم أُحد على خيل المشركين، وفعل تلك الأفاعيل، وأسلم يوم الفتح وحسن إسلامُه، وصحب النبي ﷺ، وكان عكرمة ممن هرب يوم بدر، فكان إذا أجهد اليمين قال: لا والذي نجّاني يوم بدر، وكان يضع المصحف على وجهه ويقول: كلامُ ربّي، أو: كتاب ربي.

---

(١) في الاستيعاب (٣٤٠٧)، والتبيين ٢٠٢، والإصابة ٤/ ٣٥٦: العدويّة.

واستعمله رسول الله ﷺ عام حجَّ على هوازن، لصدقتها، واستعمله أبو بكر على أهل عُمان لما ارتدُّوا، واستشهد عكرمة باليرموك في أيام أبي بكر، وقيل: بأجنادين، وقيل: بمرج الصُّفَّر، وقيل: على دمشق، والقول الأول أصحّ.

قال سيف: لما رأى عكرمةُ يوم اليرموك غَلَبةَ الروم قال: قاتلتُ رسول الله ﷺ في كلِّ موطن، وأفرُّ من هؤلاء اليوم؟!، ثم قال: مَن يُبايع على الموت، فبايعه أربع مئةٍ من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا بين يدي فُسطاط خالد بن الوليد، فاثنوا جمعياً جرحى وقتلى، وأُتي خالد بعكرمة جريحاً، فوضع رأسَه على فخذه، وأُتي بعمرو بن عكرمة، فوضع رأسه على ساقيه، وجعل يمسح الدم عن وجهيهما، ويقطر الماء في حلقيهما ويقول: زعم ابن حنتمة أننا لا نحب الشهادة(١)، وكان عكرمة يركب الأَسِنَّة حتى أنفذَتْه، وخالد يقول: ليت ابن حَنْتمة ينظر إلى ابن عمي كيف يركب الأسِنّة.

وقال الشيخ موفق الدين: ترجّل عكرمة يوم اليرموك، فقال له خالد: لا تفعل؛ فإن مُصابك على المسلمين شديد، فقال: دَعْني يا خالد، فإنه كانت لك مع رسول الله ﷺ سوابق، ثم قاتل قتالاً شديداً، فوجدوا به بضعاً وسبعين جِراحة(٢). ولعكرمة رواية عن رسول الله ﷺ(٣).

عمرو بن أوس

ابن عَتِيك الجُشَمي، من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد أُحداً وما بعدها مع رسول الله ﷺ، واستشهد يوم جسر أبي عبيد، وأخوه الحارث بن أوس قُتل بأجنادين، وأخوهما عُمَير بن أوس قتل يوم الحَرَّة(٤).

---

(١) تاريخ الطبري ٣/ ٤٠١.

(٢) التبيين ٣٦٥.

(٣) انظر في ترجمته طبقات ابن سعد ٥/ ٤٤٤ـ٤٤٥ و٧/ ٤٠٤، والاستيعاب (١٩٩١)، والمنتظم ٤/ ١٥٥ـ١٥٧، والإصابه ٢/ ٤٩٦.

(٤) في طبقات ابن سعد ٤/ ٢٤٥ـ٢٤٦ أن المقتول يوم الحرة هو عامر بن أوس، وأن عمير بن أوس قتل يوم اليمامة، وانظر الاستيعاب (١٧٥٥) و(٤٠٨) و(١٧١٣)، والإصابة ٢/ ٥٢٥.

عمرو بن سعيد بن العاص

أبو عتبة. من الطبقة الثانية من المهاجرين، أسلم قديماً بعد أخيه خالد بيسير، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وقدم مع جعفر إلى خيبر، وشهد الفتح وحُنيناً والطائف وتبوك، واستعمله رسول الله ﷺ على خيبر ووادي القرى وتيماء وتبوك، ولما خرج المسلمون إلى الشام كان ممن خرج، فقُتل بأجنادين سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر، وعلى الناس عمرو بن العاص، وقيل: استشهد باليرموك، وقيل: بمرج الصُّفَّر، وقيل: بفِحْل(١).

عيَّاش بن أبي ربيعة

ذي الرُّمحَين(٢)، عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، من الطبقة الثانية من المهاجرين، أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وكُنيته أبو عبد الله، وكان من المستَضْعَفين الذين يُعذَّبون بمكة في الله تعالى، وهو أحد الذين كان رسول الله ﷺ يقنت في الصلاة ويدعو لهم.

وأم عيّاش: أسماء بنت مُخَربة، من بني دارم، وهي أم أبي جهل والحارث، واستشهد عياش باليرموك، وقيل: باليمامة، وقيل: مات بالمدينة، وقيل: بمكة، وقال البخاري والدار قطني وابن منده وابن ماكولا: مات بالشام في فتح عمر(٣).

أسند عياش الحديث عن رسول الله ﷺ.

أولاد عياش: كان له من الولد عبد الله، أبو الحارث، وكان رجلاً صالحاً، يصحب عبد الله بن عمر في الأسفار فيصوم، فكان [ابن] عمر يأمر له بسحور.

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٩٤، والاستيعاب (١٧٣٥)، وتاريخ دمشق ١٣/ ٤٤٦ (مخطوط)، والتبيين ١٩١، والإصابة ٢/ ٥٣٩.

(٢) في (أ) و(خ): ذو الرمحين، وهو خطأ، فإنه لقب أبيه، لا لقبه، انظر التبيين ٣٧٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٧٩٨ (مخطوط)، وانظر ترجمة عياش في طبقات ابن سعد ٤/ ١٢٠ و٨/ ٥، والاستيعاب (١٩٢٤)، والإصابة ٣/ ٤٧.

(٣) التاريخ الكبير ٧/ ٤٦، والمؤتلف والمختلف ١٥٦٢، والإكمال ٦/ ٦٤ـ٦٥، وتاريخ دمشق ١٣/ ٨٠٠ـ ٨٠١.

وابنه الحارث بن عبد الله روى عنه الحديث، وابنه عبد الرحمن بن الحارث روى عنه الحديث والعلم، وابنه المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث فقيه أهل المدينة بعد مالك، عرض عليه الرشيد هارون قضاء المدينة، وأجازه بأربعة آلاف دينار على ذلك فأبى، ورد المال، فأراد هارون أن يُلزمه فقال: والله لأن يخنقني الشيطان أحبُّ إليَّ من أن أتقلّد القضاء، فأعفاه وقال: ما بعد هذا غاية، وأجازه بألفي دينار.

وكان لعياش أخٌ يقال له: عبد الله بن [أبي] ربيعة، أسلم يوم الفتح، وولّاه رسول الله ﷺ الجَنَد ومخاليفها، فلم يزل والياً عليها حتى قتل عمر بن الخطاب، ويقال: إن عمر ولّى عبد الله اليمن وصنعاء والجَنَد، ثم ولّاه عثمان، فلما حُصِر عثمان جاء من اليمن في نُصرته، فسقط من راحِلته بقُرب مكة فمات.

روى عبد الله الحديث عن النبي ﷺ، وكان له من الولد الحارث القُباع، وسنذكره، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة، وكان من وجوه قريش، وتزوّج أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضوان الله عليه بعد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وحلف أن لا يعطي بني مروان طاعة، فوفى بيمينه[١].

فائد بن عمارة

ابن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكانوا ثلاثة إخوة: فائد وعبد الرحمن وهشام بنو عمارة، ولم يدرك منهم أحدٌ رسول الله ﷺ، وقيل: الذي لم يدركه فائد، وإنما أدرك زمانه، والكل أولاد أخي خالد بن الوليد، وكلّهم استشهدوا، واستشهد فائد بفِحْل، وقيل: مات باليمن في حياة رسول الله ﷺ.

وفائد هو الذي طلّق فاطمة بنت قيس البتة وهو غائب، فأتت رسول الله ﷺ فقال: لا نفقةَ لك.

وقال ابن عبد البر: بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن لما بعث معاذاً، فطلّق فاطمة بنت قيس، وبعث بطلاقها، الحديث.

قلت: هذا كلام مضطرب، فإنه قال: لم يدرك فائد رسول الله ﷺ، وإنما أدرك

(١) التبيين ٣٧٦-٣٧٨.

زمانه، ثم إنه قال: مات باليمن في حياة رسول الله ﷺ، وأن رسول الله ﷺ بعثه إلى اليمن، وذكر حديث طلاقه فاطمة بنت قيس، ويحتاج ذلك إلى تحقيق[(١)].

فراس بن النَّضْر

ابن الحارث بن علقمة بن كَلَدة بن عبد مناف، وأبوه النضر الذي قتله رسول الله ﷺ كافراً بالصَّفْراء لما فصل من بدر.

وفراس من الطبقة الثانية من المهاجرين، وأمُّه زينب بنت النبّاش بن زرارة، أسديّة، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة المرة الثانية، واستشهد باليرموك[(٢)].

قيس بن السَّكن بن قيس

من الطبقة الأولى من الأنصار، من بني النجّار، وكان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وكنيته أبو زيد، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع النبي ﷺ، واستشهد يوم جسر أبي عُبيد[(٣)].

منصور بن عُمَير

ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصيّ، أبو الرُّوم، من الطبقة الثانية من المهاجرين، وهو أخو مصعب بن عمير لأبيه، أسلم قديماً، وفي هجرته إلى الحبشة خلاف، ولما قُتل أخوه مصعب يوم أحد دخل المدينةَ منصورٌ ولواء المهاجرين بيده، واستشهد يوم اليرموك، وأمه روميّة، ولم يشهد بدراً[(٤)].

النُّضَير بن الحارث

عمُّ فراس بن النَّضْر المذكور آنفاً، والنُّضير من الطبقة الرابعة، من مُسلمة الفتح،

(١) انظر تاريخ دمشق ١٤/ ١٩٤ و١٠/ ٦٢، والإصابة ٣/ ١٩٩ و٢/ ٤١٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١١٤، والاستيعاب (٢٠٨٥)، وتاريخ دمشق ١٤/ ٢٠٤، والتبيين ٢٤٨، والإصابة ٣/ ٢٠٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٧٦، والاستيعاب (٢١٠١)، والاستبصار ٤١، والإصابة ٣/ ٢٥٠.

(٤) طبقات ابن سعد ٤/ ١١٤، والاستيعاب (٢٩٢٤)، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٣٢، والتبيين ٢٤٥، والإصابة ٣/ ٤٦٢.

وكان ممن خرج مع رسول الله ﷺ إلى حُنين، ينتظر الدبرة عليه، فلما نصره الله لقي النُّضير فقال له: يا نضير، هذا خيرٌ مما أردتَ، فقال: يا رسول الله، والله ما خرجت إلا لأغتالك، أو تكون الدبرة عليك، فأعين عليك، وأما الآن فقد أراد الله غير ذلك، وأطلعك على ما في نفسي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأسلم وحسن إسلامه، وأعطاه رسول الله ﷺ مئةً من الإبل مع المؤلفة قلوبهم، ولما عاد رسول الله ﷺ إلى المدينة من حُنين هاجر معه، وأقام حتى تُوفّي رسول الله ﷺ، وخرج إلى الشام غازياً، فقتل يوم اليرموك شهيداً، وكان يُعدُّ من حُلَماء قريش.

وقال البلاذري: هاجر إلى الحبشة، ثم قدم مكة فارتدّ عن الإسلام، ثم أسلم يوم الفتح[(١)].

وقال الزبير: كان يحمد الله على ما منّ به عليه من الإسلام، وحيث لم يمت على ما مات عليه أخوه وأبوه، ولما أمر له رسول الله ﷺ بمئة من الإبل يوم حنين، توقف في أخذها، وقال: إنما أسلمتُ لله، لا على رشوة، ثم قال: ما سألتُها، فأخذها وأعطى الذي بَشَّره بها عشرةً منها، وكان رجلاً من الدّيل[(٢)].

نُعيم بن عبد الله بن أَسيد العدوي

وهو النَّحّام، أسلم قديماً قبل عمر بن الخطاب، بعد ثمانيةٍ وثلاثين إنساناً، وهو التاسع والثلاثون، وقيل إنه أسلم بعد عشرة، ولم يزل مُقيماً بمكة، يحوطه قومه وأهلُه لشرفه، حتى كان إلى زمن الحُدَيبية؛ لأنه كان يُنفق على أرامل بني عدي وأيتامِهم لشرفه، وهو من الطبقة الثانية.

شهد مع رسول الله ﷺ الحُدَيبية وما بعدها، وقدم على رسول الله ﷺ في سنة ستّ، ومعه أربعون من أهله، فاعتنقه النبي ﷺ وقبَّله، وقيل: وسُمّي النّحام لقول النبي ﷺ: «دخلتُ الجنة، فسمعتُ نَحْمَةً من نُعيم».

وروي أن النبي ﷺ قال له: «يا نُعيم، إن قومَك خيرٌ من قومي، إن قومي

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٢٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٦٥، والاستيعاب (٢٦٢٧)، وتاريخ دمشق ١٧/ ٥٨٠، والتبيين ٢٤٧، والإصابة ٣/ ٥٥٧.

أخرجوني، وقومك أقرُّوك»، فقال: يا رسول الله بل قومك خير، قال: «لم؟»، قال: لأنهم أخرجوك إلى الهجرة، وقومي حبسوني عنها.

استشهد نُعَيم باليرموك، وقيل: بأجنادين، وقيل: إنه قُتل بمؤتة مع زيد بن حارثة[(١)].

واقد بن عبد الله

ابن عبد مناف بن عزيز التميمي، من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين بشر بن البراء بن مَعرور، وهاجر إلى المدينة، فنزل على رِفاعة بن عبد المنذر، وهو الذي كان في سريّة عبد الله بن جحش إلى نخلة، وقتل يومئذ عمرو بن الحَضْرمي.

شهد واقد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وتوفي في هذه السنة، وليس له عقب[(٢)].

هبَّار بن سفيان

ابن عبد الأسد المخزومي، [وكان قديم الإسلام بمكة]، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية بالاتفاق، وقتل بأجنادين، وقيل: باليرموك.

وهبَّار من الطبقة الثانية من المهاجرين، وقد وهم البخاري في هذه الترجمة، فجمع بين هبَّار بن سفيان، وهبَّار بن الأسود، فجعلهما واحداً وهما اثنان، هذا مخزومي[(٣)].

وهبَّار بن الأسود بن المطَّلب بن عبد العُزّى، أسديّ، وهو الذي نَخَس جملَ زينب

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٢٩، والاستيعاب (٢٥٩٩)، والمستدرك ٣/ ٢٥٩، والمنتظم ٤/ ١٥٧، وتاريخ دمشق ١٧/ ٦١٨، والتبيين ٤٣٣، والإصابة ٣/ ٥٦٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٦٢، والاستيعاب (٢٧١٢)، والمنتظم ٤/ ١٥٩، والإصابة ٣/ ٦٢٨، ومن قوله: وهاجر إلى المدينة .... إلى هنا ليس في (أ).

(٣) انظر في ترجمة هبار بن سفيان طبقات ابن سعد ٤/ ١٢٦ و٦/ ٩٧، والاستيعاب (٢٦٧٤)، والتبيين ٣٨٥، والإصابة ٣/ ٥٩٩.

بنت رسول الله ﷺ فأسقطت، وقتل يوم أحد عشرةً من الصحابة، وأباح النبيُّ دمَه، وكان في الشَّراة مع النَّفر الذين كانوا مع عُتيبة بن أبي لهب، وعقره الأسد باللَّفَّاء[١]، وكان لهبّار دارٌ بدمشق في زقاق صفوان، ثم أسلم، وهو من الطبقة الرابعة، وكان رسول الله ﷺ قد قتل يوم بدر أخويه ربيعة وعقبة ابني الأسود، وابن أخيه الحارث بن معاوية[٢].

وعبد الله بن سفيان أخو هبَّار لأبيه وأمه، وهاجر إلى الحبشة، وقتل باليرموك شهيداً في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هشام بن حكيم بن حِزام الأسدي

كان من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان عمر بن الخطاب إذا أنكر الشيء يقول: لا يكون هذا ما عشتُ أنا وهشام بن حكيم.

مرّ هشام بعُمَير بن سعد وهو يُعذّب الناس على الجِزية بالشمس، فقال له: ويحك يا أعور، ما هذا؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يُعذِّب الذين يُعذِّبون الناس في الدنيا»[٣]، فخلَّى سبيلَهم، وفي رواية: أنه مرَّ بفلسطين وعياض بن غَنْم يُعذّب الناس[٤].

استشهد هشام في حياة أبيه بأَجنادين، وكانت له ولأبيه صُحبة ورواية[٥].

هشام بن العاص بن وائل

أخو عمرو، أسلم قديماً بمكة، وهو من الطبقة الثانية من المهاجرين، وكنيته أبو العاص[٦]، وسمّاه رسول الله ﷺ أبا مُطيع، وشهد له بالإيمان، وكان أصغر من أخيه

---

(١) في النسخ: باللقاء، والمثبت من تاريخ دمشق ٣٨/ ٣٠٣. وغيره من المصادر.

(٢) انظر في ترجمة هبار بن الأسود طبقات ابن سعد ٦/ ٦٠، والاستيعاب (٢٦٧٥)، والتبيين ٢٨٠، والإصابة ٣/ ٥٩٧.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٣٣٠)، ومسلم (٢٦١٣).

(٤) أخرجها أحمد (١٥٣٣٣).

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٧، والاستيعاب (٢٦٤٧)، وأنساب الأشراف ٥/ ٦٦، والتبيين ٢٧٢، وأسد الغابة ٥/ ٣٩٩، والإصابة ٣/ ٦٠٣.

(٦) في (أ) و(خ): أبو العباس، والمثبت من أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٢، والإصابة ٣/ ٦٠٤، وانظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٤/ ١٧٨، والمعارف ٢٨٥، وطبقات خليفة (١٤٨) و(٢٨٢١)، والجرح والتعديل ٩/ ٦٣، =

عمرو، وهاجر إلى الحبشة المرة الثانية، ثم قدم مكة يريد الهجرة إلى المدينة لما بلغه مهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فحبسه أهله، فهرب بعد الخندق إلى المدينة، فشهد ما بعد الخندق من المشاهد.

وكان شريفاً في قومه، فقيل لأخيه عمرو: أيّما أفضل أنت أم أخوك؟ قال: احكموا بيننا، أمُّه حَرْملة بنت هشام بن المغيرة، وأمي النابغة من بني عَنَزة، وكان أحبَّ إلى أبيه مني، وعُرِضْتُ أنا وإياه على رسول الله ﷺ فقبله وتركني[١]، وهاجر قبلي، واستبقنا إلى الله يوم اليرموك فسبقني، فأيّنا أفضل؟!

وقال هشام: بعثني أبو بكر إلى دمشق رسولاً إلى ملك الروم ندعوه إلى الله تعالى، فخرجتُ أنا ورجل من قريش، فقَدِمنا الغوطة، فنزلنا على جَبَلَةَ بن الأَيْهم الغسّاني، فإذا عليه ثيابُ سواد، فقلنا: ما هذا؟ قال: لَبِستُها، وحلفتُ أني لا أَنزِعها حتى أُخرجَكم من الشام، فقلت: نحن نُخرجك، ونَملك مجلسَك هذا إن شاء الله تعالى، ونأخذ مُلكَ هرقل، قال: ومن أين لكم هذا؟! قلتُ: أنبأنا به نبيُّنا ﷺ.

ثم دخلنا على الملك فأكرَمَنا، وأخرج إلينا صُوراً في خِرق الحرير، في كلِّ خِرقةٍ صورة نبيٍّ، حتى أخرج لنا خِرقةً فيها صورةُ نبينا، وزعم أن تلك الصُّور أنزلت على آدم، واستخرجها ذو القرنين من مَطلع الشمس، من خزانة آدم، فدفعها إلى دانيال الأكبر[٢].

واستشهد بأجنادين، وقيل باليرموك، وقيل بمرج الصُّفَّر.

وقال الواقدي: كان هشام رجلاً صالحاً، رأى من المسلمين يوم أَجنادين بعضَ التقصير، فرمى المِغفَر عن رأسه وصاح: إليَّ إليَّ أيها الناس، أمن الجنَّة تَفِرّون، أنا هشام بن العاص، وقاتل حتى قُتل، فوقع في ثُلمةٍ فسَدَّها، وكان العدوُّ فيها، فهاب

= والثقات ٣/ ٤٣٣، وجمهرة أنساب العرب ١٦٣، والمستدرك ٣/ ٢٤٠، والاستيعاب (٢٦٤٨)، والتبيين ٤٦٥، والمنتظم ٤/ ١٥٨، وأسد الغابة ٥/ ٤٠١، والسير ٣/ ٨٦.

(١) كذا، والذي في المصادر السالفة: عرضنا أنفسنا على الله فقبله وتركني.

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ٣٨٦-٣٩٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ١٦١-١٦٦، وانظر الإصابة ٣/ ٦٠٤-٦٠٥.

المسلمون أن يَطؤوه بخيولهم، فصاح عمرو أخوه: أيها الناس، إن الله قد استشهده، ورفع درجتَه، فأوطئوه الخيول، فأوطؤوه حتى قطعوه، فجعل عمرو بعد ذلك يجمع عظامَه وأوصالَه في نِطعٍ حتى واراه.

وقال سيف: استشهد هشام باليرموك، وأُصيب معه ثلاثةُ آلاف، منهم سبعون من بني سهم(١).

يزيد بن قيس بن الخَطيم الأنصاري

من بني ظَفَر، من الطبقة الثانية من الأنصار، وأمُّه حَوّاء بنت يزيد بن السَّكن، أشهليّة، وكانت من المبايعات، شهد أحداً وما بعدها مع رسول الله ﷺ.

وأبوه قيس وافى رسولَ الله ﷺ بذي المجاز، ولم يسلم، قتلتْه بنو سَلِمة.

قال ابن سعد: كان قيس بن الخَطيم شاعراً، وكُنيته أبو يزيد، فوافى رسول الله ﷺ بذي المجاز، فدعاه إلى الإسلام، وجعل يَرفُق به ويكنيه، فقال قيس: ما أحسن ما تدعو إليه، ولكن الحرب شغلتني عنك، وقد بلغك الذي بيننا وبين قومنا، فأَقْدِم المدينةَ وأنظر وأرجع إليك، وكانت امرأتُه حواء قد أسلمت، فأوصاه رسول الله ﷺ بها، وقال: «احفظني فيها»، فقال: أفعل، فقدم المدينة، فقال: يا حواء، إن محمداً أوصاني بك، وسألني أن أحفَظَه فيك، وأنا فاعل، فغَدتْ بنو سلمة فقتلتْه ولم يكن أَسلم(٢).

أبو عُبيد بن مسعود بن عمرو الثَّقفي

وأبوه مسعود عظيم القريتين، الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١]، والقريتان مكة والطائف(٣).

وولد مسعود أبا عُبيد وسعداً، فأما أبو عُبيد فهو الذي جَهّزه عمر رضي الله عنه مع المثنّى ابن حارثة، فقدم العراق، وشنَّ الغارات على الفُرس، واستشهد يوم الجسر، وكان

(١) أخرجه الطبري ٣/ ٤٠٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٦١، وانظر الاستيعاب (٢٧٤٦) والاستبصار ٢٥٨، والإصابة ٣/ ٦٦١.

(٣) انظر تفسير الطبري ٢٠/ ٥٨٠_٥٨٣.

شجاعاً جواداً شريفاً ورعاً حسنَ العِشرة والمواساة، وكان له من الولد مُختار وجَبْر وأسيد وصفيّة.

فأما المختار فنذكره، وأما جَبْر فقُتل يوم الجسر، وأما صفيّة فتزوّجها عبدالله بن عمر بن الخطاب، وأما سعد بن مسعود فولّاه علي رضوان الله عليه المدائن، وله عَقِبٌ بالكوفة[1]، وهو الذي قال له المختار بن أبي عُبيد: سَلّم الحسن بنَ علي إلى معاوية لما استشهد علي ﷺ.



(١) المعارف ٤٠٠ـ٤٠١، وانظر الاستيعاب (٣٠٤١)، والإصابة ٤/ ١٣٠.

السنة الرابعة عشرة[١] من الهجرة

وفيها كانت وقعةُ القادسيّةِ، وإنَّما سُمِّيت القادسيّة لأن ابراهيم الخليل عليه السلامُ قَدَّسها وبارك حولها، أو عليها، وذكرها الجوهري فقال: ويُقال: إنَّ القادسية دعا لها إبراهيم بالقدُس، وأن تكون مَحَلَّة الحاجّ[٢].

وقال هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: لمَّا خرج ابراهيمُ عليه السلام من كُوثى - وهي محلَّةٌ بأرضِ بابل - مُهاجراً إلى الله، كان راكباً على حمارٍ، ومعه ابنُ أخيه لوط عليه السلام يسوق غَنَماً له، فنزلوا بقريةٍ يُقال لها: بانِقْيا، وكانت تُزَلْزَلُ كلَّ ليلةٍ، فبات بها يُصلّي طولَ ليلته، فلم تُزلزل في تلك الليلةِ، فاجتمع إليه أهلُها، وسألوه المقام عندهم، فأبى، ثم رحل إلى القادسيةِ، فجاءته عجوزٌ بغَسولٍ فقالت: أراك شعثاً، اغسِلْ بهذا رأسَك ولحيتَك، ففعل، ثم قال لمكان القادسيةِ: كوني مُقَدَّسةً، فيك ينزلُ وَفدُ الله، وفيك تحطُّ رحالُهم، فسمِّيت القادسيةُ بدعوته[٣].

قال: ولمّا مرَّ بموضعِ جامع الكوفة وَجد أساسه الذي بناه نوحٌ قائماً، وكان قد نسفه الغرقُ فاشتراه بالحمار، ورفعه مقدارَ ذراعٍ، ثم خرج إلى الجزيرة، ومرَّ بحرّان، وقد ذكرنا طرفاً منه في ترجمته[٤].

ذكر السبب الذي أهاج أمر القادسيّة

لما مَخَرَ المثنى بن حارثة بلادَ فارس بالغارات ما بين دجلة والفرات اجتمع أهل فارس إلى رُستم والفَيرزان - وكانا مختلِفَيْن - فقالوا لهما: قد أوهنتُما مملكةَ فارس، وأطمعتُما فينا عدوَّنا، وما بعد ساباط إلا المدائن، فإما أن تتَّفقا، وإلا ذهبت المدائن، وذهب ملك فارس، ولولا أن في قتلكما وَهَن فارس لقتلناكما، وإن قتلكما أهونُ من

---

(١) في (أ) و(خ): السنة الثالثة عشرة، وهو خطأ.

(٢) الصحاح (قدس).

(٣) المنتظم ٤/ ٢١٩-٢٢٠، وانظر معجم ما استعجم ١/ ٢٢٢، ومعجم البلدان ٤/ ٢٩١، والروض المعطار ٤٤٧.

(٤) من هنا إلى قوله: فصل وقد مدح بعض الناس الكوفة، ليس في (ك)، وهو دليل على الاختصار.

شماتة الأعداء بنا، فأرسل رستم والفيرزان إلى بوران بنت كسرى: سلي نساء كسرى وسراريّه، هل له ولد، فأرسلت إليهن، فأنْكرن، فهُدِّدنَ بالعذاب، فأَقْرَرْن بغلام اسمه يَزْدَجِرد، من ولد شَهْريار بن كسرى، وأنه عند أمِّه، وهي من أهل بادَرايا[1]، فأرسلوا إلى أمه، فجاءت وهو معها، فسألوها عنه، فقالت: كنا في القصر الأبيض، فلما قتل كسرى الذّكور من أولاد الملوك، هربتُ به إلى أخواله خوفاً عليه، وكان ابنَ إحدى وعشرين سنة، فملّكوه عليهم.

وهو يزدجرد بن شَهْريار بن أبرويز، وسمّي المشؤوم؛ لأن الفُرس كانت ترى أنه يزول مُلكهم على يده، وصِغر سِنّه هو الذي أوجب تمليك بوران وأختها، وقيل: كان قد نُفي إلى خراسان، فأحضروه وهو ابن خمس وعشرين سنة، ومَلّكوه عليهم، واستقام أمرُ فارس على يد يزدجرد في هذه السنة، فجلس على سرير الملك، وقال كلمات حُفظت عنه، منها: إن بالعدل والسياسة يتمُّ الملك، وبالإحسان يستعبد الأحرار. وأقام والياً عشرين سنة، حتى زال مُلك فارس على يده في أيام عثمان.

ولما ولي رتّب الأمور، وأخرج الأموال، وجهّز الجيوش إلى الحيرة والأنبار والأُبُلّة وكَسْكَر وما بين دجلة والفرات.

وانحاز المثنى إلى خَفَّان، وكتب إلى عمر يُخبره بذلك، فلم يَرِد جوابُه، حتى كفر أهلُ السواد ونَقضوا العهد، فجاء كتابُ عمر يَأمر المثنى بأن يَخرجوا من بين ظَهرانَي الفُرس، وأن يتفرّقوا في المياه التي في البرية، حتى يأتيهم المدد، فنزل المثنّى بذي قار، وهو مكان بين الحجاز والعراق، ونزل جرير بن عبد الله في البرّية، وكتب عمر إلى القبائل يَستَنْفرهم ويقول: الوحا الوحا، العَجَل العَجَل، فوافَوْا إليه من كلّ مكان.

وخرج عمر في أول المحرم سنة أربع عشرة، فعسكر بماءٍ يُدعى صِراراً، وفي عَزْمِه أن يَسير بنفسه إلى العراق، ولا يَعلم الناسُ بما في قلبه، وكان مَهيباً، فأقام، ولا يدري الناس أيُقيم أو يَسير، وكان لا يقدم عليه أحدٌ من الناس إلا عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وكان الناس إذا أرادوا منه شيئاً رَمَوْه بأحد الرَّجلين، وكان عثمان

---

(١) في تاريخ الطبري ٣/ ٤٧٧، وتجارب الأمم ١/ ١٩٦، والمنتظم ٤/ ١٥١: بادوريا.

يُدعى في أيام عمر رَديفاً ـ والرَّديف الذي بعد الرَّجُل ـ وكان العباس ممن يقدم عليه أيضاً، فاجتمع الناس إلى عثمان، وسألوه أن يسأله ما الذي يريد أن يفعل، فسأله، فنادى عمر: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، فأخبرهم باجتماع الناس على يزدجرد، واتّفاق الفرس عليه الخاصّ والعامّ، فقال عامّة الناس: سِرْ ونحن معك، فدخل من ورائهم[(١)] وقال: وأنا معكم، اللهمَّ إلا أن يَحضر رأيٌ هو أَمثلُ من هذا، ثم بعث إلى أهل الرأي من الصحابة وأشراف العرب، فاجتمع مَلَؤهم على أن يُقيم، ويَبعث بعض الصحابة، ويُمدّه بالجنود، فإن كان الفتح، وإلا نَدب آخر وآخر.

وكان عمر قد استخلف علياً على المدينة، فأرسل إليه ليَحضر، وكان قد جعل طلحة على أحد المُجَنِّبَتَيْن، والزبير على الأخرى، وعبد الرحمن في المقدّمة، وقيل إن طلحة كان في المقدّمة، فحضر الجميع، فاستشارهم، فأشار طلحة بالمسير، وأشار علي وعبد الرحمن بن عوف بالمقام، قال عبد الرحمن: فما فَديتُ أحداً بعد رسول الله ﷺ بأبي وأمي غيره، وقلت: ليس هَزْم جيوشك كهزيمتِك، فأَقِمْ وابعث الجيوش، وقال له علي: إذا سَلِم الرأس سلم سائر الجسد، وإذا عَطِب عطب الجميع، فقال: إنما أنا كرجلٍ منكم، وحيث صَدَفْتموني عن المسير فأشيروا عليَّ مَن أبعث، فقال عبد الرحمن بن عوف: عليك بالأسد في بَراثنه؛ سعد بن مالك، يعني: ابن أبي وقّاص، فاتّفق الجميع.

ذكر مسير سعد ﷺ إلى العراق

وكان سعد على صدقات هوازن، فكتب إليه عمر، فقدم عليه، فقال له: يا سعد، [سعد] بني وهيب، قد أمّرتك على العراق، فلا يَغُرنّك من الله قول الناس: خال رسول الله ﷺ وصاحبه، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، وليس بين الله وبين أحد [نسبٌ] إلا طاعته، فشريفُ الناس ووضيعُهم عند الله سواء، الله ربُّهم وهم عباده، فانظر إلى الأمر الذي بُعث فيه رسول الله ﷺ إلى أن فارقنا عليه

(١) كذا، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٤٨٠، وتجارب الأمم ١/ ١٩٧، والكامل ٢/ ٤٥٠: فدخل معهم في رأيهم، وكره أن يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق.

فالزمْه[١]، وإنك قادمٌ على أمرٍ شديدٍ كريهٍ، لا يخلص منه إلا بالحق، فالصبر الصبر، وذكر وصيَّة عامة، ثم عرض الجُند، فجاءت كندة، فأعرض عنها مراراً، ثم قال: إني منهم لمتردّد، ثم أمضاهم على كُرهٍ منه، وكان منهم سودان بن حُمْران قاتل عثمان رضوان الله عليه، وابن مُلجم قاتل عليّ كرم الله وجهه، فسار سعد في سبعة آلاف، منهم ثلاث مئةٍ وستون من الصحابة، منهم ثمانية وعشرون من أهل بدر، والباقون ممن صحب النبي ﷺ ما بين بيعة الرضوان إلى وفاته، وسبع مئة من أبناء الصحابة، ومن أشراف العرب خلقٌ كثير، وكان عمر قد قال: والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب، فلم يدع رئيساً إلا وبعث به مع سعد وأمدّه به.

وجاء سعد فنزل القادسية، وانضاف إليه جيش المثنّى في ثمانية آلاف، وكان المثنى قد مات من الجراحة التي أصابته يوم الجسر، وكتب عمر إليه وإلى جرير بطاعة سعد، فتكامل عنده بالقادسية تسعة وثلاثون ألفاً، وقيل تسعة وعشرون ألفاً، وهو الأصح، وجاءت القبائل من كلِّ وَجْه.

ولما بلغ يَزْدَجِرد نزولهم القادسية، جهّز إليهم الجيوش، وولّى حربَهم رستم بن الفَرُّخْزاذ، ويُعرف بالأرمنيّ، وقدم الجالينوس في مقدّمته في أربعين ألفاً، وجعل على الميمنة الهُرْمزان في أربعين ألفاً، وعلى الميسرة مِهْران بن مهران في أربعين ألفاً، ورستم في المقدمة في مئة وعشرين ألفاً، ومعهم ثلاثون فيلاً عليهم المقاتلة والسلاح، وانضمَّ إليهم دهاقين السواد، فصاروا في ثلاث مئة ألف.

فكتب سعد إلى عمر يُخبره بجمع القوم، فكتب إليه عمر: لا يَكثُر بك[٢] ما يأتيك عنهم، ولا [ما] يأتونك به، واستعن بالله عليهم، وتَوكَّل عليه، وابعث إليهم رجلاً من أهل الرأي والنَّظر، يدعوهم إلى الله تعالى.

فبينا سعد على هذا العزم إذا برسول رستم قد جاء يقول: ابعثوا إلينا رجلاً عاقلاً يبين إلينا ما الذي جاء بكم إلينا، فقال المغيرة بن شعبة: أنا ذلك الرَّجل، فسار إليه،

---

(١) في الطبري ٣/ ٤٨٣، وتجارب الأمم ١/ ١٩٨: فانظر الأمر الذي رأيتَ النبي ﷺ عليه، منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه.

(٢) في الطبري ٣/ ٤٩٥: لا يكرُبَنّك.

فلما دخل عليه جلس معه على سريره، فنخر أصحابُه وصاحوا، فقال المغيرة: هذا شيءٌ لم يَزِدْني رِفعة، ولم يَنقص صاحبَكم، قال رستم: صدق، فقال له رُستم: ما الذي جاء بكم إلينا؟ فقال: إن الله بعث إلينا رسولاً؛ فهدانا من الضَّلالة، وأنقذنا من الجهَالة، وأمرنا بجهادكم، فإن قَتلتمونا دخلْنا الجنة، وإن قتلْناكم دخلتُم النار، أو تُؤدّون الجزيةَ إلينا، فقال رستم وأصحابُه: لا صُلحَ بيننا وبينكم.

وقال الهيثم: بعث رستم إلى سعد يَطلب جماعةً لهم رأيٌ وعقل، فأرسل إليه بجماعة فيهم المغيرة بن شعبة ومَعبَد بن مُرّة، فقال لهم معبد[١]: دعوني أتقدَّمكم، فإن أتينا جميعاً رأونا قد احتَفَلْنا لهم، فقالوا: تقدَّم، فجاء وقد بسط رستم النَّمارق والوسائد، وأظهر اليواقيت واللآلئ والزينة العظيمة وجلس على سريرٍ من ذهب، ولبس تاجَه، فجاء معبد على فرسٍ له قصير، ورُمحُه مشعوب، وسيفُه خَلَق[٢]، فاقتحم البساط بفرسه، ونزل فربطه بين وِسادتين، وعليه عباءة قد خلّها بخلال، فقال رستم: ضع سلاحَك، فقال: لا أَضعُه، أنتم دعوتموني، فإن أكرهتموني على وَضعِه رجعتُ، فقال رستم: دعوه، ثم قال له: ما الذي أَقدَمَكم علينا، فردَّ عليه مثل ما قال المغيرة، فقال رستم: أَخِّرونا حتى نَنظُرَ في هذا الأمر، فقال: لا نُؤخّركم أكثرَ من ثلاث، فإما أن تُسلموا، أو تُؤدّوا الجزية، وإلا قاتلناكم، فمال رُستم إلى الصُّلح، فنهاه أصحابُه وقالوا: أيُّ قَدرٍ لهذا الأعرابي، أما ترى زِيَّه وثيابَه، فقال رستم: لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام، فإن العرب تَستخفُّ الثياب، وتَصونُ الأحساب،

فقال[٣]: قد أمرتُ لأميركم بكُسوة وألفِ درهم وبغْلٍ، وتنصرفون، فقال المغيرة: أبعد أن أَوْهَنّا مُلككم، وضَعْضَعْنا عِزَّكم، ولنا مدَّة نَمخر بلادَكم، ونأخذ الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون، وستصيرون لنا عبيداً على رَغمكم، فاستشاط رُستُم غضباً وقال: والله لا تَرتفعُ الشمسُ غداً حتى أقتلَكم أجمعين، فقال له المغيرة: ستعلم وتندم، ثم قال

(١) في الطبري ٣/ ٥١٨ أن القائل ربعي بن عامر، وهو الذي دخل على رستم.
(٢) في الطبري ٣/ ٥١٩: معه سيف مَشوف، وغمده لفافة ثوب خلق، ورمحه معلوب بقدّ.اهـ. والمعلوب: الذي حُزم مقبضه بعِلْباء البَعير، والعِلْباء: عَصبٌ في عنق البعير يؤخذ ويُلَفُّ على المقبض. والمشوف: المجلوّ.
(٣) رجع الحديث إلى خبر المغيرة، والقائل هو رستم.

رستم: إما أن تَعبروا إلينا أو نَعبر إليكم، فقال المغيرة: بل أنتم فاعبروا، فنصبوا الجسر وعبروا، فصاروا غربيّ الفرات.

وكتب سعد كتاباً إلى عمر يخبره الخبر، فكتب إليه وصيَّةً بالغة، منها: كونوا أشدَّ الناس احتراساً من المعاصي بينكم، من عدوّكم، فإن ذُنوبَ الجيش أخوفُ عليهم من عدوِّهم، وإنما يُنصر المسلمون بمَعصية عدوِّهم، ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قُوَّة، لأن عَددنا ليس كعددهم، وقوَّتنا ليست كقُوَّتهم، فإن استَوينا في المعصية كان لهم الفضلُ علينا في القوة.

واعلموا أن عليكم من الله حَفَظة في مسيركم وإقامتكم، يعلمون ما تفعلون، فاستَحيُوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيله، ولا تقولوا عدوُّنا شرٌّ منا، فلن يُسَلَّط علينا وإن أسأنا، فرُبَّ قومٍ سُلِّط عليهم مَن هو شرٌّ منهم، كما سُلِّط على بني إسرائيل لما عملوا بالمعاصي مَن هو شرٌّ منهم، فجاسوا خلال الديار، وكان عهد الله مفعولاً، وذكر ألفاظاً أُخر، وقال:

وإياكم وقُرى أهلِ الذِّمّة والصلح، ولا يدخلنَّها منكم إلا الموثوق بدينه وأمانته، فإن لهم حُرمة وذِماماً، ولا تُروا أهلها شيئاً، ولتَنْتَقِ للطلائع أهلَ الرأي والنَّجدةِ والصِّدقِ، وتخيَّر لهم سَوابقَ الخيل، ولا تُعاجلوا العدوَّ بالقتال ما لم يَستكرهوكم عليه، وأبصروا عورات عدوِّكم، ومن أين يُؤتى، وأقيموا الحرس، واحذروا من البَيات، ولا تُؤتَوا بأسيرٍ له عهد إلا قتلتموه؛ لتُرهبوا به عدوَّكم، والسّلام[1].

ولما رحل رستم عن المدائن نزل بساباط، وقَدَّم الجالينوس، ثم سار حتى نزل بكُوثى، فغصب أصحابُه أموالَ الرعيَّة، وفضحوا نساءهم، وعاثوا، فقال لهم رستم: قد كان الله ينصركم بحُسن السيرة، وكفِّ الظُّلم، والوفاء بالعهود، فأما إذا تَغيَّرتُم عن هذه الأحوال فما أرى الله إلا مُغيِّراً ما أنتم فيه.

ثم رحل فنزل النَّجَف، فخرج إليه رُؤساء الحيرة ـ وفيهم ابن بُقَيلة ـ فلامهم على أداء الجزية، وأراد قتلَهم، فقال له ابن بُقَيلة: لا تَجمع علينا اثنتين: القتل والعَجْز عن

(١) العقد الفريد ١/ ١٣٠ـ١٣٢.

نُصرتنا، والدفع عنا وعن بلادنا، فسكت.

وكان رستم لما نزل الدير رأى في منامه كأن ملكاً نزل من السماء، يختم على جميع سلاحهم، فتطيَّر من ذلك، وسار فنزل النَّجف، فأقام عليه، وسعد بالقادسيّة لا يتقدَّم ولا يتأخّر، فأقام رُستم بالنَّجف أربعةَ أشهر؛ رجاء أن يَضجر سعد فينصرف، مخافةَ أن يَجري على رستم ما جرى [على] مَن تَقدّمه، وأرسل يَزْدَجِرد يحثُّ رُستم على لقائهم.

وكان طُليحة قد أسلم وحَسُن إسلامه، وسار مع سعد في ذلك الجيش، فدخل عسكر رستم ليلاً، فرأى فرساً على باب مِضْرَب، فقطع مِقْوَده، وقرنه بفرسه، وساقه وسط العسكر، ونَذِروا به، فخرجوا في إثره، فقتل كلَّ مَن تبعه ونجا، وتبعه مَرزبان منهم فأسره، وجاء به إلى سعد، فقال: حَدِّثني عن فُرسانكم، فقال: رأيتم فارساً قطع عسكراً فيه ما بين ألوف، ويخرج سالماً غير هذا؟! يعني طُليحة، وأسلم الرجل وقال: أبشر بالنصر، فسمّاه سعد مُسلما.

ثم عاد رستم إلى رؤياه، ورأى ذلك الملك بعينه قد نزل من السماء، وختم على سلاحه ومعه نبينا ﷺ، فدفع الخَتْم إليه، فدفعه إلى عمر، فازداد حُزناً.

وعمر ﷺ يُمدُّ سعداً بالسلاح والقبائل والميرة وغيرها، فلما علم رستم أنهم غيرُ مُنتَهين عنه، وإن أقام نازلوه، قرن عشرين ألفاً في السلاسل، وفَرَّق الفيلة ميمنةً وميسرة، وقدَّم بين يديه فيلاً أبيض كان لسابور يُعَدُّ بألف فيل، وجاء فنزل المكان المعروف بالعتيق، وكان ينظر في النجوم، فرأى تلك الليلة أهوالاً عظيمة، وأن النجوم تتساقط، فلما أصبح ركب وصَعد تلاً دون القَنْطرة ـ وكان سعد قد غلبهم على القنطرة التي على العتيق ـ فنظر إلى عساكر الإسلام فوافاهم قليلاً، فاحتقرهم بالنسبة إلى عسكره، فأرسل إليهم زُهرة بن الحويّة يقول: أنتم جيرانُنا، وما زلنا مُحسنين إليكم، فارجعوا عنا، فقال سعد: إنا لم نَأتكم لطلب الدنيا، وإنما مَقصودُنا الآخرة، وإن الله أرسل إلينا رسولاً، فدعانا إلى دينه، فأرسل رستم يقول: وما الدين؟ فقال سعد: عموده شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإخراج العباد من عبادة النيران والأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال رستم: ما أحسن ما قلتُم، أرأيتُم إن أَجبناكم إلى ما

تَدعون إليه هل تَرجعون عنّا؟ قالوا: نعم، فقال أعيان الفُرس: لا نفعل هذا أبداً، ونفارق ديننا.

وبات الفُرس يسكّرون العَتيق بالقَصب والتُّراب، فأصبحوا وهم على مَواقفهم ـ وهذا اليوم الأول يُسمّى يوم أَرْماث، وهو اسم بُقعة كان القتال عندها ـ فجلس رستم على سرير، وضُربت عليه طيَّارة، ورتَّب الصفوف، وكان يَزدجِرد [وضع] على باب إيوانه رجلاً يُبَلِّغه أخبارَ رستم، وآخر على باب القصر، وآخر على باب المدائن، وكذا إلى رستم.

ورتّب سعدٌ المسلمين، ولم يَقدر على الرُّكوب، كان به عِرق النَّسا وحُبون، أي: دَماميل، وكان مُلْقَى على وجهه في صدره وسادة، وهو مُنكَبٌّ عليها، ينظر إلى الناس من سطح قصر القادسية، وقَدّم على الناس خالد بن عُرْفُطة، فاختلف على خالد جماعةٌ منهم أبو مِحْجَن الثقفي، فقيَّده سعد وحبسه في قصر القادسيّة، وكان هذا اليوم يوم الإثنين سادس رجب.

وأمر سعد خطباء الناس وشعراءهم، مثل: المغيرة بن شعبة وعمرو بن معدي كرب وطليحة بن خويلد وقيس بن هبيرة والشمّاخ والحطيئة وأوس بن مَغْراء أن يقوموا في الناس، فيُذكّرونهم بأيّام الله، ويحرضونهم على القتال، ويُحذّرونهم الفرار، ففعلوا، فكان ما قال قيس بنُ هُبَيرة الأسدي:

أيها الناس، احمدوا الله على ما هداكم، وارغَبوا إليه فيما أبلاكم، فإن الجنة أمامكم، وليس وراء هذا القصر ـ يعني قصر القادسيَّة ـ إلا العَراء، والقفار الموحشة، والمفاوز المعطِشة التي لا يَقطعها إلا كلُّ خِرِّيت ماهر بالدّلالة، فاحذروا أن تكونوا طُعمةً لها، ثم ذكر كلُّ واحد فصلاً في هذا المعنى، وفعلت الفُرس كذلك، وتعاهدوا على الموت، وقدّموا مع كلّ فيل أربعة آلاف مُقاتل.

وكانت صفوف الفُرس مع العتيق على شَفيره، وصفوف المسلمين مع حائط قادس، قرية، وقال سعد: اجعلوا العَتيق أمامنا، والخندق من ورائنا، والمسلمون بين العَتيق والخندق.

وكان رُستم مما يلي العراق، وسعد مما يلي الحجاز، والقَنطرةُ بين الفريقين،

وجعل سعد على الميمنة جرير بنَ عبد الله البَجَلي، وعلى الميسرة قيس بنَ المكشوح، وفي المقدمة القعقاع بن عمرو وعمرو بن معدي كرب والأشعث بن قيس وغيرهم، وقال سعد إذا كَبَّرتُ بعد الظهر فاستَعِدُّوا، وإذا كبَّرتُ الثانية فانشطوا، وإذا كبَّرتُ الثالثة فاحملوا، فإن الله هدى هذه الأمة بالتَّكبير، والنَّصرُ مَقرون به.

وخرج أهل النَّجدات يَطلبون المبارزة، فخرج إليهم أمثالُهم من أهل فارس، فبرز هُرمز وكان من ملوك باب الأبواب، وعليه تاجُه ومِنطَقَتُه وزينتُه، فخرج إليه غالب بن عبد الله الأسدي فأسره، وجاء به إلى سعد، وخرج إلى طُليحة عظيمٌ من الفُرس فقتله طُليحة، وصلّى الناس الظُّهرَ، وكبَّر سعد فاستعدُّوا، ثم كبَّر الثانية فنشطوا، ثم كبَّر الثالثة فدارت رحى الحرب، وحملت الفيَلَة على الميمنة والميسرة، فانذَعَرت الخيول منها وأحجَمتْ، فترجَّلت أَسَد وتميم وبَجيلة، وحملوا على الفِيَلة حملةً عظيمة، فقطعوا أحزمتها، ووقع مَن عليها فقتلوهم، وكان يوماً عظيماً، قُتل فيه من أَسَد خمس مئة رجل؛ لأنهم باشروا الفيلة بنفوسهم، فأَنْكَتْ فيهم.

وجال المسلمون جولةً لما شاهدوا من قتال الفُرس، وكان [سعد قد تزوج سلمى بنت خَصَفة امرأة المثنّى قبله، فنزل بها القادسية، فلما رأت ما يصنع أهلُ فارس قالت: وامُثنَّاه ولا مُثَنَّى للخيل اليوم، فلطم] سعد وَجْهَها، وقال: أين المثَّى من هذه الكتيبة التي تدور عليها رحى الحرب أو المنون، يعني بني أسد وبَجيلة وبني تميم، فقالت سلمى: أغَيْرةً وجُبناً، فقال سعد: لا يَعذرني اليوم أحدٌ إذا أنت لم تَعذريني وأنت ترين ما بي، وحجز الليل بينهم، وأمر سعد بنقل القتلى إلى وادي العُذَيب وعين الشمس، ففعلوا.

وأصبحوا في اليوم الثاني على تَعبية ـ ويقال له: يوم أغواث، لأن الله أغاث المسلمين بجيش هاشم بن عُتبة بن أبي وقاص ـ فلما تزاحف الفريقان إذا بطلائع من نحو الشام قد ظهرت، وكان عمر قد جَهَّز هاشم بن عُتبة في ستة آلاف فارس.

قال سيف: وتقدَّم القعقاع بن عمرو فطلب المبارزة، فبرز إليه بَهْمن جاذَويْه، ويقال له: [ذو] الحاجب، فقال له: مَن أنت؟ فقال: بهمن جاذَويْه، فقال القعقاع: يا ثارات أبي عُبيد، وحمل عليه فقتله، وتواترت الجيوشُ من الشام، وفرح المسلمون

وبشروا مما لَقوه بالأمس، ولم يزل القتال يعمل إلى الليل، ولم يقاتل الفُرس في هذا اليوم على فيل؛ لأن توابيتها كانت قد تكسَّرت، وفي هذا اليوم جرت وقائعُ عظيمة، أكثر المسلمون القتلَ في فارس، وألبس المسلمون الخيل جُلودَ الجِمال، على هيئة الفيلة، فلقي الأعاجم يوم أغواث أشدّ مما لقي المسلمون يوم أرماث.

قصة العجوز

ولما اجتمع الناس بالقادسيّة دعت خنساء بنت عمرو النَّخعيّة بنيها الأربعة، فقالت: يا بَنيّ، إنكم أسلمتُم طائعين، وهاجرتُم غير مُكرَهين، لم تَنْبُ بكم الدار، ولم تُقْحِمكم السَّنَة، ولا أرداكم الطَمع، والله إنكم لبنو رَجُلٍ واحد، كما أنكم لبنو أمٍّ واحدة، والله ما فَضَحْتُ خالكم، ولا خُنتُ أباكم، ولا غَبَّرتُ نَسبَكُم، ولا أوطأتُ فِراشَ أبيكم غيرَه، فإذا شاهدتُم الحربَ غداً قد أَبدت ساقَها، ومَدَّت رُواقَها، فتيمَّموا وَطيسها، وجالِدوا خَميسها، تَظفروا بالغَنيمة والسلامة، والفَوز والكرامة، في دار الخُلد والمقامة، يا بَنيّ، جئتُم بأُمِّكم العجوز الكبيرة، فألقيتُموها طُعمةً لأهل فارس، فالله الله فيها وفي أحسابكم، فانصرفوا وهم لأمرها طائعون، وبنُصحِها عارفون، فلما كان يوم أَغواث تَقدَّم الأول فقال: [من الرجز]

يا إخوتي إن العجوز النَّاصِحه
قد أيقظَتْنَا إذ دَعتنا البارِحَه
نصيحة ذات بيانٍ واضحه
فباكروا الحربَ الضَّروس الكالِحَه
فإنما تَأتون عند الصائحه
من آل ساسان كلاباً[1] نابحه
قد أيقنوا منكم بوَقْعِ الجائحه

(١) في (أ) و(خ): فباكر، الطروس، عند الصالحة، كلاب، والمثبت من الاستيعاب (٣٢٩٨)، والمنتظم ٤/ ١٧٤، وصفة الصفوة ٤/ ٣٨٦.

وأنـتـم بـيـن حـيـاةٍ صـالـحـه

أو مِـيـتَـةٍ تُـورث غُـنـمـاً رابـحـه

ثم حمل على القوم فأزالهم عن مَواقفهم، ثم حمل الثاني وقال: [من الرجز]

والله لا نَـعـصـي الـعـجـوز حَـرفـا

قـد أمـرتـنـا حَـدَبـاً وعَـطْـفـا

مـنـهـا وبِـرّاً صـادقـاً ولـطـفـا

فـبـاكـروا الـحَـربَ الـضَّـروس زَحْـفـا

حـتـى تَـلـقُّـوا آل كـسـرى لَـفّـا

وتَـكـشِـفـوهـم عـن حِـمـاكـم كَـشْـفـا

إنَّـا نـرى الـتَّـقـصـيرَ عـنـهـم ضَـعْـفـا

والـقَـتْـلَ فـيـهـم شِـيـمـةً وعُـرفـا

ثم حمل الثالث وقال: [من الرجز]

لـسـتُ لـخـنـسـاءَ ولا لـلأَدْرَم[1]

ولا لـعَـمـرٍو ذي الـسَّـنـاء الأقـدم

إن لـم أَدُرْ فـي آل جَـمـعِ الأعـجـمِ

جَـمْـعِ أنـو شـروان جَـمْـعِ رُسـتُـمِ

بـكـلِّ مَـحـمـود الـلـقـاء ضَـيـغـمِ

مـاضٍ عـلـى الـهـول خِـضَـمٍّ خِـضـرِمِ

إمـا لـقَـتـلٍ عـاجـلٍ أو مـغْـرمِ

أو لـحـيـاةٍ فـي الأَسَـدِّ الأكـرمِ

(١) في الاستيعاب (٣٢٩٨)، والمنتظم ٤/ ١٧٥: للأخرم، وفي صفة الصفوة ٤/ ٣٨٦: للأخزم.

نَفوزُ فيها بالنَّصيبِ الأَعظمِ

ثم شدَّ الرابع فقال: [من الرجز]

إن العجوز ذاتُ حَزْمٍ وجَلَدْ

والنَّظرِ الأَوفقِ والرَّأيِ الأسَدّ

قد أمرتنا بالصَّواب والرَّشَدْ

نَصيحةً منها وبِرّاً بالوَلَدْ

فباكروا الحرب وشدوا في العَدد[1]

إما لقَهْرٍ واحْتياز[2] للبَلَدْ

أو مِيتَةٍ تُورث خُلداً للأبَدْ

في جنَّةِ الفردوس في عَيشٍ رَغَدْ

فلما غابوا عن عينها رفعت يديها إلى السماء وقالت: اللهمَّ ادفع عن بَنيَّ، فأبلَوا بلاءً حسناً، وعادوا إليها سالمين، لم يُكْلَم منهم أحدٌ، فكانوا يَأخذون أعطيتَهم ألفين ألفين، فيَصبُّونها في حِجر العجوز، فتَقسِم بينهم حَفْنَةً حفنة، لا يُغادر واحدٌ من عطائه دِرهماً[3].

اليوم الثالث وهو يوم أغماس[4]، وسُمّي بذلك لأن الفريقين انغمسوا في الحرب، ولم يَجْر في الجاهلية والإسلام مثل هذا اليوم والليلة، وتُسمّى ليلة الهَرير، وهي أعظم من ليلة صِفّين.

قال سيف: وأصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم، فلما ذرَّ قَرن الشمس إذا بهاشم بن عتبة بن أبي وقاص قد وصل، وكَردس الكراديس، وتزاحف القوم، وقَدَّمت

(١) في المنتظم ٤/ ١٧٥، وصفة الصفوة ٤/ ٣٨٧: نماء في العدد، وفي الاستيعاب: حُماةً في العدد.

(٢) في (أ) و(خ): إما بقهر واختيار، والمثبت من صفة الصفوة.

(٣) ذكرها الطبري ٣/ ٥٤٤، وابن أعثم في الفتوح ١/ ٢٠٦ مختصرة.

(٤) في الطبري ٤/ ٥٥٠، ومروج الذهب ٤/ ٢١٩، والمنتظم ٤/ ١٧٥، والاكتفاء ٤/ ٢٢٨، ومعجم البلدان ١/ ٢٢٥ و٤/ ١٤٩، ٢٩٢: عِماس.

الفُرس الفيلَ الأبيض الذي يُعدُّ بألف فيل، فحمل وحملت الفيول، فمَزَّقت الكتائب، فقال سعد: مَن للفيل، فقال عمرو بن معدي كرب والقعقاع: نحن له، وحملا عليه، فوضعا رُمحيهما في عينيه، وضربه المسلمون بالسيوف فقتلوه، وكانت الفِيلة تأنس به، فلما رأته صريعاً نَفرت، فخاضت العَتيق وصفوفَ الفرس، وتعثَّرَت في توابيتها، فوقع مَن كان عليها فهلكوا، ولحقت بالمدائن. وجنّ الليل والقتال يعمل للصباح، فسُمِّيت ليلةَ الهَرير؛ لأن الأصوات انقطعت عن سعد، ولم يَبق إلا هَريرُ الرجال، وشاهدت العجم من العرب ما لم يَروا مثله قَطّ، وفي هذا اليوم الثالث كانت قِصة أبي محجن الثقفي:

لما اشتدَّ القتال ـ وكان سعد قد حبس أبا مِحْجَن في قصر القادسية وقيَّده ـ أتى أبو محجن سلمى بنت حفصة، امرأة سعد، فقال لها: يا بنت حفصة، هل لك في خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تُخلِّين عنّي، وتُعيريني البَلْقاء ـ يعني فرس سعد ـ ولله عليَّ إن سلّمني الله أن أَرجعَ حتى أضعَ رِجلَيَّ في قيدي، وإن أُصِبتُ فما أكثر مَن أُصيب، فقالت: وما أنا وذاك؟ فرجع يَرْسُفُ في قيوده ويقول: [من الطويل]

كفى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخيلُ بالقَنا ... وأُتركَ مَشدوداً عليَّ وَثاقِيا
إذا قُمتُ عَنَّاني الحديدُ وغُلِّقَتْ ... مَصاريعُ دوني قد تُصِمُّ المناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ ... فقد تركوني واحداً لا أخا لِيا
ولله عهدٌ لا أَخيسُ بعهده ... لئن فُرِجَتْ أن لا أزورَ الحوانيا

وسمعتْه سلمى، فقالت: استخرتُ الله، ورضيتُ بعهدك، وأطلقَتْه، فاقتاد الفرس، فأخرجها من باب القصر، وركبها ثم دبَّ عليها، يَلعب برُمحه بين الصَّفَّين، حتى إذا كان بحيال الميمنة، كَبَّر، ثم حمل على الميسرة، ثم رجع إلى القَلْب، فبرز أمام الناس، وحمل على القوم، فتعجَّب الناس منه، وهم لا يعرفونه، ولم يَرَوْه من النهار، وقال بعضهم: هذا من أوائل خيل هاشم أو هاشم نفسه، وقال بعضهم: إن كان الخضر يشهد الحروب فليكن صاحب البلقاء، وقال آخرون: لولا أن الملائكة لا تُباشر الحروب لقلنا إنه ملك، وكان سعد في أعلا القصر، فقال: لولا مَحبَس أبي محجن لقلت: [هذه] شمائلُه، وهذه البلقاء.

فلما انتصف الليل وتحاجز الناس، رجع أبو محجن، فدخل القصر ووضع رجليه في قيده.

قال ابن سيرين: وكان لا يزال يشرب الخمر، فكان يُجلد فيها، فلما أكثر عليهم حبسوه وأوثقوه، فلما كان يوم القادسية فعل ما فعل، وجاء سعد فقالت له سلمى: كيف كان قتالُكم اليوم؟ فجعل يَصف لها حتى قال: فبعث الله رجلاً على فَرسٍ أَبْلَق، لولا أني تركتُ أبا محجن في قيده لقلتُ إنها شمائلُه، فخَرق الصفوف، وفعل وفعل، فقالت: والله إنه لأبو محجن، وقَصَّت عليه القصّة، فدعاه وحلَّ عنه قُيودَه، وقال: والله لا نَجلِدُك في الخمر أبداً، فقال أبو محجن: والله لا أَشربُها أبداً، لأني كنتُ آنف أن أدَعها من أجل جَلْدكم، وكنتُ أشربُها إذ يُقام عليَّ الحدّ فأطهَّرُ منها، أما إذا بَهْرَجْتَني، فوالله لا أشربُها أبداً.

وقال سيف: قالت امرأةُ سعد لأبي محجن: لِمَ حبسك هذا الرجل؟ فقال: والله ما حبسني على حرامٍ أكلتُه، ولكني صاحبُ شَراب، وأنا امرؤٌ شاعر يَدبُّ الشعرُ على لساني، فقلت: [من الطويل]

إذا مــتُّ فـادفِـنِّـي إلـى ظـلِّ كَـرمـةٍ   تُـروّي عـظـامـي بـعـد مَـوتـي عُـروقُـهـا
ولا تــدفِـنَـنّـي بـالـفَـلاة فـإنــنـي   أخــافُ إذا مــا مــتُّ ألا أذوقُــهــا

فحبسني سعد لهذا، فأخبرت سلمى سعداً، فقال له: اذهب، فلستُ أُواخِذُك على شيءٍ تقولُه بعدها حتى تَفعلَه، فقال: لا جَرَم، لا أُجيبُ لساني إلى صفة قبيحة أبداً(١).

دخل ابن أبي محجن على معاوية بن أبي سفيان، فقال له: أبوك القائل: [من الطويل]

إذا مــتُّ فـادفِـنّـي إلـى ظـلِّ كَـرمـةٍ

فقال: لو شئتَ لذكرتَ من شعره غير هذا، قال: وما هو؟ قال: قولُه: [من البسيط]

---

(١) أخرج القصة مطولة ومختصرة ابن قتيبة في الشعر والشعراء ٤٢٣، والطبري في التاريخ ٣/ ٥٤٨، ٥٧٣، وأبو الفرج في الأغاني ١٩/ ٤ـ٨، والمسعودي في مروج الذهب ٤/ ٢١٣ـ٢١٩، وابن أعثم في الفتوح ١/ ٢٠٧ـ٢٠٩، وابن عبد البر في الاستيعاب (٣١٥٦)، وابن قدامة في التوابين ١٤٨ـ١٥٢.

لا تسألِ الناسَ عن مالي وعن حَسبي ... وسائلِ القومَ عن شَأني وعن خُلُقي
القوم تَعلمُ أني من سَراتِهم ... إذا تَطيشُ يَدُ الرِّعديدةِ الفَرِقِ
قد أركب الهولَ مَسدولاً عَساكِرُه ... وأكتُمُ السِّرَّ فيه ضَربةُ العُنُقِ
أُعطي السِّنانَ غداةَ الرَّوعِ حصَّتَه ... وعاملُ الرُّمحِ أرويهِ من العَلَقِ

فقال معاوية: رحم الله أبا مِحجن، هو والله كما وَصفَ نفسَه، ثم ذكر فِعلَه يومَ القادسية[١].

وقال رجل يوم القادسية وسعد رضي الله عنه على سطح القصر: [من الطويل]:

نُقاتلُ حتى أنزل الله نصرَه ... وسعدٌ بقصر القادسيَّةِ مُعصِمُ
فأُبنا وقد آمَت نساءٌ كثيرةٌ ... ونِسوةُ سعدٍ ليس فيهن أيِّمُ

وبلغ سعداً، فخرج إلى الناس، فأراهم ما به من الحبون والقروح، وقال: اللهمَّ إن كان قَصد الرِّياء فاقطع لسانَه، فبينا الرجل واقِفٌ في الصفّ، جاء سهمٌ فشقَّ لسانَه، فوقع ميتاً[٢].

اليوم الرابع، وهو آخر أيام القادسية، قال هشام: اقتتلوا إلى الظهر، فهَّبت ريحٌ عاصف، فسَفَتِ التُّرابَ على الفُرس، وقطعت طيارة رُسْتم، فألقتها في العَتيق، وقَدمت في تلك الساعة من المدائن بغالٌ عليها مالٌ، وقام رستم عن سريره لما وقعت الطَّيّارة، فاستظلَّ بظل بغل منها، وحمل القعقاع وهلال بن علقمة[٣] والأشعث بن قيس وعمرو بن معدي كرب على الفُرس، وتبعهم الأمراء، وبادر هلال بن علقمة إلى البغال، فضرب الحِمْل الذي تحته رستم فقطعه، ووقع أحد العِدلَين على رستم، فأزال فقاراً من ظهره، فهرب إلى القنطرة، فتبعه هلال فقتله، وجرَّ برجله فألقاه في العتيق، وصعد على سريره وصاح: قتلتُ رُستم وربِّ الكعبة، إليّ إلي، فاجتمع إليه المسلمون، وهربت الفُرس، وتهافتوا في العتيق، فقُتل منهم في ذلك اليوم ثلاثون ألفاً، وفي غيره من الأيام ثمانون ألفاً، وقُتل من المسلمين ستة آلاف، وقيل ثمانية آلاف، وأمر سعد بدفن الشهداء في مواضعهم.

---

(١) الشعر والشعراء ٤٢٤، والأغاني ١٩/ ١٠-١١، والاستيعاب (٣١٥٦).
(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٥٧٦و ٥٧٩-٥٨٠، والبدء والتاريخ ٥/ ١٧٦.
(٣) في الطبري ٤/ ٥٦٤: هلال بن عُلَّفة.

ذكر الغنائم

جُمع في ذلك اليوم من الأموال والغنائم ما لا يُحصى، وجدوا في خزائن رستم ست مئة ألف ألف دينار، ومن الجواهر واليواقيت مثلها، ومن الخيل والبغال والخيام والثياب والأثاث والأمتعة والأسلحة ما عجزوا عن إحصائه، ووجدوا حِملاً من الكافور، فظنّوه ملحاً، فطُبخ منه في القدور فتمَرمر الطعام، فقالوا: هذا مِلحٌ مُرّ، كذا يكون ملح هذه البلاد؟ فباع واحد جراباً من الكافور بدرهمين، وكان هلال قد أخذ سَلَب رُستم ومِنطَقَته وسلاحَه، وكانت قيمتُه خمس مئة ألف دينار، وقتل زهرة بن الحويّة الجالينوس وأخذ سَلَبه، وكان دون سَلَب رستم، فاستكثر سعد السَّلَبين، فكتب إلى عمر بالفتح، وبعث إليه بالغنائم، وأخبره بالسلبين، فكتب إليه: قال ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سَلَبه»[(١)]، فادفع إلى القاتلين أسلابَ المقتولين، ففعل سعد.

وكانت هذه الوقعة في هذه السنة، وقيل: سنة خمس عشرة، وقيل: سنة ست عشرة، والأول أظهر.

ولما انهزمت الفرس إلى المدائن بعث سعد إلى يَزدجرد جماعةً يدعونه إلى الإسلام، فيهم النعمان بن مُقَرِّن، والمغيرة بن زرارة الأسدي، وعاصم بن عمرو، فجمع كسرى مرازبته وأهلَ مملكته، وأدخلهم عليه فقال لترجمانه: قل له: ما الذي دعاكم إلى التَّعرُّضِ لبلادنا؟ فقال له النعمان: إن الله أرسل إلينا رسولاً يَدلُّنا على الخير، ويأمرنا أن ندعوَ الناس إلى التوحيد والإنصاف، ونحن ندعوكم إلى ديننا، فإن أبيت وإلا فالمناجزة، فقال يزدجرد: إني لا أعلم في الأرض أُمّةً أشقى منكم، فقال المغيرة بن زرارة: فاختر إن شئتَ الجزية عن يدٍ وأنت صاغر، وإن شئت الإسلام، وإلا فالسيف، فقال: أتستَقْبلُني بمثل هذا؟ فقال: ما استقبلتُ إلا مَن كلّمني، فقال: لولا أن الرُّسل لا تُقتل لقتلتُك، فقال: هو ما سمعت، فقال: ائتوني بوِقْر من تراب، واحملوه على أشرافهم، ثم سوقوه حتى تَخرجوا به من المدائن، فنظروا، فإذا عاصم ابن عمرو، فحَمَّلوه التراب، وقال: لا شيءَ لكم عندي، لأبعثَنَّ إليكم مَن يَدفِنُكم في

(١) أخرجه أحمد (٢٢٦٠٧)، والبخاري (٣١٤٢)، ومسلم (١٧٥١) من حديث أبي قتادة ﷺ.

خنادق القادسية، فلما عادوا إلى سعد قال: أبشروا، قد مَلّككم الله أرضَهم.

ولما أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبر بنزول رستم القادسية؛ كان يخرج صبيحةَ كلِّ يوم [يستخبر الرُّكبان]، ثم يَرجع إلى أهله، فبينا هو ذات يوم إذا براكبٍ، فسأله، فقال: أنا [البشير]، هزم الله العدو، وفعل وفعل، وعمر يمشي إلى جانب ناقة الرجل، ولم يعرفْه حتى دخل المدينة، فلَقيه رجل فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال الرَّجل: فهَلّا أخبرتَني رحمك الله أنك أمير المؤمنين، فجعل عمر يقول: لا عليك يا أخي.

ذكر دخول حُرقة بنت النعمان بن المنذر على سعد رضي الله عنه

ودخلت حُرَقَة بنت النعمان عليه في جَوارٍ كلُّهن مثلها، فقال: أيّتكن حُرَقة؟ قالت: أنا، فقال كيف حالكم؟ قالت: إن الدنيا دارُ زوال، لا تدوم على حال، كنا مُلوك هذا المِصر، يجيءُ إلينا خَراجُه، ويُطيعنا أهلُه مدّةً، فلما أدبر الأمر، صاح بنا صائحُ الدهر، وإنا نجد في الكتب أنه ليس من قومٍ كانوا في حَبْرة إلا والدهرُ يُعقبهم بعَبْرة، وإني قد قلتُ في ذلك شعراً، ثم أنشدت: [من الطويل]

فبَيْنا نَسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا ... إذا نحن فيهم سُوقَةٌ نَتنَصَّفُ
فأُفٍّ لدنيا لا يَدوم نعيمُها ... تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصرَّفُ

فقال سعد قاتل الله عديَّ بن زيد، كأنه حاضر حيث يقول: [من الخفيف]

إن للدَّهر صَولةً فاحذَرَنْها ... لا تَبيتَنَّ قد أَمِنتَ الشُّرورا
قد يبيتُ الفتى مُعافىً فيُرزى ... ولقد كان آمِناً مَسرورا

ثم أكرمها، ووَصلها، وأحسن جائزتَها، فقالت: ملكتك يدٌ افتقرت بعد غِنى، ولا ملكَتْك يدٌ استغنت بعد فقر، ولا جعل لك الله إلى لئيمٍ حاجةً، ولا أزال عن كريمٍ نعمةً إلا وجعلك السببَ في عودها إليه، وردها عليه، فلما خرجت من عنده قُلنَ لها نساءُ المِصر: ما الذي رأيتِ من الأمير؟ فقالت: [من الخفيف]

حاط لي ذِمَّتي وأكرم وَجهي ... إنما يُكرم الكريمَ الكريمُ

فلما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة خطب حُرقة، فقالت لرسوله: قل له: ما أردْتَ

إلا أن يُقال: تزوَّج المغيرةُ الثقفي ابنةَ النعمان بن المنذر، وإلا فأيُّ حظٍّ لشيخٍ أعور في عجوزٍ عَمياء[١].

وسار سعد من القادسية إلى الحيرة، وبعث الرَّوَّادِين يَرتادون له منزلاً، فخرج إليه ابنُ بقيلة من الحيرة، فقال: هل لك في أرضٍ ارتفعت عن البحر، وانحدرت من الفَلاة؟ قال: نعم فأشار إلى مَوضع الكوفة، فنزلها سعدٌ وخَطَّها، وخَطَّ الناس.

فصل: وقد مدح بعضُ الناسِ الكوفةَ وذمَّها آخرون.

أما المادحون لها فقالوا: قد قال عمر بن الخطاب: بالكوفةِ وُجوه الناسِ. وقال سلمان الفارسي: هي قُبَّةُ الإسلام. وقد نزلها خلقٌ من الصحابة والعلماء، ونزلها ثمانيةٌ من الخُلفاء: عليٌّ والحسن ومعاويةُ وعبد الملك والسفَّاحُ والمنصورُ والمهدي والرشيد. وكان بها أعيانُ العلماء كإبراهيم النَّخَعي والتيمي أبي حنيفة وابن شُبْرمة والشَّعبي وربيعة وسادات الفقهاء.

وأما الذامُّون لها فقالوا: هي منشأُ الفِتَن والغَدْر والفساد، وما زالوا يَحْصِبون الولاة ويشكونهم حتى عزل عمرُ سَعْداً، ودعا سعدٌ عليهم فأعمى اللهُ عينَ مَن دعا عليه، وشكوا عمار بنَ ياسر إلى عمر وكانوا ظالمين له، فعزله عنهم، وتربَّصوا على عليٍّ وقتلوه. وطعنوا الحسنَ في فَخِذِه، وخذلوه، ونزعوا بِساطه من تحته، وأرادوا تسليمَه إلى مُعاوية، وكاتبوا الحسين ثم خذلوه حتى قُتِل، وقَتلوا إخوتَه، وسَبَوْا أهلَه، وسلبوهم ثيابهم، وأخذوا سَراويل الحسين، وخذلوا زيد بن عليّ حتى قُتِلَ أقبحَ قِتْلةٍ، ومثَّلوا به شرَّ مُثْلَةٍ، وكان فيهم المختارُ بن أبي عُبيد الكذابُ الذي ادّعى النبوةَ، ومنهم الخوارج: ابن مُلجَم، وابن السَّوداء، وابن الكَوَّاء وغيرهم[٢].

قالوا: وما رُوي عن عمر وسلمان محمولٌ على زمانهما، لمّا كان بها وجوهُ الصحابةِ الذين فتحوا العراقَ، وجاهدوا الكفارَ، وأما بعد ذلك فقد حدث جميع ما ذكرنا.

---

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٣٥٢ (مخطوط)، وانظر المجالسة وجواهر العلم (٢٢٢٥) وتخريجها فيه.

(٢) انظر فتوح البلدان ٢٨٧، وآثار البلاد ٢٥٠-٢٥٥، والعقد ٦/ ٢٤٩.

فصل في ذكر اختطاط البصرة

قال الجوهري: البصرة حجارةٌ بيضٌ خَشِنَةٌ، وبها سُمّيت البصرة، وهي رِخوةٌ إلى البياض[١].

وقال أبو الحسن المدائني: بعث عمر بن الخطاب عُتبةَ بن غَزْوان إلى البصرةِ في سنة أربع عشرة وأمره أن يقطع مادَّةَ أهلِ فارس عن المدائن.

وكان استيطان الكوفةِ والبصرةِ في شهرٍ واحدٍ. والبصرة باب الهند

قال المدائني[٢]: ولمّا نزل عتبةُ بن غزوان البصرة، كان بالأُبُلَّة خمسُ مئةٍ من الأساورة يَحمونها، وهي مَرفأُ السُّفُنِ من الهندِ والصين، وهي من أقدمِ بلاد الدنيا، فسار إليها عتبةُ، فناهضَ أهلَها، فركبوا في السفنِ وهربوا، فدخلها فوجد فيها غنائمَ كثيرةً، فكتب إلى عمر بالفتح مع نافع بن الحارث.

قال المدائني: وكان اختطاط البصرةِ في شهر ربيعِ الآخر، وفتوحُ الأُبُلَّة في شعبان. قال: ولما فتحوا الأُبُلَّة وجدوا جِراراً فيها صَحْناةٌ[٣]، فذاقوها فقالوا: قبَّحَ الله الفُرس، أيدَّخرون العَذِرةَ في الجِرار؟ وأصابوا جَرَّةً فيها جوز فلم يدروا ما هو، وأصابَ بعضُهم سراويل، فلم يحسن أن يلبسها فقال: قبَّحك الله من ثوبٍ، فما تركَكَ أهلُك لخيرٍ، ثم رمى بها، وجعلوا يأكلون الخُبز ويبصرون أَذرعتهم: هل سمنوا أم لا؟

وقال سيف: إنما بعث عتبةَ إلى البصرة والأُبُلَّة سعد بنُ أبي وقاص، لما فرغ من المدائن وبَهُرسير وتكريت وجَلولاء في سنة ست عشرة بأمر عمر، والأول أظهر.

وجمع أهل دُسْتِمَيْسان لعُتبة، فسار إليه مَرزبانها[٤]، فقاتلوه، فهزمهم عُتبة، وأخذ المرزُبان أسيراً، وبعث سلاحَه ومِنطَقته إلى عمر مع [أنس بن] حجيَّة اليَشكري[٥].

---

(١) الصحاح (بصر).

(٢) في (ك): وكان استنباط الكوفة والبصرة في شهر واحد، وقيل هي حجارة بيض تشبه حجارة أهل الهند، وهي باب الهند، قال المدائني.

(٣) إدام يُتَّخذ من السمك الصغار.

(٤) في (أ) و(خ): مرازبتها، والمثبت من الطبري ٣/ ٥٩٥، وما سيرد بين معكوفين منه.

(٥) من قوله: وقال سيف ....إلى هنا ليس في (ك).

ذكر مسير عتبة بن غزوان إلى عمر بن الخطاب[1]

ذكرَ هشام بن الكلبي عن أبيه قال: قال عمر لعتبةَ بن غزوان: إني موجِّهك إلى أرض الهندِ، يعني البصرة، لتمنع أهلها أن يُمِدُّوا أهلَ فارس، فنزلها في ربيع الأوّل سنة أربع عشرة، وبها سبعُ دَساكر. وكتب إلى العلاء بن الحَضْرمي أن يُمِدَّ عتبةَ بعَرْفجة ابن هَرْثمة. قال: واجمعِ الناسَ من الدَّساكر مَوضعاً واحداً، ففعل، وأقام بها شهراً وخرج إلى الأُبُلَّة فانهزموا، وكان الفتحُ[2] على يد أبي بكرة نُفيعٍ.

وشهد فتح الأُبُلَّةِ مئتان وسبعون من الصحابة، فحكى موسى بن المثنّى بن سلمة بن المحبِّق الهُذَلي، عن أبيه، عن جدِّه قال: شهدتُ فتح الأُبُلّة، وأميرُنا قُطبةُ بن قتادةَ السدوسي، فاقتسمنا الغنائمَ، فدُفعت إليَّ قِدْرٌ من نُحاسٍ، فلما صارت في يدي تبيَّن لي أنَّها ذهبٌ، وعرف ذلك المسلمون فنازعوني فيها إلى أميرنا، فكتب إلى عمر بن الخطاب يُخبرُه بذلك، فكتب إليه: اطلُبْ يمينَه أنَّه لم يعلم أنَّها ذهبٌ إلا بعدما[3] صارت إليه، فإن حلف فادفعها إليه، وإن أبى فاقسمها بين المسلمين، فحلفَ فدفعها إليه وكان فيها أربعون ألفَ مِثقالٍ، قال ابن المحبِّق: وقال جدّي: فمنها أموالُنا التي نَتوارثُها إلى اليومِ.

قلتُ: وهذا مَذهبُ عمر رضي الله عنه، ولعله أراد استمالةَ قلوب المؤمنين بهذا في أوّل الأمرِ. أما مذهبُ عامةِ الصحابةِ والفقهاء أنه أُسوةٌ للغانمين، وأنّها تُقْسَمُ بينهم، إلا ما نفَّله الإمامُ قبل القِسمة، أو من الخُمْسِ.

وقال المدائني: وكان قُطبةُ بنُ قتادةَ السدوسيُّ هو السببَ في إيْفاد عمرَ عُتبةَ بن غزوان المازني إلى البصرة. وقُطبةُ أوَّلُ مَن أغار على السَّواد من ناحية البصرة، كتب إلى عمرَ يستمدُّه، فبعث به إليه، وذكر بمعنى ما ذكرنا[4].

وكتب عتبةُ بن غزوان إلى عمر يستأذنُه في الحجِّ، فأذن له، فولّى الحربَ مُجاشِع

---

(1) كذا، ولعل صواب العنوان: ذكر مسير عتبة بن غزوان إلى البصرة بأمر عمر بن الخطاب.

(2) من قوله: وذكر هشام بن الكلبي ... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(3) في (أ) و(خ): لم يعلم أنها ما صارت ذهباً إلا بعدما.

(4) من قوله: قلت وهذا مذهب عمر ... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

ابنَ مسعود، والصلاةَ المغيرة بنَ شُعبة، وكان مجاشعٌ بناحية الفُراتِ، والمغيرةُ بالبصرةِ، وقال له عتبةُ: إذا قَدِم مجاشع فهو الأمير.

وكان بنواحي العراق مَرزبان عظيم يقال له: الفلتان[1]. فلما قَفل عُتبةُ عن البصرةِ سار الفلتان إليها في جمعٍ عظيمٍ من الفُرسِ، قبل وصول مجاشعٍ، فخرج إليه المغيرةُ، فهزمه وغَنِم عسكرَه، وكتب إلى عمر بالفتح، فقال عمر لعُتبة وقد اجتمعا بمكَّة: مَن استعملتَ على البصرة؟ فقال: مجاشعاً، فقال له عمر: أتستعملُ رجلاً من أهل الوَبر على أهلِ المدَر؟ أهل علمتَ ما جرى؟ وأخبره الخبر، فلما قضى مناسِكَه قال له عمر: ارجع إلى عملِكَ، فسار من مكة يُريدُ البصرة، حتى إذا كان بالفَرَعِ ـ وقيل بالمعدِن ـ وَقَصَتْ به ناقتُه فمات، وسنذكره في آخر السنة.

فصل: وفي هذه السنة أقام عمر التّراويحَ للناس، وأمرهم بها في المساجد في شهر رمضان بمجمعٍ من الصحابة.

وقد ذكرنا أن رسول الله ﷺ صلّى في رمضان ثلاث ليالٍ أو أربعَ ليالٍ ركعتين بعد العشاء، ثم امتنع وقال: «خشيتُ أن تُكْتَب عليكم»[2].

وتُوفي رسولُ الله ﷺ والأمرُ على ذلك، وكذا خلافةُ أبي بكرٍ، وصدر من خلافة عمر، فحكى البخاري[3]، عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب ليلةً إلى المسجدِ، فإذا الناسُ أوزاعٌ متفرِّقون، يُصلّي الرجلُ لنفسه، ويصلّي الرجل فيصلي بصلاتهِ الرَّهطُ، فقال عمر: لو جَمعتُ هؤلاء على قارئٍ واحد لكان أمثل، فجمعهم على أُبيٍّ بن كعب.

قال: ثم خَرجتُ معه ليلةً أُخرى والناس يُصلّون بصلاةِ قارئهم، فقال عمر: نِعم البدعةُ هذه، والتي ينامون عنها أفضلُ من التي يقومون، يُريدُ آخِرَ الليل، وكان الناس يقومون أوَّله.

وكتب عمر إلى الأمصار بإقامةِ التَّراويح.

---

(١) في الطبري ٣/ ٥٩٥: الفيلكان.

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٣٦٢)، والبخاري (٢٠١٢)، ومسلم (٧٦١) من حديث عائشة ﵂.

(٣) في صحيحه (٢٠١٠).

قلت[١]: وقد ادّعى قومٌ أن عمر رضي الله عنه فعل شيئاً لم يَفعلْه رسولُ الله ﷺ، ولا أبو بكر، وقد سمَّاها بِدعةً، والصحابةُ لم يُنكروا عليه خوفاً منه.

والجواب أنَّ النبي ﷺ قد بيَّن السببَ الذي امتنع من صَلاةِ التراويحِ لأجله؛ وهو مخافة أن تكتبَ علينا، وبعد انسداد باب الوحي زال هذا المعنى، وقد كانوا يُصلُّون مُتفرِّقين، فجمعهم على إمامٍ واحدٍ.

وأما البدعةُ فبدعتان: مكروهةٌ ومستحبَّة، فالمكروهةُ ما ليس لها أصل في الشرع وتلك هي الضلالة، والمستحبَّةُ ما لها أصل في الشرع، وقال ﷺ: «الصلاة خيرٌ موضوع»[٢].

وأما الصحابة فقد استمروا بعد موته عليها، وكان عليٌّ إذا مرّ ليالي رمضان فرأى القناديل تزهرُ، وسمع القُرَّاء يقرؤون قال: نوَّرَ الله قبر مَن نوَّر علينا مساجدَنا[٣].

فإن قيل: فلم كانت التراويحُ عشرين ركعةً؟ قلنا: لأنهم وزَّعوا القرآن عليها في ذلك الوقت؛ ليكون الختمُ في آخر الشهر.

فصل: وفيها جلد عمر بنُ الخطاب ولده عبد الرحمن في شرابٍ شربه، وكان عمرو بنُ العاص قد جلده قبل ذلك بمصر، وبلغ عمر، فكتب إلى عمرو بن العاص أن يَبعث به إليه، فبعث به إليه، فحدَّه عمر ثانياً لأجل مكانه منه، فأقام شهراً ومات، فكانوا يَرون أنَّه مات من جَلْد عمر إيّاه.

وقد اختلفوا في اسم المضروب، فقال الطبري[٤]: هو عبيد الله بن عمر، وقال غيره: هو أبو شَحْمة.

وقد أخرج جدّي رحمه الله في آخر كتاب «الموضوعات» حديثاً طويلاً في جلد عمر ولده، فقال بإسناده عن سعيد بن مسروق قال: كانت امرأةٌ تدخلُ منزل عمر، ومعها صبيٌّ، فقال لها عمر: مَن هذا الصبيُّ معك؟ فقالت: هو ابنُك، وقع عليَّ أبو

---

(١) في (أ) و(خ): قال المصنف.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥٤٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) المنتظم ٤/ ١٨٠.

(٤) في تاريخه ٣/ ٥٩٧.

شَحمة فهو ابنُه، قال: فأرسل إليه عمر فأقرَّ، فقال لعلي: اجلِده، فضربه عليٌّ خمسين، وضربه عمر خمسين، فقال لعمر: يا أبة قتلتَني، فقال: إذا لقيت ربَّك فأخبره أن أباك يُقيمُ الحدود. ثم قال جدي: هذا حديثٌ موضوع، وضعه القُصّاص فأبدؤوا فيه وأعادوا، وشرحوا فأطالوا[1].

ثم أخرجه جدي من طرقٍ: أحدها عن سعيد بن مسروق، ومجاهد عن ابن عباس، وعبد القدوس بن الحجاج. فأما طريقُ سعيد بن مسروقٍ فقد ذكرناه.

وأما طريقُ مجاهد عن ابن عباس، فقال مجاهد: تذاكر الناسُ فضلَ أبي بكرٍ وعمر في مجلس ابن عباس، فبكى ابنُ عباسٍ وقال: رحم اللهُ رجلاً لم تأخذْه في الله لومةُ لائم، أقام الحدود كما أُمر، لم يَزدجر عن قريبٍ لقرابتهِ، ولم يَحِف على البعيد لبُعدِه، ولقد أقام الحدَّ على ولدِهِ حتى قتله.

بينما أنا عنده ذات يوم ونحن بالمسجد، إذا بجاريةٍ قد أقبلت تتخطّى رقاب المهاجرين والأنصار، ومعها ولدٌ تحملُه، فقالت: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين، خذ هذا الولدَ فأنت أحقُّ به مني. قال: ومن أين؟ قالت: هو ولدُ ولدِك أبي شَحْمة؛ مررتُ في بعضِ الأيّام لحاجتي عند حائط لبني النّجار، فإذا بصائحٍ يَصيح من ورائي، فالتفتُّ فإذا بابنك أبي شحمة يتمايل سُكْراً، وكان قد شرب عند نُسَيكةَ اليهوديِّ، فجرَّني إلى الحائط، وتوعَّدني فأُغمي عليَّ، فما أفقتُ إلا وقد نال مني ما ينالُ الرجلُ من امرأته، ثمَّ كتمتُ أمري عن أهلي، وإذا بي حاملٌ، فوضعتُ هذا الغُلام، فأردتُ قتلَه ثم نَدمتُ، وقد أتيتُك به، فاحكُم بيني وبين ولدِك بحكم الله.

فأمر عمرُ مُناديه فنادى: يا معاشر المهاجرين والأنصار، فأقبلوا مُسْرِعين، فقام وأتى بيتَ أبي شَحمة وأنا معه، فدخل عليه فقال: يا بُنيّ، أمالي طاعةٌ؟ قال: بلى، طاعتان: طاعةُ الوالد، وطاعةُ الخلافة، فقال: بالله وبحقّي عليك، هل كنتَ ضيفاً لنُسَيْكةَ اليهودي، فشربتَ عنده الخمرَ، وواقعتَ امرأةً في وقت كذا؟ فقال: يا أبة، قد كان ذلك وأنا تائبٌ، فقال عمر: التوبةُ رأسُ مال المذنبين، وقبض عمرُ على يده،

(١) الموضوعات (١٨٣٦).

ولبَّبه، وجرَّه إلى المسجدِ، فقال: يا أبة، لا تفضَحْني على رؤوسِ الناس، اقتُلني ها هُنا، فقال: أما سمعتَ قول الله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

ثمَّ جاء به إلى المسجد، وأمر غُلاماً له يُقال له: أَفْلَح فقال: انزع ثيابَه، وافعل ما آمرُك به، اضربه مئةَ سوطٍ، ولا تُقَصِّر في ضَرْبِهِ، فبكى أفلحُ، وقال: ليتني لم تَلدْني أمي؛ حيثُ أُكلَّف ضَرْبَ ولدِ سيدي، فقال: اضربْه، وضجَّ الناسُ بالبكاء والنَّحيب، وجعل الغُلامُ يقول: يا أبة، ارحمني، وعمرُ يبكي ويقول: يرحمُك ربُّك، فلما ضربه السَّوط الأوَّل قال الغلامُ: بسمِ الله، فقال عمرُ: نِعمَ الاسمُ سَمَّيتَ، فلما ضربه ثانياً قال الغُلام: ما أمرَّه، فقال عمر: اصبر كما عصيتَ، فلما ضربه ثالثاً قال: الأمان الأمان، فقال عمر: ربُّكَ يُعطيك الأمان، فلما ضربه رابعاً قال: واغَوْثاه، فقال عمر: الغَوْثُ عند الشِّدَّة، فلما ضربه خمساً قال: الحمدُ لله، فقال عمر: حمدُ اللهِ واجبٌ، فلما ضربه عشراً قال: يا أبة، قتلتَني، قال: ذنبُك قتلك، فلما ضربه ثلاثين قال: أحرقتَ قلبي، فقال عمر: النارُ أشدُّ حرَّاً، فلما ضربه أربعين قال: يا أبة، دَعْني أذهب على وجهي، فقال عمرُ: يا بنيّ، إذا أخذتُ حدَّ اللهِ منك فاذهبْ حيثُ شئتَ، فلما ضربه خمسين قال: أنشدكَ بالقُرآن لمَا خَلَّيتَني، فقال: يا بُنيّ، هلّا وعظكَ القُرآنُ [وزَجَرك] عن المعاصي؟ فلما ضربه ستين قال: يا أبة، أغِثني، قال: إنَّ أهل النار إذا استغاثوا لم يُغاثوا، فلما ضربه سبعين قال: يا أبة، اسقِني شربةً من ماءٍ، قال: [يا] بُنيّ، إن كان ربُّك يطهِّرك فيسقيك محمد ﷺ شربةً لا تظمأُ بعدها أبداً، فلما ضربه ثمانين قال: يا أبة، السلام عليك، فقال: يا بُنيَّ، إذا لقيتَ محمَّداً ﷺ فأقرئه عني السلام، وقُل له: خَلَّفتُ عمر يقرأُ القُرآنَ ويُقيمُ الحدود، فلما ضربه تسعين ضَعُفَ وانقطع كلامُه، فوثب أصحابُ رسول الله من كلِّ جانبٍ وقالوا: يا أميرَ المؤمنين، أخِّر ما بقي إلى وَقْتٍ آخر، فقال عمر: كما لم تُؤخَّر المعصيةُ لا تُؤخَّر العقوبةُ، وبلغ أمّ الغُلام فجاءت صارخة تقول: يا عمرُ، أحجُّ بكلِّ سوطٍ حجَّةً ماشيةً، وأتصدَّقُ بكذا وكذا درهماً، فقال عمر: إن الحجَّ والصدقة لا تَنوبان عن الحدِّ، فضربه مئةً فمات الغُلامُ، فجعل عمرُ رأسَه في حِجره، وجعل يبكي ويقول: بأبي مَن قتله الحقُّ، بأبي مَن لم يَرحمه أبوه ولا أقاربُه، وضجَّ الناسُ بالبكاء والنحيبِ، وجاء حُذيفةُ بن اليمان

بعد ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتُ الغلام في المنام وعليه حُلَّتان خضراوان، وهو مع رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: يا حُذيفة، اقرأ على عمر مني السلام، وقل: هكذا أمرك ربُّكَ أن تقرأ القُرآن وتُقيمَ الحدود. وقال الغُلامُ: قل لأبي: طهَّرَكَ اللهُ كما طهَّرتني(١). وهذه روايةُ مجاهدٍ عن ابن عباسٍ اختصرتُها.

وذكر الزبيرُ بن بكارٍ أن عبد الرحمن الأوسط من أولاد عمر كان يُكنى أَبا شَحمة، وعبدُ الرحمن هذا كان بمصر، خرج غازياً، فاتَّفق أنه شرب نبيذاً، فسَكِرَ، فجاء إلى عمرو بن العاص فقال له: أقم عليَّ الحدَّ، فامتنع، فقال له: إني أُخبرُ أبي إذا قدمتُ عليه، فضربه عمرو الحدَّ في داره، ولم يُخْرِجْه، وبلغ عمر، فكتبَ إلى عمرو يلومُه في مراقبته لعبد الرحمن ويقول له: ألا فعلتَ به ما تفعلُ بجميع المسلمين؟ فلما قدِم على عمر ضربه، واتفق أنه مرض فمات.

قال جدي: هذا الذي ذكره ابن سعدٍ في الطبقات وغيرُهُ. ويحتمل أنه شرب النَّبيذ متأوِّلاً، فسكر من غير اختيار، وأنَّ عمر ضربه ضَرْبَ تأديبٍ، لا ضربَ حدٍ، ومرض لسببٍ آخر، ومات لا من الضَّرْبِ. ثمَّ قال: [وفي] الإسناد الأوَّلِ مجهولٌ(٢).

وفيها ولّى عمر النعمان بن عَديّ بن نَضْلة العدويّ دُسْتَ مِيسان، وعديّ أبو النعمان أوَّلُ مَن هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، ومات بها، وورثه النعمان، وهو أول ميراثٍ في الإسلام.

وكان النعمان شاعراً، ولما ولي دُسْت مِيسان قال: [من الطويل]

ألا هل أتى الحسناءَ أن خَليلَها ... بميسان يُسقى في زجاجٍ مُخَتَّمِ
إذا شئتُ غَنَّتْني دَهاقينُ قريةٍ ... وصنَّاجةٍ تَجثو على كلِّ مَنْسِمِ
فإن كنتَ نَدماني فبالأكبر اسقني ... ولا تَسقني بالأصغرِ المتثَلِّمِ
لعل أميرَ المؤمنين يَسُوءُه ... تنادُمُنا في الجَوْسَقِ المتهدِّمِ

فبلغ عمر ذلك، فقال: إي والله إنني ليَسُوءني ذلك، ثم عزله، فقدم عليه فقال: يا

(١) الموضوعات (١٨٣٧).

(٢) الموضوعات ٣/ ٦١٣-٦١٥ وانظر تتمة كلامه على الحديث، ومن قوله: وقد اختلفوا في اسم المضروب .. إلى هنا، ليس في (أ) و(خ).

أمير المؤمنين، والله ما شربتُها قطّ، وإنما أنا شاعر فقلتُ، فقال: على ذلك، والله لا تلي لي ولايةً أبداً[١].

فصل وفيها توفي

الحارث بن قيس

ابن خالد بن مخلد الأنصاري، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد، فجُرح، وبرئ، ثم انتَقض جُرحُه في هذه السنة فمات، يُعدُّ من شهداء اليمامة، وكنيتُه أبو خالد[٢].

زياد بن لبيد

ابن ثعلبة بن [سنان] عامر بن عَديّ، أبو عبد الله، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبة مع السبعين، وخرج من المدينة، فقدم على رسول الله ﷺمكة، ثم هاجر معه إلى المدينة، ولما أسلم كان يكسر أصنامَ بني بَيَاضة، شهد بدراً وأُحداً والخندقَ والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، واستعمله على حَضْرَموت، فلما تُوفي رسول الله ﷺ، وارتدت العرب، قاتلَ كِندة وحِصنَ النُّجير وفيه الأشعث بن قيس. وقد ذكرناه في قتال أهل الردة[٣]، وزياد[٤] له صُحبة ورواية[٥].

فصل وفيها توفي

عُتبة بن غَزوان

ابن جابر بن وَهب المازني، أبو عبد الله، وقيل أبو غزوان، وهو من الطبقة الأولى

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٠ـ١٣١، والاستيعاب (٢٥٨٧)، والمنتظم ٤/ ١٣٨، والتبيين ٤٣٤، والإصابة ٣/ ٥٦٢، وانظر المعرب ١٤٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٧، الاستيعاب (٢٩٠٢)، والمنتظم ٤/ ١٨٥، والاستبصار ١٧٠، والإصابة ٤/ ٥٠.

(٣) سلف في سنة ١١، أول الجزء.

(٤) في (أ) و(خ): وابن زياد؟! وانظر ترجمة زياد في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٥٣، والاستيعاب (٨٢٥)، والمنتظم ٤/ ١٨٥، والاستبصار ١٧٦، والإصابة ١/ ٥٥٨.

(٥) من قوله: وفيها ولى عمر النعمان بن عدي ... إلى هنا، ليس في (ك).

من المهاجرين، من حُلفاءِ نوفل بن عبد مناف بن قُصيّ، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشةِ المرة الثانية، وكان من الرُّماة المذكورين، وهاجر إلى المدينةِ وهو ابن أربعين سنة فنزل على عبد الله بن سَلمةَ[1] العَجْلاني، وآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين أبي دُجانة، وكان خَطيباً فصيحاً.

وقال ابن سعد عن الواقدي: هو الذي اختطَّ البصرة ـ وكانت قبل ذلك الأُبُلّة ـ وبنى المسجد بقَصَب، وولَّاه عمرُ البَصرة، فأقام عليها ستَّة أشهر، ثم حجَّ واعتمر، واجتمع بعمرَ فردَّه والياً على حاله، مات بطريق البصرة بمرضِ البطن، وهو ابن سبع أو خمس وخمسينَ سنة[2].

واختلفوا في أيِّ سنةٍ مات على أقوالٍ: أحدُها في هذه السنة، ذكره المدائني. والثاني في سنة سبع عشرة، حكاه ابنُ سعدٍ عن الواقدي. قال: أصابه بطنٌ فمات بمعدِنِ بني سُلَيم[3]. وقول المدائني أظهر.

وليس في الصحابة من اسمُه عتبةُ بن غزوان غيره[4].

وقد روى عن رسول الله ﷺ الحديث، فقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا ابن أَسَد، حدثنا سُليمان بنُ المغيرة، حدثنا حُميد بنُ هلال، عن خالد بن عُمير قال: خطب عُتْبةُ بن غزوان ـ أو خطبنا ـ فحَمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمَّا بعد، فإنَّ الدُّنيا قد آذنتْ بصُرْم، وولَّت حذَّاءَ، لم يَبقَ منها إلا صُبابةٌ كصُبابةِ الإناء، يَتصابُّها صاحبُها، وأنتم مُنتقلون منها إلى دارٍ لا زوال لها، فانتقلوا بخيرٍ؛ فإنَّه قد ذُكِرَ لنا أنَّ الحَجر يُلقى من شفيرِ جهنَّم، فيَهوي فيها سَبعين خريفاً ما يُدْرِكُ قَعْرَها، ولقد ذُكر لنا أنّ ما بين مِصْراعَي الجنَّةِ مسيرةُ أربعينَ عاماً، وليأتينَّ عليه يومٌ كَظِيظُ الزِّحام.

ولقد رأيتُني وأنا سابعُ سبعةٍ مع رسولِ الله ﷺ، ما لنا طعامٌ إلّا ورقُ الشجرِ، حتى قَرِحتْ أشداقُنا، ولقد التقطتُ بُرْدَةً فشقَقْتُها بيني وبين سعدٍ نِصفين، فاتَّزرَ بنِصفها، واتَّزرتُ بالنصفِ الآخر، وما أصبح مِنّا أحدٌ إلّا وهو أميرٌ على مِصرٍ من الأمصارِ،

(١) في (أ) و(خ): سهل، وهو خطأ.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٢ دون شك في سنّه عندما توفي، وانظر تلقيح فهوم أهل الأثر ١٢٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٣ و٩/ ٨.

(٤) من قوله: واختلفوا في أي سنة مات ... إلى هنا، ليس في (أ) و(خ).

وإني أعوذُ بالله أن أكونَ في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً.

وإنَّها لم تكن نُبوَّةٌ قطّ إلا تناسَخَت، حتى تكونَ مُلْكاً، وستُجَرِّبون الأُمراءَ بعدنا.

انفرد بإخراجه مسلم[١]. وليس لعتبةَ في الصحيح غيرُه.

ولما مات عتبةُ قَدِمَ غلامُه سُويد على عمر بتَرِكَته[٢].

وقال ابن سعد: كان لعُتبةَ مولى يقال له: خَبّاب، وكُنيتُه أبو يحيى، آخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين تميم مولى خِراش بن الصِّمَّةِ، وخَبَّاب من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وتُوفي سنة تسع عشرة بالمدينة، وصلّى عليه عمرُ، وهو ابن خمسين سنةً[٣].

وليس في الموالي مَن اسمُه خبَّابٌ غيرُه، وله صحبةٌ، وليس له روايةٌ.

فصل وفيها توفي

عثمان بن عامر

ابن عمرو بن كعب، أبو قُحافة، والد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وأمه قَيْلة بنت أَذَاة، من بني كعب بن لؤي.

وقد ذكرنا إسلامَه يومَ الفتح[٤]، وأن النبي ﷺ قال: «يا أبا بكر، هلّا تركتَ الشيخَ حتى أكون أنا الذي أمشي إليه».

وكان أبو قُحافة من عقلاء الناس، واستدلُّوا على عقله أن ابنَه لما وَلي الخلافة لم يكترث بذلك، ولا وَفَد عليه، ولا مَنَّ على الناس به، ولم يزل يُسمِّيه عتيقاً، ويخاطب به ما ولي الخلافة إلى أن مات.

قال ابن قتيبة: وقدم أبو قحافة المدينة[٥]. وهو وهم منه، لاتفاق العلماء على أنه

(١) مسند أحمد (١٧٥٧٥)، وصحيح مسلم (٢٩٦٧).

(٢) انظر ترجمة عتبة في طبقات ابن سعد ٣/ ٩٢-٩٣ و٩/ ٥-٨، والاستيعاب (١٩١٤)، والإصابة ٢/ ٤٥٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٣.

(٤) سلف في السيرة.

(٥) المعارف ١٦٨.

لم يزل مُقيماً بمكة.

وكان أبو قُحافة قد أضرَّ، وكانت وفاتُه في المحرم في هذه السنة، وكان بينه وبين وفاة ابنه سبعةُ أشهر وستةُ أيام، وعاش سبعةً وتسعين سنة، وورث من ابنه أبي بكر السُّدس، فردّه في أولاد أبي بكر.

ذِكْرُ أولاده: كان له أبو بكرٍ وعبد الله وأمُّهما أمّ الخير سلمى. وأُمُّ فَرْوَة تزوَّجها الأشعثُ بن قيس.

وقال ابن قُتيبة: تزوَّج أمَّ فَرْوَة رجلٌ من الأزْدِ فولدت له جاريةً، ثم تزوَّجها تميم الداريّ، ثم الأشعثُ بنُ قيسٍ[١].

فولدت له محمَّداً وإسحاقَ وجُمانةَ[٢] وقريبة.

وذكرها الشيخ الموفَّق في الأنساب، وقال: أسلمت وبايعت، وروتِ الحديثَ عن رسول الله ﷺ، قال: وفي بعض المغازي أن أبا قُحافةَ قال لابنته يوم الفتح: خُذي بيدي، واصعدي بي إلى أبي قُبيس، ففعلت فقال لها: ما تَرَيْنَ؟ قالت: أرى سواداً مُجتمعاً قال: تلك الخيلُ. [قالت]: وبين أيديها فارسٌ يُقبلُ ويُدبِرُ، فقال: ذاك الوازعُ ـ قال الجوهري: الوازعُ: الذي يتقدَّم الصفَّ فيُصلحُه، ويُقَدِّمُ ويُؤَخِّرُ. قال: ويُسمَّى الكلبُ وازعاً؛ لأنَّه يكفُّ الذئبَ عن الغنم[٣] ـ فقال: ما تَرين؟ قالت: قد انتشر السوادُ، فقال: أغارت الخيلُ، فالحقي بي المنزلَ، فنزلتْ فأدركتها الخيلُ قبل بلوغ المنزلِ، فأخذ بعضُهم طَوْقاً كان في عُنُقِها، فلما فتح النبيّ ﷺ مكّة قال أبو بكرٍ: أَنشُدُ اللهَ رجلاً أخذ طَوْقَ أختي إلّا رَدَّه، فلم يُرَدَّ. فقال أبو بكر لأخته: احتسبي طَوْقَك، فإن الأمانةَ في الناسِ اليوم قليل[٤].

وليس في الصحابيات من يُكنى أمّ فَرْوة إلا هذه، وأمّ فروة أنصارية[٥].

(١) المعارف ١٦٨.

(٢) في طبقات ابن سعد ٦/ ٧٨: جِبَّانة.

(٣) الصحاح (وزع).

(٤) التبيين ٣١٩، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٥-٤٠٦.

(٥) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٥٢.

وذكرها ابن سعدٍ في طبقات النساء فقال: وأمُّها هند بنت نُفيل[١] بن بُجَيْر بن عبد ابن قُصيّ، زوَّجها أبو بكرٍ من الأشعثِ بن قيسٍ، فولدت له محمّداً وإسحاق وإسماعيل وحبابة وقريبة. وقال: وكان لأبي قُحافةَ ابنةٌ تُسمّى قريبة، تزوّجها قيس بن سعد بن عُبادة بن دُليم، فلم تَلِدْ له شيئاً. قال: وأُمُّها هندُ بنتُ نُفيلٍ أيضاً. وكان لأبي قُحافة ابنةٌ يُقال لها: أم عامر، وأمُّها هند بنت نُفَيل أيضاً، تزوجها سعد بن أبي وقاص[٢]، فولدت له ضعيفة، وقيل: اسمها أم عاصم، وتُسمّى ضعيفة.

وليس في الصحابة مَن اسمُه عثمان بن عامر، ويُكنى أبا قُحافة غيره. وليس له رواية، وإنما أسلم على يد رسول الله ﷺ يوم الفتح.

وقال موسى بن عقبة[٣]: ما نعلم أن أربعةً تناسلوا، ورأَوا رسول الله ﷺ في نسق واحد، إلا عثمان بن عامر، وابنه أبو بكر، وابنه عبد الرحمن، وابنه محمد ويُكنى أبا عتيق[٤].

عفراء بنت عُبيد

ابن ثعلبة الأنصاريّة، من بني النجار، وأمُّها الرعاة بنت عديّ بن سواد، نجارية أيضاً، أسلمت وبايعت، وولدت سبع بنين مُسلمين، شهدوا بدراً، تزوّجها الحارث بن رفاعة من بني النجار، فولدت له مُعاذاً ومُعوِّذاً، ثم طلَّقها، فقدمت مكة، فتزوجها كثير[٥] ابن عبد ياليل، فولدت له خالداً وإياساً وعاقلاً وعامراً، ثم طلَّقها، فرجعت إلى المدينة، فراجعها الحارث بن رفاعة، فولدت له عوفاً، فأسلموا، وحضروا مع رسول الله ﷺ بدراً، فاستشهد معاذ ومعوذ وعاقل قبل يوم بدر، واستشهد خالد يوم الرَّجيع، وعامر يوم بئر معونة، وإياس يوم اليمامة، وانقرض نسلهم إلا عوف فإنه أعقب[٦].

---

(١) في طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٣٦-٢٣٧: نُقَيد، هنا وفي المواضع الآتية.

(٢) في طبقات ابن سعد ٦/ ٧٨ و ١٠/ ٢٣٧: عامر بن أبي وقاص.

(٣) من هنا إلى بداية ترجمة أم عمارة نسيبة، ليس في (ك).

(٤) انظر ترجمة أبي قحافة في طبقات ابن سعد ٦/ ٧٨ و ٨/ ١٢-١٣، والاستيعاب (١٨٨٩) و(٣١٠٩)، والتبيين ٣١٧، والمنتظم ٤/ ١٨٦، والإصابة ٢/ ٤٦٠.

(٥) في المنتظم ٤/ ١٨٧: بكر، وفي الإصابة ٤/ ٣٦٤: بُكير.

(٦) انظر طبقات ابن سعد ١٠/ ٤١٢، والاستبصار ٦١، والمنتظم والإصابة.

أبو سفيان بن الحارث

ابن عبد المطلب بن هاشم، ابنُ عم رسول الله ﷺ.

واسمه المغيرة، وأمُّه غزيّة بنت قيس، وهي أمُّ نوفل بنت الحارث، وكان أبو سفيان ونوفل أخوان لأم وأب، وربيعة وعبد الله ابنا الحارث أخوان لأب وأم، وقيل: بل غزيّة أمُّ الكلّ.

وكان أبو سفيان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعته حليمةُ أياماً، وكان تِربَ رسول الله ﷺ وإِلْفَه، فلما بُعث رسول الله ﷺ نصب له العداوة، وهجاه، وهجا أصحابَه، وأقام عشرين سنة عدوّاً لله ورسوله والمؤمنين، لا يتخلَّف عن مَوضعٍ تسير فيه قريش لقتال رسول الله ﷺ إلا وهو معهم، وإليه أشار حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، يقول: [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ[1]

وأقام على ذلك حتى تحرك رسول الله ﷺ لغَزاة الفتح، فألقى الله الإسلامَ في قلبه، قال: فقلتُ: قد ضرب الإسلامُ بجِرانه، فمع مَن أكون، ولمن أصحب؟ فقلتُ لزوجتي ولولدي: تهيَّؤوا للخروج، فقد أظلَّ قُدوم محمد، فقالوا: قد آن لك أن تُبصرَ أن العرب والعجمَ قد اتَّبعت محمداً، وأنت مُوضعٌ في عداوته، وكنتَ أولى الناس بنصره!

قال: فخرجتُ حتى نزلتُ الأَبواء، ومعي غُلامي مَذكور، وقد نزلت مُقَدِّمتُه الأبواء، وكان قد نذر دمي، فتنكّرتُ حتى طلع بركبه، فقَصدتُه من تلقاء وجهه، فأعرض عني، فتحوَّلتُ إلى الناحية الأُخرى، فأعرض عني، فأخذني ما قَرُب وما بَعُد، وقلت: أنا مقتولٌ قبل أن أصلَ إليه، فأسلمتُ، وكنتُ أظنُّ أن أصحابَه يَفرحون بإسلامي، وأنه يَسرُّه ذلك، فلما رأى الناس [إعراض رسول الله ﷺ عني] أعرضوا جميعاً، وكان معي جعفر وعبد الله ابن أبي أمية، أخو أمِّ سلمة زوج رسول الله ﷺ، وابن عمّة رسول الله ﷺ، فقالت له أمُّ سلمة: يا رسول الله، لا يكون ابن عمِّك، وأخي ابنُ عمتك[2] أشقى الناس بك، فقال:

---

(١) ديوانه ١/ ١٨.

(٢) في (أ) و(خ): عمك، هنا وفي الموضع الآتي، والمثبت من مغازي الواقدي ٨١٠، والتبيين ١٠٥.

أما ابنُ عمي فهو الذي هجاني وقال ما قال، وأما ابن عمتي فهو القائل: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

قال: ونظر إليّ عمر بن الخطاب، فأغرى بي رجلاً من الأنصار، يقال له نعمان بن الحارث، قال لي: يا عدوَّ الله، أنت الذي كنتَ تُؤذي رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، واستطال عليَّ حتى جعلني مثلَ الحَرَجَة[1]، والناسُ يُسرُّون بما يفعل بي، فدخلتُ على العباس، فقلتُ: يا عمّ، قد كنتُ أرجو أن يَفرح رسول الله ﷺ بإسلامي؛ لقَرابتي منه، وشرفي في قومي، وقد كان منه ما رأيتَ، فكلّمه فيّ ليَرضى عني، فقال: لا والله لا أُكلِّمه فيك أبداً بعدما رأيتُ منه ما رأيت، إلا أن أرى وجهاً، إني أُجِلُّ رسول الله ﷺ وأهابُه، قلت: فكُفَّ عني الرجل، فأرسل إليه: يا نُعَيمان، إن أبا سفيان ابنُ عمّ رسول الله ﷺ وابن أخي، وإن يكن ساخطاً عليه فسَيرضى عنه، فكُفَّ عنه. قال: فبعد لأيٍ ما كفَّ عني.

ولزمتُ بابَ رسول الله ﷺ وهو يُعرض عنّي، فلم أزل كذلك حتى فتح مكة، وأنا لا أُفارقُه، ودخل عليه نساءُ بني عبد المطلب فرَقَّقْنَه عليَّ وقلن: برّك وعطفك، فنظر إليَّ نظراً هو أَلينُ من ذلك، حتى خرج إلى هوازن وخرجتُ معه.

فلما لَقيناهم حملوا الحملةَ التي قال الله تعالى فيها: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]

وثبت رسول الله ﷺ على بغلته الشهباء، فاقتحمتُ عن فرسي، وبيدي السَّيف صَلْتاً قد كسرتُ جَفْنَه، والله يَعلم أني أُريد الموتَ دونه، وهو ينظر إليّ، وقد أخذ العباس بلجام بَغلته، وأَخذتُ بالجانب الآخر، فقال للعباس: «مَن هذا؟» قال: أخوك وابنُ عمك أبو سفيان، فقال: «أخي لعَمري»، فقال: يا رسول الله، ارضَ عنه، فقال: «قد فعلت»، قال: فأُقبِّلُ رجلَه في الرِّكاب، ثم هزم الله القوم[2].

وحَسُن إسلامُ أبي سفيان، وهاجر إلى المدينة، وأقام بها ملازماً للمسجد، ناسكاً زاهداً، وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج، وأقام لا يرفع طَرفه إلى النبي ﷺ

---

(١) الشجر الملتف.

(٢) مغازي الواقدي ٨٠٦ـ٨١٠، وطبقات ابن سعد ٤/ ٤٦، والمعارف ١٢٦، والاستيعاب (٢٩٦٥)، والتبيين ١٠٥، والتوابين ١٣٠ـ١٣٤، والإصابة ٤/ ٩٠.

حياءً منه، وكان من أماثل قريش.

وذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من المهاجرين(١).

شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنيناً والطائف، وكان رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك: «أخي وابنُ عمي وخيرُ أهلي، وقد أعقبني الله من حمزة أبا سفيان» وكان يُقال له: أسد الله وأسد رسوله، وأطعمه بخيبر مئةَ وَسْق.

وله في رسول الله ﷺ أشعار كثيرة، منها: قال: [من الطويل]

لَعمركَ إني يوم أحملُ رايةً لتَغْلِبَ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدِ
لكا لمُدْلِجِ الحَيْران أظلمَ ليلُه فهذا أوان اليوم أُهدى وأَهتدي
هَداني هادٍ غير نفسي ودَلَّني على الله مَن طَرَّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ

فقال رسول الله ﷺ: «بل نحن طردناكم كلَّ مُطَرَّد»(٢).

وكان أبو سفيان يشبه رسول الله ﷺ، وقال يوم حنين: [من الطويل]

لقد علمتْ أفناء كعبٍ وعامرٍ غداةَ حُنَين حين عمَّ التَّضَعْضُعُ
بأني أخو الهَيجاءِ أركبُ حدَّها أمام رسول الله لا أتَتَعْتَعُ
رجاءَ ثواب الله والله واسعٌ إليه تعالى كلُّ أمرٍ سيَرجِعُ(٣)

ولما احتضر بكى أهلُه، فقال: لا تَبكوا، فوالله ما تَنَطَّفتُ بخَطيئةٍ منذ أسلمتُ، أي: ما تلطَّختُ، وكان قد حجَّ، فحلق الحلاقُ رأسَه بمنى، وكان فيه ثُؤلول، فقطعه، فعاد إلى المدينة فمات منه، فكانوا يرون أنه شهيد، وذلك في سنة أربع عشرة، وصلَّى عليه عمر بن الخطاب، ودُفن في دار عقيل بن أبي طالب، وهو الذي حفر قبرَ نفسِه قبل موته بثلاثة أيام، وقيل: مات في سنة خمس عشرة، وقيل: في سنة عشرين، وقيل: بعد ذلك، والأوّل أشهر.

ذكر أولاده: كان له من الولد جعفر، وأمُّه جُمانة بنت أبي طالب، شهد مع أبيه

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٤٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٤٧، والاستيعاب (٢٩٦٥).

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٤٩.

الفتح وحُنيناً والطائف، ومات في أيام معاوية، وعبد الله ويُكنى أبا الهيجاء[١]، رأى رسول الله ﷺ، وروى عنه الحديث، فمن روايته عن النبي ﷺ: «ما قُدِّست أمَّةٌ لا يُؤخذُ لضعيفها حقّه من قويِّها غير مَتَتعتِع»[٢].

وقال البلاذري: جعفر وعبد الله أمُّهما جُمانة، ولا عقبَ لهما[٣]، وجُمانة وحَفصة أمُّهما فغمة من بني دُهْمان، وقيل: إنها أمُّ أبي الهيجاء أيضاً، وأمه وأم كلثوم لأم ولد[٤]، وقد انقرض عَقب أبي سفيان.

وقد أخرج ابن سعد حديثاً فقال: حدثنا يزيد بن هارون وعَفّان بن مُسلم قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «أبو سفيان بن الحارث سَيِّدُ فِتيان أهلِ الجنة»[٥].

أم عُمارة[٦]

واختلفوا في اسمها، فقال ابن سعد: هي نَسيبة بنت كعب بن عمرو ابن عوفٍ، من بني النجار، وكذا نسبها ابن ماكولا وعامة النُّسَّابِ[٧].

شهدت العقبة مع السَّبعين، وأسلمت وبايعت، وشهدت أُحداً والحُديبيةَ وخيبرَ وحُنيناً وعمرة القضيَّة واليمامة.

---

(١) في الطبقات ٤/ ٤٥، والإصابة ٢/ ٣٢٠، وتاريخ دمشق ٩/ ٣٦٦ (مخطوط) وأنساب الأشراف ٣/ ٣٤٤: أبو الهيّاج.

(٢) أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة ٢/ ١١٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٣٦٦، وأورده ابن عبد البر في الاستيعاب (١٣٩٣)، وابن قدامة في التبيين ١٠٨، والحافظ في الإصابة ٢/ ٣٢٠.

(٣) أنساب الأشراف ٣/ ٣٤٤.

(٤) في طبقات ابن سعد ٤/ ٤٥: وجمانة وحفصة وأمهم فغمة .... وأميّة وأمها أم ولد، ويقال بل أمّها أم أبي الهياج، وأمّ كلثوم وهي لأم ولد.

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ٤٩.

(٦) من قوله: وقال موسى بن عقبة، في ترجمة أبي قحافة، إلى هنا ليس في (ك).

(٧) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٣، والإكمال ٧/ ٣٣٨، والاستيعاب (٣٥٤٩)، والمنتظم ٤/ ١٨٩، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٣٤٥، والاستبصار ٨٢، والإصابة ٤/ ٤٧٩، وتوضيح المشتبه ٩/ ٧٨، وتهذيب الكمال (٨٥٨٨) وفروعه.

وقال ابن سعد: وأمُّها الرباب بنت عبد الله بن حبيب، من الخَزْرَج، وهي أختُ عبد الله بن كعب شهد بدراً، وأختُ أبي ليلى عبد الرحمن بن كعب أحدِ البكّائين لأبيهما وأمِّهما.

وتزوَّج أمَّ عُمارة بنت كعب: زيدُ بن عاصم بن عمرو النّجاري، فولدت له عبدَ الله وحبيباً، صحبا رسولَ الله ﷺ، ثم خلف عليها غَزيّة بن عمرو بن عطيّة من بني النجار أيضاً، فولدت له تميماً وخولة.

وحكى ابنُ سعدٍ عن الواقدي قال: شهدت البَيعة ليلةَ العَقَبة، وبايعتْ مع القوم، وشهدت أُحداً مع زوجها غَزيّة بن عمرو، لأنها تزوَّجت به أيضاً، شهدت هي وابنَيْها، وخرجت معهم بشَنٍّ في أول النهار، تُريدُ أن تَسقي الجرحى، فقاتلت يومئذٍ، وأبلت بلاءً حسناً، وجُرِحت اثني عشر جُرحاً بين طعنةٍ برمحٍ أو ضربةٍ بسيفٍ.

قال: وقالت: لما انهزم المسلمون انحزْتُ إلى رسول الله ﷺ، فجعلتُ أُباشر القتال بنفسي، وأذبُّ عن رسول الله ﷺ بالسيف، وأرمي بالقوسِ حتى خَلَصَتْ إليَّ الجراحُ، وأقبل ابنُ قَميئة يُريد رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضَّربة، وكان على عاتقِها ضربةٌ لها غورٌ أجوفُ، قالت: ولقد ضربتُه ضربات، ولكن عدوَّ الله كان عليه دِرعان[١].

وقال رسول الله ﷺ: «لمَقَامُ نَسيبة بنت كعب اليوم خيرٌ من مقام فُلان وفلان، ما التفتُّ يَميناً وشمالاً إلا رأيتُها تُقاتل دوني»، وجُرحت ثلاث عشرة جراحة، وضربها ابنُ قَميئة على عاتقها ضربةً فداوتها سنةً، ولما نادى منادي رسول الله ﷺ إلى حَمْراء الأَسَد شَدَّت عليها ثيابَها، فما استطاعت من نَزْف الدَّم، فلما رجع رسول الله ﷺ من الحمراء، ما وصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب يَسأل عنها، فرجع فأخبره بسلامتها فسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك.

وقال رسول الله ﷺ يوم أُحد: «ومَن يُطيق ما تُطيقين يا أمَّ عُمارة»، وكانت قد قتلتْ يوم أُحد جماعة.

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٣-٣٨٤ ، ومغازي الواقدي ١/ ٢٦٨-٢٦٩ ، ومن هنا إلى قوله: وقالت أم عمارة دخل علي.... ليس في (ك).

وقال رسول الله ﷺ عن أم عُمارة وابنيها وزوجها لما وَلّوا عنه يوم أُحد[(١)]: «اللهمَّ اجعلهم رِفاقي في الجنة»، فقالت أمُّ عُمارة: ما أُبالي ما أصابني من الدنيا.

قال ضَمْرة بنُ سعيد: أُتي عمر بن الخطاب بمُروط، فكان فيها مِرْطٌ جيّد، فقال بعضهم: لو أرسلتَ به إلى صَفيَّة بنت أبي عُبيد، زوجة عبد الله بن عمر، وذلك حِدْثانُ ما دخلتْ على ابن عمر، فقال: ابعثوا به إلى مَن هو أحقُّ منها: أمّ عُمارة، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول يومَ أُحد: «ما التفتُّ يميناً وشمالاً إلا وأنا أَراها تُقاتل دوني»[(٢)].

وقال محمد بن يحيى بن حَبَّان: جُرحت أمّ عُمارة بأُحد اثني عشر جُرحاً، وقُطعت يدُها باليمامة، وجُرحت يوم اليمامة سوى يدها أحد عشر جُرحاً، فقدمت المدينة وبها الجراحات، فلقد رؤي أبو بكر وهو خليفة يَأتيها ويَسأل عنها، وابنُها حَبيب بن زيد الذي قطّعه مُسيلمة، وابنُها عبد الله بن زيد قُتل يوم الحَرَّة[(٣)].

روت أمّ عُمارة الحديث عن رسول الله ﷺ.

وقالت أمُّ عمارة: دخل عليَّ رسول الله ﷺ عائداً، فقرَّبتُ إليه طَفَيْشَلةً[(٤)] وخُبزَ شعير، قالت: فأصابَ منه وقال: تعاليْ كُلي، فقلت: يا رسول الله إني صائمة فقال: «إن الصائم إذا أُكلَ عنده لم يزلْ تصلي عليه الملائكةُ حتى يُفْرغَ من طعامِهِ»[(٥)].

نوفل بن الحارث

ابن عبد المطلب بن هاشم، ابنُ عمّ رسول الله ﷺ، وأمُّه غَزيّة بنت قيس بن طَريف، فِهريّة، ونوفل من الطبقة الثانية من المهاجرين، وكُنيته أبو الحارث.

قال ابن الكلبي: إن قريشاً أخرجتْ مَن كان بمكة من بني هاشم مُكرَهين إلى بدر، فقال نوفل: [من الطويل]

(١) يعني لما ولّى عنه الناس وثبتت أم عمارة وزوجها وابنيها، انظر مغازي الواقدي ٢٧٠-٢٧٣، وطبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٤-٣٨٦.

(٢) مغازي الواقدي ٢٧١، وطبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٦.

(٣) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٧.

(٤) نوع من المرَق.

(٥) أخرجه ابن سعد ١٠/ ٣٨٦، وأحمد في مسنده (٢٧٠٦٠). ومن قوله: وقالت أم عمارة دخل علي.. إلى هنا، ليس في (أ) و(خ)، وقد جاءت ترجمة أم عمارة في (ك) بعد ترجمة هند بنت عتبة.

حرامٌ علينا حَربُ أحمدَ إنني أرى أحمداً منا قريباً أواصِرُه
فإن تكُ فِهرٌ ألَّبتْ وتَجَمَّعتْ عليه فإن الله لا شكَّ ناصِرُه

فأُسِر يوم بدر، وحضر بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له: «افْدِ نفْسَك»، قال: ليس لي مال، قال: «فأين رِماحُك التي بجُدَّة[1]؟»، وكانت ألفَ رُمح لم يعلم بها أحد، فقال له: أشهدُ أنك رسول الله، وفدى نفسه بها، ثم رجع إلى مكة، وأسلم، ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة هو والعبّاس أيام الخندق، وشهد فتح مكة ويومَ حُنين، وثبت مع رسول الله ﷺ، وكان عن يمينه، وأعان رسول الله ﷺ بثلاثة آلاف رُمح.

وقال لما أسلم: [من الطويل]

إليكم إليكم إنني لستُ منكمُ تَبَرَّأتُ من دين الشّيوخ الأكابرِ
لعَمريَ ما ديني بشيءٍ أبيعُه وما أنا إن أسلمتُ يوماً بكافرِ
شهدتُ على أن النبيَّ محمداً أتى بالهُدى من ربِّه بالبَصائرِ
وإن رسولَ الله يدعو إلى التُّقى وإن رسولَ الله ليس بشاعرِ
على ذاك أحيا ثم أُبعثُ مُوقِناً وأُثوى عليه مَيِّتاً في المقابرِ

ولما قدم نوفل والعباس على رسول الله ﷺ المدينة آخى بينهما، وكانا شَريكَين في الجاهلية، مُتَفاوِضَين [في المال]، مُتَحابَّين مُتصافِيَيْن، وأَقطَعهما رسولُ الله ﷺ بالمدينة منزِلَيْن متجاوِرَين.

وتوفي نوفل في سنة أربع عشرة بالمدينة بعد استخلاف عمر بسنة وثلاثةِ أشهر، وصلَّى عليه عمر، ومشى في جنازته، ودُفن بالبقيع، وتوفي قبل أخيه أبي سفيان بأربعة أشهر إلا ثلاثة عشر ليلة، وقيل: مات سنة خمس عشرة[2].

ذكر أولاده: كان له من الولد الحارث وعبد الله والمغيرة وسعيد وعبد الرحمن وربيعة.

فأما الحارث فكان رجلاً على عهد رسول الله ﷺ، أسلم مع أبيه، وصحب رسول الله ﷺ وروى عنه، واستعمله رسول الله ﷺ على بعض أعمال مكة، ووُلد له ولدٌ

---

(١) في (أ) و(خ): الذي تجده، والمثبت من طبقات ابن سعد ٤/ ٤٢، والمنتظم ٤/ ١٨٨.

(٢) انظر في ترجمة نوفل طبقات ابن سعد ٤/ ٤١-٤٣، والمعارف ١٢٧، وأنساب الأشراف ٣/ ٣٣٨، والاستيعاب (٢٥٦٥)، والمنتظم ٤/ ١٨٨، والتبيين ٩٩، والإصابة ٣/ ٥٧٧.

سمَّاه عبدَ الله، فأتى به النبيَّ ﷺ، فحنّكه بيده، ودعا له، وعبدُ الله هو الذي يُلَقَّب بَبَّه.

وقال الواقدي: ولَّى أبو بكر وعمر وعثمان الحارث بن نوفل مكة، وتزوَّج دُرَّة بنت أبي لهب، وسكن المدينة، ثم انتقل إلى البصرة، واختطّ بها داراً، ونزلها في ولاية عبد الله بن عامر، ومات في آخر خلافة عثمان، وكان له أولاد، منهم: عبد الله ومحمد الأكبر وربيعة وعبد الرحمن ورَمْلة وأم الزُّبير، وأم الجميع هند بنت أبي سفيان ابن حرب، وأمُّها أم عمرو بنت أمية.

فأما عبد الله فسبب لقبه أن أمَّه كانت تُرقّصه وتقول: [من الرجز]

لأُنكِحَنّ بَبَّهْ
جاريةً خِدَبَّهْ
عَظيمةً كالقُبَّهْ
إذا بدتْ في نقبهْ
تَمشُط رأسَ لعبهْ
تحبُّ أهلَ الكَعبةْ
كريمةً في النِّسبهْ
مُكرَمَةً مُحَبَّهْ

قال عمرو بن دينار: قدم بَبَّة مكة، فجاء ابنَ عمر، فسلَّم عليه فلم يَبَشَّ به، فقال له: أما تعرفني؟ قال: بلى ألستَ بَبَّة، فشق عليه، وتضاحك القوم، ففَطِن ابنُ عمر، وقال: ليس هذا يَعيب الرَّجُلَ الحادر يُقال له: بَبَّة(١).

وكان بَبَّة قد سفر بين الحسن ومُعاوية في الصُّلح، وسأل معاويةَ أن يُولِّيه فقال: لام ألف، فنزل عبد الله البصرة مع أبيه، فلما مات يزيد بن معاوية، ووثب أهل البصرة على عبيد الله بن زياد واختفى، بايع أهلُ البصرة بَبَّة حتى يجتمعَ الناس على إمام، فأقام عليهم شهوراً، ثم قال: ولُّوا أمرَكم مَن شئتم، فأمَّروا عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر

---

(١) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٧٣، وتاريخ دمشق ص١٠٠ (مجمع اللغة، عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد)، وفيهما: إن الذي قلت لا بأس به، ليس يعيب الرجل، إنما كان غلاماً نادراً...

التَّيمي، وأقام بَبَّة بالبصرة إلى زمن الحجَّاج [ثم خرج مع عبد الرحمن بن الأشعث، فلما هُزم ابن الأشعث خاف بَبَّة الحجَّاج]، فهرب إلى عُمان، فمات بها في سنة أربعٍ وثمانين، وهو شيخٌ كبير في أُذُنه ثِقَل.

وكان لعبد الله بَبَّة ولدٌ اسمُه عبد الله، ويقال له: الأرجوان لحُسنه، وكنيتُه أبو يحيى، خرج مع سليمان بن عبد الملك إلى الحج، فقتلته السّموم وحرُّ الشمس بالأَبواء سنة تسعٍ وتسعين، فصلَّى عليه سُليمان، وحَزِن عليه.

وأما عبد الله بن نوفل بن الحارث فوُلد على عهد رسول الله ﷺ، ولم يَحفظ عنه شيئاً، وكان يُشبه رسول الله ﷺ، ووَلي قضاءَ المدينة لمعاوية، ومروان والياً على المدينة، وقال أبو هريرة: وهو أولُ قاضٍ رأيتُه في الإسلام بها.

قال ابن سعد: وأهلُه ينكرون هذا، مات سنة أربعٍ وثمانين، وقيل في أيام مُعاوية.

وأما المغيرة بن نوفل فإنه وُلد على عهد رسول الله ﷺ بمكة، وقيل لم يُدرك من حياة رسول الله ﷺ سوى ستّ سنين، وكنيته أبو يحيى، وابنه يحيى من أُمامة بنت أبي العاص، وأمها زينب عليها السلام بنتُ رسول الله ﷺ، كان قد تزوّجها بعد عليّ رضي الله عنه، وقيل إن عليًّا أوصاه أن يتزوَّجها خوفاً لا يتزوَّجها معاوية.

روى المغيرة الحديث عن رسول الله ﷺ، وقيل: إنه لم يسمع منه، فحديثُه مُرسَل، وكان قاضياً في زمن عثمان رضي الله عنه، ولما ضرب ابنُ مُلْجم علياً كرم الله وجهه، وخاف الناس منه، حمل عليه المغيرة بقَطيفة، فرمى بها عليه، واحتمله فضرب به الأرض، وقَعد على صدره، وأخذ السيفَ منه، ثم حمله إلى الحبس.

قال الواقدي: وولَّاه الحسن الكوفة، وسار إليه معاوية وهو عليها، وأعقب المغيرة أولاداً فُضلاء، فوُلد له عبد الله بن المغيرة، وكُنيته أبو محمد، مات في أيام عمر بن عبد العزيز، وإسحاق بن المغيرة، وابنُه لوط بن إسحاق، كان عالماً زاهداً عابداً فقيهاً، مات في أيام أبي جعفر المنصور، وابنُه محمد بن لوط كان عالماً فقيهاً، مات في أيام أبي جعفر أيضاً، وعبد الملك بن المغيرة بن نوفل، وُلد له يزيد بنُ عبد الملك، وكُنيته أبو خالد، كان فقيهاً فاضلاً.

[وأما سعيد فكان فقيهاً]، وكانت له ابنةٌ اسمُها رُقَيَّة، تزوَّجت بكر بنَ حُصين، من بني عامر بن لُؤيّ، فقال لها عبد الملك: ترون أن تنكح المرأة عبدها فقالت: [من الرجز]

إن القُبورَ تنكح الأيامى النّسوة الأرامل اليتامى
المرءُ لا تبقى له السُّلامى

وأما عبد الرحمن وربيعة ابنا نوفل فلا بقيةَ لهما.

وكان لنوفل بنات، منهن أمّ سعيد وأمّ المغيرة وأم حكيم وأم ظريبة بنت سعد بن أبي وقّاص(١).

ولنوفل عَقِبٌ كثيرٌ بالمدينة والبصرة وبغداد، وليس له رواية(٢).

هند بنت عُتبة

ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. قال ابن سعد: وأُمُّها صفية بنت أُمية بن حارثة بن الأَوْقص بن مُرَّة، من بني سُلَيم(٣)، وأوَّل مَن تزوَّجها حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم(٤)، فولدت له أباناً.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق، شيخٍ من أهل المدينة من بني عامر بن لؤي قال: قالت هند لأبيها: إني امرأةٌ قد ملكتُ أمري، فلا تُزوِّجْني رجلاً حتى تَعْرِضَه عليَّ. فقال لها: ذلك لك. ثم قال لها يوماً: إنَّه قد خطبك رجلانِ من قومك، ولستُ مُسمِّياً لك واحداً منهما حتى أصفَه لك(٥).

---

(١) كذا، والذي في طبقات ابن سعد ٤/ ٤١ : أم سعيد وأم المغيرة وأم حكيم وأمهم ظريبة بنت سعيد بن القشب، وأم ظريبة أم حكيم بنت سفيان بن أمية، وهي خالة سعد بن أبي وقاص.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٥٢-٥٣ و ٥/ ٢١-٢٦ ، وأنساب الأشراف ٣/ ٣٣٨-٣٤٦ ، والاستيعاب (٤٣٥)، والتبيين ١٠٠-١٠٣ ، والإصابة ١/ ٢٩٢ ، وترجمة نوفل بن الحارث ليست في (ك).

(٣) في (أ) و(خ) زيادة بعد هذا الكلام نصها: وكانت هند امرأة حازمة شاعرة، ذات نفس وأنفة. وموضعها في (ك) بعد صفحتين.

(٤) في (خ) زيادة: ولقبه الفاكه كذا قيل، وانظر الصفحة التالية.

(٥) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٢٣ ، وقول ابن سعد هذا ليس في (أ) و(خ).

وحكى الربيع عن الشافعي قال: كان عتبةُ قد زوَّج ابنتَه هنداً رجلاً من قريشٍ، فطلَّقها أو مات عنها، فقالت لأبيها: إنَّك زوَّجْتَني ولم تُشاورني، فإن عُدْتَ فشاورني، فخطبها أبو سفيان بن حربٍ وسُهيل بن عمرو، فقالت: صِفهما لي. فقال: أما سهيل فتقضين عليه في أهله وماله، وأما أبو سفيان فلا تُخالفينه إلّا نهاك[١]، وكلاهما سيِّدان. فاختارت أبا سفيان، وقالت: إن أتاني منه ولد يكن سيِّداً، وإن أتاني ولدٌ من سُهيلٍ يكن[٢] أحمق. فتزوَّجها أبو سفيان فولدت له مُعاوية، وتزوَّج سهيلٌ امرأةً فولدت له ولداً، فمرَّ عليه ذات يومٍ رجلٌ ومعه ناقةٌ وشاةٌ، فقال لأبيه سهيل: يا أبه، هذه بنتُ هذه، فقال سُهيل: يرحمُ الله هنداً.

ولم يذكر ابنُ سعدٍ الفاكه في أزواجِ هند، ويقال: إن الفاكه [هو] حفص، والفاكه لقب[٣].

وذكر ابن عبد ربِّه في كتاب «العقد» وقال: كانت هند عند الفاكه بن المُغيرة المخزومي، وكان له بيتٌ للضيّافة يغشاه الناسُ فيه بغير إذن، فخلا ذلك البيتُ يوماً، فدخل الفاكهُ وهند فناما فيه وقت القائلةِ، فانتبه الفاكه وخرج لبعض حاجته، وجاء رجلٌ ممَّن كان يدخلُ بيت الضيافة، فدخل، فرأى هنداً نائمةً فولَّى هارباً، وعاد الفاكه فرأى الرجل خارجاً، وهند نائمةٌ، فضربها برجله فانتبهت، فقال: من هذا الخارج من عندك؟ فقالت: والله ما رأيتُ أحداً، فقال لها: الحقي بأهلك، وخاض الناسُ في أمرها، فقال لها أبوها: أخبريني خبرك، فإن كان صادقاً دسستُ إليه مَن يقتلُه، فينقطع العارُ، وإن كان كاذباً حاكمته إلى الكاهن، فقالت: والله إنَّه لكاذِبٌ، فقال عتبةُ للفاكه: إنَّك قد رَميتَ بنتي ببُهتانٍ عظيمٍ، فإما أن تُبيِّن، وإمَّا أن تُحاكمني إلى الكاهن، فقال: أُحاكمك.

فخرجا إلى الكاهن في جماعةٍ من أهلهما، فلما شارفوا بلادَ الكاهن تغيَّر وجهُ هند، فقال لها أبوها: هلا كان هذا قبل أن يَشتهر خُروجُنا بين الناس، فقالت: والله ما ذاك لمكروهٍ [قبلي]، ولكنكم تأتون بشراً يُصيبُ ويُخطئُ، ولعله يُخطئ فيَسِمني بميسمٍ

(١) في تاريخ دمشق ١٩/ ٥٦٨: وأما أبو سفيان فرجل شرس، لا تتكلمين إلا نهاك، ولا تخالفينه إلا ضربك.
(٢) في النسخ: يكون، في الموضعين.
(٣) من قوله: ولم يذكر ابن سعد... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

يَبقى على ألسنة العرب، فقال لها أبوها: صدقتِ، ولكني سأختبره لك، ثم صفر لمهره فبال وأدلى، فعمد إلى حَبَّةِ بُرٍّ، فتركها في إحليله وأوكى عليها، ثم نزلوا على الكاهن فأكرمهم، فقال له عُتبة: قد أتيناك في أمر وقد خبأت لك خبيئاً. فقال الكاهن: ثمرة في كَمَرة. فقال: أُريد أبينَ من هذا. فقال: حَبَّةُ بُرٍّ في إحليل مُهر. فقال: صدقتَ، فانظر في أمر هذه النسوة، وكان قد خَرج معها نسوة من بني عبد مناف ـ فجعل يَمسح على رأس كل واحدةٍ منهن ويقول: قومي لشأنِك، فلم يَبقَ غير هندٍ فقال: تقدمي ومسح على رأسها وقال: قومي غير رَسْحاء ولا زانية، وستلدين ملكاً يقال له معاوية. فقامت، فأخذ الفاكه بيدها، فنترتها منه، وقالت: والله لأَجتهدنَّ أن يكون من غيرك، وفارقته، فتزوَّجها أبو سفيان، فولدت معاوية[(١)].

وقال الجوهري: الرسحاءُ ـ بسين وحاء مُهملتين ـ القليلةُ لحم العَجُز والفخذَين[(٢)].

قلت: وكانت هند على غير هذه الصفة، [ذكر قصتها الموفق] بغير هذه العبارة، وزاد فيها بأن قال: كانت هند امرأةً حازمةً شاعرةً، ذات نفسٍ وأَنَفةٍ، فيُروى أنها كانت قبل أبي سفيان عند الفاكه بن المغيرة، وكان من فتيان قُريشٍ، له مجلسٌ يأتيه فيه نُدماؤه، فيدخلون بغير استئذان، فدخلتْه هند يوماً وليس فيه أحدٌ، فنامت فيه، وجاء بعض نُدَماء الفاكه فدخل البيت فرآها نائمة فخرج، فلقيه الفاكهُ خارجاً، فدخل فوجدها نائمةً، فقذفها بالرجل، ثم خرجوا إلى الكاهن، فلما قربوا من الكاهن اصفرَّ لونُها، فقال لها أبوها: إن كنت قد ألممت بذنبٍ فأخبريني حتى أحلَّ هذا الأمر قبل الفضيحة، وذكرها. وفيه: فضرب الكاهنُ بين كتفيها وقال: قومي حصاناً غير زانية[(٣)].

قال: ولما ولدت معاوية مر بها رجلٌ وهي ترقصه وهو صغير، فقال الرجلُ: إني أراه سيسود قومَه، فقالت هند: ثكلتُه إن لم يَسُد غير قومه[(٤)].

---

(١) العقد الفريد ٦/ ٨٦-٨٧.

(٢) الصحاح (رسح).

(٣) من قوله: قلت وكانت هند على غير هذه الصفة...إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، وما سلف بين معكوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) التبيين ٢١٨-٢١٩.

وقد ذكرنا أن هنداً أسلمت يوم الفتح وبايعت بعد إسلام زوجها أبي سفيان، وردَّها رسولُ الله إما بنكاحٍ جديدٍ أو بالنكاح الأول على اختلاف الروايات. وذكرنا في غزاة الفتح أنها كَلَّمت رسول الله ﷺ وقالت: أنا هند بنتُ عتبة، فقال: مرحباً بك، وأنها قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلٌ شحيح، لا يُعطيني وولدي ما يكفيني، فقال: «خُذي من ماله ما يَكفيك وولدك بالمعروف»(١)، وأنها لما بايعت رسول الله ﷺ وقال: «ولا تقتلن أولادَكن» قالت هند: أنت قتلتَهم(٢).

وقد أخرجه ابنُ سعدٍ عن عبيد الله بن موسى، عن عمر بن أبي زائدة(٣)، عن الشعبي.

ولم يذكر ابن سعدٍ تاريخَ وفاتها، وذكره ابن إسحاق والزُّبير بن بكار والموفق في الأنساب فقال: تُوفّيت هند بنت عتبة في سنة أربع عشرة، في اليوم الذي تُوفّي فيه أبو قُحافة والد الصديق بمكة(٤).

وذكرها جدّي في «التلقيح»(٥) وقال: لما قال لها رسول الله ﷺ: «ولا تقتلْنَ أولادكن» قالت(٦) له: وهل تركتَ لنا ولداً إلا قتلتَه يوم بدر.

وفي الصحابيات جماعةٌ اسمُ كلٍّ واحدة منهن هند، إحداهن هذه، وهند بنت أسيد ابن حُضَير، وهند بنت [أبي] أُميَّة وهي أم سلمة زوجةُ النبي ﷺ وهند خولانية امرأة بلال بن رباح، وهند بنت أوس بن شريق، وهند بنت أبي سفيان بن حرب وأمُّها صفية بنت أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس(٧).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١١)، ومسلم (١٧١٤).

(٢) سلف في السيرة.

(٣) في (ك) عن عبد الله بن موسى بن عمران بن أبي زائدة، وليس في (أ) و(خ) إلى نهاية الفقرة، والمثبت من تاريخ دمشق ١٩/ ٥٧٣، وتهذيب الكمال ٥/ ٦٤ (ترجمة عبيد الله) و ٣٦٤ (ترجمة عمر بن أبي زائدة)، وانظر طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٢٦.

(٤) التبيين ٢١٩.

(٥) في ص٣١٩.

(٦) من قوله: قالت هند أنت قتلتهم... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٧) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٤٦، وما بين معكوفين منه.

وقال الهيثم[١]: حضرت هند مع زوجها أبي سفيان يوم اليرموك، وكان لها من الولد: معاويةُ وحنظلة ومحمد، قُتل حنظلة يوم بدرٍ. انتهت ترجمة هند[٢].

أم سَليط بنت عُبيد بن زياد

أنصاريّة، وهي أمُّ قيس أيضاً، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ، وشهدت أُحداً وحنيناً، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَتعاهَدُها.

فأخرج البخاري عن عمر أنه قَسم مُروطاً بين نساء أهل المدينة، فبقي منها مِرطٌ جيّد، فقيل له: أعطِه لابنة رسول الله ﷺ التي عندك ـ يُريدون أمَّ كلثوم بنت علي رضي الله عنهما ـ فقال: أمُّ سَليط أحقُّ به منها، فإنها ممن بايع رسول الله ﷺ، وكانت تَزْفِرُ لنا القِربَ يوم أُحد، فبعث به إليها[٣].



(١) من قوله: وفي الصحابيات جماعة... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) هذه العبارة من (ك)، وجاء عقبها ترجمة أم عمارة، سلفت قريباً، وانظر في ترجمة هند إضافة إلى ما سبق الاستيعاب (٣٤٧٧)، والإصابة ٤/ ٤٢٥ .

(٣) صحيح البخاري (٢٨٨١)، وانظر ترجمة أم سليط في طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٨٩ ، والاستيعاب (٣٥٣١)، والمنتظم ٤/ ١٨٩ ، والإصابة ٤/ ٤٦٠ . وترجمة أم سليط ليست في (ك).

السنة الخامسة عشرة من الهجرة

وفيها كانت وقعةُ المرجِ بدمشق، جهَّز هِرَقْلُ بِطريقاً يُقال له: توذرا من عُظماء أصحابِهِ، فنزل المرجَ، فخرج إليه يزيد بنُ أبي سفيان، فقتله واستباح الرومَ، وكان أبو عُبيدة وخالدٌ ﵄ قد أَوْغلا في بلاد الروم، فقتلا جمعاً من البطارقة، وهرب هِرَقْلُ إلى الرُّهاء، وجاء أبو عبيدة وخالد فنزلا حمص.

فصل في ذكر فتوح حمص

أقام عليها عسكر المسلمين مُدَّة، وكان بها جَمْعٌ عظيمٌ، واشتدّ عليهم الحصارُ، واتفق أنها زُلزلت، فوقعت دورٌ كثيرةٌ وقطعةٌ من سور البلد، فبادروا إلى الصُّلح، ولم يعلم أبو عبيدة بما حدث فيهم، فصالحهم على صلح دمشق، وكتب بالفتح إلى عمر، وبعث بالغنائم مع عبد الله بن مسعود وقال له: أخبره بأن هرقل قطع الفُرات.

ذكر فتح حصن قِنَّسرين

كان على الحاضر بِطريقٌ يقال له: مساس في جمع، وكان مثل هرَقْلَ في عيونِ الروم، فنازله خالدٌ، فخرج إليه فاقتتلا، فقتله خالد وفتح حصن قِنَّسرين وأخربهُ، وصالح أهلها على صلح دمشق.

ذكر مسير هِرَقْلَ إلى القسطنطينية

لما عبر هِرَقْلُ إلى الفُرات جهَّز إليه أبو عبيدة الجيوش، فنازلوا الرُّهاء، فسار إلى سُمَيْساط، ثم تحمَّل إلى الروم، والتفت إلى الشام وقال: السلامُ عليك يا سورية ـ يعني الشام ـ قد كنت[1] أُسلِّم عليك سلامَ مُوَدِّع، وهذا سلامُ مفارقٍ لا اجتماع بعده أبداً، وهذا قولُ ابن إسحاق، وقال سيف: إنما خرج هرقل إلى القسطنطينية في سنة ست عشرة[2].

---

(١) في (ك): يعني الشام قال يا سورية قد كنت.

(٢) من قوله: وهذا قول ابن إسحاق... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

وفيها كتبَ عمر بن الخطّاب إلى أبي عبيدة أن يُولّي معاوية بن أبي سفيان حرب قَيْسارية، ويولي عمرو بن العاص حرب إيلياء يعني بيت المقدس، وقال هشام: إنَّما وَلِيَ حربَ الساحل عمرو بن العاص[1].

وفيها جرت وقعةٌ أخرى بأجنادين. قال سيف وغيره: لما فتحت حمص وقِنَّسرين اجتمع عسكرُ الروم بأجنادين وقَيْساريّة وغزّة والسواحل، فجهَّز إليهم أبو عبيدة شُرَحبيل بن حَسَنة ومعاوية وعمرو بنَ العاص وعلقمة بن مُجَزِّز، وكان بأجنادين الأرطَبون من عظماء الروم، وبغزة القيقار عظيمٌ آخر، فنازل معاوية قيسارية، فخرجوا إليه مراراً وهو يهزمهم، فيقال: إنه قتل منهم ثمانين ألفاً، ثم افتتحها، وكان الأرطبون ملكاً ذا رأي داهيةً، وهو نائب هرقل بالسواحل والقدس.

ومضى علقمة بن مجزز فنازل القيقار بغزة، والأرطبون نازلٌ بأجنادين، وعساكر المسلمين بإزائه، عليهم عمرو بن العاص لا يَقدرون على شيءٍ، وكان عمر قد استخلف أبا الأعور السُّلَمي على الأردن، وجعل على مقدّمته شرحبيل بن حَسَنة، وعلى الميمنةِ ولده عبد الله بن عمرو، وعلى الميسرة جُنادة بن تميم المالكي، فنازل أجنادين، والروم في الحصون قد خَندقوا عليهم، ورتَّب الأَرطبون العساكر بالرَّملة وإيلياء، فأقام عمرو مُدَّةً لا يقدرُ منهم على شيء، فسار[2] فنزل على غزة، فبعث إليه عِلْجُها: ابعث إليّ رجلاً من أصحابك حتى أكلّمه، [ففكّر عمرو وقال: مالهذا أحد غيري، فخرج حتى دخل على العِلْج فكلّمه، فسمع كلاماً لم يسمع مثلَه قط، فقال العِلج: حدِّثني هل في أصحابك أحدٌ] مثلُك[3]، فقال: لا تسأل عن هواني عليهم إذ بَعثوني إليك، وعَرَّضوني لما عَرّضوني له، [ولا يَدرون ما تصنع بي] فأمر له بجائزةٍ وكُسوة، وأرسل إلى بوّابه: إذا مرَّ عليك فاقتُله وخُذْ مامعه، فمرّ عمرو برجلٍ من نصارى غَسّان فعَرفه، فقال: يا عَمرو، قد أحسنتَ الدخول فأحسن الخروج، ففَطِن،

---

(١) قوله: وقال هشام... ليس في (أ) و(خ).

(٢) في (ك): لا يقدر منهم على شي، فدخل عمرو على الأرطبون في زي رسول، فعرفه، فأراد قتله، فخدعه عمرو ونجا منه. وبهذا اختصر القصة التي وردت في (أ) و(خ).

(٣) في (أ) و(خ): ابعث إلي رجلان من أصحابك حتى أكلمه يقال مثلك، والمثبت من العقد الفريد ١/ ١٢٤ .

فعاد إلى العِلج، فقال له: ما الذي رَدَّك؟ فقال: نظرتُ فيما أعطيتَني، فلم أجد ذلك يَسَعُ بني عميّ، وقد أردتُ أن آتيك بعشرةٍ منهم لتُعطيهم هذه العطيّة، فيكون معروفُك عند عشرة خيراً [من أن يكون] عند واحد، فقال: صدقتَ، وأرسل إلى البوّاب: لا تقتلْه، وخرج، فلما صالح العِلْج بعد ذلك ودخل على عمرو قال له: أنت هو، قال: نعم على ما كان من غَدرِك، ولما بلغ ذلك عمر بنَ الخطاب رضوان الله عليه أنكر على عمرو وقال: غَرَّرْتَ بنفسك فلا تَعُدْ، وقيل: إن الواقعة كانت لعلقمة بن مُجزّز[1].

وقال ابن الكلبي ـ وقد حكاه جدي في كتاب «الأذكياء» ـ إن الواقعة كانت مع القيقار صاحب غزَّة[2].

وقال سيف[3]: ثم التقوا بأجنادين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتل بينهم خلقٌ كثير، وهرب الأرطبون إلى إيلياء، وقيل: بل سار على حاميةٍ[4] حتى نزل القدسَ بجموعه، ونزل عمرو بأجنادين، فأرسل إليه الأرطبون: والله لا تفتحُ بعد أجنادين من فلسطين شيئاً، فارجع ولا تتعب، فإنَّ صاحب هذا الفتح رجلٌ اسمه على ثلاثة أحرف، ففهم عمرو أنه عمر، فجمع الأمراءَ وأخبرهم، فقالوا: اكتب إلى أبي عُبيدة، فكتب إليه، وقيل: إن عَمراً هو الذي كتب إلى عمر، فأخبره بما قال الأرطبون، فعزم عمر على الخروج إلى الشام، وكان في كتاب عمرو إلى عمر: إنَّ القوم قد وجدوا في كُتبهم صفتك، وقد اجتمع ببيت المقدس من الملوك والبطارقة والعظماء والعَدد والعُدد ما لا يدخُلُ تحت حد ولا حصر، فاقدُم لعلَّ الله أن يَجعل هذا الفتح العظيم على يدك.

ذكر خروج عمر بن الخطاب إلى الشام المرة الأولى

وقد اختلفوا في صفة قُدومِه، قال علماء السير: وهذه أوّلُ خَرْجةٍ خرجها في الإسلام، أما في الجاهلية فقد خرج تاجراً مراراً ودخل دمشق. وقيل: إن خَرْجاته إلى

(١) من قوله: فسار فنزل... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) الخبر في الأذكياء ٤٥ عن ابن الكلبي بين عمرو بن العاص وعلج غزة، كما وردت عن العقد.

(٣) من قوله: وقال ابن الكلبي... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٤) في (أ) و(خ): على حاله.

الشام، فما وصل إلى دمشق(١).

قال سيف: ولما عزم على المسير قال له علي بن أبي طالب: أين تُريد بنفسك وبين يديك عدوٌّ كَلِبٌ؟! أقم ولا تُغرّر بنفسك، فقال: أبادرُ بجهاد العدوّ موتَ العباس(٢)، إنكم إن فقدتم العباس انتقض(٣) بكم الشرّ كما يُنتقض الحبْل، فمات العباس [لستّ خلون من إمارة عثمان] فانتقض بالناس الشر(٤)، واستخلف على المدينة عليَّ بن أبي طالب، وكتب إلى أمراء الأجناد(٥) بالشام أن يَستخلفوا على أعمالهم، ويُوافوه بالجابية، فكان أوّل مَن لَقيه يزيدُ بن أبي سُفيان، ثم أبو عبيدة، ثم خالدُ بنُ الوليد.

قال الهيثم: وكان عليهم أَقبيةُ الدِّيباج والحرير، وهم على الخيول المسومة(٦)، فنزل عمر عن بعيره، وأخذ الحجارة، وجعل يرميهم بها، وقال: ويحكم إيّاي تَستقبلون بهذا؟ ما أسرع ما نسيتم، لقد كَثُرت فيكم البِطنة، وإنما شبعتُم منذ سنين، ولو فعلتموها على رأس المئة لاستبدلتُ بكم غيركم، فقالوا: يا أمير المؤمنين، إن علينا السلاح، ونحنُ في مقابلة العدوِّ، فقال: نعم إذن.

ثم نزل الجابية فرآه رجلٌ من يهود دمشق، فقال: السلامُ عليك يا فاروق، أنت والله صاحبُ إيلياء، لا تَرجعُ عنها حتى تفتحها، فقال عمر: إن شاء اللهُ تعالى.

ذكر خطبة عمر بالجابية

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن ابن عمر: إن عمر خطب بالجابية فقال: قام فينا رسولُ الله ﷺ مَقامي فيكم فقال: «استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يَلونهم، ثم

(١) من قوله: ذكر خروج عمر... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) في هامش (خ) حاشية نصّها: يعني أن عمر رضي الله عنه يستفتح بعمه عليه السلام ويستبشر ويتبرّك بوجوده الشريف، فأراد فتح المسجد الأقصى قبل موته.

(٣) في (خ) و(م): لا ينقض، والمثبت من المنتظم ٤/ ١٩٢، والطبري ٣/ ٦٠٨.

(٤) من قوله: وبين يديك عدو كلب... إلى هنا، ليس في (ك).

(٥) في (ك): الأمراء والأجناد.

(٦) في هامش (خ) حاشية نصها: حكمة في بيان المغلوبية للعدو فتأمل.

الذين يَلونهم، ثم يَفشو الكذبُ، حتى إن الرجل ليَبتدئ بالشهادة قبل أن يُسألها، فمَن أراد بَحْبَحَة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطانَ مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد. لا يَخلُونَّ أحدُكم بامرأةٍ، فإن الشيطان ثالثُهما، ومَن سَرَّته حسنتُه وساءته سيئته فهو مؤمن»[١]. هذا لفظُ المسند، وأما الخطبةُ فقد رواها ابن إسحاق والواقدي وهشام، وهي خطبةٌ طويلةٌ كثيرة الروايات، منها أنه قال بعد حمدِ الله والثناء على رسولهِ: أيُّها الناسُ[٢]، أَصلحوا سرائركم تَصلح علانيتُكم، واعملوا لآخرتكم تُكفَوْا أمرَ دُنياكم، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أب لمعرِقٌ في الموتى، سمعتُ حبيبي - وبكى وقال - رسول الله ﷺ يقول . . . وذكر هذا الحديث[٣]. وقال الواقدي: وجاءه أهلُ الجابية فصالحوه على الجزية.

حديث راهب دير العَدَس

روى زيدُ بن أسلم عن أبيه قال: لما نزل الجابيةَ عمرُ، أتاه راهبُ دير العَدَس بكتابٍ فقال: أوفِ بشرطي، فلما رآه عجِب ووفى له، فقيل لعمر: ما هو؟ فقال: خرجتُ في الجاهلية إلى الشام، فدخلتُ دمشق ومعي تجارةٌ، فبينما أنا أمشي في بعض أسواقها إذا ببِطريقٍ قد قبض على يدي، وجاء بي إلى كنيسةٍ فيها تُراب كثير فقال: أخرجه، وجاءني بمِجرْفةٍ وزِنْبيل، قال: فوقفتُ مُتحيراً في أمري لا أدري ما أصنع؟ وجاءني وقت الهاجرة فقال: ما أراك صنعتَ شيئاً، ولطمني في رأسي لطمةً هائلةً، فضربته بالمجرفة في رأسه فنثرتُ دماغَه، وحفرت له في التراب ودفنتُه، وخرجت من البلد لا أدري أين أذهب؟

فمشيتُ يومي وليلتي، فانتهيتُ إلى ديرٍ، فجلستُ تحت حائطه، وإذا بهذا الشيخ الراهب قد خرج من الباب، فصوَّب النَّظر فيَّ وقال: أرى عينك عينَ خائفٍ، ادخل. فدخلتُ فقدَّم إليَّ طعاماً، فأكلتُ، وهو يُصوِّبُ النظر ويُصعِّدهُ فيَّ، فقلت: مالك؟ فقال: اعلم أنه لم يَبق على وجه الأرض أعلمُ مني بالكتب السالفة، وإني أجد هذه

---

(١) مسند أحمد (١١٤).

(٢) من قوله: هذا لفظ المسند... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٣) من قوله: سمعت حبيبي... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، وإنما جاء بدله فيهما: وهي طويلة.

الصفةَ في كُتبنا، وأنك تُخرجنا من هذه الأرض، فقلت: لقد ذهبتَ كلَّ مَذهب، وضَللتَ وما أنت إذاً من المهتدين، فقال: ما اسمُك؟ قلت: عمر، قال: أنت والله صاحبُنا من غير شكّ، ثم أخرج إليَّ هذا الكتاب، وقال: اكتب لي على ديري ومافيه، فإن كنتَ ذاك فما يَضرُّك، فكتبتُ له، وختمتُ عليه، وزوَّدني طعاماً كثيراً، ونفقةً وثياباً، ودفع إلي أتاناً وقال: اركبها، فإنك لا تمرُّ بأهل دَيرٍ إلا أكرموك وعلفُوها وسقوها، فإذا بلغتَ مَأمنك فاضرب وجهها مدبرة، فإنها ترجع إلي.

قال: فخرجتُ، فوجدتُ ماقال، ووجدتُ رِفقةً من أصحابي، فضربتُ وجهها فولَّت مُدبرةً، ثم أكرم الراهب، وكتب في كتابه:

وعليكم أن تُضيفوا المسلمين، وتقوموا بأمر المرضى وتدلوا الحائرين(١)، قال: نعم.

وقال طارق بن شهاب: لما قدم رضوان الله عليه الشام تلقته(٢) الجنود وعليه إزارٌ وخُفَّان وعمامة، وهو آخذٌ برأس راحلته يخوض الماء، وقد نزع خُفَّيه ووضعهما(٣) تحت إبطيه، فقيل له: يا أمير المؤمنين، الآن تَلقاك الجنود وبطارقةُ الشام وأنت على هذه الحال، فقال: إنا قوم أعزَّنا الله بالإسلام، فلا نطلب العزَّ بغيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعتَ اليوم صنيعاً عظيماً عند الناس، فصكَّ عمر في صدره وقال: لو غيرك يقولها، ثم قال: ويحك يا عامر، كنتم أذلَّ الناس وأقلَّهم وأحقرهم، فأعزَّكم الله بالإسلام، فمهما تَطلبون العِزَّ بغيره يُذلَّكم الله. ثم جيء ببِرذونٍ، فقيل له: اركب هذا ليراك العُظماء، فقال: دعوني، وأشار بيده إلى السماء(٤)، ولم يركبه.

وقال زيد بن أسلم: لما خرجَ عمر إلى الشام سلك على طريق أَيلة، فلما قرب من الشام عمد إلى مَركب أسلم فركبه وعليه فَروٌ مقلوب، وحوَّل غلامَه إلى مركبه، وكان على جملٍ أحمر قد ارتدى بعمامته، وتحته حقيبة على فرو، والعباس بين يديه على

---

(١) في (أ) و(خ): وتنزلوا الجائزين، والخبر في المجالسة (٢٠٠١)، وتاريخ دمشق ٥٣/ ٤ ـ ٥ و ١٨/ ١٤٥-١٤٦ (مخطوط).

(٢) في (ك): لقيته.

(٣) في (ك): وجعلهما.

(٤) في تاريخ دمشق ٥٣/ ٢ : إنما الأمر من ها هنا وأشار بيده إلى السماء.

فرس، وكان العباس وسيماً جميلاً، فجعل البطارقةُ والعظماء يُسلمون على العباس، وهو يُشير إلى عمر، فيرجعون فيُسلّمون عليه، وسجد له جماعةٌ من القِسّيسين والرهبان فمنعهم وقال: لا ينبغي السجودُ إلا لله تعالى، وقالوا: ما رأينا أحداً أشبه بأوصاف الحواريين من هذا الرجل[١].

وقال هشام: تلقّاه أهلُ الأديان والمقلِّسون بالسيوف والرَّيحان، فكره عمر النظر إليهم، وقال: ردُّوهم، فقال له أبو عبيدة: إنها سنة الأعاجم، فإن منعتَهم ظنوا في نفوسهم أنه نقضٌ لعهدهم، فقال عمر: دعوهم، عمر وآل عمر في طاعة أبي عبيدة[٢]. قال الجوهري: التقليس: الضرب بالدف والغناء[٣].

وكان أبو عبيدة لما التقى عمر قبَّل عمر يدَ أبي عبيدة.

وقال الواقدي: قدم عمرُ الشام على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف، فتلقَّاه معاوية بن أبي سفيان في موكبٍ نبيلٍ، فجاوز عمر ولم يعرفه، فأُخبر أنه قد تقدّمه، فرجع إليه فترجَّل، وقبَّل يده، ومشى إلى جنبه وعمر مُعرض عنه، فقال له عبد الرحمن: أتعبت الرجل فقال له عمر: يا ابن أبي سفيان، أنت صاحبُ الموكب آنفاً مع ما يبلغني من وقوف ذوي الحاجات على بابك؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، إنا في بلاد فيها جواسيس العدو، ولا بد ما نردعهم بما نُروّعهم به من هيبة السلطان، فإن أمرتَني أقمتُ على ما أنا عليه، وإن نهيتَني انتهيتُ، فلم يرد عليه شيئاً[٤]، وفي رواية: علِّمني وفهِّمني - وهي جيدة في الجواب - فلم يردّ عليه شيئاً.

وقال أبو العالية الرِّياحي[٥]: قدم عمر رضوان الله عليه الشام على جملٍ أَوْرق، تلوح صَلعتُه [في الشمس]، ليس عليه عمامةٌ ولا قلنسوة، قد طبق رجليه بين شُعْبَتَي

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٩٠٢-٩٠٣ .
(٢) أخرجه البلاذري في فتوح البلدان ١٤٥ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٢/ ١١٦-١١٧ (الفكر)
(٣) الصحاح (قلس).
(٤) تاريخ دمشق ٥٩/ ١١٢ (الفكر).
(٥) في تاريخ المدينة ٨٢٤-٨٢٥، ومناقب عمر ١٢٦ : أبو الغالية الشامي، وفي المجالسة (٩٨٦): أبو الغادية =

رحْلِه بغير ركاب، وتحته كساء من دبر، وهو فراشه إذا نزل، وعليه قميص من كرابيس قد دَسِم وتَخَرَّق جَيْبه[(١)]، فقال: ايتوني بقميص، واغسلوا قميصي هذا، فأتوه بقميص كتّان، [فقال: ما هذا؟ قالوا: كتان، قال: وما الكتان؟ فأخبروه] به، وقال: ايتوني بكرابيس، فأتوه به، فنزع ثوبَه وقال: اغسلوه، فقال له دهقان الجابية: أنت ملك العرب، وهذه البلاد لا تصلح فيها الإبل[(٢)]، فلو ركبتَ بِرذونا، فأُتي ببرذون، فطرح عليه قطيفةً، بغير سَرْج ولا رَحْل، فركبه وسار هُنَيَّةً وقال: احبِسوا، ما كنتُ أظنُّ أن الناس يَركبون الشياطين قبل هذا، عليَّ بجملي، فجيء به فركبه[(٣)].

وقال هشام: لمّا نزل عمر الجابيةَ جاء إليه عظماءُ أنباط الشام، وقالوا: قد صنعنا لك طعاماً، ونُريدُ أن تدخُل كنيستَنا، فقال عمر: في كنائسكم الصُّورُ، وإنَّ الملائكةَ لا تدخُلُ بيتاً فيه صورةٌ، ومَن دخل بيتاً فيه صورةٌ حبط عملُه أربعين صباحاً، ثم قال لأبي عبيدة: انطلق معهم، فذهب ومعه المسلمون، فدخل كنيستهم، وتغدّى ومَن معه من المسلمين، وجعل يقول: ما ضَرَّ أمير المؤمنين لو دخل وتغدَّى[(٤)].

ذكر وقف عمر الشام

ذكر علماءُ السير أن عمر لمّا قدم الجابية استشار الصحابةَ في الشام: هل يقسمه بين الغانمين، أو يُوظِّف عليه الخراج، أو يوقفه على جميع المسلمين؟ فأشار بعضهم بالقسمة، وبعضهم بتوظيف الخراجِ، فقال له معاذ بن جبل: يا أمير المؤمنين، أوقفه على المسلمين فهو أنفعُ لهم، فأجابه عمر إلى ذلك، وأثنى عليه وشكره.

ذكر مسير عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس

قال سيفٌ وغيره: لما توجَّه عمرُ من الجابية إلى فلسطين هرب الأرطبونُ والتذارق

= الشامي، وفي تاريخ دمشق ٥٣/ ٢٦٠ : أبو العادية الشامي، وفي تهذيب الكمال (ترجمة عبد الله بن مسلم): أبو العالية الشامي.

(١) في (أ) و(خ): جنبه.

(٢) في (أ) و(خ): لا يصلح ما فيها إلا بك.

(٣) من قوله: وفي رواية علمني وفهمني... إلى هنا ليس في (ك).

(٤) تاريخ دمشق ١٢/ ١١٣ (مخطوط).

صاحب الرملة ومَن في الحصون الساحلية إلى مصر، وكانت الرومُ قد أخذتها من اليونان على ما ذكرنا في صدر الكتابِ[١]. فجهّز عمر عَمرو بنَ العاص، وأردفه الزبير معاوناً له، ولما وصل عمر إلى القُدس خرجَ الرهبان والأقِساءُ والشمامسة والأكابرُ، ودخلوا بين يديه، فأتى محراب داود عليه السلام فصلى فيه، وقرأ سورة «ص» وسجد، وسأل عن الصخرةِ فلم ير لها أثراً. كانت الروم أو اليهودُ قد ألقت عليها الكُناسة، وكان معه كعب الأحبار فقال له: أين الصخرةُ؟ فقال: اذْرَع من الحائط الشرقي كذا وكذا ذراعاً، فذرع فبدت الصخرة، فنظّفها، وأراد أن يجعل المحرابَ فيها، فقيل له: يضيقُ المسجد بالناس، فوضعه في آخر الحرمِ عند مهد عيسى عليه السلام، وصلى عمرُ فيه وعاد إلى الجابية، ثم عاد إلى المدينة.

فصل: وفيها فرض عمر الأُعطية للمسلمين على قَدر السوابق في الإسلام، ودوَّن الدواوين، وقد اختلفوا في ذلك؛ فقال ابن الكلبي: فعل ذلك في هذه السنةِ. وحكى ابن سعدٍ عن الواقدي أنه فعل ذلك في سنةِ عشرين[٢]. وقولُ الكلبيّ أصحُّ.

وكان رضوان الله عليه استشار المسلمين في تدوين الدواوين، فقال له عليّ رضوان الله عليه: تقسم كلَّ سنة ما اجتمع عندك من مال، ولا تُمسك منه شيئاً، وقال عمار رضوان الله عليه[٣]: أرى مالاً كثيراً يسع الناس وإن لم يُحصَوا، حتى تعرف من يأخذ ممن لم يأخذ، خشية أن ينتشر الأمر، فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين، إني جئتُ الشام، فرأيت ملوكها يُدوِّنون ديواناً، ويجنّدون جنوداً، فأخذ بقوله، فدعا عَقيل بن أبي طالب ومَخرمة بن نوفل وجُبير بن مُطعِم، وكانوا من نُسَّاب قريش فقال: اكتبوا للناس على منازلهم، فبدؤوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم بني تميم أبا بكر رضوان الله عليه وقومَه، فنظر فيه عمر رضي الله عنه فقال: ابدؤوا بقرابة رسول الله ﷺ، الأقرب فالأقرب، حتى تَضعوا عمر حيث وضعه الله، فجاءت بنو عدي إليه فقالوا: أنت خليفةُ أبي بكر، وأبو بكر خليفةُ رسول الله ﷺ قال: وعلى ذلك؟! قالوا: فلو

(١) سلف في أخبار الأمم الماضية.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٦.

(٣) في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٥، وفتوح البلدان ٤٣٦: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

جعلتَ نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم، فقال: بخٍ بخ يا بني عديّ، أردتم الأكلَ على ظهري، وأن أذهب لكم بحسناتي، لا والله، حتى تأتيكم الدعوة، وإني أُطبق عليكم الدفتر، إن لي صاحبَيْن سلكا طريقاً، فإن خالفتُهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضلَ في الدنيا، وما نرجو من الأجر في الآخرة إلا بمحمد ﷺ، فهو شرفنا، وقومُه أشرف العرب.

ثم أمر بالأقرب فالأقرب، حتى انتهى إلى الأنصار، فقالوا: بمَن نبدأ؟ فقال: برهط سعد بن معاذ الأشهلي رضي الله عنه، ثم أهلِ السوابق والمشاهد، قيل له: إن أبا بكر رضوان الله عليه سوَّى بين الناس، فقال: لا أجعل مَن قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه، فبدأ بعد الأقرب فالأقرب بمن شهد بدراً من المهاجرين، ثم بالأنصار، يفرض لكل واحدٍ منهم خمسةَ آلاف درهم في كل سنة، حليفُهم ومولاهم معهم على السواء، وفرض للعباس رضي الله عنه خمسة آلاف درهم، وقيل: سبعة آلاف درهم، وفرض لأزواج رسول الله ﷺ لكلّ واحدة اثني عشر ألفاً، وفرض لمن هاجر قبل الفتح، لكلّ رجل ثلاثة آلاف درهم، وفرض لمسلمة الفتح، لكلّ رجل ألف درهم[(١)]، وفرض لغلمان أحداث أبناء المهاجرين والأنصار كمسلمة الفتح، وفرض لعمر بن أبي سلمة أربعة آلاف درهم، فقال محمد بن عبد الله بن جحش: لِمَ يُفضّل علينا عمر؟ فقد هاجر آباؤنا وشهدوا المشاهد، فقال عمر رضوان الله عليه: أُفضِّله لمكانه من النبي ﷺ، وأنه ربيبُه، فليأت الذي يَستعتب بأمٍّ مثل أمِّ سلمة أُعتبه، وفرض لأسامةَ بن زيد رضي الله عنهما أربعة آلاف درهم، [فقال عبد الله بن عمر: فرضتَ] لي ثلاثة آلاف، وقد شهدت مالم يَشهد أُسامة، فقال: إنما زِدتُه لأنه كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، وكان أبوه أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك، ثم فرض[(٢)] للناسِ على قَدْرِ منازلهم وقرابتهم، وفرض للنساءِ المهاجِرات: لصفية بنت عبد المطلب ستة آلاف درهم، ولأسماء بنت عُميس ألفَ درهم، وكذا لأُمِّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ، ولأُمِّ عبد الله بن مسعود. وفرض للمنفوس مِئة درهم، فإذا ترعرع فرض له مئتي درهم فإذا بلغ زاده مئةً، [وكان إذا أُتي

(١) في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٧ : وفرض لمسلمة الفتح لكل رجل منهم ألفين.

(٢) من قوله: وكان عمر رضوان الله عليه استشار المسلمين في تدوين الدواوين... إلى هنا ليس في (ك).

باللقيط فرض له مئة درهم، وفرض له رزقاً يأخذه وليه كلّ شهرٍ بقدر ما يصُلحه،] وكان يَنقله من سنةٍ إلى سنةٍ، ورضاعُه ونفقتُه في بيت المال.

وكان يقول: والله الذي لا إله إلا هو، ليس أحدٌ من الناس إلّا وله في هذا المال حقٌّ، ولئن بقيتُ لأبعثنَّ إلى الراعي بجبل صنعاء حقَّه منه قبل أن يحمرَّ وجهُه، يعني في طلبه(١).

وروى ابن سعدٍ عن أبي هريرة قال: قدمت على عمر من البحرين بخمس مئة ألف درهم، فصلَّيتُ معه العشاءَ فقال: ماذا جئتَ به؟ قلتُ: بخمس مئة ألف درهم، قال: ويحك، هل تدري ما تقولُ؟ قال: قلتُ: جئتُ بمئة ألفٍ ومئةِ ألفٍ حتى عددتُها خمس مئة ألف، قال: أنت ناعسٌ، ارجع فنم عند أهلك، فإذا أصبحتَ فأتني، فلما أصبحتُ جئته من الغد، فأعاد عليّ القول، فأجبتُه بمثل ذلك، قال: فقسمه في الناس فلم يدع منه دِرهماً(٢).

وحكى ابن سعدٍ عن الواقدي عن أشياخه قالوا: أرسل عمرُ إلى زينب بنت جحش بمالٍ، فقالت: يرحم اللهُ عمر! غيري من أخواتي كان أحقَّ مني، وسترت بينها وبين المال بثوبٍ ثم فرَّقته، واختلفوا فيه: فقال قومٌ: كان اثني عشر ألفاً، وقال آخرون: أربعين ألفاً، ثم رفعت يديها إلى السماءِ وقالت: اللهمَّ لا يُدْركني عطاءُ عمر بعدها، فماتت قبل العطاء(٣).

قال: وكان عمر يقول: لئن عشتُ لأدعنَّ أرامل العراق لا يَحتَجْن إلى أحدٍ بعدي، وإني لأرجو أن أكيلَ لهم المال بالصَّاع كَيلاً.

ولما أعطى الناس على مقدار السَّوابق، كلّمه سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وأقرانُهما في تقليل أعطياتهم، فقال: إنما أعطي على السوابق في الإسلام، لا على الأحساب، ثم أعطى بعد ذلك سهيل بن عمرو والحارث(٤) بن هشام أربعة آلاف أربعة

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٦-٢٧٩ ، وما بين معكوفات منه، وفتوح البلدان ٤٣٥-٤٣٨ .
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧٩ .
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٠ .
(٤) في (أ) و(خ): بن الحارث، وهو خطأ، ومن بداية الفقرة ليس في (ك).

آلاف؛ معونةً لأجل جهادهما.

ولما كتب الديوان قال له كبار الصحابة؛ كعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف ﷺ: ابدأ بنفسك أوّلاً، فقال: لا والله، بل أبدأ بعمّ رسول الله ﷺ، ثم بالأقرب فالأقرب من رسول الله ﷺ، فبدأ بالعباس ﷺ، ففرض له خمسة وعشرين ألفاً، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف درهم لكلّ رجل، وأدخل في أهل بدر الحسن والحسين ﷺ لقرابتهما، وأدخل أبا ذر وسلمان ﷺ لسابقتهما، ثم فرض لأهل الحُديبية أربعة آلاف درهم لكلّ رجل، ثم لمَن بعد الحديبية إلى وفاة رسول الله ﷺ خمسة آلاف درهم، ودخل فيمن شهد الفتح[1]، ثم لمن شهد اليرموك والقادسية ألفين ألفين، وزاد فيهم مَن أبلى بلاءً حسناً خمس مئة خمس مئة، فقيل له: لو ألحقت أهل اليرموك والقادسية بمَن تقدَّم، فقال: لاها الله ذا، لم أكن لأُلحقهم بدرجةٍ لم يدركوها، ثم فرض للمردفين الذين بعد القادسية ألفاً ألفاً، ثم لمن بعدهم[2] ثلاث مئة ثلاث مئة، وسوّى كلَّ طبقة في العطاء، الضعيف والقوي، والعربي والعَجمي.

ولما فرض لأزواج رسول الله ﷺ زاد عائشة ﷺ ألفين، فأبت أن تَقبلها، فقال: هذا لمكانِكِ من رسول الله ﷺ، فإذا أخذتيها فشأنك بها، وسأل أزواج رسول الله ﷺ عن القَسْم فقلن: ماكان يُفضّل منا واحدة، وكان قد أراد أن يَنقص مَن جرى عليها الرّق، فلما قُلن ذلك سوَّى بينهن، ثم جعل لنساء أهل بدر خمس مئة خمس مئة، ثم لنساء أهل الحديبية أربع مئة أربع مئة، ثم مابين الحديبية إلى وفاة رسول الله ﷺ ثلاث مئة ثلاث مئة، ولنساء أهل اليرموك والقادسية مئتي درهم مئتي درهم، وللصبيان من أهل بدر وغيرهم مئة مئة، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين، لو تركتَ في بيوت الأموال بيثرب عدَّة لنائبة تنوب، أو لحادثة تحدث، فقال: كلمةٌ ألقاها الشيطان على فيك، وقاني الله شرَّها، وهي فتنة لمن بعدي[3]، بل أعدّ لهم طاعةَ الله وطاعة رسوله؛ فهما

---

(١) في الطبري ٣/ ٦١٤ : ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف، وانظر المنتظم ٤/ ١٩٤ .

(٢) في (أ) و(خ): بدرجة لم يدركونها، ثم فرض للمردلاف الذين بعد القادسية ألفاً ألفاً، ثم لمن بعدهما.

(٣) في (أ) و(خ): بعدك، والمثبت من الطبري ٣/ ٦١٥ ، والمنتظم ٤/ ١٩٥ .

عُدَّتنا التي أفضينا بها إلى ما ترى، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم[١].

قال الإمام أحمد رضي الله عنه في «المسند»[٢]: حدثنا عليّ بن إسحاق، حدثنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا سعيد بن يزيد قال: سمعتُ الحارث بنَ يزيد الحَضْرمي، يحدِّث عن عُلَيّ ابن رباح، عن ناشرة بن سُمَيٍّ اليَزَنيّ قال[٣]: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول يوم نزل الجابية وهو يخطب الناس: إن الله جعلني خازناً لهذا المال وقاسماً له، وإني باديءٌ بأهل رسول الله ﷺ، ثم أشرفِهم، ففرض لأزواج النبي ﷺ عشرة آلاف إلا جُوَيرية وصَفيّة ومَيمونة، فقالت عائشة: إن رسول الله ﷺ كان يعدل بيننا، فعدل بينهن عمر.

ثم قال: إني باديء بأصحابي المهاجرين الأولين، فإنا أُخرجنا من ديارنا ظُلماً وعُدواناً، ثم أشرفِهم، ففرض لأصحاب بدر منهم خمسةَ آلاف، ولمن شهد بدراً من الأنصار أربعةَ آلاف، ولمن شهد أُحداً ثلاثةَ آلاف، قال ومَن أسْرع في الهجرة أسرع بالعطاء، ومَن أبطأ في الهجرة أبطأ في العطاء، فلا يَلومنَّ أحدٌ إلا مُناخَ راحلته.

ثم قال: وإني أَعتذرُ إليكم من خالد بن الوليد، إني أمرتُه أن يَحبس هذا المال على ضُعفاء المهاجرين، فأعطاه ذا البأس والشرف واللسان، فنزعتُه، وأمّرت أبا عبيدة بن الجرَّاح، فقال له أبو عمرو بن حفص بن المغيرة: والله لقد نزعتَ عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، وغَمدتَ سيفاً سَلّه رسول الله ﷺ، ووضعتَ لواءً نَصبه رسول الله ﷺ، وقطعتَ الرَّحِم، وحسدتَ ابنَ العمِّ، ولقد كنتَ عدوًّا لبني مَخزوم في الجاهلية والإسلام، فقال له عمر رضوان الله عليه: إنك قريبُ القرابة، حديثُ السِّنّ، تَغضب لابن عمِّك.

ذكر ما فرضوا لعمر

قال ابن سعدٍ بإسناده عن أيوب بن أبي أُمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: مكث عمر زماناً لا يأكل من بيت المالِ شيئاً، حتى دخلت عليه في ذلك خَصاصةٌ،

(١) من قوله ولما أعطى الناس على مقدار السوابق كلمه سهيل... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) برقم (١٥٩٠٦).

(٣) في (ك): وأخرج أحمد في المسند فقال بإسناده عن ناشرة بن سمي اليزني.

فأرسل إلى الصحابة فاستشارهم وقال: قد شغلتُ نفسي بهذا الأمر، فما يصلح لي منه؟ فقال عثمان بن عفان وسعيد بن زيد: كل وأطعِمْ، فقال لعلي: ماتقول؟ فقال: غَداء وعَشاء، فأخذ بقول علي.

وفي رواية ابن سعدٍ أيضاً: أن عمر[١] كان يَسْتَنْفِقُ درهمين كلَّ يومٍ له ولعياله، وأنفق في حجّته ثمانين ومئة درهم، وقال: قد أسرفنا[٢].

ولما فتح الله على المسلمين وقعة رستم[٣]، وقدمت عليه فتوح الشام، شاور الصحابة ﷺ، وقال: ماذا تَرون يحلُّ للوالي من هذا المال؟ وإني كنت امرءاً تاجراً أُعين أهلي بتجارتي، وقد شغلتموني بأمركم، فانظروا ماذا ترون؟ فأكثر القومُ وعليٌّ رضوان الله عليه ساكت، فقال: يا علي، ما تقول؟ فقال: يحلُّ لك ما أصلحك وأصلح عيالَك بالمعروف، ليس لك غيرُ ذلك، فقال القوم: القولُ ما قال علي بن أبي طالب، فرضي به.

وعن ابن عمر ﷺ[٤] قال: لما ولي عمر قعد على رزق أبي بكر[٥] الذي كانوا فرضوا له، فكان على ذلك مدّة، فاشتدت حاجتُه، فاجتمع نفرٌ من المهاجرين، منهم: عثمان وعلي وطلحة والزبير ﷺ، فقال الزُّبير: لو قلنا لعمر في زيادة تزيدونه إياها في رزقه، قال علي: وَدِدنا أنه فعل بنا ذلك، فانطلقوا بنا، فقال عثمان،: إنه عمر! فهلموا لنَسبر ما عنده من وراء وراء، تعالوا ندخل على حفصة، فنُكلِّمها ونَستكتمها أسماءنا، فدخلوا عليها، وسألوها أن تُخبره الخبر من غير تسميتهم، فأخبرته، فغضب وقال: مَن هؤلاء؟ فقالت لا سبيل إلى تسميتهم، فقال: لو علمتُ مَن هم لَسُؤتُ وجوهَهم، أنت بيني وبينهم، أُناشدك الله، [ما أفضل] ما اقتنى رسولُ الله ﷺ في بيتك من الملبَس؟ قالت ثوبَين مُمَشَّقَيْن كان يَلبَسهما للوفد، ويخطب فيهما للجُمَع والعيدين، قال: فأيّ

---

(١) من قوله: فأرسل إلى الصحابة فاستشارهم... إلى هنا ليس في (خ) و(أ).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٦-٢٨٧ .

(٣) في الطبري ٣/ ٦١٦ ، والمنتظم ٤/ ١٩٦ : وقتل رستم، وقد جمع المصنف بين روايتين لهذا الخبر واختصرهما.

(٤) الخبر في الطبري ٣/ ٦١٦ : والمنتظم ٤/ ١٩٧ ، وتاريخ دمشق ٥٣/ ٢٣٠ (الرسالة) من رواية سالم بن عبد الله.

(٥) في (أ) و(خ): على رزق أرمل؟! والمثبت من الطبري والمنتظم وتاريخ دمشق.

الطعام [ناله عندك] كان أرفع؟ قالت: خُبزة شعير بإهالةٍ سَنِخَةٍ[١] يأكل منها، قال: فأيّ البِساط كان يُبسط له؟ قالت: كساء ثخين، كنا في الشتاء نَبسط نِصفَه تحتنا ونصفَه نَتدثَّر به.

ثم ذكر عيش رسول الله ﷺ، ثم قال: أبلغيهم ذلك، وأن رسول الله ﷺ ترك فُضول الدنيا، وسأسلك ماسلك هو وصاحبه حتى ألحقَ بهما، وإلا حدتُ عن طريقهما، فيُحال بيني وبينهما[٢].

وقالت حفصةُ: مرض عمر، فوُصف له العسلُ، وفي بيت المال عُكَّةٌ من عسلٍ، فصعِد المنبر وقال: أيّها الناس، إني مريض، وقد وُصف لي العسلُ، وفي بيت المال عُكَّةٌ من عسل، فإن أَذنتم لي فيها، وإلا فهي حرام عليّ، وفي رواية: أذنوا له فيها[٣].

وحجَّ عمر بالناس.

فصل وفيها تُوفّي

سعدُ بن عُبادة

ابن دُلَيم بن حارثة بن أبي حَزِيمة بن ثعلبة بن طَريف بن الخزرج بن ساعدة، وأمُّه عَمرة بنت مسعود بن قيس، خَزرجيّة، وسعد من الطبقة الأولى من الأنصار، وكنيتُه أبو ثابت، وقيل: أبو قيس، شهد العقبة مع السّبعين، وهو أحد النُّقباء الاثني عشر، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ ماخلا بدراً، فإنه تهيَّأ للخروج إليها فنُهش، فأقام، وكان يأتي دُورَ الأنصار فيُحرِّضهم على الخروج إلى بدر، وبلغ رسولَ الله ﷺ أنه نُهش فقال: لئن كان سعد لم يشهد بدراً لقد كان حريصاً عليها.

وقال ابن سعد: كان سعدٌ سيّداً جواداً، يكتب بالعربية، وكانت الكتابة في العرب قليلاً، وكان يُحسن العَوْم والرَّميَ، وكان مَن أَحسن ذلك في الجاهلية يُسمّى الكامل.

---

(١) الإهالة: اسم للشحم والودك أو ما أُذيب منه، والسَّنِخَةُ: المتغيرةُ الريح. النهاية في غريب الأثر (أهل، سنخ). وفي الطبري ٣/ ٦١٧، والمنتظم ٤/ ١٩٧، وتاريخ دمشق ٥٣/ ٢٣١: خبزنا خبزة شعير، فصببنا عليها وهي حارة أسفل عُكّةٍ لنا ـ والعكة زق صغير للسمن ـ فجعلناها هشَّة دسمة، فأكل منها.

(٢) من قوله: ولما فتح الله على المسلمين وقعة رستم.. إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٣) أخرجه ابن سعد ٣/ ٢٥٧، والطبري ٤/ ٢٠٨، وابن عساكر ٥٣/ ٢٥٧ عن ابن البراء بن معرور.

وكان سعد وعدَّة آباءٍ له في الجاهلية يُنادى على أُطُمهم: مَن أحبَّ الشَّحمَ واللحم فليأتِ أُطُم دُلَيم بن حارثة، ثم صار يُنادى على باب سعدٍ في الإسلام كذلك[(١)].

وقال ابن إسحاق والواقدي: كانت قَصعة سعدٍ تدورُ مع رسول الله ﷺ كلَّ ليلةٍ في بيوت أزواجه، وكان إذا خطب امرأة يشترط لها جفنة سعدٍ، وكانت مرَّةً بلحمٍ، ومرةً بلَبن، ومرةً بسمن يبعث بها إليه حيث كان.

قال هشام: جاء سعدٌ ليلةً بجَفْنةٍ مملوءةٍ مُخًّا، فقال له رسول الله ﷺ: يا أبا ثابتٍ، ما هذا؟ فقال: لقد ذبحتُ أربعين ذاتِ كبدٍ، فأحببتُ أن أُشبِعَك من المخّ، فأكل ودعا له بخير.

وحكى الهيثم عن ابن سيرين قال: كان أهلُ الصُّفَّة إذا أمسَوْا انطلق الرجلُ بالرجل والرجلين والخمسة، وينطلقُ سعد بثمانين رجلاً كلَّ ليلةٍ.

وقد ذكرنا أنَّ سعداً صاحبُ السقيفة، وأنَّه امتنع من بيعةِ أبي بكرٍ واعتزلهم في قومه؛ فلم يكن يحضر معهم الجماعات، ويقف بعرفة ناحيةً عنهم، فلما تُوفي أبو بكرٍ استمر على ذلك[(٢)].

وحكى ابن سعد عن الواقدي أن أبا بكرٍ لمّا ولي أرسل إلى سعدٍ: أن أَقبل فبايع، فقال: لا والله لا أبايعُ حتى أرميكُم بما في كنانتي، وأقاتلُكم بمن تبعني من قومي وعشيرتي، فقال بشير بن سعد لأبي بكرٍ: ياخليفة رسول الله، إنه قد أبى ولجَّ، وليس بمبايعكم حتى يُقتل، ولن يُقتل حتى يُقتل معه ولدُه وعشيرتُه، ولن يُقتلوا حتى يَقتلوا الأوس، فلا تُحرّكوه، فقد استقام لكم الأمرُ، وليس بضارّكم، إنه رجلٌ واحد، فاتركوه ماترك. فقبل أبو بكرٍ مشورة بشير، وقد ذكرنا هذا فيما تقدّم[(٣)].

قال الواقدي[(٤)]: فلما ولي عمر لَقِيَه ذات يومٍ في بعض طُرُق المدينة، فقال: إيه يا سعد! فقال: إيه ياعمر! فقال عمر: أنت صاحب المقالة؟ قال سعد: نعم أنا ذاك، وقد

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٦٦ .
(٢) سلف في حديث السقيفة.
(٣) سلف في حديث السقيفة.
(٤) من قوله: فلما توفي أبو بكر استمر على ذلك... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

أفضى إليك هذا الأمر، كان والله صاحبُك خيراً لنا ـ أو أحبَّ إلينا ـ منك، وقد أصبحتُ كارهاً لجوارك فقال عمر: إنه من كَره جوار جاره تحوَّل عنه، فقال سعد: إني مُتحوِّلٌ إلى جوار من هو خيرٌ من جوارك، وخرج إلى الشام، فتُوفي بحَوران. وهذه رواية ابن سعد عن الواقدي[١].

وقال أبو اليقظان: لما قال له عمر ذلك قال له سعدٌ: هلا تحولت أنت يا عمرُ عن منازلنا وديارنا وأوطاننا حتى ترجع من حيثُ جئتَ، فأنت أولى بذلك، ثم قال: والله لا جاورتُك ولأتحوَّلَنَّ إلى جوار مَن هو خيرٌ من جوارك، وخرج سعدٌ إلى الشام معتزلاً لا يُخالطُ أحداً من الأمراء ولا غيرهم، ولا يُقاتل معهم، ولا يشهدُ مشهداً، حتى تُوفّي على ذلك.

واختلفوا في وفاتِه، فحكى ابنُ سعدٍ، عن الواقديّ، عن يحيى بن عبد العزيزِ بن سعيد بن سعد بن عُبادة، عن أبيه: أنه تُوفّي بحَوران من أرض الشام، لسنتين ونصف من خلافة عمر. قال: وكأنَّه مات سنة خمس عشرة[٢]، فما عُلمَ بموته بالمدينة حتى سمع غِلمان في بئر نصف النهار يتبرَّدون في حرٍّ شديدٍ قائلاً يقول من البئر: [من مجزوء الرمل]

قــد قــتــلــنــا ســيِّــدَ الــخَــزْ رَجِ سَــعْــدَ بــنَ عُــبــادهْ
فــرَمَــيْــنــاه بــسَــهْــمَــيْــ نِ فــلــم نُــخْــطِ فــؤادَهْ

فذُعر الغلمان، فحُفِظ ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه سعدٌ، وإنما جلس يبول في نفقٍ، فاقتُتل من ساعته، ووجدوه قد اخضرَّ[٣].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن محمد بن سيرين أنه قال: بال سعدٌ قائماً، فلما رجع قال لأصحابه: إني لأجِدُ دَبيباً، فمات، فسمعوا الجنَّ تقول: قتلنا سيد الخزرج، وذكر البيتين[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٦٩.

(٢) من قوله: وهذه رواية ابن سعد عن الواقدي.. إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٧٠، وما بعد هذا الكلام إلى نهاية ترجمة سعد ليس في (أ) و(خ).

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٧٠.

وحكى البلاذريُّ في تاريخه[١] أن سعداً امتنع من بيعة أبي بكرٍ، فوجَّه إليه رجلاً ليأخذ له عليه وهو بحوران، فأبى، فرماه بسهمٍ فقتله، قال: وفيه يُروى هذا الشعر الذي تنتحله الجن.

قلت: وهذا وهمٌ من البلاذريِّ؛ لاتِّفاق أهل السِّير على أن سعداً ما خرج من المدينة إلا بعد موت أبي بكر.

وقال أبو عبيدٍ القاسمُ: مات سعد سنةَ أربع عشرة، وقيل: سنة ست عشرة، والأول أصحّ وأثبتُ، وذكر أبو القاسم بن عساكر في تاريخه[٢] أن سعداً سكن دمشق. قلت: ولا يُعرفُ بحوران قبرُ سعدٍ، وإنما بغوطة دمشق بقريةٍ يُقال لها: المنيحة، فيها قبرٌ يُعرف بسعدٍ، فيحتمل أنه مات بحَوران، ثم نُقل إليها[٣].

وليس في الصحابةِ من اسمه سعد بن عبادة غير اثنين: أحدهما هذا، والثاني سعد ابن عبادة الزُّرقي، أنصاريٌّ أيضاً[٤].

وأسند سعدُ بنُ عبادة عن النبي ﷺ الحديث، فأخرج له أحمد في «المسند» سبعة أحاديث، وليس له في الصحيح شيءٌ.

قال أحمد بإسناده عن قتادة قال: سمعتُ الحسن يُحدِّث عن سعد بن عبادة: أن أمَّه ماتت فقال: يا رسول الله، إنَّ أمّي ماتت، فأتصدَّق عنها؟ قال: «نعم»، قال: فأيُّ الصدقةِ أفضل؟ قال: «سقي الماء»، قال: فتلك سقايةُ آل سعدٍ بالمدينة.

وقال أحمد بإسناده عن عُبيد الله بن عبد الله، [عن] ابن عباس، عن سعد بن عُبادة أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: إن أمي ماتت وعليها نَذرٌ، أفيُجزئ أن أُعتِق عنها؟ قال: أعتق عن أمك[٥].

---

(١) أنساب الأشراف ٢/ ١٦-١٧.

(٢) تاريخ دمشق ٧/ ١٢٦ (مخطوط)، وما قبله منه.

(٣) انظر معجم البلدان ٥/ ٢١٧، وتاريخ دمشق ٧/ ١١١.

(٤) كذا ذكر، واسم هذا الأخير سعد بن عمارة أو عمارة بن سعد، أبو سعيد الزرقي، انظر الاستيعاب (٩٤٥)، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٩٨، والإصابة ٤/ ٨٨.

(٥) الحديثان في المسند (٢٣٨٤٥) و(٢٣٨٤٦).

وقال ابن سعد بإسناده عن سُويد أبي حاتمٍ قال: سمعتُ الحسن، وسأله رجل: أشربُ من ماء هذه السِّقاية التي في المسجد فإنها صدقةٌ؟ فقال الحسنُ: قد شرب أبو بكرٍ وعمرُ من سقاية أمِّ سعدٍ، فمَهْ؟

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن ابن عباسٍ، أن سعد بن عُبادة ماتت أمُّه وهو غائبٌ عنها، فسأل رسول الله: أفينفعُها أن أتصدَّق عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإني أُشهِدُك أن حائطي المِخْراف صدقةٌ عنها[1].

قلتُ: وقد ذكرنا [أن] أمَّ سعدٍ تُوفيت وسعدٌ مع النبي ﷺ في غزاة دومة الجَنْدل، وكانت في شهر ربيعٍ الأول سنة خمسٍ من الهجرة، فلما قَدِم رسول الله المدينة أتى قبرَها فصلَّى عليها[2].

واسمُ أمِّ سعد عَمرة بنتُ مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة، وكانت من المبايعات، وليس في الصحابيَّات من اسمها عَمرة بنت مسعودٍ غيرها. فأما عمرة غير بنت مسعود فكثير[3].

عبد الله بن الزِّبَعْرَى

ابن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم[4] الهاشمي الشاعر، كان يهجو رسول الله ﷺ وأصحابَه، فلما كان يومُ الفتح هرب إلى نَجران، فكتب إليه حسان بن ثابت رحمه الله: [من الكامل]:

لا تَعدَمَنْ رجلاً أحلَّك بُغضُه ... نجرانَ في عَيشٍ أحذَّ لئيمِ
غضب الإله على الزِّبَعْرى وابنِه ... وعذابُ سوءٍ في الحياةِ مُقيمِ[5]

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٦٨.

(٢) سلف.

(٣) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٣٩، وانظر في ترجمة سعد بن عبادة إضافة إلى ما سبق: المعارف ٢٥٩، والاستيعاب (٨٩٦)، والمنتظم ٤/ ١٩٨، والاستبصار ٩٣، وتهذيب الكمال (٢١٩٨) وفروعه، والإصابة ٢/ ٣٠.

(٤) في (أ) و(خ): تميم، وترجمة ابن الزبعرى ليست في (ك)، والمثبت من طبقات ابن سعد ٦/ ١٠٨، وطبقات فحول الشعراء ٢٣٣، والأغاني ١٥/ ١٧٩، والاستيعاب (١٣٧٨)، والمنتظم ٤/ ٢٠٠، والتبيين ٤٦٩، والإصابة ٢/ ٣٠٨.

(٥) ديوان حسان ٤١٦.

ولم يَزِدْ على هذا، فقدم على رسول الله ﷺ، فأسلم وحَسُن إسلامُه، وكان من أشعر الناس، شهد ما بعد الفَتْح من المشاهد مع رسول الله ﷺ، ومن شعره: [من الخفيف]:

يا رسولَ المليك إنّ لساني ... راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنا بُورُ
جئتَنا باليقين والصِّدقِ والبر ... ر وفي الصِّدقِ واليقين السرور
أذهب الله ضَلَّةَ الجهلِ عنَّا ... وأتانا الرَّخاءُ والميسورُ[1]

وله صُحبةٌ ورواية.



(١) ديوانه ٣٦ .

السنة السادسة عشرة

وفيها فُتحت المدائنُ، واستولى المسلمون على مدينة كسرى وإيوانه وذخائره، وقيل: إن ذلك في سنة أربع عشرة، والأول أصحُّ، ذكره علماءُ التواريخ بأيام الفرس، وحكى أبو بكر الخطيب في تاريخه طرفاً منه(١)، وقالوا بأن المدائن على جانبَي دجلة شرقاً وغرباً، ودجلة بينهما، فالمدائنُ الشرقية تُسمّى العَتيقة، وبها إيوانُ كسرى، وهي للخواص من أصحابه وأساورته، وكان هو ينزلُ الإيوان، وهو القصر الأبيض، ويعرف بأَسْبانَبْر(٢). واختلفوا في مَن بناه؟ فقال قوم: لا يُعلم مَن بناه، وقال قوم: بناه سابور ذو الأكتافِ.

وأما المدينةُ الغربية فتُسمَّى بَهُرَسِير، وهي للتجار والعوام لا يُخالطون الأساورة.

وكان على دجلة من طرفي المدينتين جِسران، فإذا جاء الليلُ قفلوا كلَّ جسر، وجعلوا عليه الحرس، فلا يصلُ إلى المدينتين أحدٌ لا من ناحية البصرة ولا من ناحية الشمال.

وكان الإسكندرُ قد طاف الدنيا وبنى المدائن: سَمَرْقَنْد وهراة وما ذكرناه في ترجمته، وجاء إلى مكان المدائن فاستطابه، فبنى المدائن وسماها الرومية، وأثرُها باقٍ إلى اليوم، لأنه لما بنى الإسكندرية وجاء إلى العراق بنى المدائن وشبّهها بها، ويُقال إنه تُوفي بها أو ببابل، وحمل إلى الإسكندرية، وقد ذكرناه في ترجمته(٣).

وإنما سُمِّيت المدائن لكثرة من بنى بها من الملوك والأكاسرة.

وقال الجوهري: المدائن: جمعُ مدينةٍ، وأصلُها من مَدن بالمكان: إذا أقام به. قال: والإيوان: الصُّفَّةُ العظيمةُ كالأَزَج، ومنه إيوان كسرى(٤).

---

(١) انظر تاريخ بغداد ١/١٢٨ .

(٢) في تاريخ بغداد، والمنتظم ٤/٢٠٣ : وتسمى المدينة الشرقية العتيقة، وفيها القصر الأبيض القديم الذي لا يُدرى مَن بناه، ويتصل بها المدينة التي كانت الملوك تنزلها، وفيها الإيوان، وتعرف بأسبانبر.

(٣) سلف في أخبار الأمم الماضية.

(٤) الصحاح (مدن، أون)، ومن قوله: وقيل إن ذلك في سنة أربع عشرة... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

وأقام سعد ﷺ بالكوفة يَشنُّ الغارات بعد وَقعة القادسية، وله مع الفرس وقائع إلى أن دخلت هذه السنة، فكتب عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إلى سعد ﷺ: سِرْ إلى المدائن، واجعل مع نساء المسلمين وعِيالهم مَن يحرسهم من العدو، واجعل لهم نَصيباً من المغنم، ففعل سعد ﷺ ذلك، وسار إلى بابل، فلقي جُموعاً من الفُرس فهزمهم، وكان مسيره من الكوفة في شوال، ونزل ببابل، وجاء إلى كُوثى في المكان الذي حبس فيه الخليل عليه السلام، فصلَّى فيه، وقدَّم بين يديه زَهرة بن الحويّة إلى بَهُرَسِير، فَبَيْنَا زَهرة يسير إذ لَقيه شيرزاد بالصُّلح، وكان شيرزاد نائبَ يَزدجرد فبعث به إلى سعد، وجاء سعد فنزل على بَهُرَسِير وقد خندقت الفُرس، ونصبوا المناجيق وآلة القتال[١].

ولما سار سعدٌ من الكوفة إلى بَهُرَسير أغار مابين الفُرات ودجلة، فأصاب مئةَ ألف دِهقان أو أَكّار، فاستشار المسلمين فيهم فقالوا: شاوِرْ أميرَ المؤمنين، فكتب إلى عمر بسببهم فكتب إليه: إن البلاد بأهلها، وإن لم يُعينوا عليكم فدعوهم وشأنَهم، ومَن هرب منهم إلى الفُرس فلا عهدَ له. فأطلقهم سعدٌ، وجاء فنزل على بَهُرَسير، وقد تحصَّنت الفُرسُ منه، فنصب عليهم سعدٌ عشرين منجنيقاً والعرّاداتِ، وقاتلهم أشدَّ قتالٍ، ومنعهم الميرة، وشُغِل عنهم أهلُ المدينة الشرقية بما هم فيه من الخوف، حتى أكلوا لحوم الكلاب والقِطاط.

وقُتل زَهرةُ بن الحَوِيَّة بعد أن قتل شيرزاد[٢]، وقيل إنه لم يُقتل وإنما قتل شيرزاد. فبينما هم كذلك إذ بعث إليهم يَزدَجرد رسولاً، فأَشرف عليهم وقال: الملكُ يقول لكم: هل لكم في الصُّلح، على أنّ لنا ما يَلينا من دجلة إلى المشرق والجبل، ولكم ما يليكم من دجلة إلى الحجاز؟ فبدر الناسَ أبو مُفَزِّر الأسودُ بن قطبة، فأجابه بكلمةٍ أنطقه الله بها، لم يدر ما قال ولم يفهمها الناسُ، فنزل الرسول إلى البلد، فقيل للأسودِ: ماقلتَ؟ فقال: والله ما أدري، وإنما هي كلماتٌ أجراها الله على لساني.

وشرع أهلَ بهُرَسير يَقطعون دِجلة في السفن إلى المدينةِ الشرقيةِ، واستأمنَ رجلٌ

(١) من وقوله: وأقام سعد بالكوفة.. إلى هنا ليس في (ك).

(٢) في الطبري ٤/ ٦ ، والمنتظم ٤/ ٢٠٤ : فضرب بسيفه شهربراز من أهل إصطخر فقتله.

من أهل بَهُرَسير، فخرج إلى سعدٍ فقال: ماالذي يَمنعكم من دخول بَهُرَسير؟ فوالله ما بقي فيها أحد، فقال له سعد: فما السببُ في كونهم هربوا؟ قال: لأن الملكَ لمَّا بعث إليكم في الصلح، أجبتموه بما أوجب ذلك، قال: فما الذي قُلنا؟ قال: قال إنسان منكم: لا صُلح بيننا وبينكم حتى نَأكلَ عسلَ أفريذين بأتْرُجِّ كُوثى، فقال الملك: إن الملائكة لتتكلَّم على ألسنتهم، فيقال إن أفريذين مدينة قاطع نهر جيحون[1].

ثم تَسوّر المسلمون الأسوار، ونزلوا وفتحوا الأبواب، ووجدوا فيها من الأموال والذخائر والأطعمة ما لايُحصى، وكان دُخولُهم في الليلة العاشرة من صَفَر، فلما لاح لهم أبيضُ كسرى كبَّروا وقالوا: هذا ما وعدَ الله ورسولُه، وأقاموا أيّاماً من صفر لا يقدرون على العُبور إلى المدينةِ الشرقية، وكانت الفُرس قد أخذت السفن والمعابر إلى ما يليهم، فكانت من البطائح إلى تكريت.

حديث فتح مدينة كسرى

قال هشام: وقال سعد: مَن يَدلُّنا على مَخاضة؟ فجاء قومٌ من النَّبط فدلُّوهم على مخائض، فتوقَّف سعدٌ في ذلك ورأى الإبقاء على المسلمين، فرأى سعدٌ في المنام أنّ خُيولَ المسلمين اقتحمت دجلة وعَبرتْ، فأصبح عازماً على العُبور، فقال للناس: رأيتُ كذا وكذا وإني عازِمٌ على قطع هذا البحر، وجاءه علجٌ فقال: إنْ أقمتَ ثلاثاً ذهب يَزْدَجِرْدُ بكلِّ شيء في المدائن، فقوي عزمُه على العبور، وأصبح المدُّ في دجلة زائداً على الحدِّ، فقال سعد: مَن يتقدَّم فيَحمي لنا الفِراضَ حتى يَتلاحقَ به الناسُ؛ لئلا يَمنعوهم من الخروج؟ فقال عاصم بن عمرو: أنا، وخاضَ أوَّلَ الناسِ، وانتدب معه ستّ مئةٍ من أهل النَّجدات، فجاؤوا إلى الفِراضِ، وعليها جماعةٌ من الفُرس فقتلوهم وانهزم الباقون، فحينئذٍ قال سعد للناس: اقتحموا، فقدَّموا الرِّماك[2]، ثم الفُحول بعدها، فيقال إن الخيل أحجَمت، فصاح سعد: إنْ كُنتِ خيلَ الله فاعبُري، وإن كنتِ خيلَ سعد فلا تَعبُري، فاقتحمت الماء وإن دجلة ليَقذف بالزَّبَد من شِدَّة الزيادة، وجعل

(١) قوله: فيقال إن أفريدين مدينة قاطع نهر جيحون، ليس في (أ) و(خ)، ولم نتبينه.
(٢) جمع رَمَكة، وهي أنثى البراذين.

الناسُ يُحادث بعضُهم بعضاً كما يتحدَّثون على الطُّرق، وكان الفرسُ يَعوم براكبه، فربَّما لم يَبلغ الماءُ إلى الحزام، وربما أعيا الفرسُ فتَظهر له تَلْعَةٌ يَستريحُ إليها، وكان سلمان يسايرُ سعداً ويتحادثان، وسعدٌ يقول: حسبُنا الله ونعم الوكيل، حتى خرجوا ولم يفقدوا شيئاً، إلا قَدَحاً من خشب، فأخذه رجلٌ فجاء به إلى العسكرِ، فعرفه صاحبُه فأخذه.

فلما رأت الفُرس ذلك قالوا: إنما نُقاتل الإنس لا الشياطين والجن، فهربوا وتركوا جمهور أموالهم، وكان يوم عبورهم يُدعى يوم الجراثيم، ومعناه: أنه لا يَعيا أحدٌ من المسلمين إلا ظهرت له جُرثومةٌ يستريح عليها. والجرثومةُ: الأصلُ، كان يَظهر لهم في دجلة جراثيم، وهي الرمل يجتمع في أماكن مثل الجزيرة.

ورأى عظماءُ الفرس أمراً عظيماً لم يكن في حسابهم، فأعجلوهم عن أموالِهم، فدخلوا القصرَ الأبيض فتحصَّنوا به، وطلبوا الأمانَ على نُفوسهم، فأمَّنوهم، وهرب يزْدَجِرْد بعياله إلى حُلْوان، وترك أموالَه وذخائرَه، ولم يَحمل إلا شيئاً يسيراً، واستولى المسلمون على الباقي.

ونزل سعد القصرَ الأبيض واتَّخذه مُصلًّى، وقرأ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾[الدخان: ٢٥] ولم يغيِّر سعدٌ ما كان في الإيوان من التماثيل، وصلى فيه الجمعة في أول ربيع الأوَّل، وهي أوَّل جُمعةٍ جُمِعت بالعراق في سنة ست عشرة. وأتمَّ سعد الصلاة لأنه كان على نيّة الإقامة.

وقال الخطيب: ولما دخل عليٌّ عليه السلام الإيوان في مسيره إلى صِفّين أمر بالتماثيل فقُطعت رؤوسُها ثم صلَّى فيه(١).

وقال الخطيب: ولما بنى المنصورُ بغداد عزم على نقض الإيوان ليستعين في بنائها، ثم انصرف عن ذلك(٢). وسنذكر القصة في سنة خمسٍ وأربعين ومئة عند بناء بغداد.

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٣، والمنتظم ٤/ ٢٠٧.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ١٣٠.

قال الخطيب في إسناده عن أبي بكر[١] بن عيّاش[٢] قال: لما خرج عليٌّ عليه السلام إلى صفين؛ مرَّ بخراب المدائن، فتَمثَّل رجلٌ من أصحابه فقال:

جَرت الرِّياحُ على مَحلِّ ديارهم فكأنَّهم كانوا على مِيعادِ
فإذا النَّعيمُ وكلُّ ما يُلهى به يوماً يصيرُ إلى بِلىً ونَفاد

من أبيات، فقال علي: لا تَقلْ هكذا ولكن قُل ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾[الدخان: ٢٥-٢٨] إن هؤلاء كانوا وارِثين فأصبحوا مَوروثين، وإنهم استحلُّوا الحرم، فحَلَّت بهم النِّقم، ولا تكونوا أمثالَهم[٣].

ذكر ما وُجد في بيوت أموال كسرى

وُجد ثلاثةُ آلاف ألفِ ألفِ دينار ـ ثلاث مرات ـ ومن الجواهر والتُّحفِ والألطاف[٤] والأمتعة أكثر من قيمة ذلك، وأما من الأسلحة والبقر والغنم والأطعمة وما أعدُّوا للحصار فشيءٌ لا يحصى.

وروى سيف بن عمر، عن الأعمش، عن حبيب بن صُهبان قال: دخلْنا المدائن، فأتينا على قِبابٍ تُركيّة مملوءةٍ سلالاً مختومة بالرّصاص، فما حسبناها إلا طعاماً، فإذا آنيةُ الذّهب والفضّة، فقسمت بعدُ بين الناس، فلقد رأيتُ الرجل يطوف ويقول: مَن معه بيضاء بصفراء؟ وأتينا على كافورٍ كثيرٍ، فما حَسِبناه إلا مِلحاً، فجعلنا نَعجِنُ به حتى وجدنا مرارتَه في الخُبز[٥].

ذكر بساط الإيوان[٦]

قال سيف: ووجدوا بساط الإيوان، وكان ستين ذراعاً في مثلها، فيه طرقٌ كالأنهار، وقصورٌ كالدُّرِّ، ووسطه كالأرض المزروعة مثل زهر الربيع، ويُقال له:

---

(١) من قوله: وقال الخطيب ولما دخل علي... إلى هنا ليس في (خ) و(أ).
(٢) في (أ) و(خ): عن ابن عباس، وهو خطأ.
(٣) تاريخ بغداد ١/ ١٣٢-١٣٣، والبيتان للأسود بن يعفر في المفضليات ٢١٧.
(٤) في (أ) و(خ): واللطائف.
(٥) تاريخ الطبري ٤/ ١٧، والمنتظم ٤/ ٢٠٨.
(٦) هذا العنوان ليس في (أ) و(خ).

البَهار، وكانوا يُعِدُّونه للشتاء، إذا ذهبت الرياحينُ والأزهار فرشوه وجلسوا عليه للشُّرب، فكأنهم في البساتين والرِّياض، وقيل: إن العرب كانت تسمّيه القِطف، وكان مُوشّىً بأنواع الجواهر والفُصوص، ولونه مثلُ الذهب[١].

ذكر ستر الإيوان

قال هشام: كان طولُه خمسَ مئة ذِراعٍ في مثلها، فيه من الجواهر واليواقيت مالا يُحدُّ ولا يُقَوَّمُ.

وذكر الخطيب في تاريخه عن أبي العباس المبرّد أن ستر الإيوان أحرقه المسلمون لما فتحوا المدائن، فوجدوا فيه أو أخرجوا منه ألفَ ألفِ مثقال ذهباً، فبيع المثقالُ بعشرة دراهم، فبلغ ذلك عشرة آلاف ألفِ دِرهم[٢].

قال سيف: وتبعهم زهرة بن الحَويّة إلى جسر النَّهروان، فازدحموا عليه، فوقع بَغْل في الماء، فتكالبوا عليه، فقال زهرة: إن لهذا البغل شأناً، فتكاثروا عليه وأخذوه، وإذا عليه حِليةُ كسرى، ووشاحُه وسلاحُه ودِرعه، فبعثوا به إلى عمر[٣].

ذكر قسم الغنائم

قال علماء السير: كانوا ستين ألفاً، فقسم سعدٌ بينهم الغنائم، فأصاب الفارس اثني عشر ألفاً بعد الخُمس، وقسم دور المدائن بين الناس، وبعث إلى العيال فأنزلَهم إياها.

قال سيف: وجمع سعد الخُمس، وأدخل فيه كلَّ شيء أراد أن يَعجب به عمر، من ثياب كسرى وحليته وسيفه ونحوه، وأحضر بِساطَ كسرى فلم يُقَوَّم، فقال للناس: هل لكم أن تطيبَ نُفوسُنا عن أربعةِ أخماسه، ونبعثه إلى عمر فيَضعه حيث يرى؟ قالوا: نعم، فبعث به إليه، فلما قدم على عمر هاله وقال: أشيروا عليَّ فيه، فقالوا: قد طابت نُفوسُ المسلمين لك به، فَرَ رأيَك فيه، إلا ما كان من علي فإنه قال: يا أمير المؤمنين،

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٢، والمنتظم ٤/ ٢١٠.

(٢) أخرجه الخطيب ١/ ١٣١ وعنه ابن الجوزي في المنتظم ٤/ ٢١٠ من رواية المبرد عن القاسم بن سهل النوشجاني.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ١٧، والمنتظم ٤/ ٢٠٧.

الأمرُ على ما قالوا، ولم يبق إلا التَّروية، إنك إنْ تَقبلْه اليوم لم تَعدَم في غدٍ من يستحقُّ به ما ليس له، فقال: صدقتَني، فقطعه بينهم.

وروى سيف عن عبد الملك بن عمير قال: لما قَدم البساطُ على عمر جمع الناسَ واستشارهم فيه، فمن مُشيرٍ بقَبْضه، وآخر مفوّض إليه[1]، فقام علي عليه السلام فقال: لِمَ تجعلُ علمَك جَهلاً، ويقينَك شكًّا! إنه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيتَ فأَمضيتَ، أو لبستَ فأبليت، أو أكلتَ فأفنيت، فقال: صدقتَني، فقطعه وقسمه بين الناس، فأصاب علياً قطعةٌ، فباعها بعشرين ألفاً، وما هي بأجود تلك القِطع.

وقال سيف: قال سعدٌ للمسلمين: خُصُّوا أمير المؤمنين بحلية كسرى، فبعثوا بها إلى عمر، ومعها سَفَطٌ فيه جواهر ليس لها قيمةٌ، فلما رآها عمر عجب وقال: إنَّ قوماً أدوا إلينا هذا لذَوو أمانةٍ، فقال له علي: عَفَفْتَ فعفَّت رعيَّتُك[2].

قال: ولما حضرت حِليةُ كسرى بين يديه قال عمر لمُحَلِّم، وكان أجسمَ أهل المدينة: قم فالبس ثيابَ كسرى وتاجَه، ففعل، فرأى الناسُ أمراً عظيماً، فقال له: اخطر، فخَطَر في ثيابِ كسرى، فقال له عمر: إيه، أعرابيٌّ يَلبَس ثيابَ كسرى وسلاحه! انزع لا أمَّ لك، فنزعها، ويقال: إن عمر أعاد الجميع إلى سعد وقال: لم أشهد معكم فكيف آخذُه.

وذكر الخطيب عن السائب بن الأقرع: أنه كان جالساً في إيوان كسرى، فنظر إلى تمثالٍ يُشير بأصبعه إلى موضع، قال: فوَقع في روعي أنه يشير إلى كنزٍ، فاحتَفرتُ ذلك الموضع، فاستخرجتُ كنزاً عظيماً، فكتبتُ إلى عمر أقول: هذا شيءٌ أفاءه الله عليَّ دون الناس، فكتب إليَّ عمر: إنك أميرٌ من أُمراء المسلمين، فاقسمه بينهم[3].

وحكى سيف عن عِصمة بن الحارث الضبِّي قال: خرجتُ فيمن خرج من المدائن نطلب الفُرسَ، فإذا حمَّارٌ معه حِمار، فلما رآني حثَّه حتى لحق بآخر قُدّامه فحثا حمارَيهما، فانتهيا إلى جدولٍ قد كُسر جسرُه، فأتيتُهما، فقتلتُ واحداً منهما وأفلت

(١) من قوله: إلا ما كان من علي... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) الأخبار الثلاثة في تاريخ الطبري ٤/ ٢٠-٢٣، والمنتظم ٤/ ٢٠٧-٢١٠.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٢٠٣، والمنتظم ٤/ ٢١١.

الآخرُ، فرجعتُ إلى الحمارين، فأتيتُ بِهما صاحب الأَقباض، فنظر فيما على أحدهما، فإذا سَفَطان في أحدهما فرسٌ من ذهبٍ مُسْرَجٌ بسرجٍ من فضَّة، على ثَفَره ولَبَبِه الياقوتُ والزمرُّد، وعليه فارسٌ من فضَّةٍ مكلَّل بالجواهر، وإذا في الآخر ناقةٌ من فضَّة، عليها رجلٌ من ذهبٍ، مكلَّلٌ بالجواهر، كان كسرى يَضعُهما على إسطوانتي التاج الذي على رأسه.

وقال سيف، عن هبيرة بن الأشعث، عن أبي عُبيدة العَنبريّ قال: لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض، أقبل رجلٌ بحُقّ معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقالوا: ما رأينا مثل هذا قط، هل أخذتَ منه شيئاً؟ فقال: أما والله لولا الله ما أتيتُكم به، فقالوا: مَن أنت؟ فقال: والله ما أنا بمُخبِركم لتَحمَدوني، ولكن أرضى بثواب الله، فأَتْبعوه رجلاً ليعرفه، فإذا هو عامر بن عبد قيس.

وقال سيف عن مُبشِّر بن الفُضَيل، عن جابر بن عبد الله قال: والله الذي لا إله إلا هو، ما اطَّلعنا على أحدٍ من أهل القادسية يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتَّهمْنا ثلاثةَ نفرٍ: طُلَيحة بن خُوَيْلد، وعمرو بن معدي كرب، وقيس بن المكشوح، فإذا هم على خلاف ما ظننا من الأمانة والزُّهد[1].

وقعة جَلُولاء[2]

قال علماء السير: لما نزل سعد القصرَ الأبيض، واستوطن المسلمون المدائنَ، وبعث إلى عمر بالأخماس، بلغه أنَّ مِهْرانَ الرازيَّ ـ وكان من عُظماء الفرس ـ قد عسكر بجلُولاء وخندق، وأنَّ أهلَ الموصل قد عسكروا بتكريت، وحشد يَزدجرد الأعاجمَ عند مهران، وأقام هو بحُلوان، كتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه: أن سَرِّح هاشمَ بنَ عتبة، فسرَّحه في اثنيْ عشرَ ألفاً، وكان القعقاعُ بنُ عمرو على مُقدِّمته، وعلى ميمنته سِعْر[3] بن مالك، وعلى الميسرة أخوه عمرو بن مالك، وعلى ساقتِه عمرو بن مُرَّة الجُهنيّ.

(١) الأخبار الثلاثة في تاريخ الطبري ٤/ ١٨-٢٠ ، والمنتظم ٤/ ٢٠٨-٢٠٩ .

(٢) في هامش (خ) حاشية نصها: جلولاء قرية بفارس.

(٣) في النسخ والمنتظم ٤/ ٢١٣ : سعد، والمثبت من الطبري ٤/ ٢٤ ، والمؤتلف للدارقطني ١١٨٠ ، والإكمال ٤/ ٢٩٨-٢٩٩ .

وكانت الفُرسُ لما هربوا من المدائن ووصلوا إلى جَلُولاء قال بعضهم لبعضٍ: إنِ افترقتُم بعدها لم تجتمعوا أبداً، فاثبتوا على قتالهم، فإن كانت لنا فهو الذي نُريد، وإن كانت علينا كنّا قد قضينا ما علينا، فاجتمعوا وخندقوا عليهم، ويزدجرد مقيمٌ بحُلْوان يُمدُّهم بالأموال والرجال.

وجاءهم هاشمٌ في وجوه المهاجرين والأنصار، وسادات العرب وأشرافهم، وخرج إليهم مهران، واقتتلوا قتالاً عظيماً، وأرسل الله عليهم ريحاً سوداء أظلمت الدنيا، فتهافتوا في الخندق، وقُتل منهم يومئذٍ مئةُ ألفٍ، فجَلَّلَتِ القتلى الأرضَ والمحال والطرق، فسُمِّيت جَلُولاء لما جلَّلها من قتلاهم، وهربوا إلى حُلوان، فأدرك القعقاع مِهرانَ بخانقين فقتله، وبلغتِ الهزيمةَ يزدجرد فسار من حلوان نحو الجبل.

وأصاب خارجةُ بن الصَّلتِ يومئذ ناقةً من ذَهبٍ، عليها رجلٌ من ذهبٍ مُرَصَّع بالدرِّ والياقوت، فدفَعها إلى هاشم بن عُتبة، فبعث بها إلى سعد، وكان الهرمزانُ مع مهران، فقُتل مهران ونجا الهرمزان.

فصل في ذكر غنائم جَلُولاء

قال علماء السير: اقتسموا غنائمَ جَلُولاء على كل فارسٍ سبعة آلاف وتسعة من الدواب.

وحكى سيف عن الشعبيّ قال: اقتسم الناسُ فَيءِ جَلُولاء على ثلاثين ألف ألف، فكان الخُمْس ستةَ آلاف ألف.

قال سيف: فلما قدِموا به على عمر قال: والله لا يُجِنُّه سقفُ بيتٍ حتى أقسمَه، فبات عبدُ الرحمن بن عوف وعبد الله بن أرقم في المسجد يَحرُسانه، فلما أصبح عمرُ جاء فكشف عنه الأَنْطاع، فلما نظر إلى ياقوتِه وجوهرِه ولُؤلؤِه وزبرجده بكى، فقال له ابن عوفٍ: ما يُبكيك يا أمير المؤمنين؟ والله إنه لَموطنُ شكرٍ، فقال عمر: والله ما ذاك يُبكيني، ووالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، وما تحاسدوا إلا أُلْقِي بأسُهم بينهم، ثم قسمه بين الناس(١).

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٢٩-٣٠، والمنتظم ٤/ ٢١٣-٢١٤.

وكان عبد الله بن عمر حاضراً وقعة جَلُولاء، فاشترى من الغنائم بأربعين ألفاً، فدعا عمر التُّجار فباعهم ذلك بأربع مئة ألف، فأعطى ابنه عبدَ الله ثمانين ألفاً، وقال: هذا ربحٌ كثير، وبعث بالباقي إلى سعدٍ فقال: اقسمه فيمن شهد الوقعة، ومَن كان قد مات فادفعه إلى وارثه، وقال لابنِه: يا عبد الله، لو أُمر بي إلى النّار أكنتَ تَفديني؟ قال: نعم، قال: هو ذاك[١].

قال هشام: وكان في سَبْي جَلُولاء أمهاتُ أولادٍ، منهنَّ[٢] أم عامر الشّعبي، وقعت إلى رجلٍ من بني عبس، فولدت منه ثم مات، فخلف عليها شراحيل، فأولدها الشعبي.

وكان بين وقعة جَلُولاء والمدائن تسعةُ أشهر؛ لأنها كانت في ذي القعدة. وقيل: كانت في سنة سبع عشرة، والأوّل أصحُّ[٣].

وقعة حُلْوان

حكى سيف بن عمر، عن محمد وطلحة والمهلَّب وعمرو وسعيد قالوا: كان عمر قد كتب إلى سعد: إنْ فتح اللهُ عليكم جَلُولاء فسَرِّح القعقاع بنَ عمرو في آثار القوم، حتى ينزلَ حُلوانَ، فيكون رِدْءاً للمسلمين، ويُحْرِزَ الله لكم سوادَكم، فلما فُتِحت جَلُولاء أقام بها هاشمُ بن عتبه، وسار القعقاعُ في آثارهم، فقتل مهران، وأفلت الهرمزان[٤]، وسبى وغنم، وسار يزدجرد إلى الرَّي والجبال، وخَلَّف بحُلْوان خيلاً عليها خسروشنوم، فخرج إلى القعقاع، فاقتتلوا، فقُتل خسروشنوم، وأقام القعقاعُ بحُلوان إلى أن عاد سعد إلى الكوفة، فلَحق به.

وقعة تكريت

قد ذكرنا أنَّ أهل الموصل اجتمعوا بها وخندقوا، وانضافت إليهم تغلبُ وإيادُ والنَّمرُ والشهارجة والقبائل، فأرسل إليهم سعدٌ عبدَ الله بن المعتِّم، فحاصرهم، وكانوا

(١) المنتظم ٤/ ٢١٤.

(٢) في النسخ: منهم.

(٣) من قوله: وقعت إلى رجل... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٤) في الطبري ٤/ ٣٤، والمنتظم ٤/ ٢١٥: الفيرزان.

جميعاً بتكريت[١]. ورأتِ الرومُ الغلبة من جانب المسلمين، فعزموا على الهربِ، وعلمت القبائلُ فأرسلت إلى عبد الله يسألونَه الصُّلْحَ على الروم فقال: حتى تُسلموا فأسلموا، فقال لهم: إذا سمعتُم التكبير فافتحوا الأبوابَ ففعلوا، ودخل وقتل الروم.

قصة قَرقيساء

كان بها جُموعٌ من الروم، فبعث إليها سعد عمر بنَ مالك بن عُتْبة بن نوفل بن عبد مناف، فاجتاز بهيت فافتتحها عَنوةً، ثم افتتح قَرْقيسياء عَنْوةً، وحجّ بالناس عمر.

فصل وفيها توفي

سعد بن عُبيد بن النعمان

ويقال له: سعد القاري، وكُنيتُه أبو زيدٍ الأنصاري، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، وهو ممَّن جمع القُرآن على عهد رسول الله ﷺ في قول الكوفيين. وقد حكاه ابن سعد[٢].

شهد بدراً وأُحداً والخندقَ والمشاهد كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وليس في الصحابة من يقال له سعدٌ القاري غيره[٣]. وكان حاضراً جسر أبي عُبيد[٤]، فكان من جملةِ المنهزمين إلى المدينة، فعاتبه عمر.

قال ابن سعدٍ بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال عمر بن الخطاب لسعدِ بن عُبيد لمّا انهزم يوم الجِسر[٥]: هل لك في الشام لعلَّك أن تَغسل عنك الهُنَيهة؟ قال: لا، بل الأرض التي فَررْتُ منها، والعدوُّ الذي هربتُ منه، أو الذي صنع بي ما صنع أولى، فخرج إلى العراق فاستُشهد وهو ابن أربعٍ وستين سنةً.

ويقال: إنه استُشهد في القادسية، فحكى ابن سعدٍ عن ابن أبي ليلى قال: خطب

(١) من قوله: فأرسل إليهم سعد... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٣-٤٢٤.
(٣) انظر تلقيح فهوم أهل الأثر ١٩٨.
(٤) من قوله: وليس في الصحابة... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).
(٥) من قوله: قال ابن سعد بإسناده... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، جاء بدله: فعاتبه عمر فقال له.

سعدٌ يوم القادسية فقال: إنا ملاقو العدوِّ غداً ومستشهدون، فلا تَغسلوا عنا دماً ولا نكفن إلا في ثوبٍ كان علينا، فاستُشهد[١].

وولدُه عُميرُ بن سعد صاحبُ عمر بن الخطاب، ولاه بعضَ بلاد الشام، وسنذكرُه. ولسعدٍ صحبةٌ وليس له رواية[٢].

وفيها تُوفيت

أمُّ سُلَيم بنت مِلْحان

ابن خالد بن زيد بن حَرَام الأنصاريّةُ، وهي أمُّ أنس بن مالك.

واختلفوا في اسمها على أقوالٍ: أحدُها سَهْلَةٌ، والثاني رُمَيْلةٌ، والثالث رُمَيْثة، والرابع أُنَيفة، حكاها ابن سعد[٣].

وأمُّها مُلَيْكةُ بنت مالك بن عدي، من بني النجّارِ، وأُمُّ سُليم أمُّ أنس بن مالك، قال: ويُقال: هي الغُمَيْصاء والرُّمَيْصاء.

وهذه أُمُّ سُليم[٤] تزوَّجها في الجاهليةِ مالكُ بن النَّضْر، فولدت له أنس بن مالكٍ، فقُتِل عنها مُشركاً، فخطبها أبو طلحة وكانت قد أسلمتْ، فقالت له: أنت مُشركٌ، فإن أسلمت فنعم.

وقد ذكر القصةَ ابنُ سعدٍ بإسناده عن إسحاق بن عبد الله، عن جدَّتِه أُمِّ سُليم أنها قالت: آمنتُ برسول الله ﷺ، قالت: فجاء أبو أنس وكان غائباً، فقال: أصبَوْتِ؟ قالت: ما صَبَوْتُ، ولكني آمنتُ بهذا الرجل، قال: فجعلت تُلقِّنُ أنساً وتشيرُ إليه: قل لا إله إلا الله، قل: أشهدُ أن محمداً رسول الله، ففعل، قال: يقول لها أبوه: لا تُفْسدي على ابني دينهُ، ولا تُفسدي عليَّ ابني، فتقول: إني لا أُفْسِدُه.

قال: فخرج مالك أبو أنسٍ، فلَقِيه عدوٌّ فقتله، فلما بلغها قَتْلُه قالت: لا جَرَمَ، لا

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٤ .

(٢) انظر ترجمة سعد في الاستيعاب (٨٩٧)، والاستبصار ٢٨٠ ، والإصابة ٢/ ٣١ .

(٣) في طبقاته ١٠/ ٣٩٥ .

(٤) من قوله: واختلفوا في اسمها... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

أفطم أنساً حتى يَبلغ الثدي حُبًّا[١]، ولا أتزوَّجُ حتى يَأمُرني أنس[٢]، فخطبها أبو طلحة وهو مشرك، فأبت وقالت: أرأيتَ حجراً تعبدُه لا يضرُّكَ ولا ينفَعُك، أو خشبةً تأتي بها النجَّار فيَنجُرُها لك، هل تضرك أو تنفعك؟ قال: فوقع في قلبه ما قالت، فأتاها وقال: لقد وقع في قلبي ما قُلتِ، وآمن، قالت: فإني أتزوَّجُك، ولا آخذُ منك صَداقاً غير الإسلام، فكان صَدَاقها الإسلام.

وقد رواه أبو نُعيم، وفيه: فقالت لابنها أنس: يا أنسُ، زوِّج أبا طلحة فقد أسلم وذلك صَداقي، قال ثابت: فما سمعنا بمَهرٍ كان أكرمَ من مَهرِ أُمِّ سُليم، الإسلام[٣].

وقال ابن سعد: لا أتزوَّجُ حتى يَبلُغَ أنسٌ، ويجلسَ في المجالس، ويقول: جزى الله أُمي عني خيراً، لقد أحسنتْ وِلايتي، فقال لها أبو طلحة: فقد جلس أنسٌ في المجالس وتكلَّم[٤].

وقال ثابت: فتزوَّجها أبو طلحة، فوَلدت له عبد الله وأبا عُمير.

وقال ابن سعد[٥]: شهدت حُنيناً وهي حاملٌ بعبد الله بن أبي طلحة، وشهدت أُحداً قبل ذلك، فكانت تَسقي العَطشى، وتُداوي الجَرحى، وبيدها يوم أُحدٍ خَنْجر، وكذا يوم حنين.

وكان يدخل عليها رسول الله ﷺ ويَقيلُ عندها.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن إسحاق بن عبد الله، عن أنس بن مالك قال: لم يكن رسولُ الله ﷺ يَدخلُ بيتاً بالمدينة غير بيتِ أُمِّ سُليم، إلَّا على أزواجه، فقيل له، فقال: «أَرحَمُها، قُتل أخوها معي». وقد أخرجاه في الصّحيحين[٦].

وقيل: لأنها كانت خالتُه من الرَّضاع، وكان يدخلُ أيضاً على أُختها أُمِّ مِلحان.

---

(١) كذا في (ك)، وليس في (أ) و(خ)، وفي طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٩٦، والسير ٢/ ٣٠٥: حتى يدع الثدي حبًّا.

(٢) من قوله: فخطبها أبو طلحة... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٣) حلية الأولياء ٢/ ٦٠، وثابت هو راوي الحديث عن أنس ﷺ.

(٤) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٩٦.

(٥) من قوله: وقد رواه أبو نعيم.. إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، والخبر في الطبقات ١٠/ ٣٩٧.

(٦) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٩٨، وصحيح البخاري (٢٨٤٤)، وصحيح مسلم (٢٤٥٥).

وقد ذكرنا في السيرة أن رسول الله ﷺ كان يَقيل في بيتها، فكانت تَبسطُ له نِطْعاً، فيَعرقُ فتأخذُ عَرَقه، فتجعله في الطِّيب[١].

وقد أخرجه ابنُ سعد أيضاً، فقال لها رسول الله ﷺ وهي تَمسحُ العرقَ: ما تَصنعين يا أُمَّ سُليم؟ فقالت: آخذُ هذا للبركة التي تخرجُ منك[٢].

وهي التي كان رسول الله ﷺ يُداعب وَلَدها فيقول: «أبا عُمير، ما فعل النُّغَيْرُ؟».

وقال أحمد: حدثنا هُشَيم، عن حُمَيد، عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلتُ الجنَّةَ، فسمعتُ خَشْفة بين يديّ، فإذا هي الغُمَيْصاء بنت مِلْحان» أُمُّ أنس[٣]، والخَشفة: الحركةُ، وقيل: الصوتُ.

وقال البخاري بإسناده عن أنس بن مالك قال: اشتكى ابنٌ لأبي طلحة من أُمِّ سُلَيْم، وخرج أبو طلحة، وقُبِضَ الصبيّ، فلما رجع أبو طلحة قال: كيف ابني؟ فقالت: هو أسكَنُ مما كان، وقرَّبتْ إليه العَشاء فتَعشَّى، وأصاب منها، فقالت: وارِ الصبيَّ، فأخبر أبو طلحة رسولَ الله ﷺ فقال: «أَعْرستُما الليلة؟» فقال: نعم، قال: «اللهمَّ بارك لهما في ليلتهما»، فوَلَدت غُلاماً، فحمله إلى رسول الله ﷺ، فأخذ تَمراتٍ فمضغها، ثم جعلها في فَم الصبي، وحنّكه، وسمّاه عبد الله. أخرجاه في الصحيحين[٤].

وأخرجه أحمد في «المسند» عن أنسٍ وفيه: مات ابنٌ لأبي طلحةَ، فقالت أُمُّ سليم: لا تُحدِّثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أُحدِّثُه، ثم قامت فتصنَّعت أحسن ما كانت تصنَّع قبل ذلك. وقَرَّبت إليه عَشاءً، فأكل وأصابَ منها، فقالت له: أرأيتَ لو أنَّ قوماً أعاروا أهلَ بيتٍ عارِيَّةً ثم طلبوها منهم، أكان لهم أن يَمنعوهم منها؟ قال: لا ـ وفي روايةٍ: ألا أُعجبك من جيراننا؟ قال: ومالهم؟ قالت: أُعيروا عارِيَّةً، فلما طُلِبت منهم جَزعوا، فقال: بئس ما صنعوا ـ قالت: فاحتسب ابنَك فهو العارِيَّةُ، وفيه: أن رسول

(١) سلف في السيرة.
(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٩٨، وما بعده منه.
(٣) مسند أحمد (١١٩٥٥). وأخرجه مسلم (٢٤٥٦).
(٤) صحيح البخاري (٥٤٧٠)، وصحيح مسلم (٢١٤٤).

الله لما حنَّكَ الغُلامَ جعل يَتلَمَّظُ، فقال رسول الله: «إنَّ الأنصارَ يُحبّون التمر»[١].

وقد أخرجه ابنُ سعدٍ برواياتٍ كثيرةٍ، وقال أنس: لما قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ بارك لهما في ليلتهما» فلقد رأيتُ لهم في المسجد سبعةً يقرؤون القرآن[٢].

وقيل: إنَّ الولد الذي مات لأبي طلحة اسمُه حفص، وكان قد تَرَعْرَع.

وروت أُمُّ سُليم عن رسول الله ﷺ الحديث، فقال ابن سعدٍ بإسناده عن حسين بن أبي سفيان، عن أنس بن مالك[٣] قال: زار رسولُ الله ﷺ أُمَّ سليمٍ، فصلَّى في بيتها صلاةً تطوُّعاً، فقال: «يا أُمَّ سليم، إذا صلَّيْتِ المكتوبةَ فقولي: سُبحانَ الله عشراً، والحمد لله عشراً، والله أكبر عشراً، ثم سلي الله ماشئتِ، فإنَّه يُقال لك: نعم نعم نعم»[٤].

وأُمُّ سُليم هي أُختُ أمِّ حَرام بنت مِلْحان، وسنذكرُها في سنةِ ثمانٍ وعشرين.

وفي الصحابيات جماعةٌ يُقال لكلِّ واحدةٍ منهن أُمَّ سليم، إحداهُنَّ هذه[٥].

فصل وفيها توفّيت[٦]

مارِيَة القِبطية

أُمُّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ. وقد ذكرنا أخبارها فيما تقدَّم[٧].

ولما مات رسولُ الله ﷺ كان أبو بكرٍ يُنْفِقُ عليها، وكذا عمر إلى حين ما فَرض لها، وكانت وفاتُها في المُحرَّم، وصلَّى عليها عمر، ودفنها في البقيعِ.

وذكرها ابن سعدٍ[٨] عن الواقدي فقال: بعث بها المُقَوْقِسُ صاحب الإسكندرية

---

(١) مسند أحمد (١٢٠٢٨).

(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٤٠١-٤٠٤.

(٣) من قوله وقال ابن سعد بإسناده عن إسحاق بن عبد الله.. إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٤) طبقات ابن سعد ١٠/ ٣٩٧.

(٥) انظر في ترجمة أم سليم الاستيعاب (٣٥٢١)، والاستبصار ٣٦، والمنتظم ٤/ ٢١٦، وتهذيب الكمال (٨٥٧٨) وفروعه، والإصابة ٤/ ٣٦١.

(٦) من قوله: وأم سليم هي أخت أم حرام... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٧) سلف في السيرة.

(٨) من هنا إلى نهاية السنة ليس في (أ) و(خ).

إلى رسول الله ﷺ في سنة سبعٍ من الهجرة، وبأُختها سيرين، وبألف مثقال ذَهبٍ، وبالدُّلْدُلِ واليعفور[١] وعشرين ثوباً ليِّناً. وذكر ما ذكرناه فيما تقدَّم، وحديث الخصيّ[٢].

قال: وقال الواقدي: كانت مارية من حَفْن، من كُورة أَنْصِنا، وقيل: هي بنتُ ملك مصر.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن ابن كعب بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «استوصوا بالقِبطِ خيراً، فإن لهم ذِمَّةً ورحماً». قال: ورَحمهم أن أم إسماعيل بن إبراهيم [منهم]، وأُمُّ إبراهيم ابن رسول الله منهم[٣].



(١) في طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٠١ : وبغلته الدلدل، وحماره عفير، ويقال يعفور.

(٢) سلف في السيرة.

(٣) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٠٣ ، وانظر في ترجمة مارية المعارف ١٤٣ ، والاستيعاب (٣٤٦٤)، والمنتظم ٤/ ٢١٨ ، والتبيين ٨٦ ، والإصابة ٤/ ٤٠٤-٤٠٥ .

السنة السابعة عشرة من الهجرة

وفيها عاد سعدُ بن أبي وقاصٍ من المدائن إلى الكوفة، وتمَّم خِططها.

قال هشام بن الكلبي: لما نزلوا المدائنَ استَوخموها، فاصفرَّت ألوانُهم، وعَظمت بطونُهم، وقدم جماعةٌ منهم على عمر فأنكرهم وقال: ما هذا؟ وكان فيهم عبد الله بن المعتَمّ، فقال: يا أمير المؤمنين، وباءُ البلاد ووَخَمُها.

قال سيف: فعجَّل عمر سراحَهم بعد أن قضى حوائجَهم، وكتب إلى سعدٍ: أنبِئْني ما الذي غيَّر ألوانَ العرب ولحومهم؟! فكتب إليه سعد: وَخَمُ المدائن ودجلة، فكتب إليه عمر: إنَّ العرب لا يُوافقُها إلّا ما يُوافق إبلَها من المبارِكِ، فابعث حُذيفة وسلمان يرتادان لكم منزلاً برِّيًّا بحريًّا، لا يكون بيني وبينكم بحرٌ ولا جسرٌ.

فخرجا يرتادان، فلم يريا أصلحَ من الكوفة فإنها على حَصْباء رَمْلةٍ، وكلُّ حَصْباء رَمْلة فهي كوفة، وكان في أرضها ثلاثةُ أديرةٍ: دير حُرَقة، وديرُ هند ابنتي النعمان بن المنذر[1]، ودير قُرّة أو دير سلسلة، فأعجبهما ذلك المكان، فرجعا إلى سعدٍ بالخبر، فارتحل سعدٌ بالناس من المدائن، وخيَّر مَن شاء منهم بين الإقامة والرَّحيل، وجاء فنزل مَوضع الكوفة، وصلَّى ركعتين وقال: اللهمَّ بارك فيه، واجعله منزلَ قَرارٍ وثباتٍ، ودار سلام[2].

قال الواقدي: وكان نزوله بالكوفة في المحرم سنة سبع عشرة، وقيل: سنة ثماني عشرة. والأوّل أصحُّ.

وكتب سعدٌ إلى عمر: إنَّني قد نزلتُ الكوفة، منزلاً بين الحيرة والفُرات بَرِّيا بحريًّا، يُنبت الشِّيح والقَيصوم والنِّصِيَّ والكَلأ، وإنّي خَيَّرتُ المسلمين، فاختار بعضهم المقام بالمدائن فتركتُه. فكتب إليه عمر يُباركُ له في منزله.

قال الهيثم: وبنى سعدٌ قصر الإمارة، ونزل المسلمون في أكواخ القَصب، فوقع

---

(١) في (أ) و(خ): دير حرقة بنت النعمان ودير هند أختها.

(٢) في الطبري ٤/ ٤٠، والمنتظم ٤/ ٢٢٢ أن الذي قال ذلك حذيفة وسلمان.

حريقٌ فاحترق الجميعُ، فاستأذنوا عمر في البناء باللبن، فأذن لهم وقال: لا تَطاولوا في البُنيان، والزموا السنَّة تَدُمْ لكم الدولة.

قال هشام: أوَّلُ مَن بنى بظاهر الكوفة بالآجُرِّ خَبَّابُ بن الأرتّ وعبدُ الله بن مسعود، ثم بنى سعدٌ بعد ذلك قصرَ الإمارة.

وكان مقدارُ الكوفة ستةَ عشر ميلاً، فما مضت إلا مدّةٌ حتى صار فيها مئةُ ألف دار، وفي جامعها مئةُ حلقةٍ للعلم والحديث والفقه.

فصل في ذكر خروج عمر إلى الشام المرة الثانية

قال علماء السير منهم سيف بن عمر: كان سببُ خروج عمر إلى الشام المرّة الثانية: أن ملك الروم جَهَّز الجيوش إلى الشام، وكاتب أهلَ الجزيرة، فعسكر أبو عبيدة بفِناء حمص، وكان خالد بن الوليد بقِنَّسرين فانضم إليه، وكان عمر قد اتَّخذ في كلِّ مِصرٍ خيلاً مُعَدَّةً للعدوِّ، وكان من ذلك أربعةُ آلاف فارسٍ بالكوفة، فكتب أبو عبيدة إلى عمر يُخبره الخبر، فكتب عمر إلى سعدٍ يخبره أن أبا عبيدة قد أُحيط به.

فندب الناسَ مع القعقاع بن عمرو إلى حمص، وأمره أن ينفذ سُهيل بن عديّ إلى الجزيرة، فإنهم الذين أشاروا على الرُّوم بالخروج، وأن تُسيِّر الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط إلى الجزيرة والرقّة، رِدْءاً للقعقاع ولسُهيل بن عديّ، وعبد الله بن عِتبان إلى نَصيبين، وعِياض بن غَنم على المقدِّمة، وإليه أمرُ أمراء الجزيرة.

وجمع عمر المسلمين وقال: لابُدَّ من المسير إلى نجدة أبي عبيدة، واستخلف على المدينة عليَّ بن أبي طالب، وسار في وجوه المهاجرين والأنصار حتى نزل سَرْغ، وقيل: الجابية.

وأما أبو عبيدة فاستشار المسلمين في التَّحصُّن إلى أن يأتيهم الغِياث، أو مُناجزة العدو، فقال خالد بن الوليد: ناجِزهم وقال الباقون: تحصَّنْ حتى يأتي الغياث، فأطاع الناس وعصى خالداً.

ومضى القعقاع في أربعة آلافٍ مُجدًّا نحو حمص، ورأى أبو عبيدة مُناجزةَ القوم، فسار إليهم، فهزمهم الله وفتح عليه، ووصل القعقاع بعد ثلاثة أيامٍ من الوقعة، فكتب عمر إلى أبي عبيدة أسهِمْهم في الغنيمة؛ فإنهم نفروا إليك، وتفرَّق عدوُّكم بهم.

وانتهى سُهيل بن عديّ إلى الرقَّة وقد تفرَّق جمعُ أهل الجزيرة، فحاصرهم فصالحوه.

وجاء عبد الله بن عِتبان إلى نَصِيبين، فصالحوه كما فعل أهلُ الرَّقّة، وسار عياض إلى حَرَّان، والوليد إلى الرُّهاء، ووقع الصلحُ على الجزية، وأقام الأمراء بالجزيرة، فاستعمل عمر حبيبَ بنَ مَسلَمة على عَجَم الجزيرة وحربِها، والوليد على عربها، وأقام هو بالجابية، وكان الطاعون قد وقع بالشام، فلم يدخله عمر، وأقام بسَرْغ[١].

حديث الطاعون ورجوع عمر إلى المدينة

وقد اختلف الروايات فيه: فقال البخاري بإسناده عن عبد الله بن عباسٍ قال: خرج عمر إلى الشام، حتى إذا كان بسَرْغٍ لقيه أُمراءُ الأجنادِ: أبو عبيدة بن الجراح وأصحابُه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام، فقال عمر: ادعُ لي المهاجرين، قال ابن عباسٍ: فدعوتُهم فاستشارهم فاختلفوا، قال بعضهم: خرجتَ لأمرٍ، ولا نرى أن تَرجع عنه، وقال بعضهم: معك بقيةُ الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرى أن تُقدِمهم على الوباء، فقال[٢]: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادعُ لي الأنصار فدعوتُهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادعُ لي مَن كان هاهنا من مَشْيخة قريشٍ من مُهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان، وقالوا: نرى أن تَرجعَ بالناس. فنادى عمر في الناس، إني مُصبح على ظهرٍ فأصبِحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها ـ وكان عمر يكره خِلافه ـ نعم، نفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيتَ لو كان لك إبلٌ فهبطت وادياً له عُدْوَتان إحداهما خَصبة والأخرى جَدبة، أليس إنْ رعيتَ

(١) في (أ) و(خ): بترع، وفي هامش (خ): الترع بفتح التاء المثناة الفوقية قرية بالشام. قلت: وهذا خطأ.

(٢) من قوله: فاختلفوا فقال بعضهم... إلى هنا ليس في (ك)، بدله فيها: فأشار بعضهم بالدخول وبعضهم بالرجعة.

المخصِبة رعيتَها بقدر الله، وإنْ رعيتَ المجدبة رعيتَها بقدر الله؟

قال: فجاء عبد الرحمن بن عوفٍ وكان مُتغيِّباً في بعض حاجته، فقال: إن عندي من هذا علماً، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتُم به في أرضٍ فلا تَقربوها ولا تَقدُموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه»، قال: فحمد الله عمر، ثم انصرف، وقال لعبد الرحمن: أنت عندنا الصادق المصدوق. أخرجاه في الصحيحين(١).

ومعنى قوله ﷺ: «فلا تَقدموا عليه»، نَهيٌ عن التعرُّض للتَّلف، و«لا تخرجوا منها» له معنيان: أحدُهما: أنه يُعلّم التسليمَ لأمر الله والتوكُّلَ عليه، والثاني: لأنه إذا خرج الأصِحّاء لم يبقَ للمرضى مَن يقوم بهم ولا بأمرهم ولا بخدمتهم فيهلكوا.

وروى بمعناه جماعةٌ من الصحابة، منهم أسامةُ بن زيدٍ قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «إن هذا الوباء رِجزٌ أهلك الله به الأممَ قبلكم، وقد بقي منه شيءٌ في الأرض، يجيءُ أحياناً ويذهب أحياناً، فإذا وقع بأرضٍ فلا تأتوها».

والطريق الثاني أخرجه أحمد بإسناده عن أسامة بن زيدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتُم بالطاعون في أرضٍ فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه». والطريقان في الصحيحين، وهذه روايات الصحيح(٢).

فأما أقوال علماء السِّير، فقال ابن إسحاق والواقدي وهشام: خرج عمر إلى الشام غازياً سنة سبع عشرة، حتى إذا كان بسَرْغٍ لقيه أمراءُ الأجناد، فأخبروه أن الأرض سقيمة، فعاد بالناس إلى المدينة، وكان فيهم كعب الأحبار، وكان ممّن أشار عليه بالرجوع، وقالوا: وأسلم كعب في هذه السنة، وقيل: في سنة خمس عشرة.

ذكر اختلاف العلماء في خرجات عمر إلى الشام

ذكر جدي رحمه الله في «المنتظم»(٣) وقال: خرج عمر إلى الشام أربع مراتٍ: مرّتين في سنة ست عشرة، ومرّتين في سنة سبع عشرة، فأما في هذه المرة فإنه لم

(١) صحيح البخاري (٥٧٢٩)، وصحيح مسلم (٢٢١٩).
(٢) مسند أحمد (٢١٧٩٨)، وصحيح البخاري (٦٩٧٣) (٦٩٧٤)، وصحيح مسلم (٢٢١٨).
(٣) في ٤/ ٢٢٤.

يَدخُلها لأجل الطاعون، والخرجة الرَّابعة أَذَّن له بلالٌ حين حضرت الصلاةُ، فبكى الناس عند ذكر رسول الله ﷺ، وكان أشدَّهم بكاءً عمرُ ﵁. هذا صورة ما قال.

وقال الواقدي: إن عمر خرج إلى الشام أربع مرّاتٍ: فالأولى جاء على فرسٍ، والثانية على بعيرٍ، والثالثة: على حمار، والرابعة لم يتعدَّ الجابية لاشتعال الطاعون بالشام.

وقال سيف بن عمر: قال عمر بن الخطاب: ضاعت مواريثُ الناس بالشام، وأريد أن أبدأ بها، فأقسمها على ما في نفسي، ثم أرجع فأنقلبُ في البلاد، فأتى عمر الشام أربع مراتٍ: مرتين في سنة ست عشرة، ومرّتين في سنة سبع عشرة، ولم يدخل دمشق في المرَّتين الأوَّلتين.

وقال أبو مِخْنَفٍ، واسمُه لوط بن يحيى: توجه عمر إلى الشام في سنة ست عشرة، فلما أشرف على الغوطة ونظر إلى دمشق والقصور والبساتين قرأ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥﴾الآية[الدخان: ٢٥].

وحكى ابن سعدٍ عن الواقدي أنه قال: روى أهل الشام أن عمر دخل الشام في خلافته مرّتين، ورجع في الثالثة أو الرابعة من سرغٍ. قال: وهذا لا يُعرف عندنا، وإنما قدم عمرُ الشام عام الجابية، سنة ستّ عشرة، حين فتح البيت المقدَّس، وصالح أهله، وجاء عام سَرْغ سنة سبع عشرة، ورجع من سَرْغ لأجل الطاعون، لا يكون غير هاتين المرتين الدَّخلتين، وهم يقولون إنه دخل دمشق وحمص في المرّة الثالثة، وهذه الرحلة الثالثة لا تُعرف عندنا، سنين عمر معروفةٌ: عام الجابية سنة ست عشرة، وعام سَرْغٍ سنة سبع عشرة، ولا غير ذلك(١).

وقال سيف: وعاد عمر على أَيْلة، فلما نزلها دفع قميصَه إلى أُسقُفِّها وقال له: اغسله وارقَعْه، وكان من كرابيس قد غيَّره مرُّ السنين، فغسله ورقعه وخاط مثله قَباطياً، وأحضرهما، فلبس عمر قميصه وردَّ عليه القباطي، وكان رجوعه إلى المدينة في صفر(٢).

وفي هذه السنة كَتَب التاريخ، وحمى عمر الرَّبَذة لخيل المسلمين، واتَّخذ دار

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٥٣/ ٣-٤ و ٦ ، والطبري ٤/ ٥٦-٥٧ و ٦٣ ، والمنتظم ٤/ ١٩٣ .

(٢) من قوله قبل صفحتين: ومعنى قوله ﷺ فلا تقدموا عليه... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

الضيافة، وأعد فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره، وجعل بين مكة والمدينةَ مَن يحمل المنقطِعين من ماء إلى ماءٍ حتى يوصلوهم إلى البلدِ.

فصل: وفيها غزا خالد بن الوليد وعياض بنُ غَنْم دَرْبَ الروم، وأوغلا فيه، وعادا بالغنائم والسبايا، وبلغ أهلَ الآفاق فانتجعوا خالد بن الوليد، منهم الأشعث بن قيس، فأجازه خالد بعشرة آلاف درهم، وكان عمر له عُيونٌ على عُمّاله وأمرائه، يكتبون إليه بما يكون منهم، فكتب إلى أبي عبيدة أن يُقيم خالداً، ويَعقِله بعمامته، وينزع عنه قَلنسوته، حتى يُقرّ من أين أجاز الأشعث بن قيس، فإن زعم أنه من ماله فقد أسرف، وإن زعم أنه من مال أصابه من الدَّرْبِ فقد باء بخيانة، فاعزِلْه على كلّ حال.

فكتب أبو عبيدة إلى خالد فقدِم، وجمع له الناس، وقام البريد الذي حمل كتاب عمر على المنبر فقال: يا خالد، من أين أجزْتَ الأشعث بن قيس، أمن مالك، أم من مالٍ أصبتَه من بلد العدو؟ وخالد لا يتكلّم، فقام بلال فقال: إن أمير المؤمنين أمر أن تُعقَل بعمامتك، وتناول عمامته فنفضها، ووضع قَلنْسوَته، ثم عقله بعمامته وقال: ما تقول؟ قال: هو من مالي، فأطلقه، وأعاد قَلَنْسُوَته، ثم عمَّمه بيده.

وفي روايةٍ أن عمر كتب إلى أبي عُبيدة: فإن اعترفَ أنه من ماله فقد أسرف، فاعزلْه وضُمَّ ما في يده إلى يدك من العمل، وكذا إن أقرَّ أنها ليست من ماله.

وكان خالد بقِنَّسرين، فكتب إليه فحضر، ولما قام إليه بلال ليعقله قال له: يا عبدَ بني جُمَح ماهذا؟ فقال له أبو عبيدة: إن كتاب عمر ورد بكذا وكذا، فقال: يا عامر، هي من مالي، فأعاد إليه قَلنسوته وعمامته، ولم يخبره أبو عبيدة أنه قد عزله حياءً منه، وأقام متحيِّراً، فخرج من الشام فقَدم على عمر فقال له: والله يا عمر لقد شكوتُك إلى الله والمسلمين؛ فإنك غيرُ مُجملٍ في أمري، فقال له عمر: من أين هذا الثراءُ؟

فقال: من الأنفال والسُّهمان، فقوَّم أموالَه فكانت عشرين ومئة ألفٍ، فأدخلها عمر في بيت المال، ثم عَوَّضه عنها.

وكتب عمر إلى الأمصار: لم أعزل خالداً عن خيانة، ولكن الناس فُتِنوا به، فخفتُ أن يُوكلوا إليه، فأحببت أن أُعلِمهم أن الله هو الصَّانع، فقال خالد: والله ما به إلا النَّفاسة على الصِّيت والذكر، ووالله لا وليتُ له ولايةً أبداً، وخرج إلى الشام، فاعتزل

الناس، وأقام بحمص إلى أن مات.

فصل: وفيها اعتمر عمر في رجب، واستخلف على المدينة زيد بنَ ثابت، وأقام بمكة عشرين ليلةً، ووسَّع المسجد الحرام، وهدم على قوم أَبَوا أن يبيعوه دُورَهم، ووضع أثمانَها في بيت المال لما امتنعوا من أخذها، ثم أخذوها بعد ذلك.

وتزوَّج ابنةَ حفص بن المغيرة، فأُخبر أنها عاقر، فطلقها قبل أن يَدخل بها.

وفي هذه العمرة أمر بتجديد أنصاب الحرم، ووَلَّى ذلك جماعة من قريش: مَخرمة ابن نوفل، والأزهر بن عبد عوف، وحاطب بن عبد العُزَّى، وسعيد بن يربوع، وكان عمر لمَّا مرَّ في طريقه إلى مكة كلّمه أهلُ المياه أن يَبنوا منازل بين مكة والمدينة، فأمرهم بذلك، وقد ذكرناه[١].

وفي هذه السنة كانت قصَّة المغيرة بن شُعبة، والشهادة عليه بالزنا[٢].

وقد اختلفوا فيه، فقال ابن إسحاق: كان المغيرة يختلفُ إلى امرأة من بني هلال يقال لها: أمُّ جميلٍ بنت الأفقم، من بني عامر بن صَعصعة، وكانت تَغشى الأُمراءَ والأشراف، وليس لها زوج، وعلم به أهل البصرة فأعظموا ذلك، ووضعوا له الرَّصَد، فدخل عليها يوماً، فهجموا عليه فرأوه يُواقعها، فركب أبو بكرة إلى عمر فأخبره، فولّى أبا موسى الأشعريَّ البصرة، وكتب بإشخاص المغيرة إليه.

وقال الهيثم: عَشِق المغيرةُ امرأةً من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها: أم جميل بنت مِحْجَن، وكانت عند الحجاج بن عتيك الثقفي، وكان أبو بكرة لا يزال يَلقى المغيرة وحده خارجاً من عندها، فيقول: أين كنتَ؟ فيقول: عند مَن أحبُّ، فيقول أبو بكرة: إن الأمير يُزار ولا يزور، فدخل المغيرة يوماً عليها، فاطَّلع أبو بكرة فإذا هي تُقبِّل المغيرة، فاستدعى أبو بكرة شِبْل بن مَعبد البَجلي، ونافع بن الحارث وزياداً أخويه[٣]، فشاهدوا المغيرة وهو يَنكحها، فارتحل أبو بكرة والشهود إلى المدينة،

(١) من قوله: وكان عمر لما مر... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) في (خ) و(أ): والشهادة عليه بأمر أم جميل. وما بعدها إلى فتح الأهواز ليس فيهما.

(٣) في أنساب الأشراف ١/ ٥٨٢: فدعا شبل بن معبد ونافع بن الحارث أخاه وزياد بن عبيد.

فشهدوا عليه عند عمر.

وقال الواقدي: كان بين المغيرة وبين أبي بكرة مُنافرة، وكانا متجاورَيْن في مَشربتين متقابلتين، في كلٍّ واحِدةٍ منهما كُوَّة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبي بكرة قومٌ يتحدَّثون عنده، فهبت الريحُ ففتحت باب الكُوَّة، فقام أبو بكرة ليَصفِق بابَها، فبصُر بالمغيرة وهو بين رجلَي امراةٍ، فقال للنفرِ: قوموا فانظروا، فقاموا فنظروا، فقال: اشهدوا، فقالوا: مَن هذه؟ قال: أمُّ جميل بنتُ الأَفقم، وعرفوها حين قامت، ثم خرج المغيرة إلى الصلاة، فحال أبو بكرة بينه وبينها وقال: والله لا تصلي بنا بعدها.

وكتبوا إلى عمر وأخبروه، فبعث أبا موسى وقال له: استعِنْ بأنس بن مالك، وعمران بن الحُصَين، وهاشم بن عتبة، فلما قدم أبو موسى البصرة أَشخص المغيرة وأبا بكرة وزياد بن أبيه ونافع بن الحارث بن كَلَدة وشِبل بن مَعبد البَجلي، وهم الذين عاينوا القصة، فلما قدموا على عمر شهدوا على المغيرة بما عاينوا، فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين، سَلْ هذه الأعبد كيف رأوني؟ فإن كانوا استقبلوني، فكيف لم أستتر عنهم. وإن كانوا استدبروني، فكيف يَحلُّ لهم أن ينظروا في منزلي؟ والله ما أتيتُ إلا امرأتي وكانت تُشبهها، فقام أبو بكرة فقال: كذبتَ، أشهد أنه بين رجلي أمِّ جميل بنت الأفقم، وهو يدخله في فرجها كالمُلْمول في المُكْحُلَة، ثم شهد شبل ونافع بمثل ذلك، وبقي زياد فقال له عمر: بم تَشهد؟ فقال: رأيتُه جالساً بين رجلي امرأةٍ، ورأيتُ قدمين مَخضوبتَيْن تَخفِقان، وسمعت حَفَزاناً شديداً، قال: هل رأيت كالملمولِ في المُكحلة؟ قال: لا، قال: هل تَعرف المرأة؟ قال: لا، قال: فتنحَّ، وقرأ عمر: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾[النور: ١٣]، وأمر بالثلاثة فحُدُّوا، وقيل: كان ذلك في سنة خمس عشرة.

وقال الواقدي: ولما حُدُّوا حدَّ القذف قال المغيرة: يا أمير المؤمنين، اشفني من هذه الأعبد، فقال له عمر: اسكت أسكتَ الله نَأمَتك ـ أي: صوتَك ـ والله لو كملت الشهادةُ لرجمتُك بأحجارك(١).

---

(١) انظر الطبري ٤/ ٦٩-٧٢، والمنتظم ٤/ ٢٣١-٢٣٢.

وقد ذكر القصّة البلاذري[(١)] وقال: ولمَّا بلغ عمر فعلُ المغيرة عزله عن البصرة، وولّى أبا موسى، وبعث معه أنس بن مالك، وأخاه البراء بن مالك، وأبا نُجَيد عمران ابن الحصين الخُزاعي، وأمره بأن يُشخِص المغيرة والشهود، فلما قدموا على عمر جمع الناس، وأُقيم المغيرة، وقام أبو بكرة فشهد عليه، فقال عمر: ذهب رُبعُ المغيرة، وقام نافع بنُ الحارث فشهد بمثل ذلك، فقال عمر: ذهب نصفُ المغيرة، فقام شبل بن معبد فشهد بمثل ذلك، فقال عمر: ذهب ثلاثةُ أرباع المغيرة، ثم تقدّم زياد، وكان شاباً طريراً جميلاً، فلما نظر إليه عمر قال: والله إني لأرى وجهاً خليقاً أن لا يُخزي الله به رجلاً من أصحاب محمد ﷺ، ثم قال له عمر: بم تَشهد؟ فقال: أشهدُ أني سمعتُ نَفَساً عالياً، ورأيتُ أمراً قبيحاً، فأما ما ذكره هؤلاء فلا ـ يعني الململول في المكحلة ـ فانتضى المغيرةُ السيف، وقصد أبا بكرةَ وصاحبَيْه، فصاح عمر: لعنك الله يا أعور أَمسِكْ ـ وكانت إحدى عينيه قد ذهبت باليرموك أو بالقادسية ـ.

ثم أمر عمر بالثلاثة فحُدُّوا، ودرأ عن زيادٍ حدَّ القَذْف، وعن المغيرة حدَّ الزِّنا، ثم قال عمر: توبوا، فقال له أبو بكرة: والله لا أتوبُ من الحق أبداً، أشهدُ أن الأعور الفاسق زانٍ، فأراد عمر أن يَحُدَّه ثانياً، فقال له علي: لا تفعل، فإنك إن جعلتَها شهادةً رجَمْنا المغيرة، فسكت عمر، وقال أبو بكرة لزياد بن أبيه، وهو أخوه لأمِّه سميَّة: نافقتَ وداجيتَ وكذبتَ!؟ والله لا كلّمتُك أبداً، فلم يُكلِّمه حتى مات.

وذكر جدي في «المنتظم»[(٢)] وقال: من الجائز أن يكون قد تزوَّجها ولم يَعلم أحدٌ، وقد كانت تُشبه زوجتَه، قال: وقال ابنُ عقيل: للفقهاء تأويلات؛ فقد كانت المتعةُ عَقداً في الشرع، وكان نكاحُ السرِّ عند قوم زنا، ولا يجوز أن تُنسبَ الصحابةُ إلى ما لا يجوز.

قلت: والعجب من هذا الاعتذار، وقد ارتكب المغيرةُ أعظمَ من الزنا لمّا ولاه معاوية بن أبي سفيان الكوفة؛ بعدما استشهد أمير المؤمنين، كان يَلعن أمير المؤمنين على منبر الكوفة وفي مجالسه، ويَختلق له المساوئ لما سنذكر[(٣)]، وقد ثبت أن النبي

(١) في أنساب الأشراف ١/ ٥٨٢-٥٨٣.

(٢) في ٤/ ٢٣٢.

(٣) هذا من تشيّع المصنف، وانظر ما سيرد.

ﷺ قال: «لعن اللهُ من سبَّ أصحابي»[١]. واستحلال عِرض المؤمن أعظمُ من الزّنا لأنه كفرٌ، وأما المتعة فحرامٌ عند عامة العلماء على ما تقدَّم. وكيف يُبيحها ابنُ عقيلٍ بعد التحريم؟ اللهمَّ أن يكون مذهبه، فإنه كان يرى ذلك على ما حكت الحنابلةُ عنه، أنه كان يرى رأيَ الشيعة، وسنذكره في ترجمته. وقد كان الواجبُ على عمر أن يَحُدَّه؛ لأنه كان يُقيم الحدود على ما تقدّم، وإنما قصد السترَ على المغيرة لئلا يَفضحه.

وروي عن أبي بكرة أنه لما عاد إلى البصرة قيل له في ذلك فقال: عمرُ لقَّن زياداً الرجوع، أشار إلى ما ذكرنا من قول عمر: والله إني لأرى وجهاً خَليقاً أنه لا يُخزي الله به رجلاً من أصحاب محمد ﷺ.

فصل: وفيها فُتحت[٢] الأهواز ومَناذر ونهر تِيرَى وتُستَر ورامَهُرْمُز والسُّوس، وأُسر الهرمزان.

قال علماء السِّير منهم سيف بن عمر عن أشياخه قالوا: لم يزل يَزْدَجرد منذ انفصل عن المدائن وهو مقيمٌ بمَرْو، يُراسل أهلَ هذه الأماكن، ويقول لهم: رَضيتُم بغَلَبة العرب عليكم حتى حكموا على أموالكم وحريمكم، وسلبوكم عزَّكم! فراسلوه: ابعث

---

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٢/ ٢٦٤، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٥٨٨)، والأوسط (٧٠١٥)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٢٣٤٨)، والسهمي في تاريخ جرجان ٢٥٢ من طريق عبد الله بن سيف، عن مالك بن مغول، عن عطاء، عن ابن عمر رضي الله عنه. وعبد الله بن سيف، قال ابن عدي: رأيت له غير حديث منكر، وقال العقيلي: حديثه غير محفوظ.
وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ١٥٠ من طريق محمد بن الفضل، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر.
وأخرجه أبو يعلى (٢١٨٤)، والخطيب ٣/ ١٤٨-١٤٩ من طريق محمد بن الفضل، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله، ومحمد بن الفضل قال فيه أحمد: ليس بشيء، حديثه حديث أهل الكذب، وقال ابن معين والجوزجاني: كان كذاباً، وقال مسلم والنسائي والدارقطني: متروك الحديث.
وأخرجه الطبراني في الأوسط (٧٧٧١) من حديث عائشة رضي الله عنها.
وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٠٠١) عن عطاء مرسلاً.
وفي النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ أحاديث صحيحة، منها حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه أحمد (١١٠٧٩)، ومسلم (٢٥٤٠) بلفظ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه».

(٢) إلى هنا ليس في (أ) و(خ) مما سلفت الإشارة إليه قبل أربع صفحات.

إلينا مَن تختار، فجهَّز إليهم الهرمزان في جيشٍ كثيفٍ، فنزل رامَهُرْمز، واتَّفق أهل الأهواز وتعاهدوا على المسلمين، وكُتب إلى عمر بذلك، فبعث إلى سعد: ابعث إلى الأهواز النعمان بنَ مُقَرِّن، وسويد بنَ مقرن، وجرير بنَ عبد الله، وكتب إلى أبي موسى: أن ابعث إلى الأهواز جيشاً كثيفاً، وأمِّر عليهم سهل بنَ عديّ، وابعث معه البراء بنَ مالك في جماعةٍ سمَّاهم، وعلى أهل الكوفة والبصرة أبو سبرة بن أبي رُهْم، وكلُّ مَن أتاه كان مدَداً له.

وخرج النُّعمان بن مقرِّن في أهل الكوفة حتى قطع دجلة بِحيال مَيْسان، ثم أخذ طريق البرِّ إلى الأهواز فانتهى إلى نهر تِيرى فجاوزها، ثم انتهى إلى مَناذرٍ وسوق الأهواز وقصد الهُرمزان ـ وهو يومئذ برامَهُرْمُز ـ فسار إلى النّعمان وبادره قبل أن تنضمّ إليه جيوش المسلمين، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم الهرمزان إلى تُستَر، وجاء النعمان فنزل برامهرمز.

وكان الهرمزان قد صالح المسلمين ثم نكث، فحاصروه في تستر، وأقاموا عليه مدَّةً، وزحفوا عليهم ثمانين مرة، فلما كان في آخر زحفٍ واشتدَّ القتال قال الناس للبراء بن مالك: يا براء، أقسم على ربك ليهزمنَّهم لنا فقال: اللهمَّ اهزمهم واستَشْهدني، فاستشهد البراءُ في ذلك اليوم، وهزموهم حتى ألجؤوهم إلى الخنادق، وتقدَّم المسلمون فأحاطوا بالمدينة، وأزالوهم عن أماكنهم، وخرج إليهم رجلٌ مُستأمن، فدلَّ النعمان بنَ مُقرِّن على مكانٍ يَدخلُ منه إلى البلد، وجاؤوا فدخلوا، وهرب الهرمزان إلى القلعة، فأحاطوا به، فاطَّلع عليهم وبيده قوسُه وجَعبته وقال: في هذه الجَعْبة مئةُ نُشَّابة، والله لا تَصلون إليَّ حتى أقتل مئةَ رجل من أعيانكم، قالوا: فماذا تريد؟ قال: أنزل على حُكم عمر يَفعلُ بي ما شاء، قالوا: نعم، فنزل فأخذوا سلاحَه وأوثقوه، واقتسموا الغنائم، فكان سهمُ الفارس ثلاثة آلافٍ، والراجل ألفاً.

وخرج من تُستَر جماعةٌ من الفُرس، فقصدوا السُّوس، واتبعهم أبو سَبْرة، ثم إن أبا سَبْرة كتب إلى عمر بالفتح، وبعث إليه بالهُرمزان ومعه أنس بنُ مالك والأحنف بن قيس وجماعةٌ من الأعيان، فلما وصلوا المدينة أَلبسوا الهرمزان ثيابَه الدِّيباج وسلاحَه، ووضعوا على رأسه تاجَه ـ وكان مُرَصَّعاً باليواقيت والجواهر ـ ليراه المسلمون على

هيئته، وكان عمر نائماً في المسجد، فقال الهُرمزان: أين عمر؟ فقالوا: ها هو ذا، فقال: أين حُجَّابُه وحُرَّاسُه؟ قالوا: ليس له حاجبٌ ولا حارسٌ، فقال: هذا والله الملكُ الهَنيُّ من غير تعبٍ، وفي روايةٍ: يَنبغي أن يكون هذا نبياً.

وانتبه عمر فقال: أين الهُرمزان؟ فقالوا: ها هو ذا يا أمير المؤمنين، فلم يُكلّمه، قالوا: يا أمير المؤمنين، هذا ملكُ الأهواز فكلِّمه، فقال: لا، حتى لا يَبقى عليه من حِليته شيء، فرمَوا جميع ما عليه، وألبسوه ثوباً صَفيقاً، وأحضره بين يديه، وقال له: كيف رأيتَ وَبالَ الغدر؟ فقال له: ياعمر، إنا غَلبناكم في الجاهليّة حيث كان الله معنا، فلما صار معكم غلبتمونا، فقال له عمر: ما عُذرك في انتقاضك مرَّة بعد مرة؟ قال: أخاف أن تَقتلني قبل أن أُخبرك، قال: لا تَخفْ، لا بأسَ عليك.

فاستسقى ماءً، فأُتي به في قَدَح غليظ، فقال: لو متُّ عَطشا لم أستطع الشُّرب في هذا، فأُتي بإناء يرضاه، وقيل: بإناء زجاجٍ، فأخذه بيده، وجعلت يده ترعد فقال عمر: مالك؟ قال: أخاف أن أُقتل قبل أن أَشربَ، فقال: لا بأس عليك حتى تَشربَه، فضرب به الأرضَ فكسره، فقال عمر: أعيدوا عليه الماء، ولا تَجمعوا عليه القتلَ والعطش، فقال الهرمزان: لا حاجةَ لي في الماء، وإنما أردتُ أن أستَأمن به، فقال عمر: فإني قاتلُك، قال: إنك قد أمَّنتني، قال: كذبتَ، فقال أنس: صدق قد أَمَّنتَه، قال: ويحك يا أنس، أنا أُؤمِّنه وقد قتل البراء بن مالك وغيره، والله لتأتينَّ بالمخرج أو لأُعاقبنَّك، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قلت: لا بأس عليك حتى تُخبرَني، ولا بأس عليك حتى تشرب الماء، وقالت الصحابة مثلَ قول أنسٍ، فأقبل عمرُ على الهُرمزان وقال: أتَخْدعُني؟ والله لا أنخدع إلا أن تُسلم، فأسلم، ففرض له ألفين وأنزله المدينة، وقال هشام: أنزله دار رملة، وأحسن إليه، وسُرَّ بإسلامه.

وقال الأحنف بن قيس: يا أمير المؤمنين، إنك نهيتَنا عن الانسياح في البلاد، وأمرتَنا بالاقتصار على ما في أيدينا، وما دام مَلك فارس حيًّا بين أظهرهم لايزالون يساجلونا، وإنه هو الذي يَبعثهم على ذلك، ولن يجتمع مَلكان قط، فأْذن لنا في الانسياح في بلادهم حتى نُزيلَه عن مُلك فارس، فإما أن نَقتُلَه، وإما أن نُزيلَه ونُلجئه إلى مَملكةٍ أخرى غير مملكته، ورعيةٍ غير رعيته، فنَأمن شرَّه، ويَنقطع رجاءُ أهل فارس منه، قال: صدقتَ، ثم إنه انتهى إلى رأي الأحنف، وأذِنَ لهم في الانسياح في البلاد،

وبعث كلَّ أميرٍ إلى ناحية[١].

هذا ويزدجرد بن كسرى مُقيمٌ بمَرْو، وقد أمِن على نفسه، وبنى القصور، واتَّخذ بيت نارٍ، واتّخذ بُستاناً عظيماً، وبنى فيه القِباب، وغرس الأشجار، وأقام إقامةَ مُطمئن، وكانت الفرس تُكاتبه وتَحفظ عهدَه في الأماكن التي لم يصل إليها المسلمون، وورد على عمر كتاب بأن الفرس قد اجتمعوا في نهاوند.

فصل حديث السّوس

قال علماءُ السير: كتب عمر إلى ابن أبي رُهمٍ بمُنازلة السُّوس، فنازلها، وحاصرهم أياماً وقاتلهم، وأشرف عليهم الرُّهبان، وقالوا: يا معاشر العرب، إن مما عَهد إلينا علماؤنا ألا يَفتح السوسَ إلا الدجالُ، أو قومٌ فيهم الدجال، وكان ابن صيّادٍ مع المسلمين، فأتى بابَ السوس فضربه برجله وقال: انفتِح، فتقطعت السلاسلُ وتفتَّحت الأبواب، ودخل المسلمون، فألقى الكفار بأيديهم وقالوا: الصُّلحَ الصلح، فأجابوهم.

قلت: وقد ذكر ابن سعدٍ ابنَ صيّادٍ فقال: اسمه عبد الله، ويقال: صاف، كان أبوه من اليهود، ولا يُدرى من هو، ولد على عهد رسول الله ﷺ، وهو أعور مَختون[٢].

وكان جماعة من الصحابة يظنون أنه الدجال، وكان جابر بن عبد الله يحلف بالله أنه الدجال، قال محمد بن المنكدر: فقلتُ لجابر: أتحلف بالله؟ فقال: سمعتُ عمر ابن الخطاب يَحلف على ذلك عند رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ لا يُنْكِرُهُ[٣].

ولمسلم عن أبي سعيد قال: صحبتُ ابن صيّاد إلى مكة، فقال لي: يا أبا سعيد، أما قد لقيتُ من الناس، يزعمون أني الدّجال، ألستَ سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «إنه لا يُولَد له»؟ قلتُ: بلى، قال: فقد وُلد لي، أو ليس سمعتَ رسول الله ﷺ يقول إنه: «لا يدخل الدجالُ المدينة ولا مكة»؟ قلتُ: بلى، قال: فقد وُلدتُ بالمدينة، وها أنا أريد مكة، ثم قال: أما والله، إني لأعلم مَولد الدجّال ومكانَه وأين هو؟ قال: فلَبَسَني،

---

(١) من قوله: وقال الأحنف بن قيس.. إلى هنا ليس في (ك).

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٦٥-٥٦٦.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٢٩)، ومن قوله: وكان جماعة من الصحابة... إلى هنا ليس في (ك).

وأخذَتْني منه ذَمامة.

وفي رواية: فقال: مالي ولكم يا أصحاب محمد! ألم يَقل نبيُّ الله: «إن الدجَّال يهوديٌّ» وقد أسلمتُ، و«إن الله قد حرَّم عليه المدينة» وقد حججتُ، قال: فما زال حتى كاد أن يَأخذني من قوله، ثم قال: والله إني لأعرف الآن حيث هو، وأعرف أباه وأمَّه[١]، فقيل له: أيَسرُّك أنك ذلك الرجل؟ فقال: لو عُرض عليَّ ما كرهتُ[٢].

وروى ابن سعدٍ عن محمد بن كعبٍ القرظي قال: كنا بالأهواز، فقيل: مات ابن صائد، فأخرج بنوه نعشاً لا يُدرى ما فيه.

قال ابن سعد: ومن ولده عمارةُ بن عبد الله بن صيّاد، من خيار المسلمين، وكان من أصحاب ابن المسيّب، وروى عنه مالك بنُ أنس[٣].

حديث دانيال

قال أبو اليقظان وغيره: ولما فُتحت السوس، قيل لأبي سبرة بن أبي رُهم[٤]: إن في السوس جسد دانيال ـ وكان في مغارةٍ يَستسقون به ـ وتوجَّه أبو سبرة إلى جُنْدَيْ سابور، وأقام أبو موسى الأشعري بالسُّوس، وجاء إلى المغارة فرآه مُلقى وفي يده خاتم من حديدٍ، وعليه منقوشٌ صورة رجلٍ بين أسدَين، وكان بُختنصَّر قد رماه بين أسدين فنجاه الله منهما، فنقش ذلك على خاتمه شُكرا لله تعالى، وكتب أبو موسى الأشعريُّ إلى عمر يُخبره بذلك، فكتب إليه يَأمره بمواراته، وكتب عمر إلى سعدٍ بأن يشن الغارات في بلاد فارس.

وفيها تزوَّج عمر أمَّ كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب، وأمُّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكان قد خطبها وهي جاريةٌ لم تَبلُغ، وقيل: كانت بنت أربع سنين.

---

(١) من قوله: وفي رواية... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) صحيح مسلم (٢٩٢٧) (٨٩-٩٠).

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٦٦ .

(٤) في النسخ: قيل لسبرة بن أبي رهم، والمثبت من الطبري ٤/ ٩٢ ، والمنتظم ٤/ ٢٣٦ ، والبداية والنهاية ١٠/ ٦٦ ، والكامل ٢/ ٥٥٠-٥٥١ .

وقال ابن سعد بإسناده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، أن عمر بن الخطاب خطب إلى عليٍّ ابنتَه أمَّ كلثوم[(١)]، فقال علي: إنما حبستُ بناتي على بني جعفر، فقال عمر: والله مالي بالنساء حاجة، ولكني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «كلُّ حَسبٍ ونَسبٍ يَنقطع يومَ القيامة إلا حسبي ونسبي»، وإني صحبتُه، وأحببتُ أن يكون لي هذا. فقال علي: قد فعلتُ، فخرج عمر إلى الصحابةِ وقال: رفِّئوني، فرفئوه، وقالوا: بمن؟ فأخبرهم.

وقال الواقدي: لما خطبها عمرُ قال له علي: يا أمير المؤمنين، إنها صبية، فقال عمر: قد علمنا ما بك، فأمر عليٌّ بها فصُنّعت، ثم أمر ببُرده فطواه، ثم قال: انطلقي بهذا إلى أمير المؤمنين وقولي له: إن رضيتَ بهذا البُرد فأمسكه، وإلا فارْدُدْه، فجاءت إلى عمر فقال لها: بارك الله فيك وفي أبيك، قد رضينا، فرجعت إلى أبيها فقالت: ما نَشر البُردَ، ولا نظر إليه، فزوّجها إياه[(٢)]. وسنذكرها عند وفاتها، وحجّ عمر بالناس.

فصل[(٣)] وفيها توفي

البراء بن مالك

ابن النَّضر بن ضَمْضَم، أخو أنس لأمه وأبيه، وهو من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد أُحداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وكان شجاعاً، قتل مئةَ رجلٍ مُبارزة، وكتب عمر رضوان الله عليه إلى العراق: لا تستعملوا البراء على جيشٍ من جيوش المسلمين؛ فإنه مَهلكة يَقدم [بهم].

وهو الذي هزم الكفارَ يومَ اليمامة، ووقف في ثُلمة الحديقة وقال: ارفعوني على

(١) من قوله: وقيل: كانت بنت أربع سنين... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٤٣٠، وانظر المنتظم ٤/ ٢٣٧-٢٣٨، وأخرج الحديث عبد الرزاق (١٠٣٥٤)، وأحمد في فضائل الصحابة (١٠٦٩) (١٠٧٠)، والطبراني في الكبير (٢٦٣٤) (٢٦٣٥)، والأوسط (٥٦٠٦) (٦٦٠٩)، وابن عدي في الكامل ١/ ٢٧٠، والحاكم ٣/ ١٤٢، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٣٤ و ٧/ ٣١٤، وتاريخ أصبهان ١/ ١٩٩، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٦٣-٦٤، والضياء المقدسي (١٠١) (١٠٢)، وانظر تلخيص الحبير ٣/ ١٤٣.

(٣) من هنا إلى ترجمة حدير ليس في (ك).

رماحكم، وجلس في تُرس، فرفعوه فألقَوه، فقتل عشرةً، وقتل مسيلمة.

قال أنس بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «كم من ضعيفٍ مُستضعَفٍ، ذي طمرين، لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم البراءُ بنُ مالك»[١]، وإن البراء لقي زَحْفاً من المشركين، وقد أوجف[٢] المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء، إن رسول الله ﷺ قال إنك لو أقسمتَ على الله لأبرَّك، فأقسمْ على ربِّك، فقال: يا رب، أقسمتُ عليك لما مَنحتَنا أكتافَهم، فمُنحوا أكتافَهم، ثم التقوا على قَنطرة السُّوس، فأوجفوا في المسلمين، فقال: أقسمتُ يا ربّ لما مَنحتَنا أكتافَهم وألحقتَني بنبييّ ﷺ، فمُنحوا أكتافهم، وقُتل البراءُ شهيداً رضي الله عنه[٣].

الحُباب بن المنذر

ابن الجموح بن زيد بن حرام، وكنيته أبو عمرو، من الطبقة الأولى من الأنصار شهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكان لِواءُ الخزرج بيده يوم بدر، وهو ابن ثلاثة وستين سنة[٤].

وهو القائل يوم بدر لرسول الله ﷺ: آلله أمرك أن تَنزل هذا المنزل؟ قال: لا، قال فارتحِل، فجاء جبريل فقال: الرأيُ ما قال حُباب، وهو الذي قال يوم حاصر رسول الله ﷺ النَّضير وقُريظة: أرى أن نَنزل بين قصورهم، فنمنع خبرَ هؤلاء عن هؤلاء، فأخذ بقوله.

وهو القائل يوم السَّقيفة: أنا جُذَيلُها المُحَكَّك وعُذَيْقُها المُرَجَّب، منّا أميرٌ ومنكم [أمير]، وله صحبة ورُؤية، وليس له رواية رضي الله عنه[٥].

---

(١) في (أ) و(خ): عازب، وهو خطأ، وأخرج الحديث الترمذي (٣٨٥٤)، وأبو يعلى (٣٩٨٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦٧٦)، والحاكم ٣/ ٢٩٢، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠٠٠) (١٠٠٠١)، وابن الجوزي في المنتظم ٤/ ٢٣٩.

(٢) كذا في (أ) و(خ) والمنتظم، وفي الاستيعاب (١٦٥): أوجع، وهي الأشبه.

(٣) انظر في ترجمته طبقات ابن سعد ٤/ ٣٢٨ و ٩/ ١٦، والاستبصار ٣٤، والإصابة ١/ ١٤٣، إضافة إلى المراجع السابقة.

(٤) كذا، وفي طبقات ابن سعد ٣/ ٥٢٦ أنه شهد بدراً وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، قال الحافظ في الإصابة ١/ ٣٠٢: مات في خلافة عمر وقد زاد على الخمسين.

(٥) الاستيعاب (٥٣٥)، والاستبصار ١٥٧، والمنتظم ٤/ ٢٤٠، وطبقات ابن سعد ٣/ ٥٢٥، والإصابة ١/ ٣٠٢.

حُدَيْر

رجل من الصحابة(١)، ولم يُذكر له نسب.

حدثنا جدي رحمه الله بإسناده عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يُقال له: حُدير، وكانت تلك السنة قد أصابتْهم شِدَّةٌ من قلَّة الطعام، فزوَّدهم رسولُ الله ﷺ، ونسي أن يزوِّدَ حُدَيراً، فخرج حدير صابراً مُحتسباً في آخر الركب يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمدُ لله، وسبحان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويقول: نِعم الزادُ زادُك يا حُدَير، يُردِّدها وهو في آخر الركب.

فجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن ربي أرسلني إليك يُخبرك أنك زوَّدتَ أصحابك ونسيتَ أن تُزوِّد حُدَيراً، وهو يقول كذا وكذا، وكلامه نورٌ له يوم القيامة ما بين السماء والأرض، فابعث إليه بزاد.

فدعا رسولُ الله ﷺ رجُلاً، فدفع إليه زاداً لحُدَيرٍ، وأمره إذا انتهى إليه حَفِظ ما يقول، وإذا دفع إليه الزاد حَفِظ ما يقولُ، وقال له: اقرأ عليه السلام وقل له: إن رسول الله ﷺ نسي أن يُزوِّدك، وإنما جاءه جبريل فذكَّره بك.

فانتهى إليه وهو يقول تلك الكلمات، فأدَّى إليه الرسالة، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسوله وقال: الحمد لله الذي ذكرني من فوق عرشه وسبع سماواته، ورَحِم جوعي وضَعفي، يارِبّ، كما لم تنس حُدَيراً فاجعل حُدَيراً لا ينساك.

قال: فحفظ عنه الرجل ما قال، ورجع فأخبر النبيَّ ﷺ بما قال، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو رفعتَ رأسَك إلى السماء لرأيتَ لكلامه نوراً ساطعاً بين السماء والأرض»(٢).

وفي الصحابة مَن اسمُه حُدير رجلان: أحدهما هذا وليس له رواية، والثاني حُدَير مولى بني سُلَيم وكنيته أبو فروة، له صحبةٌ وروايةٌ(٣).

---

(١) من هنا إلى نهاية ترجمة حدير ليس في (أ) و(خ).

(٢) المنتظم ٤/ ٢٤٠، وانظر صفة الصفوة ١/ ٧٤٣-٧٤٥، والإصابة ١/ ٣١٧.

(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٨٠، وانظر في ترجمة الأخير الاستيعاب (٣٠٩٧)، والإصابة ١/ ٣١٦. قال

ربيعة بن الحارث

ابن عبد المطلب بن هاشم، ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ، وكنيته أبو أروى، من الطبقة الثانية من المهاجرين، وكان أسنَّ من العباس بسنتين، وقيل بسبع سنين.

ولما خرج العباس ونَوفل إلى المدينة مُهاجرَيْن أيام الخندق شيّعهما إلى الأبواء، وهَمَّ بالرجوع إلى مكة، فقالا له: إلى أين تَرجع؟ إلى دار الشرك إلى قوم يُحاربون الله ورسوله، وقد أعزَّه الله، وكثَّر أنصارَه، فرجع معهما إلى المدينة مُسلِمين، ثم شهد مع رسول الله ﷺ فتحَ مكة وحنيناً، وثبت معه يومئذٍ، وشهد الطائف، وذكره بالمدينة في بني حُديلة، وقال فيه رسول الله ﷺ: «نِعم الرجلُ ربيعة لو قصَّر من شعره، وشَمَّر من ثوبه» ففعل، وأطعمه رسول الله ﷺ بخيبر مئةَ وسْق[(١)].

العلاء بن الحَضْرميّ

واختلفوا في اسم الحضرمي. فقال ابن سعد: اسمه عبد الله بن ضِماد بن سلمى ابن أكبر، من حضرموت من اليمن[(٢)]، وقيل: عماد بن مالك، وقيل: عبد الله بن عماد، والعلاءُ حليف[(٣)] لبني أمية بن عبد شمس.

وذكر ابن سعد العلاء في الطبقة الثانية من المهاجرين، وأخوه ميمون بن الحَضْرميّ صاحبُ البئر التي بأعلى مكة بالأَبطح، يقال لها بئر مَيمون، مشهورةٌ على طريق العراق، وكان حفرها في الجاهلية[(٤)]، وعندها مات أبو جعفر المنصور.

بعثه رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى بالبحرين بكتابه، يدعوه فيه إلى الله تعالى، مُنصرَفَه من الجِعِرَّانة، وفيه فرائض الصَّدقة، ولما وَلَّى رسول الله ﷺ العلاء البحرين، بعث معه نفراً منهم أبو هريرة ﷺ، وقال له: «استوص به خيراً»، قال أبو هريرة: فقال

= الحافظ: أبو فوزة، بفتح الفاء وسكون الواو بعدها زاي، وقال بعضهم: أبو فروة، وهو وهم.

(١) ترجمة ربيعة ليست في (ك)، وانظر في ترجمته طبقات ابن سعد ٤/ ٤٣، والمعارف ١٢٧-١٢٨، والاستيعاب (٧٥٦)، والمنتظم ٤/ ٢٤١، والتبيين ١٠٣، والإصابة ١/ ٥٠٦، والسير ١/ ٢٥٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٧٦.

(٣) من قوله: واختلفوا في اسم الحضرمي.. إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٤) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٧٦.

لي العلاء: انظر ما تحب فقال: تجعلني أُؤذّن لك، ولا تَسبقني بآمين، فأعطاه ذلك.

وكان رسول الله ﷺ قد كتب إلى العلاء أن يَقدم عليه بعشرين رجلاً من عبد القيس، فقدم عليه بهم، ورئيسُهم عبد الله بن عوف الأشجّ، واستخلف العلاءُ على البحرين المنذر بن ساوَى، فشكا الوفدُ العلاءَ إلى رسول الله ﷺ، فعَزله عنهم، وولّى أبان بن سعيد بن العاص عليهم، وقال له: «استَوصِ بعبد القيس خيراً وأكرم سَراتهم».

فلم يزل أبان على البحرين حتى قبض رسول الله ﷺ، فقدَم على أبي بكر رضوان الله عليه، فقال له: ارجع إلى عملك، فقال: لا والله، لا أعملُ لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ، فلما امتنع دعا العلاءَ، فولاه البحرين، فخرج من المدينة في ستةَ عشر راكباً، معه فُرات بنُ حيّان العجليّ دليلاً، وكتب معه كتاباً أن يَنفر معه كلُّ مَن مَرَّ به من المسلمين.

فسار حتى نزل بحِصن جُواثا، فقاتلهم فلم يُفلت منهم أحد، ثم أتى إلى القَطيف وبها جمع من العجم فقاتلهم، فأصاب منهم طرفاً، فانضمَّت الأعاجم إلى الزَّارة، فأتاهم العلاء، فنزل الخَطّ على ساحل البحر، فقاتلهم وحاصرهم؛ إلى أن توفي أبو بكر رضوان الله عليه، وولي عمر رضوان الله عليه، وطلب أهلُ الزَّارة الصُّلْحَ، فصالحهم العلاء، ثم عبر إلى أهل دَارِين فقاتلهم، فقتل المقاتلة، وحوى الذَّراري، وبعث عَرْفَجة ابن هَرْثَمة إلى أسيافِ فارس، فقطع في السفن، فكان أوّل مَن فتح جزيرةً بأرض فارس، واتخذ فيها مسجداً، وأغار على بارِنْجان والأسياف، وذلك في سنة أربعَ عشرة.

قال الشعبي: كتب عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إلى العلاء بن الحَضْرميّ وهو بالبحرين أن سِرْ إلى عُتبة بن غزوان، فقد وَلَّيتُك عملَه، واعلم أنك تَقدم على رجلٍ من المهاجرين الأوَّلين، الذين سبقتْ لهم من الله الحُسنى، لم أعزِلْه ألا يكون عفيفاً صَليباً في دين الله، شديدَ البأس ولكنني ظننتُ أنك أغنى عن المسلمين في تلك الناحية منه، فاعرف له حقَّه، وقد ولَّيتُ قبلَك رجلاً، فمات قبل أن يَصل، فإن يُرد الله أن تليَ وليت، وإن يرد الله أن يليَ عُتبة فالخلقُ والأمر لله ربِّ العالمين، واعلم أن أمر الله مَحفوظٌ بِحفظه الذي أنزله، فانظر الذي خُلقتَ له فاكْدَح له، ودَعْ ماسواه، فإن الدنيا أمَدٌ، والآخرة أبد، فلا يُشغلنّكم شيءٌ مُدبرٌ خيرُه، عن شيءٍ باقٍ خيرُه، واهرب إلى الله من سَخَطِه، فإن الله يجمع لمن شاء الفَضيلة حِلمه وعلمه، نسألُ الله لنا ولكم العَونَ على طاعته، والنجاةَ من عذابه.

فخرج العلاءُ من البحرين في رهطٍ منهم أبو هريرة وأبو بَكرة، فلما كانوا بتِياس قريباً من الصّعاب ـ والصّعابُ من أرض بني تميم ـ مات العلاء ﷺ، ورجع أبو بكرة إلى البصرة، فكان أبو هريرة يقول: رأيتُ من العلاء ثلاثةَ أشياء، لا أزال أحبُّه أبداً، رأيتُه قطع البحر على فرسه يوم دارِين، وقدم من المدينة يُريد البَحرين، فلما كان بالدهناء نَفِد ماؤهم، فدعا الله فنبع لهم ماء من تحت رَمْلة، فارتَووا وارتحلوا، وأُنسِيَ رجلٌ منهم بعضَ مَتاعه، فرجع فلم يَجدِ الماء، وخرجتُ معه من البحرين إلى سِيف البصرة، فلما كنا بتِياس مات العلاء، ونحن على غير ماء، فأبدى الله سحابةً فمُطِرنا، فغسّلناه، وحفَرنا له بسيوفنا ولم نُلحِد له، ودَفَنّاه ومَضينا، فقلنا: رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ دَفنّاه ولم نُلحد له، فرجعنا فلم نجد مَوضع قبره(١).

وقال هشام: كان العلاءُ مُجاب الدعوة.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل بإسناده عن سهم بن مِنجاب قال: غزونا مع العلاء ابن الحَضرميّ دارِين، فدعا بثلاث دَعوات، فاستجاب الله له فيهن، نزلنا مَنزلاً، فطلبنا الماء لنتوضأ فلم نجدْه، فصلَّى ركعتين وقال: اللهمَّ إنا عبيدك، ونقاتل عدوَّك في سبيلك، فاسقِنا غيثاً نتوضَّأ منه ونشرب، فإذا توضَّأنا لم يكن لأحدٍ فيه نصيبٌ غيرنا.

قال: فسرنا قليلاً وإذا نحن بماءٍ حين أقلعت السماءُ عنه، فتوضَّأنا وشربنا منه وتزوَّدنا، وملأت إداوتي، وتركتُها مكانَها حتى أَنظرُ هل استُجيبَ له أم لا؟ فسرنا قليلاً، فقلتُ لأصحابي: نسيتُ إداوتي في ذلك المكان، فجئتُ وإذا بمكانه كأنه لم يُصبْه الماء قط. ثم سِرنا، فأتينا دارِين والبحرُ بيننا وبينهم، فقال: يا عليم يا حكيم يا عليّ يا عظيم، إنّا عبيدُك وفي سبيلِك، ثم اقتحم البحرَ فخُضنا وما يَبلغُ الماءُ لُبودَنا، فخرجْنا إليهم، فلما رجعنا أخذه البطنُ فمات، فطلبنا ماءً لنغسله به فما وَجدنا، فلففناه في ثيابه ودفنّاه، وسِرنا غير بعيدٍ، وإذا نحن بماءٍ كثيرٍ، فقلنا: لو رجعنا فاستخرجناه فغسلناه، فرجعنا فلم نجدْه، فقال رجل من القوم: إني سمعتُه يقول: يا عليُّ يا عظيم يا حكيم، أخف عنهم موتي، ولا تُطلع على عورتي أحداً، قال: فرجعنا وتركناه. قال: وكان الحسن يزيد فيه: يا حليم(٢). وروي أن رجلاً من أهل البصرة دخلت في أُذنه

(١) من قوله بعثه رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى... إلى هنا ليس في (ك)، والخبر بطوله في طبقات ابن سعد ٥/ ٢٦٧-٢٨٠ ، والمنتظم ٤/ ٢٤٢-٢٤٣ .

(٢) الزهد ٢١٢-٢١٣ ، وأخرجه مختصراً أبو نعيم في الحلية ١/ ٧-٨ ، وأورده بطوله ابن الجوزي في صفة =

حصاةٌ، فوصلت إلى صِماخه، فأسهرت ليلَه، ونَغَّصتْ عيشةَ نهاره، وعجز الأطباء عن استخراجها، فقال الحسن: فأين أنتَ من دعوة العلاء بن الحَضْرميّ التي كان يدعو بها؟ فدعا بها، فخرجت الحصاةُ من أُذنه ولها طنينٌ، فضربت الحائط[١].

أسند العلاء الحديث عن رسول الله ﷺ، وتوفي العلاءُ في سنة سبعَ عَشْرة، وقيل: سنةَ خمس عشرة، والأوَّل أصحُّ[٢].

عمرو بن عَبَسة

ابن خالد بن حُذيفة السُّلَميّ، من الطبقة الثالثة من بني سُلَيم، أسلم قديماً بمكّة، ورجع إلى بلاد قومه، ثم قَدِم المدينة بعد خيبر، وأقام بها حتى تُوفِّي رسول الله ﷺ، فخرج إلى الشام، فشهد اليرموك، وكان أحد الأُمراء يومئذٍ، ثم نزل حمص، فأقام بها حتى توفي بها سنة سبع عشرة، وشهد مع رسول الله ﷺ الطائف ورمى إليه بأَسهم، وكان يقول: رميتُ قصرَ الطَّائف بستة عشر سهماً، وكان يقول: أنا رابعُ أربعة في الإسلام، وكنيتُه أبو نَجيح.

حديث إسلامه: قال عمرو بن عَبَسة: فَكَّرتُ في آلهة قومي، وإذا بها حجارةٌ لا تضرُّ ولا تَنفع، فعلمتُ أن ذلك باطل، فلقيت رجلاً من أهل تيماء، فقلتُ: إني امرؤٌ ممَّن يَعبدُ الحجارة، فينزل الحيّ ليس معهم إله، فيخرج الرجل منهم، فيأتي بأربعة أحجار، فيَنصِبُ ثلاثةً لقِدره، ويَجعلُ أحسنَها إلهاً يَعبُده، ثم لعله يَجد ما هو أحسن قبل أن يَرتحل، فيأخُذه ويتركه، فقال: يَخرج رجل من أهل مكة، يَرغب عن آلهة قومه، فاتَّبِعْه فإنه على الحقّ.

فكنتُ آتي مكة، فأسألُ عنه، وأتجسَّسُ[٣] الأخبار، حتى قالوا: حدث رجلٌ يَرغبُ عن آلهةِ قومه، فتلطَّفتُ حتى رأيتُه، فقلتُ له: مَن أنت؟ فقال: «أنا نبيٌّ أرسلني

= الصفوة ١/ ٦٩٥-٦٩٦.

(١) صفة الصفوة ١/ ٦٩٦ - ٦٩٧.

(٢) انظر في ترجمة العلاء: المعارف ٢٨٣-٢٨٤، والاستيعاب (١٩٨٦)، وتهذيب الكمال (٥١٥٠) وفروعه، والسير ١/ ٢٦٢، والإصابة ٢/ ٤٩٧-٢٩٨.

(٣) في صحيح مسلم (٨٣٢)، وبقية المصادر: أَتَخَبَّرُ الأخبار.

الله»، قلتُ: بأيِّ شيء؟ قال: «بصِلَةِ الأرحام، وكسر الأوثان، وأن نُوحِّدَ الله لا نُشرِكَ به شيئاً»، قلتُ: فمَن معك على هذا؟ قال: «حرٌّ وعبد»، ومعه يومئذ أبو بكر وبلال، فقلتُ له: إني مُتَّبِعُك، فقال: «لا تستطيع ذلك يَومك هذا»، قلتُ: ولِمَ؟ قال: «ألا ترى حالي وحال الناس، ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعتَ أني قد ظهرتُ فائتني»، فذهبتُ إلى أهلي، وقَدِم رسول الله ﷺ المدينة، فقدمتُ عليه، فقلتُ: يارسول الله، أتعرفني؟ قال: «نعم، أنت الذي لقيتَني بمكة». أسند عمرو رضي الله عنه الحديث(١).

أبو خيثمة

واسمُه مالك بن [قيس بن] ثعلبة بن العَجْلان الأنصاريّ رضي الله عنه، من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد أُحداً وما بعدها من المشاهد، وهو الذي تأخَّر عن رسول الله ﷺ في غزاة تبوك، ثم قَدم عليه، فقال رسول الله ﷺ: «كُن أبا خيثمة». وليس له رواية(٢).



(١) أخرجه مسلم (٨٣٢) باب إسلام عمرو بن عَبَسة، وانظر طبقات ابن سعد ٤/ ٢٠٠ و ٩/ ٤٠٦، والمعارف ٢٩٠، والاستيعاب (١٧٤٨)، وتاريخ دمشق ٥٥/ ٣٢٠، والمنتظم ٤/ ٢٤٣، والإصابة ٣/ ٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٣٧١، والاستيعاب (٢٩٠٦)، والمنتظم ٤/ ٢٤٦، والإصابة ٤/ ٥٤.

السنة الثامنة عشرة من الهجرة

وتُسمّى عامَ الطّاعون، وعامَ الرمادة، تفانى فيه الناس. قال الجوهري: وطاعون عَمْواس أولُ طاعونٍ كان في الإسلامِ بالشام، والطاعون: الموتُ [الوَحيُّ] في الوَباء(١).

وعَمْواس: قريةٌ من قُرى الساحل في الأَطْرُون معروفة.

وقال هشام(٢): مات بطاعون عَمْواس في الشام ثلاثون ألفاً، وقيل: خمسةٌ وعشرون ألفاً.

ولما وقع كتب عمر رضوان الله عليه إلى أبي عبيدة ﷺ: أما بعد، فقد عرض لي أمرٌ، وأُريد أن أُشافِهَك به، فعزمتُ عليك إذا نظرتَ في كتابي هذا ألا تضعه من يديك حتى تَقدم عليّ، وإنما أراد أن يُخرجه من الوباء، فعرف أبو عبيدة مَقصودَه، فكتب إليه: إني قد عرفتُ حاجتَك، وإني في جُندٍ من المسلمين، لا أجدُ بنفسي رغبةً عنهم، فلستُ أُفارقَهم حتى يَقضي الله فيَّ وفيهم أمرَه وقضاءَه، فحلِّلني من عَزمتك، فلما قرأ عمر ﷺ كتابَه بكى، فقال الناس: أماتَ أبو عبيدة؟! قال: لا(٣).

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن شَهْر بن حَوْشب الأشعري، عن رجلٍ من قومه كان قد خلف على أُمِّه بعد أبيه، وكان قد شهد طاعون عَمْواس قال: لمّا اشتعل الوجعُ، قام أبو عُبيدَة خطيباً فقال: أيُّها الناسُ، إنَّ هذا الوجعَ رحمةٌ من ربكم، ودعوةُ نبيِّكم، وموتُ الصالحين قبلكم، وإنَّ أبا عُبيدة يسألُ الله أن يَقسمَ له حظًّا منه.

قال: فطُعِن فمات، واستُخلف على الناس معاذ بنُ جبل، فقام خطيباً بعده فقال: أيّها الناسُ، إن هذا الوجعَ رحمةٌ من ربكم، ودعوةُ نبيّكم، وموتُ الصالحين قبلكم، وإنَّ مُعاذاً يسألُ الله أن يقسِمَ لآلِ مُعاذٍ حظًّا منه. قال: فطُعِنَ ابنُه عبد الرحمن فمات،

(١) الصحاح (عمس، طعن)، وما بين معكوفين منه.

(٢) من قوله: والطاعون الموت... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٣) تاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٣١٣ـ٣١٥، ومن قوله: ولما وقع كتب... إلى هنا ليس في (ك).

ثم قام فدعا ربَّه لنفسِه، فطُعِنَ في راحته فلقد رأيتُه ينظر إليها، ثم يُقَبِّلُ ظهر كفِّه، ثم يقول: ما أُحبُّ أنَّ لي بما فيك شيئاً من الدنيا، ومات.

فاستُخلف على الناس عمرو بنُ العاص، فقام فينا خطيباً فقال: أيُّها الناسُ، إن هذا الوَجعَ إذا وقع اشتعلَ اشتعالَ النار، فتحيَّزوا منه في الجبالِ، فقال له أبو واثِلة الهُذَلي: كذبتَ، ولقد صحبتُ رسولَ الله ﷺ وأنتَ شرٌّ من حماري هذا! فقال: والله ما أردُّ عليك، ولا نُقيمُ عليه. ثم خرج، وخرج الناسُ، فتفرقوا عنه، ورفعه الله عنهم. قال: وبلغ عمر بنَ الخطاب ذلك من رأي عمرو، فوالله ما كَرِهه[1].

وقيل: إن القائل لعمرٍو ذلك شُرَحْبيل بن حسنة، وسنذكره.

وقال الواقدي: أول ما ظهر الطاعون من قريةٍ بالساحلِ يُقال لها: عَمْواس، نبع الماء من بئرها، مات من المسلمين في شهرٍ واحدٍ خمسةٌ وعشرون ألفاً، ماكان أحدٌ يقول لأحدٍ: كيف أصبحتَ ولا كيف أَمسيتَ، وكان القبرُ يُرمى فيه جماعة، وعلَّق عمرو بنُ العاصِ بعمود خِبائه سبعين سيفاً، كلّها وَرِثه عن كَلالةٍ، أو لا عن كلالة، وطمع العدوُّ في المسلمين.

واختلفوا في أيِّ سنةٍ كان الطاعونُ على أقوالٍ: أحدُها في هذه السنة، ذكره الواقدي، والثاني في سنة سبع عشرة، قاله سيف، والثالث في سنة عشرين، والأوَّل أَشهر. وسنذكر أعيانَ مَن مات في هذه السنةِ في آخرها.

فصل[2] حديثُ الغار الذي وُجد بجبل لبنان

روى أبو الفضلِ بن ناصر بإسناده إلى الهيثم بن عدي قال: افتُتح غارٌ في جبل لبنان، فإذا فيه رجلٌ مُسَجَّى على سريرٍ من ذهبٍ، وإلى جانبِه لوحٌ من ذهبٍ مكتوب عليه بالرومية: أنا سابا بن بوناس بن سابا، خدمتُ العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليلِ الربِّ الأكبرِ، وعشتُ بعده دهراً طويلاً ورأيتُ عجباً كثيراً، فلم أرَ أعجب من غافلٍ عن الموت وقد عاين مصارعَ آبائه، ووقف على قُبور أحبّائه، وعلم أنه صائرٌ إليهم لا

---

(١) مسند أحمد (١٦٩٧).

(٢) من قوله: واختلفوا في أي سنة... إلى هنا ليس في (أ) (خ).

محالة، والذي بعد الموت من حساب الديّانِ أعظمُ. حفرتُ قبري هذا بيدي قبل أن أصير إليه بمئةٍ وخمسين عاماً، ووضعتُ سريري هذا فيه، وقد علمتُ أن الجفاةَ الأَجلاف يخرجوني من غاري، ويُنزلوني عن سريري، وهم يومئذٍ مُقِرُّون بربوبيّة الديّان الأعظم، وعند ذلك يتغيَّرُ الزمان، ويتأمَّرُ الصبيانُ، ويكثر الحَدَثان، ويظهرُ البُهتان، فمَن أدرك ذلك الزمان عاش قليلاً ومات ذليلاً، وبكى كثيراً، ولابُدَّ مما هو كائن أن يكون، والعاقبةُ للمتّقين، وقد رأيتُ الثلج نازلاً على هذا الجبلِ في تموز مراراً، فإن رأيتُم ذلك، فلا تَعجبوا[١].

فصل: وفيها أصاب جماعةٌ من المسلمين من الشَّراب بالشام، فسألهم أبو عبيدة: كيف تأوَّلتموه؟ فقالوا: تأوَّلنا قولَه تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة: ٩١] فقد خيّرنا فاخترنا شُربه، فكتب أبو عبيدة فيهم إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليه: اسألهم، فإن زعموا أنها حلالٌ فاقتُلهم، وإن زعموا أنَّها حرامٌ فاجلدْهم ثمانين، فسألهم فاعترفوا أنها حرامٌ، فجلد كلَّ واحدٍ ثمانين، ثم قال عمر: لَيَحدُثَنَّ في هذا العام حادث، فحدث القحطُ والجوعُ والطاعون.

وقال هشام: إنَّما حدث الطَّاعون بالشام لأجلِ هؤلاء الذين شربوا الخمر، وكان فيمن شرب أبو جندل.

وفيها أَجدبتِ الأرضُ فكانت تَسفي الريحُ تُراباً كالرَّماد، فسُمّي عام الرمادة، واختلطت الوحوشُ بالإنس، فصارت تَأوي إليهم.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن حزام بن هشام، عن أبيه قال: لمَّا صَدر الناسُ من الحجّ سنة ثماني عشرة أصابَ الناسَ جَهدٌ شديدٌ، وأجدَبت البلادُ، وهلكت الماشيةُ، وجاع الناسُ وهلكوا، حتى كان الناسُ يُرَوْن يَستفُّون الرُّمَّةَ، ويَحفرون نُفَق اليرابيع والجُرذان يُخرِجون ما فيها.

قال: وقال الواقدي فيما حكاه عن أشياخه: إنما سُمّي عامَ الرَّمادة لأن الأرضَ كلَّها صارت سوداء، فشُبِّهت بالرَّماد، وكانت تسعةَ أشهر[٢].

(١) المنتظم ٤/ ٢٤٧ ـ ٢٤٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٨.

وكان عمر يُصلّي الليل كلَّه، فإذا كان السَّحَرُ بكى وقال: اللهمَّ لا تجعلْ هلاكَ أمَّةِ محمدٍ على يديّ، أو على رجلي.

وآلى عمرُ أنْ لا يذوقَ لحماً ولا سَمناً حتى يَحيا الناسُ، وكان يأكلُ الزيتَ فيُقَرْقِرُ جَوفُهُ فيقول: قَرْقِر، فوالله لا تأكلُه حتى يَأكُلَه الناسُ.

وقال الواقدي: حدثني أُسامةُ بنُ زيدٍ، عن نافعٍ مَولى الزبير قال: سمعتُ أبا هُريرة يقول: رحم اللهُ ابن حَنْتَمة، لقد رأيتُه عامَ الرَّمادة وإنه ليَحملُ على ظهره جرابَيْن وعُكَّةَ سمنٍ أو زيتٍ في يده، وإنَّه ليَعْتَقِبُ هو وأَسلم، فلما رآني قال: من أين؟ قلتُ: من ها هُنا قريباً، قال: فأخذتُ أُعقِبهُ، فحملْناه حتى انتهينا إلى صِرار، فإذا صِرْم نحوٌ من عشرين بيتاً، فقال: ما أَقدَمكم؟ قالوا: الجهدُ، وأخرجوا لنا جلدَ الميتة مشويًّا يأكلونه، ورِمَّة عظامٍ مَسحوقة يَستفّونها، فطبخ لهم عمر، وأطعمهم حتى شبعوا، وأرسل إلى المدينة، فجيء بأربعة أَبعِرةٍ، فحمل عليها ما يُصلحهم، وكساهم، وكان يَختلفُ إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك.

قال: وقال الواقدي: وحدثني عبد الله بن يزيد، عن عِياض بن خَليفة قال: رأيتُ عمر عامَ الرَّمادة وهو أسود اللون، ولقد كان أبيض اللون، أكل الزيت فتغيَّر لونُه.

وقال الواقدي عن بعض نساء عمر قالت: ما قَرُب عمر امرأةً زمان الرَّمادة حتى أحيا الناس.

قال: وقال الواقدي: نظر عمر إلى بطّيخةٍ في يد بعض أولاده، فقال عمر: بَخْ بَخْ يا ابن أمير المؤمنين، تأكلُ الفاكهة وأُمَّة محمدٍ هَزْلى؟ فخرج الصبيُّ هارباً، فقالت أُمُّه: اشتراها بكفٍّ من نَوى.

وقال الواقدي: حدثني عبد الله بن عمر، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: كتب عمر إلى عمرو بن العاص عام الرمادة: من عبد الله أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي، أما بعد أفتُراني هالكاً ومَن قِبَلي وتعيشُ أنت ومَن قِبَلك؟ واغَوْثاه، قالها ثلاثاً[1].

وكتب إلى أُمراء الأجناد والشام والعراق كذلك، فجاءته الأمدادُ والمِيرةُ من بعد،

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٨ـ٢٩٤.

وكانت مدّة الجهد تسعة أشهر.

حديث استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس

روى سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف، عن عبد الرحمن بن كعب قال: أقبل بلالُ بن الحارث المزنيُّ إلى عمر فقال: أنا رسولُ رسول الله ﷺ إليك؛ إنَّه يقرأ عليك السلامَ ويقول لك: لقد عَهِدتُك كَيِّساً، فما شأنُك؟ قال: فخرج عمر فصعد المنبرَ ونادى: الصلاة جامعةٌ، فاجتمع الناسُ فقال: أَنشُدُكم الله، هل تعلمون مني أمراً غيرُه خيرٌ منه؟ قالوا: اللهمَّ لا، قال: فإن بلالَ بنَ الحارث يقول ذَيَّة وذَيَّة، قالوا: صدق بلال، فاستَغِث إلى الله بالطلب والاستسقاء، فقال عمر: الله أكبر! بلغ البلاءُ مُدَّتَه؛ ما أُذِنَ لقومٍ في الطلب إلّا وقد رُفع عنهم البلاء. ومعنى ذَيَّة وذَيَّه، أي: كَيْتَ وكَيتَ[(١)].

فخرج إلى المصلَّى، فصلّى ركعتين واستسقى، وأخذ بيد العباس رضي الله عنه وقال: اللهمَّ إنا نَتقرَّب إليك بعمِّ نبيِّك ونَستشفع به، فاحفَظْ به نبيَّك كما حفظتَ الغُلامَيْن بصلاح أبيهما، وقد أتيناك مُستغفِرين ومُستشفعين، اللهمَّ إن الرَّاعي لا يُهمل الضالّة، ولا يَدع الكَسير بدار مَضِيعة، وقد ضَرع الصغير، ورقَّ الكبير، وارتفعت الشكوى، وعَظُمت البَلوى، وأنت تعلم السِّرَّ والنَّجوى، اللهمَّ فأَغِثْهم بغياثك من قبل أن يَقنطوا فيَهلكوا، فإنه لا يَيأس من رَوح الله إلا القومُ الكافرون، فنشأت طَريرةٌ من سحاب، فقال الناس: تَرون تَرون! ثم تلاءمت واستَتَمَّتْ، ثم هَدرت ودَرَّت، فوالله ما بَرحوا حتى اعتقلوا الحِذاء، وقَلَّصوا المآزر، والعباس رضي الله عنه يبكي، وعيناه تَنضحان، فطَفِق الناس يَمسحون أركانَه ويقولون: هنيئاً لك يا ساقي الحرمَيْن.

قال الفضل بن عُتبة بن العباس بن أبي لهب: [من الطويل]

بعمّي سقى الله الحجازَ وأهلَه عَشِيَّةَ يَستسقي بشَيبته عُمرْ
توجَّه بالعباس في الجَدْب راغباً فما كرَّ حتى جاء بالدِّيمة المطرْ[(٢)]

وقال هشام: ذبح رجلٌ من مُزَينةَ شاةً، فسلخها عن عظمٍ أحمر فنادى: وامحمَّداه

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٩٨-٩٩، والمنتظم ٤/ ٢٥٠.

(٢) تاريخ دمشق (عبادة - عبد الله بن ثوب) ١٨٧ و ١٨٩، ومن قوله: فخرج إلى المصلَّى... إلى هنا ليس في (ك).

ثلاثاً، ثم نام فرأى رسول الله في المنام، فقال له: ائتِ عمر، وقُل له: عهدي بك وأنت شديدُ العهد والعَقْدِ، الكَيْسَ [الكَيْس]، فجاء عمَر فأخبره، فصعِد المنبر وقال بمعنى ما ذكرنا، ففطِنوا، وقالوا: إنما استبطأك في الاستسقاء لنا، فاخرج إلى المُصلَّى، فخرج إلى المُصلَّى فصلى ركعتين واستسقى.

وقال ابن سعد بإسناده عن الشعبي: أنَّ عمر خرج يستسقي، فقام على المنبر وقرأ هؤلاء الآيات: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[نوح: ١٠] ثم نزل، فقيل له: ما منعك أن تَستسقي؟ فقال: قد طلبتُ المطرَ بمَجاديح السَّماء التي ينزل بها القَطْرُ[١]، ومَجاديح السماء: أنواؤها.

وقال الواقدي: فقيل إنَّه أخذ بيد العباس وخرجا ماشيَين، وعبدُ الله بن العباس معهما، فصَعِد عمر المنبر، ووقف بين العباس وابنه، ولزم بعَضُد العباس وقال: اللهمَّ إنا كنَّا نتوسَّلُ إليك بنبيّك ﷺ فتَسقينا، ونحن نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّك، ثم قرأ: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ الآيات [نوح: ١٠].

وقال ابن إسحاق: فما وصلوا إلى بُيوتهم إلا وهم يخوضون في الماء، فقيل لعمر: قد اختصرتَ في الدُّعاء، هلّا قلتَ: غيثاً مُغيثاً؟ فقال: لقد استسقيتُ بمَجاديح السماء، وذكره.

ثم قَدِمت السُّفنُ من مصر من عمرو بن العاص، فيها الحنطةُ والأطعمة، وبعث أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلةٍ من الشام، وبُعث إليه من العراق، وعاش الناسُ.

وهل كان هذا قبل طاعون عَمْواس أو بعده؟ فيه قولان.

وقال هشام: أوّل ما قدم عليه طعامُ أبي عُبيدة في أربعةِ آلاف راحلة، فأمر له بأربعةِ آلافِ درهم، فلم يقبَلْها وقال: إنما أردتُ وجهَ الله، فلا تُدخل عليَّ الدنيا، فقال عمر: لا بأس، فقد جرى لي مع رسولِ الله ﷺ مثل هذا، وذكر الحديث، فأَخَذها.

فصل: وفيها فُتحت حرَّان والرُّها وعينُ وَرْدة بالخابور، بعد غاراتٍ كثيرةٍ، وصالحوهم على صُلح دمشق.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٨.

وقال خليفة: إنَّما فُتحت هذه الأماكنُ على يد أبي موسى الأشعري، سار إليها من البصرة بأمر عمر، وكان أبو عبيدة قد جهَّز إليها عياض بن غَنْم، فاتفقا على الفتوح، وقيل: إن خالد بن الوليد افتتح الرُّها ونَصيبين وآمِد وسُمَيْساط(١).

وفيها فُتحت أماكنُ العراق منها الأهوازُ، وكانوا قد نقضوا العَهد، فبعث إليهم عمرُ أبا موسى الأشعريّ، واستخلف على البصرة عمران بنَ الحُصين، وسار إليها فافتتحها، ووظَّفَ عليها عشرةَ آلاف ألف وأربع مئة ألف درهم، ثم سار إلى جُنْدَي سابور والسُّوس وجُرجان وأَذْرَبِيجان وطَبَرِسْتان.

وقيل: إنما سُمِّيت جُرجان لأنه بناها جُرجان بن لاوِذ بن سام بن نوح، وقيل: إنها فُتحت في سنة اثنتين وعشرين.

وقال أبو الحسن المدائني: إنما فُتحت جُرْجان في سنة ثلاثين في خلافة عثمان ﵁، وأما أذربيجان ففُتحت على يد عُتبة بن فَرْقَد صُلْحاً.

قال سيف بن عمر: قَدِم عتبةُ على عمر ومعه سِلالٌ فيها خَبيصٌ، فوجد بين يديْ عمر جفنةً فيها فِدَرٌ من سَنام جَملٍ، فقال له: كُلْ، فأخذ قطعةً منه، فلم يَسِغْها، وكشف السِّلال فقال: ما هذا؟ قال: خَبيصٌ أهديتُه لك من أَذْرَبيجان، فقال: أكلّ المسلمين أهديتَ لهم مثلَ هذا؟ قال: وأيُّ مالٍ يتَّسِعُ لهم؟ فقال: ضُمَّ إليك هدِّيتك، فلا حاجةَ لي في شيءٍ لا يَسعُ المسلمين(٢).

وقد قيل: إن طَبَرِسْتان فُتِحت على يد عُتبة أيضاً، وقيل: على يد سُوَيد بن مُقَرِّن.

وفيها استَقضى عمر شُرَيحَ بن الحارث على الكوفةِ، واستقضى كعبَ بنَ سُوْر على البصرةِ، وسببُ استقضائه كعبَ بن سُورٍ ما أنبأنا به غيرُ واحدٍ عن فخر النساء شُهْدَة بنت أحمد بن الفرج بن عُمر الإبَري قالت: حدثنا نقيبُ النُّقباء، ذو الرِّئاستَين، شهابُ الحضْرتَين أبو الفوارس طِراد بنُ محمد بن علي الزَّينبي بإسناده، عن عبد الكريم بن أُمية قال: جاءت امرأةٌ إلى عمر بن الخطاب فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يَصوم

(١) تاريخ خليفة ١٣٩.

(٢) المنتظم ٤/ ٢٥٢_٢٥٤، والفدر: قِطع اللحم.

النهار ويَقوم الليل، وأنا أكره أن أَشكُوَه، فقال عمر: نِعم الرجلُ زوجُك، فجعلت تُردّد كلامَها وعمرُ لا يزيدُ على ذلك، وكان عنده كعبُ بنُ سُورٍ فقال: يا أمير المؤمنين، إنها تَشكو زوجَها في هجرِه فراشَها، فقال له عمر: كما فهِمتَ إشارتَها فاقضِ بينهما، فأرسل إلى زوجها فجاء، فقال لها كعبٌ: ما تَقولين؟ فقالت: [من الرجز]:

يا أيُّها القاضي الحكيمُ أرشدهْ
أَلهَى خليلي عن فراشي مَسجِدُهْ
زهَّده في مضجعي تعبُّدُه
نهارُه وليله ما يَرقُدُه
ولستُ في أمر النّساء أَحمَدُهْ

فقال كعبٌ لزوجها: ما تقول أنت؟ فقال:

زهَّدني في فَرْشِها وفي الكِلَلْ
أني امرؤٌ أذهلَني ما قد نَزَلْ
في سُورة النَّمل وفي السَّبْعِ الطُّوَل

فقال له كعبُ بن سُوْر:

إن لها عليك حقًّا يا رجُلْ
نصيبُها في أربعٍ لمَن عَقَلْ
فأدِّها ذاك ودَعْ عنك العِلَلْ

فقال له عمر: ولمَ؟ قال كعبٌ: لأن الله أباح للمسلم أربعَ زوجاتٍ، ولكل واحدةٍ منهن يومٌ وليلة، ولما لم يكن له سوى زوجةٍ واحدة فنصيبُها على تقدير الأربع يومٌ وليلة، فقال عمر: والله ما أدري ممَّ أعجب؟ من فهمك إشارتها، أو من قَضائك بينهما[1].

---

(١) أخبار القضاة ١/ ٢٧٦_٢٧٧، والاستيعاب (٢١٨٧)، والمنتظم ٥/ ١١٥_١١٦. وأخرج القصة دون الشعر ابن سعد ٧/ ٩٢، ووكيع في أخبار القضاة ١/ ٢٧٥-٢٧٦.

قلتُ: والعجبُ من هذا الحكم وإمضائه! ولا خلاف بين العلماء أن عماد القَسْم الليلُ، وأنه متى كان للرجل زوجةٌ لم يَجُزْ له أن يَبيتَ عنها ثلاث ليالٍ من غير عُذرٍ، وهل يكون القَسْمُ إلا بين الزَّوجات؟ أما مع الواحدة فلا قائل به، بل الزمان كلُّه حظُّ المرأة الواحده، وإن كانتا اثنتين كان القَسْمُ بينهما، وهذا كعبُ بن سُوْر الأسدي قُتل يوم الجمل، وسنذكره هناك[١].

وحجَّ بالناس عمرُ، وحوَّل المقام إلى موضعه اليوم، وكان مُلصقاً بالكعبة.

فصل وفيها توفي

أُوَيْس القَرَني

قال ابن سعد في «الطبقات»: أويسٌ من الطّبقة الأولى من التابعين، من أهل الكوفة، وفي رواية أنه من أهل اليمن[٢]، ونزل الكوفة، وأدرك حياة رسول الله ﷺ ولم يره، ووفد على عمر بعرفات.

وذكره[٣] البخاري فقال: أُويس القَرَني من أهل اليمن، مُراديٌّ[٤].

وقال أبو أحمد بن عدي: له نُتَفٌ وحكايات وأخبار في زُهده[٥].

وكان أُويس ثقةً صدوقاً، وقصَّته مشهورةٌ، أخرجها مسلم فقال: حدثنا محمد بن المثنى بإسناده، عن أُسَيْر بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتتْ عليه أمدادُ أهل اليمن يسألهم: هل فيكم أُوَيس بن عامر؟ حتى أتى على أُوَيس فقال له: أنت أُوَيس؟ قال: نعم، قال: أمن مُرادٍ؟ قال: نعم، قال: من قَرَنٍ؟ قال: نعم، قال: كان بك بَرَصٌ فبَرِأتَ منه إلا مَوضِعَ درهم؟ قال: نعم، قال: ألك والدةٌ خَلَّفْتَها باليمن؟ قال: نعم، فقال عمر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أُوَيسُ بنُ عامرٍ مع أمداد أهل اليمن، كان به بَرَصٌ فبَرِئَ منه إلا موضعَ درهم، له والدةٌ هو بارٌّ بها، لو أقسم

(١) من قوله: قلت والعجب... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨١.

(٣) من هنا إلى ما بعد صفحات ليس في (أ) و(خ).

(٤) التاريخ الكبير ٢/ ٥٥.

(٥) الكامل في الضعفاء ١/ ٤٠٤.

على الله لأَبرَّه، فإن استطعتَ أن يَستغفِر لك فافعل»، فاستغفِرْ لي، فاستغفر له، ثم قال له عمر: أين تُريدُ؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتبُ لك إلى عاملها فيستوصي بك؟ فقال: لأن أكونَ في غَبْراء الناس أحبّ إليَّ.

فلما كان في العام المقبل حجَّ رجلٌ من أشرافهم، فوافق عمرَ، فسأله عن أُويس: كيف تركْتَه؟ قال: رثَّ البيت قليلَ المتاع، فقال عمر: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول، وذكره، ثم قال عمر للرجل: إن استطعتَ أن يَستغفرَ لك فافعل، فلما قدم الرجلُ الكوفة أتى أويساً القرنيَّ فقال: استغفِر لي، فقال: أنت أحدثُ عهداً بسفرٍ صالحٍ، فردَّد عليه القول فقال: هل لقيتَ عُمر؟ قال: نعم، فاستغفر له، وفَطِن له الناس، فانطلق على وجهه.

قال أُسير بن جابر: فكسوتُه بُرْدةً فكان كلَّما رآها عليه إنسان قال: من أين لأُويسٍ هذه البردةُ؟ انفرد بإخراجه مسلم[1].

وروى عكرمةُ عن ابن عباسٍ قال: مكث عمر يَطلبه عشرَ سنين حتى ظَفِر به في آخرِ خلافته.

وقال عبد الغني بن سعيد: أُوَيس القَرَني، وقَرَنٌ: بَطنٌ من مرادٍ، أخبر به رسولُ اللهِ ﷺ قبل وُجوده[2].

وقال ابن سعد بإسناده عن أُسَيْر بن جابر قال: كان محدِّثٌ بالكوفةِ يُحدِّثنا، فإذا فرغ من حديثِه تفرَّقوا، ويبقى رهطٌ فيهم رجلٌ يتكلَّمُ بكلامٍ لا أسمعُ أحداً يتكلَّم كلامَه، فأحببتُه ففقدتُه، فقلتُ لأصحابي: هل تعرفون رجلاً كان يُجالسُنا كذا وكذا؟ فقال رجلٌ من القوم: نعم أنا أعرفُه، ذاك أُوَيس القَرَني، قال: فتعلمُ منزلَه؟ قال: نعم، قال: فانطلقتُ معه حتى ضربتُ حُجْرتَه، فخرج إليَّ، فقلتُ: يا أخي، ما حَبَسك عنا؟ قال: العُرْيُ، وكان أصحابُه يُؤذونه ويَسخرون به، قال فقُلتُ: خُذ هذا البُرْدَ فالبَسه، قال: لا تَفعل، فإنَّهم إذاً يُؤذونني إن رأَوه عليَّ، قال: فلم أزل بِهِ حتى لَبِسه، وخرج عليهم،

---

(١) صحيح مسلم (٢٥٤٢)(٢٢٠).

(٢) تاريخ دمشق ٣/ ١٩٤ (مخطوط).

فقالوا: مَن تَرَوْن خدع عن بُرْدِهِ هذا؟ قال: فجاء فوضعه وقال: أتَرى؟

قال أُسَيْرٌ: فأتيتُ المجلسَ فقلتُ: ما تُريدون من هذا الرَّجل؟ قد آذَيْتموه، الرجل يَعْرى مرَّةً ويكتسي أُخرى.

قال: فقُضي أن أهلَ الكوفةِ وفَدوا على عمرَ، فوفد رجلٌ ممَّن كان يَسخرُ به، فقال عمر: هل ها هنا أحدٌ من القَرَنيين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال: إن رسولَ الله ﷺ قد قال: إن رجلاً يَأتيكم من اليمن، يُقال له أُوَيس، لا يَدعُ باليمن غيرَ أُمّ، وقد كان به بياض، فدعا الله فأذهبه عنه إلا مثل الدرهم، فمَن لَقيه منكم فمُروه فليستغفر لكم.

قال: فقدم علينا فقلتُ: من أين؟ قال: من اليمنِ، قال قلتُ: ما اسمُك؟ قال: أُوَيس، قلتُ: فمَن تركتَ باليمنِ؟ قال: أُمًّا لي، قال: أكان بك بَياضٌ فدعوتَ الله فأذهبه عنك؟ قال: نعم، قال: استغْفِر لي، قال: أو يستغفِرُ مِثلي لمثلك يا أميرَ المؤمنين؟ قال: فاستغفر له. قال: قلت له: أنتَ أخي لا تُفارقني، فامَّلَس مني، فأُنبئتُ أنَّه قَدِم عليكم الكوفةَ. قال: فجعل ذلك الرجل الذي كان يَسخَرُ به ويَحتقره يقول: ما هذا؟ هذا عندنا وما نَعرفُه؟! فقال عمر: بلى إنَّه رجل كذا، كأنَّه يضعُ من شأنِه، قال: فينا يا أمير المؤمنين رجلٌ يقالُ له أُوَيس يُسْخَرُ به، قال: أَدركْ ولا أُراكَ تُدْرِك.

قال: فأقبل ذلك الرجل حتى دخل عليه قبل أن يَأتيَ أهلَه، فقال له أُويس: ما هذه بعادتِك فما بدا لك؟ قال: سمعتُ عمر بنَ الخطاب يقول فيك كذا وكذا، فاستَغْفِر لي يا أُوَيسُ، فقال: لا أفعل حتى تجعلَ لي عليك ألا تسخَرَ بي فيما بعد، ولا تذكر الذي سمعتَ من عمر إلى أحدٍ، قال: فاستغفر له.

قال أُسير: فما لبثنا أن فشا أمرُهُ في الكوفةِ، فأتيتُه فدخلتُ عليه، فقلتُ له: يا أخي، ألا أراكَ العجبَ ونحن لا نشعر؟ قال: ما كان في هذا ما أتبلَّغُ به في الناسِ، وما يُجْزى كلُّ عبدٍ إلّا بعملِهِ، ثم امَّلس منهم فذهبَ[1].

وقال ابن سعد بإسنادِهِ عن سلّام بن مسكين: حدثني رجل قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «خليلي من هذه الأمة أُويس القَرَني»[2].

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٢ـ٢٨٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٣.

وقال أبو نُعَيم الحافظ بإسناده عن أبي هُريرة قال: قال رسول ﷺ: «إنَّ الله يحبُّ من خَلْقه الأصفياءَ الأخفياءَ، الشَّعثةَ رؤوسُهم، المُغْبَرَّةَ وجوهُهم، الخَميصةَ بطونُهم، الذين إذا استأذنوا على الأُمراء لم يُؤذَنْ لهم، وإن خَطبوا المُنَعَّمات لم يُنكحوا، وإن غابوا لم يُفْتَقدوا، وإن طَلعوا لم يُفْرَح بطلعتهم، وإن مَرِضوا لم يُعادوا، وإن ماتوا لم يُشهدوا، قالوا: يا رسول الله، وكيف لنا برجلٍ منهم؟ قال: ذاك أُوَيس القَرَني، أشهلُ ذو صُهوبةٍ، بعيدُ ما بين المَنْكبَيْن، مُعتدِلُ القامة، آدمُ شديدُ الأُدْمَة، ضاربٌ بذَقنه على صدره، رامٍ ببصره مَوضعَ سجوده، واضعٌ يمينَه على شماله، يَتلوا القُرآن ويَبكي على نفسه، ذو طِمْرَيْن لا يُؤبه له، مُتَّزرٌ بإزارٍ من صوفٍ، ورداءٍ من صوف، مجهولٌ في أهل الأرض، معروفٌ في أهل السماء، لو أقسم على الله لأبرَّه، ألا وإن تحت مَنكبه الأيسر لَمعةً بيضاء، ألا وإنه إذا كان يومُ القيامة يُقال للعباد: ادخلوا الجنَّة، ويُقال لأُويسٍ: قف فاشفَعْ، فيُشفِّعه الله في مثل عدد ربيعة ومُضر. يا عمر ويا علي، إذا أنتُما لقيتماه فاطلبا إليه أن يَستغفر لكما، يَغفر الله لكما».

قال: فمكثا يَطلبانه عشرَ سنين، لا يَقدران عليه، فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر قام على أبي قُبيس، ونادى بأعلى صوته: يا أهل الحجيج من اليمن، أُوَيسٌ فيكم؟ فقام شيخ كبير، فقال: إنا لا ندري ما أُوَيس؟ ولكن لي ابنُ أخٍ يُقال له أُوَيس، هو أخملُ ذكراً، وأقلُّ مالاً، وأهون أمراً من أن تَرفعه إليك، وإنه ليرعى إبِلَنا بأَراك عَرفات، وهو حقيرٌ بين أظهُرنا.

فركب عمر وعليٌّ حمارَيْهما، وأسرعا إلى عرفات، وإذا به قائمٌ يُصلِّي إلى شجرة، والإبلُ ترعى حوله، فشدّا حمارَيهما، وأقبلا إليه فسلَّما عليه، فخفَّف من صلاته، وردَّ عليهما، فقالا: مَن الرَّجُل؟ قال: راعي إبلٍ وأجيرُ قوم، قالا: لسنا نَسألُك عن هذا، وإنما سألناك عن اسمك، فقال: اسمي عبد الله، قالا: قد علمنا أن أهل السماء والأرض كلَّهم عبيدُ الله، فما اسمُك الذي سمَّتك به أمُّك؟ فقال: يا هذان، ما تُريدان مني؟ قالا: وصف لنا رسولُ الله ﷺ أُوَيْساً القَرَني، فقد عرفنا الصُّهوبةَ والشُّهولةَ، وأنبأنا أن تحت مَنكبك الأيسر لَمعةً بيضاءَ، فأَوضِحْها لنا، فإن كانت بك، فأنت هو.

فأوضح مَنكبه فبدت اللمعةُ البيضاءُ، فابتدراه يُقَبِّلانه ويقولان: نشهدُ أنك أُويسٌ،

فاستغفِر لنا يَغفر الله لنا، فقال: ما أخصُّ باستغفاري نفسي ولا أحداً من ولد آدم، ولكنه في البرِّ والبحر، وللمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، ثم قال: يا هذان، قد شَهر الله لكما حالي، وعَرَّفكما مَكاني، فمَن أنتُما؟ فقال له عليّ: أما هذا فأميرُ المؤمنين، وأما أنا فعلي بن أبي طالب، فقام أُويسٌ قائماً وقال: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاتُه، فردَّ عليه فقال: وأنت يا ابن أبي طالب، فجزاكم الله عن هذه الأُمة خيراً، فقالا: وأنت فجزاك الله عن نفسك خيراً، ثم قال له عمر: مكانَك يَرحمك الله؛ حتى أَدخُلَ مكة، فآتيك بنفقةٍ من عطائي، وكسوةٍ من ثيابي، ها هُنا ميعاد ما بيننا، فقال له أُويس: لا ميعاد بيني وبينكم، لا أَراك بعد اليوم، ما أَصنع بالنَّفقة والكسوة؟ أما ترى عليَّ إزاراً من صوفٍ ورداءً من صوف؟ متى تراني أُخْلِقُهما؟ أما ترى نَعليَّ مَخصوفَتَين؟ متى تراني أُبليهما؟ أما تراني أخذتُ من رعاية الإبل أربعةَ دراهم؟ متى تراني آكلُها؟

يا أمير المؤمنين، إن بين يديك عَقبةً كَؤوداً، لا يُجاوزُها إلا كلُّ ضامرٍ مُخفٍّ مَهزول، فخفِّف يَرحمك الله، فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرَّته الأرض، ثم نادى بأعلى صوتِه: يا ليت عمر لم تَلدْه أمّه، يا ليتها كانت عاقراً لم تُعالج حملَها، ألا مَن يَأخذُها بما فيها؟ فقال أويسٌ: خُذا هاهُنا حتى آخُذَ ها هُنا، فأخذا ناحية مكة، وساق أُويسٌ الإبل، فدفعها إلى أصحابها، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله تعالى[(١)].

وقال أبو نعيم: إنما منع أُويساً أن يَقدم على رسول الله ﷺ بِرُّه بأمِّه[(٢)].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن هَرِم بن حيّان العَبدي قال: قدمتُ من البصرة، فلقيتُ أُوَيساً القَرَني على شطِّ الفُرات بلا حذاءٍ، فقلتُ: كيف أنت يا أخي؟ حدِّثني؟ قال: أكرهُ أن أَفتح هذا الباب على نفسي، يعني أن أكون مُحدِّثاً أو قاصًّا أو مُفتياً، ثم أخذ بيدي وبكى، قال: قلتُ: فاقرأ عليَّ، فقال: أعوذُ بالله السميع العليم من الشيطان: ﴿حمٓ ① وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ②﴾ إلى قوله: ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الدخان: ١-٦] قال: فغُشي عليه، ثم أفاق وقال: الوحدةُ أحبُّ [إليَّ][(٣)].

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٨٠-٨٣، قال الذهبي في السير ٤/ ٢٨: وهذا سياق منكر لعلّه موضوع.

(٢) الحلية ٢/ ٨٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٥ وما بين معكوفين منه.

قلتُ: وقد روى قِصَّته مع هَرِم بن حَيَّان غيرُ ابن سعدٍ، فأنبأنا غيرُ واحدٍ، عن أبي الفضل محمد بن ناصر بإسناده[١]، عن علقمة قال: انتهى الزُّهد إلى ثمانيةٍ من التابعين، منهم أُوَيسٌ القَرَني، ظنَّ أهلُه أنه مجنون، فبَنَوْا له [بيتاً] على باب دارهم، فكانت تأتي عليه السِّنون لا يَرون له وجهاً، وكان طعامُه مما يَلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه وأفطر على ثَمنه.

فلما ولي عمر بن الخطاب قال في الموسم: أيها الناسُ، قوموا، فقاموا، فقال: اجلسوا إلا مَن كان من اليمن، فجلسوا، فقال: اجلسوا إلا مَن كان من مُراد، فجلسوا، فقال: اجلسوا إلا مَن كان من قَرَن، فجلسوا إلا رجُلاً، وكان عمَّ أُويسٍ، فقال له عمر: أقَرَنيٌّ أنت؟ قال: نعم، قال: أتعرفُ أُوَيساً؟ قال: وما تَسأل عنه؟ فوالله ما فينا أجنُّ ولا أحوجُ ولا أحمقُ منه، فبكى عمر ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يدخُل الجنَّة بشفاعته مثلُ ربيعةَ ومُضر».

وقال هَرِم بن حَيَّان: فلما بلغني ذلك قدمتُ الكوفة فلم يكن لي همٌّ إلا طَلَبه، حتى سقطتُ عليه جالساً نصفَ النهار على شاطئ الفرات يتوضَّأ، فعرفتُه بالنَّعت الذي نُعِت لي، فإذا رجلٌ نحيلٌ آدمُ شديدُ الأُدمة، أشعثُ مَحلوقُ الرأس، مهيبُ المنظر، فسلَّمتُ عليه فردَّ عليَّ، فمددتُ يدي لأُصافحه فأبى، فقلتُ: رحمك الله يا أُويسُ وغفر لك، كيف أنت؟ وخَنَقَتْني العَبْرة من حبِّي إياه ورقَّتي عليه، لما رأيتُ من حاله، وبكيتُ وبكى وقال: وأنت فحيَّاك الله يا هَرِم بن حَيَّان، مَن دلَّك عليّ؟ فقلتُ: الله، فقال: لا إله إلا الله، سبحان ربِّنا إن كان وَعدُ ربِّنا لمَفعولا.

قلتُ: فمن أين عرفتَ اسمي واسمَ أبي، وما رأيتَني قطُّ، ولا رأيتُك قبل اليوم؟ فقال: أنبأني العليمُ الخبير، عرفتْ روحي روحَك حين كلَّمتْ نَفسي نفسَك، إن المؤمنين يَعرف بعضُهم بعضاً، ويتحابون بروح الله وإن لم يَلتقوا، وإن نأت بهم الدار، وتفرَّقت بهم المنازل.

قلتُ: حدِّثني عن رسول الله ﷺ فقال: إني لم أُدْركْه، ولم يكن لي معه صُحبةٌ،

---

(١) إلى هنا ليس في (أ) و(خ) مما أشير إليه قبل صحائف.

بأبي وأُمي رسولُ الله، ولكني قد رأيتُ مَن رآه، ولستُ أُحبُّ أن أفتح هذا الباب، فأكون محدِّثاً أو قاصًّا أو مُفتياً، في نفسي شُغلٌ عن الناس.

قلتُ: اقرأ عليَّ آياتٍ من كتاب الله، وأوصني بوصيةٍ، فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال ربِّي وأصدقُ الحديثِ حديثُ ربي: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨﴾ الآية[الدخان: ٣٨]، ثم شَهق شَهقةً فظننتُه قد مات، ثم أفاق فقال: يا هَرِم بن حيَّان: مات أبوك، ويوشك أن تموت أنت، فإما إلى الجنّة وإما إلى النار، ومات آدم وحوَّاء ونوحٌ وإبراهيم ومحمد صلى الله عليهم أجمعين، ومات أبو بكر خليفةُ رسول الله ﷺ، ومات أخي وصديقي عمرُ بنُ الخطاب، فقلتُ له: إن عمر لم يَمُت، فقال: بلى، قد نعاه إليَّ ربّي، ونَعى إليَّ نفسي، وأنا وأنت في الموتى، ثم دعالي وأوصاني وقال: السلام عليك، لا أَراك بعد اليوم؛ فإني أكره الشُّهرة، خُذْ أنت ها هُنا، حتى آخذ أنا ها هُنا، ودخل بعضَ السّككِ، ثم طلبتُه بعد ذلك أشدَّ الطَّلب فلم أجد أحداً يعرفُه، وأنا باكٍ عليه، وأَراه كلَّ وقتٍ في منامي[١].

قلتُ: وهذا هَرِم بن حَيّان العَبْدي ذكره ابن سعدٍ في الطبقةِ الأولى من التَّابعين من أهل البصرة، استعمله عمر بن الخطاب[٢]، وروى عن عمر الحديث وعن جماعةٍ من الصحابة، وكان عالماً زاهداً صالحاً، وروى عنه الحسنُ البصري وغيرُه، وإنما سُمّي هَرِماً لأن أمَّه حملتْ به سنتين، وولدته وقد بدت ثناياه، وسنذكره في سنة ستٍّ وأربعين[٣].

وقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: كان أُويسٌ يلقُطُ الكِسَرَ من المزابل، فيغسلها في الفرات، ويفطر على بعضها، ويتصدَّقُ بالباقي، ويأخذُ الرُّقَع من المزابل، فيغسلها في الفُرات، ويَرقعُ بها ثوبَه، وعَري حتى جلس في قَوْصَرة.

وجاء يوماً إلى مَزْبَلةٍ أو كُناسةٍ يَتقمَّمُ منها وعليها كلبٌ، فنبح عليه، فقال له أُويس: كُلْ ممّا يَليك، وآكلُ أنا مما يَليني، إن دخلتُ الجنّةَ كنتُ خيراً منك، وإن دخلتُ النار كنتَ خيراً مني.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٨٤ ـ ٨٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨، قال الذهبي في السير ٤/ ٢٩ عن هذه القصة: لم تصحّ، وفيها ما يُنكر.

(٢) طبقات ابن سعد ٩/ ١٣١.

(٣) من قوله: قلت وهذا هرم... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

وقال أُويس: لا تنظُر إلى صِغَر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة مَن عصيتَ.

وقال: إني لأصلُ إخواني بالدعاء بظهر الغيب، لأن الزيارة واللقاء قد يعرضُ فيهما التصنُّع والرِّياءُ(١).

وقال أبو نُعيم بإسناده: كان أُويسٌ إذا أمسى يقول: هذه ليلةُ السجود، فيسجد حتى يُصبح، وإذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع إلى الصَّباح(٢).

ذكر وفاته:

واختلفوا فيها ولم يذكرها ابن سعد في «الطبقات»، وروى أبو نعيم، عن عبد الله ابن سلمة قال: غزونا أَذْرَبيجان في أيام عمر بن الخطاب ومعنا أُوَيس، فمرض بعد رجوعنا، فحملناه فلم يَستمسكْ، فمات في منزل، فإذا قبرٌ محفورٌ، وماءٌ مَسكوب، وكفنٌ وحَنوط، فغسلناه وكفَّنَّاه، وصلَّينا عليه ودفنَّاه، ثم مَضَينا، فقال بعضُنا لبعضٍ: لو رجعنا فعلَّمْنا قبرَه، فرجَعْنا إلى المكان فلاعَينٌ ولا أَثَر(٣).

وقد حكى جدِّي هذا في «المنتظم»، ثم قال: وقد رُوي أنه عاش بعد ذلك طويلاً، حتى قُتل مع عليّ عليه السلام يومَ صِفّين، قال: والأَوَّلُ أَثبت(٤). يعني: أنَّه مات في هذه السنةِ.

قلتُ: الرواياتُ الظاهرةُ تدلُّ على أنه عاش إلى أيام صِفّين.

قال ابنُ سعد بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى رجلٌ من أهل الشام فقال: أفيكم أُوَيسٌ القَرَني؟ قالوا: نعم، قال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ من خير التَّابعين أُوَيساً القَرَنيَّ»، ثم ضرب دابَّته فدخل فيهم(٥)، يعني عسكر عليٍّ عليه السلام.

(١) انظر صفة الصفوة ٣/ ٥٥، والمنتظم ٤/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥، وشذرات الذهب ١/ ٢١٤.
(٢) حلية الأولياء ٥/ ٨٧.
(٣) الحلية ٢/ ٨٣-٨٤.
(٤) المنتظم ٤/ ٢٥٦-٢٥٧.
(٥) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨٣.

وكذا حديث أبي هريرة الذي أخرجه أبو نُعيم[١]، وفيه: فلما كان في آخر السنة التي هلك فيها عمر قام على أبي قُبَيْسٍ، وذكره. وعمر إنما هلك في سنة ثلاثٍ وعشرين، وهي متأخرةٌ عن هذه السنة.

وقال ابنُ أبي ليلى: وُجِد أُويسٌ قتيلاً يوم صِفّين، وقال عبد الغني بن سعيد: شهد أُوَيس صِفِّين مع عليٍّ عليه السلام، وكان من خيار المسلمين.

وقال ابن أبي ليلى: قبرُه بالرَّقَّةِ، حمله عليٌّ عليه السلام فدفنه بها في جُملة الشهداء.

وذكر ابن عساكر في «تاريخه» وقال: ويُقال إن قبرَ أُوَيسٍ بباب الجابية[٢].

الحارث بن هشام

ابن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، اختُلف في وفاته؛ فقيل في طاعون عَمْواس، وقيل استُشهد باليرموك وهو أولى[٣].

سهيل بن عمرو

ابن عَبْد شَمْس بن عبد وُد بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب، وكُنيتُه أبو زيد، من الطبقة الرابعة من المسلمة[٤] بعد الفتح، وكان من سادات قُريش وأشرافِهم، والمنظور إليه منهم، شهد بدراً كافراً، فأسره مالك بن الدُّخْشُم، وكان ابنُه عبد الله قد أسلم قديماً، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً، فلما كان يومُ الفتح أخذ لأبيه أماناً، وقال رسول الله ﷺ يوم الفتح: «لاتتعرَّضوا لسُهيل؛ فإن له عقلاً وشَرفاً»، وأسلم سُهيل بالجِعْرانة، وأعطاه رسول الله ﷺ مئةً من الإبل.

ولم يكن أحدٌ من كُبراء قريش؛ الذين تأخَّر إسلامُهم فأسلموا يوم الفتح أكثرَ

(١) سلف قريباً.

(٢) تاريخ دمشق ٣/٢١٨ و ١٩٤ و ١٩٢، ومن قوله: ذكر وفاته... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، وجاء بدله فيهما: واختلفوا في وفاته، فقيل هذه السنة، وقيل في أيام صفين، وقيل فيما بين ذلك.

(٣) سلفت ترجمته في سنة (١٣هـ)، ومن بداية ترجمة الحارث إلى ترجمة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، ليس في (ك).

(٤) في (أ) و(خ): بهن مسلمة؟!

صلاةً، ولا صياماً، ولا صدقةً، ولا أَقْبلَ على ما يَعنيه من أمر الآخرة من سُهيل بن عمرو، حتى إن كان لقد شَحِب وتَغيَّر لونُه، وكان كثيرَ البكاء، رقيقاً عند سماع القرآن وقراءته.

ولقد رُئي يَختلف إلى مُعاذ بن جبل يُقرئه القرآن وهو بمكة، حين خرج معاذ إلى مكة(١)، حتى قال له ضِرار بنُ الخطاب: يا أبا يزيد، تَختلف إلى هذا الخزرجيّ يُقرئك القرآن! هلا يكون اختلافُك إلى رجلٍ من قومك؟ فقال: يا ضرار، إن هذا الذي صنع بنا ما صنع، حتى سبقنا كلّ السَّبْق، إني لعَمري أختلف إليه، فقد وَضع الله أمرَ الجاهلية، ورَفع بالإسلام أقواماً كانوا لا يُذكرون، فليتنا كنا مع أولئك فتقدمنا، وإني لأذكر قَسْم الله لي في تقدُّم [إسلام] أهلي، حتى الرجال والنساء، ومولاي عُمير(٢) بن عوف، فأُسَرُّ به، وأَحمَد الله عليه، وأرجو أن يكون الله نفعني بهم ودعائهم؛ ألا أكون متُّ أو قُتلت على ما مات عليه نُظرائي أو قتلوا.

وقد شَهدت مَواطنَ كلّها أنا فيها مُعانِد الحق: يوم بدر وأحد والخندق، وأنا وَليتُ أمرَ الكتاب يوم الحديبية، وإني لأذكُر مُراجعتي رسولَ الله ﷺ يومئذٍ، وماكنتُ أَلُطّ به من الباطل، وأنا بمكة وهو بالمدينة، فأستحيي منه، ولكن ما كان فينا من الشرك أعظم من ذلك، ولكن رأيتني يوم بدر وأنا في حَيِّز المشركين، وأَنظُر إلى ابني عبد الله وعُمير ابن وهب مولاي قد فرَّا مني، فصارا في حيِّز محمد، وما عمي عني يومئذٍ من الحق لما أنا فيه من الجهالة، وما أرادهما الله به من الخير، ثم قُتل ابني عبد الله يوم اليمامة، فعَزّاني فيه أبو بكر وقال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشهيد لَيَشفع لسبعين من أهل بيته»(٣)، وإني لأرجو أن أكون أوَّلَ مَن يشفع [له].

قال الحسن رحمه الله: حَضر بابَ عمر بن الخطاب سُهيل بنُ عمرو، والحارث بنُ هشام، وأبو سفيان بنُ حَرْب، ونَفرٌ من قُريش من تلك الرؤوس، وصُهيب وبلال وتلك

(١) في طبقات ابن سعد ٦/ ١٢٥، والمنتظم ٤/ ٢٥٩ : حتى خرج معاذ من مكة.

(٢) في (أ) و(خ): عمرو، وهو خطأ، وسيترجم له المصنف قريباً.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ١٢٥، والمنتظم ٢٥٩ ـ٢٦٠، وأخرج الحديث أبو داود (٢٥٢٢)، وابن حبان (٤٦٦٠)، والبيهقي في الكبرى ٩/ ١٦٤ من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

الموالي، فخرج إذْن عمر للموالي، وترك أولئك، قال أبو سفيان بن حَرْب لسُهيل بن عمرو وأصحابِه: لم أرَ كاليوم، يَأذن للعبيد ونحن على بابه لا يَلتفِتُ إلينا، فقال سهيل ابن عمرو وكان عاقلاً: أيها القوم، إنْ كنتم غِضاباً فعلى نفوسكم فاغضبوا، دُعي القومُ ودُعيتُم، فأسرعوا وأبطأتُم، فكيف بكم إذا دُعوا يوم القيامة وتُركتم، أما والله لما سَبقوكم إليه من الفَضل مما لا ترون أشدُّ عليكم فَوْتاً من بابكم هذا الذي تُنافسوهم عليه، ونَفض ثوبه وانطلق.

قال الحسن: صدق والله سُهيل، لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أَبْطأ عليه.

ولما قُتل عبد الله بن سُهيل باليمامة شهيداً قال أبوه سُهيل: لا أزال بالشام حتى أموتَ شهيداً، فمات بعَمْواس رحمه الله[١].

عمرو بن حاطب بن عمرو[٢]

من الطبقة الأولى من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دارَ الأَرْقم، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعاً، ولما هاجر إلى المدينة نزل على رِفاعة بن عبد المنذر، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها.

وكان له ولدان: أحدهما سَليط بن عمرو[٣]، من المهاجرين الأوَّلين، وشهد أحداً، وفي بدر خلاف، وبعثه رسول الله ﷺ إلى هَوْذَة بن علي وثُمامة بن أُثال الحنفيَّيْن رئيسي اليمامة، وابنه سَليط بن سَليط، شهد اليمامة مع أبيه.

كسا عمر رضي الله عنه الصحابة رضي الله عنهم حُللاً، ففضل عنده حُلَّة فقال: دلُّوني على فتى هاجر

(١) انظر في ترجمته طبقات ابن سعد ٦/ ١١٩ و ٨/ ١٤ و ٩/ ٤٠٨، والمعارف ٢٨٤، والاستيعاب (١٠٧٩)، والمنتظم ٤/ ٢٥٨، والتبيين ٤٧٣، والإصابة ٢/ ٩٣.

(٢) كذا في (أ) و(خ) وهو خطأ، صوابه حاطب بن عمرو، فالترجمة التالية له، ولم يذكر مَن ترجموا له وفاته في هذه السنة، ولعل المصنف أورده لأنه أخو سُهيل. انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٥، والاستيعاب (٥٢٧)، وأنساب الأشراف ١/ ٢٥١، والتبيين ٤٧٧، والإصابة ١/ ٣٠١.

(٣) كذا، وهو خطأ، فإن سليط بن عمرو أخو سهيل وحاطب والسكران وسهل، وكان لحاطب من الأولاد عمرو، انظر طبقات ابن سعد ٤/ ٢٠٣ (صادر)، وأنساب الأشراف، والاستيعاب (١٠٩٧)، والتبيين ٤٧٨، والإصابة ٢/ ٧١.

هو وأبوه، فقالوا: عبد الله بن عمر، فقال: لا، ولكن سَليط بنُ سَليط، فكساه إياها.

ومن إخوة سُهيل بن عمرو: سَهْل بن عمرو، أسلم يوم الفتح، ومات بالمدينة في أيام عمر رضوان الله عليه.

عُمَير بن عوف

مولى سُهيل بن عمرو، من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، ولما هاجر إلى المدينة نزل على كُلثوم بن الهِدْم، مات بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصلّى عليه [عمر][1].

شُرَحْبيل بن حَسَنة

وهي أمُّه، من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة المرّة الثانية، وكان من كبار الصحابة، وغزا مع النبي ﷺ عدَّةَ غزوات، وهو أحد الأُمراء الذين عَقد لهم أبو بكر رضوان الله عليه على الشام، وافتَتح الأُرْدُنَّ كلَّه عَنوة، ما خلا طَبَريّة؛ فإن أهلَها صالحوه.

ولما قدم عمر رضوان الله عليه الشام نزع شُرحبيل عن الإمرة، فقال لعمر رضوان الله عليه: أعَجَزْتُ أم خُنتُ؟ فقال: لا، ولكن تَحرَّجتُ أن أُؤَمِّرَك، وأنا أجدُ مَن هو أكفأُ منك، قال: فقُم فاعْذِرني، فقام في الناس فقال: ما عزلتُ شُرحبيل عن خيانة، ولكن أردتُ أَجلَدَ منه، وتُوفّي بعَمْواس رضي الله عنه[2].

فصل[3] وفيها توفي

أبو عبيدة بن الجراح

واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبّة بن الحارث بن فِهر ابن مالك بن النُّضْر بن كنانة، وعند فِهر يلتقي مع النبي ﷺ في النسب، وأمُّه أُميمة بنت

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٧، والاستيعاب (١٧١٠)، والإصابة ٣/ ٣٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١٢٧ (صادر) و٩/ ٣٩٧، والاستيعاب (١١٥٣)، وتاريخ دمشق ٨/ ٢٦ (مخطوط)، والمنتظم ٤/ ٢٦١، والإصابة ٢/ ١٤٣.

(٣) إلى هنا ليس في (ك) مما أشير إليه قبل صفحات.

غَنْم بن جابر بن عبد العُزّى، وأُمّها دَعْد بنت هلال بن أُهيب، فِهْرِيَّةٌ.

وحكى البلاذريّ، عن المدائنيّ، عن أبي اليقظان أنه قال: أسلمت أمُّ أبي عبيدة وزوجُها[١].

وقال عبد الله بن شَوْذَب: خرج أبو أبي عُبيدةَ يوم بدرٍ مع الكفّار، وابنُه أبو عبيدة مع المسلمين، فجعل أبوه يتعرَّضُ له ليقتله، وجعل ابنُه أبو عُبيدة يَحيد عنه، فلما كثر قَصْدُه له قتله أبو عبيدة، ونزل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية[المجادلة: ٢٢][٢].

وأبو عُبيدة ﷺ من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأحد العشرة المبشرين، أسلم قديماً هو وعثمان بن مَظعون وعبد الرحمن بن عوف وعبيدة بن الحارث وأبو سلمة بن عبد الأسد[٣] في ساعة واحدة، قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

وكان طُوالاً، نَحيفاً، أَجْنأ، مَعْروقَ الوجه، خفيفَ اللحم، أَثْرَم الثَّنيَّتَين، هُتِما يومَ أحد لما نزع حَلْقَتَيْ المِغفَر من وَجه رسول الله ﷺ، وكان يَخضِبُ بالحِنَّاء والكَتَم، ونَقْش خاتَمه: الخُمُس لله.

ذِكرُ جملةٍ من فضائله: حكى ابن سعدٍ عن ابن إسحاق والواقديّ أنه هاجر إلى الحبشة الهجرةَ الثانيةَ. ولم يذكُره موسى بن عقبة وأبو معشر[٤].

وقال البلاذري: هاجر الهجرتين جميعاً، ثم هاجر إلى المدينةِ فنزل على كلثوم بن الهِدْم[٥].

وشهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وثبت يوم أُحدٍ لمّا انهزم الناسُ، ولما دخلت حَلَقَتا المِغْفَرِ في وجْنتَي رسول الله ﷺ نزعهما، فسقطت ثنيَّتاه، فكان أحسنَ الناس هَتْماً، وقد ذكرناه في غزاةِ أُحد[٦].

---

(١) أنساب الأشراف ١/ ٢٥٨ و ٩/ ٣٢٥.

(٢) تاريخ دمشق (عاصم - عايذ) ٢٢٦، والحلية ١/ ١٠١، ومن هنا إلى ذكر جملة من فصائله ليس في (ك).

(٣) في (أ) و(خ): الأشهل، والمثبت من تاريخ دمشق ٢٦٣، وكتب التراجم والسير.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٩.

(٥) أنساب الأشراف ١/ ٢٥٩ و ٩/ ٣٢٤.

(٦) سلف في السيرة.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أنسٍ قال: لما قَدِمَ وَفْدُ اليمن على النبي ﷺ سألوه أن يَبعث معهم رجلاً يُعلِّمهم الفرائض والسننَ، ويُعلّمهم الإسلام، فأخذ بيدِ أبي عبيدة وقال: «إنَّ لكلِّ أمّةٍ أميناً، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة». أخرجاه في الصحيحين[١].

ولما بلغ عمر سَرْغ حُدِّث أن بالشام وباءً شديداً، فقال: بلغني شدَّة الوَباء بالشام، فقال: [إنْ] أدركَني أجلي وأبو عبيدة حيٌّ استَخْلَفتُه، فإن سألني الله: لَمَ استخلفتَه على أمّة محمد؟ قلتُ: سمعتُ نبيَّك ﷺ يقول: «لكلِّ أمّة أمينٌ، وأمين هذه الأمَّة أبو عبيدة ابنُ الجراح»، فإن أدركَني أجلي وقد تُوفّي أبو عبيدة استخلفتُ مُعاذ بنَ جَبَل، فإن سألني ربّي: لَمَ استَخلفتَ معاذاً؟ قلتُ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مُعاذٌ يوم القيامة بين يدي العلماء، بيده اللواء»[٢].

وقال ابن سعدٍ عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «نِعم الرجلُ أبو عبيدة بن الجراح»[٣].

ورُوي أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنَّوْا، فقال رجلٌ: أتمنّى لو أن لي هذه الدارَ مملوءةً لؤلؤاً وزَبَرْجَداً وجوهراً أُنْفقه وأَتصدَّقُ به، فقال: تمنَّوْا، فتمنَّوا، فقال عمر: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءةً رجالاً مثلَ أبي عُبيدة[٤].

وقال أبو نُعيم بإسناده عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لمّا قَدِم عمر الشامَ تلقَّاه الناسُ وعُظماءُ أهلِ الأرضِ، فقال عمر: أين أخي أبو عُبيدة؟ قالوا: الآن يَأتيك، فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل بيته فلم يَرَ فيه إلّا سيفَه وتُرْسَه ورَحْلَهُ، فقال له عمر: ألا اتَّخذتَ ما اتَّخذ أصحابُك؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذا يُبَلِّغُني المَقيلَ[٥].

وقد ذكرنا أن عمر قَبَّل يده لمَّا لَقِيه، وقال ابنُ سعدٍ بإسناده عن قتادة، عن العِرْباض قال: قال أبو عبيدة: وَدِدْتُ أني كنتُ كَبْشا فذبحني أهلي، وأكلوا لحمي، وحَسَوْا مَرَقي[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨١، وصحيح البخاري (٣٧٤٤)، وصحيح مسلم (٢٤١٩).

(٢) تاريخ دمشق (عاصم - عايذ) ٢٨٥-٢٨٧، ومن قوله: ولما بلغ عمر سَرْغ... إلى هنا ليس في (ك).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨١.

(٤) تاريخ دمشق ٣٠٢، والحلية ١/ ١٠٢.

(٥) حلية الأولياء ١/ ١٠١-١٠٢.

(٦) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٢، وتاريخ دمشق ٣١٢، وليس فيها العرباض.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه[1]، وكان يُدعى القويّ الأمين، وبعثه رسول الله ﷺ على عِدَّةِ سرايا، وبعثه في سرية أميراً وفيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما.

وقيل لعائشة رضوان الله عليها: مَن كان رسول الله ﷺ مُستخلِفاً لو استَخْلَف؟ فقالت: أبو بكر، قيل: فمَن بعده؟ قالت: عمر، قيل لها: فمَن بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة[2].

وقال له أبو بكر رضوان الله عليه يوم السقيفة: مُدَّ يدك لأُبايعك، فقال له أبو عبيدة رضي الله عنه: ما كنتُ لأُصلّيَ برجل أَمره رسول الله ﷺ فأَمَّنا حتى قُبض[3].

وقال ابن سعدٍ بإسنادهِ عن العِرْباضِ بن سارِية قال: دخلتُ على أبي عُبيدَة في مرضِه الذي مات فيه، فقال: يَغفِرُ الله لعمر بن الخطاب رجوعَه من سَرْغ؛ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المطعون شهيد، والمبطون شهيد، والغَريقُ شهيدٌ، والحَرِقُ شهيد، والهَدَمُ شهيد، وذاتُ الجَنْب شهيد، والمرأةُ تموت بِجُمْع شهيدة»[4]. وله معنيان: أحدُهما: أن تموتَ عَذْراءَ، والثاني: أن تموت وفي بَطنها ولَدُها.

وقال هشام: لما أتى عمرُ الشام نزل بمنزل أبي عُبيدة، فقالت له امرأتُه: أهلاً وسهلاً يا أمير المؤمنين، فقال: أفلُانةُ؟ قالت: نعم، قال: والذي نفسي بيده لأسوءنَّك، قالت: هل تستطيعُ أن تَسلِبني الإسلامَ؟ قال: لا والله، قالت: فما أُبالي ما كان بعد ذلك.

قال: وكانت أهدت امرأةُ عظيمِ الرومِ عند فتح دمشق لامرأة أبي عبيدة عِقداً فيه خرزٌ ولؤلؤٌ وشيءٌ من ذهب، يُساوي ثلاث مئة درهم أو دينار ـ اشتبه على الراوي، وقيل: إنَّما أهدت لها تاجاً مُرَصَّعاً ـ فلما نزل عمر منزل أبي عُبيدة جاءت ابنةٌ له

---

(١) كذا ذكر، وفي طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٩، وأنساب الأشراف ٩/ ٣٢٤، وتاريخ دمشق ٢٥٦، وتهذيب الكمال: أن رسول الله ﷺ آخى بين أبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومحمد بن مسلمة، وفي سيرة ابن هشام ١/ ٥٠٥ أن أبا عبيدة وسعد بن معاذ أخوين.

(٢) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٢٠٤) ، (١٢٨٦)، وابن عساكر ٢٩٩-٣٠٠.

(٣) تاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٢٨٩، ومن قوله: وآخى رسول الله ﷺ... إلى هنا ليس في (ك).

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٣.

جُوَيْرِية، فجلست بين يدي عمر، فجعل يَستطعمها الكلامَ ما حَلْيُك؟ فقالت: كذا وكذا، وسمعتْه أُمُّها من داخل البيت فقالت: كأنك تُريد العِقد أو التاج؟ قال: نعم، فقالت: نعم، قسمه أبو عبيدة بين المسلمين، ولم يُعطِنا منه شيئاً، فسكت.

ولم يذكر هشام اسمَ امرأة أبي عبيدة، وذكرها الحافظ ابن عساكر في آخر تاريخه، في ذكر النساء، في حرف التاء وقال: اسمُها تحيفة بالتاء[١].

قال الشيخ موفق الدّين رحمه الله في الأنساب: لما قدم عمر رضوان الله عليه الشام [قال لأبي عُبيدة]: ألا تَسْتَزيرُني؟ فقال: أخاف أن تعصر[٢] عينيك، فاستزاره، فلم يجد في بيته إلا طِنْفِسَة رَحْلِه، فقدم إليه خبزاً يابساً ومِلحاً، فقال له عمر رضوان الله عليه: هلا اتَّخذتَ ما اتَّخذه غيرُك؟ فقال: هذا يُبلّغني المحل، فبكى عمر رضوان الله عليه وقال: أنت أخي، ما أجد إلا مَن غَرَّتْه الدُّنيا غيرك.

وكان يسير في العسكر ويقول: ألا رُبَّ مُبيِّضٍ لثيابه مُدَنِّس لدِينه، ألا رُبَّ مُكرِمٍ نفسَه وهو لها مُهين، فادْرؤوا السِّيئات القديمات بالحسنات الحَديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيّآت ما بينه وبين السماء، ثم عمل حَسنةً لعلت فوق سيئاته حتى تَقهرهنّ[٣].

ودخل عليه بعضُ أصحابه في مرضه فوجده يبكي، فقال: ما يُبكيك؟ فقال: أبكي أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً ما يَفتح الله على المسلمين ويَفيءُ عليهم، حتى ذكر الشام فقال: «إنْ يُنسَأ في أجَلك يا أبا عبيدة، فحسبُك من الخَدَم ثلاثة: خادم يَخدُمك، وخادم يُسافر [معك]، وخادم يَخدُم أهلَك، وحَسبُك من الدَّوابّ ثلاثة: دابّة لرجلك[٤]، ودابة لثَقَلِك، ودابّة لغُلامك»، وها أنا أنظُر إلى بيتي قد امتلأ رَقيقاً، وإلى مَرْبَطي قد امتلأ دوابًّا وخيلاً، فكيف ألقى رسول الله ﷺ بعد هذا؟ وقد أوصانا: «إن أحبَّكم إليَّ وأقرَبكم منّي مَن لَقيني على مثل الحال التي فارقَني عليها»[٥].

وقد ذكرنا أن أبا عبيدة شهد بَدْراً والمشاهِدَ كلّها، واليرموكَ وأجنادين وفحْلاً

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٥/ ٣٢٧-٣٢٨، وليس في المطبوع أو المخطوط من تاريخ دمشق.

(٢) في (أ) و(خ): تعصب، والمثبت من التبيين ٤٩٤ وما بين معكوفين منه.

(٣) الزهد لأحمد ٢٣٠، والحلية ١/ ١٠٢.

(٤) في (خ): لرحلك.

(٥) تاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٣٠٨ـ٣٠٩، ومن قوله: قال الشيخ موفق الدين.. إلى هنا ليس في (ك).

ومرجَ الصُّفَّر ودمشقَ وغيرَ ذلك.

ذكر وفاته: روى ابن سعدٍ عن الواقديّ قال: شهد أبو عبيدة بدراً مع رسولِ الله ﷺ وهو ابن إحدى وأربعين سنةً، ومات بطاعون عَمْواس سنة ثماني عشرة، ومات عن ثمانٍ وخمسين سنةً[١]، أو سبعٍ وخمسين سنةً[٢].

واختلفوا في مَوضع قبره، فقال ابن الكلبي: قبره بعَمْواس، وهي قريةٌ بينها وبين الرَّمْلة ثلاثةُ أميالٍ، أو أربعةُ أميالٍ. وقال الواقديّ وضَمْرة بن ربيعة: قبرُه ببَيْسان.

قلتُ: ورأيتُ بطَبَريّة مشهداً، وفيه قبرٌ، وعلى حائطه بَلاطة عليها مكتوب: هذا قبرُ أبي عبيدة بن الجراح، تُوفّي بطاعون عَمْواس سنة عشرين، وقيل: إنه بِفِحْل، والله أعلم.

وصلى عليه معاذ بن جبلٍ، ونزل في قبرِه، والمشهور أنَّه بعَمْتا من الغَورِ[٣]. أسند الحديث عن رسول الله ﷺ[٤].

عامر بن غَيْلان بن أَسْلَم الثَّقفي[٥]

أسلم قبل أبيه وهاجر، وله صُحبة، وكان شاعراً وأُمُّه خالدة بنت أبي العاص.

ولما هاجر عامر إلى المدينة عمد خازن غَيْلان إلى مالٍ له، وسَرقه ودفنه في خارج الحصن، وقال لغَيْلان: إن ابنَك سَرق مالك، وراح به إلى المدينة، فشكاه إلى الناس، وبلغ عامراً فلم يَعتذر إلى أبيه، ولم يذكر براءته مما قيل عنه، ولما شاع ذلك جاءت أَمَةٌ لبعض آل ثَقيف، فقالت لغيلان: أيّ شيءٍ [لي] عندك إن دَلَلْتُك على مالك؟ قال: مهما شئتِ، قالت: تَشتريني وتُعتِقني، قال: نعم، فأخرجَتْه إلى ظاهر الحِصْن، وقالت رأيتُ عبدك فُلاناً قد دفن ههنا شيئاً في بعض الليالي، وإنه يَتعاهَدُه في كلِّ وقت، فنبش المكان، وأخذ المال، فاشترى الأَمَةَ وأَعتقها.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٣ـ٣٨٤ و ٩/ ٣٨٩.

(٢) في (أ) و(خ): وقيل تسع وخمسين.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٣١٦ ـ ٣٢٢.

(٤) انظر في ترجمة إضافة إلى ما سلف: المعارف ٢٤٧ ـ٢٤٨، والاستيعاب (٣٠٣٦)، والمنتظم ٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٢، والإصابة ٢/ ٢٥٢، والسير ١/ ٥. ومن هنا إلى بداية ترجمة معاذ بن جبل ليس في (ك).

(٥) كذا، والذي في الأغاني ١٣/ ٢٠٠، والاستيعاب (١٨٤٦)، وجمهرة ابن حزم ٢٦٨، وتاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٤٢٦، والإصابة ٢/ ٢٥٥ : عامر بن غيلان بن سلمة بن معتب.

وبلغ الخبرُ عامراً فقال: والله لا يَراني غَيْلان أبداً، وخرج عامر وعُمارة أخوه إلى الشام مُجاهِدين، فمات عامر بطاعون عَمْواس في حياة أبيه، وأسلم غَيْلان، وقدم المدينة، رحمه الله تعالى.

عامر بن مالك

أخو سعد بن أبي وَقّاص لأبَويْه، من الطبقة الثانية من المهاجرين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، ولَقِي من أُمّه حَمْنَة بنت سفيان بن أُميَّة أذًى، آلت لا تَستَظِلُّ بظِلٍّ، ولا تَأكلُ طعاماً، ولا تَشرب شراباً حتى يعود عامر إلى الكُفر، واجتمع عليها الناس، وأقبل سعد بنُ أبي وَقَّاص رضي الله عنه، فرأى الناس مُجتمعين عليها، قال: مالَكِ؟ فقالت: حلفتُ على كذا وكذا، فقال سعد رضي الله عنه: يا أُمّه، عليَّ فاحْلِفي، إنك لا تَستَظلّي بظِلٍّ، ولا تَأكُلي طعاماً، ولا تشربي شَراباً حتى تَرَيْ مَقعدَكِ من النار، فقالت: إنما حلفتُ على ابني البَرّ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الآية [لقمان: ١٥].

شهد عامر أُحداً، وكُنيتُه أبو صفوان، وتُوفّي بطاعون عَمْواس، وقيل باليرموك، وقيل بأَجْنادين، وليس له زوجة، رحمه الله تعالى[(١)].

عُمير بن عديّ

ابن خَرشَة بن أُميَّة بن عامر بن خَطْمة، أسلم قديماً، وكان ضَريراً، وهو الذي قتل عَصْماء بنت مَروان اليهوديّة، كانت تُؤذي رسول الله ﷺ، وتُحرِّض عليه، وتقول الأشعار، فلما غاب رسول الله ﷺ ببدر؛ نَذر عُمير[(٢)] إن عاد رسول الله ﷺ سالماً أن يقتُل عصماء، فلما عاد رسول الله ﷺ من بدر؛ أتاها عُمير نِصفَ الليل، فقَتَلَها، وكانت وَفاتُه بالمدينة، رضي الله عنه[(٣)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١١٥، والاستيعاب (١٨٢٠)، وتاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ٤٣٥، والتبيين ٢٩١، والإصابة ٢/ ٢٥٧.

(٢) في (أ) و(خ): فلما غاب رسول الله ﷺ نذر زيد بن عمير، والمثبت من طبقات ابن سعد ٤/ ٣١٧، والمنتظم ٤/ ٢٦٣.

(٣) انظر في ترجمته إضافة إلى ما سبق الاستيعاب (١٧٢٨)، والاستبصار ٢٦٨، والإصابة ٣/ ٣٣.

الفَضْل بن العبّاس

ابن عبد المطلب بن هاشم ﷺ، كُنيتُه أبو محمد، وقيل: أبو العبّاس، من الطبقة الثانية من المهاجرين، وأمُّه لُبابة الكُبرى بنت الحارث بن حَزْن الهِلاليّة، أُخت[١] ميمونة زوج النبي ﷺ.

وكان أَسَنَّ وَلد العباس، وبه كان يُكنى، وكان رجلاً على عهد رسول الله ﷺ، وغزا معه عامَ الفتح ويومَ حُنين، وثَبتَ يومئذٍ.

وكان جَميلاً، فكان يُقال: من أراد الجَمَالَ والسَّخاءَ والفِقهَ فلْيَأتِ دارَ العباس، فالجمال للفضْل، والسَّخاءُ [لعُبيد الله، والفقه] لعبد الله.

وشهد حَجّة الوداع، وأَرْدَفَه رسول الله ﷺ من جَمْعٍ إلى مِنًى، فكان يُقال له: رديفَ رسول الله ﷺ، وشهد غسلَ رسول الله ﷺ.

وكان صالحاً، زاهداً، عابداً، خرج إلى الشام مُجاهداً، فتُوفّي بطاعون عَمْواس.

وكان إذا نزل مَنزلاً يُرْخي عِنان فرسه ويُطيل لها فترعى، وهو أوَّلُ مَن فعل ذلك بالشام.

قال أبو علاقة: حضرتُ الفَضْلَ وقد نال الطَّاعون من الناس، فقلتُ: بأبي أنت وأُمّي، لو انتقلتَ إلى مكان كذا وكذا، فقال: والله ما أخافُ أن يسبقَ أجلي، ولا أُحاذر أن يَغلط بي ملكُ الموتُ، إنه لَبَصيرٌ بأهل كلِّ بلَد. أسند الحديث عن رسول الله ﷺ[٢].

أبو مالك الأشعَري

من الطبقة الثالثة، أسلم، وصحب رسول الله ﷺ، وشهد فتحَ مِصر، طُعن هو وأبو عبيدة ﵄ في يوم واحد، وعَقدَ له رسول الله ﷺ على خيل الطَّلَب، وأمره أن يَطلُبَ هوازن حين انهزمت[٣].

---

(١) في (أ) و(خ): ابنة، وهو خطأ.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٥٠ و ٩/ ٤٠٣، والاستيعاب (٢٠٨٣)، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٦٧، والمنتظم ٤/ ٢٦٣، والتبيين ١٥٥، والإصابة ٣/ ٢٠٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٢٧٥ و ٩/ ٤٠٣.

فصل وفيها تُوفّي

معاذ بنُ جبَل

ابن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ بن سعد بن عليّ بن أسد بن سارِدة بن يَزيد بن جُشَم بن الخَزْرَج، وكُنيتُه أبو عبد الرحمن، وأمّه هند بنت سهل [من بني] رِفاعة، من جُهينة.

ومعاذ من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العَقَبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والخندق، والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وأسلم وهو ابن ثماني عشرة سنةً، وقيل: ابن عشرين.

وكان يكسِرُ أصنامَ بني سَلِمة، وأردفَه رسول الله ﷺ وراءه، ومشى في رِكابه لمّا شيَّعه إلى اليمن ومعاذ راكبٌ، وقد ذكرناه في سنة تسع. وكان يُفتي بالمدينة في حياةِ رسول الله ﷺ وأبي بكر، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين ابن مسعود.

وقال ابن سعد: شهد مُعاذ بدراً وهو ابن عِشرين أو إحدى وعشرين سنةً.

وخرج إلى اليمنِ بعد غَزاة تبوك وشهدها، وخرج إلى اليمن وهو ابن ثمانٍ وعِشرين سنةً[(١)].

ذكر صفته: قال ابن سعدٍ، عن الواقدي، عن أشياخٍ له قالوا: كان معاذ طُوالاً، أبيض، حَسَنَ الثغرِ، مجموعَ الحاجبين، أكْحَلَ العينين، برّاقَ الثنايا، جَعْداً، قَطَطاً[(٢)].

وقال ابن مسعود[(٣)]: كان يُسمّى القانتَ والخاشِعَ.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أبي مُسلم الخَولاني قال: دخلتُ مسجدَ حمص، فإذا فيه نحوٌ من ثلاثين كَهْلاً من أصحابِ رسول الله ﷺ، وإذا فيهم شابٌّ أكحلُ العينين، برّاقُ الثّنايا، ساكتٌ لا يتكلّم، فإذا امترى القومُ في شيءٍ أقبلوا عليه فسألوه، فقلتُ لجَليسي: مَن هذا؟ قال: معاذ بن جبل[(٤)].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٠ و ٩/ ٣٩١.

(٢) الطبقات ٣/ ٥٤٥ و ٩/ ٣٩٣.

(٣) من قوله: وقال ابن سعد شهد معاذ.. إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٥ و ٩/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

ثم تفرقوا، فلما كان الغد جاء معاذ، فصلّى إلى سارية، فصليتُ عنده، فلما انصرف من صلاته جلستُ إليه وقلت: والله إني أُحبُّك لغير دنيا أرجوها منك، ولا لقرابةٍ بيني وبينك، قال: فلأيِّ شيءٍ، قلتُ: لله عز وجل، فقال أَبشِر إن كنتَ صادقاً، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المتحابُّون في الله في ظِلِّ العرش، يوم لا ظلَّ إلا ظِلُّه، يَغبطهم بمكانهم النبيُّون والشهداء».

ثم خرجتُ فلقيتُ عُبادةَ بنَ الصَّامت، فحدَّثته بالذي حدَّثني به معاذ، فقال عُبادة: سمعتُ رسول الله ﷺ يروي عن ربِّه تعالى أنه قال: «حقَّت محبَّتي للمتحابِّين [فيَّ]، والمتناصِحين فيّ، والمتزاوِرين فيَّ، والمتباذِلين فيَّ، هم على مَنابرَ من نور، يَغبطُهم النبيُّون والصدِّيقون»[١].

وقال أبو بَحريَّة [بن] قُطَيْب السَّكوني: دخلتُ مسجد حمص، فإذا أنا بفتًى جَعْدٍ قَطَطٍ، حوله الناس، فإذا تكلّم كأنما يخرج من فِيه نورٌ ولُؤلؤ، فقلتُ: مَن هذا؟ قالوا: مُعاذ بن جَبَل[٢].

ذكر زهده وورعه وتعبُّده وجُوده وقضاءِ دَينه وسَخائه: قال أبو نعيم بإسناده عن عبد الرحمن بن سعيد بن يَربوع، عن مالكٍ: أن عمر بن الخطاب أرسل بأربع مئة دينارٍ إلى أبي عُبيدة، وقال للغُلام: تَلَهَّ بالبيتِ ساعةً، وانظُر ماذا يصنعُ؟ فجاء الغلامُ فقال لأبي عبيدة: يقول لك أميرُ المؤمنين: اجعلْ هذه في بعضِ حاجتك، فقال: وَصله الله ورَحِمَه، ثم قال: يا جاريةُ، اذهبي بهذه السبعةِ إلى فُلانٍ، وبهذه الخمسةِ إلى فُلانٍ، حتى أنفدَ الجميع، فرجع الغُلامُ إلى عمرَ فأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلَها لمعاذِ بن جَبل، وقال للغُلام: اذهب بها إلى مُعاذٍ، وتلَهَّ ساعةً حتى تنظرَ ما يصنعُ بها؟ فذهب بها إليه وقال: إن أميرَ المؤمنين يقول لك: اجعل هذه في بعضِ حاجتك، فقال: رَحمَه الله ووَصله، ثم قال: تعالي يا جاريةُ، اذهبي إلى بيت فُلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، فاطلعت امرأةُ معاذٍ فقالت: ونحنُ واللهِ مساكين فأعطِنا، ولم يبق في الخِرْقةِ إلّا ديناران، فدحا بهما إليها، فرجع الغلامُ إلى عمر فأخبره، فقال: إنهم إخوةٌ بعضُهم من بعض.

---

(١) تاريخ دمشق ٥٨/ ٤٢٦ (الفكر)، وأخرجه أحمد (٢٢٠٨٠).

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٣١، ومن قوله: ثم تفرقوا فلما كان الغد.. إلى هنا ليس في (ك).

وقال أبو نُعيم بإسناده عن يحيى بن سعيد قال: كانت تحت معاذٍ امرأتان، فإذا كان عند إحداهما لم يشربْ من بيت الأُخرى الماء، وفي روايةٍ: لم يتوضّأ من بيتِ الأُخرى، ثم تُوفِّيتا في الطاعونِ، فدُفِنتا في حُفْرَةٍ، فأسهم بينهما؛ أيتهما تُقَدَّمُ في القبرِ؟[١]

وروى ابن سعد قال: كان معاذ يأكلُ تُفّاحةً ومعه امرأتُه، فمرَّ غُلامٌ له، فناولتْه امرأتُه تفاحةً قد عَضَّتها، فضَربها معاذ.

وحكى ابن سعدٍ عنه أنه قال: ما بَصَقتُ عن يميني منذ أسلمتُ وصحبتُ رسولَ اللهِ ﷺ.

قال: ورأى معاذ امرأتَه تَطَلَّع من رَوْزَنَةٍ فضربها[٢].

وقال أبو نعيم بإسناده قال[٣]: كان معاذ بن جبلٍ إذا تهجّد من الليلِ قال: اللهمَّ قد نامتِ العيونُ، وغارتِ النجومُ، وأنت حيٌّ قيوم، اللهمَّ طَلبي الجنَّةَ بطيءٌ وهَربي من النار ضَعيف، اللهمَّ اجعل لي عندك هُدًى، تَرُدُّه إليَّ يومَ القيامة، إنك لا تُخلِفُ الميعاد.

حديثُ قضاءِ دَيْنه: قال أبو نُعيم بإسناده عن ابن كعب بن مالك قال: كان معاذ بنُ جَبل شاباً جَميلاً سَمْحاً، من خَيْرِ شبابِ قومهِ، لا يُسْأَلُ شيئاً إلا أعطاه، حتى ادّان دَيناً أغلق مالَه، وكلَّم رسولَ الله ﷺ أن يُكلِّمَ غُرماءه أن يَضعوا له شيئاً ففعل، فلم يضعوا له شيئاً، فدعاه رسولُ الله ﷺ، فلم يَبْرَح حتى باع مالَه، وقسمه بين غُرمائه، فقام مُعاذٌ ولا مالَ له[٤].

قال جابر بن عبد الله: كان معاذ قد ادَّان ديناً كثيراً، فلَزمه غُرماؤه، حتى تغيَّب عنهم أياماً في بيته، فطلبه غُرماؤه وقالوا: يارسول الله، خُذْ لنا منه حقَّنا، فقال رسول الله ﷺ: «مَن يَتصدَّقُ عليه؟» فتصدَّق عليه ناس وأبى آخرون، فخَلَعه رسول الله ﷺ من ماله، وقَسمه بينهم، فأصابهم خمسةُ أسباعِ حُقوقهم، فقالوا: يا رسول الله،

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٣٧، ٢٣٤.

(٢) الأخبار الثلاثة في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٢، والرَّوزنة: الكُوَّة.

(٣) من قوله: وروى ابن سعد... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، والخبر في الحلية ١/ ٢٣٣.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٣١.

ادفَعْه لنا، فقال: «خَلُّوا عنه، فليس لكم عليه سبيل»، فانصرف معاذ إلى بني سَلِمة، فقال له قائل: يا أبا عبد الرحمن، لو سألتَ رسول الله ﷺ، فقد أصبحتَ اليوم مُعدماً، فقال: ما كنتُ لأسألَه.

ثم دعاه رسول الله ﷺ بعد يوم، فبَعثه إلى اليمن، وقال له: «لعلَّ الله يَجبُرُك ويُؤدِّي عنك دَيْنك».

فخرج إلى اليمن، فلم يَزلْ بها حتى تُوفّي رسول الله ﷺ، فوافى مُعاذ مكّة وقد حجَّ عمر رضوان الله عليه بالناس في تلك السنة، فالتقيا، فاعتنقا وبَكيا، وعزَّى كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه في رسول الله ﷺ.

ورأى عمر رضوان الله عليه معه غِلماناً، فقال له: ما هؤلاء؟

فقال: أُهدوا إليّ، فقال: اذكُرهم لأبي بكر، فقال: لا أفعل، وإنهم مالي. فرأى في تلك الليلة في المنام كأنه على شَفير النار، وعمر رضوان الله عليه آخِذٌ بحُجْزته، يَمنعه أن يقع فيها، وكان معاذ رضي الله عنه أعتقهم لما رآهم يُصلّون، ثم قضى أبو بكر رضوان الله عليه لبقيَّة غُرمائه، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لعلَّ اللهَ يَجبُرك»[1].

وكان معاذ رضي الله عنه يُصلّي مع رسول الله ﷺ، ثم يَرجع فيُصلّي بقومه، فأخَّر رسول الله ﷺ الصلاةَ مرَّةً، فصلَّى مُعاذ معه، ثم جاء يَؤُمُّ لقومه، فقرأ البقرة، فاعتزل رجلُ من القوم فصلّى، فقيل: نافقتَ يا فلان، فقال: ما نافَقْتُ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: إن معاذاً يُصلِّي معك، ثم يَرجع فيؤمُّنا يا رسول الله، إنما نحن أصحابُ نَواضِح، ونعملُ بأيدينا، وإنه جاء يَؤُمُّنا، فقرأ سورةَ البقرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، أفتَّانٌ أنت؟ اقرأ باسم ربك الأعلى، والليل إذا يَغشى»[2].

وقال[3] عبد الله بن أحمد بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أعلمُ أمَّتي بالحلال والحرام معاذُ بنُ جبل»[4].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٣-٥٤٤.

(٢) أخرجه أحمد (١٤٣٠٧)، والبخاري (٦١٠٦)، ومسلم (٤٦٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) من قوله قال جابر بن عبد الله وكان معاذ قد ادان.. إلى هنا ليس في (ك).

(٤) مسند أحمد (١٢٩٠٤).

وقال ابن مسعود ﷺ: إن معاذ بنَ جبل كان أُمّةً، قانتاً لله حَنيفاً، فقيل له: إن إبراهيم كان أُمَّةً قانتاً لله حَنيفاً، فقال: ما نسيتُ، هل تدري ما الأُمَّة وما القانِت؟ الأُمَّةُ الذي يُعلّم الخير، والقانت المطيعُ لله ولرسوله، وكان معاذ كذلك(١).

وقال شَهْر بن حَوْشَب: كان أصحابُ محمّدٍ ﷺ إذا تحدَّثوا وفيهم معاذ؛ نظروا إليه هَيبةً له(٢).

وقال هشام: كان معاذ ممَّن جمع القرآن.

وكتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن: «إني قد بعثتُ إليكم من خير أهلي، واليَ علمهم، واليَ دينهم»(٣).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ حين خرج معاذ إلى الشام: لقد أَخَلَّ خروجُه بالمدينة وأهلها [في الفقه وما كان يُفتيهم به]، ولقد كلَّمتُ أبا بكر أن يَحبِسَه لحاجة الناس، فأبى عليَّ وقال: رجلٌ أراد [وَجْهاً يريد الشهادةَ فلا أحبسه، فقلتُ: والله إن الرجل لَيُرزق] الشهادةَ وهو في بيته على فراشه(٤).

وكان معاذ ﷺ قد جمع القرآن، وقال لابنه: يا بُنيّ، إذا صلّيتَ فصلِّ صلاةَ مُوَدِّع، لا تَظنَّ أنك تَعودُ إليها أبداً، واعلم أن المؤمن يموتُ بين حَسَنتَين: حسنةٍ عملها، وحسنةٍ أخَّرها(٥).

وروى أبو نعيم، عن معاذ أنه قال: أخوفُ ما أخاف عليكم فتنةَ النساء إذا تَسوَّرْنَ الذَّهبَ، ولَبِسنَ رِياطَ الشام، وعَصْبَ اليمن، فأتعبْنَ الغنيَّ، وكلَّفْنَ الفقيرَ ما لا يجد(٦).

ذِكرُ مرضِه ووفاتِهِ: قال أبو نُعيم بإسناده عن طارق بن عبد الرحمن قال: وقع طاعونٌ بالشامِ فاستعر فيها، فقال الناسُ: ما هذا إلا الطُّوفانُ، إلّا أنَّه ليس بماءٍ، فبلغ

---

(١) أخرجه ابن سعد ٢/ ٣٠١ـ٣٠٢، وأبو نعيم ١/ ٢٣٠.

(٢) الحلية ١/ ٢٣١.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤١.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/ ٣٠٠ وما بين معكوفين منه.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد ٢٢٥، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٣٤.

(٦) حلية الأولياء ١/ ٢٣٦.

مُعاذاً، فقام خطيباً فقال: إنَّه قد بلغني ما تقولون، وإنّما هذه رحمةُ ربِّكم، ودعوةُ نبيّكم، وكَفْتُ الصالحين قبلَكم، ولكن خافوا ما هو أشدُّ من ذلك؛ أن يَغدُوَ الرجلُ منكم من منزلِهِ لا يدري: أمؤمن هو أم منافِقٌ؟ وخافوا إمارةَ الصِّبيان[١].

وروى ابنُ سعدٍ قال: لمّا قال معاذ: اللهمَّ آتِ آل مُعاذٍ نَصيبَهم من هذه الرحمةِ طُعِن ابناه، فقال: كيف تَجِدانِكما؟ قالا: يا أبانا ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[آل عمران: ٦٠]، قال: وأنا ستَجداني إن شاء الله من الصابرين، ثم طُعِنت امرأتاه فهلكتا[٢]، وطُعِنَ هو في إبهامه فجعل يمصُّها بفيه ويقول: اللهمَّ إنَّها صغيرةٌ فبارِكْ فيها، فإنك تُبارِكُ في الصغير، حتى هلك.

وروى أبو نُعيم أنه كان كُلَّما أفاق ـ وكان شديدَ النَّزْعِ ـ فتح عينيه وقال: اخنُقْ خَنْقَك، فوَعِزَّتِك إنك تَعلم أني أُحبُّك، وأنَّ قلبي يُحبُّك[٣].

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن عَمرو بن قيس، عمَّن حدَّثه، عن معاذٍ أنَّه لما احتُضِرَ قال: انظروا هل أصبحنا؟ قالوا: لم نُصْبح، ثم قيل له: قد أصبحتَ، فقال: أعوذُ باللهِ من ليلةٍ صباحُها النار، مَرْحباً بالموتِ مرحباً، زائرٌ مُغِبٌّ حبيب جاء على فاقةٍ، لا أَفلحَ من نَدِم، اللهمَّ إني قد كُنتُ أخافُك وأنا اليومَ أرجوك، اللهمَّ إنك تعلمُ أني لم أكُن أُحبُّ الدنيا وطولَ البقاء فيها لكَرْيِ الأنهار، وغرسِ الأشجارِ، ولكن للظمأ في الهواجرِ، ومكابَدَةِ الساعات، ومُزاحمةِ العلماء بالرُّكَبِ عند حِلَقِ الذكْر[٤].

ولم يبق من آل معاذ من الجمعة إلى الجمعة أحد.

وقال ابن سعدٍ بإسناده قال: وحدثنا إسحاقُ بنُ خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن جدِّه قال: شهد معاذٌ بَدْراً وهو ابنُ عشرين، أو إحدى وعشرين سنةً، وخرج إلى اليمن بعد أن غزا رسولُ الله تبوكاً وهو ابنُ ثمانٍ وعشرين سنةً، وتُوفي في طاعون عَمْواس بالشام بناحية الأُردُن سنة ثماني عشرة وهو ابنُ ثمانٍ وثلاثين سنةً، وليس له عَقِبٌ.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٢٤٠ . والكفت: الضمُّ والقبضُ.

(٢) من قوله: ذكر مرضه ووفاته... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، والخبر في الطبقات ٣/ ٥٤٤ و٩/ ٣٩٢ .

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢٤٠ .

(٤) الزهد ٢٢٦ ، وحلية الأولياء ١/ ٢٣٩ .

وقال ابن سعد بإسناده عن سعيد بن المُسَيّب قال: رُفع عيسى وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنةً، ومات مُعاذ وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنةً[١]. وقيل: كان له ستٌّ وثلاثون سنةً. وقيل: أربعٌ وثلاثون[٢].

أسند مُعاذٌ عن رسولِ الله ﷺ الحديث. فالمشهورُ عنه أنَّه رُوي عنه مئةُ حديثٍ وسبعةٌ وخمسون حديثاً.

أُخرج له في «الصحيحين» ستَّةُ أحاديث، اتّفقا على حديثين، وأخرج البخاري ثلاثةً، وانفرد مسلم بحديث[٣]، وأخرج له أحمد سبعةً وخمسين حديثاً[٤].

منها ما روى أنسٌ، عن معاذ[٥] حدَّثه أن النبي ﷺ قال له: «يا مُعاذَ بن جَبل» قال: لبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا رسولَ الله، قال: «لا يَشهدُ عبدٌ أن لا إله إلّا الله ثم يموتُ على ذلك إلّا دخل الجنَّةَ»، قال: فقلتُ: ألا أُحَدِّثُ الناس؟ قال: «لا، إني أخشى أن يَتّكِلوا». أخرجاه في «الصّحيحين»[٦].

والحديث[٧] الثاني المتَّفقُ عليه أيضاً لمّا بعثه إلى اليمن وفي آخرِه: «واتَّقِ دعوةَ المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٨].

وقال أحمد بإسناده عن يزيد بن قُطَيب السَّكوني ـ وكُنيتُه أبو بَحريَّة ـ قال: سمعتُ معاذَ بنَ جبل يقول: قال رسول الله ﷺ: «الملْحَمة العُظْمى، وفتحُ قُسطَنْطِينيَّة، وخروج الدَّجال في تسعةِ أشهر»[٩].

وقال أحمد بإسناده عن الوالبيّ صديق لمُعاذٍ قال: قال معاذ: سمعتُ رسول الله

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٥ـ٥٦٤ و٩/ ٣٩٣.
(٢) من قوله: وقال ابن سعد ـ قبل سبعة أسطر ـ إلى هنا ليس في (خ) و(أ).
(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ٤٠٠.
(٤) من قوله: فالمشهور عنه... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).
(٥) في (أ) و(خ): ومن مسانيده عن أنس عن معاذ.
(٦) صحيح البخاري (١٢٨)، وصحيح مسلم (٣٢).
(٧) من هنا إلى نهاية الترجمة ليس في (أ) و(خ).
(٨) صحيح البخاري (٢٤٤٨)، وصحيح مسلم (١٩).
(٩) مسند أحمد (٢٢٠٤٥) وفيه: عن يزيد بن قُطيب السكوني، عن أبي بحرية، في سبعة أشهر.
(١٠) مسند أحمد (٢٢٠٧٧)، والحديث فيه عن الحسن، عن معاذ، وحديث الوالبي عن معاذ هو الحديث

ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝٢٧﴾ ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١﴾[الواقعة: ٢٧ـ٤١] فقَبض قَبضَتين فقال: «هذه في الجنةِ ولا أُبالي، وهذه في النار ولا أُبالي»[١].

وقال أحمد بإسناده عن مُعاذِ بن جبل قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُؤذي امرأةٌ زوجَها في الدنيا إلا قالت زوجتُه من الحورِ العين: لا تُؤذيه قاتلك الله، فإنَّما هو عندك دَخيل يُوشِكُ أن يفارِقَك إلينا»[٢]. الدَّخيل: الضَّيف.

يزيد بن أبي سفيان بن حرب

كُنيته أبو خالد، وأمُّه زينب بنت نَوفل، من بني فراس بن غَنْم[٣]، وهو من الطبقة الرابعة ممّن أسلم يوم الفتح، وكان أفضلَ أولاد أبي سُفيان، ويقال له: زيد الخير.

شهد مع النبي ﷺ حُنيناً، وأعطاه مئة من الإبل، وأربعين أُوقيّة، ولم يزل رسول الله ﷺ يَذكره بخير، واستعمله على صدقات بني فراس بن غَنْم؛ لأن يزيد منهم[٤].

وولاه أبو بكر رضوان الله عليه الشام، وخرج معه ماشياً يُودِّعه ويُوَجِّهُهُ وقال: إنك شاب تُذكر بخير، وقد أردتُ أن أختبرَك، فإن أحسنتَ زدتُك، وإن أسأتَ عزلتُك، وأوصاه بأبي عُبيدة ومعاذ خيراً، فقال: يا خليفة رسول الله أوصِهما بي.

وأقام أميراً على الشام حين مات أبو بكر رضوان الله عليه، وولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فولّى أبا عبيدة على الجيوش، وولّى يزيدَ بنَ أبي سفيان دمشق، فأقام عليها حتى مات بعَمْواس، واستَخلف أخاه معاوية، فأقرَّه عمر رضوان الله عليه.

ولما مات يَزيد جزع عمر رضوان الله عليه جزعاً شديداً ونَعاه إلى أبيْه، فقال: عند الله أحتسبُ يزيد، فمَن أَمَّرتَ بعدَه، فقال: معاوية، قال: وصلتْك [رحم][٥].

السابق لهذا في مسند أحمد (٢٢٠٧٦)، وانظر أطراف المسند لابن حجر ٥/ ٣٢٠.

(١) مسند أحمد (٢٢١٠١). وانظر في ترجمة معاذ: المعارف ٢٥٤، والاستيعاب (٢٢٧٠)، والمنتظم ٢٦٥، والاستبصار ١٣٦، والسير ١/ ٤٤٣

(٢) في (أ) و(خ): زينب بنت يزيد من بني قريش بن غنم، وهو خطأ، انظر طبقات ابن سعد ٦/ ١٣ و٩/ ٤٠٩ وتاريخ دمشق ١٨/ ٣٠٦ (مخطوط)، والسير ١/ ٣٢٩ والمصادر في حاشيته، والإصابة ٣/ ٦٥٦.

(٣) فهم أخواله.

(٤) تاريخ دمشق ١٨/ ٣١٣ وما بين معكوفين منه، وترجمة يزيد ليست في (ك).

السنة التاسعة عشرة

قال خليفة: وفيها أَسرتِ الرومُ عبدَ الله بن حُذافة السَّهْميَّ(١)، وذهبوا به إلى ملكهم وقالوا: هذا من أكابرِ أصحاب محمد ﷺ، فقال له الطاغيةُ: تَنَصَّرْ وأُشْرِكُكَ في مُلْكي، فقال: لو أعطيتَني جميعَ ما تَملك ما رجعتُ عن ديني، فقال له: تَنَصَّرْ وإلّا ألقيتُك في البَقَرةِ، فأبى، فدعا ببَقَرةٍ أو بقِدْرٍ من نحاسٍ، فصُبَّ فيها ماءٌ، وأُوقد عليها حتى التَهبت، ودعا بأسيرٍ من المسلمين، فألقاه فيها فإذا عظامُه تلوحُ، فأمر بعبدِ الله أن يُلقى فيها فبكى، فظنَّه قد جَزِع فقال: واللهِ ما بُكائي من الموتِ، وإنَّما أبكي حيثُ لم يكن لي إلا نَفْسٌ واحدةٌ تَفْعَلُ بها هذا في سبيل الله، وكنتُ أتمنّى أن يكون لي عددُ كُلِّ شعرةٍ فيَّ، أو في جسدي، أَنفسٌ تفعلُ بها هذا في الله تعالى.

فقال له الطاغية: هل لك أن تُقَبِّلَ رأسي وأُطْلقك؟ فقال: لا حتى تُطْلِقَ جميعَ أُسارى المسلمين، قال: نعم، فقبَّله فأطلق له ثمانين أسيراً، فلما دخل المدينةَ كان عمرُ في المسجدِ، فقام إليه وقَبَّل رأسَهُ، وكان المسلمون بعد ذلك يُداعبونه فيقولون: قَبَّلْتَ رأسَ عِلْجٍ(٢)! وفي روايةٍ: أنَّ عمرَ كتب إلى الطّاغيةِ يتهدَّده فأطلقَه.

وقد روى لنا الشيخ المُوَفَّقُ رحمه الله القصَّةَ بإسناده عن سليمان بن حبيب قال: ما اخْتُبِر أحدٌ من المسلمين مثل ما اختُبِر عبد الله بنُ حُذافةَ السَّهْمي، وكان قد شُكي إلى رسول الله ﷺ أنَّه صاحبُ مُزاحٍ وباطلٍ، فقال: «اتركوه، إن له بطانةً يُحبُّ الله ورسوله»، فرُمي على قَيْسارِيَّة، فأخذوه وبعثوا به إلى الطاغيةِ وهو بالقُسْطَنْطينية، فقال له: تنصَّر وأُنكِحك ابنتي، وأُشْرِكك في مُلكي، فقال: لا أفعل، فقال: أقتُلُك، قال: فعجِّل، فأتى بأُسارى، فضرب أعناقَهم، فمدَّ عُنُقَه وقال: اضرِبْ، قال: فأتى ببَقَرةٍ من نُحاسٍ، فمُلِئت زيتاً، قال: وحَبَسه في بيتٍ وعنده لحمُ خِنْزيرٍ مشويّ، وخمرٌ ممزوج، فلم يأكُل ولم يشرب... وذكر إطلاقَ الأُسارى وتقبيل رأسِهِ(٣).

(١) تاريخ خليفة ١٤٢ .

(٢) تاريخ دمشق (عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد) ١٣٤ .

(٣) التبيين ٤٦٨ـ٤٦٩ ، وأخرجه ابن عساكر ١٣٤ـ١٣٥ ، ومن قوله: وكان المسلمون بعد ذلك يداعبونه... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

فصل

وفيها وسَّع عمر مسجدَ النبي ﷺ واشترى له الدُّور وأدخلَها فيه، وسقفه بالجَريدِ والعَمَدِ والخَشب.

وفيها ظهرت نارٌ عظيمةٌ من حَرَّةِ ليلى، بحيث سالت الحرَّةُ ناراً، قال الواقدي: فخرج عمر وجميعُ الصحابة إليها، فقيل له: إنَّ هذه آيةٌ من آياتِ الله لا تَنْدَفعُ بالقتالِ بل بالصَّدَقة، ففتح عمر بيتَ المال، وجاء كلُّ واحدٍ من الصحابةِ بمال: عثمانُ وطلحةُ وعبد الرحمن، فتصدَّقوا بهِ فطَفِئت.

وقال محمد بن حبيب الهاشمي: إنَّما ظهرت النار بخَيبر، ويحتمل أنَّها ظهرت في الموضِعَيْن.

وفيها بعث عمرُ عُثمانَ بن أبي العاص الثقفي إلى أَرْمينية غازياً في جيشٍ، فاستُشْهِد فيه صفوانُ بن المعَطَّل السُّلَمي، الذي قيل بسببه في الإفكِ ما قيل.

وقيل: إن غَزاةَ نَهاوَند كانت في هذه السنة، وقال ابن إسحاق وابن سعدٍ عن الواقدي: كانت في سنة إحدى وعشرين.

واختلفت الروايات في غزاة نهاوند:

فروى ابنُ ناصر بإسناده إلى الحسن قال: كانت الأعاجم من أهل قُومِس وأهل الرّي وهَمَذان ونهاوند قد تكاتبوا، وتعاقدوا على أن يُخرجوا العربَ من بلادهم، وكتب أهلُ الكوفة إلى عمر رضوان الله عليه بالخبر، فصَعِد المنبر، وأخبرهم الخبر، وقال: أَشيروا عليَّ، فقام طلحةُ ﷺ فقال: أنت وليُّ الأمر، قد أحكمتَ التَّجارِب، وأنت مَيمون النَّقيبة، فمُرنا بأمرك، ثم قعد.

وقام عثمان رضوان الله عليه فقال: أرى أن تكتب إلى أهل الشام، [فيسيرون] من شامهم، [وتكتب إلى] أهل [اليمن فيسيرون] من يَمنهم، [وتسير] أنت بنفسك [من هذين الحَرمَين إلى هذين المِصرين] من أهل الكوفة [والبصرة، فتلقى جموع المشركين في جموع المسلمين.

ثم قام علي بن أبي طالب ﷺ فقال: إنك إنْ أشخصتَ أهلَ الشام] سارت الرُّومُ

إلى أهلهم وذَراريهم، وإن أشخصتَ أهلَ اليمن سارت الحَبَشةُ إلى ذَراريهم، وإنك متى شَخصتَ من هذين الحرمين انتَقَضَت عليك الأرضُ من أقطارها، حتى يكون ما تُخلّف خلفك من العَورات أهمَّ إليك مما بين يديك، ولكن أرى أن تكتب إلى أهل البصرة فيتفرقون؛ فِرقة تُقيم في أهلها، وفرقة يسيرون إلى إخوانهم بالكوفة، ثم يَسيرون إلى العدو.

فقال عمر رضوان الله عليه: صَدقتَ، فأشيروا عليَّ برجلٍ أُوَلّيه ذلك الثغر، قالوا: أنت أفضلُنا رأياً، قال: أشيروا عليّ واجعلوه عراقيّاً، قالوا: أنت أعلمُ بأهل العراق، فقال: لأُوَلِّينَّ رجلاً يكون قتيلاً في أوّل وَهْلة، قالوا: ومَن هو، قال: النعمان بن مُقَرِّن المزَني.

وكان النعمان بالكوفة فكتب إلى أهل الكوفة: أما بعد، فقد استعملتُ عليكم النعمان، فإن قُتل فعليكم حُذيفة بن اليمان، فإن قُتل فعليكم جرير بن عبد الله، فإن قتل فعليكم المغيرة بن شُعبة، فإن قُتل فعليكم الأَشعث بن قيس.

وكان في كتابه إلى النعمان: أما بعد فإن في عَسكرك عمرو بن مَعدي كَرِب، وطُليحة بن خُوَيلد، وهما يُعدّان بأَلْفَيْ رجل، فشاوِرْهما في الحرب، ولا تُولِّهما عَملاً، ثم دعا السَّائب بنَ الأَقْرع، فدفع إليه الكتاب وقال: انطلق فاقرأْ كتابي على الناس، وانظر ذلك الجيشَ، فإن نَصرهم الله كنتَ الذي تَلي مَغانمهم، وإن وَهنوا فاذهب في الأرض، ولا أراك بعدها أبداً.

فسار السَّائبُ حتى قَدم الكوفة، فقرأ الكتاب على الناس، وبَعث إلى أهل البَصرة بكتابهم، فأقبلوا، وسار الناس مع النعمان، وأقبلت الأعاجم بجمُوعها حتى نزلت نَهاوَنْد[١].

وقيل: إن كتاب عمر رضوان الله عليه لما وَرد النعمان يَأمُره بالمسير إلى المشرق كتب إليه: يا أمير المؤمنين، أُمَّ بي أَشَدَّ الوُجوه وهي نَهاوَنْد، فإن الفُرس قد اجتمعت بها، وعليهم ذو حاجب نائب يَزدجرد، فكتب إليه: سِر إليها، فسار ومعه وُجوه

(١) المنتظم ٤/ ٢٧٢ـ٢٧٤ وما سلف بين معكوفين منه، وانظر تاريخ الطبري ٤/ ١٢٤ـ١٢٦ .

الصحابة: حُذيفة بنُ اليَمان، وعبد الله بنُ عمر، وجرير بن عبد الله، والمغيرة بنُ شُعبة، وعبد الله بنُ الزُّبير، وقيس بن المَكشوح، وطُليحة بن خُويلد، وعمرو بن مَعدي كَرب وغيرهم.

حديثُ الوَقْعَة

قال علماءُ السير: سار النعمانُ بن مُقَرِّن بالناسِ على راياتهم، وكان مَسيرُ النعمان بأمر عمر بن الخطاب، وجعل يَقفُ على رايةٍ رايةٍ، فيحمَد الله ويُثني عليه ويقول: قد علمتُم ما أعزَّكم الله به من هذا الدِّين، وما وَعدكم به من الظُّهور، وقد أنْجَزَ لكم هَوادِيَ ما وَعدكم، وإنَّما بقيتْ أعجازُه وأكارِعُه، واللهُ مُنجِزٌ وَعدَه، ولا يَكونُنَّ على دُنياهم أَحمى منكم[1] على دينكم؛ فإنكم تَنتظرون إحدى الحُسنَيَيْن: إمّا الشهادةُ، وإمّا الفتحُ القريبُ، فاستعِدُّوا فإني مُكبِّرٌ ثلاثاً، فإذا كبَّرْتُ الأولى فتهيّؤوا، وإذا كبَّرتُ الثانية فتأهَّبوا، وإذا كبَّرْتُ الثالثة فاحمِلوا.

فأقاموا ثلاثاً يقتتلون قتالاً شديداً، وكَثُرتِ الجراحاتُ بين الفريقين والقتلى، وباتَ المسلمون في ليلةٍ قَرَّةٍ، يُداوون جِراحاتهم، ويوقدون النّيران، وبات الكفار يَشربون الخمور، ويضربون بالطبولِ والمعازفِ.

وكان أهلُ نَهاوَنْد قد طرحوا حول البلد حَسَكَ الحديد، وبعث النعمان عُيوناً، فساروا لا يَعلمون بالحَسَكِ، فوَطئت دوابُّهم عليه، فعادوا وأخبروا النعمان، فرحل فنزل ناحيةً، فلما كان يوم الجمعة ركب النعمان فرساً أَشهبَ، وعليه قَباءٌ أبيضُ، وعِمامةٌ بيضاء، وكان رجلاً آدمَ قصيراً، وخطب فقال: أيها الناسُ، إنكم اليومَ بابُ العربِ، فإن كُسِرَ البابُ اليوم دخل على المسلمين أمرٌ عظيم، فقالوا: نحنُ عند أمرِك، فمُرنا بما شئتَ، فقال: إني أُحبُّ القتالَ إذا زالت الشمسُ وهبَّتِ الرّياحُ، فلما زالت صلى بالناسِ صلاةَ الخوفِ، وهزَّ الرايةَ ثلاثاً، وكبَّر ثلاثاً، وحمل وحمل المسلمون.

وكان قد كتَّب الكتائبَ، وكان في مُقَدِّمتهِ ساريةُ بنُ زُنَيم أميراً على كُرْدوس، قد استبطن الوادي، وقد كَمن له جمعٌ من الفُرس، وحمل النعمانُ والناسُ معه قد كسروا

---

(١) في (أ) و(خ): فلا يكونن على دنياكم أحنّ منكم، والمثبت من الطبري ٤/ ١٣١، وانظر المنتظم ٤/ ٢٧١.

جُفون سُيوفهم، فكان النعمانُ أوَّل قتيلٍ، فطرح عليه أخوه سُويدُ بن مُقَرِّن ثوبَه لئلا يُعرف، وأخذ سويدٌ الراية فإذا هي تَنْضَحُ دماً، وقيل: إن فرس النعمان زَلَق به في الدِّماء فصَرَعه، وأن الذي أخذ الرَّايةَ نُعيم بن مُقَرِّن، وقال المغيرةُ بن شعبة: اكتُموا مُصابَ أميركم حتى نَنظُرَ ما نَصنع.

وكان النعمان قد قال: اللهمَّ أعِزَّ دينَك، وانْصُرْ عبادَك، واجعل النعمانَ أوَّلَ شهيدٍ.

وأخذ اللواءَ حُذيفةُ بن اليمان، واقتتلوا إلى الليلِ، ونصر الله المسلمين، وكان الكفار قد قَرنوا ثمانين ألفاً في السلاسلِ، وحفروا حولهم خَندقاً، فلما هزمهم المسلمون، وقع منهم في الخندقِ مئةُ ألفٍ فماتوا، وقُتل عامّتهم في المعركةِ، وكان عليهم الفَيرزان أو ذو حاجب، فانهزم إلى هَمَذان، فأدركه القَعقاعُ على ثَنيَّة هَمَذان، والثنيَّةُ مَشحونةٌ بأحمالٍ فيها عَسَلٌ، فلم يَتخلَّصِ الفَيرُزانُ من الزحام، فقتله القعقاعُ، فقال المسلمون: لله جنودٌ من عَسَل.

وفي هذه الغزاةِ صاح عمر: يا ساريةُ، الجبلَ، قالها ثلاثاً، ثم خطب ونزل، فقيل له: ما هذا؟ فقال: والله ما ألقيتُ له بالاً، ولكنه شيءٌ أجراه الله على لساني.

وفي رواية ابن سعد: يا سارِيةُ بن زُنَيْم، الجبلَ الجبل، ظلم مَن استَرعى الذئبَ الغَنَم، فلما كان بعد أيامٍ وصل كتابُ سارية إلى عمر: إن الله فتح علينا يومَ الجمعة، في ساعة كذا وكذا، سمعنا صوتاً يقول: الجبلَ الجبلَ، وكان العدوُّ قد كَمن لنا في الوادي، فلما ارتفعنا الجبَلَ هَزمهم الله وكان الفتحُ.

وفي روايةٍ: إن عمرَ رأى ذلك في منامِه، فأصبح فصَعِد المِنْبَر وصاح، فقيل لساريةَ: أسمعتَ الصوتَ؟ قال: إي والله.

وقال هشام: ولما فتح الله نَهاوَنْد جاء راهبٌ إلى السائبِ بن الأقْرَع، وكان أميراً على كُردوسٍ، فسارَّه بشيءٍ وقال: إن دَلَلْتُك على كُنوزِ كسرى أأنا آمنٌ على نفسي وأهلي؟ قال: نعم، فجاء به إلى مكانٍ، فاستخرج منه سَفَطَيْن عظيمين، فيهما اليواقيت التي كانت ذخائرَ كِسرى ومَن تَقدَّمه، فرأى السائبُ ما أذهله، وقسم حُذيفةُ الأخماسَ، وأصاب الفارسُ ستَّةَ آلاف، والراجلُ ألفين، وأما من الثيابِ والأمتعةِ والأطعمةِ

وغيرها فلا يُحَدُّ ولا يُحصى.

وكتم السائبُ السَّفَطين عن حُذيفة وعن المسلمين، وسار بالأخماسِ إلى المدينةِ، قال: فلقيتُ عمر فقال: ما الخبرُ؟ فقلتُ: استُشهِدَ النعمان، فبكى حتى اختلج صُدْغاه، وقلتُ: فتح الله نهاوَنْد، وقُتِل من العدوِّ مئةُ ألفٍ، ودفعتُ إليه الأخماسَ، ثم خلوتُ به فكشفتُ عن السفطين، فلما رآهما تَحيَّر ـ ويقال: إن قيمتهما أربعُ مئة ألف ألف دينار ـ فقال: اختُم عليهما، وأدخِلْهما بيتَ المالِ حتى أنظرَ في أمرِهما، قال: ففعلتُ، فقال: الحَق بجُنْدكَ، فخرجتُ، فبَعثَ في إثري رسولاً، فقال: ما نمتُ البارحةَ؛ مازال السفطانِ يشتعلانِ ناراً، والملائكةُ تَسحبُني إليهما يقولون: لنكوينَّك بهما، فخُذهما عني فاقسِمْهما بين المسلمين، فأخذتُهما ورجعتُ فقسمتُهما بين المسلمين.

وفي روايةٍ: إن الذي جاء بالسَّفَطَيْنِ الهِرْبِذُ، وقال: هُما عندي وَديعةٌ، فاتفق حُذيفةُ مع المسلمين أن يخبر بهما عمرَ، فبعثوا بهما إليه، فردَّهما إلى حُذيفة وقال: اقسمهما على مَنْ أفاءَ الله عليه.

وفي رواية أبي الفضل بن ناصر: أن دِهقاناً أتى إلى السائبِ بن الأقرعِ، وقال له: هل لك أن تُؤمنني على دَمي ودمِ ذوي قَرابتي وأدلُّك على كنز النَّخيرجان نائب كِسرى؟ قال: وما هو؟ قال: إنه كان للنَّخيرجان امرأةٌ يَنتابُها العالَمُ، وإنَّ كسرى كان يَختلفُ إليها ومعه وصائفُ عليهن الحليُّ والديباجُ، وكان لكسرى تاجٌ من الياقوتِ، وهو مدفون في مكانٍ لم يعلم به غيري، وأنَّ السائبَ أخرج السفطَيْن، وذهب بهما إلى عمر، وذكر بمعنى ما تقدَّم.

وفي هذه الرواية: فدعا عمرُ عليّاً وابن مسعودٍ وعبد الله بنَ أرقَم صاحب الخِزانة وقال: ضعوا خَوَاتِيْمَكُمْ عليهما حتى أنظرَ فيهما، ثم دفعهما بعد إلى السائب، فقسمهما في جامعِ الكوفةِ.

وقال سيف بن عمر: حدثنا عمر بن محمد، عن الشعبيّ[1] قال: لما قُدِم بغنائم

(١) من قوله: وفي رواية إن الذي جاء بالسفطين الهربذ... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

نَهاوَند على عمر بكى، فقال له عبد الرحمن بنُ عَوف: ليس هذا مكانَ بُكاءٍ وحُزنٍ، لكن بُشرى من الله وفَتحٌ، فافرحْ واحَمد الله فقال: ويحكَ يا ابن عوفٍ، إنَّه واللهِ ما كثُرتِ الصفراءُ والبيضاءُ في قومٍ قط إلا فُتِنُوا وتقاتلوا وتدابَروا، حتى يُدَمِّرَ الله عليهم.

قال: وجعل أبو لؤلؤةَ لا يَلْقَى من السَّبيِ صغيراً إلّا ووضع يده على رأسِهِ ومسحها وبكى، ولا يَلقى كبيراً إلا اشتكى إليه وقال: أكل عمرُ كَبدي، وكان أبو لؤلؤة من نَهاوَنْد.

وكان عمر يقول: ما بتُّ بليلةٍ بعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ أعظم من ليلةِ نَهاوَنْد خَوفاً على المسلمين.

وروى دَعْلَجُ بن أحمد [بإسناده] عن شقيق بن سَلَمة الأسدي: أنَّ عمرَ جهَّزَ سَلمة ابن قيس الأَشْجَعيَّ إلى فارس، وأنه أصاب سَفَطَيْنِ من جنْسِ السَّفَطَيْنِ اللذَين ذكرناهُما، وأنه بعث بهما إلى عمر برِضى المسلمين، وأنه ردَّهما على سَلَمة بعد أن وَقف عليهما بالمدينةِ، وأنَّه أمره فقسمهما بين الغانمين[1]، وهي قصةٌ طويلةٌ حاصلها ما ذكرنا.

فصل: وحجَّ بالناس عمرُ بن الخطاب، وكان عُمّاله في هذه السنة على الأمصار الذين كانوا في العام الماضي.

فصل وفيها تُوفّي

الأغلبُ بن جُشَم

ابن سعد بن عِجْل بن جُشَم، كان شاعِراً مُفْلِقاً فصيحاً، عُمِّر دهراً طويلاً؛ فيقال: إنه عاش في الجاهلية مئة وثلاثين سنة، ثم أسلم وهاجر ونزل الكوفةَ واختطَّ بها، وشهد القادسية، وهو أوّلُ مَن قال الأراجيزَ على قولِ هشام.

ولما ولّى عمر المغيرة بنَ شُعبة الكوفة قال له: اكتب إليَّ مما قال الشعراء في الإسلام، فأحضر لبيداً والأغلب، وقال: أنشِداني، فأمّا الأغلب فقال: [من الرجز]

(١) المنتظم ٤/ ٢٧٦-٢٧٧، ومن قوله: وروى دعلج... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

أرَجَــزاً تُــريــدُ أم قَــصــيــدا
لــقــد ســألــتَ هــيِّــنــاً مــوجــودا

وقال للبيد: أَنشِد، فقال: قد أبْدَلَني الله سُوَرَ القرآن عِوضَ الشعر، فكتب المغيرة إلى عمر رضوان الله عليه بذلك، فكتب إليه: أَنقِص من عَطاءِ الأَغلب خمس مئة، ورُدَّها في عطاء لَبيد، فكتب الأغلب إلى عمر رضوان الله عليه: أَتَنْتَقِص من عَطائي أن أَطعتُك؟ فردّ عليه الخمس مئة، وأقرَّها في عطاء لَبيد.

واستُشهد الأَغلب في وقعة نَهاوَنْد رحمه الله تعالى[1].

فصل وفيها تُوفّي

خبّابُ

مولى عُتبةَ بنِ غَزْوان الذي اختطَّ البصرةَ، وكُنْيتُه أبو يحيى، من الطبقةِ الأولى من المهاجرين، آخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين تميم مولى خِراش بن الصِّمَّة، شهد خبَّاب بدراً وأُحداً والخندقَ والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ.

قال ابن سعد: وتُوفّي بالمدينةِ في سنة تسع عشرة، وصلّى عليه عمر، وليس له رواية[2].

وفيها توفي

صفوان بن المعطَّل

ابن رُحيْضةَ الذَّكْواني السُّلَميّ صاحبُ الإفْكِ، من الطبقة الثالثة من الصحابة، وكنيتُه: أبو عمرو، أسلم قبل المُرَيْسيع، وكان على ساقةِ رسولِ الله ﷺ، وشهد الخندق وما بعدها مع رسول الله ﷺ، وكان مع كُرْز بن جابر في طلب العُرَنيِّين الذين أغاروا على لِقاح رسول الله ﷺ، وكان شُجاعاً فاضلاً خَيِّراً، أثنى عليه النبي ﷺ

(١) ترجمة الأغلب في طبقات ابن سلام ٧٣٧، والشعر والشعراء ٦١٣، والأغاني ٢١/ ٢٩، والمنتظم ٤/ ٢٨١، والإصابة ١/ ٥٦. ومن قوله: ولما ولى عمر المغيرة إلى هنا ليس في (ك).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٩٣، وانظر الاستيعاب (٦٥٨)، والإصابة ١/ ٤١٧.

وقال: «ما علمتُ عليه إلّا خَيراً»[١].

وقال ابن عبد البرِّ: لمّا نزل المسلمون على دمشق حمل صفوان على رجلٍ من الرُّوم بداريَّا، وعليه حِلْيَةُ الأعاجم، فطعنه صَفوان فصرعه، فصاحت زوجةُ الرُّوميّ على صفوان، وأقبلتْ نحوه فقال: [من الكامل]

ولقد شَهِدْتُ الخيلَ يَسطعُ نَقْعُها ... ما بين داريّا دمشق إلى نَوى

فطعنتُ ذا حُلْيٍ فصاحت عِرْسُه ... يا ابنَ المعطَّلِ ما تُريد بما أرى

فأجبتُها إني لأتركُ بَعْلَها ... بالديرِ مُنْعَفِرَ المضاحكِ بالثّرى[٢]

واختلفوا في وفاته، فقال أبو حذيفة إسحاق بن بِشر[٣]: بعث عمر بنُ الخطابِ عثمانَ بن أبي العاص إلى أرمينية في سنة تسع عشرة، وكان معه صفوانُ بنُ المعطَّلِ، فقُتل شهيداً.

قال أبو إسحاق السّنجاريّ: أتينا بَوْلاءَ في بَعْثٍ، فقال لي شيخٌ من أهلها قد جاوز المِئة: أتُريدُ أن أُريك قبر صفوان بن المعطَّل؟ قلتُ: نعم، فقال: ها هو على بابها قَدْرَ رمية حَجَرٍ، رَميناه فقتلناه، وبلغ عمرَ، فدعا علينا دعوةً إنّا لنَعْرِفُها إلى الساعةِ.

وكان يوم[٤] استُشهدَ ابنَ بِضْعٍ وستين سنةً، وحكى ابن سعدٍ عن الواقديّ: أنه استُشهد بسُمَيْساط سنة ستين، وكذا قال جدّي في «المنتظم» وذكره في سنة ستين، والله أعلم[٥].

وقال ابن عبد البرِّ: غزا الرومَ سنة ثمانٍ وخمسين، فجعل يُطاعنُ، فاندقَّت ساقُه فمات[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة ﵂.

(٢) أخرجه ابن عساكر ٨/ ٣٤٦ (مخطوط)، ولم نجده عند ابن عبد البر.

(٣) جاء في (أ) و(خ) بدل هذا الكلام: استشهد بأرمينية وقيل تأخرت وفاته، وفي (ك): واختلفوا في وفاته فقال ابن إسحاق عن بشير، والمثبت من تاريخ دمشق ٨/ ٣٥٥.

(٤) من هنا إلى نهاية ترجمة صفوان ليس في (أ) و(خ).

(٥) الطبقات ٥/ ١٥٦، والمنتظم ٤/ ٢٨٢.

(٦) الاستيعاب (١٢٠٢).

قلت: والأوَّلُ أشهر، نصَّ عليه أبو أحمد الحاكم، فقال: وقولُ مَن قال إنه استُشهدَ بأرمينية أثبتُ[١].

وليس في الصحابةِ مَن اسمُه صفوان بن المعطَّل غيرُه، فأما غيرُ ابن المعطَّل فكثير.

وروى أحمد بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأةُ صفوان بن المعطَّل إلى رسولِ الله ﷺ ونحن عنده، فقالت: يا رسول الله، إن زوجي صَفوانَ يَضربني إذا صلَّيْتُ، ويُفَطِّرني إذا صُمْتُ، ولا يُصلّي الفجرَ حتى تَطلع الشمسُ، قال: وصفوان عنده، فسأله عما قالت فقال: أما قولُها يَضربني إذا صلَّيْتُ، فإنَّها تقرأُ سورَتي، وقد نَهَيتُها عنها، فقال له: «لو كانت سورةً واحدةً لكفَت الناس»، وأما قولُها إني أُفطِّرها وهي صائمةٌ، فإنَّها تَصومُ وأنا رجلٌ شاب لا أَصبرُ، فقال رسول الله يومئذ: «لا تصومُ امرأةٌ منكنّ إلا بإذن زَوْجِها»، وأما قولُها إني لا أُصلّي حتى تطلع الشمسُ، فإنا أهلُ بيتٍ لا نكاد نستيقظ حتى تَطلعَ الشمسُ، فقال: «إذا استيقظتَ فَصَلِّ»[٢].

طُليحَة بن خُوَيْلد

ابن نَوْفَل بن نَضْلَة بن الأَشْتر الأَسدي، الذي تَنبَّأ بعد مُسيلمة، وكان مع الأحزاب على رسول الله ﷺ في غزاة الخندق، وَفَد على رسول الله ﷺ سنة تسعٍ وأسلم، فكان يُعدّ بألفِ فارس، ولما انفصل عن رسول الله ﷺ ارتدَّ عن الإسلام، وكتب إلى رسول الله ﷺ يُخبره بنبوَّته، وأن الذي يَأتيه يُقال له: ذو النُّون، لا يَكذب ولا يَخون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد ذكر مَلكاً عظيماً»، وبَعث بالكتاب مع ابن أخيه، فأَغلظه لرسول الله ﷺ، فدعا عليه، فقُتل في الرِّدّة كافراً.

ومن سَجْعه: والحمامِ واليَمام، والصُّرَدِ [الصَّوَّام][٣]، وما مضى من الأعوام، لأملكنّ العراقَ والشام. وكان له سيفٌ يُقال له: الجراز.

وهزمه خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى الشام، فنزل في كَلْب وآل جفنة الغَسّانيين، ثم

---

(١) تاريخ دمشق ٨/ ٣٤٩.

(٢) مسند أحمد (١١٧٥٩)، وينظر مشكل الآثار للطحاوي ٥/ ٥٢.

(٣) في (أ) و(خ): والحمام والصرد واليمام، والمثبت من تاريخ دمشق ٨/ ٥٩٩ (مخطوط).

أسلم، وخرج إلى مكة معتمراً في أيام أبي بكر رضي الله عنه، فمرَّ بجنَبَات المدينة، فقيل لأبي بكر رضي الله عنه: هذا طُليحة، فقال بعد أن أسلم: دَعوه فقد هداه الله إلى الإسلام، وعاد إلى الشام بعدما قضى عُمرته.

ولما قام عمر رضوان الله عليه جاء طُليحةُ إليه مُبايعاً له، فقال له عمر رضوان الله عليه: أنت قاتلُ عُكَّاشة وثابت بن أَقرم، لا أُحبُّك بعدهما، فقال: يا أمير المؤمنين، وما تنقم من رَجُلين أكرمهما الله تعالى بيدي، ولم يُهنّي بأيديهما، وما كلُّ القلوب جُبلت على الحبّ، ولكن صَفحة جميلة، فإن الناس يَتصافحون على الشَّنَآن، فبايعه عمر رضوان الله عليه، وأسلم إسلاماً صحيحاً وقال: [من الطويل]

نَدمتُ على ما كان من قَتْلِ ثابتٍ ... وعُكَّاشَةَ الغَنْميِّ ثم ابنِ مَعْبَدِ
وأعظمُ من هاتَين عندي مُصيبةً ... رُجوعي عن الإسلام فِعْلَ التَّعَمُّدِ
وتَركي بلادي والحوادثُ جَمَّةٌ ... طَريداً وقِدْماً كنتُ غيرَ مُطَرَّدِ
فهل يَقبلُ الصِّدّيقُ أني راجِعٌ ... ومُعطٍ بما أحْدَثْتُ من حَدَثٍ يَدي
وأنّيَ من بعد الضَّلالةِ شاهدٌ ... شهادةَ حقٍّ لستُ فيها بمُلْحدِ
بأنّ إلهَ النّاسِ ربّي وأنني ... مُقرٌّ وأن الدّين دينُ محمّد

ولما خرج طُليحة إلى الشام هارباً هو وأصحابُه يُريدون الرُّوم ركبوا البحر مُلَجِّجين، وإذا بقَادِس من قَوادِس الرُّوم(١)، فيه جماعةٌ منهم، فنادَوْهم: إما أنْ تَثِبوا إلى سفينتنا، أو نَثِبَ إلى سفينتكم، فدنا منهم طُليحة، ووَثب حتى صار معهم في السّفينة، وغَشيَهم بسيفه، فقتل منهم مَن قَتَل، واستسلم مَن استسلم، وألقى نفسَه في البحر منهم جماعة فغرقوا، وبلغ ذلك عمر رضوان الله عليه فأعجبه.

وأقام طُليحة إلى أيام القادسيّة مُسلماً في قومه، لم يُغمَصْ عليه شيء، حتى جَهّزه عمر رضوان الله عليه إلى العراق، فقُتل بنَهاوَنْد رحمة الله عليه(٢).

(١) القادس: سفينة عظيمة.
(٢) ترجمة طليحة ليست في (ك)، وانظر الردة للواقدي ١٠٠، وطبقات ابن سعد ٦/ ١٥٥، والاستيعاب (١٢٨٣)، و تاريخ دمشق ٨/ ٥٨٩، والمنتظم ٤/ ٢٨٢، والتبيين ٥١٣، والتوابين ١٥٢-١٥٤، والسير ١/ ٣١٦، والإصابة ٢/ ٢٣٤.

فصل وفيها توفي

عمرو بن معدي كَرِب

ابن عبد الله بن عمرو بن عُصْم بن عَمرو بن زُبَيد الأصغر، وكُنيتُه أبو ثور، وكان شُجاعاً فارساً، يُعدُّ بألفِ فارسٍ، كخالد بن الوليد والقَعقاع بن عمرو وطليحة وغيرهم، وله الغاراتُ المشهورة، والواقعات المذكورةُ، وكان قد كتب على سَيفه: [من الكامل]

ذَكَـرٌ عـلـى ذكـرٍ يَـصـولُ بـصـارمٍ ذكَـر يَـمـانٍ فـي يـمـيـن يَـمـانـي

وقد ذكرنا أن عَمْراً وفد على رسول الله ﷺ في السنةِ العاشرةِ وأسلم[١].

وحكى هشام، عن أبيه، عن عمرو قال: قَدِمتُ المدينةَ، فوافيتُ رسولَ الله ﷺ قافِلاً من تبوك، فأردتُ أن أدنُوَ منه فمنَعني مَن حولَه، فقال لهم: دَعوه، فدنوتُ منه فقلت: انعَم صباحاً، أبيت اللعنَ، فقال: «يا عمرو، أسلِم تَسلم، ويؤمِّنْك الله من الفزعِ الأكبرِ، ذلك يومٌ يُصاحُ فيه بالناسِ، فلا يبقى ذو روحٍ إلّا مات، ولا ميّتٌ إلا انتَشر، وتَسيرُ فيه الجبالُ، وتنشقُّ الأرضُ، وتَبرزُ النار لها لسانٌ، تَرمي بشَررٍ مثلِ قُلَلِ الجبالِ، فلا يبقى ذو روحٍ إلا انخلعَ قلبُه، وذكر ذَنْبه، فأين أنت من ذلك الفَزع يا عمرو؟» قال: فقُلتُ يا رسولَ الله، أما الآن فنعم، فأسلمتُ.

قال الواقدي: ولم يَحْسُن إسلامُه، وفي النفوسِ منه شيءٌ، وكان تَأثيرُ ذلك أنَّه ارتدَّ بعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ، ثم عاد إلى الإسلام.

وبعثه عمر إلى القادسية، وكتب إلى سعدٍ: قد أمددتُكَ بألفَي رجلٍ، منهم عمرو وطُليحةُ، فشاوِرْهما في أمر الحربِ، ولا تُوَلِّهما من أمر المسلمين شيئاً، وهذه كانت عادة أبي بكرٍ وعمر، لا يُوَلِّيانِ مَنْ أسلم ثم ارتدّ ثم أسلم شيئاً[٢].

وأبلى عمرو بلاءً حسناً يوم القادسيّة، وهو كان سبب هزيمة الفُرْس، قطع خراطيمَ الفِيَلة حتى انهزموا، ولعمروٍ يومئذٍ ثلاثون ومئةُ سنةٍ.

---

(١) سلف في السيرة.

(٢) من قوله: وبعثه عمر إلى القادسية... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

قال ابن سعدٍ بإسناده عن عبد الملك بن نَوْفل: إن عمرو بن معدي كَرِب قال: كانت خيلُ المسلمين تَنْفِرُ من الفِيَلة يوم القادسيةِ، فأمرتُ رجلاً فترَّسَ عني، ثم حملتُ على الفيلِ الأكبرِ، فضربتُ خَطْمَهُ بالسيفِ فقطعتُه، فنَفَر ونَفَرت الفِيَلةُ فحطَّمت العسكرَ، فانهزموا.

وقال عمرو[1]: إن الفِيَلَة ليس لها مَقتلٌ إلّا خراطيمَها، وليس للخراطيم إلا السُّيوفُ.

وقال ابن سعد بإسناده عن قَيس بن أبي حازم قال: شهدتُ القادسية، فسمعتُ عمرو بنَ معدي كَرِب وهو يمشي بين الصفَّين ويقول: يا معاشِرَ المسلمين، كونوا أُسوداً، إنّما الفارسي تَيْسٌ بعد أن يُلقي نَيْزَكه، فَحمل عليه أُسوارٌ، فالتقاه فألقاه، ثم جلس على صدرهِ فذبحه، وأخذ سَلَبه[2].

ولعمروٍ واقعاتٌ عجيبة، فحكى هشام، عن أبيه، عن عمرو قال: حضرتُ في الجاهلية بذي المجَازِ ـ وهو سوقُ عرفات ـ فرأيتُ حُبَّى الكِنْديّةِ، فأعجبني جمالُها، فعرضتُ نفسي عليها وقلتُ: هل لكِ في كُفءٍ كريمٍ، ضَروبٍ لهامِ الرجالِ غَشُوم، مُواتٍ لكِ، طيِّبِ الخِيم، من سعدِ العَشيرةِ في الصَّميم، قالت: من أيِّ سعدِ العَشيرةِ؟ قلتُ: من أُرومةِ مَحْتِدِها وغُرَّتِها المُنيرةِ، إن كُنتِ بالنَّسب بَصيرة، فقالت: إن لي بَعْلاً يَصدقُ اللقاءَ، ويُخيفُ الأعداءَ، ويُجزِلُ العطاءَ، قال فقلتُ: لو علمتُ أنَّ لكِ بعلاً لما سُمْتُكِ نَفسَك، ولا عَرضتُ نفسي عليكِ، فكيف أنت إن قتلتُه؟ قالت: لا أَصِيفُ عنك، ولا أَعدِلُ بك، ولا أُقصِّرُ دونك، وإياكَ أن يَغُرَّك قولي، فتُعرِّضَ نفسك للقَتلِ؛ فإني أراكَ مُفْرَداً من الناصرِ، وبعلي في عِزٍّ من المالِ والأهلِ.

ثم قامت ومَشَت، فتبعتُها من حيثُ لا تَشعرُ، فلما قَدِمَت على زَوْجها سألها عمّا رأتْ في طريقها، فقالت: رأيْتُ رجُلاً مَخيلاً للبَأسِ، يتعرَّضُ للقتالِ، ويَخطبُ حَلائل الرِّجال، فعَرضَ عليَّ نفسَه، فوصفتُك له، فقال: ذاك ـ يعني بعلها ـ [عمرو]، وَلَدتني أُمُّه إن لم آتِكِ به مَقْروناً مَجنوباً إلى جملٍ صعب المراس، غير ذَلول.

---

(١) من هنا إلى ما بعد صفحات ليس في (أ) و(خ).

(٢) الأخبار الثلاثة في طبقات ابن سعد ٦/ ٢٧٠ .

فلما سمع عمرو كلامَه دخل عليه بغتةً، فقتله ووَقع عليها، فلما قضى وَطَرَه منها قال لها: إني لم أَقَعْ على امرأةٍ قطّ إلّا حَمَلت، ولا أُراكِ إلا قد حَملتِ، فإن رُزِقتِ غلاماً، فسمِّيه الخُزَز، وإن رزِقتِ جاريةً فسمِّيها عِكْرِشة،، وجعل ذلك بينهما أمارةً، ثم فارقها مُدّةً، ووَلدت غلاماً، فسمَّتْه الخُزَز.

فخرج عمرو في بعضِ أيّامه يتعرّض للقتالِ، فالتقى فارساً مُدَجَّجاً في سلاحه، فالتقيا فصَرع عَمْراً، وجَثَم على صدرِهِ ليَذبحه، فقال له: انتَسِب، فقال: أنا عمرو، فقام عنه وقال: الله أكبر، أنا ابنُك الخُزَز، فقال له عمرو: لا تُساكِنِّي بعد اليوم في أرضٍ، فخرج إلى اليمنِ فسادَهم، وشكَوْا إليه غاراتِ أبيه فيهم، وقَتْلَه إيّاهم، وأمروه بقتله، فخرج يُريد قَتلَ أبيه، فالتقيا فقتله عمرو، ثم جاء الإسلامُ عُقَيْبَ ذلك فأسلم[1].

وكان عمر بن الخطاب يَسأله عن أشياء، أخبرنا غيرُ واحدٍ عن أبي الفضلِ بن ناصر بإسناده عن الشعبي قال: دخل عمرو بن مَعدي كَرِب يوماً على عمر بن الخطاب فقال له: يا عمرو، أخبرني عن أَشجع مَن لَقيتَ وأجبنِ من لَقيتَ، وأَحْيَلِ مَن لَقِيتَ، قال: نعم.

خرجتُ مرَّةً أُريد الغارَةَ، فمررتُ ببيتٍ في البرِّيَّةِ وعنده فرسٌ مَشدود، ورُمحٌ مَركوزٌ، ورَجُلٌ جالسٌ بِفنائه، مُحتَبٍ بسيفٍ، وهو كأعظمِ الرجالِ خِلْقَةً، فقلتُ: خُذْ حِذْرَكَ؛ فإني قاتِلُك، قال: ومَن أنت؟ قلت: عمرو بن مَعدي كَرِب، فشَهَق شَهقةً فمات، فهذا أجبنُ مَن رأيتُ.

قال: وخرجتُ مرَّةً فأتيتُ على حي وإذا بفَرسٍ مَشدودٍ، ورمحٍ مَركوزٍ، وصاحبُه في وَهْدَةٍ يَقضي حاجتَه، فقلتُ له: خُذ حِذْرَك فإني قاتُلك، فقال: مَن أنت؟ قلتُ: عمرو بن مَعدي كَرِب، فقال: ما أنصفتَني يا أبا ثور؛ أنت على ظهرِ فرسك وأنا في بئر، فأعطني عهداً أنك لا تَقتلني حتى أركبَ فرسي، وآخذَ رُمحي. فأعطيتُه عهداً أنني لا أقتله حتى يركبَ فرسه، ويأخُذَ حِذره، فخرج من الوَهْدَةِ، ثم احتَبى بسيفه وجلس، فقلتُ: ما هذا؟ فقال: ما أنا براكبٍ فرسي ولا بمقاتلك، فإن نكثتَ العهد فأنت أعلم،

(١) المنتظم ٤/ ٢٨٣، وأمالي القالي ٣/ ١٥٠-١٥١.

فتركتُه ومضيتُ، فهذا أحْيَلُ مَن رأيتُ.

وخرجتُ يوماً، حتى انتهيتُ إلى مَوضعٍ كنتُ أقطعُ فيه الطريقَ، وإذا بفارسٍ أوَّلَ ما بَقَلَ وجهُه، من أجملِ الفتيانِ، قد أقبل من نحوِ اليَمامةِ، فلمّا دنا مني سلَّم، فرَدَدْتُ عليه وقلتُ: من الفتى؟ فقال: من نحو اليمامة، فقلتُ: انتَسِب، فقال: الحارث بن سعيد فارس الشهباء، فقلتُ: خُذْ حِذْرَك فإني قاتِلُك، فمضى ولم يلتفت، فأعدتُ عليه القولَ فقال: ويَلك مَن أنت؟ فقلت: عمرو بن مَعدي كَرِب، فقال: الحقير الذّليل، والله ما يَمنعُني من قتلك إلا استصغارُك، قال: فتصاغرَتْ إليَّ نفسي، وعَظُمَ عندي ما استقبَلني به، فقلتُ: خُذ حِذْرَك، فوالله لا ينصرِفُ إلّا أحدنا، فقال: ويلك، اغرُبْ، فإنّا أهلُ بيتٍ ما نَكَلْنا عن فارسٍ قطّ، فقلتُ: هو الذي تَسمعُ، واخْتَرْ لنَفْسك، فقال: إمّا أن تَطرُد لي وإمَّا أن أَطردَ لك، فاغتنمتُها منه وقلتُ: اطرُدْ لي، وحَمْلتُ عليه، حتى إذا قلتُ إني قد وضعتُ الرُّمحَ بين كتِفيه، إذا هو قد صار حِزاماً لفَرَسِهِ، ثم اتَّبعني فقرع برُمحه أو بقَناته رأسي، وقال: يا عمرو، خُذْها إليك واحدةً، فوالله لولا أني أكرهُ قتلَ مثلك لقتلتُك.

قال: فتصاغَرَتْ إليَّ نفسي، وكان الموتُ أحبَّ إليَّ مما رأيتُ، فقلتُ: واللهِ لا ينصرفُ إلا أحدُنا، فقال: اختر لنفسك، فقلتُ: اطرُد لي، فطرد، فحملتُ عليه حتى إذا ظننتُ أني قد وضعتُ الرُّمحَ بين كتفيه، وثَبَ عن فرسِه، فإذا هو على الأرضِ، فأخطأتُه ومضيتُ، فاستوى على فرسهِ، وقَرَعَ بالقناةِ رأسي، وقال: ويحك يا عمرو، خُذْها ثانياً، واللهِ لولا أني أكرهُ قتلَ مثلك لقتلتُك.

فلما كان في الثالثة فعل ما فعل في الأولى والثانيةِ، وقال: إن عُدْتَ قتلتُك، فقلتُ له: اقتُلني فهو أحبُّ إليَّ مما أرى بنفسي، وأن تسمعَ فتيانُ العربِ هذا، فقال: إنَّما العفوُ ثلاثٌ، وإن استمكنتُ من الرَّابعةِ قتلتُك، ثم قال: [من الرجز]

وَكَّـدْتُ أغـلاظـاً مـن الأيْـمـان

إن عُـدْتَ يـا عـمـرو إلـى الـطِّـعـانِ

لـتُـزْجـرنَّ لـهـبَ الـسـنـان

أو لا فـلـسـتُ مـن بـنـي شـيـبـانِ

قال: فهِبتُه هيبةً عظيمةً، وقلتُ له: إنَّ لي إليك حاجةً، قال: وما هي؟ قلتُ: أكونُ من أصحابك، أو أكون لك صاحباً ـ ورَضيتُ والله بذلك يا أمير المؤمنين ـ فقال: لستَ من أصحابي، فكان ذلك أشدَّ عليَّ وأعظمَ مما صَنع، فلم أزل أخضَعُ إليه، فقال: ويحكَ! وهل تَدري أين أُريدُ؟ قلتُ: لا، قال: أُريدُ الموتَ عِياناً، فقلتُ: وقد رَضيتُه معك، فقال: امضِ بنا.

فسِرنا جميعاً يومَنا حتى جَنَّنا الليلُ وذهب شَطرُه، ودنَونا من حيٍّ من أحياء العرب، فأومأ إلى قُبَّةٍ من قِبابِ الحيّ، وقال: يا عمرو، في تلك القُبَّةِ الموتُ الأحمرُ، فإمّا أن تُمْسِك عليَّ فرسي، فأنزل فآتي بحاجتي، وإمَّا أن أُمسكَ عليك فرسَك، فتَنزل فتأتيني بحاجتي، فقلتُ: لا بل انزِلْ أنت؛ فأنت أعرفُ بموَضع حاجتك مني، فرمى إليَّ بعِنان فرسه ونزل ـ ورضيتُ والله أن أكون له سائساً ـ ثم مضى فدخل القُبَّةَ، واستخرج منها جاريةً لم تَرَ عيناي مثلَها حُسْناً وجمالاً، فحملها على ناقةٍ، ثم سِرنا.

فلما طلع الفجرُ قال: يا عمرو، انظر هل ترى من أحدٍ؟ فنظرتُ فإذا بثلاثةِ فوارسٍ، فيهم شيخٌ كبيرٌ ـ وهو أبو الجاريةِ، وأخواها غلامانِ شابّان ـ فسلَّموا علينا، فردَدْنا السلامَ، ووقفوا ووقفنا، فقال الشيخُ: يا حارثُ، يا ابنَ أخي، خلِّ عن الجارية، فقال: ما كنتُ لأُخلِّيها، وما أخذتُها لهذا، فقال لأصغر ابنَيْه: اخْرُج إليه، فخرج وهو يجرُّ رُمحَه، فحمل عليه الحارثُ وهو يقول: [من الرجز]

مـن دون مـا تَـرجـوه خَـضْـبُ الـذَّابـلِ

مــن فــارسٍ مُــسْـتَـلـئـمٍ مُـقـاتـلِ

يَـنـمـي إلـى شـيـبـانَ خـيـرِ وائـلِ

مـا كـان سَـيـري نـحـوهـا بـبـاطـلِ

ثم طعنه فدقَّ صُلبَه، فوقع ميتاً.

فقال الشيخُ لابنه الآخر: اخرج إليه، فلا خيرَ في الحياةِ على ذلّ، فخرج إليه،

فأقبل الحارثُ عليه وهو يقول: [من الرجز]

لقد رأيتَ كيف كانت طَعنتي
اليومَ للقِرْنِ شديد همَّتي
والموتُ خيرٌ من فِراقِ خُلَّتي
فقَتْليَ اليوم ولا مَذَلَّتي

ثم طعنه فألقاه مَيتاً.

فقال له الشيخ: خلِّ عن الظَّعينةِ؛ فإني لستُ كمَن رأيتَ، فقال: ما كنتُ لأخَلِّيها، فقال له الشيخ: اختَر، فإن شئت طارَدْتُك، وإن شئتَ نازلتُك، قال: نازِلني، فنزل الشَّيخُ والفتى، فقال الشيخُ: [من الرجز]

ما أَرتَجي عند فَناءِ عُمْري
سأجعلُ السنينَ مثلَ الشَّهرِ
شيخٌ يُحامي دونَ بَيْضِ الخِدْرِ
إنَّ استِباحَ البَيضِ قَصْمُ الظَّهْرِ
سوف تَرى كيف يكون صَبْري

وتقدَّم الحارث وهو يقول: [من الرجز]

بعد ارتحالي وطويلِ سَفَري
وقد ظَفِرْتُ وشَفَيتُ صَدْري
والموتُ خيرٌ من لِباسِ الغَدْرِ
والعار أُهديه لحيٍّ بَكْرِ

ثم اختلفا ضَرْبَتَيْن، ورفع الحارث السيفَ، فلما نظر الشيخ إلى أنه قد أهوى به إلى رأسه، ضربَ بطنَ الحارث ضَرْبةً قدَّ أمعاءه، ووقعت ضربةُ الحارثِ في رأسِ الشيخِ، فوقعا مَيِّتَين.

قال عمرو: يا أميرَ المؤمنين، فأخذتُ أربعةَ أفراسٍ وأربعةَ أسيافٍ، وقُدْتُ ناقةَ الظَّعينةِ، فقالت: إلى أين يا عمرو، وما أنت لي بصاحبٍ، ولو كنت صاحبي لسلكت سبيلَهم، فقلتُ: اسكُتي، فقالت: أَسْكتَ اللهُ نَأْمَتك ـ أي: صَوْتَك ـ ثم رَمَتْ بنَفْسها إلى الأرض، وقالت: واللهِ لا تَصِلُ إليَّ أبداً، ولستُ كمَن رأيتَ، وإن كنتَ ذاك الرجلَ فأعطني سيفاً، فإن غلبتَني فأنا لك، وإن غلبتُك قتلتُك، قال: فقلت لها: ما أنا مُعْطيكِ ذلك، وقد عرفتُ أصلَك، وشجاعةَ قومِك، فأقبلتْ إليَّ وهي تقول: [من الرجز]

أبـعـد مـا شـيـخـي وبـعـد إخـوتـي
أطـلـبُ عـيـشـاً بـعـدهـم فـي لـذَّتـي
هـلّا يـكـون قـبـل[1] ذا مَـنِـيَّـتـي

ثم أهوتْ إلى الرُّمح، وكادت تَنتزعه من يدي، فلما رأيتُ ذلك منها خِفْتُ إن هي ظَفِرت بي أن تَقتُلني، فقتلتُها، فهذا أعجبُ ما لقيتُ يا أمير المؤمنين، فقال عمر: صدقتَ، وعجبَ من ذلك.

وقال الهيثم[2]: كان عمر يحبُّه ويُكرمُه ويَسألُه، قال له يوماً: ابعث إليَّ بصَمْصَامتك، فبعث بها إلى عمر، فلم يَرَ فيها ما بَلَغه عنها، فقال له عمر في ذلك، فقال: سألتَني أن أبعثَ إليك بالصَّمْصَامةِ، ولم تَسألْني أن أبعثَ إليك بالساعدِ الذي يَضربُ بها.

قال: وقال له عمر: ما تقول في الحربِ؟ فقال: مُرَّةُ المذاق، إذا كشفتْ عن ساق، من صبرَ فيها عُرِف، ومن ضَعُفَ فيها تَلِفَ، ثم قال: [من الكامل]

الـحـربُ أوَّل مـا تـكـون فَـتـيَّـة تَـسـعـى بـزينـتـهـا لـكـلِّ جَـهـولِ
حـتـى إذا حَـمِـيـتْ وشـبَّ ضِـرامُـهـا عـادتْ عـجـوزاً غـيـرَ ذاتِ خَـلـيـلِ
شـمـطـاء جَـزَّتْ رأسَـهـا وتـنـكَّـرتْ شـمـطـاء لا لـلـشـمِّ والـتَّـقـبـيـلِ

قال: فما تقول في الرُّمحِ؟ قال: أخوك وربَّما خانك، قال: فالنَّبْلُ؟ قال: منايا

(١) في (ك): بعد، والمثبت من المنتظم ٤/ ٢٨٩.
(٢) إلى هنا ليس في (أ) و(خ) مما أشير إليه قبل صفحات.

تُصيبُ وتُخْطِئُ، قال: فالسيفُ؟ قال: رفيقٌ صالح، قال: فالدرعُ؟ قال: حِصنٌ حصينةٌ، قال: فالتُّرس؟ قال: عليه تَدورُ الدوائر، وفي رواية: فالسيف؟ قال: عندها قارَعَتْكَ أُمُّك عن الثُّكْلِ، فقال له عمر: بل أُمُّك، قال: أُميّ، والحُمّى أَضْرَعَتْني لك، وهذا مثل[١]، ومعناه أن الإسلام أذلَّني، ولو كنتُ في الجاهليةِ ما تجاسَرْتَ أن تَرُدَّ عليَّ، وعمرو من شعراء الحماسة، رحمه الله تعالى[٢].

ذِكْرُ وفاته: واختلفوا فيها؛ فالمشهور أنَّه قُتِلَ بنَهاوَنْد مع طُليحةَ والنعمان بن مُقَرِّن، وقُبورُهم في مكانٍ واحدٍ.

وقال الهيثم: استُشهد برُوْذَةَ بين قُمّ والرَّيّ، خرج في غارةٍ فقُتِلَ، وقيل: إنَّه عاش إلى أيامِ معاوية.

وليس في الصحابة من اسمه عمرو بن معدي كَرِب سواه، وله روايةٌ عن النبي ﷺ، وَرَثَتْه امرأتُه، يعني امرأة عمرو بن معدي كَرِب[٣].

النعمان بن مُقَرِّن

من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وكُنيتُه أبو عمرو، وشهد الخندق والحُدَيْبية مع رسول الله ﷺ هو وإخوتُه الستّة، وحمل أحدَ ألوية مُزَينة الثلاثة، التي كان رسول الله ﷺ عَقدها لهم يوم الفَتْح، وكانت مُزَينَة قد أُلِّفت يومئذٍ، ولم يُؤلَّف من قبائل العرب غيرُها، ولمزينة مَحلَّتان بالمدينة، وليس لغيرهم ذلك.

حَدَّث كَثير بنُ عبد الله المزَنيّ، عن أبيه، عن جدّه ـ وكان قد حضر نَهاوَنْد ـ قال: كان أميرُ الناس يومئذٍ النُّعمان بن مُقَرِّن، وكان أوّلَ قتيلٍ، فأخذ [الراية] سويد[٤] بن

(١) جمهرة الأمثال ١/ ٣٤٨، ومجمع الأمثال ١/ ٢٠٥.

(٢) في (أ) و(خ): وعمرو شعير الحماسة رحمه الله تعالى، وليست في (ك). وقد رُوي له في الحماسة ثلاث مقطعات، انظر شرح المرزوقي (٢٩) و(٣٤) و(٣٥).

(٣) انظر ترجمته وأخباره في طبقات ابن سعد ٦/ ٢٦٨ و٨/ ٨٥، والشعر والشعراء ٣٧٢، والاشتقاق ٤١١، والمؤتلف والمختلف ٢٣٤، والأغاني ١٥/ ٢٠٨، ومعجم الشعراء ١٥، والاستيعاب (١٧٧٦)، والعقد الفريد ١/ ٩٣ و١٧٩، وسمط اللآلي ٣/ ٦٣ـ٦٤، وتاريخ دمشق ١٣/ ٦١٩ (مخطوط)، والمنتظم ٤/ ٣٨٢، والإصابة ٣/ ١٨، والخزانة ٢/ ٤٤٤، وديوانه ١٥٤.

(٤) في (أ) و(خ): يزيد، وهو خطأ، وترجمة النعمان ليست في (ك)، والمثبت من طبقات ابن سعد ٥/ ١٤٦.

مُقَرّن، حتى إذا اجتمعت الغنائم قَسمها السَّائب بنُ الأَقْرع الثَّقَفي، فأسهم للفرس سَهمَين، ولصاحبه سَهْماً، فأصابَني اثنا عشر ألف سهم، وكنت راجلاً.

وله صُحبة ورواية، وذكر [ابن سعد] إخوته: سُوَيد بن مُقَرّن، ويُكنى أبا عَدِيّ، وله صُحبة ورواية، وسِنان بن مُقَرّن، له صُحبة، وكذا عَقيل بن مُقَرّن، وعبد الرحمن بن مُقَرّن، له صُحبة، رحمهم الله تعالى[1].



(١) ترجمته في طبقات ابن سعد ٨/ ١٤١، والمعارف ٢٩٩، والاستيعاب (٢٥٨٩)، والمنتظم ٤/ ٢٩٠، والإصابة ٣/ ٥٦٥، والسير ٢/ ٣٥٦.

السنةُ العِشرون من الهجرةِ النبوية

وفيها فُتحت مصرُ والإسكندريةُ في أشهرِ الرواياتِ عن ابن إسحاق وأبي مَعشر والواقدي ويزيد بن أبي حَبيب، قالوا: فُتحت مصرُ يوم الجمعةِ غُرَّةَ المُحرَّم سنةَ عشرين.

وقال سيف: فُتحت مصر سنة ستَّ عشرة، وفي روايةٍ عنه سنة ستٍّ وعشرين، والأَوَّل أصحُّ، وقيل في سنة إحدى وعشرين، وسنة اثنتين وعشرين(١).

واختلفوا في كيفية فَتْحِها، قال [ابن] إسحاق: لما فرغ عمر رضوان الله عليه من الشام، كتب إلى عمرو بن العاص: أن سِرْ إلى مصر، وكان بفلسطين، وأردَفَه بالزُّبير ابن العَوّام ﵁، وقد كان الأَرطبون هرب من الشام إلى مصر فيما تقدّم، وكان ملك الساحل، فصار إلى الإسكندريّة وبها المقَوْقِس.

وكان المقوقس يُؤدّي خراجَ مصر إلى الرُّوم، وكذلك ملوكُ مصر قبلَه، فسار عمرو والزبير ﵁ حتى نزلا البابَيْن، فجاءا قُرى ما بين البُويب والصَّعيد ومصر والإسكندرية، فجاءت رُسلُ ملك مصر، وهو المقوقس، وكان مقيماً بالإسكندرية إلى عمرو بن العاص يقول: إنني كنتُ أُؤدِّي الخراج إلى مَن هو أبغضُ إليَّ منكم ـ وهم فارس والروم ـ فإن أحببتَ أن أُعطيَك الجِزية، وتَردّ عليّ ما أصبتُم من السبايا فعلتَ.

فبعث إليه عَمرو يقول: إن فوقي أميراً لا أقدرُ أن أقطعَ أمراً دونه، فإن شئت أن أُمسكَ عنك، وتُمسك عني؛ حتى أكتبَ إليه فافعل، فكتب إلى عمر رضوان الله عليه يُخبره الخبر، فكتب إليه: أجِبْه إلى ما سأل، على أن تُخيِّروا مَن في أيديكم من سَبْيهم بين الإسلام وبين دين قومِهم، فمَن اختار الإسلام فهو من المسلمين، ومن اختار دينَ قومه أُخذت منه الجِزية، أمّا مَن تفرَّق من سَبْيهم بأرض العرب، ووصل إلى الحَرمَيْن واليمن وما والاه؛ فإنا لا نَقدر على ردِّهم، ولا يَنبغي أن نُصالحهم على أمر لا نقدر

(١) من قوله: في أشهر الروايات... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، ومن هنا إلى ذكر الفسطاط ليس في (ك).

على الوفاء به.

فكتب عمرو إلى المقَوْقِس بذلك فرضي، وجمع المسلمون ما عندهم من السّبايا، واجتمع النصارى وخَيَّروهم، فمنهم مَن اختار الإسلام، ومنهم من عاد إلى دينه، وانعقد الصُّلح وعمر مُقيمٌ في أرض مصر.

وقال سيف عن أشياخه: خرج عَمرو إلى مصر بعد أن عاد عمر بنُ الخطاب رضوان الله عليه إلى المدينة، فانتهى إلى باب مِصر، واتّبعه الزُّبير رضي الله عنه، واجتمعا، فلقيهم هناك أبو مريم جاثَليق مصر[1]، ومعه الأُسقُفّ الذي بَعثه المقوقس لمنع بلاده، وشرعوا في القتال، فأرسل إليهم عمرو: ابرُزا إليّ ولابأس عليكما، فبَرَزا، وخرج إليهما عمرو فقال لهما: أنتما راهِبا هذه المدينة، فاسمعا ما أقول:

إن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالحق، وأَمَره فقام به أحسنَ قيام، وأدّى إلينا كُلّ ما أُمر به، ثم مضى، وتَرَكَنا على بيضاءَ نَقيَّةٍ واضحةٍ، وكان فيما أَمَرَنا به الإعْذارُ إلى الناس قبل القتال، ونحن نَدعوكم إلى الإسلام، فإن أجبتُم قبِلْنا، ومَن لم يُجب عَرضْنا عيكم الجِزية، وكان فيما أَمَرَنا به الوَصيَّة بكم، وأخبرنا أنا نَفتحَ أرضَكم فقال: «ستفتحون أرضاً يُقال لها مصر، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذِمَّةً ورَحِما».

فقالا: قَرابةٌ بعيدة، فلا يَصلُ مثلَها إلا الأنبياء وأتباعُ الأنبياء، وهي شريفة، كانت بنتَ مَلِكنا، فصارت إلى إبراهيم خليلِ الله، فمرحباً بكم وأهلاً، آمِنّا حتى نَرجع إليك، فقال عَمرو: مثلي لا يُخدع، وقد أَجَّلتُكما ثلاثاً لتَنظُرا وينظر قومكما، وإلا ناجَزتُكما، قالا: زِدْنا أيّاماً فزادهما.

فرجعا إلى المقوقس وأخبراه، فهَمَّ أن يُجيب، فنهاه الأرطبون وقال: ناهِدْهم، فقاتلوا المسلمين عند عين شَمس ـ وهي كانت دارَ فرعون، فانهزم القوم، وظَفِر بهم المسلمون، فقالوا للمُقَوْقِس: قومٌ قَهروا كسرى وقَيْصر، وأزالوا مُلكهما، لا طاقةَ لنا بهم، فأرسل إلى عمرو يَسأله الصُّلح، فصالحهم على نفوسهم وأموالهم وكَنائسهم على أن يُعطوا الجزية، ثم جاء عمرو فنزل مكان الفُسطاط اليوم.

---

(١) هو رئيس النصارى في بلاد الإسلام.

ذِكْرُ الفُسْطاط

قال الجوهري: الفُسْطاط بيتٌ من شَعَرٍ، قال: وفسطاط مدينةُ مصر[١].

وقال هشام: لما امتنعوا من الصُّلْحِ عزمَ عَمرو أن يسيرَ إلى الإسكندرية، فأمر بفُسطاطِه أن يُقَوَّضَ، فقيل له: إن حمامةً قد عشَّشت في أعلاه، ولها بَيْضٌ، فقال: نحنُ أولى مَن عَرفَ حُرمةَ الجِوار، وقد تَحرَّمت بجِوارنا، أَقِروّا الفُسطاط حتى تَطيرَ فِراخُها، ووكَّل به مَن يَحرُسه، فمازال حتى طارتِ الفِراخُ، فلذلك سُمّيَ الفُسْطاط.

وسار عمرو إلى الإسكندرية في شعبان فافتتحها، وقال الهيثم: بعث عمرو أبرهةَ ابنَ الصباحِ إلى الفَرَما، وهي مدينةٌ عتيقةٌ على ساحل بحرِ الرُّومِ، مقابل القُلْزُمِ، وبعث عوفَ بن مالك إلى الإسكندرية ففتحها.

قال: وكان الإسكندر [والفَرَما] أخوَيْن فبنى الإسكندرُ الإسكندريّةَ، وبنى الفَرَما الفَرَما على نَعْتِ الإسكندرية، وهي الآن مدينةٌ رَثَّةٌ، ولم تزلُ منذُ بُنيتْ رَثّةً، ومازالت الإسكندرية بَهِجَةً، يرتاحُ إليها كلُّ من رآها، فسأل عوفٌ أهلَ الإسكندرية فقال: ما أحسن مدينتكم؟! فقالوا: إنَّ الإسكندرَ لمّا بناها قال: قد بَنيتُ مدينةً فقيرةً إلى الله، غنيّةً عن الناسِ، فبقيت بَهْجَتُها.

وقال أبرهةُ لأهلِ الفَرَما: ما أخلقَ مدينتكم؟! قالوا: إن الفَرَما لمّا بناها قال: هذه مدينةٌ غنيّةٌ عن الله فقيرةٌ إلى الناسِ، فذهبت بَهْجتُها.

وأقام عمرو على مِصرَ أميراً من قِبَلِ عمر، وبعث إلى عمر بالفتحِ والأخماس.

وقد روى أحمد بإسناده عن أبي ذرٍّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ستَفتحون مِصرَ، وهي أرضٌ يُذكر فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسِنوا إلى أهلها، واستوصوا بهم خيراً، فإنَّ لهم ذِمَّةً ورَحِماً وصِهْراً، وإذا رأيتَ يا أبا ذرٍّ رجلين يختصمانِ في لَبِنَةٍ فاخرُج»، قال: فرأيتُ عبد الرحمن بن شُرَحْبيل بن حَسَنَةَ وأخاه ربيعةَ يَختصمان في مَوْضعِ لَبِنَةٍ، قال: فخرجتُ منها. انفرد بإخراجه مسلم[٢].

---

(١) صحاح الجوهري: (فسط).

(٢) مسند أحمد (٢١٢٥٠)، وصحيح مسلم (٢٥٤٣).

وفي قوله عليه السلام: «إنَّ لهم ذِمَّةً ورَحماً» قولان:

أحدُهما أنَّه أرادَ هاجَرَ أُمَّ إسماعيل، كانت قبطيةً.

والثاني: مارية أُم إبراهيم كانت قبطيّةً.

رَجَعْنا إلى الحديث، وبعث إلى عمرَ بالفتحِ والأخماسِ، ونزل عمرو بالفُسْطاط واختطَّه المسلمون، ووضع عمر المسالح على السواحلِ إلى الشام، خوفاً من الرُّوم، وكان هِرَقْلُ قد جَهَّزَ المراكب في البحرِ، وعزمَ على قصدِ الشامِ بنَفْسهِ وأن ينزل سوريَّةَ.

ذكر كتاب عمر بن الخطاب ﷺ إلى نيل مصر

حدثنا غيرُ واحدٍ عن أبي الفضل بن ناصر بإسناده، عن قيس بن الحجّاجِ، قال: لمّا فُتِحت مصرُ أتى أهلُها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤنه ـ من أَشهُرِ العَجَم ـ فقالوا له: أيُّها الأميرُ، إن لنيلنا هذا سُنَّةً لا يَجري إلّا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إذا دخلت اثنتا عَشْرَةَ ليلةً من هذا الشهرِ عَمَدْنا إلى جاريةٍ بِكْرٍ بين أبَوَيها فأرضَيْنا أهلها، وحملنا عليها من الحُليِّ والثيابِ أفضلَ ما يكون، ثم ألقيناها في النيل. فقال لهم: إنَّ هذا لا يكون في الإسلام، وإنَّ الإسلامَ يَهدمُ ما كان قبله.

فأقاموا بُؤنه وأبيب ومَسرى، وهي أَشهُرٌ معروفةٌ، لا يجري النيلُ قليلاً ولا كثيراً، حتى همُّوا بالجَلاء عنها، فلما رأى ذلك عمرو، كتب إلى عمر بذلك، فكتب إليه عمر: إنَّكَ قد أصبتَ؛ لأنَّ الإسلامَ يهدِمُ ما قبله، وكتب بطاقةً داخل كتابه، وكتب إلى عمرو: قد بعثتُ إليك ببطاقةٍ في داخلِ كتابي، فألقِها في النيل.

فلما قَدِم كتابُ عمر إلى عَمرو أخذ البطاقةَ، فإذا فيها: من عبدِ الله عمر أميرِ المؤمنين إلى نيلِ مصر، أما بعدُ: فإن كنتَ تَجري من قِبَلكَ فلا تَجرِ، وإن كنتَ إنما تجري بأمرِ الله الواحدِ القهار ـ أو وإن كان الله هو الذي يُجريك ـ فنسألُ الله الواحد القهارَ أن يُجريَك، فألقى البطاقةَ في النّيل قبل يوم عيد الصَّليبِ بيومٍ، وقد تهيّأ أهلُ مصرَ للجلاء والخروج؛ لأنه لا يقومُ بمَصْلحتهم إلّا النيل، فلما ألقى البطاقة أصبحوا وقد أجراه الله ستَّة عشر ذراعاً في ليلةٍ واحدةٍ، وقطع اللهُ تلك السُّنَّةَ عن أهل مصر إلى اليومِ.

فصل: وفيها زُلزلت المدينةُ، ووقعتِ الدورُ، أنبأنا جدّي بإسناده عن صَفية بنت أبي عُبيد ـ وأخرجه أبو بكر الخطيب بإسناده عن صفية ـ قالت: زُلزلت المدينةُ على عهد عمر، فقال عمر: أيها الناس، ما هذا؟ ما أسرعَ ما أحدثتُم، لئن عادت لا ساكنتُكم فيها أبداً(١).

وذكر جدّي في كتابٍ يُقال له: «معاني المعاني»: فضربها عمر بالدِّرَّةِ فسكنت.

قال هشام: وهي أَوَّلُ زَلزلةٍ كانت في الإسلام.

وقد أخبر النبي ﷺ بحدوثِ الزلازل، روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يُقْبَضَ العلمُ، وتكثرَ الزلازلُ، وتظهَرَ الفِتَنُ، ويَكثُرَ الهَرْجُ»، قيل: وما الهرج؟ قال: «القتل»(٢).

وفي رواية: «وإذا ظهرتِ الفاحشةُ كانت الرجْفَةُ»(٣).

وفي حديث أبي هريرة أيضاً قال: رجفت الأرضُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فقال: «أيُّها الناسُ، إن ربكم قد عَتِبَ عليكم، فأعتبوه».

وفيها عزل عمر رضوان الله عليه قُدامة بن مَظعون عن البحرين، وولّاها أبا هُريرة، وقيل: إنما ولّاها أبا بكرة، وكان قُدامة قد شرب الخمر، فحدَّه عمر رضوان الله عليه.

وفيها تزوّج عمر فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزوميّ، أمّ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وكان زوجُها الحارث بن هشام قد مات بالطاعون، وفاطمة أختُ خالد بن الوليد، خرجت مع زَوْجِها الحارث يوم أحد مع الكفّار، ثم أسلمتْ يومَ الفتح، وحَسُن إسلامُها، وروت عن رسول الله ﷺ.

وفيها عزل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه سعد بنَ أبي وقّاص رضي الله عنه عن الكوفة، وولّاها عمار بن ياسر رضي الله عنه.

---

(١) المنتظم ٤/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٨٦٣)، والبخاري (١٠٣٦).

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٧٠٣ من حديث ابن عمر، وفيه يحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلي، قال أبو حاتم: منكر الحديث لا أدري منه أو من أبيه، انظر لسان الميزان ٨/ ٤٨٣.

وكان بعض أهل الكوفة شَكَوْا سعداً ﵁، وقالوا: إنه لا يُحسن أن يُصلّي، فأرسل إليه عمر رضوان الله عليه، فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يَزعمون أنّك لا تُحسِن أن تُصلّي! فقال: أما أنا فإني والله كنتُ أُصلّي بهم صلاةَ رسول الله ﷺ، لا أَخْرِمُ عنها، أُصلّي صلاتَي العشاء، فأرْكُدُ في الأوَّلَتين، وأَحْذِف في الآخرتين، قال: ذلك الظَّنُّ بك يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يَزعمون أنك لا تُحسن أن تُصلّي[(١)].

فأرسل عمر رضوان الله عليه معه رجالاً إلى الكوفة، فسأل عنه أهلَها، فلم يَدعْ مسجداً إلا سأل عنه، ويُثنون عليه معروفاً، حتى دخل مسجداً لبني عبس، فقام رجل منهم يُكنى أبا سَعدة، اسمه أسامة بنُ قتادة فقال: أما إذ نَشَدْتنا، فإن سعداً كان لا يَسير بالسَّرِيّة، ولا يَقسم بالسَّوِيّة، ولا يَعدِل في القَضيّة، فقال سعد ﵁: أما والله لأدعُونّ بثلاث: اللهمَّ إن كان عبدك هذا كاذباً، قام رياءً وسُمعةً، فأطِلْ عُمُره، وأطل فَقرَه، وعَرِّضه للفِتن، فكان بعد ذلك إذا سُئل يقول: شيخٌ مَفتون أصابَتْه دَعوةُ سعد.

قال جابر بن سَمُرة: فأنا رأيتُه بعدما سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنه ليَتعرَّضُ للجَواري في الطُّرق يَغمِزهُنّ[(٢)].

وفيها قسم عمر بن الخطّاب رضوان الله عليه خيبر بين المسلمين، وأَجْلى اليهودَ عنها، وسببه أنهم فَدَعوا ابنه عبد الله ﵁.

قال نافع: لما فَدَع أهلُ خَيبر عبد الله بن عمر قام [عمر] خطيباً فقال: إن رسول الله ﷺ كان عامَل أهلَ خَيبر على أموالهم، وقال: «نُقِرُّكم على ما أَقَرَّكم عليه الله»، وإن عبد الله بن عُمر خرج إلى ماله هناك، فعُدِي عليه من الليل، فَفُدِعَتْ يداه ورجلاه، وليس هناك عدوٌّ غيرَهم، وقد رأيتُ إجلاءَهم، فإنهم عَدوُّنا وتُهْمَتُنا، فلما قال عُمر ذلك أتاه أحدُ بني أبي الحُقَيق فقال: يا أمير المؤمنين، أتُخرِجُنا وقد أقرَّنا محمد، وعامَلَنا على الأموال، وشرط لنا ذلك؟ فقال له عمر: أتظنُّ أني نسيتُ قولَ رسول الله ﷺ: «كيف بك إذا أُخرِجْتَ من خيبر تَعدو بك قَلُوصُك ليلةً بعد ليلة؟»، فقال: كانت تلك هُزَيْلةً كانت

(١) هذه العبارة مكررة بسبب انتقال النظر، والله أعلم.

(٢) أخرجه أحمد (١٥١٠)، والبخاري (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣)، والخطيب في تاريخ بغداد ١/ ١٤٥، وابن الجوزي في المنتظم ٤/ ٢٢٩.

من أبي القاسم، فقال: كذبتَ يا عدوَّ الله، فأَجْلاهم، وأعطاهم قيمةَ ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعُروضاً من أَقْتابٍ وحِبال وغير ذلك. انفرد بإخراجه البخاري[١].

وعن جابر بن عبد الله، عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لأُخرجنَّ اليهودَ والنّصارى من جزيرة العرب، حتى لا أَتْرُكَ فيها إلا مُسلِماً». انفرد بإخراجه مسلم[٢].

وفيها أجلى عمر يهودَ نَجْران إلى العراق فسكنوا الحِيرة، قال ابن إسحاق: وأمّا يهودُ خَيبر فخرجوا إلى أَذْرِعات في الشام.

وفيها قسم عمر فَدَكَ ووادي القُرى على يد أبي حَبيبة، فأقام لهم نِصْفَ الأرضِ.

وفيها آلى عمر أن لا يجهِّزَ سفينةً في البحرِ أبداً، قال الواقدي: كان أهلُ الحَبَشةِ يتعدَّوْنَ على أطرافِ المسلمين من ناحيةِ جُدَّةَ والساحلِ، فبعث عُمر عَلقمةَ بنَ مُجَزِّز المُدْلجيّ في أربعِ سُفُن، فأُصيب منها ثلاث سُفن، في كلِّ واحدةٍ خمسون رجُلاً، وبقيت سفينةٌ واحدةٌ، فرجع بها علقمةُ.

فصل: وحجَّ بالناسِ عمر[٣].

فصل وفيها تُوفّي

أُسَيْد بنُ حُضَيْر

ابن سِماك بن عَتيك[٤] بن رافع بن امرىء القيس الخَزْرجي، وكُنيتُه أبو الحُضَيْر، وقيل: أبو يحيى، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، وكان الحضير كاتباً شريفاً في الجاهلية، وكان[٥] رئيسَ الأوس يوم بُعاث، وهي آخر وَقْعةٍ كانت بين الأوس والخَزْرج، وكان يُسمّى الكامل، وفيه يقول خُفاف بن نُدْبَة، وقُتل الحُضَير يومئذٍ: [من الطويل]

(١) صحيح البخاري (٢٧٣٠)، ومسند أحمد (٩٠).

(٢) صحيح مسلم (١٧٦٧)، ومسند أحمد (٢٠١)، ومن قوله قبل: وفيها عزل عمر قدامة بن مظعون... إلى هنا ليس في (ك).

(٣) من هنا إلى بداية ترجمة بلال، ليس في (ك).

(٤) في (أ) و(خ): عبيد، وهو خطأ.

(٥) في (أ) و(خ): له يحيى، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار وكان، وهو تكرار للسطر السابق.

لو انَّ المنايا حِدْنَ عن ذي مهابةٍ لَهِبْنَ حُضَيراً يومَ غَلَّق واقما
يَطوف به حتى إذا الليلُ جَنَّه تبوَّأ منه مَقعداً مُتَناعِما(١)

واقِم: أُطُم حُضَيْر، وكانت وقعةُ بُعاث قبل الهجرة بستِّ سنين.

أسلم أُسَيد على يدَيْ مصعب بن عُمير رضي الله عنه قبل سعد بن مُعاذ رضي الله عنه بساعة، وشهد العَقَبة مع السَّبعين، وكان أحد النُّقَباء الاثني عشر، ولم يَشهد بدراً؛ لأن أكابر الأنصار ظَنُّوا أن رسول الله ﷺ خرج في طَلَب العِير، لا أنه يَلقى عدوّاً، وشهد أحداً، وثبت يومئذٍ، وجُرح سبع جِراحات، وشهد الخندقَ والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ.

وكان يُسمَّى الكامل كأبيه، وكان رسول الله ﷺ يُثني عليه ويقول: «نِعمَ الرَّجل أُسَيد بنُ حُضَير»، وشهد خُطبة [عمر] رضوان الله عليه بالجابية، وأمَّره لما خرج إلى الشام على رُبع الأنصار، وخرج معه الخَرْجَة الأولى والثانية، وشهد معه فُتوحَ القدس، وكان معه لما خرج من سَرْغ.

قال أنس: كان أُسيد بن الحُضَيْر وعَباد بنُ بِشر عند رسول الله ﷺ في ليلةٍ مُظلمة حِنْدِس، فتحدَّثا عنده، حتى إذا خرجا أضاءت لهما عَصى أحدِهما، فمَشَيا في ضوئها، فلما تَفرَّق بهما الطَّريق أضاءت لكلٍّ واحدٍ منهما عصاه، فمشى في ضوئها. انفرد بإخراجه البخاري(٢).

وتُوفِّي رضي الله عنه في شعبان بالمدينة سنة عشرين، فحمله عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بين العمودين من بني عبد الأشهل، حتى وضعه بالبَقيع، ثم صلّى عليه ودفنه، أسند الحديث عن رسول الله ﷺ(٣).

أُنَيْس بن [مَرْثَد بن] أبي مَرْثَد

كَنَّاز بن الحُصَين الغنوي، حَليف حمزة رضي الله عنه، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، وكُنيتُه أبو يزيد، شهد مع رسول الله ﷺ يومَ الفتح وحنيناً والطائف، [وكان] عَيْن

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٥٨، والأغاني ١٧/ ١٢٨، وشعره المجموع في (شعراء إسلاميون) ٤٨٨.

(٢) صحيح البخاري (٣٨٠٥)، وانظر طبقات ابن سعد ٣/ ٥٦٠.

(٣) انظر ترجمته في الاستيعاب (٦)، وتاريخ دمشق ٣/ ١٢ (مخطوط)، والمنتظم ٤/ ٢٩٦، والاستبصار ١/ ٢١٣، والسير ١/ ٣٤٠، والإصابة ١/ ٤٩.

رسول الله ﷺ بأَوْطاس، وتُوفّي في ربيع الأول بالمدينة، وصلّى عليه عمر رضوان الله عليه، له صُحبة ورواية رضي الله عنه(١).

بِشر بن عمرو بن حَنَش الأَنْماري

ويُلقّب بالجارود، لأنه كان له إبلٌ جَرْباء يُورِدُها على أخواله من بني شيبان، فأَعدتْ إبلَهم فهلكتْ، فقال الناس: جَرَدهم بِشر، وفيه يقول الشاعر: [من الطويل]

جَرَدْناهُمُ بالبِيض من كلِّ جانبٍ ... كما جَرد الجارودُ بكرَ بنَ وائل

وفد على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة.

وأمّه دَرْمكة بنت رُوَيم من بني شيبان.

وكان الجارود شريفاً، سيِّدَ عبد القَيْس، وهو الذي شَهد على قُدامة، [فقدم على عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إن قُدامة قد شرب الخمر، قال: فمَن يَشهد معك؟ قال: أبو هريرة، فكتب إلى قُدامه فحَضَر، فقام الجارود فقال: أَقِم الحدَّ على قُدامة، فقال له عمر رضوان الله عليه: لتَملكَنّ عليك لِسانَك أو لأَسُوأنّك، فقال الجارود: يَشرب ابنُ عمِّك الخمر وتَسوءُني؟! فوَزَعه عمر رضوان الله عليه، ثم دعا بقُدامة فحَدَّه.

قُتل الجارود بعَقَبة الطين شهيداً رحمه الله، و كان له من الولد: المنذر وحَبيب وغياث وعبد الله وسلمة(٢) ومسلم والحكم، قُتل الحكم بِسجِسْتان، والمنذر كان سيِّداً [جواداً]، ولاه عليّ عليه السلام إصْطَخْر، فلم يأتِه أحدٌ إلا وَصَله، ووَلّاه عبيد الله بن زياد ثغرَ الهند، فمات به، أسند الجارود الحديثَ رحمه الله تعالى(٣).

بلال بن رَباح رضي الله عنه(٤)

من الطبقة الأولى من المهاجرين، واختلفوا في كُنيته، والأشهر أبو عبد الله.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ١٠٥، والاستيعاب (٢٠)، والإصابة ١/ ٧٣.

(٢) في طبقات ابن سعد ٨/ ١٢٢: وسلم.

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٨٥، والاستيعاب (٣٥٢)، وتهذيب الكمال (٨٦٨)، والإصابة ١/ ٢١٦.

(٤) بعدها في (ك): واسم أمه حمامة، وكانت تلقب سكينة لبعض بني جُمح فنسب إليها فقيل عبد. ثم يقع سقط في المخطوط بمقدار صفحتين.

كان آدّم، شديدَ الأُدْمَة، نحيفاً، طُوالاً، أَجْنَأ، [كثيرَ] الشَّعر، خفيفَ العارضَين، لا يُغيِّر شَيْبَهُ.

وكان يُعذَّب في الله تعالى حين أسلم ليَرجعَ عن دينه، وكان من المُستَضعفين من المؤمنين، فما أعطاهم قط كلمةً مما يُريدون، وكان إذا اشتدّ به العذابُ قال: أَحَدٌ أَحد، فيعذّبونه ويقولون: قُل كما نقول، فيقول: إن لساني لا يُحسِنُه، وأتى عليه أبو بكر ﷺ فقال: عَلام تُعذِّبون هذا الإنسان؟ فاشتراه بسبع أَواقٍ فأعتقه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «الشَّرِكَةَ يا أبا بكر»، فقال: قد أعتقتُه يا رسول الله.

قال مجاهد: أوَّلُ مَن أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضوان الله عليه، وبلال، وخَبَّاب، وصُهيب، وعمّار، وسُميّة أم عمّار ﷺ.

فأما رسول الله ﷺ فمنعه عمُّه، وأما أبو بكر رضوان الله عليه فمنعه قومُه، وأُخِذ الآخرون، فألبسوهم أدراع الحديد، ثم صَيّروهم في الشمس، حتى بلغ الجهد منهم كلَّ مَبلغ، فأعطَوْهم ما سألوا، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسُه في الله حتى مَلُّوه، فجعلوا في عُنُقِه حَبْلاً، ثم أمروا صبيانَهم أن يَشتدُّوا به[1] بين أخشَبَيْ مكة، وبلالٌ يقول أَحَد أَحَد.

وكان أميَّة بن خَلَف يُخرجه إذا حَمِيت الظَّهيرةُ، فيَطرحُه على ظهره في حرِّ الرَّمْضَاء، ثم يَجعل على صدرِه صخرةً عظيمة، ثم يقول: لاتزالُ كذا حتى تموتَ أو تكفُرَ محمداً، وتعبُدَ اللاتَ والعُزّى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أَحَد أَحَد.

قال المصنّف رحمه الله: قال جدّي في «المنتخب»: [من الوافر]

أبــو بــكــر حــبــا الله مــالاً   وأعــتــق خَــيِّــراً عَــبْــدَهْ بِــلالا
لــوانّ الــبــحــر عــانــده بــسُــوءٍ   لــمــا أبــقــى الإلــه لــه بِــلالا
وقــد آســى الــنــبــيَّ بــكــلِّ خــيــرٍ   وأبــدى فــيــه لــفــظَ نــعــم بــلالا[2]

سبب إسلامه ﷺ: اعتزل أبو بكر رضوان الله عليه ورسول الله ﷺ في غار، فمرَّ

(١) في (أ) و(خ): يشدونه، والمثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٤ .
(٢) الأبيات في معجم الأدباء ٦/ ٩٤ لأسعد بن علي البارع.

بهما بلال ﷺ وهو في غَنَم لعبد الله بن جُدْعان، وكان له بمكة مئةُ عبدٍ من مُوَلّديها، فلما بُعث رسول الله ﷺ أخرجهم ابن جُدْعان من مكة خوفاً عليهم، إلا بلالاً فإنه كان يرعى عليه غنمه تلك، فأطلع رسول الله ﷺ رأسَه من الغار، فقال: يا راعي، هل من لَبَن؟! فقال: مالي فيها إلا شاة منها قُوتي، فإن شئتُما آثرتُكما اليوم بلَبنها، فقال: ائت بها، فجاء بها فاعتَقَلها رسول الله ﷺ، وحَلَب في القعب، وشرب هو وأبو بكر ﷺ، ثم سقى بلالاً ﷺ، وأرسلها وهي أَحفَلُ مما كانت، فقال: يا غُلام، هل لك في الإسلام؟ وقرأ عليه القرآن فأسلم، فقالا: اكتُم إسلامَك.

وانصرف بغَنَمه وقد أَضْعفَ لبنُها، فقال له أهله: لقد رعيتَ اليوم مَرعى طَيِّباً فعليك به، فعاد إليهما ثلاثةَ أيام يسقيهما اللبن، ويَتعلّم الإسلام.

ودخل رسول الله ﷺ مكة، فاختفى في دارٍ عند المروة، فدخل بلال ﷺ يوماً إلى الكعبة وقريش في ظاهرها[١] وهو لا يعلم، فجعل يَبصُقُ على الأصنام ويقول: خابَ وخَسِرَ مَن عَبَدكم من دونِ الله، فطلبَتْه قُريشٌ فهرب، فدخل دار سيِّده عبد الله بن جُدْعان فاختفى فيها، فجاؤوا إلى الباب، ونادَوْا عبدَ الله بنَ جُدعان، فخرج إليهم فقالوا: صبوتَ؟ فقال: ألمثلي تقولون هذا؟ عليَّ نَحْرُ مئةِ ناقةٍ للّاتِ والعُزّى إن كنتُ صَبَوْتُ، قالوا: فإن أسوَدَك صنع كذا وكذا، فدخل فأخرجه إليهم وقال: شَأنُكم به، افعلوا به ما أحببتُم، فخرج به أبو جهل بن هشام وأُميَّةُ بنُ خَلَف إلى الرّمْضاءِ، وبسطاه عليها، وجعلا على عُنُقه رَحىً، وقالا: اكفُر بمحمّدٍ، وهو يقول: أحدٌ أحَدٌ.

ومرَّ بهما أبو بكر فقال: والله ما تُدْرِكانِ بعذابه ثأراً، فقال له أُمية: هو على دينك فاشتَره منّا، قال: نعم، قال: بعبدِك نِسطاس، وكان حدَّاداً، وخراجُه كلَّ يوم نصفُ دينار، فقال: قد فعلتُ، فأعطاهم إياه، وأخذ بلالاً[٢].

ذكْرُ جملةٍ من مناقبِهِ: قال علماءُ السِّيَرِ: شهد بلالٌ مع رسولِ الله ﷺ بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها، وهو أوّلُ من أذَّن له سَفَراً وحضراً، وكان خازِنَه على بيت المال.

---

(١) هنا ينتهي السقط في (ك) المشار إليه من قبل.

(٢) تاريخ دمشق ٣/ ٤٤٨ـ٤٤٩ (مخطوط).

وقال أبو نُعيم بإسنادِهِ عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بلال سابقُ الحبشة»(١).

قال أنس: قال رسول الله ﷺ: «لقد أُخِفتُ في الله وما يُخاف أحدٌ، ولقد أوذيتُ في الله وما يُؤذى أحدٌ، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة، مالي ولبلال طعامٌ يأكله ذو كَبِدٍ إلا شيءٌ يُواريه إبِطُ بلال»(٢).

وقال أحمد بإسناده عن عبد الله بن بُريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بلالُ، بم سبقتَني إلى الجنة؟ ما دخلتُها قط إلّا سمعتُ خَشْخَشَتَك أمامي»، فقال: ما أحدثتُ حَدَثاً إلا توضَّأتُ وصليتُ ركعتين، فقال رسول الله ﷺ: «بهذا»(٣).

وفيه: فقال رسولُ الله ﷺ: «أخبِرْني يا بلال بأرجى عملٍ عملتَه في الإسلام، فإني سمعتُ خَشْف نَعْلَيك الليلةَ بين يَدَيَّ في الجنَّة»، فقال: ما عملتُ عملاً أرجى منفعةً عندي من أني لم أتطهَّر طُهْراً قطُّ في ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ إلا توضَّأتُ وصليتُ ركعتين. الحديث(٤). الخَشْفُ هنا: الصوتُ ليس بالشديد.

وقال أحمد بإسناده(٥) عن أنسٍ قال: أبطأ بلالٌ عن صلاةِ الفجر، فقال له رسولُ الله ﷺ: «ما حَبَسك؟» قال: مررتُ بفاطمة وهي تَطحنُ والصبيُّ يَبكي، فقلتُ لها: إن شئتِ كَفيتُك الرَّحى وكَفَيتِني الصّبيّ، وإن شئتِ كفيتِني الرَّحى وكفيتُك الصبيَّ، فقالت: أنا أرفقُ بابني منك، فذاك الذي حَبَسني، فقال له رسول الله: «رحمتَها يَرحمك الله»(٦).

وروي عن مجاهدٍ في قوله تعالى: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ۝٦٢ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [ص: ٦٢-٦٣] قال: يقول أبو جهل: أين بلالٌ؟ أين فُلانٌ؟ كنّا نعدُّهم في الدنيا من الأشرارِ، فلا نراهم في النارِ، أم هم في مكانٍ لا نَراهم فيه، وفي روايةٍ: أم هم في النارِ لا نَرى مكانهم(٧).

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١٤٩ .

(٢) أخرجه أحمد (١٤٠٥٥)، وأبو نعيم ١/ ١٥٠ .

(٣) مسند أحمد (٢٢٩٩٦).

(٤) أخرجه أحمد (٨٤٠٣)، والبخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) من قوله: وفيه قال رسول الله ﷺ... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٦) مسند أحمد (١٢٥٢٤). وسلف في سنة (١١هـ) في مناقب فاطمة.

(٧) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٤ .

وذكره البلاذري وفيه: يقول أبو جهل: أين بلال؟ أين عمَّارٌ؟ أين صُهَيْبٌ؟ أين خبَّابٌ(١)؟

وقال ابن سعد بإسناده عن عامرٍ قال: كان لرسولِ الله ﷺ ثلاثة مؤذِّنين: بلالٌ وأبو مَحْذورةَ وعمرو بن أُمِّ مَكتوم، فإذا غاب بلال أذَّن أبو محذورة، وإذا غاب أبو محذورة أذَّنَ ابنُ أُمِّ مكتوم(٢).

ودخل رسول الله ﷺ عليه وعنده صُبَر من تمر، فقال: «ما هذا؟»، فقال: ادَّخرتُه لك ولضِيفانك يا رسول الله، قال: «أما تخشى أن يكون له بُخارٌ في النار؟ أنفق يا بلال ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالا»(٣).

وكان عمر رضي الله عنه يقول: أبو بكر سيِّدُنا، وأعتق سيِّدَنا، يعني بلالاً.

ولما هاجر بلال رضي الله عنه إلى المدينة نزل على سعد بن خَيثمة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عُبَيدة بن الحارث، وقيل: بينه وبين أبي رُوَيحة عبد الله بن عبد الرحمن الخَثْعَمي.

أهدى النجاشي إلى رسول الله ﷺ عليه عَنَزة، فكان بلال يَحملها بين يديه إلى صلاة العيدين والاستسقاء، فيأتي بها المصلَّى فيَركُزُها، ثم مشى بها بين يدي أبي بكر رضوان الله عليه، ثم كان سعد القَرظي يمشي بها بين يدي عمر وعثمان رضي الله عنهما في العيدين، ويَركزها بين أيديهما، ويُصلّيان إليها(٤).

وقال ابن سعد: لما تُوفي رسول الله ﷺ جاء بلال إلى أبي بكرٍ فقال: يا خليفةَ رسول الله ﷺ، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أفْضَلُ عمل المؤمن الجهادُ في سبيلِ الله»، فقال أبو بكر: فما تشاءُ يا بلالُ؟ قال: أُرابِطُ في سبيلِ الله حتى أموت، فقال أبو بكر: أنشدُكَ اللهَ يا بلالُ، وحُرْمَتي وحَقِّي، فقد كبرتُ وضعفتُ واقتربَ أجلي، فأقام

(١) أنساب الأشراف ١/ ٢١٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٥.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٢٠) و(١٠٣٠٠)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٤٩ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) من قوله: ودخل رسول الله ﷺ وعنده صبر... إلى هنا ليس في (ك).

بلال مع أبي بكرٍ حتى تُوفي أبو بكر، فجاء إلى عمر، فقال كما قال لأبي بكر، وردَّ عليه عمرُ كما ردَّ أبو بكرٍ، فأبى بلالٌ عليه، فقال عمر: فإلى مَن ترى أن أجعلَ النداءَ؟ فقال: إلى سعد القَرَظِ، فإنَّه قد أذَّن لرسولِ الله ﷺ، فدعاه عمر فجعل الأذانَ إليه وإلى عقبِه من بعده(١). والقَرَظُ بالظاء القائمةِ: وَرقُ السَّلَمِ، كانوا يَجْنونه فنُسب إليه.

ثم خرج بلالٌ إلى الشامِ فتوفي به رحمه الله.

ولما تُوفِّي رسول الله ﷺ، أذن بلال ورسول الله ﷺ لم يُقْبَر، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، انتحب الناسُ في المسجد، فلما دُفن قال له أبو بكر ﷺ: أَذِّن، فقال: إن كنتَ إنما أعتَقتَني لأن أكونَ معك فسبيلُ ذلك إليك، وإن كنتَ أعتَقتَني لله فخَلِّني ومَن أعتقَتني له، فقال: ما أعتقتُك إلا لله، قال: فإني لا أؤذِّن لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ، قال فذاك إليك.

وجاء بنو أبي البُكَير إلى رسول الله ﷺ فقالوا: زَوِّج أختَنا فُلاناً، قال لهم: «فأين أنتم عن بلال؟»، فجاؤوا مرّةً أخرى وأخرى وهو يقول لهم كذلك، ثم قال لهم في الثالثة: «أين أنتم عن رجلٍ من أهل الجنة؟»، فزوَّجوه(٢).

فصل في ذِكْرِ وفاتِه ﷺ: حكى ابن سعد، عن الواقدي، عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارثِ التَّيْمي، عن أبيه قال: تُوفّي بلال بدمشق سنة عشرين، ودُفِنَ عند البابِ الصغيرِ في مقبرةِ دمشق، وهو ابنُ بِضْعٍ وستين سنةً. قال الواقدي: وكان بلالٌ تِرْبَ أبي بكرٍ، يعني قَرينَه(٣).

قلتُ: وقد اختلفوا في وَفاتِهِ ومَوضعِ قبرِهِ على أقوالٍ، أحدها ما حكاه ابنُ سعدٍ عن الواقدي.

وقال ابن عساكر عن أبي سليمان بن زَبْر قال: مات بلالٌ بداريّا في سنةِ الطاعون، وحُمِل من داريّا على أعناقِ الرجالِ فدُفِنَ بمقبرةِ بابِ كَيْسان(٤).

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٤ و٢١٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٨ و٢١٩. ومن قوله: ولما توفي رسول الله ﷺ . . . إلى هنا ليس في (ك).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢١٩ و٢٢٠.

(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٤٧٢-٤٧٣.

وقال خليفة: مات بدمشق سنة إحدى وعشرين، وقيل: سنة ثماني عشرة[١].

وقال الهيثم: مات بحلب سنة عشرين أو ثماني عشرة، ودُفِنَ بباب الأربعين.

وقال ابن عساكر في تاريخه: مَن قال إنَّ بلالاً مات بحلب فقد وَهِمَ، الذي مات بحلب خالد بن رباح، وكُنيتُه أبو رُويحة الخثعمي، له صُحبةٌ، ولم نعلم له رواية، ويقال: إنه أخو بلالٍ في الإسلام دون النسبِ، آخى بينهما رسولُ الله ﷺ[٢].

وقال هشام[٣]: خالد بن رباح أخو بلالٍ في النسب، وهو مولى أبي بكرٍ الصديق، وكذا قال ابن عساكر أيضاً، قال: واستعمله عمر على الأُردن، وهو القائل لسُهيل بن عمرو: ما منعك أن تُعجل الغدو[٤] إلى رسول الله ﷺ إلا النفاق، والذي بعث محمداً بالحق لولا شيءٌ لضربتُ بهذا السيف فَلْحَتك، وكان سُهيل أعلمَ، وكان قد أَقْبَل إلى رسول الله ﷺ بعد طلوع الشمس، وهو نازل بالأَبْطح ثاني يوم الفتح، فقال سُهيل لرسول الله ﷺ: يا محمد، ألا ترى إلى ما يقول لي هذا العُبَيد؟ فقال رسول الله ﷺ: «دَعْه، فعسى أن يكون خيراً منك»، فكانت هذه أشدّ على سُهيل من الأولى[٥].

وقال أبو حاتم بن حِبّان البُسْتي: مات بلال بفلسطين، وقيل بعَمْواس[٦].

قلتُ: والأصحُ أنَّه مات بدمشق سنة عشرين، وقيل: وهو ابن ستّين سنةً.

وقال ابن عساكر: تزوَّج بلال في خَوْلانَ امرأةً اسمُها ليلى، من أهلِ داريّا لها صُحْبَةٌ، وهي التي حكت عن بلالٍ أنَّه[٧] قال لما احتُضِرَ، فقالت: واحُزْنَاه، فقال: لا، بل واطَرَبَاه؛

غـــداً نـــلـــقـــى الأحـــبَّـــه ... مـــحـــمـــداً وحِـــزْبَـــه

---

(١) طبقات خليفة ١٩ و١٩٨، وتاريخه ١٤٩.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٣/ ٤٧٣ و٥/ ٤٢٠ـ٤٢٢.

(٣) من قوله: وقال خليفة... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٤) في (أ) و(خ): الرواح، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ دمشق ٥/ ٤٢٠.

(٥) من قوله: وهو القائل لسهيل... إلى هنا ليس في (ك).

(٦) الثقات ٣/ ٢٨.

(٧) من قوله: وقال أبو حاتم بن حبان... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

وقيل: اسمُها هند(١).

وأسند بلال عن رسولِ الله أربعةً(٢) وأربعين حديثاً، أُخرج له منها في «الصحيحين» أربعةُ أحاديث.

قال أحمد بإسناده عن مُجاهدٍ، عن ابن عمر أنه سأل بلالاً، فأخبره أن رسولَ الله ﷺ ركع رَكعتين، يعني في البيت، فجعل الأسطوانةَ عن يمينهِ، وتقدّم قليلاً، وجعل المقام خلف ظهره.

وقال أحمد بإسناده عن ابن عمر، وذكر دخول رسول الله ﷺ يوم الفتح إلى الكعبةِ، قال ابن عمر: فوجدتُ بلالاً قائماً على البابِ فقلتُ: أين صلَّى رسولُ الله ﷺ؟ قال: بين العَمُودين المتَقَدِّمَيْنِ، فنسيت أن أسأله: كم صلّى(٣).

وحكى ابن عبد البَرِّ(٤) قال: قالت أم الدرداء: حدَّثني أبو الدرداء قال: أقام بلالٌ بداريّا، فرأى رسولَ الله ﷺ في منامِه فقال له: يا بلالُ، ما هذه الجَفْوُة؟ أما آنَ لكَ أن تَزورَني؟ فانتبه فَزِعاً، وركب ناقتَه، وأتى المدينةَ، فجعل يُمَرِّغُ خدَّيْه على التراب بين يَدَي الحجْرةِ ويبكي، وأخذ الحسنَ والحسينَ فجعل يُقَبِّلُهما ويبكي، وبكى المسلمون وقالوا: يا أبا عبد الله، نَنْشُدُك اللهَ، ألا أسْمَعْتَنا أذانك الذي كُنْتَ تُؤذِّنُ به لرسولِ الله ﷺ في السَّحَرِ؟ فلما كان وقتُ السَّحَرِ صعدَ المكانَ الذي كان يُؤذِّنُ عليه للنبي ﷺ، فلما قال: الله أكبر ارتجَّت المدينةُ، فلما قال: أشهدُ أن لا إله إلا الله ازدادت رجَّتُها، فلما قال: أشهدُ أن محمداً رسولُ الله، خرج العَواتِقُ من خُدورِهنَّ وقُلْنَ: بُعِثَ رسول الله ﷺ؟ فما رُئِيَ باكٍ ولا باكيةٌ بعد وفاة رسولِ الله ﷺ أعظمَ من ذلك اليوم(٥).

وقال هشام بن الكلبي: كان بلال يقلبُ الشِّينَ سيناً، فقال النبي ﷺ: «إنَّ سِينَ بلال عند الله شِينٌ»(٦). انتهت ترجمة بلال ﷺ.

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٤٧١ (مخطوط)، وقسم النساء ٣٤٢ و٤٦٦ (مجمع اللغة).

(٢) من هنا إلى نهاية ترجمته ليس في (أ) و(خ).

(٣) مسند أحمد (٢٣٩٠٥) و(٢٣٩٢٣).

(٤) كذا، ولعل الصواب ابن عساكر، فالخبر في تاريخه ٢/ ٥٠٦ (مخطوط).

(٥) قال الذهبي في السير ١/ ٣٥٨: إسناده ليّن، وهو منكر.

(٦) ذكره القاري في المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص ٦٥ و١١٣، وقال: لا أصل له، وانظر كشف =

فصل وفيها تُوفي

أبو خِراش الشاعر

واسمُه خويلد بن مُرَّة الهُذَليّ، شاعر مُجيدٌ من شُعراء هُذَيل، مُخَضرَمٌ، أدركَ الجاهلية والإسلام وأسلم، وكان إذا عدا سَبقَ الخيلَ.

فرُويَ عن الأصمعي أنَّه قال: حدَّثني رجلٌ من هُذَيل قال: دخل أبو خِراش الهُذَليُّ إلى مكة وللوليد بن المغيرةِ فَرَسانِ يُريدُ أن يُرْسِلَهما في الحلبة، فقال له الوليد: أنتَ الذي تزعمُ أنك تَسبِقُ الخيلَ؟ قال: نعم، فما تَجعلُ لي إن سبقتُهما؟ قال: هما لك، فأرسلهما، وعدا بينهما فسبقهما فأخذهما.

وقال هشام: ليس لأبي خِراشٌ ذكْرٌ في الصحابةِ، وعاش إلى أيامِ عمر، نَهشَتْه أفعى فمات، وقد استشهد أهلُ اللغةِ بأشعاره، وأهلُ التفاسير بها في تفاسيرهم[١].

فصل وفيها تُوفِّيت

زينب بنت جحش

ابن رئاب بن يَعْمَر بن صَبِرَة بن مُرّة بن كثير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خُزَيمة، زوجةُ رسولِ الله ﷺ، وأُمُّها أُميمةُ بنت عبد المطلّب بن هاشم، عمَّة رسول الله ﷺ.

تزوَّجها رسول الله في السنة الخامسة من الهجرة، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند زيد بن حارثة، فطلَّقها زيدٌ[٢]، وتزوَّجها رسولُ الله، وبسببها نزل الحجابُ، ونزل أيضاً: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾[الأحزاب: ٣٧] الآيات، وقد ذكرنا جميع ذلك[٣].

وهي التي بعث إليها عمر بنُ الخطاب بمالٍ، فسَتَرتْ بينها وبينه بثوبٍ وقالت: اللهمَّ لا يُدْركني عطاءُ عمر بعدها، فماتت قبل العطاء.

= الخفاء ١/ ٢٦٣، ٥٦٤.

(١) الشعر والشعراء ٦٦٣، والاستيعاب (٢٩١٣)، والأغاني ٢١/ ٢٠٥، والمنتظم ٤/ ٢٩٩، والإصابة ١/ ٤٦٤.

(٢) في (ك) وهي التي زوجها رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، ثم رآها رسول الله فأعجبته، فطلقها زيد، والمثبت من (أ) و(خ).

(٣) سلف في قسم السيرة.

وهي التي ذكرتها عائشة في حديث الإفكِ وقالت: وهي التي كانت تُسامِيني من أزواجِ رسولِ الله ﷺ، فعصمها الله بالوَرَعِ، ولم أرَ امرأةً أكثرَ خيراً ولا صدقةً منها، ماعدا سَوْرَةً من حِدَّةٍ كانت فيها، يُوشكُ منها الفيئَة، أي: الرجوع[١].

وكانت زينب تُسمّى أُمَّ المساكين؛ كانت تعملُ بيدِها وتتصدَّقُ به على المساكينِ.

وقال الواقدي: أطعمها رسول الله بخيبر ثمانين وَسْقاً من تمرٍ، وعشرين وَسْقاً من قمحٍ، ويقال، من شعير.

وقال ابن سعد بإسناده عن سالم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ يوماً وهو جالسٌ مع نسائهِ: «أطوَلُكنّ باعاً أسْرَعُكُنَّ لُحوقاً بي»، فكُنَّ يتطاوَلْنَ إلى الشيء، وإنَّما عنى رسولُ الله ﷺ بذلك الصدقةَ، وكانت زينب امرأةً صَنعاً، فكانت تتصدَّقُ به، وكانت أسرعَ نسائهِ لحوقاً به[٢].

وقال ابن سعد بإسناده عن موسى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حارثة بن النعمان، عن أبيه، عن أُمِّه عَمْرَةَ، عن عائشة قالت: يرحمُ اللهُ زَينب بنت جَحش، لقد نالت في هذه الدنيا الشرفَ الذي لا يَبلغه شرفٌ؛ إنَّ الله زوَّجها نبيَّه ﷺ في الدنيا، ونطق به القُرآنُ، وإنَّ رسول الله ﷺ قال لنا ونحن حوله: «أسرعُكُنّ بي لُحوقاً أطولكنَّ باعاً»، بشَّرها رسول الله ﷺ بسرعةِ لحوقِها به، وهي زوجتُه في الجنَّة.

وفي روايةِ ابن سعدٍ عن عائشة قالت: فكنّا إذا اجتمعنا في بيتِ إحدانا بعد رسولِ الله ﷺ نمدُّ أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعلُ ذلك حتى تُوفّيت زينبُ، وكانت امرأةً قصيرةً، ولم تكن أطْوَلَنا، فعرفنا حينئذٍ أنّما أراد بطول اليد الصدقةَ والخيرَ.

قالت: وكانت امرأةً صَناعَ اليد، فكانت تَدبُغ وتَخْرُزُ، وتتصدَّق به في سبيلِ الله.

وروى ابن سعدٍ عن الواقدي بإسناده قال[٣]: لمّا حَضرتها الوفاةُ قالت: إني

(١) أخرجه مسلم (٢٤٤٢)، ومن قوله: وقد ذكرنا جميع ذلك... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).
(٢) من قوله: وقال ابن سعد... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).
(٣) من قوله: وفي رواية ابن سعد... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

أعدَدْتُ كَفني، وإن عمر سيَبعثُ إليَّ بكَفنٍ، فإن بعث فتصدَّقوا بأحدِهما[١].

وقال هشام: ولما ماتت بعث إليها عمرُ بخمسةِ أثوابٍ، وقال: كفنها وغسَّلها أزواجُ رسولِ الله ﷺ، وحُمِلت على السرير الذي حُمِل عليه رسول الله وأبو بكر.

وقال ابن سعد بإسناده عن الواقدي: لمّا أرسل إليها عمرُ بالمال وفرَّقَتْه قال: هذه امرأةٌ يُرادُ بها الخيرُ، ثم جاء فوقف على بابِها، وأرسل إليها بالسلامِ وقال: قد بَلَغني ما فَرَّقتِ، وأرسلَ إليها بألفِ دِرهم، وقال: أنفقيها، فسلكت بها سبيلَ ذلك المال.

قال الواقدي: ولما احتُضِرت بعث إليها عمر بخمسةِ أثوابٍ من الخزائن، يَتخيَّرها ثوباً ثوباً، فكُفِّنت فيها، وتصدَّقت عنها أُختُها حَمْنةُ بكَفَنها الذي أعدّته تتكفَّنُ فيه[٢]، وقالت عائشة رضي الله عنها: لقد ذهبتْ زينبُ حَميدةً فَقيدة مَفزَع اليتامى والأرامل.

قال الواقدي: وماتت في يوم صائفٍ، فمشى عمرُ في جَنازتها، وصلّى عليها وكبَّر أربعاً، وضرب على قبرها فُسْطاطاً لأجل الحَرِّ، فقالوا لعمر: مَن ينزِلُ في قبرِها؟ فقال: مَن كان يدخلُ عليها في حياتها، وهو أَوَّل فُسطاطٍ ضُرِبَ على قبرِ امرأةٍ بالمدينةِ. ودُفنِت بالبَقيع، ونزل في قبرِها محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي، وهو ابنُ أُختِها، وهو السجَّادُ، قُتِل مع أبيهِ يوم الجمل، وأُسامةُ بن زيدٍ وكان مَحْرماً لها؛ لأنها كانت زوجةَ أبيه، وأبو أحمد بن جَحْشٍ، وكان ضريراً وهو أخوها، فرآه عمر وهو يروم [حَمْل] سريرها وهو يَبكي، فقال له عمر: تنحَّ يا أبا أحمد عن السرير، لا يَبْغتك الناس، فقال: يا عمر، هذه التي نِلْنا بها الشرفَ في الدنيا والآخِرةِ، وإنَّ هذا يُبْرِدُ حرَّ ما أجدُ، فقال له عمر: الزمْ الزمْ.

قال الواقدي: وماتت في سنة عشرين، ووقف عمر بن الخطاب على قبرِها، والأكابرُ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ على أرجُلهم، وأمر عمرُ محمَد بنَ عبد الله بن حجشٍ ومَن سمَّيْنا فنزلوا في قبرها.

وحكى ابن سعدٍ عن الواقدي، عن أشياخه قالوا: تزوَّج رسولُ الله ﷺ زينب بنت

---

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ١٠/ ١٠٤-١٠٥.

(٢) من قوله: وقال ابن سعد عن الواقدي... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

جحش لهلالِ ذي القعدة، سنةَ خمسٍ من الهجرةِ، وهي يومئذٍ بنتُ خمسٍ وثلاثين سنة، وتُوفِّيت سنةَ عشرين، وهي بنتُ ثلاثٍ وخمسين سنةً(١).

وقيل: ماتت سنة إحدى وعشرين وهي بنتُ إحدى وخمسين سنةً.

وليس في الصحابياتِ مَن اسمُها زينب بنت جَحْشٍ سواها، فأما غيرُ بنت جحشٍ فقد ذكرناهُنَّ في ترجمةِ زينب بنت رسولِ الله ﷺ.

وروت زينبُ عن رسول الله ﷺ أحد عشر حديثاً، أخرج لها في «الصحيحين» حديثين متفق عليهما، وأخرج لها أحمد في المسند ستَّة أحاديث.

والحديثان المتَّفقُ عليهما أخرجهما أحمد في «المسند» فقال بإسناده عن نافع، عن زينب بنت جحش قالت: قال رسولُ الله ﷺ على المنبر: «لا يَحِلُّ لامرأةٍ تُؤمِنُ بالله واليوم الآخرِ أن تَحُدَّ على ميِّتٍ فوق ثلاثِ ليالٍ، إلّا على زَوْجٍ أربعةَ أشهرٍ وعشراً»(٢).

والحديث الثاني قوله عليه السلام: «ويلٌ للعربِ من شرٍّ قد اقتربَ»(٣).

وأختها حَمْنَة بنت جَحْش، صاحبةُ الإفك، كانت تحت مُصعب بن عُمير، قُتل عنها يوم أحد، فتزوّجها طلحة بن عُبيد الله، فولدت له محمداً وعمران، وكُنيتها أمُّ حَبيبة(٤)، حضرت أُحداً تَسقي الماء وتُداوي الجَرْحى رحمها الله.

سعيد بن عامر

ابن حِذْيَم بن سَلامان بن ربيعة الجُمَحي، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، أسلم قبل غزاة خيبر، وشهد ما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وأُمُّه أَروى بنت أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شَمْس بن عبد مَناف، هاجر إلى المدينة، وولّاه عمر

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ١٠٦-١١١ ، وانظر أنساب الأشراف ١/ ٥٢٤ .

(٢) مسند أحمد (٢٦٧٥٤)، وصحيح البخاري (١٢٨٢) و(٥٣٣٥)، وصحيح مسلم (١٤٨٧) من طريق حميد بن نافع، عن زينب بنت أبي سلمة، عن زينب بنت جحش رضي الله عنها.

(٣) مسند أحمد (٢٧٤١٣)، وصحيح البخاري (٣٣٤٦)، وصحيح مسلم (٢٨٨٠). ومن قوله: وليس في الصحابيات من اسمها زينب... إلى هنا ليس في (أ) و(خ)، ومن هنا إلى بداية السنة (٢١هـ) ليس في (ك).

(٤) بل هي كنية أختها، انظر طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٣٠ ، والتبيين ٥٠٨ ، والإصابة ٤/ ٢٧٥ ، والاستيعاب (٣٢٦٠).

رضوان الله عليه حمصَ وما يليها من الشام.

أرسل عمر رضوان الله عليه إلى سعيد بن عامر فقال: إنّا مُستعملوك على هؤلاء، تَسيرُ بهم إلى أرض العدوّ، فتَجاهدونهم، فقال: يا عمر، لا تَفتِنّي، فقال عمر رضوان الله عليه: لا والله لا أَدَعُكُم، جعلتموها في عُنقي ثم تخلَّيتُم عني، إنما أبعثُك على قومٍ لستَ بأفضلهم، ولستُ أبعثُك لتضربَ أبشارهم، ولا لتهتك أعراضَهم، ولكن لتُجاهدَ بهم عَدُوَّهم، وتَقسم بينهم فَيْئَهم.

فقال: يا عمر، اتَّقِ الله، أحبَّ لأهل الإسلام ما تُحبُّ لنفسِك، وأقم وَجهَك وقضاءَك لمَن استَرعاك الله من قريب [المسلمين وبعيدهم]، ولا تَقضِ في أمرٍ واحدٍ قضاءين، فيَختلِفَ عليك أمرُك، وتُنْزَعَ عن الحقّ، والزم الأمرَ ذا الحُجَّة يُعِنْك الله على ما ولّاك، وخُضِ الغَمرات إلى الحقّ حيث عَلمتَه، ولا تَخشَ في الله لَوْمَةَ لائم.

فقال عمر رضوان الله عليه: وَيحك يا سعيد، ومَن يُطيق هذا؟ فقال: مَن وَضع الله في عُنقه مثلَ الذي وَضع في عُنقك، إنما عليك أن تَأمُرَ فيُطاع أمرُك، أو يُترك فتكون لك الحُجَّة، فقال عمر رضوان الله عليه: إنا سنجعل لك رزقاً، قال: لقد أُعطيتُ ما يكفيني دونه ـ يعني عطاءه ـ وما أنا بمُزْدادٍ من مال المسلمين شيئاً.

وكان إذا خرج عَطاؤه نظر إلى قُوتِ أهلِه من طعامهم [وكسوتهم وما يصلحهم فيعزله، وينظر إلى بَقيّته فيتصدّق به، فيقول أهله: أين بقيّة المال؟] فيقول: أقرضتُه، فأتاه نَفرٌ من قومه فقالوا: إن لِأَهْلِكَ عليك حقاً، وإن لأصهارِك عليك حقاً، فيقول: ما أستأثر عليهم، إن يدي لمع أيديهم، وما أنا بطالبٍ رِضى أحدٍ من الناس بطلبي الحورَ العين، لو اطّلعت واحدةٌ منهنّ لأشرقت لها الأرض، [وما أنا بمتخلّفٍ عن العُنُق الأول]بعد إذ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يجيء فقراء المهاجرين يَزفّون كما يَزفُّ الحمام، فيقال لهم: قِفُوا للحساب، فيقولون: والله ما تَركنا شيئاً نُحاسَب عليه، فيقول الله: صدق عبادي، فيدخلون الجنةَ قبل الناس بسبعين عاماً».

وقال خالد بن معدان: ولّى عمر رضوان الله عليه سعيد بنَ عامر حمص، فبلغه فقرُه وفاقتُه، فبعث إليه بألف دينار، فتصدق بها، فقالت له زوجتُه: هلّا تصدَّقتَ علينا منها بشيءٍ، فنحن أَفقرُ الناس، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لو اطّلعت امرأةٌ

من نساء الجنة إلى الأرض لملأتها ريحَ المسك»، وإني والله ما أختارها عليك، فرضيتْ.

ولما أتى عمر رضوان الله عليه الشام طاف كُوَرَها، وبعث إلى حمص قال: اكتبوا لي فُقراءكم فكتبوا إليه أَساميهم، فكتبوا له اسمَ سعيد بنِ عامر، فلما رأى اسمَه قال: مَن سعيد بنُ عامر؟ قالوا: أميرُنا، قال: وأين عَطاؤه؟ قالوا: لا يُمسك منه شيئاً، فبكى عمر رضوان الله عليه، وبعث إليه بألف دينار، فجعلها كالصُّرَر في مِخلاة، واعترض جيشاً من المسلمين، ففرَّقها فيهم.

وكان يَمضي عليه الشهر لا يَصعد من بيته دُخان.

وشكا أهلُ حمصَ سعيد بنَ عامر ﷺ، قالوا: نَشْكُو منه أربعاً، لا يَخرج إلينا حتى يَتعالى النهار، ولا يُجيب أحداً بليل، وله يومٌ في الشهر لا يَخرج إلينا، ويُغْنَظُ الغَنظَةَ بين الأيّام[1]، فسأله عمر رضوان الله عليه عن ذلك فقال: والله إني لأكره ذِكرَ ذلك.

أمّا كوني لا أَخرجُ حتى يَتعالى النهار، فإنه ليس لي خادم، فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يَختمر، ثم أخبز خُبزي، ثم أتوضأ وأخرج إليهم، وأما كوني لا أُجيبهم بليل، فإني جعلتُ لهم النهار، وجعلت الليل لله، وأما كوني لا أخرج إليهم يوماً في الشهر، فإنه ليس لي خادم يغسل ثيابي، ولا لي ثوب غير الذي عليّ، فأغسِله وأجلس حتى يَجفّ، وألبسَه، ثم أخرج إليهم، وأما الغنظة فإني شهدتُ مَصرَعَ خُبَيب الأنصاري بمكة، وقد بَضَعت قُريش لحمه، ثم حملوه على جِذع وقالوا: تُحبُّ أنّ محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي ومالي وأن محمداً شِيك بشوكة، ثم نادى: وامحمداه، فما ذكرتُ ذلك اليوم وتركي نُصرته في تلك الحال إلا ظننتُ أن الله لا يَغفر لي الذّنبَ أبداً، فتُصيبني تلك الغنظة، فقال عمر رضوان الله عليه: الحمد لله الذي لم يُفَيّل فراستي فيك.

وبعث إليه بألف دينار وقال: استَعِنْ بها على أمرِك، ففرَّقها في الأرامل

(١) يعني يغمى عليه، وتأخذه موتة.

والمساكين، فقالت له زوجته: ألا تَشتري لنا خادماً؟ قال: [بِمَ؟] قالت: فما فعل ذلك المال؟ فقال: سيأتيك أحوجَ ما تكونين إليه، وله صحبة ورواية ولم يُعقب رضي الله عنه[1].

عُوَيْم بن ساعِدة بن عائِش

أبو عبد الرحمن الأنصاري، من الطبقة الأولى من الأوس، وأمُّه عميرة بنت سالم ابن عَوف، وكان من النَّفَر الثمانية الذين لَقوا رسول الله ﷺ بمكة قبل العَقَبة الثانية، وأسلموا ثم شهدوا العقبة الثانية، فشهدوا العَقَبتَيْن.

وآخى رسول الله ﷺ بين عُوَيم وحاطب بنِ أبي بَلْتَعة، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة: ١٠٨].

وهو أوّلُ من استنجى بالماء، وهو أحدُ الرَّجُلَين الذين لقِيا أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما يوم السَّقيفة، أسند الحديث عن رسول الله ﷺ[2].

عِياض بن غَنْم

ابن زهير بن [أبي] شدّاد بن ربيعة الفِهري، من الطبقة الثالثة من المهاجرين، أسلم قبل الحُدَيبية، وشهدها مع رسول الله ﷺ، وكنيته أبو سعد، وكانت عنده أمّ الحكم بنت أبي سفيان، فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[الممتحنة: ١٠] طلّقها، فتزوّجها عبد الله بن عثمان الثقفي، فولدت له عبد الرحمن بن أمّ الحكم.

شهد عياض فُتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهو من رهط أبي عبيدة رضي الله عنه، وله الفتوح الكثيرة بالشام والجزيرة، وهو أولُ مَن جاوزَ دَرْبَ الروم غازياً، وكان على حمص.

وكان جَواداً سمحاً، يُعطي ما يَملك لا يعدوه إلى غيره، ولما حَضرتْ أبا عبيدة الوفاةُ ولّاه عملَه الذين كان يليه، فلما نُعي أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنهما استَرجع، وأكثر الترحُّمَ عليه، وقال: من الذي استخلف على عمله؟ قالوا: عِياض، فأَقرّه.

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٩٠ و٩/ ٤٠٢، والاستيعاب (٨٧٨)، وتاريخ دمشق ٧/ ٢٧٤ (مخطوط)، وحلية الأولياء ١/ ٢٤٤، والمنتظم ٤/ ٣٠١، والتبيين ٤٥٩، والإصابة ٢/ ٤٨، وما بين معكوفين منها.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٤، والاستيعاب (٢٠٣٩)، والاستبصار ٢٧٩، والإصابة ٣/ ٤٤، والسير ١/ ٥٠٣.

وجاءه غُلامه فقال: ليس عندنا ما نَتغدّى به، فقال: خُذْ هذا الثوب، فبِعْه واشترِ به دقيقاً، قال: أفلا تَقترضُ خمسةَ دراهم من هذا المال الذي في ناحيةِ بيتك إلى غدٍ، ولا تبيع ثوبَك، فقال: والله إني لأُدخل يدي في جُحْر أفعى فتنال مني؛ أحبُّ إليّ من أن أُطْمِعَ نفسي في هذا الذي تقول.

وقيل لعمر رضوان الله عليه: إنه يُبذّر المال، وإنما عزلتَ خالد بن الوليد لتَبذيره، ولأنه كان يُعطي الناس دونك! فقال: إن سَماحَ عِياضٍ في ذات يده حتى لا يُبقي من ماله شيئاً، فإذا بلغ إلى مال الله لم يُعط منه شيئاً، مع أني لم أكن لأَعزلَ أميراً أمّره أبو عبيدة.

ولما وَلي حمص قَدم عليه نفرٌ من أهل بيته يَطلبون صِلتَه، فأنزلهم وأكرمهم، وكانوا خمسة، فدفع لكلٍّ واحدٍ منهم عشرة دنانير، فسخطوا ونالوا منه، فقال: إني ما أُنكرُ قَرابتَكم، ولا بُعدَ شُقَّتكم وحقَّكم، ولكن والله ما خَلَصتُ إلى ما وُصلتم به إلا ببيعِ خادمي، وبيع ما لا غِنى لي عنه، فاعذروني، فقالوا: [إنك والي نصف الشام، وتعطي الرجل منا ما جهده أن يبلغه إلى أهله! قال: فتأمروني أسرق مال الله؟!] والله لأن أُشَقَّ بالمناشير أحبُّ إليَّ من أن أَخُونَ فَلساً وأتعدّى، فقالوا: قد عَذَرْناك في ذات يدك، فوَلِّنا أعمالاً من أعمالك، نُؤدّي إليك ما يُؤدّي الناس، ونُصيبُ من المنفعة ما يُصيبون، قال: أخافُ عَتَبَ عمر، وأن يقول: ولَّيتَ نفراً من قومك، قالوا: فقد وَلّاك أبو عبيدة، وأنت في القرابة بحيث أنت، وأنفذ لك عُمرُ ذلك، فلو وَلّيتَنا أنفذه، فقال: إني لستُ عنده كأبي عُبيدة، فانصرفوا وهم لائمون له، غير عَاذرين.

ومات عياض ولا مال له، ولا دَين عليه، وكان شريفاً في قومه، وذكره ابن قيس الرُّقَيّات في أشراف قريش فقال: [من الخفيف]

وعِياضٌ وما عياضُ بنُ غَنْمٍ ‌ ‌ ‌ كان من خيرِ مَن أَجَنَّ النّساءُ[1]

وكان أحد الأمراء والولاة باليرموك، وله صحبة ورواية ﵁، وتوفّي وهو ابن ستين سنة[2].

---

(١) ديوان عبيد الله بن قيس ٩٤، والاستيعاب (١٩٣٩)، والتبيين ٤٩٥، وتاريخ بغداد ١/ ١٨٤.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٩٤ و٩/ ٤٠٢، وتاريخ دمشق ٥٦/ ٤٣١، والمنتظم ٤/ ٣٠٣، والسير ٢/ ٣٥٤، والإصابة ٣/ ٥٠.

أبو الهيثم بن التَّيِّهان

واسمه مالك بن عمرو بن زعوراء(١) الأنصاري، من الطبقة الأولى من الأنصار، حَليفُ بني عبد الأشهل، وهو أحد النُّقَباء الاثني عشر، وأمُّه ليلى بنت عَتيك، خَزرجيّة، وهو أول من أسلم من الأنصار بمكة، وهو من الثمانية الذين لَقوا رسول الله ﷺ قبل قومهم وأسلموا، وقَدِموا المدينة وأظهروا الإسلام.

شهد العَقَبتَيْن وبدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عُثمان بنِ مَظْعون رضي الله عنه، وبعثه إلى خيبر يخرص التمر، بعدما استُشهد عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه بمُؤْتَة، فلما توفي رسول الله ﷺ بعثه أبو بكر رضوان الله عليه فأبى، فقال: قد خَرَصتَ التمر للنبي ﷺ! فقال: كنتُ إذا خَرصْتُ لرسول الله ﷺ ورجعتُ دعا لي بالبركة، فتركه، وله صُحبة ورواية رضي الله عنه(٢).

أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث

أنصارية، أسلمت، وبايعت، وجمعت القرآن، فأذن لها رسول الله ﷺ أن تَؤمَّ نساءَ أهلِ بيتها، وكان لها مُؤذِّن، وكان رسول الله ﷺ يَزورُها، ويسمِّيها الشّهيدة، فلما أراد رسول الله ﷺ الخروجَ إلى بدر استأذنَتْه في الخروج معه، وقالت: يا رسول الله أخرجُ معك فأداوي الجَرحى، وأقوم على المَرْضى، لعل الله أن يَرزُقَني الشهادة، فقال: «إن الله مُهديها إليك».

وكانت أعتقتْ جاريةً لها وغلاماً عن دَبرٍ منها(٣)، فطال عليهما الأَمَد، فغمّاها في قَطِيفةٍ حتى ماتت وهربا.

فأُتي عمر رضوان الله عليه، فأُخبر الخبر، فقام في الناس فقال: إن رسول الله ﷺ كان يزور أمَّ ورقة ويقول: «انطلقوا نزور الشهيدة»، وصدق رسول الله ﷺ، وإن جاريتها وغلامَها غمَّاها ثم هربا، فلا يُؤويهما أحدٌ، ومَن وجدهما فليأت بهما،

(١) في (أ) و(خ): زيد، والمثبت من مصادر ترجمته، وليس في أجداده من اسمه زيد.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤١٢، ٥٦١، والمعارف ٢٧٠، والاستيعاب (٣١٨١)، والمنتظم ٤/ ٣٠٥، والاستبصار ٢٨٨، والسير ١/ ١٨٩، والإصابة ٤/ ٢١٢.

(٣) في (أ) و(خ) عن دَين منها، وهو خطأ، والمثبت من مصادر الترجمة، يعني أعتقتهما بعد موتها.

فصَلبهما، وكانا أوَّلَ مَصلُوبَيْن في الإسلام بالمدينة[١].

فصل: وفيها مات هِرَقْل بالقُسطَنْطينية، وهو الذي كاتبه رسول الله ﷺ في سنة ستٍّ من الهجرة بعد الحُدَيبية، وهو الذي هرب من الشام إلى القُسطنطينية، وفُتح الشام في أيامه، وقام بعده ولده قسطنطين.



(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٤٢٤، والاستيعاب (٣٥٨٩)، والمنتظم ٤/ ٣٠٥، والاستبصار ٣٥٨، والإصابة ٤/ ٥٠٥، وتهذيب الكمال (٨٦١٤)، وفروعه.

السنة الحادية والعشرون

وفيها بثَّ عمر جيوشَه في العراق في طلب يَزدَجِرد، وكتب إلى عُمَّاله بالعراق: اطلبوه، وعقد لنُعَيم بن مُقَرّن على هَمَذَان، وبعث عُتْبة بن فَرْقَد وبُكَيْر بن عبد الله إلى أَذْربيجان، وأمدَّهما بأبي موسى، فالتقى نُعَيم بن مُقَرِّن بطائفةٍ من الأعاجم، فاقتتلوا وانْهَزَمت الفرس، وفتح أصبهان وغيرها، وجدّ في طلب يَزدَجِرد(١).

وقيل: إن غزاة نهاوند كانت في هذه السنة، وقد ذكرناه(٢).

وفيها ولّى عمرُ الكوفةَ عمار بنَ ياسر، وابنَ مسعود بيتَ مالها، وعثمان بنَ حُنَيف مَساحةَ الأرض، وسلمانَ المدائنَ.

قال حارثة بن مُضَرّب: قُرِىء علينا كتابُ عمر بنِ الخطاب: أما بعد، فإني قد بعثتُ إليكم عمار بنَ ياسر أميراً، وابنَ مسعود مُعلّماً ووزيراً، وعلى بيت مالكم، وإنهما من النُّجَباء من أصحاب محمدٍ من أهل بدرٍ، فاسمعوا لهما وأطيعوا، واقتدوا بهما، وقد آثرتُكم بابنِ أمِّ عَبْدٍ على نفسي، ووَلَّيتُ حُذَيفة بنَ اليمان ما سَقَت دجلة، ووَلَّيتُ عُثمان بن حُنَيف الفرات، وما سقى أذربيجان، ورِزقُهم كلَّ يومٍ شاةٌ، فاجعلوا شَطْرها وبطنَها لعمار، والشَّطرَ الثاني بين هؤلاء الثلاثة.

ثم قال عمر رضوان الله عليه: ما أرى قريةً يُؤخَذُ منها كلّ يومٍ شاةٌ إلا سريعاً في خرابها.

وأمَر عثمان بن حُنَيْف بمساحة سَقْي الفرات، فمسح الكُور والطَّسَاسيج بالجانب الغربي من دجلة، وكان [أولها] كورة فيروز ـ وهي طَسُّوج الأنبار ـ وكان أوَّل السَّواد شُرباً من الفُرات، ثم طسُّوج مَسْكِن، وهو أوَّلُ حُدود السَّواد في الجانب الغربي من دجلة، وشُرْبُه من دُجَيل، ويَتْلُوه طَسُّوج قُطْرَبُّل، وشُربُه أيضاً من دُجَيْل، ثم طسوج بادوريا، وهو طسوج مدينة السَّلام، وكان أجلَّ طَسَاسيج السَّواد جميعاً، وكان كل

(١) انظر تاريخ الطبري ٤/ ١٣٨ ، والمنتظم ٤/ ٣٠٧ ففيهما تفصيل أوضح مما هنا.
(٢) في سنة (١٨هـ).

طسوج يَتقلَّدُه فيما تقدّم عاملٌ واحد، سوى طسوج بادوريا، فإنه كان يَتقلَّدُه عاملان؛ بجلالته وكَثرةِ ارتفاعه، ولم يزل خطيراً عند الفُرس، ومُقَدَّماً على ما سواه(١).

ولما مسح عثمان بنُ حُنَيْف الأرض جعل على جَريب الكَرْم عشرة دراهم، وعلى جَريب النَّخْل خَمسةَ دراهم، وعلى جَريب القَضْبِ ستَّةَ دراهم، وعلى جَريب البُرِّ أربعةَ دراهم، وعلى جَريب الشعير دِرهمين.

وقال الشعبي: مسح عُثمانُ السَّواد فوجده ستَّةً وثلاثين ألفَ ألف جَريب، فوضع على كلِّ جَريب درهماً(٢).

ذكر السواد(٣)

قال الجوهري: سوادُ الكوفةِ والبصرةِ: قُراهما(٤).

وقال أبو عُبيد: إنَّما سُمِّيَ السوادُ سواداً؛ لأن العربَ لمّا خَرَجوا من البَرِّيَّةِ نَظروا إلى مثلِ الليلِ من النَّخْلِ والشجرِ، فسمّوه سواداً، وهم يُسَمُّون الخُضرَةَ سواداً، ومنه قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾[الرحمن: ٦٤] أي: خضراوان من الريّ يميلان إلى السوادِ.

واختلفوا في حدِّ السوادِ الذي وقع عليه الخراجُ، فقال أبو عُبيد: هو من تُخومِ المَوْصِلِ ماداً مع الماء إلى ساحلِ البحرِ من عَبَّادان وشرقي دِجْلَةَ، هذا طولُه، وأمَّا عَرْضُه فحدُّه مُنْقَطَعُ الجبلِ من أرضِ حُلْوان إلى منتهى طرفِ القادسية المتَّصلِ بالعُذَيْبِ من أرضِ العرب(٥).

والأصحُّ ما ذكره أصحابُنا قالوا: هو ما بين العُذَيب إلى عَقبة حُلْوان عَرْضاً، ومن العَلْث إلى عَبَّادان(٦).

(١) تاريخ بغداد ١/ ١٧٠، والمنتظم ٤/ ٣٠٨.
(٢) تاريخ بغداد ١/ ١١، والمنتظم ٤/ ٣٠٩، ومن قوله: قال حارثة بن مضرب... إلى هنا ليس في (ك).
(٣) في (أ) و(خ): حد السواد.
(٤) الصحاح: (سود).
(٥) الأموال لأبي عبيد ص ٧٤، وتاريخ بغداد ١/ ١١-١٢، والمنتظم ٤/ ٣٠٩.
(٦) انظر بدائع الصنائع ٢/ ٥٠٣، وحاشية ابن عابدين ٤/ ١٧٧.

وقيل: من بَلَدٍ، قريةٌ بالمَوْصلِ، وقيل: طولُه مئةٌ وخمسون فَرْسَخاً، وعَرْضُه ثمانون فرسخاً، وقد ذكرنا فيما تقدَّم لمَ سُمّي العراق؟

وقال أبو مِجلَز(١): بعث عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عثمان بنَ حُنَيف، وأمره أن يَمسح السَّوادَ: عامرَه وغامِرَه، ولا يَمسح سَبخَه، ولا تِلالَه، ولا أُجُمه، ولا مُستَنقعَ ماء، ولا ما لا يَبلغه الماء، فمسح كلَّ شيء دون جَبل حُلوان إلى أرض العَرب، وهو أسفل الفرات، وكتب إلى عمر رضوان الله عليه: إني وجدتُ كلَّ شيءٍ يَبلُغُه الماء من عامرٍ وغامر، ستَّةً وثلاثين ألفَ ألف جَريب، وكان الذّراع الذي مَسح به السَّواد ذراعاً وقَبضة والإبهام مُضجعة.

فكتب إليه عمر رضوان الله عليه أن افرِض على كلّ جَريبٍ عامر وغامر عمله صاحبُه أو لم يَعمله درهماً وقفيزاً.

وفرض على الكرم على كلٍّ جَريب عشرة دراهم، وعلى الرِّطاب خمسةَ دراهم، وأطعمهم النَّخْل والشجر، وقال: هذا قُوَّةٌ لهم على عمارة بلادهم.

وفرض على رقاب أهل الذمّة: على الموسِر ثمانيةً وأربعين درهماً، وعلى مَن دون ذلك أربعة وعشرين درهماً، وعلى مَن لا يجد اثني عشَر درهماً، فحُمل خراجُ العراق سوى الكوفة إلى عمر رضوان الله عليه أوّل سنة ثمانون ألف ألف درهم، وحُمل من قابل عشرون ومئةُ ألف ألف درهم، فلم يزل على ذلك.

وجباه عمر بن عبد العزيز ﷺ مئة ألف ألف درهم، وأربعة وعشرون ألف ألف درهم، وكان الحَجاج قد جَباه مئة ألف ألف درهم وثمانية عشر ألف ألف درهم، وكان قد منع من ذَبْح البقر؛ ليَكثر الحرث والزرع والرَّيْع، فقال الشاعر: [من المتقارب]

شَكونا إليه خرابَ السَّوادِ فحَرَّمَ فينا لحومَ البَقَرْ(٢)

وقال عمر رضوان الله عليه لعثمان بن حُنَيْف وحُذيفة بن اليَمان: أخافُ أن تكونا حَمَّلْتُما الأرضَ فوق طاقتها، فقال عثمان: لو شئتُ لأضعفتُ أرضي، وقال حُذيفة

(١) من هنا إلى قوله وفيها ضرب عمر الدنانير، ليس في (ك).

(٢) المنتظم ٤/ ٣٠٩-٣١٠، والبيت في الأغاني ١٦/ ٣٧٨، وجمهرة الأمثال ١/ ١٤٣، والأوائل ١/ ٢٤٦.

مثلَ ذلك، فقال عمر رضوان الله عليه: والله، لئن عشتُ لأدعنَّ أراملَ أهلِ العراق لا يَحتجْنَ إلى أحدٍ بعدي أبداً.

ووضع عمر رضوان الله عليه عن أهل السَّواد الرّقَّ بالخراج الذي وَضعه عليهم، وجعله أكرة في الأرض.

ولما فتح المسلمون السواد قالوا لعمر رضوان الله عليه: اقسِمْه بيننا فأبى، فقالوا: إنا فتحناه عَنوة، قال: فما لمَن جاء بعدكم من المسلمين، أخافُ أن يُفتتنوا ويَقتتلوا، ويتقاعدوا عن الجهاد، فأقرّ أهلَ السَّواد في أرضهم، وضرب عليهم الضَّرائبَ في الخراج.

وكان سواد العراق يُجبَى في زمن الفُرس مئة ألف ألف وخمسين ألف ألف درهم، وقيل: إن الفرس كانت تَجبي خراجَ فارس أربعين ألف ألف مِثقال، وتَجبي كَرْمان ستين ألف ألف مثقال، لأنها كثيرةُ العيون متسعة، وفارس بلادٌ ضيّقة قليلة العيون، وكانت تَجبي خُوْزِسْتان خمسين ألف ألف درهم، ومن الجَبل إلى حُلوان ثلاثين ألف ألف درهم.

وأما خراج مصر فقد كان يُجبى في أيام فرعون ستة وستين[1] ألف ألف دينار، وجباها عبد الله بن الحَبْحَاب في أيام بني أمية ألفي ألف وسبع مئة ألف وثلاثة وعشرين ألف وسبعة دنانير.

وأما الشام والعواصم وقِنَّسْرين فقد كان خراجها أربع مئة ألف دينار، وكذا الجزيرة، وأما الموصل وما والاها فقالوا: أربعة آلاف ألف دينار، وثلاثة وعشرون ألف دينار.

وفيها ضَرَبَ عمر الدنانير والدراهمَ على نُقوشِ الأكاسرة، وجعل عليها: لا إله إلّا الله، وعلى بعضِها محمد رسول الله، وعلى بعضِ الدراهم عمر، وقيل: إنّما ضَرَبَ الدراهم لا غَيْر.

وفيها غزا عمرو بنُ العاصِ بَرْقَةَ، وانتهى إلى طرابلس، وصالح أهلَها على مالٍ.

---

(١) في المنتظم ٤/ ٣١٠: ستة وتسعين.

وفيها وُلد الحسنُ البصريُّ وعامِرٌ الشَّعبيُّ.

وفيها عزل عمر مُعاويةَ عن دِمشق، وولّاه فِلسطين، وولّى دِمشقَ سعيد بن عامر بن حِذْيَم، وحجَّ بالناسِ عمر، واستخلف على المدينةِ زيد بن ثابت.

فصل وفيها تُوفي

حُممة بن أبي حُممة

وكُنيتُه أبو سلمة، وقال ابن عبد البَرِّ: ابن خالد الدَّوسي(١).

ذكره ابن سعد في آخرِ الطبقةِ الخامسةِ من الصحابةِ: حُممة، وكان عبداً صالحاً عابِداً خائفاً.

حدَّثنا غير واحدٍ عن أبي البركات الحافظ الأنماطي بإسناده عن عبد الأعلى بنِ عبد الله قال: كان في أصحابِ رسول الله ﷺ رجلٌ يُقال له: حُمَمَة، أصابته شَرارةٌ، فكان لا يضحك، فقيل له في ذلك فقال: واللهِ لا ضحكتُ حتى أعلم أفي الجنَّةِ أنا أم في النار؟

مات حُمَمَةُ بأصبهان في هذه السنة، قال ابن سعدٍ بإسناده قال: كان رجلٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ يُقال له: حُمَمَة خرج إلى أصبهان غازياً وفُتحت في خلافة عمر فقال: اللهمَّ إنَّ حُمَمةَ يزعمُ أنَّه يُحبُّ لقاءَك، فإن كان صادقاً فاعزم له بصِدْقهِ، وإن كان كاذِباً فاعزم له عليه وإن كره، اللهمَّ لا تَردَّ حُمَمَة من سَفرِه هذا، فمات بأصبهان، فقام أبو موسى فقال: ما بلغ علمُنا إلا أنَّ حُممةَ شهيد.

وحُمَمَةُ هذا الذي هبط وادياً وأقام فيه أربعين يوماً يُصلِّي، وسيأتي هذا في أخبارِ عامر بن عبد قيس، وحُمَمةُ هذا الذي بات عنده هَرِمُ بنُ حَيّان يبكي إلى الصباحِ، وسنذكرهُ في ترجمة هرم بن حيّان.

وليس في الصحابةِ من اسمُه حُمَمَةُ غيره، وله صحبةٌ وليس له رواية، وسنذكره في سنةِ ثمانٍ وستين(٢).

---

(١) الاستيعاب (٥٩٣) وليس فيه ما ذكر.

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٣١٩، وأخبار أصبهان ١/ ٧، والمنتظم ٤/ ٣١٢، وصفة الصفوة ١/ ٧٤٢، والإصابة ١/ ٣٥٥.

فصل وفيها تُوفي[١]

خالد بن الوليد

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم، من الطبقة الثالثةِ من المُهاجرين، وأُمُّه عصماء وهي لُبابةُ الصُّغرى بنتُ الحارث الهلاليّة، أُختُ لُبابةَ الكبرى أُمِّ الفَضْلِ زوجة العباس، وهي أيضاً أخت ميمونة زوج النبي ﷺ.

وقد ذكرنا إسلامَه، وأنَّه قَدِمَ على رسولِ الله مُهاجِراً ومعه عمرو بن العاص وعثمان ابن طلحة، وقد ذكرناه في السنة الثامنة.

وقال الواقدي: كان خالد يشبه عمرَ بنَ الخطاب في خلقه وصِفَتِهِ وهمّته، وكلَّم عَلقمةُ بنُ عُلاثة عمر بنَ الخطاب ليلةً في السَّحَرِ، فظنَّ أنه خالد لشَبَهِهِ.

وشهد خالدٌ مع رسولِ الله عامَ الفَتْحِ وحُنَيْناً والطائف وتبوكاً، وخرج معه في حَجَّةِ الوداع.

ولمّا حلق رسولُ الله ﷺ رأسَه ناوله شِقَّه الأيمنَ ـ وقيل: ناصيتَه ـ فجعلها في مُقَدّمة قَلَنْسُوَته، فما كان يلقى أحداً إلا هزمه.

قال الواقدي: ووقعت قلنسوته يومَ الحيرةِ، فغضب غضباً شديداً وقال: والله ما بي إلا شَعَرُ رسولِ الله ﷺ[٢].

وثبت خالد يوم مُؤْتَة، وحمل اللواءَ، وتثلَّمت في يده تسعةُ أسيافٍ في ذلك اليوم أو ثمانية، وسمَّاه رسولُ الله ﷺ سيف الله، وقد ذكرناه في غَزاةِ مُؤتة.

وذكر ابن أبي الدنيا عن رجلٍ قال: كُنْتُ في عسكرِ خالد، فذهبتُ فجئتُ بزِقٍّ من أجودِ الخمرِ، فلقيني خالد فقال: ما هذا؟ قلتُ: خَلٌّ، فقال: جعله اللهُ خَلاً ـ أو قال: خلٌّ إن شاء الله ـ قال: فجئتُ ففتحتُه عند أصحابي، فإذا به خَلٌّ[٣].

---

(١) من قوله: مات حمة بأصبهان... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٥ـ٣٦ .

(٣) التبيين ٣٤٧ ، وهو بنحوه في مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا (٥٢).

وذكر ابن سعد بمعناه بإسناده عن محاربِ بن دِثار قال: قيل لخالد بن الوليد: إنَّ في عسكرك مَن يشربُ الخمَر، فركب دابَّته وجال في العسكرِ، فلقي رجلاً على مَنْسِج فَرَسِه زقُّ خمرٍ، فقال: ما هذا؟ قال: خَلٌّ، فقال خالد: اللهمَّ اجْعَلْهُ كذلك، قال: فجاء الرجلُ إلى أصحابه فقال: قد أتيُتكم بخمرٍ ما شرِبتِ العربُ مثله، فلما فتحوه وإذا به خَلٌّ، فقالوا: ما جئتَنا إلّا بخَلٍّ، فقال: هذه دعوةُ خالد[١].

وخالد رضي الله عنه سيفٌ من سيوف الله، ذو الفضائل الكثيرة، والمناقب الجميلة، ميمون النَّقيبة، فلّ الله به أهلَ الرّدّة، وفتح الفتوح، ونَصر به الدّين، وكان من أشراف قريش في الجاهلية، كانت إليه القُبَّة والأَعِنَّة، أما القُبَّة فقبة كانوا يَنْصبونها إذا أرادوا الحرب، يُديرون فيها أمرَ حربهم، وأما الأَعِنَّة فأعنة الخيل يكون على خيلهم.

ولم يزل منذ أسلم يُوَلّيه رسول الله ﷺ أَعِنَّة الخَيل، فيكون في مُقَدّمتها في نحر العدوّ، وولّاه أبو بكر رضوان الله عليه قتال أهل الردّة، وحربَ أهل العراق، فيقال: إنه لَقي ثلاثين زَحْفاً، وفتح الحِيرةَ والأنبار وعيْن التَّمْرِ وأماكن كثيرة، ثم بعثه أبو بكر رضوان الله عليه إلى الشام، وأمَّره على جميع مَن به من المسلمين، وكان مُجابَ الدَّعوة[٢].

وقال الزبير بن بكار: كان خالد في مقدمة رسولِ الله ﷺ بعدما هُزِمَت هوازن، فجُرِحَ في رِجْله، فنفث على جُرحه فبرىء.

ذِكْرُ وفاته: قال ابن سعدٍ بإسناده أن خالد بن الوليد لما احتُضِرَ بكى وقال: لقد لقيتُ كذا وكذا زَحْفاً، وما في جَسَدي شِبْرٌ إلّا وفيه ضَرْبةٌ بسيفٍ، أو رَمْيةٌ بسهمٍ، أو طعنةٌ برمحٍ، وها أنا أموتُ على فِراشي حَتْفَ أنفي كما يَموت العَيْرُ، فلا نامت أعينُ الجُبناء.

فحكى من غسَّله أنّه ما كان في جسمِهِ موضعٌ صحيح ما بين ضربةٍ بسيفٍ، أو طعنة برُمحٍ، أو رمية بسهم.

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٠ـ٤١، ومن قوله: وذكر ابن أبي الدنيا... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) من قوله: وخالد سيف من سيوف الله... إلى هنا ليس في (ك).

وقال ابنُ سعدٍ عن الواقدي: مات خالدٌ في بعضِ قُرى حمص، على ميلٍ من حمص، سنة إحدى وعشرين(١)، وهذا قول عامة المؤرخين.

واعتزل خالد رضي الله عنه بثَغْر حمص، فأقام فيه مُرابِطاً وحَبس خيلاً وسلاحاً في سبيل الله، ولم يزل مُرابِطاً بحمص حتى نزل به الموت، فدخل عليه أبو الدرداء عائداً له، فقال له: إني قد حبستُ خيلي وسلاحي في سبيل الله، وتُعْلَفُ من مالي، وداري بالمدينة صدقة حبسٌ لا تُباع ولا تُورث، وقد كنتُ أشهدتُ عليها عمر ليالي قَدم الجابية، وهو كان أَمَرني أن أتصدَّق بها، ولنِعْمَ العَونُ هو [على] الإسلام.

والله يا أبا الدرداء، لئن مات عمر لتَرَينَّ أموراً تُنكرها، وقد كنتُ وَجَدتُ عليه في نفسي أموراً، لما تَدَبَّرتُها في مرضي هذا، وحَضرني ما ترى، عرفتُ أن عمر كان يُريد الله بكلّ ما فعل، وإني وَجدتُ عليه حين قاسَمَني مالي، فرأيتُه قد فعل ذلك بأهل السَّوابق ومَن شهد بدراً، وكان يُغلظ عليّ، وغِلظتُه على عُمَّاله أعظمُ، وكنتُ أُدِلُّ عليه بقرابتي، فرأيتُه لا يُبالي قريباً في الله، ولا لومةَ لائم، فذاك الذي أذهب ما كنتُ أَجِد، وقد جعلتُ وَصيَّتي وإنفاذَ عهدي إليه، فقدم بالوَصيَّة على عمر رضوان الله عليه فترحَّم عليه، وقبلها، وتزوج امرأتَه بعد(٢).

وهي التي حَسَده عليها قبل؛ لأنها امرأةُ مالك بن نُوَيْرة اليَربوعي، فلما تزوَّجها عمر تكلم المسلمون فيه، وقالوا: هذه والله العداوةُ والحقدُ والشغبة، فلم يُمتّع بها عمر رضوان الله عليه، ولم يَطِبْ بها نفساً، لأنها كانت مُمتنعة عليه، ومات عنها سريعاً.

وكان عمر رضي الله عنه قد نَقم على خالد رضي الله عنه أشياء، منها قتلُ بني جَذيمة في غزاة الفتح، وقتل مالك بن نُوَيْرة، وأخذُ امرأتِه، ودخولُه مسجدَ رسول الله ﷺ وفي عِمامته سِهامٌ فيها دَمٌ، وتحريقُ أهلِ الرِّدّة بالنار، فإنه حَرَّق منهم جماعةً شَتَموا رسولَ الله ﷺ بأقبحِ شَتْم، فقال لأبي بكر رضوان الله عليه: انزِع خالداً، فقد فعل وفعل، انزع رجلاً

(١) طبقات ابن سعد ٥/ ٣٤، ٣٩ و٩/ ٤٠١، وتاريخ دمشق ٥/ ٥٦٤، والمنتظم ٤/ ٣١٦.
(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٤١-٤٢.

قد عَذَّب بعذاب الله، فقال أبو بكر رضوان الله عليه: لا أَشِيْمُ سيفاً سَلَّه الله[١].

وقال جدي في «المنتظم» بإسناده إلى سيف بن عمر، عن مُبشِّر، عن سالم قال: حجَّ عمر، واشتكى خالد بعده وهو خارج المدينةِ زائِراً لأُمِّه، فقال لها: احدُروا بي إلى مُهاجَرَتي، فقَدِمَتْ به المدينةَ ومرَّضَتْه، فلما ثَقُلَ وأظَلَّ عمر، لَقِيه لاقٍ على مسيرةِ ثلاثةِ أيَّامٍ وقد صَدَر عمر عن الحج، فقال له عمر: مَهْيَمْ؟ فقال: خالدُ بنُ الوليد لما بهِ، فطوى ثلاثاً في ليلةٍ، فأدرَكَه حين قضى، فرقَّ عليه واسترجع، وجلس ببابه حتى جُهِّزَ، وبكته البَواكي، فقيل لعمر: ألا تَنْهَاهُنَّ؟ فقال: وما على نساء بني المُغيرة أن يَبكينَ أبا سليمان، ما لم يكن نَقْعٌ ولا لَقْلَقةٌ، فلما خرج بجنازته رأى عمرُ امرأةً مخزوميةً تبكيه وتقول[٢]: [من الخفيف]

أنتَ خيرٌ من ألفِ ألفٍ من النا … سِ إذا ما كُبَّت وُجوهُ الرجالِ
أشُجاعٌ فأَنْتَ أشْجَع من لَيْـ … ـثِ عَرِيْنٍ جَهْمٍ أبي الأشبالِ
أجَوادٌ فأنتَ أجْوَدُ من سيـ … ـلِ سحابٍ يسيلُ بين الجِبالِ

فقال عمر: مَن هذه؟ فقيل له: أُمُّ خالد، فقال: وهل قامتِ النساءُ عن مِثلِ خالد، والنَّقْعُ: الشَّقُّ، واللَّقْلَقة: الصوت، قال جدِّي: وهذا الحديثُ يدلُّ على أنَّه مات بالمدينة.

وحكى ابن سعدٍ، عن الواقدي، عن ابن عكرمة قال: عَجباً لقولِ الناس: إنَّ عمر كان يَنهى عن النَّوحِ! لقد بكى على خالدٍ بالمدينةِ، وبكى معه نساءُ بني المغيرة سبعاً[٣].

وقال الموفَّقُ في الأنساب عن محمد بن سلام قال: لم يَبْقَ امرأةٌ من نساءِ بني المُغيرةِ إلّا وضعت لِمَّتَها على قبرِ خالد، أي: حلقتْ رأسَها[٤]، وشَقَقْنَ الجيوبَ،

(١) من قوله: واعتزل خالد بثغر حمص... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) في (أ) و(خ): فلما خرج خرجت بجنازته امرأة وهي تتبرم وتقول، وفي المنتظم ٤/ ٣١٥، وتاريخ دمشق ٥/ ٥٦٢، والبداية والنهاية ١٠/ ١٣٨ (هجر): رأى عمر امرأة محتزمة تبكيه وتقول، وقال الذهبي في السير ١/ ٣٨١: إسناده ساقط.

(٣) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٤، ومن قوله: النقع الشق... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٤) التبيين ٣٤٧.

ولَطَمْنَ الخُدودَ وتطعمن الطعام ما نهاهُنَّ عمرُ[١].

وعامّةُ العلماء على أنه مات بحمص، كالواقدي وهشام والزبير بن بكّار وغيرهم.

قال الزبير بن بكار: قَدِم خالد المدينةَ معتَمِراً لمّا عزله عمر، ثم رجع إلى حمص فمات بها في سنةِ إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين، فلما بلغ عمرَ مَوْتُه ترحَّم عليه.

وكذا قال ابنُ سعدٍ عن الواقدي: قَدِم قومٌ من حمص على عمر، فسألهم عن خالدٍ فقالوا: مات خالد يوم خَرَجْنا منها، فجزع لموتهِ وبكى وترحَّم عليه، فقال له عليّ: فلِمَ عزلْتَه؟ فقال: لبَذْلهِ المال لأهل الشّرفِ وذي اللسان، فقال له عليٌّ: فكنتَ عزلتَه عن التَّبذير في المالِ، وتركتَه على الجُنْدِ، فقال: لم يكُنْ لِيَرْضى، فقال: كنتَ بَلَوْتَهُ[٢].

وفي رواية هشام[٣]: أن عمر لمّا بلغه وفاةُ خالدٍ بكى وترحَّم عليه وقال: كان واللهِ سَدادَ الثُّغور، مَيمونَ النَّقيبة، فقال له علي عليه السلام: فلمَ عزلتَه؟ فقال: ليعلم أن الله ناصِرُ المؤمنين، ولقد ثَلَمَ والله موتُه في الإسلامِ ثَلْمَةً لا تُرْتَقُ، وكذا ذكره جدّي في «التَّلقيح» وقال: لمّا عزله عمر لم يزل مُرابطاً بحمص حتى مات[٤].

وفي رواية ابن سعدٍ عن الواقدي أن عمر قال: لقد نَدِمْتُ على عَزله[٥].

فالحاصلُ أن في مكانِ وفاته قولين: أحدهما في حمص، والثاني بالمدينة، حكاه جدي عن سيف[٦].

وذكر الموفَّقُ وابن عساكر القولين، والأوَّل أشهرُ[٧].

وقال ابن عساكر: إن عمر رضوان الله عليه خرج حاجّاً، فنزلوا منزلاً، وإذا براكبٍ

---

(١) هذا الكلام من تمام خبر ابن عكرمة السالف قبل هذا الخبر.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٢-٤٣ .

(٣) من قوله: أي حلقت رأسها... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر ١٤٨ .

(٥) طبقات ابن سعد ٥/ ٤٣ .

(٦) سلف قريباً في قصة وفاته.

(٧) من قوله: وكذا ذكره جدي في التلقيح... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

قد أقبل، فأناخ عند عمر ﷺ، فنادى عمر وقام قائماً: يا طلحة، قال: ما الذي بك؟ فقال: هلك والله أبو سليمان، فقال طلحة ﷺ: [من البسيط]

لا أَلْفَيَنَّك بعد الموتِ تَندُبُني وفي حياتيَ ما زَوَّدْتَني زادي

فقال: والله ما نَقَمتُ عليه إلا قَتلَه لمالك بن نُويرة، وأخذ زوجته(١).

ذكر أولاد خالد: قال ابن قُتيبة: كان لخالدٍ من الولدِ عدد كثير قَتل الطّاعونُ منهم أربعين رجلاً(٢).

وقال ابن سعدٍ: كان لخالد من الولدِ المهاجِرُ، وعبد الرحمن، لا بَقيَّةَ له، وعبدُ الله الأكبرُ قُتلَ بالعراقِ، وأُمُّهم أسماءُ بنت أنس بن مدرك الخَثْعمي، وسليمان بن خالد وبه كان يُكنى، وأُمّه كَبشَةُ بنت هَوْذَةَ بن أبي عمرو، من قُضاعة، وعبدُ الله الأصغر، وأُمُّه أُمُّ تميم. هذا قول ابن سعد(٣).

وقال هشام: كان له من الولدِ: المهاجِرُ وعبد الرحمن وعبدُ الله الأكبرُ وعبدُ الله الأصغر وسليمان، فأما المهاجِرُ وعبدُ الرحمن فكانا غُلامَيْنِ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، وكانا مُختلفَيْن؛ المهاجِرُ مع عَليٍّ، وعبدُ الرحمن مع مُعاوية، وكذا قال ابن عبد البَرِّ(٤).

وقال الموفَّقُ رحمه الله: ويُقال إنَّ المهاجِرَ قُتِل مع عليٍّ عليه السلام بصِفّين، وترك ولداً اسمه خالد(٥)، والأشهرُ أنَّ المُهاجِرَ عاشَ زماناً بعدما استُشْهِد علي(٦).

وأما عبدُ الرحمن بن خالد فكان من ساداتِ قُريش وفُضلائهم، وكان قد مال إليه أهلُ الشامِ، فعزَّ على مُعاوية، فسقاه طبيبٌ يهودي سمّاً فمات، وسنذكره في ترجمته في أيّامِ مُعاوية.

---

(١) تاريخ دمشق ٥/ ٥٦٤، وهذا الخبر ليس في (ك).
(٢) المعارف ٢٦٧.
(٣) الطبقات ٥/ ٢٦.
(٤) الاستيعاب (١٥٥١) و(٢٤٠٣).
(٥) التبيين ٣٤٧.
(٦) من قوله: وكذا قال ابن عبد البر... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

وأما عبدُ الله الأكبر فقال الزبير بن بَكّار: قُتِل باليرموكِ، وقيل: بالعراقِ.

وأما عبدُ الله الأصغرُ فأُمُّه أُمُّ تميم.

وقال الزبير بن بَكّار: وكان لخالد بن الوليد من الولدِ محمدُ بنُ خالد، بعثه عبد الملك بن مروان مع ابنه مَسْلَمة إلى القسطنطينية لمّا خرج غازياً.

وقال الزبير بن بكار[1]: كان خالد بن المهاجر بن خالد من أشرافِ قريشٍ وفُضلائهم، قَدِم دمشقَ بعد وفاة عمِّه عبد الرحمن بن خالد، وقَتَلَ ابنَ أثال اليهودي الذي اتَّهمه بأنه سمَّ عمه عبد الرحمنِ، ثم لحق بالحجازِ وخالفَ بني أُمية، وأقام مع عبد الله بن الزُّبير، وتزوَّج حميدة بنت النعمان بن بشير، وهو القائل لما عزم على القتال مع عبد الله بن الزبير: [من الطويل]

تقولُ ابنةُ العمريِّ هل أنت مُشئِمٌ ... مع القوم أم أنتَ العَشِيَّةَ مُعرِقُ

فقلتُ لها مروان هَمِّي لقاؤه ... بجيشٍ عليه عارضٌ مُتألِّقُ[2]

أسند خالد بن الوليد ﷺ الحديث عن رسول الله ﷺ[3].

ذكر أخوة خالدٍ: كان له أربعةُ إخوةٍ وأُختان. فأمَّا الإخوةُ: فالوليدُ وهشامٌ وعُمارةُ وحَرْملة، وأمَّا الأُختان ففاطمة وفاختة.

وأما من ولد هشام بن الوليد: فهشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد، وَلِيَ المدينةَ في أيامِ عبد الملك بن مروان، وكان مُسَدَّداً في ولايته، وتزوَّج عبد الملك بنْتَ هشام ابن إسماعيل، وأصدقَها أربعَ مئة دينار، وأولدها هشام بن عبد الملك، ولما احتُضِرَ عبد الملك أوصى ابنه الوليد بهشامٍ، وقال له: استَوْصِ به خيراً، فإنَّ له رَحِماً، فكان أوَّلَ ما بدأ به الوليدُ أنه عزل هِشاماً عن المدينةِ، فلما ولي هشام بن عبد الملك الخِلافةَ استعمل ابنَيْ هشام بن إسماعيل: إبراهيمَ ومحمداً على المدينة.

وأما عُمارةُ بن الوليد بن المُغيرة فهو الذي حملَتْه قُريش إلى أبي طالب، وقالوا:

(١) من قوله: وسنذكره في ترجمته... إلى هنا ليس في (أ) و(خ).

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ٥٣٠ (مخطوط).

(٣) من هنا إلى ترجمة عتبة بن مسعود، ليس في (أ) و(خ).

نُعطيك إياه تتعوَّضُ به عن محمد ﷺ، وقد ذكرناه في السيرةِ[١]، وهو الذي سافر مع عمرو بن العاص إلى الحبشةِ في سفينةٍ، وقال لامرأةِ عمرو: قَبِّليني، وكان من أجملِ فتيانِ قُريشٍ، ووشى به عمرو إلى النجاشي، فأمرَ السواحِرَ أن يَنْفُثْنَ في إحليله، فهام مع الوحشِ، وقد ذكرناه أيضاً.

وكان لعُمارة ولدان: الوليد وأبو عُبيدة، قُتِلا بالبُطاحِ شهيدَيْن لمّا قاتل خالد أهل الردَّةِ.

وقال الزبير بن بكار: قُتِل أبو عبيدة بن عُمارةَ مع خالد بأَجْنادِين[٢].

وأما حَرْملةُ بن الوليد بن المُغيرةِ، فقال أبو القاسم بن عساكر: شهد فتحَ دمشقَ، وأقطعه أبو عُبيدة بن الجراح دَيْراً في الغوطةِ خارج باب تُوما، يُعرف بديرِ حَرْمَلَةَ[٣].

وأما فاطمةُ بنت الوليد بن المُغيرةِ فقد ذكرنا أنَّها أسلمت يوم الفتحِ، وبايعت رسول الله ﷺ، وهي امرأةُ الحارثِ بن هِشام، وتزوَّجها عمرُ بنُ الخطاب.

وأما فاخِتَةُ بنت الوليد بن المُغيرةِ فهي امرأةُ صفوان بن أُمية، أسلمت قبله بشَهْرٍ ثم أسلم بعدها، فأُقِرّا على نِكاحهما، ذكر ذلك الموفَّقُ في الأنساب[٤] وهشام والواقدي وغيرُهُم.

عُتبة بن مسعود

أخي عبد الله بن مسعود ﷺ لأبويه، من الطبقة الثانية من المهاجرين، أسلم قديماً بمكة، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، ثم قدم المدينة، فشهد أحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، ومات بالمدينة في خلافة عمر رضوان الله عليه، وصلى عليه.

ولما جاء عبد الله بنَ مسعود نَعيُه دمعت عيناه، وقال: إن هذه رحمة جعلها الله، لا يملكها ابن آدم[٥].

---

(١) سلف في أوائلها.

(٢) التبيين ٣٥١ـ٣٥٣.

(٣) الإصابة ١/ ٣٢١.

(٤) التبيين ٣٥٣ـ٣٥٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٤/ ١١٨، والاستيعاب (١٩٢٢)، والإصابة ٢/ ٤٥٦. وترجمة عتبة ليست في (ك).

فصل وفيها تُوفي

عُمير بن سعد

ابن عُبَيْد بن النعمان، وكان يُقال له: نَسيجُ وَحْدِه؛ لزُهْدِهِ وورعه وعبادتِه، وأبوه يُقال له: سَعد القارىء، شهد بدراً واستشهد يوم القادسية، وكُنيةُ سعدٍ أبو زيدٍ، وهو الذي يَزعمُ الكوفيون أنَّه جمع القُرآن على عهدِ رسولِ الله ﷺ، وقد ذكرناه في شُهداءِ القادسية.

وولدُه عميرٌ هذا صحبَ رسولَ الله ﷺ، وولّاهُ عمرُ حمص، وله معه قصَّةٌ ذكرها أبو نُعيم وغيرُه.

قال أبو نُعيم الأصفهاني بإسناده عن عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جدِّه، عن عُمير بن سعد قال: بعثه عمر بن الخطاب عامِلاً على حمص، فمكثَ حولاً لا يأتيه خبرُه، فقال عمر لكاتبه: اكتُب إلى عُمَير، فوالله ما أراه إلا قد خاننا: إذا جاءك كتابي هذا فأَقْبِلْ، وأَقْبِلْ بما جبيتَ من فَيءِ المسلمين حين تنظرُ في كتابي هذا.

قال: فأخذ عُمَيْرٌ جِرابه، فجعل فيه زادَه وقَصْعَتَه، وعلَّق إدواتَه، وأخذ عَنَزَتَهُ، ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينةَ، وقد شَحُبَ لَونُه، واغبرَّ وجهُه، وطال شَعرُه، فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله، فقال عمر: ما شأنُكَ؟ فقال عمير: ما ترى من شأني؟ ألستَ تَراني صحيحَ البَدَنِ طاهِرَ الدّمِ، معي الدنيا أجرُّها بقَرْنِها؟ قال عمر: وما معك؟ وظنَّ أنَّه قد جاء بمال ـ فقال: معي جرابي أجعلُ فيه زادي، وقَصْعتي آكُل فيها وأغسِلُ فيها رأسي وثيابي، وإداوَتي أحملُ فيها وَضوئي وشرابي، وعَنَزَتي أتوكّأُ عليها، وأُجاهِدُ بها عدوّاً إن عَرَضَ لي، فوالله ما الدُّنيا إلا تَبَعٌ لمَتاعي، قال عمر: فجئتَ تمشي؟ قال: نعم، قال: أما كان لك أحدٌ يتبرَّع لك بدابَّةٍ تركبُها؟ قال: ما فعلوا وما سألتُهم ذلك، فقال عمر: بئس المسلمون خرجْتَ من عندهم، فقال عمير: اتَّقِ الله يا عمرُ، فقد نَهاك الله عن الغِيبة، وقد رأيتُهم يُصلُّون صلاةَ الغَداة، ويصلون ويُوحِّدون، وفي روايةٍ: ألم ينهك ربُّك عن التجسُّسِ؟

فقال عمر: بعثتُك، وأيّ شيءٍ صنعتَ؟ قال: وما سُؤالك؟ فقال عمر: سبحان

الله!؟ فقال: أتيتُ البلدَ، فجمعتُ صُلَحاءَ أهلِه، فوَلَّيْتُهم جِبايتَه، حتى إذا جمعوه وضعتُه في مواضعِه، ولو نالك منه شيءٌ لأتيتُكَ به، فقال: جَدِّدوا لعُميرٍ عهداً، فقال: هذا شيءٌ لا عملتُه لك ولا لأحدٍ بعدكَ، واللهِ ما سَلِمْتُ ولا أَسْلَمُ، قلتُ يوماً لنَصْراني أو لذِمّيّ: أخزاكَ الله، وقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أنا خَصْمُ ظالمِ اليتيمِ والمعاهد»، وما الذي يُؤمِنني أن يَخصِمَني رسولُ الله ﷺ، فخرج عمر حتى أتى قبرَ النبيّ ﷺ وهو يبكي ويقول: السلام عليك يا رسولَ الله وعلى صاحبك، ماذا لقيتُ بعدكما؟

ثم استأذن عمرَ رضوان الله عليه فأذن له، فرجع إلى منزله وبينه وبين المدينة أميال، فبعث إليه عمر رضوان الله عليه رجلاً يقال له الحارث بمئة دينار، وقال: انطلق إلى عُمير حتى تنزل به كأنك ضَيف، فإن رأيتَ أثر شيء فأَقبِلْ، وإن رأيتَ حالاً شديداً فادفعها إليه.

فانطلق الحارث، وإذا بعُمَير رضي الله عنه جالس إلى جانب الحائط يَفْلي قميصاً، فنزل وسلّم عليه، فردّ وقال: من أين جئتَ، قال: من المدينة، قال: كيف تركتَ أميرَ المؤمنين؟ قال: ضرب ابناً له على فاحشة فمات من ضَرْبه، فقال عُمير: اللهمَّ أَعِنْ عمر، فإني لا أعلمه إلا [شديد] الحبّ لك، فأقام عندهم ثلاثة أيام، وليس لهم إلا قرصٌ من شعير كانوا يَخصُّونه به ويَطوون.

فقال له عمير: يا هذا، أنتَ قد أَجَعْتَنا، فإن رأيتَ أن تَرتَحِل عنا فافعل، فأخرج الدَّنانير فدفعها إليه، وقال: بعث بها إليك أمير المؤمنين، فاستعن بها، فصاح عُمير وبكى وقال: لا حاجةَ لي بها، رُدَّها، صحبتُ رسول الله ﷺ وأبا بكر، ولم أُبْتَلَ هذا، فقال: ما لي شيءٌ أجعلُها فيه، فشقَّت المرأةُ أسفلَ دِرعها وأعطَتْه خرقةً فجعلها فيها، ثم خرج فقَسَمها بين أبناء الشُّهداء والفُقراء، ثم رجع فقال للرسول: أقرىء مني السلامَ أمير المؤمنين.

فرجع الحارث إلى عمر رضوان الله عليه، فقال: ما رأيتَ؟ قال: حالاً شديداً، قال: فما صنع بالدَّنانير؟ قال: لا أدري، فأرسل إليه عمر رضوان الله عليه فجاء، فقال: ما صنعت بالدَّنانير؟ قال: وما سُؤالك عنها؟ قال: أَنشدك إلا ما أخبرتَني،

قال: قدَّمتُها لنفسي، قال: رحمك الله، فأمر له بوَسْقٍ من طعام وثوبان، فقال: أما الطعام فلا حاجةَ لي إليه، قد تركتُ في المنزل صاعَين من شعيرٍ إلى أن آكلهما، قد جاء الله بالرزق، ولم يأخذ الطعام، وأخذ الثوبَيْن وقال: أمُّ فلان عارية، ورجع إلى مَنزله[(١)].

قال: ولم يلبثْ عُمَيْرٌ أن هلكَ، فبلغ عمرَ فشقَّ عليه وترحَّمَ عليه، وخرج يمشي في جِنازته ومعه المهاجرون والأنصارُ إلى بَقيعِ الغَرْقَدِ، فجلس عند قبرِه وقال: ليَتَمَنَّ كلُّ رجلٍ منكم أُمنيةً، فقال رجلٌ: ودِدتُ أنَّ عندي مالاً فأُعتِق لوجهِ الله كذا وكذا، وقال آخر: وَدِدتُ أنَّ عندي مالاً فأُنفقه في سبيلِ الله، وقال آخَرُ: ودِدْتُ لو أن لي قُوَّةً فأمْتَح بدَلوِ زمزم لحُجّاجِ بيتِ الله، فقال عمر: وَدِدْتُ أنَّ لي رجُلاً مثل عُمَيرٍ، أُولِّيه أو أستعينُ به في أعمالِ المسلمين[(٢)]، أسند عمير الحديث عن رسول الله ﷺ. انتهت سيرة عمير.

عُوَيْمر بن الحارث

ابن زيد بن حارثة بن الجدّ العجلاني، من الطبقة الثانية من الأنصار، شهد بدراً وما بعدها مع رسول الله ﷺ[(٣)].



---

(١) من قوله: ثم استأذن عمر فأذن له... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) حلية الأولياء ١/ ٢٤٧-٢٥٠، وانظر في ترجمته: طبقات ابن سعد ٥/ ٢٩٣ و٩/ ٤٠٦، والاستيعاب (١٧١٨)، وتاريخ دمشق ٥٦/ ١٣٥، والمنتظم ٤/ ٣١٦، والاستبصار ٢٨١، والسير ٢/ ١٠٣ و٥٥٧، والإصابة ٣/ ٣٢، وتهذيب الكمال (٥١٠٢).

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٩٤، والاستيعاب (١٨٥٣)، والمنتظم ٤/ ٣١٩، والإصابة ٣/ ٤٥، وترجمة عويمر ليست في (ك). وجاء في (أ) عقب هذه الترجمة ما نصه:

«تم الجزء المبارك بحمد الله وعونه، وصلواته على سيدنا محمد وآله، يتلوه في الجزء الرابع، السنة الثانية والعشرون، وفيها كتب عمر رضوان الله عليه إلى معاوية بن أبي سفيان، والحمد لله وحده».

السنة الثانية والعِشْرون

وفيها كتب عمرُ إلى مُعاوية بن أبي سُفيان أن يَغْزُوَ الرومَ، فدخل الدَّرْبَ، وجاوزه في عشرةِ آلافٍ من المسلمين، فيهم أبو أيوب الأنصاري وعبادةُ بنُ الصامتِ وأبو ذرٍّ وشدّادُ بن أوسٍ وغيرُهم.

وقيل: إنَّ في هذه الغَزاةِ أُسِرَ عبدُ الله بنُ حُذافة السَّهميُّ وقد ذكرناه، وبلغ معاوية عَمّورية، وقيل القسطنطينية.

وفيها: كان فتوح هَمَذان. كتب عمر إلى نُعيم بن مُقَرّن أن يسير إلى همذان، وعلى مقدّمته أخوه سويد بن مقرِّن، وعلى مجنّبتَيْه ربعي بن عامر ومهلهل بن زيد الطائي، فسار نُعيم بجيوشه، فنزل ثنيّة العَسَل، ثم نازل همذان، واستولى على رُسْداقها، فلما رأى ذلك أهلُها راسلوه وسألوه الصُّلح على الجزية فصالحهم.

وقال الواقدي: إن فُتوحَ هَمَذان كانت في سنةِ ثلاثٍ وعِشرين في جُمادى الأُولى، على رأس ستّة أشهر من مقتلِ عمر، وكانت جيوشُ عمر عليها.

وفيها فُتح الرّيّ وقُومِس على يَدِ نُعيم بن مُقَرِّنُ، وقيل: إن ذلك كان في سنةِ ثلاثٍ وعشرين.

وفيها كتب عمر إلى عبد الرحمن بنِ ربيعة أن يَقطع النهر، فقطعه في جيشٍ كثيفٍ، فتحصَّن التُّرْكُ بحصونهم، وخافوا منه وقالوا: ما قطع النهرَ إلا ومعه الملائكةُ والإلهُ الأكبرُ، فأوغل في بلادِهم، وسبى، وعاد سالماً بالغنائم.

واختلفوا في ولادة يزيد بن مُعاوية وعبد الملك بن مروان، فقال الواقدي في هذه السنة، وقال هشام: في سنة خمسٍ وعشرين، وحجَّ بالناس عمرُ.

فصل وفيها تُوفي

قَتادةُ بنُ النعمان

ابن زيد بن عامر بن سواد بن ظَفَر، وأُمُّه أُنَيْسَةُ بنت قيس بن عمرو، خَزْرجيّةٌ،

وكُنيتُه أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله، وقيل: أبو عُثمان.

وهو من الطبقةِ الأُولى من الأنصارِ، شهد العقبةَ مع السَّبعين، وبَدْراً وأُحداً، وسالت عينُه يومئذٍ على خدِّه من سَهْمٍ أصابه.

قال الهيثم بن عدي: فأتى رسولَ الله ﷺ وعينُه في يده، فقال: ما هذا يا قتادةُ؟ قال: هو ما ترى، فقال: «إن شِئْتَ صَبَرْتَ ولك الجنَّةُ، وإن شِئْتَ رَدَدْتُها، ودعوتُ الله لك فلم تَفتقِدْ منها شيئاً»، فقال: يا رسولَ الله، والله إنَّ الجنَّةَ لجزاءٌ جَزيلٌ، وعطاءٌ جَليلٌ، ولكني رجلٌ مُبْتلًى بحبِّ النساء، وأخافُ أن يَقُلْنَ أعور، فلا يُرِدْنَني، ولكن تَردُّها، وتسألُ الله لي الجنَّة، فأخذها رسولُ الله ﷺ بيدِه، وأعادها إلى مكانِها، فكانت أحسنَ عينَيْه إلى أن مات، ودعا له بالجنَّةِ.

قال الهيثم: دخل ابنُ قتادة على عمر بن عبد العزيز فقال: مَن أنت يا فتى؟ فقال: [من الطويل]

أنا ابنُ الذي سالتْ على الخدِّ عَيْنُه فرُدَّت بكَفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعادتْ كما كانت كأحسنِ حالِها فيا حُسْنَ ما عَيْنٍ ويا طيبَ ما يدِ

فقال عمر: بمثلِ هذا فليتوسَّل إلينا المتوسِّلون، ثم قال: [من البسيط]

تلك المكارمُ لا قَعْبان من لَبَنٍ شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أَبْوالا

وشهد قتادةُ المشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وكانت رايةُ بني ظَفَرٍ بيدِه يوم الفتح.

وقيل: إنه تُوفي سنة ثلاثٍ وعشرين، وهو ابن خمسٍ وستين سنةً، قال الواقدي: وصلّى عليه عمر بن الخطاب، ونزل في قبرِه أخوه لأُمِّه أبو سعيدٍ الخُدري، ومحمد بن مَسلمة، والحارث بنُ خَزْمة(١).

أسند قتادة الحديث عن رسول الله ﷺ.

---

(١) في (ك) بعد هذا: وذهبت عيناه قبل موته؟! ولم أجد من ذكر ذلك، انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٤١٤، والاستيعاب (٢١٣٤)، والمنتظم ٤/ ٣٣٣، والاستبصار ٢٥٤، وصفة الصفوة ١/ ٤٦٣، والإصابة ٣/ ٢٢٥، وتهذيب الكمال (٥٤٤٠)، والسير ٢/ ٣٣١، وتاريخ دمشق ٥٨/ ٤٥٠ والمصادر في حاشيتهما.

مَعْمَر بن الحارث

ابن مَعْمَر بن حَبيب الجُمحيّ، من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأمّه قَتيله بنت مَظعون بن حَبيب، جُمَحيّة.

أسلم قديماً قبل أن يَدخُل رسول الله ﷺ دارَ الأَرقم، وشهد بدراً وأُحداً والخندقَ والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين مُعاذ بن عَفْراء.

توفي رضي الله عنه في خلافة عمر رضوان الله عليه، وليس له رواية[١].



(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٣، والاستيعاب (٢٤١٣)، والإصابة ٣/ ٤٤٨.

السنةُ الثالثة والعِشرون

وفيها كَثُرت الفتوحاتُ بالعراقِ والشامِ على عمر، وقُدِم عليه بالأموالِ والأخماسِ، وكان عمرُ قد بثَّ جُيوشَه في الدنيا، وفتح نُعيم بن مُقَرِّن قُومِس وطَبَرِسْتان وصالح أهلها.

وبعث عمر الأحنفَ بنَ قيس إلى خُراسان، فافتتح هَراة عَنْوَةً، وتوجَّه إلى مرو، وأرسل مُطَرِّفَ بنَ عبدِ الله بن الشِّخِّير إلى نَيْسابور، وكان يَزْدَجِرْد بمَرْو، فكتب إلى خاقان ملك التُّركِ يستمدُّه، وإلى ملك الصُّغْدِ يَستنصرُ به، وتواترت أمدادُ أهلِ الكوفة والبصرةِ إلى الأحنفِ، وهرب يَزْدَجِرْدُ إلى بَلْخ، وتَبعه الأحنف فهزمه وقطع النهرَ، وعاد الأحنفُ إلى مَرو فنزلها، وجاء خاقان إلى يَزْدَجِرْدَ، واجتمعا وعادا إلى مَرْوَ، وجاء يَزْدَجِرْد ومعه خاقان فنزلا على مَرْو، وطال الحصارُ، فخرج الأحنفُ ليلةً يتجسَّسُ الأخبارَ، لعلَّه أن يَسمعَ كلاماً يَنتفعُ به، فسمع رجلاً يقولُ لآخر: لو كان أميرُنا يُسْنِدُنا إلى الجبلِ فكان النهرُ بيننا وبين عدوِّنا خندقاً وكان الجبلُ وراء ظهورنا، أمِنّا أن يأتيَ عدوُّنا من خلفنا، ورجَوْنا النَّصْرَ من الله.

فارتحل الأحنفُ، وأسندهم إلى الجبلِ، ثم التقَوْا فقتل الأحنفُ جماعةً من كُبرائهم، وقيل: إنَّما قتلهم غِيلةً، فقال خاقان: ليس لنا في قتالِ هؤلاء حاجة، ولا خيرَ لنا فيه، فارتحل إلى بَلْخ، فهَمَّ يَزْدَجِرْدُ أن يَتبعَه، فقال أصحابُه: تَدَعُ أرضك وقومَك وتصير في مملكةِ الغَيْر؟! عُدْ بنا إلى العربِ؛ فإن مُقامنا مع عدوِّنا في بلادنا خيرٌ لنا من مُقامِنا مع عدوِّنا في بلادهِ، فقال: لابُدَّ أن أَتبَعَ خاقان فآمن على نفسي، فقالوا: فدَعْ خَزائنَنا عندنا نتقوّى بها على عدوِّنا، فأبى، فاعتزلوه، وبقي مُفرداً في حاشيتِه، فقاتلوه فهرب، فأخذوا الخزائنَ واستولَوْا عليها، وقطع يَزْدَجِرْدُ النهرَ إلى فَرْغانة والتُّركِ، وأقام عندهم حتى تُوفي عمرُ، فعاد إلى مَرْو.

وصالح أهلُ تلك البلاد الأحنفَ على مالٍ، ودفعوا إليه من تلك الخزائن، فعقد بينه وبينهم الصُّلح، فأقاموا في بِلادهم على أحسَنِ حالٍ، وأصاب الفارسُ يومئذٍ ما

أصاب الفارسُ يومَ القادسية، وهذا قولُ الواقدي.

أما سيفٌ فإنه قال: إنّما التقى الأحنفُ بنُ قيسٍ بيَزْدَجِرْدَ في سنة ثماني عشرةَ لما انهزم يزدجرد من جَلولاء يُريد الرَّيَّ، وكان في مَحمِلٍ على جملٍ نائماً، وكان إذا سارَ ينام، فانتهى به السير إلى مخاضةٍ، فأيقظه أصحابُه خوفاً عليه، فقال: بئسَ ما فعلتُم، فإني رأيتُ أني الساعةَ ومحمداً تَناجينا عند الله في مدَّة مُلكنا، فأيقظتموني ولم يتقرَّر شيءٌ، فلو تركتموني لعلمتُ ما مُدَّةُ مُلكنا ومُلكِهم.

ثم وصل إلى مَرْو، واستمدَّ ملوكَ التّركِ والهندِ والصين فأمدّوه، وسار إليه الأحنفُ بنُ قيسٍ في عشرة آلافٍ من البصرةِ والكوفةِ بأمر عمرَ، وأسند ظهره إلى الجبلِ على ما ذكرنا، والتقى الفريقانِ، فخرج فارسٌ من التُّرْكِ، فطلب المبارَزةَ، فبرز إليه الأحنفُ بن قيسٍ وهو يقول: [من الرجز]:

إنَّ عــلــى كــلِّ رئـيــسٍ حَــقَّــا
أن يَـخْـضِـبَ الـصَّـعْـدةَ أو تَـنْـدَقَّـا
إنَّ لــنــا شَــيــخــاً بــهــا مُــلَـقَّـى
سـيـفَ أبـي حَـفْـصٍ الـذي تَـنَـقّـى

وحمل على التُّركي فقتله، ثم برز إليه آخر فقتله، وآخر فقتله، فقال مِلِكُ التُّرْكِ لأصحابه: ارتَحلوا، فقد تشاءمتُ بقَتْلِ ثلاثةٍ من فرسانِنا، فارتحل وقطع النهر[1].

فصل: وفيها فُتِحت تَوَّج، كانتِ الفُرْسُ قد خرجت منها ليَحموا حُصونهم، فقصدها مُجاشع بن مسعود ففتحها.

وفيها فُتِحت إصْطَخْرُ على يد عثمان بن أبي العاصِ الثقفي بعد قتالٍ شديد.

قال زياد الأعجم: قدم علينا أبو موسى الأشعري إصْطَخْر وعثمان يُحاصرها، أقدمه عمر رضوان الله عليه مدداً لعثمان، وأمرهما بالاتّفاق، فاتفقا، وطال الحصار، فقال عثمان لأبي موسى: أريد أن أبعثَ أُمراء إلى هذه الرساتيق التي حولنا يُغيرون

(١) من قوله: ثم وصل إلى مرو... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

عليها، فما ظفروا بشيء قاسموه العسكر الذي على المدينة، فقال أبو موسى: لا أرى هذا، وإنما أرى أن يكون لهم، فقال عثمان: لو فعلنا هذا لم يبق على المدينة أحد، كانوا يطلبون الغنيمة، ثم اتفق المسلمون على ما قال عثمان، فبعث ثلاثاً وستين عاملاً على نَيّف وثلاثين رُستاقاً، ثم فتح الله البلد[١].

وفيها فُتِحت فَسا ودَرابَجِرْد على يدي سارية بن زُنَيْم.

وفيها فُتِحت كَرْمان على يدي سُهيل[٢] بنِ عَدي، ووجد فيها من الجمالِ البُخْتِ شيئاً كثيراً.

وفيها فُتحت سِجِسْتان على يدي عاصم بن عمرو وعبد الله بن عُمَير.

وفُتحت مُكْران على يدِ الحكم بن عمرو، وبعث الحكمُ إلى عمر بالغنائم، فقال عمرُ للرسولِ: صِف لي مُكْرانَ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما أقول في أرضٍ سهلُها جَبلٌ، وماؤها وَشَلٌ، وتَمْرُها دَقَلٌ، وعدوُّها بَطَل، خيرُها قليل، وشرُّها طويل، وما وراءها أشرُّ منها، فقال عمر: والله لا يجوزُ لي جيشٌ ما وراء النهرِ ما أُطِعْتُ، ثم كتب إلى أُمراءِ الجيوشِ: اقتصِروا على ما دون النهر.

وفيها عزل عمر عماراً عن الكوفة، وولّى أبا موسى الأشعري.

وكان أهل الكوفة قد كتبوا إلى عمر رضوان الله عليه يقولون: إن عماراً ليس بأمين، فاستقدمه عمر رضوان الله عليه، ومعه جماعةٌ من أعيان الكوفة، فيهم سعد بن مسعود الثقفي عمّ المختار، وجرير بن عبد الله البَجلي، فقال لهم عمر رضوان الله عليه: ما تعرفون من أميركم؟ فقال جرير بن عبد الله: هو والله غيرُ كافٍ ولا مُجزٍ ولا عالم بالسياسة، فقال له عمار: كذبت، فقال له عمر رضوان الله عليه: أنت أكذبُ منه، لستَ بصاحبِ عمل، ولكني تأوّلتُ قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[القصص: ٥] الآية، فقيل لعمار بعد ذلك: أساءك العَزْلُ؟ فقال: ما سَرَّتني الولاية، ولقد ساءني العَزْلُ.

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٤٧٣ (مخطوط)، ومن قوله: قال زياد الأعجم... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) في النسخ: إسماعيل، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ الطبري ٤/ ١٨٠، وانظر الإصابة ٢/ ٨٩.

وفيها حجَّ عمر بأزواجِ رسولِ الله ﷺ في الهوادج، قال سيف بن عمر: حدَّثني أبو عثمان وأبو حارثة والربيع بإسنادِهم قالوا: حجَّ عمر بأزواجِ رسولِ الله ﷺ معهن أولياؤهنَّ ومَن لا يَحتجبْنَ منه، وجعل في مقدّمة قِطارهن عبد الرحمن بنَ عوف، وفي مؤخّره عثمان بن عفان.

وحجَّ عمر عشر حجّاتٍ في خلافته أوَّلهن سنة أربع عشرة، وآخِرهُنَّ سنة ثلاثٍ وعشرين، واعتمر في خلافته ثلاث عُمَر، عمرة في رجب سنة سبع عشرة، وعمرة في رجب سنة إحدى وعشرين، وعمرة في رجب سنة اثنتين وعشرين.

قالت عائشة رضوان الله عليها: لما كان آخر حجّةٍ حجَّها عمر بأمهات المؤمنين إذ صدرنا عن عرفة، ومررتُ بالمُحصَّب، فسمعتُ رجلاً على راحلته يقول: أين كان أمير المؤمنين؟ فسمعتُ رجلاً آخر يقول: كان ها هنا، فأناخ راحلتَه، ثم رفع عَقيرتَه فقال:

[من الطويل]

عليك سَلامٌ من إمامٍ وباركتْ ... يدُ الله في ذاك الأديم المُمَزَّقِ
فمَن يَسْعَ أو يركبْ جناحَيْ نَعامةٍ ... ليُدرِكَ ما قدَّمتَ بالأمس يُسبَقِ
قضيتَ أُموراً ثم غادرتَ بعدها ... بَوائقَ في أكمامها لم تُفَتَّقِ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ وفاتُه ... بكفِّ سَبَنْتَى أزرقِ العينِ مُطرقِ
أبعدَ قتيلٍ بالمدينة أظلمتْ ... له الأرضُ تَهتزُّ العِضاهُ بأَسْوُقِ

فقلتُ: مَن قائلُ هذه الأبيات؟ فقالوا: مُزَرِّد بن ضِرار، فلقيتُ مُزَرّداً بعد ذلك، فحلف بالله ما شهد تلك السَّنة الموسم، فكانوا يَرون أن بعض الجنِّ رثاه.

وقال جُبَير بنُ مُطعِم: بينما عمر رضوان الله عليه واقفٌ على جبال عرفة سمع رجلاً يقول: يا خليفة يا خليفة، فسمعه رجلٌ آخر وهم يَعتافون، فقال: ما لك؟ فَكَّ الله لَهواتك! فأقبلتُ على الرجل فصحتُ عليه قلتُ: لا تَسُبَّنَّ الرجل، فإني الغَدَ واقفٌ مع عمر رضوان الله عليه على العقبة يَرميها جاءتْ حَصاةٌ عائرة، فنَقَفتْ رأسَ عمر، ففَصَدَتْه، فسمعتُ رجلاً من الجبل يقول: أشعرت؟! وربِّ الكعبة لا يَقِفُ عمر هذا الموقف بعد العام، قال جُبير بن مُطعم: فإذا هو الذي صرخَ فينا بالأمس، فاشتدّ ذلك عليّ.

قال سعيد بنُ المسيّب رحمة الله عليه: لما أفاض عمر ﷺ من مِنى أناخ بالأبطح،

فكوَّم كَوْمةً من بطحاء، طرح عليها طَرفَ ثوبه، ثم استلقى عليها، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهمَّ كَبرتْ سنّي، وضَعفَتْ قُوَّتي، وانتشرتْ رَعيَّتي، فاقبِضني إليك غيرَ مُضيِّعٍ ولا مُفَرِّط ـ وذكر آية الرجم ـ فوالله ما انسلخ ذو الحِجّة حتى طُعن[١].

وفيها استقامت الأحوال، وتمّت الأمور، وكَثُرت الفُتوحات، ووصل إلى المدينة من الغنائم والأخماس والأموال ما لم يصل إليها، فاستشهد عمر رضوان الله عليه وكان عامل مكة نافع بن عبد الحارث الخُزاعي، وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي، وعلى صنعاء يَعلى بن مُنْيه، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري، وعلى دمشق معاوية، وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي.

فصل وفيها توفيت

صفية بنت عبد المطلب

ابن هاشم ﵄ عمة رسول الله ﷺ، وأمها هالة بنت وُهَيب بن عبد مَناف بن زُهرة ابن كِلاب، وهي أخت حمزة ﵁ لأبويه.

كانت في الجاهلية عند الحارث بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس، فوَلَدتْ له صفيَّةُ رجلاً، ثم خَلَفه عليها العَوّام بن خُوَيْلد، فوَلَدتْ له الزُّبير ﵁ والسّائب وعبدَ الكعبة، ثم أسلمت وبايعت النبي ﷺ وهاجرت، وأطعمها رسول الله ﷺ بخيبر أربعين وَسْقاً، واتفق العلماء على إسلامها، وفي غيرها من عمات رسول الله ﷺ خلاف، واختصم في ولاء مواليها عليّ والزّبير ﵄، فقال علي: أنا أولى بهم لأنها عمتي، وأنا أَعقل عنهم، وقال الزُّبير: أنا أولى بهم وميراثهم؛ لأنهم موالي أمّي، فقضى عمر بن الخطاب رضوان الله عليه بولائهم للزبير ﵁[٢].

وقال ابنُ سعدٍ: توفيت صفيةُ في خِلافةِ عمر بن الخطاب، ودُفنت بالبقيعِ، وعاشت ثلاثاً وسبعين سنةً، ودُفنت بالبقيعِ بفِناء دار المُغيرة بن شُعبة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٠٨ـ٣١٠، وتاريخ دمشق ٥٣/ ٣٣٨ـ٣٤١، ومن قوله: قالت عائشة لما كان آخر حجة... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) من قوله: واختصم في ولاء مواليها علي والزبير... إلى هنا ليس في (ك).

وكانت امرأةً حازِمةً جَلْدَةً، وقد ذكرنا أنّها قتلتِ اليهوديَّ الذي تعرَّض للأُطْمِ الذي كانت فيه في غَزاةِ الخندقِ.

وقال ابن سعد: وقد روتِ الحديث عن رسولِ الله ﷺ، وقال ابن سعد بإسناده عن عروة: أنَّ صفيةَ بنت عبد المطلب جاءت يومَ أُحُدٍ وبيدِها رُمْحٌ تضرِبُ به وجوه الناس وقد انهزموا وتقول: انهزمتُم عن رسولِ الله ﷺ!؟ فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «يا زبيرُ، المرأةَ»، وكان حمزةُ قد بُقِر بطنه، فكره رسول الله أن تراه وكانت أُختَه، فقال الزبير: إليك إليك، فقالت: تَنَحَّ لا أُمَّ لك، فجاءت فنظرت إلى حمزة، وقد ذكرنا طرفاً منه في غزاةِ أُحد[1]، وليس في الصحابياتِ من اسمُها صفيةُ بنت عبد المطّلبِ سواها.

وذكرها أبو تمام في «الحماسة»، وأنشد لها فقال: قالت: [من الوافر]:

ألا مَـن مُـبـلِـغٌ عـنـا قـريـشـاً ... فـفـيـمَ الأمـرُ فـيـنـا والإمـارُ
لـنـا الـسَّـلَـفُ الـمـقـدَّمُ قـد عـلـمـتُـم ... ولـم تـوقـد لـنـا بـالـغـدر نـارُ
وكـلُّ مـنـاقـب الـخـيـرات فـيـنـا ... وبـعـضُ الأمـر مَـنْـقَـصَـةٌ وعـارُ[2]

فصل وفيها توفي

عمر بن الخطاب

ابن نُفيل بن عبد العُزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رِزاح بن عدي بن كعب، وكُنيتُه أبو حفص، وأمُّه حَنْتَمةُ بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، وقد ذكرنا نسبَه ونسبَ أمِّه، وخلافتَه وبعضَ أيامه فيما تقدَّم[3].

وإسلامُه في سنة خمسٍ أو ستّ من النبوة، وأن الله أتَمَّ به الأربعين.

وهو من الطبقةِ الأُولى من المهاجرين، والعشرة المبشَّرين.

شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وثبت معه في

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٤١-٤٢، وسلف.

(٢) حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي (٨٠٥)، ومن قوله: وذكرها أبو تمام... إلى هنا ليس في (ك). وانظر في ترجمتها الاستيعاب (٣٣٧١)، والتبيين ١٦٧، والإصابة ٤/ ٣٤٨.

(٣) في بداية خلافته سنة (١٣هـ).

المواطن كلِّها، وخرج معه في عِدَّةِ سرايا، وكان أميراً على بعضها.

وهو أولَ خليفةٍ دُعي بأميرِ المؤمنين، وأوَّلُ مَن كتب التاريخَ، وجمع الناسَ على التراويح، وأوَّلُ مَن عَسَّ، وحمل الدِّرَّة وأدَّبَ بها، وجلد في الخَمْرِ ثمانين، وفتح الفُتوحَ، ومصَّر الأمصارَ: الكوفةَ والبصرةَ وغيرَهما، ووَضع الخَراجَ، ودوَّن الدَّواوين، واستقضى القُضاةَ، وفرض الأعطِيةَ، وكوَّر كُوَرَ السَّوادِ والأهوازِ والجبال وفارس وغيرها.

وقال ابن سعد: فتح عمرُ الشامَ كلَّه ما خلا أجنادين؛ فإنَّها فُتحت في خلافة أبي بكرٍ ﷺ، قال: وفتح الجزيرةَ، والمَوْصلَ، ومَيَّافارِقين، وآمِد، وأرمينية، ومصر، والإسكندرية، ومات وخيلُه على الرَّيِّ[1].

وقال هشام: فتح عمر اليرموكَ، ودمشق، والأُردنَّ، وبَيْسانَ، وطبريّة، وفِلَسْطين، والرَّملة، وغزَّة، وعَسقلان، والسواحل، والقدس، ومصر، وبَرْقَة، والإسكندرية، وطرابلس الغَرْب، ومدنَ الشام: بَعلبكّ، وحمص، وقِنَّسْرين، وأنطاكية، والجزيرةَ، وحَرّان، والرُّها، والرَّقَّة، ونَصيبين، ورأسَ عين، وسُمَيْساط، وعين وَرْدة، وديارَ بَكرٍ، وربيعة، وبالعراقِ: القادسيّة، وبَهُرَسير، وساباط، والمدائن، وكُوَر الفُرات ودجلة، والأُبُلَّة، والبصرة، والأهواز، وفارس ونهاوَنْد، وهَمَذان، وخُراسان، وإصطخر، وأصفهان، والسّوسَ، ومَرْوَ، ونَيسْابور، وأذْرَبيجان، وقطعت جُيوشُه النهر مِراراً وغير ذلك، وقد فصَّلناه فيما تقدَّم.

وقال الواقدي: وحجَّ بأزواجِ رسولِ الله ﷺ.

وكان مُتواضعاً في الله، خَشِنَ المَلْبَسِ، خَشِنَ المَطْعَمِ، شديداً في ذاتِ الله، وكان يَلبَسُ الصّوفَ، ويَرقَعُ الثّوبَ بالأديمِ، ويَشتمَل بالعباءةِ، ويَحمل القِرْبَةَ على كَتِفِه مع عظيمِ هَيْبَتِهِ، ويركبُ الحمار مُعرىً، والبعيرَ مَخْطوماً بالليفِ، مُرَحّلاً بالشعر، وكان قليل الضحك لم يُمازح أحداً قط، إلى غيرِ ذلك [من] الصفاتِ الجميلةِ والأدوات الجليلةِ.

قال ابن مسعود: كان إسلامه فتحاً وعزّاً، وهجرته نصراً، ورضاه عدلاً[2]، وكان

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٢.

(٢) جاء بدلاً عنها في جميع المصادر: وكانت إمامته رحمةً.

نقش خاتمه: كفى بالموت واعظاً يا عمر.

ذكر صلابته في دين الله وشدّته: قال ابن سعد بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أشدُّ أمتي في دين الله عمر بنُ الخطاب».

جاء عُيَيْنة بنُ حِصن والأقرع بنُ حابِس إلى أبي بكر رضوان الله عليه، فقالا: يا خليفة رسول الله، إن ها هنا أرضاً سَبِخة، ليس فيها كلأ ولا منفعة، فإن رأيتَ أن تُقطِعنا إياها ننتفع بها، فقال لمن حوله: ما تَرون؟ قالوا: لا بأس بذلك، فأقطعهما إياها، وكتب لهما بها كتاباً، وأشهد فيه مَن حضر، وقال فيه: اذهبا إلى عمر ليَشهد عليه.

فانطلقا نحو عمر رضوان الله عليه، فإذا هو قائم يَهنَأ بعيراً له، فأخبراه ودفعا إليه الكتاب، فأخذه ونظر فيه، ثم تَفل عليه فمحاه، فتذَمَّرا، فقال لهما: إن رسول الله ﷺ كان يَتألّفكما على الإسلام، والإسلام يومئذٍ ضعيف، وقد أعزّ الله الإسلام، فاذهبا فاجْهَدا جَهدَكما، لا رَعى الله عليكما إن قصَّرْتُما.

فأقبلا إلى أبي بكر رضوان الله عليه فقالا: والله ما نَدري أنتَ الخليفةُ أم عمر؟ فقال: لا بل هو أرادني.

وجاء عمر رضوان الله عليه في تلك الحال، فقال ـ وقد اشتدّ غضبه ـ لأبي بكر رضوان الله عليه: أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتَها هذين، هي لك خاصة أم للمسلمين عامة؟ فقال: لا، بل للمسلمين عامة، فقال: ما الذي حَملك على أن تَخصَّ بها هذين؟ قال: استشرتُ مَن حولي فأشاروا عليَّ بذلك، فقال: أكُلّ المسلمين أوسعتَهم مشورةً ورِضى؟ فقال له أبو بكر رضوان الله عليه: قد قلتُ لك إنك أَجلدُ على هذا الأمرِ منّي وأقوى، ولكنك غَلبتَني[(١)].

وحكى ابن سعد عن راشد بن سعد، أن عمر بن الخطاب أُتي بمال، فجعل يقسمه بين الناس، فازدحموا عليه، فجاء سعد بن أبي وَقّاص رضي الله عنه يُزاحم الناس، حتى خلص إليه، فعلاه بالدِّرّة وقال: يا سعد، إنك أقبلتَ لا تَهابُ سُلطانَ الله في الأرض،

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير ٥٦، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٩٣-٢٩٤، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٦٨٣)، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/ ٥٥. وهذا الخبر بطوله ليس في (ك).

فأحببتُ أن أُعلمك أن سُلطانَ الله لن يَهابَك[١].

قال الأحنَفُ بن قيس: كنّا جُلوساً بباب عمر رضوان الله عليه، فمرَّت جاريةٌ فقالوا: سُرِّيَّةُ أمير المؤمنين، فقالت: ما هي[٢] لأمير المؤمنين بسُرِّيَّة، ولا تحلُّ له، إنها من مال الله، فقلنا: فماذا يَحلُّ له من مال الله؟ فقال[٣]: أنا أُخبركم بما أَستحِلُّ منه، يَحلُّ لنا حُلَّتان: حُلَّةٌ في الشتاء وحُلَّةٌ في القَيظ، وما أَحُجُّ عليه وأَعتِمر من الظَّهْر، وقُوتي وقُوتُ أهلي كقُوت رجلٍ من قريش، ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا بعدُ رجلٌ من المسلمين، يُصيبُني ما أصابهم.

وكان أنسٌ يقول: إنَّ دِرَّةَ عمر أهيبُ من سيوفكم.

وقال ابن سعد بإسناده عن عكرمة، أن حجَّاماً كان يَقصُّ شاربَ عمر، وكان عمرُ رجلاً مَهيباً، فتَنَحْنَح عُمر فأحدثَ الحجّامُ، فأمر له عمر بأربعين درهماً، قال ابن سعد: الحجّام هو سَعيد بن الهَيْلم[٤].

ذكر زهده وورعه: قال أبو نعيم بإسناده عن مصعب بن سعد قال[٥]: قالت حفصةُ لعمر: يا أمير المؤمنين، لو لبستَ ثوباً هو أَلْيَنُ من ثوبك، وأكلتَ طعاماً هو أَلْيَنُ من طعامك، فقد وسَّع الله من الرزقِ وأكثر من الخيرِ، فقال: سأخصِمُك إلى نفسك، أما تَذكُرين ما كانَ رسولُ الله ﷺ يَلقى من شِدَّة العيشِ؟ قال: فمازال يُذكِّرُها حتى أبكاها، ثم قال: أما والله لأُشاركنَّهما في مثلِ عَيْشِهما الشديد لَعَلِّي أُدرك عَيْشَهما الرَّخِيَّ، يعني النبي ﷺ، والصديق رضي الله عنه[٦].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أنسٍ قال: كان بين كَتِفَيْ عمر ثلاثُ رِقاعٍ من أَدِيم.

وفي روايةِ ابن سعدٍ عن الحسنِ قال: خطب عمر الناس وهو خليفةٌ، وعليه إزارٌ،

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٧.

(٢) في (خ) و(ع): فقال وما هي، والخبر ليس في (ك)، والمثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥٦.

(٣) يعني: عمر رضي الله عنه.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٧.

(٥) من قوله: وكان أنس يقول... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٦) حلية الأولياء ١/ ٤٨-٤٩، وأخرجه ابن سعد ٣/ ٢٥٨.

وفيه اثنتا عشرة رُقعةً.

وفي روايةِ ابن سعدٍ أيضاً قال: أبطأ عمرُ يوم جمعة عن الخُطبةِ، فلما صَعِد المِنْبَرَ اعتذر إلى الناسِ وقال: إنَّما حَبَسني قَميصي هذا؛ لم يكن لي سواه، يعني أنَّه غَسَلَهُ. قال: وكان يُخاط له قميصٌ سُنبلانيّ، لا يُجاوِزُ كُمُّه رُسْغَ كفِّه[١].

وقال هشام بن عروة: خطب عمر يوماً الناسَ وعليه إزارٌ جديد فلما قال: أيُّها الناسُ، أدار سلمانُ الفارسيُّ ظهره إليه، فقال عمر: يا عبد الله، يعني ولَده، هذا الإزارُ لمن؟ فقال: لي، فقال عمر: أيُّها الناسُ، غسلتُ ثوبي، ودَهَمَني وقتُ الصلاةِ، ولم يَجِفَّ، فأخذتُ ثوبَ عبد الله، فأدار سلمانُ وجهه إليه وقال: قُلِ الآن حتى نَسْمَعَ.

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن ابن عمر قال: أُتي عمر بشَرْبَةٍ من عَسَلٍ، فذاقها وقال: اعزلوا عني حسابها، اعزلوا عني مُؤنتها[٢].

وروى عبد الله بن أحمد بإسناده إلى ابن عباسٍ قال: دخلتُ على عمر، وبين يديه مالٌ، فنَشَج حتى اختلفتْ أضلاعُه، ثم قال: ودِدْتُ أن أنجُوَ منه كفافاً، لا لي ولا عليَّ[٣].

وقد ذكرنا أنَّه حجَّ فأنفق في حَجَّته ستَّةَ عَشَرَ ديناراً، وكان يَسْتظِلُّ بالشجر ولا خيمةَ له ولا فُسْطاط، وقال لابنه عبدِ الله: قد أَسْرَفْنا.

وفي روايةٍ أن عمر رأى جاريةً وهي تمشي تترنَّح من الجوعِ، فقال: وَيْحَ هذه! من يَعْرِفُها؟ فقال ابنُه عبد الله: هذه ابنتي، قال: فما بالُها؟ قال: تحبِسُ ما في يدِكَ فيُصيبنا كذا، فقال: يا عبدَ الله، بيني وبينكم كتابُ الله، ما أُعطيك إلّا ما فَرَضَ الله لك[٤].

وقال ابن سعد: كان عمر وهو خليفة يَتَّجر[٥].

وحكى ابن سعدٍ أيضاً عن الحسن قال: كان خبزُ عمر مَأْدوماً يوماً بزيتٍ، ويوماً بسَمْنٍ، ويوماً بقَديدٍ يابسٍ، فقيل له في ذلك فقال: لو شِئتُ لكنتُ أطيبَكم طعاماً، أما

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٠٤، ٣٠٥.
(٢) الزهد ١٤٩.
(٣) أخرجه ابن سعد ٣/ ٢٦٨ مطولاً.
(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥٧.
(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥٨.

والله ما أجهلُ عن كراكِر وأسنِمةَ، وعن صِلاءٍ وصِنابٍ وصَلائق، ولكني سمعتُ الله يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [الأحقاف: ٢٠].

الصِّلاء: الشِّواء، والصِّناب: الخَرْدَل، والصَّلائق: الخبزُ الرقيق، وأراد أسنمة الجِمال وظُهورَها.

وقال ابن سعدٍ بإسناده، قال ابن للبراء بن معرور: إن عمر خرج يوماً حتى أتى المِنْبَرَ، وقد كان اشتكى شكوى له، فنُعِتَ له العسلُ، وفي بيتِ المالِ عُكَّةٌ من عسلٍ، فقال: أيّها الناسُ، إني مريضٌ، وقد وُصِفَ لي العسلُ، وفي بيتِ المال عُكَّةٌ، فإن أذِنتُم لي فيها أخذتُها، وإلا فهي عليَّ حَرام، فأذِنوا له فيها.

وحكى ابنُ سعدٍ عن الواقدي قال: أهدى أبو موسى الأشعري إلى عاتكة بنت زيد زوجةِ عمر طِنْفِسةً تكون قَدْرَ ذِراعٍ و شِبرٍ، فقال لها عمر: من أين لكِ هذه؟ قالت: أهداها إليَّ أبو موسى، فدعاها عمر وضرب بها رَأْسَها حتى نَفَضَ رَأْسَها، ثم قال: عليَّ بأبي موسى، فجاء، فقال له: ما حَملكَ على أن تُهديَ لِنسائي؟ ثم ضرب بها رأسَه وقال: خُذْها لا حاجةَ لنا بها(١).

وحكى الواقدي أيضاً عن ابن عباسٍ قال: أهدت امرأةُ ملكِ الروم إلى زوجةِ عمر أُمِّ كلثوم بنت عليّ عقداً وطِيباً على دوابِّ البريدِ التي للمسلمين، وكان عمر قد بعث البريد إلى ملك الروم في مُهمٍّ، فبعثتْ معه أُمُّ كلثوم بهدية إلى امرأةِ ملك الروم، فبعثت إليها امرأةُ ملكِ الروم بهديَّةٍ فيها طِيبٌ، وعِقدُ لؤلؤٍ فيه جوهر له قيمةٌ، فلما بلغ عمرَ ذلك جمع المسلمين وأخبرهم الخبرَ وقال: ما تَرونَ؟ فقالوا: مازلنا نُهدي إليهم ويُهْدون إلينا، فقال: نعم، ولكنَّ البريدَ الذي حُمِلت عليها الهديّة إنَّما هو للمسلمين، فردَّ الطيبَ والعِقْدَ إلى بيتِ المال وقال: أعطوها قيمةَ ما أهدت(٢).

وكان عمر رضوان الله عليه إذا احتاج أتى صاحبَ بيت المال فاستقرضه، فربما أَعْسَر، فيأتيه صاحب بيت المال فيتقاضاه ويلزمه، فيحتال له عمر، وربما خرج عطاؤه فقضاه(٣).

(١) الأخبار الثلاثة في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥٩-٢٦٠، ٢٥٧، ٢٨٧.

(٢) المنتظم ٤/ ١٣٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٥٧، وهذا الخبر ليس في (ك). ومعنى يحتال له: يُحيله بالدَّين على رجلٍ آخر يتقاضى منه.

ذِكْرُ تعبُّدِه: قال ابن سعد بإسناده قال: كان يصوم الدهرَ، وكان زمانَ الرَّمادة إذا أمسى أُتي بخُبزٍ وزيتٍ قد لُتَّ به، ونَحروا يوماً جَزوراً، فقدَّموا إليه منها فقال: بئسَ الوالي أنا إنْ أكلتُ طَيِّبَها وأطعمتُ المسلمين كراديسها، ولم يأكلْ منها، وقد ذكرناه.

وكان يصلي بالناس العشاء، ثم يدخل بيتَه، فلايزال يصلي، حتى إذا كان آخر الليل خرج فيأتي الأنقاب فيطوف عليها.

وروى ابن سعدٍ عن ابن المسيّب قال: كان عمر يُحِبُّ الصلاة في كَبدِ الليل. يعني في وسط الليل(١).

وروى سفيان بن عُيينةَ بإسناده عن ابن عمر قال: ما مات عمر حتى سَرَد الصَّوْمَ(٢).

ذِكْرُ خوفِه: رُوي عن عبد الله بن عمر قال: كان عُمر يقول: **لو ماتَ جَدْيٌ بطَفِّ الفُراتِ لخَشيتُ أن يُحاسبَ الله به عمر.**

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن عبد الله بن عامر قال: رأيتُ عمر بنَ الخطاب قد أخذَ تِبنَةً من الأرض وقال: ليتني كُنتُ هذه التِّبْنَةَ، ليتني لم أُخلق، ليتني لم تلدني أمي، ليتني لم أكن شيئاً، ليتني كنتُ نَسْياً مَنْسيّاً(٣).

وقال أبو نُعيم بإسناده عن عبدِ الله بن عيسى قال: كان في وَجهِ عمرَ خَطّانِ أسودانِ من البكاء.

ورُوي عن ابن أبي الدنيا، عن ابن عمر قال: كان عمر يسمع الآيةَ فيُغشى عليه، فيُحملُ صريعاً إلى منزله، فيُعاد أياماً، ما به مَرَضٌ غير الخوف(٤).

قال رسول الله ﷺ: «قد كان في الأمم مُحدَّثون، فإن يكن في أمتي [منهم أحد] فعمر». أخرجه مسلم.

وقال البخاري: وزاد زكريا بن أبي زائدة: «قد كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ

(١) الأخبار الثلاثة في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٠-٢٩١ ، ٢٦٦ .
(٢) أخبار عمر لابن الجوزي ١٣٩ .
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٤ ، ٣٣٤ .
(٤) حلية الأولياء ١/ ٥١ .

يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن أحد من أمتي فعمر»[١].

حديث هرب الشيطان من عمر: قال أحمد بإسناده، قال سعد بن أبي وقاص: استأذن عمر بن الخطاب على رسولِ الله ﷺ وعنده نِسْوَةٌ من قُريشٍ يسألْنَه ويستَكثِرْنَه، عاليةً أصواتُهن على صوته، فلما استأذن عمر ابتدَرْنَ الحجابَ، فأذِن له رسولُ الله، فدخل ورسولُ الله يضحكُ، فقال عمر: أضحكَ الله سِنَّك يا رسول الله، ممَّ تَضحك؟

قال: عجبتُ من هؤلاء اللاتي كُنَّ عندي، فلما سَمِعْنَ صوتَك ابتَدَرْن الحجابَ، قال عمر: فأنتَ أحقُّ يا رسولَ الله أن يَهَبْنَ، ثم قال عمر: أي عدوَّاتِ أنفُسهنَّ، أتَهبنَني ولا تَهَبْنَ رسولَ الله ﷺ؟ قُلن: نعم، أنت أفَظُّ وأغلظُ من رسولِ الله، فقال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لَقيك الشيطانُ سالكاً فجّاً إلّا سلك غير فَجِّكَ». أخرجاه في «الصحيحين»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «رأيت فيما يرى النائم كأني [أنزع أرضاً إذ] وردت عليَّ غنم سود وعُفْر، فجاء أبو بكر فنزع ذَنوباً أو ذَنُوبَيْن، وفي نَزْعه ضَعفٌ والله يغفر له، ثم جاء عمر فنزع فاستحالت غَرْباً، فملأ الحوض، وأروى الواردة، فلم أر عبقريّاً أحسن نزعاً من عمر، فأوَّلتُ أن السَّواد العرب، والعُفْرَ العَجمُ». أخرجاه في «الصحيحين»[٣].

حديث القَدَح: قال أحمد بإسناده عن سالم، عن أبيه قال: كان النبي ﷺ يُحَدِّث قال: «بينما أنا نائمٌ رأيتُ أني أُتيتُ بقَدَح، فشربتُ حتى أرى الريَّ يَخرج من أطرافي، ثم أعطيتُ فَضْلي لعمر»، قالوا: فما أوَّلْتَ ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم». أخرجاه في «الصحيحين»[٤].

---

(١) صحيح مسلم (٢٣٩٨)، وصحيح البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة ﷺ. وهذا الحديث ليس في (ك).
(٢) مسند أحمد (١٤٧٢)، وصحيح البخاري (٣٦٨٣)، وصحيح مسلم (٢٣٩٦).
(٣) أخرجه بهذا السياق أحمد (٢٣٨٠١)، وابن عساكر ٥٣/ ٢٠٤ من حديث أبي الطفيل ﷺ، وأخرجه بغير هذا السياق من حديث ابن عمر وأبي هريرة ﷺ (على الترتيب): أحمد (٤٨١٤) و(٨٢٣٩)، والبخاري (٣٦٨٢) و(٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩٣) و(٢٣٩٢). وهذا الحديث ليس في (ك).
(٤) مسند أحمد (٦١٤٢)، وصحيح البخاري (٣٦٨١)، وصحيح مسلم (٢٣٩١).

قال عمر رضوان الله عليه: وافقتُ ربّي في ثلاث؛ قلتُ: يا رسول الله، لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مصلًّى، فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥]، وقلتُ: يا رسول الله، إن نساءك يَدخل عليهنّ البرُّ والفاجر، فلو أمرتَهنَّ أن يحتَجِبْنَ، فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله نساؤه في الغَيْرة، فقلت لهنّ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾[التحريم: ٥]، فنزلت كذلك. أخرجاه في «الصحيحين»(١).

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: فضَل الناسَ عمرُ بأربع:

بذكر الأُسارى يوم بدرٍ، أمر بقتلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية [الأنفال: ٦٨]،

وبذكر الحجاب، أمر نساءَ رسول الله ﷺ أن يَحتجِبْن، فقالت له زينب: وإنك علينا يا ابن الخطاب، والوحيُ يَنزل في بيوتنا؟!، فأنزل الله ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[الأحزاب: ٥٤]،

وبدعوة النبي ﷺ: «اللهمَّ أيِّد المسلمين بعمر».

وبرأيه في أبي بكر، كان أول مَن بايعه من الناس(٢).

حديث القميص: قال أحمد بإسناده عن أبي سعيد الخُدريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بينما أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ يُعرَضون عليَّ، وعليهم قُمُصٌ، منها ما يَبلغ الثُّدِيَّ، ومنها ما يبلغُ دون ذلك، وعُرِضَ عليَّ عمرُ وعليه قميصٌ يَجُرُّه»، قالوا: فما أوَّلتَ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «الدِّين». أخرجاه في «الصحيحين»(٣).

حديث القصر: قال أحمد بإسناده عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «دخلتُ الجنَّةَ، فإذا بقصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ قالوا: لشابٍّ من قريشٍ، قلتُ: لمَن؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فلولا ما علمتُ من غَيْرَتِك لدخلتُه»، فقال عمر: عليك يا

(١) مسند أحمد (١٥٧)، وصحيح البخاري (٤٠٢)، وصحيح مسلم (٢٣٩٩) مختصراً.

(٢) أخرجه أحمد (٤٣٦٢)، وابن عساكر ٥٣/ ٥١، والحديثان ليسا في (ك).

(٣) مسند أحمد (١١٨١٤)، وصحيح البخاري (٣٦٩١)، وصحيح مسلم (٢٣٩٠).

رسولَ الله أغار. أخرجاه في «الصحيحين»(١).

حديث **«لو كان بعدي نبي»**: قال أحمد بإسناده عن عُقبة بن عامر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمرَ بنَ الخطاب»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الحقّ على لسان عمر وقلبه»(٣).

وقال أحمد بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عمر بن الخطابِ سِراجُ أهلِ الجنَّةِ»(٤). قال الزهري: ومعناه أنَّهم يستضيئون بنورِ عَدْلِهِ وزُهده وشِدَّته في الله.

وقال أحمد بإسناده عن ابن عمر عن أبيه عمر قال: استأذَنْتُ رسولَ الله ﷺ في العمرةِ، فأذِن لي وقال: «يا أخي، لا تَنْسَنا من دُعائِكَ»، وفي روايةٍ: «يا أخي، أشرِكْنا في دعائك»، قال عمر: ما أُحبُّ أن لي بها ما طلعت عليه الشمس، لقوله: «يا أخي».

حديث مُنكر ونكير:

قال أحمد بإسناده عن عبد الله بن عَمرو قال: ذكر رسول الله ﷺ فتَّانَ القبر ـ أو فتَّاني القَبْرِ ـ فقال عمر: أَتُرَدُّ علينا يا رسول الله عقولُنا؟ قال: «نعم، كهيئتكم اليوم»، فقال عمر: بفِيه الحجر(٥). وسنذكر هذا عند وفاة عمر.

قال أسلم: خرجتُ مع عمر إلى السوق، فلحقته امرأةٌ شابة فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي وترك صِبيةً صغاراً، والله ما يُنضِجون كُراعاً، ولا لهم زَرْعٌ ولا ضَرْع، وقد خشيتُ عليهم الضَّبُع، وأنا ابنةُ خُفاف بن إيْماء الغِفاري، وقد شهد أبي الحُديبيةَ مع رسول الله ﷺ.

فوقف عمر معها ولم يَمضِ، وقال: مَرحباً بنسبٍ قريب، ثم انصرف إلى بعيرٍ

---

(١) مسند أحمد (١٢٠٤٦)، وصحيح البخاري (٥٢٢٦) و(٥٢٢٧)، وصحيح مسلم (٢٣٩٤) و(٢٣٩٥) من حديث جابر بن عبد الله وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) مسند أحمد (١٧٤٠٥).

(٣) مسند أحمد (٥١٤٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) فضائل الصحابة (٦٧٧)، وتاريخ دمشق ٥٣/ ١٤٤.

(٥) الحديثان في مسند أحمد (١٩٥) و(٦٦٠٣).

ظَهير، كان مَربوطاً في الدار، فحمل عليه غِرارتَيْن ملأهما طعاماً، وجعل بينهما نَفقةً وثياباً، وناولها خِطامَه وقال لها: اقتاديه، فلن يَفنى هذا حتى يأتيَكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرتَ لها! فقال عمر: ثَكلتْك أمُّك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حِصناً زماناً فافتتحاه، ثم أصبحنا نَستَفيْءُ سُهْمَانَهما فيه. انفرد بإخراجه البخاري(١).

وقال أبو نعيم بإسناده عن الأوزاعي أن عمرَ بنَ الخطاب خرجَ في سوادِ الليل، فرآه طلحةُ، فدخل عمر بيتاً، ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحةُ ذهب إلى ذلك البيت، فإذا عجوزٌ عَمياء مُقْعَدَةٌ، فقال لها: ما بالُ هذا الرجل يَأتيك؟ فقالت: إنَّه يَتعاهَدُني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يُصلحني، ويُخرِجُ عنّي الأذى، فقال طلحةُ: ثكلتْكَ أُمُّك يا طلحة، أعَثراتِ عمر تَتَبَّع(٢)؟

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن ابن عمر قال: قَدِمت رُفْقَةٌ من التُجّارِ فنزلوا المصلَّى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوفٍ: هل لك أن نَحْرُسَهم الليلةَ من السَّرق؟ قال: نعم، فباتا يَحرسانهم ويصلِّيان ما كتب الله لهما، فسمع عمرُ بكاءَ صبيٍّ، فتوجَّه نحوه وقال لأُمِّه: اتَّقي الله وأحسِني إلى صبيِّكِ، ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه، فعاد إلى أُمِّه فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان آخر الليل سمع بكاءَه، فأتى أُمَّه فقال لها: وَيحكِ، إني لأراكِ أُمَّ سوءٍ، مالي أرى ابنَك لا يَقِرُّ منذ الليلة؟ فقالت: يا عبدَ الله، قد أَبْرَمْتَني منذ الليلةِ، إني أُرِيغُه عن الفِطام فيأبى ذلك، قال: ولِمَ؟ قالت: لأنَّ عمرَ لا يَفْرِضُ إلا للفُطُم، قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً، قال: وَيحكِ لا تُعجِليه، فصلّى الفجرَ وما يَستبينُ الناسُ قِراءتَه من غَلَبة البُكاءِ، فلما سلَّم قال: بُؤساً لعمر كم قتلَ من أولادِ المسلمين، ثم أمر مناديه فنادى: لا تُعجِلوا صِبيانَكم عن الفِطام، فإنا نَفرِضُ لكلِّ مولودٍ في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق(٣).

قال أسلم: أتينا الحرَّة مع عمر فإذا امرأة تمخض وتبكي، فسألها عمر عن حالها

---

(١) في صحيحه (٤١٦٠). وهذا الخبر ليس في (ك).

(٢) حلية الأولياء ١/ ٤٨ .

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٠-٢٨١ .

فقالت: يا عبد الله، أنا امرأة غريبة، وليس عندنا شيء، فبكى عمر، وعاد يُهرول إلى بيته، فقال لامرأته أمِّ كلثوم بنت علي: هل لك في أجرٍ ساقه الله إليك، وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره الدَّقيق والشَّحْم، وحملت أمُّ كلثوم ما يَصلُح للولادة، وجاء فدخلت أمُّ كلثوم على المرأة، وجلس عمر يتحدث مع زوجها، وهو إلى جانبه ولا يعرفه، ووضعتْ المرأةُ غُلاماً، فنادت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين، بَشِّر صاحبَك بغُلام، فلما سمع الرجل قولَها استأخر عنه، فقال: على رِسلك، فوصلهما وانصرف[1].

حديث امرأةٍ أخرى:

قال عبد الله بن أحمد بإسناده، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: خرجنا مع عمرَ إلى حَرَّةِ واقم، حتى إذا كنّا بِصِرار إذا بنارٍ، فقال لي: يا أسلم، إني أرى ها هُنا ركباً قد قَصَّر بهم الليلُ والبردُ، انطلق بنا، فأخذنا نُهَرْوِلُ حتى أتيناهم، فإذا امرأةٌ معها صِبْيان صغار، وإذا بقِدْرٍ منصوبةٍ على النارِ، وصبيانُها يَتَضاغَوْن، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحابَ الضَّوء، وكره أن يقول: يا أصحاب النار، فردَّتِ السلامَ فقال: ما بالُكم؟ قالت: هؤلاء الصبيان يَتَضاغَوْن جوعاً، قال: فأيُّ شيءٍ في هذه القِدرِ؟ قالت: ما أُعلِّلُهم بهِ حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر، فقال: رحمكِ الله، وما يُدري عمرَ بكم؟ قالت: يتولّى أمرَنا ويَغفُلُ عنا؟!

قال: فبكى بكاءً شديداً وقال: اتبعني، وهرول حتى أتى دار الدقيقِ، فأخرج عِدْلاً من دقيقٍ وكُبَّةَ شَحْم، وقال: يا أسلم، احمِلْه على ظَهْري، فقلتُ: أنا أحمِلُه عنك، فقال: لا أُمَّ لك، أنت تحملُ وِزْري يومَ القيامة؟ فحملتُه على ظهرِهِ، وانطلقنا إلى المرأةِ، فألقاه عن عاتِقِه، فأخرج من الدقيقِ فَذَرَّه في القِدْرِ، وألقى عليه من الشَّحْمِ، وجعل يَنفُخ تحت القِدْرِ ساعةً، ثم أنزلها وقال: ابغني صَحْفة، فغرف فيها، ثم تركها بين يَدَي الصبيانِ وقال: كُلوا، فأكلوا حتى شبعوا، والمرأةُ تدعو له وتقول: جزاكَ اللهُ خيراً، كنتَ أولى بهذا من عمر، فقال: قُولي خيراً، ثم تنحّى عنها فربضَ مَرْبضاً،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في سيرة عمر ٧٧، وابن كثير في تاريخه ١٠/ ١٨٦ هجر، والخبر ليس في (ك).

فقلتُ له: ألك شأنٌ غيرُ هذا؟ فقال: يا أسلم، الجوعُ أسهَرهم وأبكاهم، فما أُحِبُّ أن أنصرفَ حتى يناموا، فناموا شباعاً وانصرفْنا[١].

حديث ركوب البحر:

قال ابن سعدٍ بإسناده عن زيدِ بن أسْلَم قال: كتب عمر بنُ الخطاب إلى عمرو بن العاص يسأله عن ركوبِ البحرِ، فكتب إليه عمرو يقول: دُودٌ على عُودٍ، فإن انكسر العودُ هلك الدّود، فأمسك عمر عن ركوبِ البحر، وفي رواية ابن سعدٍ أيضاً أن عمر قال: لا يَسألُني الله عن ركوب المسلمين البحر أبداً[٢].

وروى عنه ابنُه عبد الله أنه قال: لولا آيةٌ في كتاب الله لعلوتُ راكبَه بالدِّرَّة، وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[يونس: ٢٢].

وحضر بين يديه عام الرَّمادة من لحم جَزور في قصعة، فقال لغلامه يرفأ: اذهب بهذه القصعة إلى أهل بيت بثَمْغ، فإني لم آتهم منذ ثلاث، ودعا بالخبز والزيت، وأفطر عليه.

وكان يُدخل يدَه في دُبُر البعير ويقول: إني لخائف أن أُسألَ عمَّا بك[٣].

وقال: لو مات جمل ضياعاً بشط الفرات لخفت أن يسألني الله عنه.

رأى علي عمر رضوان الله عليهما يَعْدُو على قَتَب، فقال له: إلى أين يا أمير المؤمنين؟ فقال: قد نَدّ بعير من إبل الصدقة، فقال: لقد أتعبتَ الخلفاء بعدك، فقال: يا أبا الحسن لا تَلُمْني، فوالله لو مات جَدْيٌ بطَفِّ الفُرات لخِفْتُ أن أُطلَبَ به[٤].

وجاء أعرابي إليه فقال له: يا أمير المؤمنين، إن بَعيري قد نَقِب فاحملْني، فنظر عمر رضوان الله عليه إليه، وقال: ليس ببعيرك شيء، فولّى الأعرابي وهو يقول: [من الرجز]

أقسم بالله أبو حفصٍ عُمَرْ
ما مَسَّه من نَقَبٍ ولا دَبَرْ

---

(١) فضائل الصحابة (٣٨٢).
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٥ .
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٩٠ ، ٢٦٧ .
(٤) سيرة عمر لابن الجوزي ١٣٣ .

فـاغـفـرْ لـه الـلـهـمَّ إن كـان فَـجَـرْ

فقال عمر: اللهم اغفرْ لي وله، وحمله[١].

وخرج رجلٌ اسمُه كِلاب مجاهداً إلى الشام، وله والدان كبيران، فقال أبوه: [من الوافر]

تـركـتَ أبـاك مُـرْعَـشَـةً يـداه وأمَّـك مـا تُـسـيـغُ لـهـا شـرابـا

إذا غَـنَّـتْ حـمـامـةُ بـطْـنِ فَـجٍّ عـلـى بـيـضـاتـهـا ذكـرتْ كِـلابـا

وبلغ عمرَ رضوان الله عليه الشعرُ، فكتب إلى يزيد بن أبي سفيان أن سَرِّح كلاباً، فلما قدم قال له: كن مع أبوَيْك حتى يَموتا أو تموت[٢].

فصل قصة نصر بن حجَّاج

قرأتُ على أبي القاسم عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي الخطيبُ بالموصلِ في سنة خمسٍ وستٍّ مئةٍ، قلتُ له: أخبركم والدك أبو الفضل عبد الله بن أحمد، وعمُّك أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الطوسي، قالا بإسنادهما عن أبي بكرٍ محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، وكانت قِراءة الكِنْدي على الخرائطي بمكة في المسجد الحرام سنة ثلاثٍ وخمسين وثلاثِ مئةٍ، قال الخرائطي بإسناده عن محمد بن الجَهْم بن عثمان بن أبي الجهم، عن أبيه، عن جَدِّه، وكان على ساقة غنائم خيبر حين افتتحها رسول الله ﷺ قال: بينما عمر ﵁ يطوف ليلة في سِكَّةٍ من سِكَكِ المدينةِ إذ سمع امرأةً؛ وهي تَهتف في خِدْرِها وتقول: [من البسيط]

هـل مـن سـبـيـلٍ إلـى خَـمْـرٍ فـأشـربَـهـا أم هـل سـبـيـلٌ إلـى نَـصْـرِ بـن حـجَّـاجِ

إلـى فـتـىً مـاجـدِ الأعـراقِ مُـقْـتَـبـلٍ سـهـلِ الـمُـحـيّـا كـريـمٍ غـيـرِ مِـلْـجـاجِ

نَـمَـتْـهُ أعـراقُ صِـدْقٍ حـيـن تَـنْـسـبُـه أخـي حِـفـاظٍ عـن الـمـكـروه فـرَّاجِ

فقال عمر: أرى معي في المِصْرِ رجلاً تهتِفُ به العواتقُ في خِدْرِها - أو في

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٠٣، وأنساب الأشراف ٩/ ٧٦.

(٢) تاريخ دمشق ١٤/ ٦١٧ (مخطوط)، وأخرجه عبد الرزاق (٢٠١٢٥)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٢٣٩) و(٢٤٠)، والفاكهي في أخبار مكة (١٩٧٦)، وأبو الفرج في الأغاني ٢١/ ٩-١١، والقالي في أماليه ٣/ ١٠٨. ومن قوله: وحضر بين يديه عام الرمادة... إلى هنا ليس في (ك).

خُدورِها ـ عليَّ بنَصرِ بن حجَّاج، فأُتي به، فإذا هو من أحسنِ الناسِ وَجْهاً وعَيناً وشَعَراً، فأمر بشَعرِهِ فجُزَّ، فخرجتْ له جبهةٌ كأنَّها شِقَّة قَمرٍ، فأمره أن يَعتَمَّ، فاعتمَّ فافتُتنَ النساءُ بعَيْنيه، فقال عمر: والله لا تُساكِنُني في بلادٍ أنا بها، قال: الله اللهَ يا أمير المؤمنين، قال: هو ما أقول لك، فسيَّره إلى البصرة.

وخشيت المرأةُ التي سمع منها عمرُ أن يبدرَ إليها منه شيءٌ، فدسَّت إليه أبياتاً تقول: [من البسيط]

قُلْ للإمامِ الذي تُخْشى بَوادِرُه ... مالي وللخَمْرِ أو نَصْرِ بن حجَّاجِ
إني غَنِيتُ أبا حَفْصٍ بغيرِهما ... شُربِ الحليبِ وطَرْفٍ فاترٍ ساجِ
إن الهوى زمَّه التَّقوى فخَيَّسه ... حتى أَقَرَّ بإلجامٍ وإسراجِ
لا تَجعلِ الظنَّ حقّاً أو تُيَقِّنَه ... إنَّ السبيلَ سبيلُ الخائفِ الراجي

قال: فبكى عمرُ وقال: الحمدُ للهِ الذي حبسَ التُّقى الهوى.

قال: وأتى على نصرٍ حينٌ، واشتدَّ على أُمِّه غيبةُ ابنها عنها، فتعرَّضت لعمرَ بين الأذانِ والإقامةِ، فقَعدتْ له على الطريقِ، فلما خرج يُريد صلاةَ العصرِ قالت: يا أمير المؤمنين، لأُجاثيَنَّكَ بين يدي الله تعالى ثم لأُخاصمنَّك؛ أيبيتُ عبدُ الله وعاصمٌ إلى جنبك، وبيني وبين ابني الفيافي والقِفار، والمفاوِزُ والجبالُ؟ فقال لها: يا أُمَّ نصرٍ، إن عبد الله وعاصماً لم تهتفْ بهما العواتقُ في خُدُورِهن، وانصرفتْ.

ومضى عمر إلى الصلاةِ، وأَبْرَد عمر بَريداً إلى البَصْرةِ، فمكث بالبصرةِ أياماً، ثم نادى مُناديه: مَن أراد أن يَكتُبَ إلى المدينةِ فليَكتُبْ، فإنَّ بريدَ المسلمين خارجٌ، قال: فكتب الناسُ، وكتب نَصر بنُ حجَّاج: سلامٌ عليك، أما بعدُ يا أميرَ المؤمنين: [من الطويل]

لعَمري لئن سيَّرتَني وحَرَمْتَني ... فما نِلْتَ من عِرْضي عليك حرامُ
أإن غَنَّتِ الذَّلْفاءُ يوماً بمُنْيَة ... وبعضُ أمانيِّ النساءِ غَرامُ
ظننتَ بي الأمرَ الذي ليس بعده ... بقاءٌ فمالي في النَّدِيِّ كلامُ
ويَمنعُني مما تقولُ تَكَرُّمي ... وآباءُ صدقٍ سالفون كِرامُ
ويَمنعُها مما تمنَّت صَلاتُها ... وحالٌ لها في قومِها وصِيامُ

فهاتان حالانا فهل أنت راجعي ... فقد جُبَّ منّا غارِبٌ وسَنَامُ

فقال عمر: أمّا ولي الإمارةُ فلا، وأقطعه أرضاً بالبصرة وداراً.

قال أبو بكرٍ الخرائطي: رحمةُ الله على عمر، ما كان أنظرَه بنورِ الله، وأفْرَسَه في ذاتِ الله! كان واللهِ كما قال الشاعر: [من الطويل]

بَصيرٌ بأعقابِ الأُمورِ برأيه ... كأنَّ له في اليوم عَيناً على غَدِ

وكما قال الآخر: [من السريع]

تَزيده الأيامُ إن ساعَفَتْ ... شِدَّةَ حَزْمٍ بتَصاريفها

كأنها في حالِ إسعافِها ... تُسمِعُه ضَجَّةَ تخويفها

وفي مثله يقال: [من الطويل]

يرى عَزَماتِ الرَّأي حتى كأنما ... تُلاحِظُه في كلّ أمرٍ عَواقِبُهْ

قال: وذلك أن نَصر بن حجَّاجٍ لمّا نفاه عمر رضي الله عنه إلى البصرةِ، كان يدخُلُ على مُجاشع بن مسعود السُّلَمي، وكان به مُعْجَباً، وكان لمجاشعٍ امرأةٌ يُقال لها الخُضَيراء تكتبُ وتقرأ، وكانت من أجمل النساء، وكان مُجاشِعٌ لا يَصبِرُ عنها وعن نصر بن حجَّاج، وهو يومئذٍ على البصرةِ أميرٌ، فكان لشَغَفِهِ بهما يَجمعهما في مَجلسِهِ، فحانت من مُجاشعٌ التفاتةٌ ونَصرٌ يَخُطُّ على الأرضِ خُطوطاً، فقالت الخُضيراء: وأنا، فعلم مجاشعٌ أنَّه جوابُ كلامٍ، وكان مُجاشعٌ لا يقرأ.

وانصرف نَصرٌ إلى منزلِهِ، ودعا مجاشعٌ كاتباً، فقرأ فإذا هو: إني لأُحبُّك حُبّاً لو كان فوقَك لأظلَّكِ، ولو كان تحتك لأقَلَّكِ، وبلغ نَصراً من فعلِ مُجاشع بن مسعود فاستحيا لذلك، واشتد وجدُه بها، وظهر دَنَفُه، وعَظُمَتْ بَليَّتُه، وحلَّتْ رزِيَّتُه، والتحَف عليه الضَّنَى، وامتنع من الغِذاء حتى شارفَ الفَناء، ولزمَ بيتَه حتى صار كالفَرْخِ، فقال مجاشع لامرأته: اذهبي إليه فأَسْنِديه إلى صَدرِك، وأطعميه الطعام بيدك، فأبت، فعزم عليها فذهبت، ففعلت به ذلك، فلما تحامل نصر خرج من البصرةِ فلم يُوقف له على خَبَرٍ[1].

---

(١) اعتلال القلوب ٣٣٧-٣٣٩، وانظر طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٥، وأنساب الأشراف ٩/ ١٠٢-١٠٣، والدرة الفاخرة (٣٩٧)، ومجمع الأمثال ١/ ٤١٤-٤١٦، ومصارع العشاق ٢/ ٢٦٦-٢٦٨ وفي حواشي تلك المصادر فضل تخريج.

وذكر المبرِّدُ في كتاب «الكامل» أن عمرَ لمّا جزَّ شَعرَ نَصْرِ قال نَصْر: [من الطويل]

ضَنَّ ابنُ خَطّابٍ عليَّ بجُمَّةٍ إذا رُجِّلَت تهتَزُّ هزَّ السَّلاسِلِ
فصَلَّعَ رأساً لم يصلِّعْهُ ربُّه يرِفُّ رفيفاً بعد أسودَ جاثِلِ(١)

الجاثل: الكثيرُ الشَّعر.

وقال هشام بن الكَلْبي: نصرُ بن حجَّاج بن عِلاط السُّلَميُّ، لأبيه حجَّاج صحبةٌ.

ومُجاشع بن مسعود كان خليفة أبي موسى الأشعريِّ على البصرةِ، وطلَّق مُجاشعٌ امرأتَه بسبب نَصرٍ، وبلغ أبا موسى فقال لنَصرٍ: ما أخرجَكَ أمير المؤمنين من خيرٍ، اخرُج عنّا، ونفاه إلى فارس، فنزل على دِهقانةٍ فأعجبها، فراسلتْه وراسَلها، وكان على فارس عُثمان بن أبي العاص الثقفي، فأراد أن يَنفيَه فقال له نصر: واللهِ لئن سيَّرْتني لألحقنّ بالكفار، فسكت عنه(٢).

وقال الهيثم: فيقال إن المُتَمَنِّية التي قالت: هل من سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربها، الفارعةُ أُمُّ الحجاج بن يوسف الثقفي، والله أعلم.

وبينا عمر يَطوفُ بالمدينة ذات ليلة إذا بنسوةٍ يَتحدَّثْنَ، فإذا هنَّ يَقُلن: أيُّ أهلِ المدينة أَصْبَح؟! فقالت امرأة منهن: أبو ذُؤيب، فلما أصبح سأل عنه، فإذا هو من بني سُليم، فأرسل إليه، فإذا هو من أجملِ الناس وَجهاً، فلما نظر إليه قال: والله أنتَ ذِئبُهنّ، مرتين أو ثلاثاً، والذي نفسي بيده لا تُجامِعْني بأرض أنا بها، فقال له: إن كنتَ لابدَّ مُسيِّرَني فسَيِّرْني إلى حيثُ سيَّرتَ ابن عمّي، فأمر له بما يُصلحُه وسيَّره إلى البصرة(٣).

وخرج رجل من المسلمين غازياً وترك امرأتَه، وكان إلى جنبها رجلٌ يُقال له: مَعقِل؛ له جَمال وشَعر، فكتب زوجُها إلى عمر: [من الطويل]

أعوذُ بربِّ الناس من شَرِّ مَعقِلٍ إذا مَعقِلٌ راح البَقيعَ ورَجَّلا

---

(١) الكامل ٧٠٦.
(٢) تاريخ دمشق ١٧/ ٥٣٨ـ٥٣٩ (مخطوط).
(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٥ـ٢٦٦، وأنساب الأشراف ٩/ ١٠٣، واعتلال القلوب ٣٣٩.

فقال عمر رضوان الله عليه للرجل: الحق بناحية أهلك حتى يَقدم فُلان[١].

وكان بالمدينة رجلٌ يُقال له: جَعْدَة؛ يتعرَّضُ للنّساء يَلبس الحُلَّة، ويُرَجِّل شَعره، وكان عمر ﷺ قد جَهَّز جيشاً إلى الشام للغزو، وبلغ الأنصار الذين في الجيش خبرُ جَعْدَة، فكُتب إلى عمر رضوان الله عليه: [من الوافر]

ألا أبلِغْ أبا حَفْصٍ رَسولا فدىً لك من أخي ثِقَةٍ إزاري
قَلائِصَنا هَداك الله إنّا شُغِلْنا عنكمُ زَمنَ الحِصارِ
يُعَقِّلُهُنَّ جَعْدةُ شَيْظَميٌّ وبئس مُعَقِّلُ الذَّوْدِ الظُّؤارِ

فلما وقف عمر رضوان الله عليه على الأبيات سأل عن الرجل، فدُلَّ عليه، فجزَّ شَعره، ونفاه عن المدينة[٢].

ذكر تواضع عمر ﷺ:

قال أحمد بإسناده عن عُبيد الله بن عباس قال: كان للعباسِ مِيزابٌ على طريقِ عمر، فلبس عمرُ ثيابَه يومَ الجمعة، وقد كان ذُبِحَ للعباس فَرْخان، فلما وافى المِيزابَ صُبَّ ماءُ دمِ الفَرْخَين فيه، فأصاب عمرَ، فأمر بقَلْعِهِ، ثم رجع عمر فطرح ثيابه ولبس غيرها، ثم جاء فصلّى بالناس، فأتاه العباس فقال له: والله إنَّه الموضع الذي وضعه رسولُ الله ﷺ، فقال عمر للعباسِ: وأنا أعزِمُ عليك إلا صَعدتَ على ظهري، حتى تضعه في الموضعِ الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ، ففعل العباسُ ذلك[٣].

قدم الأَحْنَف بن قيس المدينة، فقال له عمر رضوان الله عليه: أين نزلتُم؟ قال: في مكان كذا وكذا، قال الأحنف: فقام معنا حتى انتهى إلى مُناخ رِكابنا، فجعل ينظر إلى الرِّكاب ويقول: ألا اتَّقيتُم الله فيها، أما علمتم أن لها عليكم حقاً، ثم انصرف راجعاً فلقيه رجل فقال: أعْدِني على فُلان فقد ظلمني، انطلق معي إليه، فخفق رأسَه بالدِّرَّة فقال: تَدَعون عمر وهو مُعرَّضٌ لكم[٤]، حتى إذا اشتغل بأمور المسلمين أتيتموه

---

(١) اعتلال القلوب ٣٣٩، وأنساب الأشراف ٩/ ١٠٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٦، وأنساب الأشراف ٩/ ١٠٣-١٠٥.

(٣) مسند أحمد (١٧٩٠).

(٤) في (خ) و(ع): معرض عنكم، والمثبت من تاريخ دمشق ٥٣/ ٢٤٨. وهذا الخبر وما بعده، إلى ذكر جملة من كلامه، ليس في (ك).

تقولون أَعْدِني على فلان، فانصرف الرجل، ثم ندم عمر رضوان الله عليه وقال: عليَّ به، فأُتي به، فألقى إليه المِخْفَقَة وقال له: امتثل، فقال: لكن أدعُها لله ولك، فقال عمر: بل له، فقال: لله، فقعد عمر يبكي ويقول: يا ابن الخطاب، ويلك، كنتَ وَضيعاً فرفعك الله، وذَليلاً فأعزَّك الله، وضالاً فهداك الله، ثم حملك على رقاب المسلمين، فجاءك رجل يَستَعديك على ظالمه فضَربتَه، فماذا تقول لربك غداً؟ قال الأحنف: فمازال يُعاتبُ نفسَه ويقول: يا ابن الخطاب، والله لتَتَّقِيَنَّ الله أو لَيُعَذِّبَنَّك.

وكان يقول: رحم الله امرأً أهدى إلي عُيوبي.

واجتمع عمر وطلحة والزبير وسلمان وكعب الأحبار ﷺ، فقال عمر رضوان الله عليه: ما الخليفةُ من الملك؟ فقال سلمان: الخليفة الذي يَعدِلُ في الرَّعيَّة، ويقسم بينهم بالسَّوِيَّة، ويُشفق عليهم شَفَقةَ الرَّجُلِ على أهله، ويَقضي بينهم بكتاب الله.

فقال كعب: ما كنتُ أحسِبُ أن في المجلس أحداً يعرف الخليفةَ من الملك غيري، ولكن الله ألهم سلمان علماً وحكماً[(١)].

وكان عمر رضوان الله عليه ينام في المسجد، فيقوم وقد أَثَّر الحصى في جَنْبِه.

ومرَّ بضَجَنان فقال: لقد رأيتُني وإني لأرعى على آل الخَطّاب في هذا المكان، وكان[(٢)] والله ما علمتُ فَظّاً غليظاً، ثم أصبحتُ ألي أمر أمّةِ محمد ﷺ، ثم قال متمثلاً: [من البسيط]

لا شيءَ مما ترى تَبقى بَشاشَتُه   يَبقى الإلهُ ويُودي المالُ والوَلَدُ

ثم قال لبعيره: حَوْبَ، كنتُ أرعى ها هنا، وأحتَطِبُ ها هنا، وليس فوقي اليوم أحد والناسُ دوني، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وكان عمر ﷺ يَحمل في السنة الواحدة على أربعين ألف بعيرٍ[(٣)].

هجا النَّجاشي الشاعر رهطَ تَميم ابن مُقبل، فاستعدَوْا عليه عمر رضوان الله عليه،

---

(١) انظر الأموال لابن سلام (١٢)، وطبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٥ .

(٢) في طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٦ ، وتاريخ دمشق ٥٣/ ٢٦٨ : لقد رأيتني وإني لأرعى على الخطاب في هذا المكان، وكان.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٨٤ وفيه: ثلاثين ألف بعير.

فقال: ما قال فيكم؟ فقالوا: قال: [من الطويل]

إذا الله عـادى أهـلَ لُـؤمٍ ودِقَّـةٍ فعادى بني عَجْلانَ رهطَ ابنِ مُقْبِلِ

فقال عمر رضوان الله عليه: هذا رجل دعا، فإن كان مَظلوماً استُجِيبَ له، وإن لم يكن مَظلوماً لم يُستَجَبْ له، قالوا: فإنه قال:

قُبَيِّلَـةٌ لا يَخـفِرون بـذِمَّـةٍ ولا يَظـلِمون النـاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فقال عمر رضوان الله عليه: ليت آل الخطاب كانوا مثل هؤلاء، قالوا فإنه يقول:

ولا يَـرِدون المـاءَ إلا عَشِـيَّـةً إذا صَـدرَ الـوُرَّادُ عـن كـلِّ مَـنْـهَـلِ

فقال عمر رضوان الله عليه: فذاك أَجَمُّ لهم وأَمْكَن، قالوا: فإنه يقول، وذكروا بيتاً فيه تَذَلُّل[1]، فقال عمر رضوان الله عليه: سَيِّدُ القوم خادِمُهم.

وقال عمر رضوان الله عليه لجرير والناس يَتحامَون العراق وقتال الأعاجم: سِرْ بقومك، فما غلبتَ عليه فلك رُبعه، فلما جُمعت غنائمُ جَلولاء ادَّعى جرير أن له رُبع ذلك، فكتب سعد رضي الله عنه يُخبره بذلك، فكتب إليه عمر رضوان الله عليه: صدق جرير، قد قلتُ له ذلك، فإن شاء أن يكون قاتَل هو وقومُه في جُعْلٍ فأعطوه جُعْلَه، وإن يكن إنما قاتَل لله ولدينه وحَسَبه فهو رجل من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم.

فلما قدم كتابُه على سعد رضي الله عنه بذلك، أخبر جريراً فقال: صدق أمير المؤمنين، لا حاجةَ لي به، أنا رجلٌ من المسلمين[2].

وسأل رجلاً عن شيءٍ فقال: لا، أطالَ الله بَقاءك، فقال عمر رضوان الله عليه: ما هذا، قد عُلّمتُم فلم تتعلّموا، هلا قلت: لا، وأطال الله بقاءك.

وسمع امرأةً تَطوف بالبيتِ وتقول: [من الطويل]

وفيهنّ مَن تُسقى بَعذْبٍ مُبَرَّدٍ نُقاخٍ فتلكم عند ذلك قَرَّتِ

وفيهنّ مَن تُسقى بأَخْضَرَ آجِنٍ أُجاجٍ ولولا خشيةُ الله فَرَّتِ

---

(١) والبيت ـ كما في الشعر والشعراء ٣٣١، والعقد ٥/ ٣١٩ ـ هو:

وما سُمّي العَجْلان إلا لقولهم خُذ القَعْبَ واحْلُبْ أيها العبدُ واعْجَلِ

(٢) المنتظم ٥/ ٢٤٥.

ففهم عمر رضوان الله عليه، فاستَدعى زوجَها، فوجده أَخضرَ الأسنان، مُتَغَيِّر الفم، قبيحَ المنظر، فخُيِّر بين جاريةٍ من الفيء، أو خمس مئة درهم، ويُطلّق امرأتَه، فاختار الخمس مئة درهم، وطلّق المرأة[(١)].

ذكر جملةٍ من كلامه:

حدَّثنا غير واحدٍ عن فخرِ النساء الكاتبة بإسنادها، عن وديعة الأنصاري قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول وهو يَعِظُ رجلاً: لا تتكلَّم فيما لا يَعنيك، واعتزلْ عدوَّك، واحذرْ صديقَك إلا الأمين، ولا أمينَ إلا مَن يَخشى الله، ولا تَمْشِ مع الفاجرِ فيعلِّمك من فُجورِه، ولا تُطْلِعْهُ على سِرِّك، ولا تُشاورْ في أمرِك إلا من يَخافُ الله ويَتَّقيه[(٢)].

وروى مالك بن دينار، عن الأحنف بن قيس قال: قال لي عمر: يا أحنَفُ، مَن كثر ضَحِكُه قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، ومَن مَزَحَ استُخِفَّ به، ومَن أكثر من شيءٍ عُرِف به، ومَن كَثُرَ كلامُه كَثُر سَقَطُه، ومَن كَثُر سَقَطُه قلَّ حَياؤه، ومَن قلَّ حياؤه قلَّ وَرَعُه، ومَن قلَّ وَرَعُه مات قَلْبُهُ[(٣)].

وقال ابن عباس: بعث ملكُ الروم إلى عمر بقارورةٍ فقال: امْلَأْها من كلِّ شيءٍ، فملأها ماءً وقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠].

وكتب إلى أبي موسى: من عبد الله أمير المؤمنين عمر، إلى عبد الله بن قيس: سلام عليك، أما بعد، فإن للناس نَفْرةً من سلطانهم، فاحذر أن تُدرِكَك عَمياءُ مَجهولة، وضَغَائن مَحمولَة، وأهواء مُتَّبَعة، ودنيا مُؤثَرة، فأقِمِ الحُدود ولو ساعةً من نهار، وأخِف الفُسَّاق، ومتى وقعتْ مُنَافرةٌ بين القبائل فتَنَادَوْا: يا لَفلان؛ فإنما تلك نَخْوة الشيطان، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله، واستَدِمِ النِّعَم بالشُّكر، والطَّاعةَ بالتّأليف، والقُدرة بالعفو، والنَّصْرَ بالتَّواضُع.

وبلغني أن ضَبَّةَ قالت: يا آل ضَبَّة، ومَن ضَبَّة، والله ما أعلم أن الله ساق بها خيراً،

---

(١) تاريخ دمشق ٥٣/ ٣٠٤.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٦٨، وتاريخ دمشق ٥٣/ ٣٠٧-٣٠٩.

(٣) تاريخ دمشق ٥٣/ ٣٠٩.

ولا دفع بها شَرّاً.

واشهد جنائز المسلمين، وعُدْ مَرضاهم، وباشر أمورَهم، وافتح بابَك لهم، فإنما أنت رجلٌ منهم، غير أن الله جعلك أثقلَهم حِملاً.

وقد بلغني أنه قد فَشَتْ لك ولأهلك هَيْئةٌ في لباسك ومَطعمك ومَرْكَبِك ليس للمسلمين مثلها، فإياك يا ابن قيس أن تكون مثلَ البَهيمة؛ هَمُّها في السِّمَن وفيه حَتْفُها.

واعلم أن مَن تزيَّن للناس بما يَعلَمُ الله خِلافه هتك الله ستره، وأن العامل إذا زاغ زاغتْ رَعيَّتُه، وأشقى الناس مَن شَقِي به الناس[1].

وخطب عمر رضوان الله عليه فقال: الحمد لله الذي أعزَّنا بالإسلام، وأكرَمَنا بالإيمان، ورَحِمنا بمحمد عليه السلام، وجَمَعَنا بعد الشَّتات، وألَّفَ بين قُلوبنا، ونصرنا على عَدوِّنا، وفتح لنا البلاد، وأدان لنا العباد، وجَعَلنا إخواناً على سُرُرٍ مُتَقابِلين، وفيه مُتَحابِّين، فنَحمد الله على هذه النِّعمة، ونَسألُه المزيدَ من فضله، وقد صَدَقَنا وَعْدَه، ووَعَدنا نَصْرَه، فإياكم والمعاصي وكُفْران النِّعَم، فقلَّ أن كفرَ قومٌ النِّعَم، ولم يَفزعوا إلى التَّوبة إلا سُلِبوا عِزَّهم، وسُلِّط عليهم عَدُوُّهم.

فمَن أراد أن يسأل الله المال فلْيَأتِني، فإن الله جَعلني خازناً وقاسماً، ومَن أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العَطاء، ومَن أبطأ عنها أبطأ عنه، فلا يَلُومَنَّ أحدٌ إلا مُناخَ راحِلَته.

وقد أتى علينا زمانٌ ونحن نرى قُرَّاء القرآن يُريدون وَجْهَ الله، وأما الآن فيُخَيَّل لي بأن أقواماً يُريدون به الدُّنيا، فأَرِيدوا اللهَ بأعمالكم، ومَن رأينا به خيراً ظَنَنَّا به خيراً وأحْبَبْناه، ومَن رأينا به شرّاً ظَنَنَّا به شرّاً وأبغضناه، سرائركم بينكم وبين ربّكم[2].

قال حُذيفة: كنتُ واقفاً مع عمر بن الخطاب بعرفات، وإن راحلتي لبجَنْب راحلته، وإن رُكبتي لتَمسُّ رُكبتَه، ونحن نَنتظرُ أن تَغرُبَ الشمس فنُفيض، فلما رأى تكبيرَ الناس ودُعاءهم وما يَصنَعون أعجبه ذلك، فقال: يا حُذيفة، كم ترى هذا يبقى للناس؟ فقلتُ:

(١) العقد الفريد ١/ ٨٨-٨٩.
(٢) العقد الفريد ١/ ٦٣-٦٤.

على الفِتنة بابٌ، إذا كُسر أو فُتح خرجتْ، ففزع فقال: وما ذاك الباب، وما كَسْرُ بابٍ أو فَتْحُه؟! فقلتُ: رجلٌ يموتُ أو يُقتَل، فقال: يا حُذيفة، مَن تَرى قومَك يُؤمِّرون بعدي؟ فقلتُ: رأيتُ الناسَ قد أسندوا أمرَهم إلى عثمان بنِ عفان(١).

ذِكْرُ وفاة عمر وما يتعلَّق به:

حدَّثنا إسماعيل(٢) بإسناده عن حفصة زوجة النبي ﷺ أنَّها سمعت أباها يقول: اللهمَّ ارزُقْني قَتْلاً في سبيلكَ، ووفاةً في بلد نبيِّك، قالت: فقلت: وأنّى ذلك؟ فقال: إنَّ الله يأتي بأمره أنَّى شاء. وفي روايةٍ: شهادةً في سبيلك ووفاةً ببلد رسولك.

ورأى عوف بن مالك أن الناس قد جمعوا في صعيدٍ واحد، فإذا رجل قد علا الناس ثلاثةَ أَذْرُع، قال: قلتُ: مَن هذا؟ قالوا: عمر بن الخطاب، قلتُ: بمَ يَعْلُوهم؟ قالوا: إن فيه ثلاثَ خِصال: لا يَخاف في الله لَوْمةَ لائم، وإنه شهيدٌ مُستَشهد، وخليفةٌ مُستَخْلَف.

فأتى عوف أبا بكر رضوان الله عليه فأخبره، فبعث إلى عمر رضوان الله عليه فبَشّره، فقال أبو بكر رضوان الله عليه: قُصَّ رُؤياك، فلما قال: خليفةٌ مُستَخلف انتهره عمر رضوان الله عليه فأسكته.

فلما وَلي عمر رضوان الله عليه انطلق إلى الشام، فبينا هو يَخطب إذ رأى عوفَ بنَ مالك، فدعاه، فصَعِدَ معه المنبر فقال: اقصُصْ رُؤياك، فقَصّها، فقال: أما أني لا أخافُ في الله لومةَ لائم فأرجو أن يَجعلني الله منهم، وأما خليفةٌ مُستَخْلَف فقد استُخلفتُ، فأسألُ الله أن يُعينَني على ما وَلّاني، وأما شهيدٌ مُستَشهَد فأنّى لي بالشهادة، وأنا بين ظَهْرانَيْ جزيرة العرب، لست أغزو، والناس حولي، ثم قال: وَيلي ويلي، يأتي الله بها إن شاء(٣).

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن سعدٍ الجاري مولى عمر بن الخطاب: أنَّ عمر دعا أمَّ

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٠٨، ومن قوله: وكتب إلى أبي موسى... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) كذا في (ك)، وليس في (خ) و(ع)، وفي طبقات ابن سعد ٣/ ٣٠٧: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٠٧، والخبر ليس في (ك).

كلثوم بنتَ عليٍّ، وكانت عنده، فوجدها تبكي فقال: ما يُبْكيكِ؟ فقالت: يا أمير المؤمنين، هذا اليهوديُّ ـ تعني كعبَ الأحبارِ ـ يقول: إنَّك على بابٍ من أبواب جهنَّم، فقال عمر: ما شاء الله، والله إني لأرجو أن يكونَ ربّي خلَقني سعيداً، ثم دعا كعباً، فلما جاءه قال: يا أمير المؤمنين، لا تَعْجَلْ عليَّ، والذي نفسي بيدِهِ لا يَنْسَلِخ ذو الحجّةِ حتى تدخلَ الجنَّةَ، فقال عمر: وأيُّ شيءٍ هذا؟ مرَّةً في الجنَّةِ ومرَّةً في النار، فقال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده إنَّا لنَجدُكَ في كتابِ الله على بابٍ من أبوابِ جهنّم، تَمْنَعُ الناسَ أن يَقعوا فيها، فإذا متَّ لا يزالون يَقتحمون فيها إلى يوم القيامة.

قال أنس بن مالك: قال أبو موسى الأشعري: رأيتُ كأني أخذتُ جَوادَّ كثيرة، فاضمحلَّت حتى بقيت جادَّةٌ واحدة، فسلكتُها حتى انتهيتُ إلى جبل، فإذا رسول الله ﷺ فوقه وإذا أبو بكر إلى جنبه، وإذا هو يُومىء إلى عمر أن تعال، فقلتُ: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله عمر، فقلتُ: ألا تكتبُ إليه بهذا؟ فقال: ما كنتُ لأَنْعَى إليه نفسَه[(١)].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن سعيد بن أبي هلال: أن عمرَ بن الخطاب خطب الناسَ يوم الجمعة، فحمِدَ الله، وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أما بعدُ، أيها الناسُ، إني رأيتُ رُؤيا لا أُراها إلّا لحُضور أجلي، رأيتُ كأنَّ ديكاً أحمرَ نقرني نَقْرتَين، فحدَّثْتُها أسماء بنت عُمَيْس، فحدَّثَتْني أنه يَقتُلني رجلٌ من الأعاجم[(٢)].

وإن أقواماً يأمروني أن أستَخْلِف، وإن الله لم يكن ليُضيع دينَه ولا خلافته والذي بعث به نبيه ﷺ، وإن عَجِل بي أمرٌ فالخلافةُ شورى بين هؤلاء الرهط الستة الذين تُوفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وقد علمتُ أن أقواماً سيَطعُنون في هذا الأمر بعدي، أنا ضربتُهم على الإسلام بيدي هذه، فإن فَعلوا فأولئك أعداءُ الله الكُفّار الضُّلال.

ثم إني لم أدع شيئاً هو أهمُّ إليَّ من الكَلالة، وما راجعتُ رسول الله ﷺ في شيءٍ ما راجعتُه فيها، وما أَغلَظ لي في شيءٍ منذ صاحبتُه ما أغلظَ لي في الكلالة، حتى طعن

---

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٣٠٧ـ٣٠٨، والثاني منهما ليس في (ك).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٣١٠ـ٣١١.

بأصبعه في بطني، وقال: يا عمر، تكفيك الآية التي في آخر سورة النساء، وإنْ أعِشْ أَقْضِ فيها بقضيَّةٍ يَقْضي بها مَن يقرأ القرآن [ومَن لا يقرأ القرآن].

ثم قال: اللهمَّ إني أُشهِدُك على أُمراء الأنصار، فإني إنما بعثتُهم ليُعلّموا الناس دينَهم وسنَّةَ نبيِّهم ﷺ، ويَعدلوا عليهم، ويَقسِموا فَيْئَهم، ويَرفعوا إليَّ ما أشكل عليهم من أمرهم.

ثم قال: إنكم أيها الناس تأكلون من شَجرتين خَبيثَتَيْن: البصل والثّوم، وقد رأيتُ رسول الله ﷺ إذا وجد ريحَهما من رجل في المسجد أمر بإخراجه إلى البقيع، فمَن أكلهما فليُمِتْها طَبْخاً[١].

وروى الشعبي أن أبا بكر رضوان الله عليه قال: إني رأيتُ في الكَلالة رأياً، فإن يك صَواباً فمن الله، وإن يك خطأً فمن الشيطان ومني، هي ما خلا الوالد والولد.

ولما قام عمر رضوان الله عليه اتَّبعه على ذلك وقال: إني لأستَحي من الله أن أُخالف أبا بكر، فلما طُعن عمر رضوان الله عليه وأَيِس من نفسه دعا بالصحابة وقال: توفّي رسول الله ﷺ ولم يَعهد إلينا في الكلالة شيئاً، وإنما اجتهد أبو بكر، وما أمكنني مُخالفتُه، اشهدوا عليَّ أني لا قَوْلَ لي فيها[٢].

وهذا من وَرَعه وتَحرِّيه في أمر دنياه وآخرته، رضوان الله عليه[٣].

ذكرُ مَقتله رضي الله عنه:

قال البخاري بإسناده عن عمرو بن مَيمون قال: قال عمر لحُذيفةَ بن اليَمان وعثمانَ ابن حُنَيْف وهُما بالمدينةِ قبل أن يُصاب بأيام: كيف فعلتُما؟ أحمَّلْتُما الأرضَ ما لا تُطيقُ؟ ـ يعني الخراج ـ فقالا: ما حمَّلناها إلّا ما هي له مُطيقةٌ، فقال عمر: والله لئن سلَّمني اللهُ لأدَعَنَّ أرامِلَ العراقِ لا يَحتَجْن إلى أحدٍ بعدي أبداً، قال عمرو بن مَيمون:

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣١١ـ٣١٢، ومسند أحمد (٨٩)، وصحيح مسلم (٥٦٧) من طريق معدان بن أبي طلحة اليعمري عن عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٩١٩١)، وابن أبي شيبة ١١/ ٤١٥ـ٤١٦، والدارمي في سننه (٣٠١٥)، والطبري في تفسيره ٨/ ٥٣ـ٥٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٦/ ٢٢٣.

(٣) من قوله: وإن أقواماً يأمروني أن أستخلف... إلى هنا ليس في (ك).

فما أَتَتْ عليه إلا أربعةُ أيامٍ حتى أُصيبَ.

قال عمرو: إني لقائمٌ ما بيني وبين عمر إلا عبد الله بن عباس غداةَ أُصيبَ، وكان إذا مرَّ بين الصفَّينِ قامَ بينهما، فإذا رأى خللاً قال: استَووا، حتى إذا لم يَرَ خَللاً تقدَّم فكبَّر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعةِ الأُولى ليجتمعَ الناسُ، فما هو إلّا أن كبَّر حتى سمعتُه يقول: قتلني ـ أو أكلني ـ الكلبُ حين طعنه، فطار العِلْجُ بسِكّينٍ ذاتِ طَرَفين، لا يَمرُّ على أحدٍ يميناً وشمالاً إلا طَعنه، حتى طَعن ثلاثة عشرَ رجُلاً مات منهم سبعةٌ، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه بُرْنُساً، فلما ظنَّ العِلْجُ أنَّه مأخوذٌ نَحرَ نَفْسَه.

وتناول عمر بيدِ عبد الرحمن بن عوف فقَدَّمه، فمَن يَلي عمرَ فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجدِ فإنَّهم لا يَدرون، غير أنَّهم قد فقدوا صوتَ عمر، وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلّى بهم عبدُ الرحمن صلاةً خفيفةً، فلما انصرفوا قال عمر لابن عباس: انظُر مَن قتلني، فجال ساعةً ثم جاء فقال: غُلامُ المغيرةِ بن شُعبة، فقال: الصَّنَعُ؟ قال: نعم، قال: قاتله الله، لقد أمرتُ به معروفاً، الحمدُ للهِ الذي لم يَجعل مِيتتي بيدِ رجلٍ يدَّعي الإسلام، قد كُنتَ أنتَ وأبوك تُحبّان أن تَكثُرَ العلوجُ بالمدينة ـ وكان العباسُ أكثرَهم رقيقاً ـ فقال: إن شئتَ فعلتُ، أي: قتلتُهم، فقال: أبعدما تكلَّموا بلسانِكم، وصلَّوْا إلى قِبلتِكم، وحجّوا حَجَّكم؟

قال: واحتُمِل إلى بيته، وانطلقنا معه، وكأنَّ الناسَ لم تُصِبْهم مُصيبةٌ قبل يومئذٍ، فقائلٍ يقول: لابأسَ، وقائل يقول: أخافُ عليه، فأُتي بنَبيذٍ فشربه، فخرج من جُرْحِه، فعرفوا أنَّه ميِّتٌ، ودخل المسلمون يُثنون عليه.

وجاء[١] رجل شابٌّ فقال: أبشِرْ يا أمير المؤمنين ببُشْرى الله لك؛ من صُحبةِ رسول الله ﷺ، وقَدَمٍ في الإسلام ما قد عَلمتَ، ثم وليتَ فعدلتَ، ثم الشهادة، فقال عمر: يا ابن أخي، وددتُ أن ذلك كان كفافاً، لا لي ولا عليّ.

فلما أدبر الرجل إذا إزارُه يَمَسُّ الأرض، فقال رُدُّوه عليّ، فرَدُّوه فقال: يا ابن

(١) من ها هنا إلى قوله: وروى سالم (بعد صفحتين) ليس في (ك).

أخي، ارفَعْ ثوبَك؛ فإنه أَبْقى لثوبك، وأَتْقى لربّك، يا عبد الله بن عمر، انظُر ما عليَّ من الدَّين، فحسَبوه فوجدوه ستاً وثمانين ألفاً أو نحوَه، فقال: إنْ أَوْفَى له مالُ آل عُمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فَسَلْ في بني عديٍّ بن كعب، فإن لم تَفِ أموالُهم فسَلْ في قُريش، ولا تَعْدُهُم إلى غيرهم، فأدِّ عنّي هذا المال.

انطلق إلى عائشة أمِّ المؤمنين، فقل لها: يَقرأ عليك السلامَ عمر، ولا تَقُلْ أميرُ المؤمنين، فإني لستُ اليوم بأمير المؤمنين، وقُل: يَستأذِن عمر أن يُدفَن مع صاحبه، فمضى عبد الله، فاستأذن عائشة، ودخل فرآها قاعدةً تبكي على عمر، فأبلغها رسالته فقالت: كنتُ أريدُ هذا المكان لنفسي، ولأُوثِرَنَّه اليومَ على نَفْسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، فقال عمر: ارفَعوني، فأسنده رجلٌ إليه، فقال: ما لَدَيك؟ قال: الذي تُحبُّ، أَذِنَتْ، فقال: الحمد لله، ما كان شيءٌ أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيتُ فاحمِلوني، ثم استأذِنْ ثانياً، فإنْ أذِنَتْ فأدخِلوني، وإن رَدَّتْني فرُدُّوني إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أمُّ المؤمنين حَفصة والنساء تَسيرُ معها، فلما رأيناها قُمنا، فوَلَجتْ عليه، فبكتْ عنده ساعة، واستأذن عليه الرجال، فولجَتْ داخلاً، فسمعنا بُكاءها من داخل، فقالوا: أَوْصِ يا أمير المؤمنين استَخْلِف، فقال: ما أرى أحداً أحقَّ بهذا الأمر من هؤلاء الرَّهطِ الذين تُوفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم، فسَمّى عثمان وعلياً وطلحة والزبير وسعداً وعبد الرحمن بن عوف.

ثم قال: ولْيَشْهَدكم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيءٌ ـ كهيئة التّعزية لعبد الله ـ فإن أصابت الإمارةُ سعداً فذاك، وإلا فلْيَسْتَعِنْ به أيّكم أُمِّر، فإني لم أعزِلْه عن خيانةٍ ولا عَجْز.

وأُوصي الخليفةَ بعدي بالمهاجرين الأَوَّلين، أن يَعرفَ لهم حَقَّهم، ويَحفظَ حُرمَتَهم، وأُوصيه بالأنصار خيراً، الذين تَبَوّؤا الدَّارَ والإيمان، أن يَقبلَ من مُحسنهم، ويَعفو عن مُسيئهم، وأُوصيه بأهل الأَمْصار خيراً؛ فإنهم رِدْءُ الإسلام، وجُباةُ المال، وغَيْظُ العدوّ، وأُوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصلُ العَرب، ومادَّةُ الإسلام؛ أن يُؤخَذَ من حواشي أموالهم، وتُردَّ في فُقرائهم، وأُوصيه بأهل الذّمّة خيراً، وأن يَفي لهم بعَهدهم، فإنهم ذِمّةُ الله وذِمَّةُ رسوله، وأن يُقاتل من ورائهم، ولا يكلَّفون فوق طاقَتهم.

قال: فلما قُبض خرجنا نَمشي به، فجاء عبد الله إلى عائشة فقال: يَستأذن عمر، فقالت: أَدخلوه، فأُدخل فوُضع هناك مع صاحبَيْه(١).

والذي طرح على أبي لؤلؤة البُرنس عَبد الله بن عوف.

وكان عمر رضوان الله عليه لا يَأْذَنُ لسَبْيٍ قد احتَلم في دُخول المدينة، حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة ـ وهو على الكوفة ـ يَذكر له غُلاماً صَنَعاً، ويَستأذِنُه أن يُدخله المدينة، ويقول: إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافِعُ للناس، إنه حَدّاد نقَّاشٌ نَجّار، فكتب إليه عمر رضوان الله عليه، وأذِن له أن يُرسل به إلى المدينة، فضَرب عليه المغيرة في كلِّ شهر مئةَ درهم، فجاء إلى عمر رضوان الله عليه يَشتكي شِدَّةَ الخراج، فقال له: وما تُحسِنُ من العمل؟ فقال له الأعمال التي يُحسِن، فقال له: ما خَراجُك بكثير في كُنْه عَملك. فانصرف ساخطاً يَتَذمَّر.

فمكث عمر رضوان الله عليه ليالي، وبلغه عن العبد كلامٌ، فمرَّ به، فدعاه عمر رضوان الله عليه فقال: ألم أُحَدَّث أنك تقول: لو أشاءُ لصنعتُ رحىً تَطحنُ بالرِّيح، فالتفتَ العبدُ ساخِطاً عابِساً إلى عمر رضوان الله عليه، ومعه رَهْطٌ، فقال: لأَصْنَعَنَّ لك رحىً يَتحدَّث الناس بها، فلما وَلَّى العبد أقبل عمر رضوان الله عليه على الرَّهط الذين معه وقال لهم: أَوعَدَني العبدُ آنفاً.

قال ابن عباس ﵄: فلم أزل عند عمر، ولم يزل في غَشيةٍ واحدة حتى أفاق فقال: أَصُلّي بالناس، قلت: نعم، فدعا بوضوء، وقال: لا إسلام لمن ترك الصلاة، ثم توضأ وصلّى.

وروى سالم، أنَّه سمع عبد الله بنَ عمر يقول: قال عمر: أرسلوا إلى طبيبٍ ينظرُ إلى جُرحي هذا، فأرسلوا إلى طبيبٍ من العربِ، فسقاه نبيذاً، فشبه النبيذُ بالدمِ حين خرَجَ من الطَّعنةِ التي تحت السُّرَّةِ، قال: فدعوتُ طبيباً آخَرَ من الأنصار من بني مُعاوية، فسقاه لَبناً، فخرج من الطَّعنةِ يَصْلِدُ أبيض، فقال له الطبيب: يا أميرَ المؤمنين، اعهَدْ، فقال عمر: صَدَقني أخو بني مُعاوية، قال: فبكى القومُ عليه حين سمعوا

(١) صحيح البخاري (٣٧٠٠).

كلامه، فقال عمر: لا تَبكوا، ألم تسمعوا ما قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الميّتَ يُعذَّبُ ببكاء أهلِهِ عليه»(١) وذكر الحديث.

ولما طُعن اجتمع إليه الناس البدريون المهاجرون والأنصار، فقال لابن عباس: اخرج إليهم فسَلْهم: أعن مَلأمنكم ومَشورة كان هذا الذي أصابَني؟ فخرج ابن عباس إليهم فسألهم، فقال القوم: لا والله، ولوَدِدْنا أن الله زاد في عُمره من أعمارنا.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أبي الحُوَيرِثِ قال: لمّا قَدِم غُلامُ المغيرةِ بن شُعبة ضربَ عليه المغيرةُ عشرين ومئة درهم في كلّ شهر، في كلِّ يومٍ أربعةُ دراهم، وكان خَبيثاً، إذا نظر إلى السَّبْي الصغار بكى ومسح على رؤوسهم ويقول: إنَّ العربَ أكلت كَبِدي.

فلما قَدِم عمرُ من الحجِّ جاء أبو لؤلؤة، فوجده غادياً إلى السوقِ، وهو متّكئٌ على يد عبد الله بن الزُّبير فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ سيِّدي المغيرة يكلِّفني ما لا أُطيقُ من الضَّريبة، قال عمر: وكم كلَّفك؟ قال: أربعة دراهم كلَّ يومٍ، قال: وما تعملُ؟ قال: الأَرْحاء، وسكت عن سائرِ أعمالِهِ، فقال: في كم تَعملُ الرَّحى؟ فأخبره، قال: وبكم تَبيعُها؟ فأخبره، فقال: لقد كلَّفَكَ يسيراً، انطلق فأعط مولاك ما سألك.

فلما ولّى قال عمر: ألا تَجعلُ لنا رَحًى؟ قال: بلى، أجعلُ لك رحىً يتحدثُ بها أهلُ الأمصارِ، ففَزِع عمر من كلمتِهِ، قال: وكان معه علي بنُ أبي طالب، فقال: ما تراه أرادَ؟ قال علي: أوعدكَ، قال عمر: يكفيناه اللهُ، قد ظننتُ أنه يُريدُ بكلمتِهِ غَوْراً.

وقال ابنُ سعدٍ بإسناده: كان أبو لؤلؤة من سَبْيِ نهاوَنْدَ.

وقال ابن سعدٍ بإسناده: لمّا طُعِنَ عمرُ هرب أبو لُؤلؤة، وجعل عمر يُنادي: الكلب الكلب، فطعن أبو لؤلؤة نَفَراً، فأخذه رهطٌ من قُريشٍ: عبد الله بن عوفٍ الزُّهري، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، ورجلٌ من بني سَهْمٍ، فطرح عليه عبدُ الله خميصةً كانت عليه، فانتحر بالخَنْجرِ حين أُخِذ، واحتزَّ عبد الله بن عوفٍ رأسَ أبي لؤلؤة.

وروى الواقديّ أن عمرَ لمّا طُعِنَ قال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٠-٣٢١، وأخرج الحديث أحمد (٢٨٩)، والبخاري (١٢٨٧)، ومسلم (٩٢٨).

[الأحزاب:٣٨]، ثم قال: مَن هذا؟ قالوا: غُلامُ المغيرة، فقال: ألم أقُل لكم لا تَجْلُبوا علينا من العُلوجِ أحداً ممَّن جَرَت عليه المواسي.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن ابن عمر قال: لمّا طُعِنَ عمرُ حُمل فغُشي عليه فأفاق، فأخذتُ بيده وأخذ بيدي، فأجلسني خلْفه، وتساندَ إليَّ، وجِراحُه تَثْعَبُ، ثم توَضّأ وصلّى الفجر، فقرأ في الأولى بالعصر، وفي الثانية: قُل يا أيُّها الكافِرون.

وفي رواية ابن سعدٍ أنَّ أبا لؤلؤة اسمُه فيروز.

وقال ابنُ عباس: صلى عمر وجُرْحُه يَثْعَبُ دماً.

وروى أيضاً عن ابن عباسٍ قال: جعلتُ أُثني على عمر فقال: بأيِّ شيءٍ تُثني عليَّ؟ بالإمْرَة أو بغيرها؟ قال: قلتُ: بكلِّ شيء، فقال: ليتَني أخرجُ منها كفافاً، لا أَجْرَ ولا وِزْرَ، وفي روايةٍ: لوَدِدْتُ أني أنجو كَفافاً لا لي ولا عليَّ[1].

وقال الواقدي: لما طُعن عمر قال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[الروم: ٤].

وقال الواقدي أيضاً[2]: دخل كعبُ الأحبارِ على عمر فقال له: يا أميرَ المؤمنين، اعهَدْ عهدَك، فإنَّك ميِّتٌ بعد ثلاثٍ، قال: وما يُدريكَ؟ قال: أجِدُ صفتَك في التوراة، وإنه قد فَنِيَ أجلُك، وعمر يومئذٍ صحيح ما به قَلَبَةٌ[3]، وجاءه كعبٌ في اليومِ الثاني فقال: قد بقي من أَجَلِك يومانِ، ثم جاءه في اليوم الثالث فقال: قد بقي هذا اليومُ والليلةُ، فقال عمر: [من الطويل]

وأوْعَدَني كعبٌ ثلاثاً أَعُدُّها ولا شكَّ أن القولَ ما قاله كعبُ
وما بي حِذارُ الموتِ إني لميِّتٌ ولكن حِذارُ الذَّنْبِ يَتبعُه الذَّنْبُ

فلما كان من الغَدِ ضربه أبو لؤلؤة في صلاةِ الفجر سِتَّ ضَربات، إحداهُنَّ تحت سُرَّتِه، وهي التي قَتلَتْه، وقتل معه جماعةً منهم كليب بن بُكَير اللَّيْثي وكان خلفَه.

قال: ودعَوْا له طبيباً من بني الحارث بن كعب، فسقاه لَبَناً فخرج من جُرْحِهِ، فقال

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٢-٣٢٦.

(٢) من قوله: وقال ابن سعد بإسناده عن أبي الحويرث... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٣) أي: عِلّة.

له: اعهدْ عهدكَ، فقال: قد فعلتُ، قال: وصلّى عمر في ثيابِه التي جُرِح فيها ثلاثاً، والدّمُ فيها، وجُرْحُه يَثْعَبُ دماً.

ولما حُمل إلى بيته دعا عبد الرحمن بنَ عوف ﷺ فقال له: إني أُريدُ أعهدُ إليك، فقال: يا أمير المؤمنين إذا أشرتَ عليَّ قَبِلتُ، فأنشُدُك الله، هل تُشير به عليّ؟ قال: لا، فقال: والله لا أَدخُلُ فيها أبداً.

ودعا عثمان رضوان الله عليه وقال له: إنْ عَرفَ لك أصحابُك سِنَّك فاتَّقِ الله، ولا تَحمِلْ بني أبي مُعَيْط على رقاب الناس.

ثم دعا علياً رضوان الله عليه فقال: يا علي، لعلّ هؤلاء القوم يَعرفون لك قرابتَك من رسول الله ﷺ وصِهرَك، وما آتاك الله من الفقه والعلم، فإن وَليتَ هذا الأمرَ فلا تَحملْ بني هاشم على رقاب الناس.

ثم قال لصُهيب: صَلِّ بالناس ثلاثاً، وليَخْلُ هؤلاء القوم في بيتٍ، فإذا اجتمعوا على رجل فمَن خالَفَهم فاضربوا رأسَه.

فلما خرجوا من عنده قال: لو وَلَّوها الأَجْلَح سَلَك بهم الطريق، فقال له ابنه عبد الله: فما يَمنَعُك؟ فقال: أكره أن أَتَحمّلَها حياً وميتاً.

ثم دخل عليه كعب فقال له: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾[البقرة:١٤٧] قد أنبأتُك أنك شهيد فقلتَ: وأنّى لي بالشهادة وأنا في جزيرة العرب[1]؟!

وقال سِماك: إن عمر رضوان الله عليه لما احتُضر قال: إنْ أستَخلِف فسُنَّة، وإلا أستَخلِف فسُنَّة، توفّي رسول الله ﷺ ولم يَستَخلِف، وتوفي أبو بكر فاستَخْلَف، قال: فعرفتُ والله أنه لن يَعدِلَ بسُنَّةِ رسول الله ﷺ شيئاً، فذاك الذي جعلها شُورى في الستَّة، ثم قال للأنصار: أدخِلوهم بيتاً ثلاثةَ أيام، فإن استقاموا وإلا فاضربوا أعناقَهم.

قال عبد الرحمن بن أَبْزَى: قال عمر: هذا الأمرُ في أهل بدر ما بَقي منهم أحد،

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣١٦ـ٣١٧، وأخبار المدينة ٨٩١ـ٨٩٢، وتاريخ الطبري ٤/ ١٩١ـ١٩٣، وأنساب الأشراف ٩/ ١٩٩ـ٢٠٠، و تاريخ دمشق ٥٣/ ٣٤٩.

ثم قال: في أهل أُحُدٍ ما بقي منهم أحد، وليس فيها لطَليق ولا لوَلدِ طَليق ولا لمسلمة الفتح شيءٌ(١).

وقيل له: ألا تَستَخْلِفُ وَلَدَك؟ فقال: يَكفي واحدٌ من آل الخَطّاب، يُؤتى به يوم القيامة مَغْلُولَةً يَدُه إلى عُنُقِه.

وقال: إن هذا الأمر لا يَصلُح إلّا بالشدَّةِ التي لا جَبريّة فيها، وباللين الذي لا وهن فيه.

وقال عبد الله بن عمر ﵄: دخل الرَّهْطُ على عمر قبل أن يَنزِلَ به فقال: إني قد نظرتُ لكم في أمر الناس؛ فلم أجد عند الناس شِقاقاً إلّا أن يكون فيكم ـ وكان طلحةُ ﵁ في أمواله بالسَّراة ـ ثم قال: قوموا فتشاوروا وأمِّروا أحدَكم.

فقاموا يَتشاورون، فدعاني عثمان مرةً أو مرَّتَين ليُدخِلَني في الأمر، فقلتُ: ألا تَعقِلون؟! أتُؤَمِّرون وأمير المؤمنين حيٌّ؟ فوالله لكأنما أيقَظتُ عمر من مَرْقَدِه، فقال: أمْهِلوا، فإن حدث بي حَدَثٌ فلْيُصَلِّ لكم صُهيبٌ ثلاثاً، ثم أَجمِعوا أمرَكم، فمن تأمَّر منكم على غير مَشورة من المسلمين فاضربوا عُنُقَه(٢).

وقال المِسوَر بنُ مَخْرَمة: لما طُعن عمر جعل يتألّم، فقال له ابنُ عباس وكأنّه يُجزّعُه: يا أمير المؤمنين، ولم كلُّ ذلك؟ لقد صَحِبتَ رسولَ الله ﷺ فأحسنتَ صُحبتَه، وفارقْتَه وهو عنك راضٍ، ثم صَحِبتَ أبا بكر كذلك، ثم صحبتَ المسلمين فأحسنتَ صُحبتَهم، ولئن فارقتَهم لتُفارقَنَّهم وهم عنك راضون.

فقال: أمّا ما ذكرتَ من صُحبةِ رسول الله ﷺ وأبي بكر فذلك من منٍّ الله وفضله علي، وأمّا ما ذكرتَ من جَزعي فإنه من أجلك ومن أجل أصحابِك، والله لو أن لي طِلاعَ الأرض ذهباً لافتَديتُ بها من عذاب الله قبل أن أراه(٣).

وأوصى إلى ابنته حفصة ﵂، وإلى الأكابر من آل عمر، وأوصى برُبع ماله في

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٣١٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٣١٩.

(٣) صحيح البخاري (٣٦٩٢).

سبيل الله[١]، وبيَّن ما في كل واحد من الستَّةِ نَفَرٍ فقال: لئن وَليها ابنُ عفان حمل آل أبي مُعَيط على رقاب الناس، ولئن وَليها علي بن أبي طالب حمل الناس على المحَجَّةِ البيضاء، إلا أن فيه دُعابة، وأما طلحة فإنه لا يدع في يده ما يُصلح به هذا الأمر، يعني أنه يُفرِّق المال، وأما الزُّبير فإنه لا يَضع عصاه عن عاتقه، وأما ابنُ عَوف فظنّي أنه لا يَدخل فيها، وأما سعد فتَبَعٌ لابن عَوفٍ، يَسلك حيثُ سلك، ولو كان سالم مولى أبي حُذيفة ما خالجني فيه شَكٌّ، ثم أقام عليهم المِسْوَر بن مَخْرَمة، ومعه ثلاثون نفساً من الأنصار، وقال: إن ثبت أمرُهم على واحد منهم إلى ثلاثة أيام ـ وهي تمام ذي الحجة ـ وإلا فاضربوا رقابَ الكل"[٢].

ذِكْرُ وفاته:

قال محمد بن سعد، عن عثمان بن عفّان قال: أنا آخرُكم عهداً بعمر، دخلتُ عليه ورأسُه في حِجْرِ ابنه عبدِ الله، فقال له: ضَع خَدِّي بالأرض، فقال له: هل فَخذِي والأرض إلا سَواء؟ قال: ضَع خَدِّي بالأرض لا أُمَّ لك، في الثانية أو الثالثة، وسمعتُه يقول: ويلي وويل أمِّي إن لم يَغفِرِ اللهُ لي، حتى فاضَتْ نَفْسُه.

وفي روايةِ ابن سعدٍ أن عثمان بنَ عفّان وَضع رأسَ عمر في حِجْرِه، فقال له: أَعِدْ رأسي بالأرضِ، فويلٌ لي ولأُمي إن لم يُغْفَر لي[٣].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال: لمّا طُعِن عمر جاء كعبُ الأحبارِ، فوقف بالباب يَبكي ويقول: والله لو أنَّ أميرَ المؤمنين يُقْسِمُ على الله أن يُؤَخِّره لأَخَّرَه، فدخل ابن عباسٍ عليه فقال: يا أمير المؤمنين، هذا كعبٌ يقولُ كذا وكذا، قال: إذاً والله لا أسألُه، ثم قال: ويلٌ لي وويلٌ لأُمّي إن لم يَغْفِرِ اللهُ لي.

وقال ابن سعد: قال صُهيب: واعُمَراه، واأخاه، من لنا بعدك؟ فقال عمر: مَهْ يا أخي، أما عَلمتَ أن المعولَ عليه يُعَذَّبُ؟

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣١.

(٢) من قوله قبل ثلاث صفحات: ولما حمل إلى بيته دعا عبد الرحمن بن عوف... إلى هنا ليس في (ك).

(٣) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٤.

ونَدَبَتْه حفصةُ، فنهاها، وقال لها كذلك، ثم جعل يقول: اللهمَّ تَوَفَّني مع الأبرارِ، ولا تُلْحقني في الأشرارِ، وقِني عذابَ النار، وألحِقْني بالمُصْطَفَيْن الأخيار، ثم تُوفّي رحمه الله.

واختلفوا في وفاته؛ فحكى ابن سعدٍ عن الواقدي، عن أبي بكر بن إسماعيل بن محمد بن سعد، عن أبيه قال: طُعِنَ عمر يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بَقين من ذي الحجَّة، سنةَ ثلاثٍ وعشرين، ودُفن يوم الأحد صَباحَ هلال المحرّم، سنة أربع وعشرين، فكانت وِلايتُه عشرَ سنين وخمسةَ أشهر وإحدى وعشرين ليلةً من مُتوفَّى أبي بكرٍ الصديق، وعلى رأسِ اثنتين وعشرين سنةً وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً من الهجرة[١].

وذكر ابن قُتيبة في «المعارف»[٢] أنَّه طُعِن يومَ الأربعاء لسبعٍ بقين من ذي الحجَّةِ، فأقام ثلاثاً، ثم تُوفّي لأربعٍ بقين من ذي الحجَّةِ.

وقال قتادة: طُعِنَ يوم الأربعاءِ ومات يومَ الخميس، وما حكاه ابن سعدٍ عن الواقدي أصحُّ، وعليه عامَّةُ المؤرخين.

واختلفوا في سنِّه على أقوالٍ؛ أحدُها أنه عاش ستين سنةً، والثاني: ثلاثاً وستين سنةً مثل سنِّ أبي بكر، قاله معاوية، والثالث: إحدى وستين سنة، والرابع: ستَّةً وستين.

وحكى الطبري وابن سعد أقوالاً كثيرة، منها: أنَّه عاش خمسةً وخمسين سنةً، وقيل: ثلاثاً وخمسين سنة، وقيل: اثنتين وخمسين، وقيل: سبعة وخمسين، وقال ابن عمر والزهري: عاش خمسة وستين سنةً، وقال الواقدي: وهذا لا يُعرفُ عندنا بالمدينةِ والثبتُ عندنا أنه عاش ستين سنةً[٣].

وقال الشيخُ الموفَّقُ رحمه الله في الأنساب: وُلِدَ عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنةً[٤]، والنبيُّ ﷺ توفي ابنَ ثلاثٍ وستين سنةً، في السنة الحادية عشرة من الهجرةِ،

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٥، ٣٣٨.

(٢) ص ١٨٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ١٩٧-١٩٨، وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٨-٣٣٩.

(٤) التبيين ٤٠٢.

وعاش عمرُ بعد رسولِ الله ثلاثَ عشرة سنةً، فقد مات عمر عن خَمْسٍ وستين سنةً وشُهور كما قال ابن عمر والزهري، وذكره سعيد بن عامر.

ذِكْرُ غسله وتكفينه والصلاةِ عليه ودفنِه:

حكى ابن سعدٍ عن ابن عمر قال(١): غُسِّلَ أبي بالماءِ والسِّدْرِ ثلاثاً، وأوصى أن لا يَقرَبه طِيبٌ، وكُفِّن في ثلاثةِ أثوابٍ أو ثوبَيْن سَحوليَّيْن، وصلَّى عليه صُهَيْبٌ.

وحكى ابن سعدٍ عن الواقدي قال: لمّا وُضع ليُصَلّى عليه أقبل عليٌّ وعثمان ويدُ أحدِهما في يد الآخرِ، فقال عبد الرحمن بن عوفٍ ولا يظُنُّ أنَّهما يَسمعان ذلك: قد أوشكتُما يا بني عبد مناف، فسمعاها، فقال كلُّ واحدٍ منهما لصُهيبٍ: يا أبا يحيى، قُم فصَلِّ عليه، فقام فصلَّى عليه.

وفي رِواية ابن سعدٍ عن الواقدي قال: لمّا وُضع عمرُ ليُصَلَّى عليه أقبل علي وعثمانُ أيّهما يصلّي عليه، فقال عبد الرحمن بن عوف: إنَّ هذا لهو الحِرْصُ على الإمارةِ، لقد عَلمتُما ما هذا إليكما، ولقد أُمِرَ به غيرُكما، تقدَّم يا صُهَيْب فصلِّ عليه، فتقدَّم صُهَيب فصلَّى عليه في مسجدِ رسول الله ﷺ، وكبَّر عليه أربعاً بين القَبْرِ والمِنْبرِ(٢).

وقال الطبري في تاريخه: وقف علي عند رأسِ عمر، وعثمانُ عند رجليه، فقال عبد الرحمن بن عوف: لا إله إلا الله، ما أحرصَكما على الإمرَةِ! أما علمتُما أنَّ أمير المؤمنين قال: ليُصَلِّ بالناسِ صُهَيْب؟ فتقدَّم صهيبٌ فصلَّى عليه(٣).

وقال هشام: إنَّما أوصى عمر ليُصَلِّي عليه صُهيب لأنَّه ما أحبَّ أن يتقدَّم عليه رجلٌ من أصحاب الشورى، وما تَعيَّن بَعْدُ منهم إمام، وما أحبَّ أن يُصَلِّيَ عليه ذوو الأرحام وهناك إمام منصوصٌ عليه.

وحكى ابن سعدٍ عن الواقدي عن أشياخِهِ قالوا(٤): نزل في قبرِهِ عثمان وسعيد بنُ

(١) من قوله: من متوفى أبي بكر الصديق... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٩-٣٤١.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ١٩٣.

(٤) من قوله: وقال الطبري في تاريخه... إلى هنا ليس في (خ) و(ع)، والخبر في الطبقات ٣/ ٣٤٢.

زيدٍ وصهيب وعبد الله بن عمر.

واختلفوا في كيفيةِ دَفْنِ أبي بكرٍ وعمر عند رسولِ الله ﷺ على ثلاثةِ أقوالٍ؛ أحدُها رواه الواقدي عن خالد بن أبي بكر قال: دُفن عمرُ في بيتِ عائشة، وجُعل رأسُ أبي بكرٍ عند كَتِفي النبي ﷺ، وجُعل رأسُ عمر عند حَقْوي النبي ﷺ[(١)].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن عائشة ﵂ قالت: مازِلْتُ أضَعُ خِماري عن رأسي وأقول: ما معي في الحُجْرَة إلّا رسول الله ﷺ وأبي، حتى دُفن عندي عمر، فلم أزل مُتَحفِّظةً في ثيابي، حتى بنيتُ بيني وبين القبورِ جداراً[(٢)].

حديث الطعام:

حدثنا عبد الله بن أبي المجدِ الحربي بإسناده عن الأحنفِ بن قيسٍ قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطّابِ يقول: إنَّ قُريشاً رؤساءُ الناس، لا يَدخلون باباً، إلا فَتح الله عليهم منه خيراً، قال: فلما مات عمر واستخلف صُهَيْباً على إطعام الناس، وحضر الناسُ وفيهم العباسُ، فأمسكَ الناسُ أيديهم عن الأكل، فحسرَ ذِراعيه وقال: أيُّها الناسُ، إنَّ رسول الله ﷺ مات فأكلْنا، وإنَّ أبا بكرٍ مات فأكلنا، وإنَّه لابُدَّ من الأكلِ، وضربَ بيدهِ وضرب القوم بأيديهم، فعُرِفَ قولُ عمر: إنَّ قُريشاً رؤساءُ الناس[(٣)].

فصلٌ في ثناء الصحابةِ عليه:

قال أحمد بإسناده عن ابن أبي مُلَيْكَةَ، أنَّه سمع ابن عباسٍ قال: إني لواقفٌ وقد وُضِع عمرُ على سريرهِ؛ فتكنَّفه الناسُ يَدعون له قبل أن يُرْفَعَ ويُصَلُّون، فلم يَرُعْني إلّا رجلٌ قد أخَذَ بمنكبي من ورائي، فالتفتُّ إليه، فإذا عليّ بن أبي طالب، فترحَّم على عمر وقال: ما خَلَّفْتُ أحداً على وجه الأرضِ أُحبُّ أن ألقى الله بصَحيفتهِ من هذا

---

(١) في النسخ: حقوي أبي بكر، والمثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤٢، وتاريخ المدينة ٩٤٤، وأنساب الأشراف ٩/ ٢١٤.

وأخرج ابن سعد ٣/ ٣٤٢، وعنه ابن عساكر ٣٦/ ٥٧٦ أن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: رأس أبي بكر عند كتفي رسول الله ﷺ، ورأس عمر عند حقوي أبي بكر.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٣٧.

(٣) المنتظم ٤/ ٣٣٢.

المُسَجَّى بالثوبِ.

وفي روايةٍ: واللهِ ما خَلَّفْتُ أحداً أُحبُّ أن أَلقى الله بمثلِ عمله منك، وايْمُ اللهِ، إن كنتُ لأظنُّ أنَّ الله يَجعلك مع صاحبيك؛ لأني كنتُ كثيراً ما أسمعُ رسول الله ﷺ يقول: «ذهبتُ أنا وأبو بكرٍ وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكرٍ وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكرٍ وعمر» وإني لأرجو أن يَجعلك الله معهما. أخرجاه في «الصحيحين»، وهو في مسند عليٍّ عليه السلام[1].

وقال المغيرة بن شُعبة: لما دُفن عمر أتيتُ علياً وأنا أحبُّ أن أسمعَ منه في عمر شيئاً، وكان قد سمع زوجةَ عمر ابنةَ أبي خيثمة تَندُبه[2] وتقول: واعمراه، أقام الأَوَد، ونصر الصَّمد، وخاض الغُمَر، وأمات الغِيَر، وأحيا السُّنن، وقلد المِنَن، خرج من الدنيا والله نقيَّ الثَّوب، بريئاً من العَيب، فقال علي: لقد صَدقتْ بنتُ أبي خيثمة، لقد ذهب والله بخيرها، ونجا من شرّها، أما والله ما قالت ولكنها قُوِّلت.

وروى عكرمةُ، عن ابن عباسٍ قال: كنّا نتحدَّثُ أن الشياطين مُصفَّدةٌ في إمارةِ عمر، فلما أُصيبَ بُثَّت في الأرضِ[3]، وفي روايةٍ: وما كان في الأرضِ شيطان إلّا وهو يَفرُّ من عمر.

وقال الواقدي: كان عمرُ عظيماً في أعينِ الصحابةِ، فلما كانت الليلةُ التي مات فيها وُلِد لجماعةٍ منهم أولاد، فسمّى كلُّ واحدٍ منهم ولدَه باسمِ عمر، منهم عثمان وعلي وعبد الله بن عمر[4].

وروت عمرةُ عن عائشة أنَّها قالت: كان عمرُ أحْزمَ من أن يُخْدَع، وكان والله أحْوَزِيّاً نَسيجَ وَحْدِه، قد أعدَّ للأُمور أقرانَها، وكان يقول: لستُ بخِبٍّ والخِبُّ لا يَخدَعُني[5].

(١) مسند أحمد (٨٩٨)، وصحيح البخاري (٣٦٧٧)، وصحيح مسلم (٢٣٨٩).
(٢) كذا في (خ) و(ع)، وهذا الخبر ليس في (ك)، وفي تاريخ الطبري ٤/ ٢١٨ : لما مات عمر بكته ابنة أبي حَثْمة فقالت.
(٣) أخرجه ابن عساكر ٥٣/ ٧٨ عن مجاهد.
(٤) في (خ) و(ع): منهم عمار وعلي وعبيد الله بن معمر.
(٥) أخرجه ابن عساكر ٣٦/ ٤٢١-٤٢٥ .

وحكى ابن سعدٍ عن حُذيفة قال: كان الإسلامُ في أيامِ عمر لا يَزيدُ إلّا إقبالاً، وفي روايةٍ: كان الإسلام كالرَّجُلِ المقبِل، فلما ولّى عمرُ صار كالرجلِ المُدْبِر، لا يَزدادُ إلا إدباراً[١].

ذكر شهادة رسولِ الله له أنَّه يكون بعد الموتِ كما كان:

حدَّثنا غير واحدٍ عن محمد بن أبي القاسم بإسناده، عن ابن عمر، عن عمر قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «كيف بك يا عُمر إذا صِرتَ في أربعةِ أذرُعٍ من الأرض في ذِراعين، ونزل عليك مُنكر ونكير فتّانا القَبرِ، يَبحثان الأرضَ بأنيابهما، ويُطارُ في أشعارِهما، أصواتُهما كالرَّعدِ القاصفِ، وأبصارهما كالبَرقِ الخاطفِ، معهما مِرْزَبَةٌ لو اجتمع عليها أهلُ الأرضِ لم يُطيقوا رفعَها، هي أيسرُ عليهما من عصاي هذه، يَضربانِ العبدَ بها ضَربَةً لو ضَرَبا بها جبال تِهامةَ لذابتْ؟» قال: فقلتُ: يا رسولَ الله، وأكون على حالتي هذه؟ قال: «نعم»، فقلت: إذاً أكفيكَهما. ذكر جدّي رحمه الله هذا الحديثَ في بعضِ مجالسهِ، ثم قال: بلغني أنَّ عمر رُؤي في المنامِ، فقيل لَهُ: ما فعل الله بك؟ فقال: لما نزل عليَّ الملَكان أجلساني، وقالا: مَن ربُّكَ؟ فجذبتُ بذُؤابتَيْهما وقلتُ: بل أنتُما مَن ربُّكما[٢]؟

ذكر رؤيا العباس له بعد موتهِ:

قال ابنُ سعدٍ بإسنادهِ عن عبد الله بن عبيد الله بن العباس قال: كان العباسُ خِلّاً أو خليلاً لعمر، فلما أُصيبَ عمرُ جعل يدعو الله أن يُريَه عمرَ في المنامِ، قال: فرآه بعد حَوْلٍ وهو يَمسحُ العَرَقَ عن وَجهه، فقال: ما فعلتَ؟ وفي روايةٍ: ما فعل بك ربُّك؟ قال: هذا أوانُ فَرغتُ، إن كاد عرشي ليُهَدّ [أو] ليهوي بي لولا أني لقيتُه رؤوفاً رحيماً[٣].

وفي روايةِ هشام أن العباس رآه بعد عشر سنين، أو اثنتي عشرة سنةً، مَكشوفَ الرأسِ يعدو ويقول: الآنَ أفلتُّ من الحسابِ، أكثر من زمانِ ولايته.

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤٦.

(٢) من قوله: ذكر شهادة رسول الله ﷺ... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤٨-٣٤٩.

وقال الواقدي: وقد رآه رجلٌ من الأنصارِ كذلك بعد عشر سنين.

وروى [عن] ابن عباسٍ أيضاً بإسناده، وفي رواية الزُّهري عن ابن عباسٍ قال: دعوتُ الله أن يُرِيَني عمرَ في المنام، فرأيتُه بعد سنةٍ وهو يَسْلتُ العَرَقَ عن وَجْنَتَيْهِ ويقول: الآن خرجتُ من الحِناذِ، أو مثل الحِناذِ[1].

وقال هشام بن الكلبي[2]: قد رثاه جماعةٌ منهم زوجتُه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيَلٍ، فقالت: [من الخفيف]

عينُ جُودي على الإمامِ الأريبِ ... لا تَملِّي بعَبْرَةٍ ونَحيبِ
فَجَّعَتْني المنونُ بالفارس المَيْـ ... ـمون يومَ الهِياجِ والتَّأنيبِ[3]
عِصمةُ الناس والمُعينُ على الدَّهـ ... ـرِ وغَيثُ المُنْتابِ والمَحْروبِ
قُل لأهلِ الثَّراءِ والبُؤسِ موتوا ... قد سَقَتْه المنونُ كأس شَعوبِ

وقالت أيضاً: [من الطويل]

وأفْجَعَني فيروزُ لا درَّ درُّه ... بأبيضَ تالٍ للكتابِ مُنيبِ
رَؤوفٍ على الأَدْنى غَليظٍ على العِدى ... أخي ثِقَةٍ في النّائباتِ مُجيبِ
متى ما يَقُلْ لا يُكْذِبُ القولَ فِعْلُه ... سريعٍ إلى الخيراتِ غيرِ قَطوبِ[4]

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ ليلاً ما أراه إنسياً نَعى عمر يقول: [من الطويل]

جَزى اللهُ خيراً من إمامٍ وباركَتْ ... يدُ اللهِ في ذاك الأديمِ المُمزَّقِ
فمَن يَمشِ أو يركَبْ جَناحَيْ نَعامةٍ ... ليُدْرِكَ ما قَدَّمْتَ بالأمسِ يُسْبَقِ
قَضيتَ أُموراً ثم غادَرْتَ بعدها ... بوائِقَ في أكمامِها لم تُفَتَّقِ

وفيها زيادةٌ وهي:

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤٩.

(٢) من قوله: وفي رواية هشام... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٣) في تاريخ الطبري ٤/ ٢١٩، والأغاني ١٨/ ٦١، وتاريخ دمشق ٥٣/ ٤١٣: والتلبيب، وفي تاريخ المدينة ٣/ ٩٤٨: والتثويب، وفي المردفات من قريش ١/ ٦٣ (نوادر المخطوطات): والتذبيب.

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٢١٩، وتاريخ المدينة ٣/ ٩٤٨.

وما كنتُ أَخشى أن تكونَ وفاتُه ... بكَفَّيْ سَبَنْتى أزرَقِ العينِ مُطْرِقِ
أبَعْدَ قَتيلٍ بالمدينةِ أظلمتْ ... له الأرضُ تهتَزُّ العِضاهُ بأَسْؤقِ

وقال ابنُ سعدٍ بإسنادِهِ عن سليمان بن يَسار أنَّ الجِنَّ ناحت على عمر(١).

ذِكْرُ زوجاتِه وأولاده:

قال ابنُ سعدٍ: كان لعمر من الولدِ عبدُ الله وعبد الرحمن وحفصةُ، وأُمُّهم زينب بنتُ مَظْعون الجُمَحِيَّةُ.

وزيدٌ الأكبرُ لا بقيَّةَ له، ورُقَيَّةُ، وأُمُّهما أُمُّ كلثوم بنت علي.

وزيدٌ الأصغر، وعُبَيْد الله قُتِلَ بصِفين مع مُعاوية، وأُمُّهما أُمُّ كلثوم بنت جَرْوَل خُزاعية، وهي التي فرّق الإسلام بينها وبين عمر رضوان الله عليه، وعاصم وأمه جَميلة بنت أبي الأقْلَح.

وعبدُ الرحمن الأوسط وهو المرجومُ، وأُمُّه لُهيَّةُ أُمُّ ولدٍ، وعبدُ الرحمن الأصغر لأُمِّ ولد.

وفاطمة وأُمُّها أُمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، وزينبُ أصغرُ ولدِ عمر، وأُمُّها فُكَيْهَةُ أُمُّ ولدٍ.

وعِياض وأُمُّه عاتكةُ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن ابن عمر قال: غيَّرَ رسولُ الله ﷺ اسمَ أمِّ عاصم بن عمر، كان اسمُها عاصِية، فقال: «لا، بَلْ أنت جَميلةٌ»(٢).

وقال هشام بن الكلبي عن أبيه قال: تزوَّجَ عمرُ في الجاهليةِ مليكةَ بنت جَرْولٍ الخزاعيِّ، فوَلدت له عبدَ الله الذي قُتِل بصِفِّين.

وتزوَّجَ في الجاهليةِ قُريبةَ بنت أبي أُميّة المخزومي، فلم تَلِد له.

وأما في الإسلامِ فتزوَّج أُمَّ حكيم بنت الحارث بن هشام بن المُغيرة، فوَلدت له فاطمة ثم طَلَّقها.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٤٧ـ٣٤٨. ومن قوله: وقال ابن سعد بإسناده عن عائشة... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٤٦ .

وتزوَّج جميلةَ بنت ثابت بن أبي الأقْلَحِ، فوَلدت له عاصماً ثم طلَّقها.

وتزوَّج فاطمةَ بنتَ الوليد بن المغيرة أُخت خالد بن الوليد،

ثم تزوَّج أُمَّ كلثوم بنت عليّ، فولدت له زيداً الأكبر ورُقَيَّة.

وتزوَّج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ، فولدت له عِياضاً.

وقال الواقدي: كانت عاتكةُ بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل عند عبد الرحمن بن أبي بكرٍ، فقُتِل عنها، فتزوَّجها عمر فقُتِل عنها، فتزوَّجها الزُّبير فقُتِل عنها، ووَلدت من عمر عِياضاً[١].

وقال المدائني: خطب عمرُ أُمَّ كلثوم بنت أبي بكرٍ الصديق وهي صغيرةٌ، فأبت عليه، فأرسل إلى عائشة بسببها، فقالت لها عائشةُ: أتَرغَبين عن أميرِ المؤمنين؟ فقالت: نعم، لا حاجَةَ لي فيه، خَشِن العيش، شديدٌ على النساء، فأرسلت عائشةُ إلى عمرو بن العاص فقال: أنا أكفيكِ، ثم دخل على عمر فقال: يا أمير المؤمنين، قد بَلغني خبرٌ أُعيذُك بالله منه، قال: وما هو؟ قال: خَطَبْتَ ابنةَ أبي بكر؟ قال: نعم، قال: إنَّ لها لشأناً، وهي حَدَثةٌ، وتَعيشُ تحت ظلِّ أُمِّ المؤمنين عائشة في عَيشٍ رقيقٍ، وعَيْشُك غَليظ، وربَّما خالَفَتْكَ فتَسْطو بها، فتكون قد خَلَفْتَ أباها في ولدِهِ بغيرِ ما يَجبُ عليك ويُحِبُّ في ولدِهِ، وإني أدلُّك على خيرٍ منها، أُمُّ كلثوم بنت علي لقُرْبها من رسولِ الله ﷺ.

وفي رواية: فيك غِلْظَةٌ، ونحنُ نهابُكَ، وما نَقْدِرُ أن نَردَّكَ عن خُلُقٍ من أخلاقِكَ، وابنةُ أبي بكر ليست كأحدِنا، فسكت عمر.

وقال المدائني: خطب عمر أُمَّ أبان بنت عُتبة بن ربيعة فقالت: لا حاجة لي به؛ يُغلقُ بابَه، ويَمنعُ خيرَه، ويدخلُ عابساً، ويَخرج عابساً[٢].

وقال ابن عساكر في تاريخِه: وزيدُ بن عمر بن الخطاب أُمُّه أُم كلثوم بنت علي، وأُمُّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

---

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ١٩٩ـ٢٠٠.

وقال أبو عمرو بن العلاء[١]: كان زيدٌ قد وفد على مُعاوية بن أبي سفيان، فأجلسه معه على سريره، وكان حسناً جميلاً، فقال له بُسْرُ بن أبي أرطاة: يا ابن أبي تُراب، فقال زيد: إيّاي تَعني لا أُم لك! أنا واللهِ خيرٌ منك ومن أبيك وجَدِّك ومن هذا، يعني مُعاوية، ثم قام فنزل من السرير، فأخذ بعُنقِه فصرعه، وبرك على صَدْرِه، وجعل يَخنقُه، فنزل معاويةُ من السريرِ فحال بينهما، فقال زيد: يا معاويةُ، واللهِ ما شكرتَ الحُسْنى، ولا حَفِظْتَ ما كان منّا إليك، سلَّطْتَ عليَّ عبد بني عامر؟! فقال له معاوية: يا ابن أخي، أما قولُك إني كفرتُ الحسنى، فوالله ما استعمَلَني أبوكَ إلّا من حاجته إليَّ، وأما ما ذكرتَ من الشُّكْرِ؛ فلقد وَصَلنا أرحامَكم، وقضينا حقوقَكم وأنتُم في منازلكم، فقال زيد: إني لأعلمُ أنَّ هذا لم يكن إلّا عن رأيكَ، والله لا تَراني بعدها، وأنا ابنُ الخليفَتَيْن.

ثم قام وركب راحلتَه، وتوجَّه إلى المدينة، فأرسل إليه معاويةُ يَعزِم عليه إلا أتاه وقال: والله إن أتَيْتَ وإلا أتيتُك، فرجع وقال: والله لولا العَزيمة لما رجعتُ، فقام له مُعاوية، وأجلسه معه على سريره وقال: يا بُنيَّ، مَن نَسي بلاءَ عمرَ فوالله ما أنساه، ولقد استعمَلَني وأصحابُ رسولِ الله ﷺ متوافِرون، وأنا يومئذٍ حَدَثُ السنِّ، فأخذتُ بأَدَبه، واهتديتُ بهَدْيه، واتَّبعتُ أَثَرهُ، واللهِ ما قَوِيتُ على العامة إلّا بمكاني منه.

وقضى مُعاويةُ جميعَ حَوائجه، وأمر له بمئة ألفِ درهم، وبعث إلى مَن كان مع زيدٍ وكانوا عشرين رجلاً فأعطى كلَّ واحدٍ أربعةَ آلاف درهم[٢]، وخَرَج فقَدِم المدينةَ، فأقام يسيراً، ثم جَرَت تلك الكائنةُ فتُوفّي، وليس لزيدٍ عَقِبٌ.

وأما رُقيةُ أُختُ زيدٍ فتزوَّجها إبراهيم بن النَّحامِ، فماتت عنده.

وقال ابن قُتيبة: كان لعمر ولدٌ يقال له: مُجَبِّر، ولم يُعقِب[٣].

وسنذكر أولاد عمر في تراجمهم على السنين إن شاء الله تعالى[٤].

واستَقضَى عليَّ بن أبي طالب ﷺ على المدينة، وشُريحاً على الكوفة، وكعب بنَ

(١) من قوله: وقال ابن سعد بإسناده عن ابن عمر... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٦٥٨ـ٦٥٩ (مخطوط).

(٣) المعارف ١٨٨ .

(٤) من هنا إلى نهاية ترجمة عمر ليس في (ك).

سُور على البَصرة، واستقضى أيضاً عليها عُبيد الله بن مَعمر.

وكان حاجبُه يَرْفَأ، وأسلمُ مولاه، وكان له من الموالي يَرفأ، ومِهْجَع، ومالك الدّار، وأَسْلَم، وهُنَيّ، وأبو أُميَّة.

فأما يَرفأ فكان حاجِبَه خَصيصاً به، وكان زاهداً عابِداً ورعاً، قال المغيرة بنُ شُعبة: والله إنْ كنا لنُصانِع يَرفَأ مولى عمر وآذِنَه.

وهو الذي قَدم بكتاب عمر رضوان الله عليه على أبي عبيدة بالجابية بموت أبي بكر، وقَدم عليه أيضاً وهو يُحاصر دمشق، وأسند الحديث عن عمر وعلي وعثمان والعباس وطلحة والزبير ﷺ، وغيرهم[(١)].

وأما مِهجَع فاستُشهد يوم بدر.

وأما مالكُ الدَّار فمن الطبقة الأولى، روى عن أبي بكر وعمر ﷺ، وولاه عمر رضوان الله عليه داراً، وأمُّه حبّى، أرضعته ـ لعثمان ـ فأقطعها داراً بالمدينة، فقيل لابنها مالك الدار[(٢)].

وأما أسْلَم فحَبَشيّ بَجَاوي، وكُنيتُه أبو زيد، اشتراه سنةَ اثنتي عشرة، وكان يَحجُبه، وروى الحديث، وابنه زيد بن أسلم كثير الرواية عن أبيه، وخالد بن أسلم، وهو الذي أصاب رأسَ زيد بن عمر ﷺ بالحَجَر[(٣)].

وأما هُنَيّ فحضر مع معاوية صِفّين، وهو من الطبقة الأولى من التابعين، وُلد على عهد رسول الله ﷺ.

وأما أبو أمية فكاتَبَه عمر رضوان الله عليه، وهو جدُّ المبارك بن فَضالة بن أبي أميّة.

وكان عامِله على مكة حين تُوفّي نافع بن عبد الحارث، وعلى الطائف سفيان بن عبد الله الثقفي، وعلى صَنعاء يَعلى بن مُنية، وعلى الكوفة أبو موسى، وقيل: المغيرة، وعلى البصرة أبو موسى، وعلى دمشق مُعاوية، وعلى مصر عمرو بن العاص.

---

(١) تاريخ دمشق ١٩/ ٢١٩ـ٢٢١ (مخطوط).

(٢) في المعارف ١٨٩ : وأم ولده حُبي، وكانت قد أرضعت عثمان بن عفان، وكانت مليحة، فقال لها عثمان: أريد أن أُقطعك. وانظر تاريخ دمشق ٦٦/ ١٤٤ .

(٣) المعارف ١٨٩ ، وتاريخ دمشق ٢/ ٨٠٩ (مخطوط).

وكان عمر رضوان الله عليه يُقاسم عُمَّاله ويقول: أشكو إلى الله جَلَد الخائن وعَجْزَ الثّقة، وكان يَضع عليهم العُيون.

وقاسم أبا موسى مالَه، وكان قد وَلّاه البصرة، ثم أَقدَمَه عليه، فقال له: ما جاريتان عندك إحداهما تُدعَى عقيلة، والأُخرى من بنات الملوك؟! فقال: أمَّا عقيلة فبيني وبين الناس، وأما التي من بنات الملوك فأردتُ بها غلاءَ الفِداء، قال: فما جَفْنتان عندك؟! قال: رَزقْتَني كلَّ يوم شاةً، أعمل نصفَها بُكرةً، ونصفَها عشيَّةً، قال: فما مِكيالان عندك؟ قال: أما أحدُهما فأُوفّي به أهلي ودابّتي، وأما الآخر فيتعاملُ به الناس، فقال: ادفع إلينا عقيلة، وارجع إلى عَملك عاقِصاً بقَرْنِك، مُكتَسِعاً بذَنبك، وإن بَلَغني بعدها أمرٌ عَزلتُك، وأخذتُ جميعَ مالك.

ووَلّى أبا هريرة البحرين، وشاطره مالَه، ثم أقدمه عليه وقال: يا عبد شمس، هل علمتَ أني استعملتُك على البحرين وأنت بغير نَعلَين، ثم بَلَغني أنك بِعتَ أفراساً بألفٍ وست مئة دينار؟ فقال: كانت لنا أفراس تَناتَجتْ، وعطايا تَلاحَقَتْ، قال: قد أخذتَ مالَ الله فأَدِّه، قد حَسَبْنا رزقَك ومؤنتَك، ومعك فضلٌ فأدِّه، قال: ليس لك ذلك، فقال: بلى وأُوجِعُ ظَهرَك، ثم قام إليه فضربه بالدرّة حتى أدماه، ثم قال: ائتِ بها، فقال: عند الله أحتَسِبُها، فقال: يا لُكَع، ذلك لو أخذتَها من حَلال، أو أدَّيتَها طائعاً، أجئتَ من أقصى حَجْر بالبحرين يَجبي الناسُ لك، لا والله، وهل وَرَّثت لك أُميمة - يعني أمّه - إلا رَعْي الحُمُر؟! يا عدوَّ الله، وعدوَّ كتابه ورسوله، سرقتَ من مال المسلمين، فقال: ما أنا عدوُّهم، أنا عدوُّ مَن عاداهم، وما سرقتُ شيئاً، قال: فمن أين لك عشرة آلاف درهم؟! فأخذها منه، ثم قال له: ألا تَعمل؟ قال: لا، قال: قد عَمل مَن هو خيرٌ منك؛ يوسف الصدّيق حيث قال: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف: ٥٥] فقال له: يوسف نبيّ، وأنا ابنُ أُميمة، أخشى أن يُشتمَ عِرضي، ويُضرَبَ ظَهري، ويُنزَعَ مالي.

وقاسم عمرو بنَ العاص مالَه، وبعث إليه محمد بنَ مَسْلَمَة الأنصاري، وكتب إليه عمر: عَهدي بك وأنت فقيرٌ لا مالَ لك، وقد بلغني أنه نَشَأتْ لك ماشِيةٌ من خيلٍ وإبلٍ وبَقَرٍ وعَبيد، فمن أين لك هذا المال؟!

فكتب إليه عمرو: إنني ببَلدٍ السِّعرُ فيه رَخيصٌ، وإني أُعالِج من الزِّراعة ما يُعالجُ الناس، وفي رزقِ الله ورزقِ أمير المؤمنين سَعَة، ووالله لو رأيتُ خيانتَك حلالاً ما خُنتُك، فأَقصِرْ أيها الرجل، فإن لنا أحساباً، وهي خيرٌ من العمل لك، فإن رَجَعنا إليها عِشنا بها.

فكتب إليه عمر رضوان الله عليه: ما أنا من أَساطيرك التي تُسطِّر، ونَسْقك الكلام في غير مَرْجع، وما يُغني عنك أن تُزكِّي نَفسَك، وقد بَعثتُ إليك محمد بن مَسْلَمة، فشاطِرْه مالَك، فإنكم أيها العُمال جلستُم على عُيون المال، تَجمعون لأبنائكم، وتُمهِّدون لأنفُسكم، وإنما تَجمعون للنار، والسلام.

فلما قَدم محمد على عمرو صَنع له طعاماً، فقال محمد: والله لا أكلتُ لك طعاماً، ولو كنتُ ضيفاً لأكلتُ، ولكن قَدَّمْتَه إلي تَقدِمة شرّ، والله لا شربتُ لك ماءً، فشاطره مالَه جميعَه، وبقيت نَعلان، فأخذ إحداهما وترك الأخرى، وقال: قبّح الله زماناً عمل فيه ابنُ العاص لابن الخطاب، والله إني لأعرفُ الخطاب يَحمل على رأسه حُزمَة حطب، وعلى رأس ابنه مثلَها، وما منهما إلا في نَمِرة ما تَبلغُ رُسْغَه، والله ما كان العاص يرضى أن يَلبس الدِّيباج مُزَوَّراً بالذهب والفضة، فقال له محمد: اسكُتْ، فوالله إن عمر خَيرٌ منك، وإن أباك وأباه في النار، فقال عمرو: هي عندك أمانة، فلم يُخبِر بها عمر رضوان الله عليه.

ومرّ عمر رضوان الله عليه ببناء يُبنى بالجَصّ والآجُرّ، فقال: لمن هذا؟ قيل: لعاملك على البحرين، فقال: أبَتْ والله الدَّراهم إلا أن تُخرِجَ أعناقَها، فأرسل إليه فشاطره مالَه.

واستدعى الحارث بنَ وَهْب عاملَه على صَنْعاء وقال له: ما قِلاصٌ وأَعبُدٌ بعتَها بمئَتَيْ دينار؟! فقال: خرجتُ معي بنَفقةٍ فتَجرتُ فيها، فقال: أما والله ما بَعثْناكم لِتَتَّجِرُوا في أموال المسلمين، أَدِّها أدِّها، فقال: والله لا عَملتُ لك عملاً أبداً، قال: انتظر حتى أستَعْمِلَك، ثم قاسمه مالَه.

وقاسم سعد بن أبي وَقّاص رضي الله عنه مالَه، فلما عَزلَه عن الكُوفة، وكان سعد مُستجاب الدَّعوة، فلما شاطره مالَه قال: لقد هَممتُ، قال عمر رضوان الله عليه: أن تَدعُوَ عليَّ؟ قال: نعم، قال عمر: إذاً لا تَجِدني بدُعاء ربي شقياً.

وزار أبو سفيان ابنَه معاوية بالشام، ثم رجع فدخل على عمر رضوان الله عليه، فقال له: أجِزْنا يا صخر، فقال: ما أصبْنا شيئاً فنُجِيزك منه، فأخذ عمر رضوان الله عليه خاتَمه من يده، وجعل يُقلِّبه، وغافله ثم بعث به إلى هند، وقال للرسول: قل لهند: يقول لك أبو سفيان: ابعثي إليَّ بالخُرجَيْن اللذين وصلا معي من الشام، فبعثَتْ بهما، وإذا فيهما عشرة آلاف درهم، فألقاهما عمر رضوان الله عليه في بيت المال، فلما ولي عثمان رضي الله عنه رَدَّ الخُرجَيْن إلى أبي سفيان، فقال: لا آخذُ ما لم يَرْضَه لي عمر[1].

وكان سببُ مُقاسمته لهم أنه ولّاهم وهم فقراء، فأَثْرَوْا وكَثُرتْ أموالُهم.

وسمع قائلاً يقول: [من الطويل]

نَحُجُّ إذا حَجُّوا ونَغزو إذا غَزَوْا كأنا لهم وَفْرٌ ولسنا بذي وَفْرِ
إذا التّاجرُ الهنديُّ جاء بفارَةٍ من المِسك أضحت من مَفارِقهم تَجري
فدُونَك مال الله حيث وَجَدْتَه سيَرضَون إن شاطرتَهم منك بالشَّطرِ[2]

أسند الحديث، قال ابنُ البَرْقي: روى عن رسول الله ﷺ خمس مئة وتسعة وثلاثين حديثاً، وروى عنه جملةٌ من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. انتهى ما يتعلق بعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فصل:

غَيْلان بن سَلَمة الثقفيّ

ذكره ابن سعد فيمن أسلم يوم الفتح، وقد ذكرناه في غزاة الطائف وهو الذي أسلم وتحته عشر نسوة، فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعاً، فلما كان في عهد عمر طَلَّقَ نساءه، وقسم ماله بين ورثته، فلقيه عمر بن الخطاب، فقال: إني أظن أن الشيطان فيما يسترقُ من السَّمع سمع بموتك، فقذفه في نفسك، ولعلَّك لا تمكُثُ إلّا قليلاً، وايْم الله، لتُرجِعنَّ نِساءَك، أو لأُورثهنَّ من مالك، ولآمُرَنَّ بقبرك أن يُرْجَمَ كما رُجم قبرُ أبي رِغال، يعني أبا ثقيف، قال: فراجع نساءه ورجع في مالِه، فما مَكث سبعاً حتَّى مات.

---

(١) الأخبار السالفة كلها في العقد ١/ ٤٤-٤٩.

(٢) العقد ٥/ ٢٨١.

وقال ابن سعد: وكان شاعراً، وَفَد على كسرى، وسأله أن يَبنيَ له حِصْناً بالطائفِ فبناه، قال: وأسلم وعنده عشر نسوة، فقال له رسول الله: «اختَرْ منهنَّ أربعاً، وفارِق بقيَّتَهُنَّ»، فقال: قد كُنَّ لا يعلمن أيَّتُهنَّ آثَرُ عندي، وسيَعلمنَ اليوم ذلك، فاختار منهن أربعاً، وجعل يقول لمن أراد منهن: أَقْبلي، ولمن لا يُريد: أدبِري[١].

وغيلان هذا أبو بادِيَة التي قال عنها هيتُ المخنَّثُ في غزاة الطائف: تُقْبلُ بأربعٍ وتُدْبِرُ بثمانٍ، وقد ذكرناه.

ذكر وفاته:

قال الواقدي: تُوفي في سنة ثلاثٍ وعشرين، وقال ابن سعد: في آخر خلافة عمر ابن الخطاب، وكذا قال ابنُ عساكر.

ولغَيْلان شِعر، وليس في الصحابة مَن اسمُه غَيْلان بن سَلَمة غيره، وأسند غَيلان ابن سلمة الحديث عن رسولِ الله ﷺ[٢].

فصل: وفيها قُتِل الهرمزان[٣].



(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٦٦ .

(٢) انظر الاستيعاب (٢٠٥٩)، والإصابة ٣/ ١٨٩ ، وتاريخ دمشق ٥٧/ ٣٦١ وفي حواشيه مصادر أخرى.

(٣) من قوله: فاختار منهن أربعاً... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

السنة الرابعة والعشرون

فيها أمر الشورى.

روى البخاريّ عن المِسور بن مَخْرمة أن الرَّهطَ الذين وَلّاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، فقال لهم عبد الرحمن: لست بالذي أُنافِسُكم هذا الأمر، ولكنكم إنْ شئتم اخترتُ لكم، فجعلوا ذلك له، فلما وَلَّوه أمرَهم انثال عليه الناس ومالوا إليه، حتى لا أرى أحداً من الناس يَتبع أولئك الرّهط ولا يَطأ عقبه، ومال الناس إلى عبد الرحمن يُشاورونَه ويُناجونه تلك الليالي، حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا بايَعْنا فيها عثمان.

قال المِسوَر: طرقني عبد الرحمن بعد هَجْعٍ من الليل، فضرب الباب حتى استيقظتُ، فقال: ألا أراك نائماً، فوالله ما اكتحلتُ في هذه الليلة بكثير نوم، فادعُ لي الزبير وسعداً، فدعوتُهما له، فشاوَرَهما، ثم قال: ادعُ لي عليّاً، فدعوتُه، فناجاه حتى ابْهَارَّ الليل، ثم قام من عنده وهو على طَمَع، وكان عبدُ الرحمن يَخشى من عليٍّ شيئاً، ثم قال: ادعُ لي عثمان، فدعوتُه، فناجاه حتى فَرَّق بينهما مؤذن الصّبح، فلما صلّى الناس الفجر اجتمع أولئك الرهط عند عبد الرحمن عند المنبر، فأرسل عبد الرحمن إلى مَن كان خارجاً من المهاجرين والأنصار، وإلى أُمراء الأجناد ـ وكانوا وافَوْا تلك الحجّة مع عمر ـ فلما اجتمعوا تشهّد عبد الرحمن وقال: أما بعد؛ فإني نَظرتُ في أمر الناس، فلم أرهم يَعدلون بعثمان أحداً، ثم أخذ بيده وقال: أُبايعك على سُنَّة رسول الله ﷺ والخَليفتين من بعده، وبايعه عبد الرحمن والناس. هذا لفظ البخاري[(١)].

قال الواقدي: لما استُخلف عثمان دخل عليٌّ على العباس، فقال له العباس: إني ما قَدَّمتُك إلا تأَخَّرتَ، قلت لك: هذا الموتُ في وجه رسول الله ﷺ فتعال نَسأله عن هذا الأمر فأَبَيْت، ثم قال: أنت المنظور إليه، فقلتُ لك: تعال أُبايعك فلا يَختلف عليك اثنان فأبَيْت، ثم مات عمر بعد ذلك، قد أطلق الله يَديك، ليس لأحدٍ عليك بَيعة، ولا تَدخل في الشَّورى فأَبَيْتَ عليّ، فقال علي: عسى أن يكون خيراً.

---

(١) في صحيحه (٧٢٠٧).

وكان العباس قد قال لعليٍّ يوم طُعن عمر: الزَمْ بيتَك، ولا تدخل في الشورى، فلا يَختلفُ عليك اثنان[١].

ولما أخذ عبد الرحمن ﷺ منهم المواثيق خلا بعليّ ﷺ وقال له: إنك تقول إنك أحقُّ بهذا الأمر لقَرابتك، وسابقتك، وحُسْنِ أثرك، ولم تبعد، ولكن أرأيتَ لو صُرِف هذا الأمرُ عنك ولم تَحْضُرْه، مَن كنتَ تَرى أحقّ به من هذا الرَّهط؟ فقال: عثمان.

ثم خلا بعثمان رضوان الله عليه وقال له: أنت تقول: إني شيخُ بني عبد مَناف، ولي سوابق، فلو صُرِف عنك هذا الأمرُ ولم تَحْضُر، مَن كنتَ ترى أحقّ به؟ قال: علي.

ثم خلا بالزبير ﷺ، فقال له مثلَ ذلك، فقال الزّبير: عثمان، ثم خلا بسعدٍ ﷺ، فقال له مثل ذلك، فقال: عثمان، ثم قال لعلي ﷺ: أَنشدك الله أن تكون ظَهيراً لعثمان[٢]، وكان طلحة ﷺ غائباً.

ثم شاور المهاجرين والأنصار، فكلٌّ أشار بعثمان، ثم قال للزبير: خلِّ نصيبَك لبني عبد مَناف، فقال: نَصيبي لعَليّ، فقال عبد الرحمن لسعد: أنا وأنت كَلالة، فاجعل نصيبَك لي فأَختار، فقال سعد: إن اخترتَ نَفسَك فنعم، وإن اخترتَ عثمان فعليٌّ أحبُّ إليّ، ثم قال له سعد: أيها الرجل، بايعْ نَفْسك وأرِحْنا، وارفع رؤوسَنا، فقال: والله لا يَقوم أحدٌ مقام أبي بكر وعمر فيَرضى الناسُ عنه. فقام سعد والزبير غَضْبى.

وجمع عبد الرحمن وُجوهَ الناس وقال: أشيروا عليّ، فقال له سعيد بن زيد ﷺ: إنا لنراك أهلاً لها، فقال: أشيروا عليّ بغير هذا، فقال عمّار بن ياسر: إن أردتَ ألا يَختلفَ عليك اثنان فبايعْ عَليّاً، فقال المقداد: صدق، إن بايعتَ علياً سَمِعنا وأطعنا، فقال عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح: إن أردتَ أن لا يَختلفَ عليك اثنان من قُريش فبايعْ عثمان، فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدق ابنُ أبي سَرْح، فشتم عمار ابنَ أبي سرح وقال: متى كنتَ ناصِحاً للمسلمين.

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ١١٩ـ١٢٠.

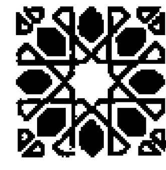
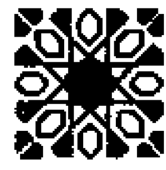
(٢) في الطبري ٤/ ٢٣١ أن علياً قال لسعد ﷺ: أسألك برحم ابني هذا من رسول الله ﷺ، وبرحم عمي حمزة منك ألا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيراً عَليَّ.

وتكلم بنو هاشم وبنو أُمية، فقال عمار: أيها الناس، أنّى تَصرفون هذا الأمرَ عن بيت نبيّكم؟ فقال رجل من بني مَخزوم: لقد عَدوتَ طَورَك يا ابن سُميَّة، وما أنتَ وتَأمير قريش؟! فبايع عبدُ الرحمن عثمانَ ﵄، فقام عليٌّ ﵁ وخرج مُغضباً، فتبعه عبد الرحمن فقال: بايع وإلا ضربتُ عُنقك، فبايَع.

وروي أن عبد الرحمن ﵁ رأى في المنام أن أمِّر أقرأهم، فإن استَووا فأَفْقهُهم، فإن استَووا فأسنُّهم، فانتبه فقال: هل تَعلمون أحداً اجتمع فيه هذا غير عثمان، فبايعوه.

وجلس عبد الرحمن ﵁ على مِنبر رسول الله ﷺ، دون المكان الذي كان يَقعد فيه رسول الله ﷺ، ثم أقعد عثمان رضوان الله عليه على الدَّرجة الثانية وبايعه، فلما كان بعد ذلك صعد عثمان ﵁ فقعد مكان رسول الله ﷺ، فأعظم الناس ذلك، وكان أوّلَ ما أُخذ عليه.

وقدم طلحة ﵁ في اليوم الرابع وقد بُويع عثمان ﵁، فقال له عثمان: أنت على رأس أَمرِك، إن أَبيتَ رَدَدْتُها، قال: أَوَتَرُدُّها؟ قال: نعم، فبايعه طلحة ﵁، وكان في عهد عمر رضوان الله عليه: إن لم يَحضُر طلحة إلى ثلاثة أيام فأَمْضُوا الأمور[1].

(١) من بداية السنة إلى هنا ليس في (ك).

الباب الثالث في ذكر عثمان رضي الله عنه

[هو عثمان] بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي رضي الله عنه، وكان يُكنى بأبي عمرو وبأبي عبد الله، وأمُّه أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مَناف، أسلمت أم عثمان، وأمُّها أمُّ حكيم البيضاء بنت عبد المطَّلب بن هاشم، عَمَّةُ رسول الله ﷺ فأمُّ عثمان بنتُ عمِّ رسول الله ﷺ.

ووُلد في السَّنة السادسة بعد الفيل(١)، قال سيف: وبويع لثلاثٍ مَضَينَ من المحرَّم سنة أربع وعشرين، فصلَّى بالناس العصر، وكان مُؤذِّنُ صُهَيب قد أَذَن(٢).

وولي وهو ابن تسع وستين سنة، وهو أوّل خليفةٍ اختَلفوا عليه.

ولما بُويع خرج إلى الناس فخَطَبهم، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن أوَّلَ مَركَبٍ صَعبٌ، وإن بعد اليوم أياماً، وإن أَعِش تأتِكم الخُطَب على وَجْهها، وما كُنّا خُطباء، وسيُعَلِّمنا الله تعالى(٣).

ذكر صِفته:

قال الواقدي: كان عثمان [رجلاً] ليس بالطويل ولا بالقصير، أبيضَ رَبْعَة ـ وقيل: أسمر اللون ـ رقيقَ البشرة، حسنَ الوَجْه، عَظيمَ الكَراديس، بعيدَ ما بين المنكِبَيْن، كثيرَ شعر الرأس، وكان يُصَفِّر لحيتَه.

وقال الحسين: رأيتُ عثمانَ وبوَجهه جُدَريٌّ، وشَعرُ يديه قد كسا ذراعيه.

وحكى أبو بكرٍ النقاشِ أنَّه كان وَضيئاً، أبيض مُشْرباً بصُفْرةٍ، حَسَنَ الثَّغْرِ، له جُمَّةٌ أسفلَ أُذنَيْه، خَدَلَّجَ الساقين.

وقال هشام: كان أَضْلَع، وأعداؤه يُسَمُّونه نَعْثَلاً. وقال الجوهري: ونَعْثَلٌ: رجلٌ

(١) من قوله: الباب الثالث... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٩، ومن قوله: وولي وهو ابن تسع وستين سنة... إلى هنا ليس في (ك).

طويل اللحيةِ، وكان عثمان إذا نيلَ منه شُبِّه بذلك الرجل لطولِ لحيته(١).

وكان عثمان يَشُدُّ أسنانَه بالذَّهب. قلتُ: وقد اختلف العلماءُ في شدِّ الأسنانِ بالذَّهب؛ فكره أبو حنيفة ذلك، قال في «الأصل»: إذا تحرَّك سِنُّ الرجلِ فشدَّه بالذهبِ، أو سقط سنُّه فاتَّخذَ سنّاً من ذهبٍ، أو كان مَقطوع الأنفِ فاتَّخذَ أنفاً من ذهب، يُكره عند أبي حنيفة، وقال محمد: لابأس به، وأبو يوسف مع أبي حنيفة في رواية، ومع محمد في روايةٍ.

واحتجَّ محمد بأنَّ عَرْفَجة بن أسعد أُصيبَ أنفُه يوم الكُلابِ، فاتَّخذ أنفاً من فِضَّةٍ فأنْتَن، فأمره النبي ﷺ أن يتَّخِذَ أنفاً من ذهب(٢). وعثمان كان يشدُّ أسنانه بالذهب ولم يُنكر عليه أحدٌ(٣).

وكان نَقْشُ خاتَمه: آمن عثمان باللهِ العظيمِ.

ذِكرُ سبب إسلامه:

قد ذكرنا أنه أسلم قديماً قبل دخولِ رسول الله ﷺ دارَ الأرقم.

وحكى ابن سعدٍ عن الواقدي قال: خَرَج عثمان وطلحةُ بنُ عبيد الله على أَثَرِ الزّبير ابن العوام، فدخلا على رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلامَ، وقرأ عليهما القُرآن فأسلما(٤)، وقال عثمان: يا رسول الله، قدمتُ من الشام حديثاً، فلما كنّا بين مُعان والزَّرْقاء ونحن كالنيّام إذا مُنادٍ يُنادينا: أيُّها النُّوام هُبُّوا؛ فقد خرج أحمدُ بمكة، فقَدِمْنا فسَمِعنا بك(٥).

وحكى أبو بكر النقَّاش، عن عمرو بن عثمان بن عفان قال: حدَّثني أبي عن سبب إسلامه قال: كنتُ رجلاً مُسْتَهْتَراً بالنّساء، وإني لَقاعدٌ بفِناء الكعبةِ ذات ليلةٍ في رهطٍ

---

(١) الصحاح (نعثل).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٠٠٦)، وأبو داود (٤٢٣٢)، والترمذي (١٧٧٠)، وانظر شرح معاني الآثار ٤/ ٢٥٧، وبدائع الصنائع ٦/ ٥٢٤ ، والحاشية ٦/ ٣٦٢ .

(٣) من قوله: وقال هشام... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٤) من قوله: وحكى ابن سعد... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٢ .

من قريشٍ إذ قيل لنا: إن محمداً قد أنكح ابنتَه رُقيَّةَ عُتبة بن أبي لهب ـ وكانت رُقيَّةُ ذات جمالٍ رائعٍ.

قال عثمان: فدخلَتْني الحَسرةُ لِمَ لا أكونُ سبقتُه إليها! قال: فلم ألبث أن انصرفتُ إلى منزلي، فأصبتُ خالتي سُعدى بنت كُرَيْز قاعدةً، وكانت قد طَرَقَتْ وتكَهَّنتْ عند قومها، فلما رأتني قالت: [من الرجز]

أَبشِرْ وحُيِّيتَ ثلاثاً تَتْرى
ثم ثلاثاً وثلاثاً أُخرى
ثم بأُخرى كي تتمَّ عَشْرا
أتاك خيرٌ ووُقيتَ شَرّا
أُنكِحْتَ والله حَصاناً زَهْرا
وكُنْتَ بِكْراً ولَقِيتَ بِكْرا
وافَيتَها بنتَ عظيمٍ قَدْرا
بنتَ نبيٍّ قد أشادَ ذِكْرا

قال عثمان: فعجبتُ من قولها وقلتُ: يا خالةُ، ما تقولين؟ فقالت: عثمان،

لك الجَمالُ و[لك] اللسان
هذا نبيٌّ معه البُرهان
أرسله المُهَيْمنُ الدَّيَّان
وجاءه جبريلُ بالفرقان
فاتْبَعْه لا تَغْتالُك الأَوْثان

قال: فقلتُ: يا خالةُ، إنَّك تذكُرين رجلاً أو شيئاً ما وقع ببلدنا، فبَيِّنيه لي، فقالت: محمد بن عبد الله، رسولٌ من عند الله، جاء بتنزيلِ الله، يدعو إلى الله، قال: فوقع كلامُها في قلبي، وأتيتُ أبا بكرٍ فأخبرتُه، فقال: ويحك يا عثمان، أنتَ رجلٌ

حازِمٌ، ما يَخفى عليك الحقُّ من الباطلِ، ما هذه الأوثانُ التي تَعبُدها؟ هل هي إلا حجارةٌ صمٌّ بُكْمٌ، لا تسَمعُ ولا تُبصرُ، ولا تضرُّ ولا تَنفع؟! قال: قلتُ: بلى، قال: فوالله لقد صَدَقَتْ خالتُكَ، هذا رسولُ الله قد بعثه الله إلى خلقه، فهل لك أن تأتيَه فتسمع كلامه؟ فقلت: بلى، فأتيتُ رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عثمان، إني رسول الله إلى خلقه، فأجب الله إلى جَنَّتِه»، قال: فواللهِ ما تمالكتُ حين سمعتُ كلامَه أن أسلمتُ، فزوَّجني رسولُ الله رُقيَّةَ ابنته، فقالت خالتي: [من الطويل]:

وأنكحه المبعوثُ بالحقِّ بنتَه ... فكان كبَدْرٍ مازجَ الشَّمسَ في الأُفْقِ[1]

وقد ذكر أنه أسلم على يد أبي بكرٍ، وأن أبا بكرٍ كان السببَ في إسلامه.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن محمد بن إبراهيم التّيمي، عن أبيه قال: لمّا أسلم عثمان أخذه عمُّه الحكم بن أبي العاص بن أمية، فأوثقه رِباطاً وقال: أترغَبُ عن دين آبائك؟ فقال عثمان: واللهِ لا أدَعُ ديني أبداً، فلما رأى الحكم صَلابتَه في دينه تَركه[2].

فصل في ترجمة الهرمزان

وكان ينبغي أن يُذكر في السنة الماضية، لأن فيها كانت القاضية.

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما حين قتل عمر رضوان الله عليه: قد مَررتُ على أبي لُؤلؤة قاتل عمر، ومعه جُفينة والهرمزان وهم نَجِيّ، فلما بَغَتُّهم ثاروا، فسقط من بينهم خَنجرٌ له رأسان ونِصابُه وَسطه، فانظروا ما الخَنجرُ الذي قُتل به عمر؟! فنظروا فوجدوه ذلك الخنجر.

فانطلق عُبيد الله بن عمر حين سمع ذلك من عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه السيف، فدعا الهرمزان، فلما خرج إليه قال: انطلق معي حتى نَنظُرَ إلى فَرسٍ لي، فانطلق وتأخّر عنه عُبيد الله، حتى إذا صار بين يديه علاه بالسيف، قال عُبيد الله: فلما وَجد حَرَّ السَّيف قال: لا إله إلا الله.

قال عُبيد الله: ودعوتُ جُفَينة، وكان نصرانياً من نصارى الحِيرة، وكان ظِئْراً لسعد

(١) تاريخ دمشق (عثمان) ٢٠ـ٢١ .
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٢ .

ابن أبي وَقّاص، أقدَمَه المدينة للمِلْحِ الذي بينه وبينه، وكان يُعلّم الكتابة بالمدينة، قال عبيد الله: فلما عَلوتُه بالسيف صَلَّب بين عَينيه.

ثم انطلق عُبيد الله فقتل ابنةً صغيرةً لأبي لُؤلؤة، تَدَّعي الإسلام، وأراد عبيد الله أن لا يَترك سَبْياً بالمدينة يومئذٍ إلا قَتَله، فاجتمع عليه المهاجرون الأوّلون فنَهَوْه وتوعَّدوه، فقال: والله لأَقتُلَنَّهم وغيرَهم، وعَرَّض ببعض المهاجرين.

فلم يزل عمرو بن العاص به حتى دفع إليه السيف، فلما دفع إليه السيف أتاه سعد ابن أبي وقاص، فأخذ كلُّ واحدٍ منهما برأسِ صاحبه، فتناصَيا حتى حُجز بينهما، ثم أقبل عثمان بن عفان رضوان الله عليه قبل أن يُبايع له في تلك الليالي، حتى واقع عبيدَ الله فتناصيا، وأظلمت الأرضُ يوم قَتَل عُبيد الله الهرمزان وجُفَينة وابنةَ أبي لؤلؤة على الناس، ثم حُجز بينه وبين عثمان رضوان الله عليه.

فلما استُخلف كان أوَّل ما قضى فيه أن أحضر عبيد الله، واستشار الصحابةَ فيه، فقال علي رضوان الله عليه: اقتُلْه، فإن اجتماع الهرمزان بجُفينة وأبي لُؤلؤة لا يُوجب قتلَهما؛ لأن السَّبْيَ يأوي بعضُهم إلى بعض، وقال بعض المهاجرين: قُتل عمر بالأمس، ويُقتل ابنه اليوم!؟ أبعد الله جُفينة والهرمزان، وقال عمرو بن العاص: إن الله قد أعفاك من هذا، إن هذا الأمرَ وَقع وليس لك على المسلمين سُلطان، فقال عثمان رضوان الله عليه: أنا وَليُّهم، وقد جعلتُ دِيتهم في مالي.

وقال في ذلك [محمود بن] لَبيد: ما كان عُبيد الله يومئذ إلا كهيئةِ السَّبُعِ الحَرِب، جعل يَعترض العَجمَ بالسيف حتى جلس يومئذ في السّجن، فكنتُ أحسِب لو أن عثمان وَلي سيقتُله؛ لما كنتُ أراه صَنع به، [كان هو] وسعد أشدَّ أصحاب رسول الله ﷺ عليه[1].

وقال زياد بن لَبيد الأنصاري البياضي: [من الطويل]

ألا يا عُبيدَ الله مالك مَهرَبٌ ... ولا مَلجأٌ من ابن أروى ولا خَفَرْ
أصبتَ دماً والله في غير حِلِّهِ ... حَراماً وقتلُ الهُرمُزانِ له خَطَرْ

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٢٩-٣٣١.

علـى غيـرِ شـيءٍ غيـر أنْ قـال قـائـلٌ أتَـتَّـهـمـون الـهُـرمُـزان عـلـى عُـمَـرْ
فـقـال سَـفِـيْـهٌ والـحـوادثُ جَـمَّـةٌ نـعـم أتَّـهِـمْـهُ قـد أشـار وقـد أَمَـرْ

فشكاه عُبيد الله إلى عثمان رضوان الله عليه، فنَهاه عنه فقال: [من الوافر]:

أبـا عَـمـروٍ عُـبَـيـدُ الله رَهْـنٌ فـلا تُـهـوِن بـقـتـلِ الـهُـرمُـزانِ
فـإنـك إن غَـفَـرتَ الـجُـرْمَ مـنـه فـأسـبـابُ الـخَـطـا فَـرَسـا رِهـانِ
أتـعـفـو إذ عـفـوتَ بـغـيـر حَـقٍّ فـمـالـك بـالـذي تَـحـكـي يَـدانِ(١)

وذكره ابنُ سعدٍ في الطبقةِ الأُولى من التّابعين من أهل المدينة، فقال: الهُرمزان كان من أهلِ فارس، أسلم، وفرض له عمر في ألفَين ألفين.

وقد ذكرنا أنه قَدِمَ على عمر، وأنه امتنع من شُرب الماء، وذكرنا حديثه.

وقد رُوي أنَّ عمرَ سمّى الهُرْمُزان عُرْفُطة.

وقال المِسْوَر بن مَخْرَمة: رأيتُ الهُرْمُزان بالرَّوْحاء مُهلاً بالحجِّ مع عمر، عليه حُلَّةٌ حِبَرَة(٢).

فصل: وفي المحرَّمِ من هذه السنةِ أصابَ الناسَ رُعافٌ شديدٌ، فسُمّيَ عامَ الرُّعافِ، وأخذ منه عثمانُ بحَظٍّ وافرٍ، وتطيَّر الناسُ منه وقالوا: افتتح عثمان خِلافتَه بدَمٍ، ثم كان عاقبةُ ذلك أن خَتَم خلافتَه بالدمِ.

وفيها منع عثمانُ الناس من اللعب بالحَمام، والرَّمي بالجُلاهِقات، قال عمرو بن شُعيب: وعثمانُ أوَّلُ مَن منع الحَمام الطيَّارَ، والرَّميَ بالجُلاهقاتِ حين ظهرت بالمدينةِ.

وردَّ عمه الحكم بن أبي العاص إلى المدينةِ، قال سيف: وكان رسولُ اللهِ قد نفاه، ولم يردَّه أبو بكرٍ ولا عمرُ، فردَّه عثمان إلى المدينةِ، فكان أوَّلَ ما نَقَم الناسُ عليه، وسنذكره في ترجمتِهِ.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٢٣٩-٢٤٠، ومن قوله: وقال عبد الرحمن بن أبي بكر (في أول ترجمة الهرمزان)... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ٩٢.

وفيها استقضى عثمان زيد بن ثابت، ورزقه على ذلك ستين درهماً.

وفيها ولّى عثمان سعد بن أبي وقاصٍ على الكوفة بوصيَّةِ عمر.

وقال الواقدي: كان عمرُ قد أوصى أن يُقَرَّ عُمَّالُه على ولاياتهم سنةً، فأَمضى وَصيَّتَه، فلم يَعزِل له عامِلاً حتى مضتِ السنةُ، فأقرَّ المغيرةَ بنَ شعبةَ على الكوفةِ سنةً ثم عزله وولّى سعد بن أبي وقاص ـ وهو أول عامل استعمله ـ ثم عزله، واستعمل الوليد ابن عُقبة بن أبي مُعَيْطٍ، وكان الوليد أخا عثمان لأُمِّه، قال الواقدي: وهذه الأخذة الثانية التي نَقمها الناسُ على عثمان، وقالوا لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أما أخذتَ عليه العهد أن لا يَرفع أحداً من بني أمية على الناس؟ قال: بلى.

وفيها زاد الناسَ في العطاء مئةً مئةً، ، وأقام الضِّيافةَ لأبناء السبيل والمتعبِّدين في المسجد.

وفيها أغزى أخاه الوليد بنَ عُقبة أَرْمينيَة وأذرَبيجان، وسببُها أن أهلها طَمعوا بموت عمر رضوان الله عليه، وامتنعوا من أداء ما كانوا يُؤدُّونه إليه، وكان بالكوفة أربعون ألف مُقاتل برسم الجهاد في مقابلة الرّي وأذربيجان، وكان قد صالحهم حُذيفة سنة اثنتين وعشرين على ثمان مئة ألف درهم، فلما امتنعوا بعد موت عمر رضوان الله عليه سار إليهم الوليد بن عقبة، وقَدّم في مُقدّمته عبد الله بن شُبيل الأحمسي، فشنّ الغارات، ثم اتبعه سلمان بن ربيعة الباهلي في اثني عشر ألفاً، ثم تبعه الوليد في أربعين ألفاً، وقيل: في عشرين ألفاً، واستُشهد في هذه الغزاة عمرو بن عُتبة[1].

وفيها جاشت الرُّوم وجمعت جُموعاً عظيمة، وقَصدت الشام، فكتب معاوية إلى عثمان يَستمدُّه، فكتب عثمان إلى الوليد بن عُقبة ـ وقد عاد من المشرق فنزل الموصل ـ بأن يُمدَّ معاوية، فأرسل الوليد سلمان بنَ ربيعة الباهلي في عشرة آلاف، فسار إلى الشام، فاجتمع بجُنْد الشام، وعليهم حبيب بن مَسْلَمة الفِهري، فشنَّ الغارات على الروم، وفتحوا حصوناً كثيرة[2].

---

(١) من قوله: وفيها أغزى أخاه الوليد... إلى هنا ليس في (ك).

(٢) من قوله: فكتب معاوية إلى عثمان يستمده... إلى هنا ليس في (خ) و(ع)، وانظر تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٧ـ٢٤٨، والمنتظم ٤/ ٣٤٥.

[وقيل:] كان عثمان رضوان الله عليه كتب إلى معاوية يَأمره أن يُغزي حبيبَ بن مَسْلَمة أرمينية، فسار إليها، وبلغ حبيباً أن ملك الروم ـ ويقال له: المُوريان الرّومي ـ قد قَصده في ثمانين ألفاً من الرُّوم والتُّرك، فأرسل حبيب إلى معاوية يُخبره، فكتب معاوية إلى عثمان رضوان الله عليه، فأمر عثمان رضوان الله عليه سعيد بنَ العاص أن يُمدَّه، فأمَدّه بسلمان بن ربيعة الباهلي في ستة آلاف، وكان حبيب صاحبَ كَيْد، فأراد أن يكيد الموريان، فقالت له امرأتُه أم عبد الله بنت يزيد الكلبية: أتُبيِّتُهم؟ قال: نعم، وأوّلُ ما أقصِد سُرادق الموريان، قالت: افعل، فبيَّتَهم، ووصل إلى السُّرادق، فوجد امرأةً قد سبقَتْه إليه، فقتلهم وهزمهم، ووهب لها السُّرادق فضرَبَتْه عليها، فهي أولُ امرأة من العرب ضُرب عليها السّرادق، ومات عنها حبيب فتزوجها الضَّحاك بن قيس الفهري، فهي أمُّ ولده(١).

واختلفوا فيمن حجَّ بالناسِ في هذه السنة، فقال أبو مَعشر والواقدي: حجَّ بهم عبد الرحمن بن عوفٍ بأمرِ عثمان، وقال آخرون: حجَّ بهم عثمان، وقال البلاذري: حجَّ بالناسِ في سنة أربعٍ وعشرين عبد الرحمن، وحجَّ عثمان في خلافتِه كلِّها عشرَ سنين إلّا السنةَ التي حُوصِرَ فيها، فإنه بعث عبد الله بن عباس فحجَّ بالناسِ(٢).

فصل وفيها توفيت:

أُم أيمن مولاةُ رسولِ الله ﷺ

وقد نسبها الواقدي وقال: اسمُها بَرَكَة بنت ثعلبة بن عَمرو بن حصن، وَرِثَها رسولُ الله ﷺ من أبيه عبد الله بن عبد المطلب وخمسةَ أجمالٍ أَوارِك وقِطْعَةَ غَنَم، وقد ذكرناه في السيرةِ، فأعتقها حين تزوَّج خديجة، وزَوجُها عبيدُ بن زيد، من بني الحارث بن الخزرج، فولدت له أيمن فكنِّيت به، صحب النبيّ ﷺ، ثم قُتل يوم أُحد شهيداً، ثم تزوَّجها زيد بنُ حارثة بعد النبوّة، فولدت له أُسامةَ بنَ زيدٍ.

---

(١) من قوله: وقيل كان عثمان كتب إلى معاوية يأمره أن يغزي... إلى هنا ليس في (ك)، وانظر تاريخ الطبري ٤/ ٢٤٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٦٠، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٤٩، وأنساب الأشراف ٥/ ١٢١، والمنتظم ٤/ ٣٤٠.

وكانت سوداء صالحةً، وتُعرفُ أيضاً بأمِّ الظِّباء، هاجرت الهجرتين إلى الحبشةِ والمدينةِ جميعاً.

وكان رسولُ الله ﷺ يقول لها: «يا أُمَّاه، وهذه أُمي بقيَّةُ أهلِ بيتي».

قال الواقدي: ولمّا سمع زيد بنُ حارثة رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن سَرَّه أن يَتزوَّج امرأةً من أَهلِ الجنةِ فليتزوج أُمَّ أيمن»، فتزوَّجها فوَلدت له أُسامة.

وكان رسولُ الله ﷺ يُمازِحُها، قال ابن سعدٍ بإسناده عن محمد بن قيس قال: جاءت أُمُّ أيمن إلى النبي ﷺ فقالت: احمِلْني، فقال: «أحملُكِ على وَلَدِ الناقةِ»، فقالت: إنَّه لا يُطيقُني، فقال: «لا أحمِلُك إلّا على ولدِ الناقةِ»، أشار ﷺ إلى الجملِ، والإبلُ كلُّها ولدُ النُّوقِ.

وقال ابن سعد بإسناده عن جَريرِ بن حازم قال: سمعتُ عثمان بنَ القاسم يُحدِّث قال: لما هاجَرَتْ أُمُّ أيمن أَمْسَتْ بالمُنْصَرَفِ دون الرَّوْحاءِ فعَطِشت، فدُلِّي عليها من السماء دلوٌ فيه ماءٌ برِشاء أبيض، فشربت حتى رَوِيَتْ، فكانت تقول: ما عَطِشْتُ بعدها، ولقد تعرَّضْتُ للعطشِ بالصومِ في الهواجرِ، فما أعطشُ[1].

وذكر القِصَّةَ أبو نُعيم عن عثمان بن القاسِمِ، وقال إنها[2] خرجت من مكَّةَ ماشِيةً مهاجِرةً إلى الله ورسولِه، وليس معها زادٌ، وهي صائمة في يومٍ شديد الحَرِّ، فأصابها عطشٌ شديدٌ حتى كادت تموتُ، وهي بالرَّوحاءِ، فلما غابت الشمسُ سمعت على رأسِها حفيفاً، فرفعته فإذا هي بدَلْوٍ من السماء مُدَلّى، وذكره.

وقال الواقدي: كان رسولُ الله ﷺ يزورُها، وكذلك أبو بكر وعمر من بعده.

وقال أبو نُعيم بإسناده عن أنسٍ قال: ذهبتُ مع النبي ﷺ إلى أُمِّ أيمن نزورُها، فقرَّبتْ إليه طعاماً وشراباً، فأبى لأنَّه كان صائماً، فجعلت تُخاصِمه؛ أي: كُلْ، فلما تُوفي رسولُ الله ﷺ قال أبو بكرٍ لعمر: قُمْ بنا، أو مُرَّ بنا إلى أُمِّ أيمن نزورُها كما كان رسولُ الله ﷺ يزورُها، فأتيا إليها، فلما رأتهما بَكتْ، فقالا: ما يُبْكيك؟ فقالت: إني

(١) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢١٣.

(٢) من قوله: وكان رسول الله ﷺ يمازحها... إلى هنا ليس في (خ) و(ع)، والخبر في الحلية ٢/ ٦٧.

لأعلمُ أن رسولَ الله صار إلى خيرٍ مما كان فيه، وإنَّما أبكي خبرَ السماء كيف انقطع عنا، فجعلا يَبكيان معها، فهيَّجَتْهما على البكاء[١].

وقال الواقدي: كانت أُمُّ أيمن عَسِرَةَ اللسانِ، فكانت إذا دخلت على رسولِ الله ﷺ قالت: سلام لا عليكم، فرخَّص لها رسولُ الله أن تقول: سلام، أو السلام.

وقال الواقدي: قالت أُمُّ أيمن يومَ حُنَيْن: سبَّتَ الله أقدامَكم، فقال لها رسولُ اللهِ: «اسكتي يا أُمَّ أيمن، فإنَّك عَسِرَةُ اللسان»[٢].

وروت عمرةُ عن عائشة قالت: شربَ رسولُ اللهِ ﷺ يوماً ماءً وأُم أيمن عنده، فقالت: يا رسول اللهِ، اسقِني، قالت: فقلتُ لها: ألرسولِ الله تَقولين هذا؟ قالت: ما خَدَمتُه أكثرُ، فقال النبي ﷺ: «صدقَتْ» فسقاها.

وقال الواقدي: ولمّا قُتِل عمر بكتْ أُم أيمن وقالت: اليوم وَهَى الإسلام.

واختلفوا في وفاتها، فقال الواقدي: حضرتْ أُمُّ أيمن أُحداً، وكانت تَسقي الماءَ وتُداوي الجَرْحى، وشهدتْ خيبر، وتُوفّيت في أولِ خلافة عثمان، وقيل: تُوفّيتْ بعد رسول اللهِ بخمسة أشهر، والأوَّل أصحُّ[٣].

سراقة بن مالك

ابن جُعْشم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تميم بن مُدْلِج بن مُرّة بن عبد مَناة بن كنانة المُدْلِجي، من الطبقة الرابعة ممّن أسلم من قبائل العرب، ورجع إلى بلاد قومه، وكُنيته أبو سفيان، وهو الذي لحق رسول الله ﷺ وأبي بكر رضوان الله عليه في طريق المدينة، وجرى له معهما ما جرى، وله صُحبة ورواية، رحمه الله[٤].

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٦٨.

(٢) من قوله: وقال أبو نعيم بإسناده عن أنس... إلى هنا ليس في (خ) و(ع)، والخبر في طبقات ابن سعد ١٠/ ٢١٣-٢١٤.

(٣) من قوله: وقال الواقدي لما قتل عمر... إلى هنا ليس في (خ) و(ع). وانظر في ترجمتها المعارف ١٤٠، والاستيعاب (٣٢٢٥)، والمنتظم ٤/ ٣٤٠، والسير ٢/ ٢٢٣، والإصابة ٤/ ٤٣٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ١٤٨، والاستيعاب (١١٠٦)، والمنتظم ٤/ ٣٤١، والإصابة ٢/ ١٩. وترجمة سراقة ليست في (ك).

فصل وفيها توفّي

عثمان بن قيس

بن أبي العاص السَّهْمي، صحابي شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، وهو أوَّل من وَلِيَ القضاء بمصر، وكان جواداً شريفاً صاحبَ ضِيافةٍ، وهو أوَّلُ مَن بنى بمصر دار ضيافةٍ للناسِ.

وقال يزيد بن [أبي] حبيب: كتب عمرُ بنُ الخطاب إلى عمرو بن العاص: أن افرِض لمَن قِبَلَك ممَّن بايع تحت الشجرةِ في مئتين من العطاء، وافرِضْ لخارجة بن حُذافةَ في الشرفِ لشجاعته، وافرِضْ لعثمان بن قيس لضيافته[1].

وليس في الصحابةِ مَن اسمُه عثمان بن قيس غيرُه، وله صُحْبةٌ وليس له رِواية.

عمرو بن عُتبة بن فَرْقَد بن حَبيب السُّلَمي

من الطبقة الأولى من التابعين، وأبوه عُتبة من الصحابة، كان يتولى الولايات، وكان يَسأَلُ ابنَه عمرو أن يُولّيه شيئاً منها فلا يَفعل، زُهداً ووَرعاً، وكان يقول: يا بُنيّ، ألا تُساعدني على ما أنا فيه من العمل؟! فيقول: يا أبه، إنما أَعمل في فِكاك رَقَبتي، فبكى أبوه وقال: يا بني، إني أحبك حُبَّين: حباً لله وحبَّ الوالد للولد، وكان قد أعطاه أبوه سبعين ألفاً فأنفقها في سبيل الله، فلم يُبق منها درهماً.

وقال مولى لعمرو بن عُتبة: رآني عمرو وأنا مع رجل، وهو يقع في آخر، فقال لي: وَيْحك، نَزّه سَمعَك عن استماع الخَنا، كما تُنزِّه لسانَك عن القول؛ فإن المُستَمع شريكُ القائل، وإنما نظر إلى شرٍّ ما في وِعائه فأفرغه في وِعائك، ولو رُدَّت كلمةُ سَفيهٍ في فيه لسَعد بها رادُّها، كما يَشقى بها قائِلُها.

وكان يَخرج على فَرسه ليلاً، فيَقِفُ على القبور فيقول: يا أهلَ القبور، طُويت الصُّحف، ورُفعت الأقلام، ثم يَنزل فيَصِفُّ قدَميه، ويبكي ويُصلّي، حتى يَطلع الفجر، ثم يَرجع فيَشهد صلاةَ الصُّبح.

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٥٠٢، والمنتظم ٤/ ٣٤١، والإصابة ٢/ ٤٦٤.

وكان يُصلّي يوماً في جبل، فجاء الأسد، فهرب مَن كان عنده، وهو قائم يُصلّي لم يَنصرف، ومضى الأسد، فقيل له: أما تَخافُ الأسد؟ فقال: إني لأستحي من الله أن أخافَ سواه.

استشهد في هذه السنة بأذربيجان.

قال عبد الرحمن بن يزيد: خرجنا في جيشٍ فيهم عمرو بن عُتبة، وعليه جُبّةٌ بيضاء جديدة، فقال: ما أحسنَ الدَّمَ يتحدَّرُ على هذه، فأصابه حَجرٌ فتحدَّر الدَّمُ عليها، فمات فدفَنّاه.

وقال ابن عمٍّ لعمرو بن عُتبة: نَزلْنا في مَرْجٍ حَسَنٍ، فقال عمرو: ما أحسن لو أن مُنادياً يُنادي: يا خيلَ الله اركبي، فنادى المنادي، فخرج عمرو في سَرَعان الناس، فأُخبِر أبوه ـ وكان على الناس ـ فقال: عليَّ عَمْراً، فأرسل في طَلبه، فما أُدرك حتى أُصيب، فما أُراه دُفن إلا في مَرْكز رُمحه، رحمه الله تعالى[١].

فصل وفيها تُوفّيت

أمُّ الفضل

وهي لُبابَةُ الكُبرى بنتُ الحارث بن حَزْن بن البُجَيْر بن الهُزَم بن رُوَيْبَة بن عبد الله ابن هلال بن عامر بن صَعْصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر، وأُمُّها هند، وهي خولةُ بنت عَوْف بن زهير بن الحارث.

وكانت أُمُّ الفضل أوَّلَ امرأةٍ أسلمت بمكَّةَ بعد خديجة بنت خُويلد، وكان رسولُ الله ﷺ يَزورُها، ويَقيلُ في بيتِها.

قال: وأخوات أُمِّ الفضل: مَيمونةُ بنت الحارث بن حَزْن، زوجةُ رسول الله، وهي لأبيها وأُمِّها، ولُبابةُ الصُّغرى، وهي العَصْماء بنت الحارث بن حَزْن، وهي أُمُّ خالد بن الوليد، [وكانت أختها] لأبيها[٢]. [فتزوج أم الفضل العباسُ بن عبد المطلب]، فولدت

(١) حلية الأولياء ٤/ ١٥٥ـ١٥٨ ، والمنتظم ٤/ ٣٤٩ـ٣٥١ في وفيات سنة خمس وعشرين.

(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٦٣. وذكر لها أخوات أخر.

للعباس: الفضل، وعبد الله، وعبيد الله، ومَعْبداً، وقُثم، وعبد الرحمن، وأمَّ حبيب، فقال عبد الله بن يزيد الهلالي: [من الرجز]:

مـا وَلَـدتْ نَـجـيـبـةٌ مـن فَـحْـلِ
كـسِـتَّـةٍ مـن بـطـنِ أمِّ الـفَـضْـل
أكـرِمْ بـهـا مـن كَـهْـلَـةٍ وكَـهْـلِ
عـمِّ الـنبـيِّ الـمـصـطفـى ذي الـفـضـلِ
وخـاتـم الـرسْـلِ وخـيـرِ الـرُّسْـلِ(١)

وحكى ابن سعد عن الواقدي أن أُمَّ الفَضْلِ كانت تصومُ الاثنين والخميس، وحكى الواقدي أنَّها هاجرت إلى المدينة بعد إسلامِ العباس.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن الأَجْلحِ قال: سمعتُ زيد بنَ علي بن حُسين يقول: ما وضَعَ رسولُ الله ﷺ رأسَه في حِجْرِ امرأةٍ لا تِحَلُّ له بعد النُّبَّوة إلا أُمّ الفضلِ، فإنَّها كانت تُفَلِّيه وتُكحّله، فبينما هي ذات يوم تُكحله إذ قَطرت قَطرةٌ من عَينِها على خَدِّه، فرفع رأسَه إليها وقال: «مالكِ؟» فقالت: إنَّ الله نَعاكَ لنا، فلو أوصيتَ بنا مَن يكونُ بعدك إن كان الأمرُ فينا أو في غيرِنا، فقال: «إنكم مَقْهورون مُستَضعَفون بعدي».

وأُمُّ الفَضْلِ هي التي رأت في المنام كأن عُضْواً من أعضاء النبي ﷺ سقط في بيتِها، فقال لها رسول الله ﷺ: «تَلِدُ فاطمةُ غُلاماً، فتُرضعينه بلبن ابنكِ قُثَم» فولدت الحُسين، فكَفِلَتْه أُمُّ الفَضْل وأرضعَتْه، وقد ذكرنا الحديث فيما تقدَّم.

وأُمُّ الفضلِ هي التي بعثتْ إلى النبي ﷺ بقَدَح لبنٍ، وهو واقفٌ بعَرَفةَ على بعيرٍ، فشربه، وقد ذكرناه أيْضاً(٢).



(١) من قوله: فولدت للعباس... إلى هنا ليس في (ك)، ومن هنا إلى نهاية ترجمة أم الفضل، ليس في (خ) و(ع).
(٢) وانظر ترجمتها في طبقات ابن سعد ١٠/ ٢٦٢، والمعارف ١٢١، والاستيعاب (٣٤٤٥)، والمنتظم ٤/ ٣٤٢، والتبيين ٨٤ و١٥٥، والسير ٢/ ٣١٤، والإصابة.

السنة الخامسة والعشرون

وفيها عزل عثمانُ ولاةَ عمر عن الأمصار من غير جِنايةٍ ولا خِيانةٍ، وولّى مُعاوية حمص وقِنسرين والعواصم وفلسطين، فجمع له عثمان الشامَ بأسرِه في هذه السنة مُضافاً إلى دمشق.

وفيها نَقض أهلُ الإسكندرية العهد، فسار إليهم عمرو بن العاص فقاتلهم، فعادوا إلى الصُّلح.

وفيها عزل عثمان عمرو بنَ العاصِ عن مصر وولّاها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، وأمره بغزو إفريقية، وجهَّز معه عشرين ألفاً، وهذا ثالث أمرٍ نُقِمَ على عثمان، لأن عبد الله بن سعدٍ هو الذي كان يكتب لرسولِ الله ﷺ وارتدّ، وأباح رسولُ الله دَمَهُ، وقد ذكرناه.

وكان معه عبد الله بن الزّبير في غزاة إفريقية، قال عبد الله بن الزبير: فهجم علينا جرجير؛ في مئة ألف وعشرين ألفاً، فاختلطوا بنا في كلِّ مكان، وسُقط في أيدي المسلمين، واختلف الناسُ على عبد الله بن سعد، فدخل سُرْداقَه، ورأيتُ غُرّةً من جرجير بَصرتُ به خلف عساكره على بِرذَوْن أَشهب، معه جاريتان تُظلان عليه بريش الطَّواويس، وبينه وبين جُنده أرضٌ بيضاء ليس فيها أحد.

فجِئتُ إلى عبد الله بن سعد أطلبُه في فُسْطاطه، فمنعني الحاجبُ، فدُرتُ من خلف الفُسطاط، فدخلتُ عليه فقال: ما الذي أدخَلك عليَّ يا ابن الزُّبير؟ فقلتُ: قد رأيتُ عَوْرةً من جرجير، فاندُب معي الناس.

فخرج فقال: أيها الناس، انتدبوا مع ابن الزُّبير، فاخترتُ ثلاثين فارساً، وقلتُ للناس: اثبتوا[1] على مَصافّكم، وحملتُ في الوَجْه الذي رأيتُ فيه جرجيراً، فقلتُ لأصحابي: احموا ظَهري، فوالله ما نَشبتُ أن خَرقتُ الصّفوفَ إليه، وما يَحسِب هو

(١) في (خ) و(ع): اركبوا.

وأصحابُه إلا أني رسولٌ إليه، حتى دنوتُ منه، فعرف الشرَّ، فثنى بِرذَونَه مُوَلِّياً، فأدركتُه فطعنتُه فسقط، وسقطت الجاريتان عليه، وأَهْوَيْتُ إليه مُبادراً، فذَفَفْتُ عليه بالسيف حتى قتلتُه، واحتَزَزْتُ رأسَه، فنصبتُه في رُمْحي، وقطعتُ يدَ إحدى الجاريتين، وكبَّرتُ، وأَقبلتُ وأنا أكبِّر، فكبَّر المسلمون، وارفَضَّ العدوُّ من كلِّ وَجْه، ومنح الله المسلمين أكتافَهم.

فلما أراد عبد الله بن سعد [أن يوجّه] بشيراً إلى عثمان قال: أنت أولى بذلك، فانطلقْ إلى أمير المؤمنين فأخبرْه الخبر، فقدمتُ عليه فأخبرتُه، فقال: اخرُجْ فاصعد المنبر وأخبر الناس، ففعلتُ وقلتُ: إن أبي الزبير قال: سمعتُ أبا بكر الصديق يقول: مَن أراد أن يتزوَّج امرأةً فلينظر إلى أبيها وأخيها، فإنما تأتيه بأحدهما.

وجاءت غنائمُ أفريقية، فدفع عثمان رضوان الله عليه الخُمسَ إلى مروان بن الحكم، وكان خمس مئة ألف دينار، فضجَّ المسلمون فقالوا: تُعطي ابن لعينِ رسول الله ﷺ وطريدَه أموالَ المسلمين، فكان هذا رابع أمر أُخذ عليه.

ولما عَزل عثمان رضي الله عنه عمرو بن العاص عن مصر ووَلّاها عبد الله بن سعد؛ كان ذلك بَدْءُ الشرِّ بين عثمان رضوان الله عليه وعمرو، وقيل: في سنة سبع وعشرين.

وفيها وُلد يزيد بنُ معاوية وعبد الملك بن مروان، وقيل قبل ذلك(١).

وحجَّ بالناسِ في هذه السنة عثمان بن عفان من غير خِلافٍ.

وفيها تُوفّي

ابنُ أم مَكتوم

واختلفوا في اسمه، فقال ابن سعد: أمَّا أهلُ المدينةِ فيقولون: اسمُه عبد الله، وأما أهلُ العراق وهشام بن محمد بن السَّائب فيقولون: اسمُه عمرو.

وأُمُّه عاتكة، وهي أُمُّ مَكتوم بنت عبد الله.

وكان من الطبقة الأُولى من المهاجرين، قال ابن سعد: أسلم قديماً بمكة، وذهبت

---

(١) من قوله: وكان معه عبد الله بن الزبير... إلى هنا ليس في (ك).

عيناهُ وهو غُلامٌ، وقَدِمَ المدينةَ مُهاجِراً بعد بَدْرٍ بيسيرٍ، فنزل دار القُرَّاء، وهي دار مَخْرَمَةَ بنِ نوفل.

وروى عن الشعبي قال: غزا رسولُ الله ثلاثَ عشرة غزوةً، ما منها غَزوةٌ إلّا استخلف ابنَ أُمِّ مكتوم على المدينةِ، فكان يُصَلِّي بهم وهو أعمى. وكان يُؤذِّن مع بلالٍ بالمدينة.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن سالم بن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلالاً يُنادي بليلٍ، فكلوا واشربوا حتى يُنادي ابنُ أُمِّ مَكتوم».

قال: وكان ابن أُمِّ مكتومٍ رجُلاً أعمى لا يُنادي حتى يُقال له: أصبَحْتَ أصبَحْتَ.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن عبدِ الله بن جابر الأنصاري قال[1]: جاء ابنُ أُمّ مكتوم إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن مَنزلي شاسِعٌ، وأنا مَكفوف البصرِ، وأنا أسمعُ الأذان، قال: «فإن سمعتَ الأذانَ فأجِبْ ولو زَحْفاً» أو قال: «ولو حَبْواً».

وفي روايةٍ: تَشكّى ابنُ أُمِّ مكتوم قائدَه إلى رسولِ الله ﷺ وقال: بيني وبين المسجدِ شجر، قال: «تَسْمَعُ الأذان؟» قال: نعم، فلم يُرَخِّص له.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن الضحاكِ في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾[عبس: ١-٢] قال: كان رسولُ الله ﷺ تصدَّى لرجلٍ من قريشٍ يَدعوه إلى الإسلام، فأقبل عبد الله بنُ أُمِّ مكتوم، فجعل يسألُ رسول الله ﷺ، ورسولُ الله يُعْرِضُ عنه ويَعبسُ في وَجهه، ويُقبِل على الآخر، وكُلَّما سأله عَبس في وَجهه وأعرضَ عنه، فعيَّر الله رسولَه، وأنزل السورة إلى قوله: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾[عبس: ١٠]. فلما[2] نزلت هذه الآيةُ دعاه رسولُ الله فأكرمه، واستَخْلَفه على المدينة مرَّتين.

وقال الواقدي: كان رسولُ الله ﷺ يَستخلفُه على المدينةِ، وكان يَجمعُ بهم، ويَخطبُ إلى جَنْبِ المنبرِ، يَجعلُ المِنبرَ عن يساره.

---

(١) من قوله: وقال ابن سعد بإسناده عن سالم... إلى هنا ليس في (خ) و(ع). والأخبار السالفة في الطبقات ٤/ ١٩١-١٩٤.

(٢) من قوله: وفي رواية تشكى... إلى هنا ليس في (خ) و(ع). والأخبار في الطبقات ٤/ ١٩٤.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أبي عبد الرحمن قال: لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء: ٩٥]، قال ابنُ أم مكتوم: يا ربِّ، ابتَلَيتَني، فكيف أَصنعُ؟ فنزلت: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾.

وفي روايةِ ابن سعد: فكان ابنُ أُمِّ مكتوم بعد ذلك يَغزو ويقول: ادفَعوا إليَّ اللواءَ، وأقيموني بين الصَّفَّين.

وفي روايةِ ابن سعدِ عن البراء: لمّا نزلت هذه الآيةُ دعا رسولُ الله زيداً، وأمره أن يَكتُبها في كَتِفٍ فكتبها، فجاء ابنُ أُمِّ مكتوم فشكا ضَرارته إلى رسولِ الله ﷺ فنزلت: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾[1].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أنسٍ: أن ابنَ أُمِّ مكتوم شهد القادسيَّةَ ومعه الراية، وعليه دِرْعٌ سابغة.

قال الواقدي: ثم رجع إلى المدينةِ فمات بها، ولم يُسْمَعْ له بذِكْرٍ بعد عمر بن الخطّابِ[2].

وقال هشام: كان يقول: ادفعوا إليّ اللواءَ، وأقيموني بين الصفوفِ فإني لا أستطيعُ أن أهربَ، وليس له رواية رضي الله عنه.

فصل وفيها توفي

عُروة بنُ حِزام

ابن مُهاصِر بن مالك، الشاعرُ، العُذْريُّ، أحدُ المُتيَّمين الذين قَتلهم الهوى.

وصاحبتُه عَفراء بنت مالك، وقيل: بنتِ عِقال بن مُهاصِر بن مالك.

فأخبرنا عبد الوهاب بإسناده أن عروةَ بن حِزامٍ وعَفراءَ ابنةَ مالكٍ العُذرِيَّيْن، وهما بطنٌ من عُذْرة، يقال لهم: بنو هند بن حِزام بن ضِنَّة بن [عبد] بُكير بن عُذْرة[3]،

(١) من قوله: وفي رواية ابن سعد عن البراء... إلى هنا ليس في (خ) و(ع). وانظر الطبقات ٤/ ١٩٥-١٩٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٨. وانظر في ترجمته المعارف ٢٩٠، والاستيعاب (١٢٩٩) و(١٤٧٤) و(١٧٥٠)، والمنتظم ٤/ ٣٤٨، والتبيين ٤٨٨، والسير ١/ ٣٦٠، والإصابة ٢/ ٥٢٣.

(٣) كذا في (ك)، ومصارع العشاق ١/ ٣١٦، والمنتظم ٤/ ٣٥٢، وذم الهوى ٤٠٧، وفي الأغاني ٢٤/ ١٤٥، =

ويُقال: إنَّهما نشآ جميعاً، فعَلِقا عِلاقةَ الصِّبا، وكان عُروةُ يتيماً في حِجْرِ عمِّه حتى بَلَغَ، وكان يَسأَلُ عمَّه يُزوِّجه عَفراء فيُسَوِّفُه، إلى أن خَرَجَت عِيرٌ لأهله إلى الشام؛ وخرج عروةُ معها، ووفَدَ على عمِّه ابنُ عمٍّ له من البلقاءِ يُريدُ الحجَّ، فخطبها فزوَّجه إياها.

وأقبل عروةُ في عِيرِهِ تلك، حتى إذا كان بتَبوك نَظر إلى رِفْقَةٍ مُقبِلةٍ، فيهم امرأةٌ على جمَلٍ أحمرَ، فقال لأصحابهِ: والله لكأنَّها شمائلُ عَفراء، فقالوا: أما تَتركُ ذِكْرَ عفراء؟ فلما قَربوا وتبيَّنَ الأمر، أبلس قائماً لا يَحيرُ جواباً حتى بَعُد القومُ، فذلك حين يقول: [من الطويل]

وإنـي لـتَـعـرونـي لـذِكـراكِ رَوْعَـةٌ ... لـهـا بـيـن جـلـدي والـعِـظـام دَبـيـبُ
[ومـا] هـو إلّا أن أراهـا فُـجـاءةً ... فـأُبْـهَـتَ حـتـى مـا أكـادُ أُجـيـبُ
وقـلـتُ لـعـرَّافِ الـيَـمـامـةِ داوِنـي ... فـإنَّـك إن داوَيْـتَـنـي لَـطَـبـيـبُ
ومـا بـيَ مـن حُـمَّـى ومـا بـيَ جِـنَّـةٌ ... ولـكـن عـمِّـي الـحِـمـيـريَّ كَـذوبُ
فـوالله مـا أنـسـاكِ مـا هـبَّـتِ الـصَّـبـا ... ومـا أعْـقَـبَـتْـهـا فـي الـريـاحِ جَـنـوبُ

وانصرف عروةُ إلى أهلهِ باكياً والِهاً، فنَحِلَ ولم يَبْقَ منه شيءٌ، فقال بعضُ الناسِ: هو مسحورٌ، وقال بعضُهم: هو مجنون، وقال آخرون: مُوَسْوس.

وكان باليَمامة طبيبٌ له تابعٌ من الجنِّ يَأتيه، وكان أطبَّ الناسِ، فقالوا: لو خَرجتُم إليه، فخرجوا به إليه، فجعل يَزداد سُقْماً، فقال له عروةُ: يا هَناه، هل عندكَ للحبِّ دواءٌ أو رُقْيَةٌ؟ فقال: لا واللهِ، فانصرفوا من عنده، ومرُّوا بطبيب بحَجْر بنَجْدٍ، فصَنع به مثلَ ذلك، فلم يَنجح، فقال له عُروةُ: والله ما دَوائي إلا عند شَخْصٍ بالبَلْقاء فهي دائي ودوائي، فانصرفوا به، فأنشأ يقول عند انصِرافهم به من عند الطّبيبِ: [من الطويل]

جـعـلـتُ لـعـرَّافِ الـيـمـامـةِ حُـكْـمَـهُ ... وعـرَّافِ نَـجْـدٍ إنْ هُـمـا شَـفَـيـانـي
فـقـالا نـعـم نَـشْـفـي مـن الـدّاءِ كـلِّـه ... وقـامـا مـع الـعُـوَّادِ يَـبْـتَـدِرانـي
فـمـا تَـركـا مـن رُقْـيـةٍ يَـعـلـمـانِـهـا ... ولا سَـلْـوَةٍ إلّا وقـد سَـقَـيـانـي

= وجمهرة أنساب العرب ٣١٥ ، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٢٢٥ و٢٢٦ : بن عبد بن كبير بن عذرة.

فـقـالا شَـفـاكَ اللهُ واللهِ مـا لـنـا   بـمـا ضُـمِّـنَـتْ مـنـك الـضُّـلـوعُ يَـدانِ

قال: فلما قَدِم على أهلِهِ ـ وكان له والدةٌ وخالةٌ وأربعُ أخواتٍ ـ فمرَّضْنَهُ دَهراً، فقال لهنَّ يوماً: لو نظرتُ إلى عَفراءَ نَظرةً ذهبَ وجعي، فذهبوا حتى نَزلوا البَلقاءَ مُسْتَخْفِين، وكان لا يَزالُ يَنظُرُ إلى عَفراءَ ويُلِمُّ بها، وكانت عند رجلٍ كريمٍ كثيرِ المال والغاشية.

فبينما عُروةُ يوماً بسُوقِ البَلقاء لَقِيه رجلٌ من عُذْرَةَ، فسأله عن حالهِ ومَقْدَمهِ فأخبره، فجاء العُذْريُّ إلى زَوج عَفْراء، فقال له: متى قَدِم هذا الكلبُ الذي قد فَضَحكم؟ فقال زوجُ عَفراء: أيُّ كَلبٍ هو؟ قال: عُروةُ، [قال:] وقد قَدِم؟ [قال: نعم]، قال: أنتَ أولى بها [منه] أن تكون كلباً، والله ما علمتُ بقُدومِهِ، ولو علمتُ لضَمَمْتُه إليَّ.

فلما أصبح غَدا يَستدلُّ عليه حتى عَرفَ مَوضعه، فجاءه فقال: قَدِمتَ هذا البلدَ ولم تَنزِل بنا؟ ولم نَرَ مَن يُعْلِمنُا بمكانكَ فيكون منزلُكَ عندنا؟ عليَّ وعَليَّ إن كان لك مَنزلٌ إلا عندي. قال: نعم، نتحوَّلُ إليك الليلةَ أو في غَدٍ، فلما ولَّى قال عروةُ لأهله: قد كان ما تَرَوْنَ، وإن أنتم لم تخرجوا معي، لأركبَنَّ رأسي، فارتَحلوا معه، ونُكِسَ عُرْوَةُ فلم يَزَلْ مُدْنَفاً حتى نزلوا بوادي القُرى(١).

وفي روايةٍ أُخرى أن حِزاماً هلك، وترك ابنَه عُروةَ صغيراً في حِجْرِ عمِّه عِقال بن مُهاصِر، وكانت عفراءُ تِرْباً لعُروَةَ يَلعبانِ جميعاً ويكونان معاً، حتى ألِفَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه إلْفاً شديداً، وكان عِقال يقول لعُروة: أَبشِرْ، فإنَّ عفراءَ امرأتُك إن شاءَ الله؛ لما يَرى من إلْفِهِما، فكانا كذلك حتى بَلغا، فشكا عُروةُ إلى عَمّته هند بنت مُهاصر ما يَجِدُ من حبِّ عفراءَ، وطلب نَجازَ وَعْدِ عمِّه، فجاءت هندُ إلى أخيها عِقال وقالت: قد أتيتُك في حاجةٍ أُحبُّ أن تُحْسِنَ قضاءَها، وإنَّ الله يؤجرك على صلة رحمكَ، فقال: اسألي، قالت: تُزوِّج عروة ابنَ أخيك عفراء، فقال: ما عنه مَذْهَبٌ، ولا بنا عنه رَغْبَةٌ، ولكنَّه ليس بذي مال، وليست عليه عجَلَةٌ.

وكانت أُمُّها لا تُريدُ إلّا ذا مال، وعَلِمَ عروةُ أن رَجُلاً ذا مالٍ خَطبها، فجاء إلى

---

(١) من قوله: فأخبرنا عبد الوهاب بإسناده... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

عمِّه وقال: يا عمّ، اتَّقِ الله فيَّ، وقد عرفتَ قَرابتي ورَحِمي، فإن زوَّجتَها غيري قَتلتَني وسَفَكْتَ دَمي، فأَنشُدُكَ اللهَ ورَحِمي، فرقَّ له وقال: يا بُنيَّ، أنت مُعْدَم، وقد أبَتْ أُمُّها أن تُخْرِجَها إلّا بمَهْرٍ غالٍ، فاذهب فاسترزِق الله في البلادِ واكتَسِبْ، فجاء إلى أُمِّها ولاطفَها وسألَها، فأبتْ إلّا بما تَحتكمُ من المهر، فعَزم على قَصْدِ ابنِ عم له باليمن مُوسِرٍ، فأخبر عمَّه وامرأتَه بذلك، وأخذ عليهما العُهودَ أنهما لا يُحْدِثا حَدَثاً حتى يعود، وسافر، فلما قَدِمَ على ابن عمِّه عرَّفه حاله، فوَصله وكساه، وأعطاه مئةً من الإبلِ، فانصرف بها.

وكان قد نزل حيَّ عفراء رجلٌ من أهلِ الشامِ مُوسِرٌ، فرأى عَفراء فأعجبَتْه، فخطبها إلى أبيها، فاعتذر وقال: قد سمَّيتُها على ابنِ أخي، فأرغبه في المالِ فقال: لا حاجَةَ لي فيه، فعَدَل إلى أُمِّها، وأرغَبها بالمال فأجابَتْه، وقالت لزوجِها: أيُّ خيرٍ في عُروة حتى تَحبِسَ بنتي عليه؟ واللهِ ما نَدري أحيٌّ هو أم ميِّت؟ وهل يَنقلبُ إلينا بخيرٍ أم لا؟ ولم تزل به حتى أجاب، وزوَّجه إيّاها، وحوَّلها إليه، فقالت عفراءُ عند ذلك: [من مجزوء الكامل]

يا عُرْوَ إن الحيَّ قد نَقضوا عَهْدَ الإله وحاولوا الغَدْرا

ودخل بها الرجلُ، وأقام عندهم ثلاثاً ثم ارتحل إلى الشام.

وعمد أبوها إلى قبرٍ عَتيقٍ، فجدَّده وسوَّاه، وسأل الحيَّ كِتمانَ أمرِها.

وقَدِم عروةُ بعد أيام، فنعاها أبوها إليه، وذهب إلى ذلك القبرِ، وكان يَختلفُ إليه أياماً حتى أخبرته جارِيةٌ من الحيِّ الخبرَ، فخرج إلى الشام، فنزل على زوجِها وهو لا يعرِفُه، فأكرمه وأحسنَ إليه، فقال عروةُ لجاريةٍ لهم: هل لكِ في يَدٍ تُولينيها؟ قالت: وما هي؟ قال: تَدفعين خاتَمي هذا إلى عَفراء، فقالت: سَوْءةً لك، أما تَستحي من هذا القولِ؟ فأمسك عنها، ثم خاطبها مراراً وهي تَردُّ عليه، فقال: وَيحك، والله إنَّها ابنةُ عمي، فاطرحي هذا الخاتَمَ في صَبوحِها، فإن أنكَرَتْ عليك، فقولي: اصطَبَح ضَيْفُنا قبلَكِ، ولعلَّه سَقط منه، فرقَّت له الأَمَةُ وفعلت، فلما رأتْ عَفراءُ الخاتَمَ عَرفَتْه فقالت: اصدُقيني، فأخبرَتْها.

فلما جاء زوجُها قالت له: هل تَدْري مَن ضَيْفُكَ؟ قال: لا. قالت: إنَّه عُرْوَةُ، وقد

كَتَمَ نَفسَه حياءً منك، فبعث إليه ودعاه، وعاتَبه على كِتمانهِ نَفسَهُ وقال له: بالرَّحْبِ والسَّعَةِ، نَشدتُك الله إن رُمْتَ هذا المكان أبداً.

وخرج وتركه مع عفراء يتحدَّثان، وأوصى خادماً له بالاستماعِ عليهما، وإعادةِ ما يَسمعُه منهما.

فلما خليا تشاكيا ما وَجَدا بعد الفِراقِ، وطالتِ الشّكوى وهو يَبكي أحرَّ بكاءٍ، ثم أَتَتْه بشرابٍ، وسألته أن يَشربَه فقال: واللهِ ما دخل جوفي حرامٌ قَطّ، ولا ارتكبتُه منذ كنتُ طِفلاً، ولو استحللتُ حراماً لكنتُ استَحللتُه منكِ، وأنتِ حَظّي من الدنيا، وقد ذهبتِ مني وذهبتُ منك، وما أعيشُ بعدكِ، وقد أجمل هذا الرجلُ الكريمُ وأحسنَ، واللهِ إني لمسْتَحي منه، وواللهِ إني لا أُقيمُ بعد علمه بمكاني، وإني أعلمُ أني راحلٌ إلى مَنِيَّتي، وبكت وبكى وانصرف.

فلما جاء زوجُها أخبره الخادم بما جرى بينهما، فدعاه وقال: يا أخي، اتَّقِ الله في نَفسك، فقد عرفتُ خبركَ، وإنَّك إن رحلتَ تَلِفْتَ، وواللهِ ما أَمنَعُكَ من الاجتماعِ بها أبداً، وإن شئتَ نزلتُ لك عنها، وقال: يا عفراءُ، امنَعي ابنَ عمكِ من الخروجِ، فقالت: هو والله أكرمُ وأشدُّ حياءً من أن يُقيمَ بعدما قد علمتَ به.

وقال عروةُ: جُزِيتَ خيراً، ووُقيتَ شرّاً، ولابُدَّ من الرجوعِ إلى أهلي، وإن عِشْتُ، رَجَعْتُ إليكم، فأعطته عفراءُ خِمارَها، وزوَّده زوجُها، وخرج، فكان كلما غُشي عليه أُلقي الخِمارَ على وَجهه [فيفيق]، فبينما هو يسيرُ لقيه ابنُ مَكحول عَرّافُ اليمامةِ، فسأله عمّا به، وهل به خَبَلٌ؟ فقال: [من الطويل]:

وما بي من خَبْلٍ وما بي جِنَّةٌ ... ولكنَّ عمّي يا أُخيَّ كَذوبُ
أرى كَبدي أمستْ رُفاتاً كأنَّما ... يُلَذِّعُها بالموقِداتِ لَهيبُ
عشيَّةَ لا عَفراءُ منك بَعيدةٌ ... فتَسلو ولا عَفراءُ منك قَريبُ
وأَصدِفُ عن رأيي الذي كنتُ أرتئي ... وأَنسى الذي أزمعتُ حين تَغيبُ
ويُظهرُ قلبي عُذرَها ويُعينها ... عليَّ فمالي في الفؤاد نصيبُ
وقد علمتْ نفسي مكانَ شِفائها ... قريباً وهل ما لا يُنالُ قَريبُ
حلفتُ بربِّ السّاجِدين لربِّهم ... خُشوعاً وربُّ الساجِدين رَقيبُ

لـئـن كـان بـردُ الـمـاءِ حَرّانَ صـاديـاً ... إلـيَّ حَـبـيـبـاً إنَّـهـا لَـحـبـيـبُ[1]

وقد ذكر أبو الفَرج الأصفهاني بمعناه وقال: وهو أحدُ المُتَيَّمِين الذين قَتلهم الهوى، ولا يُعْرَف له شعرٌ إلا في ابنةِ عمّه عَفراء، ومازال به الحبُّ حتى مات.

وقال ابن الكلبي: كان إذا اشتد به الهيامُ ألصق خَدَّه بحِياضِ النَّعَمِ التي كانت تَرِدُ عليها إبلُ عفراءَ، فقيل له: ارفُق بنفسكَ، فقال: [من الطويل]

بـي الـيـأسُ أو داءُ الـهُـيـامِ أصـابَـنـي ... فـإيـاكَ عـنـي لا يـكـنْ بـك مـا بـيـا

فـمـا زادَنـي الـنَّـاهـونَ إلا صَـبـابَـةً ... ولا كـثـرةُ الـواشـيـن إلا تـمـادِيـا

واختلفوا في وفاته، ذكر هشام بن الكلبي عن أبيه قال: لمّا عاد عروةُ من البَلقاءِ إلى أهلِهِ وقد ضَنِيَ، وكان له أخَواتٌ وخالة قد كانوا يُعلِّلونه، و هو لا يَزدادُ[2] إلا سُقْماً حتى مات.

وأنبأنا غيرُ واحدٍ عن أبي الفضلِ محمد بن ناصرٍ بإسناده، عن النعمان بن بشير قال: استعملني عمر بن الخطاب ـ أو عثمان بن عفّان، شكَّ الهيثم ـ على صدقات سعد بن هُذَيْم وهم: عُذْرَةَ، وسلامان، والحارث، وهم من قُضاعة، فلما قَبضتُ الصَّدقةَ وقَسمتُها بين أهلها، وأقبلتُ بالسَّهْمَيْنِ الباقِيَيْن إلى عمر أو عثمان، فلما كنتُ ببلادِ عُذرةَ في حيٍّ يقال له: حيُّ بني هند، إذا ببيتٍ خارجٍ عن الحيِّ، فملتُ إليه، وإذا بعجوزٍ جالسةٍ عند كسْرِ البيتِ، وإذا شابٌّ نائم في ظلِّ البيتِ، فسلَّمتُ عليه، فترنَّم بصَوتٍ له ضَعيفٍ، وقال:

جـعـلـتُ لـعـرَّافِ الـيَـمـامـةِ حُـكْـمَـهُ ... وعـرَّافِ نَـجْـدٍ إنْ هُـمـا شَـفَـيـانـي

فذكر الأبيات، ثم شَهق شَهقةً خفيفةً، فإذا به قد مات، فقلتُ للعجوزِ: ما أظنُّ هذا النائمَ بفِناء بيتكِ إلا قد مات، فقامت فنظرتْ إليه وقالت: فاض وربِّ محمدٍ، فقُلتُ: يا أمةَ اللهِ، مَن هذا؟ قالت: عروةُ بن حِزامٍ العُذرِيُّ، وأنا أُمُّه، قلتُ: فما صيَّره إلى هذا؟ قالت: العِشقُ، وواللهِ ما سمعتُ له أنَّةً منذ سنةٍ إلّا في صَدره، وفي يومنا هذا

(١) المنتظم ٤/ ٣٥٤ـ٣٥٧، وذم الهوى ٤١٠ـ٤١١.

(٢) في (خ) و(ع): وكان له أهل فما زلن يعللنه وهو يزداد سقماً.

سمعتُه يقول: [من البسيط]

مَن كان من أُمّهاتي باكياً أبداً فاليومَ إني أُراني اليوم مَقبُوضا
يُسْمِعْنَنِيهِ فإنّي غيرُ سامعِه إذا علوتُ رقابَ القوم مَعروضاً

قال النعمان: فأقمتُ والله حتى غُسِّلَ وكُفِّنَ وحُنِّط، وصُلِّيَ عليه ودُفِنَ، قال: فقلتُ للنعمانِ: ما دعاكَ إلى ذلك؟ قال: احتسابُ الأجرِ فيه.

وذكر أبو بكرٍ بن داود في كتاب «الزهرة» أن عروةَ لمّا مات مرَّ به رَكْبٌ فعرفوه، فلما انتهَوْا إلى منزلِ عَفراءَ صاحَ بعضُهم وقال: [من الطويل]

ألا أيُّها الميتُ المحجَّبُ أهلُه[1] بحقٍّ نَعَيْنا عُروةَ بنَ حِزامِ

فأجابتْه عفراءُ وقالت:

ألا أيُّها الرَّكْبُ المُخِبّونَ وَيحكم بحقٍّ نَعيتُم عُروةَ بن حِزامِ

فأجابها بعضهم وقال:

نعم قد تَركناه بأرضٍ بعيدةٍ مقيماً بها في دَكْدَكٍ ورُخامِ

فقالت:

فإن كان حقّاً ما تقولون فاعلموا بأنْ قد نَعيتُم بَدْرَ كلِّ تمامِ
فلا لَقي الرّكبانُ بعدك لَذَّةً ولا رَجعوا من غَيْبةٍ بِسَلامِ
ولا وَضعتْ أُنثى تماماً بمِثْلِهِ ولا فَرِحَتْ من بعدِهِ بغُلامِ
ولا لا بلغتُم حيث وُجِّهْتُمُ له ونُغِّصْتُمُ لذَّاتِ كلِّ طَعامِ

ثم قالت: فأين دُفِنَ؟ فأخبروها، فسارت إلى قبرِه، فلما قَرُبت من قبرِهِ قالت: إني أُريد قضاءَ حاجةٍ، فأنزلوها، فانسَلَّت إلى قبرِه، فانكبَّت عليه، فما راعهم إلا صوتُها، فلما سمعوها بادروا إليها، فإذا هي ممدودةٌ على القبرِ، قد خرجت نفسُها، فدفنوها إلى جانبِهِ.

وروى أبو بكرٍ الخطيبُ بإسنادِهِ عن معاذ بن يحيى الصَّنعاني قال: خرجتُ من مكة أُريد صنعاءَ، فلما كان بيننا وبينها خمساً رأيتُ الناسَ يَنزلون عن مَحامِلِهم، ويَركبونَ

(١) في (ك): ألا أيها الحي المعطل أهله، وفي الزهرة ١/ ٤٨٠، وتاريخ دمشق ٢٥١ (تراجم النساء)، وذم الهوى ٤١٧، والمنتظم ٤/ ٣٥٨: ألا أيها القصر المغفّل أهلُه.

دوابّهم، فقلتُ: أين تُريدون؟ قالوا: نُريدُ أن ننظرَ إلى قبر عُروة وعفراء، فنزلتُ عن مَحملي وركبتُ حِماري، واتَّصلتُ بهم، فانتهيتُ إلى قبرَيْنِ مُتلاصِقَيْنِ، وقد خَرَج من هذا القبرِ ساقُ شجرة، ومن هذا ساقُ شجرة، حتى إذا صارا على قامةٍ التقيا، وكان الناسُ يقولون: تآلفا في الحياةِ وفي الموتِ.

ورُوِي أن هذه القصَّة كانت في زمنِ عمر بن الخطاب، وقال عمر: لو أدركتُ عُروةَ وعفراء لجمعتُ بينهما.

وروي عن مُعاوية أنه قال: لو علمتُ بهذين الشريفَيْنِ لجَمعتُ بينهما(١).

وروي(٢) أن عروة مات بعرفات، فذكر محمد بن حبيب الهاشمي، عن هشام بن محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباسٍ، قال أبو صالح: كنتُ مع ابن عباسٍ في عرفاتٍ، فأتاه فِتْيانٌ يَحملون فتىً لم يَبقَ منه إلّا خيالُه، فقالوا: يا ابنَ عمِّ رسولِ الله، ادْعُ الله لهذا الفتى، فقال: وما الذي به؟ فقال الفتى: [من الطويل]:

بنا من جَوى الأحزانِ والحبِّ لَوعةٌ تكادُ لها نَفْسُ الشَّفيق تَذوبُ
ولكنَّما أبقى حُشاشةَ مُعْوِلٍ على ما بهِ عُودٌ هناك صَليبُ

ثم خَفَتَ على أيديهم فمات، فقال ابن عباس: قَتيلُ الحبِّ لا قَودَ فيه ولا دِيَة، ثم سأل الفِتيان عنه فقالوا: هذا عُروةُ بن حِزام العُذري، ثم كان ابن عباسٍ يَسأل الله العافية بعد ذلك.

وقال أبو سعيد النُّميري(٣): لقي مجنونُ ليلى الأَحْوصَ بنَ محمد الأنصاري، فقال له: حدِّثني حديثَ عُروةَ، فحدَّثه، فلما فَرَغَ قال المجنون: [من الوافر]:

عَجِبتُ لعُروةَ العُذْريِّ أمسى أحاديثاً لقومٍ بعد قَوْمِ
وعُروةُ مات مَوتاً مُسْتَرِيحاً وها أنا ذا أموتُ بكلِّ يومِ

انتهى حديث عروة بن حزام.

---

(١) المنتظم ٤/ ٣٥٩، وذم الهوى ٤١٧-٤١٨.

(٢) من هنا إلى نهاية ترجمته ليس في (خ) و(ع)، والخبر في الأغاني ٢٤/ ١٦٥-١٦٦.

(٣) في مصارع العشاق ٢/ ٧٥، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٢٣٥: أبو معاذ النميري.

فصل وفيها تُوفّي

عُمير بن وَهب

ابن خَلَف بن وَهب بن حُذافة السَّهْمي، كان قد شهد بدراً مع الكفار، وبعثوه طَليعةً ليَحْزُرَ لهم الصحابةَ ففعل، وأُسِرَ ابنُه وهب بن عُمَيْرٍ، أسره رِفاعةُ بن رافعٍ، فلما قدم عُمير مكة جلس في الحِجْرِ وقال: لولا عيالي ودَيْني لاغتلتُ محمّداً وقتلتُه، فقال له صفوانُ بن أُمية: عليَّ دَيْنُك، وعِيالُكَ عِيالي.

فخرج إلى المدينةِ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: ما الذي أَقْدَمَك؟ قال: قَدِمتُ في فكاكِ ابني، فقال له رسولُ الله ﷺ: كُنْتَ قاعِداً في الحِجْرِ، وقلتَ لصفوان كذا، وقال لك كذا، فقال: واللهِ ما كان معنا ثالث، فأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّك رسولُه[١]، وأسلم وحَسُنَ إسلامُه، وشَهِد أُحُداً مع رسولِ الله ﷺ، وقد ذكرنا قِصّته مع صفوان بن أُمية عقيب غزاة بدر، وبقي إلى هذه السنةِ، فتوفّي بالمدينةِ، وليس له رواية، رحمه الله. انتهت ترجمته[٢].

قُطبة بن عامر

ابن حَديدة بن عمرو بن سواد الأنصاري، من الطبقة الأولى من الأنصار، وكُنيته أبو زيد، من الستة الذين أَتَوا رسول الله ﷺ بمكة فأسلموا قبل الناس.

شهد العَقَبَتَيْن وبدراً وأُحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكان من الرُّماة المشهورين المذكورين، وجُرح يوم أُحد تسعَ جِراحات، وكانت معه يوم الفتح راية بني سلمة من الأنصار، وألقى يوم بدر حَجَراً بين الصَّفَّين وقال: لا أَفِرُّ حتى يفرّ هذا الحَجَر، وبعثه رسول الله ﷺ إلى تَبَالَة إلى حيٍّ من خَثْعَم، فاستاق الغنم وسبى، سنةَ سبعٍ من الهجرة، وليس له عَقِبٌ، والعقب من أخيه لأبويه:

(١) من قوله: أسره رفاعة بن رافع... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٤/ ١٨٦، والاستيعاب (١٧١٥)، والتبيين ٤٥٠، والمنتظم ٤/ ٣٥١، والإصابة ٣/ ٣٦.

يزيد بن عامر بن حديدة

وكنيته أبو المنذر، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها، وكان له من الولد عبد الرحمن والمنذر، ومن ولده الإمام أبو العباس أحمد النّاصري رحمه الله[1].



(١) انظر في ترجمتهما طبقات ابن سعد ٣/ ٥٣٥-٥٣٦ ، والاستيعاب (٢١٤٨) و(٢٧٣٢)، والاستبصار ١٦٣، والإصابة ٣/ ٢٣٧ ، ٦٥٩ ، وتاريخ دمشق ٥٩/ ٤٠ ، وترجمة قطبة ويزيد ليستا في (ك).

السنةُ السادسةُ والعِشْرون

وفيها أمر عثمانُ بتَجديد أنصابِ الحرم، ووسَّع في المسجدِ الحرامِ، وابتاعَ من قومٍ دُورَهم وامتنع آخَرون، فهدمها عليهم، ونزَّل أثمانَها في بيت المال، فاستغاث أصحابُها، فحبسهم وقال: ما جَرَّأكم عليَّ إلا حِلْمي، قد فعل بكم هذا عمرُ فلم تَستغيثوا به، ثم كلَّمه فيهم خالد بن أُسَيْد فأطلقهم.

وفيها عزل عثمان سعداً عن الكوفةِ لأمرٍ جرى بينه وبين ابن مسعود، وقال الزهري: وهذا خامِسُ أمرٍ أخذَ الناسُ على عثمان؛ توليةُ الفاسقِ الوليد بنِ عُقْبَةَ، وعزلُ سعد بن أبي وقّاصٍ صاحبِ رسولِ الله ﷺ، وأحدِ العشرة الذين بشَّرهم رسولُ الله بالجنَّةِ، وأحدِ أصحابِ الشّورى[1].

وذلك أن سعد بن أبي وقاص استَقرض[2] من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالاً، فأقرضه، فلما تقاضاه لم يَتيسَّر عليه قضاؤه، فأتى ابنُ مسعود فقال لسعد: أدِّ المال الذي قِبَلك، فقال له: هل أنت إلا عبدٌ من هُذَيل، قال: وأنت ابنُ حُمينة، فطرح سعد عُوداً في يده، وكانت فيه حِدّة، ورفع يده وقال: اللهمَّ رب السماوات والأرض، فقال له عبد الله: قُل خيراً ولا تَلعن، فقال سعد رضي الله عنه: أما والله لولا اتّقاءُ الله لدعوتُ عليك دعوةً لا تُخطِئك، فولّى ابنُ مسعود خارجاً مُسرعاً، فعُزل سعد، وأُقِرَّ ابنُ مسعود على بيت المال.

وقال هشام: وكان الوليد بن عُقبة قد ولّاه عمرُ الجزيرةَ على عربِها، فنقله عثمان إلى الكوفةِ، فتلطَّفَ بالناسِ، وأقامَ خمسَ سنين ليس على دارِه بابٌ، وقد ذكرنا أنَّه أخو عثمان لأُمِّه، واستردَّ عثمانُ ما أخذَ سعدٌ من بيتِ المال، وحجّ عثمان رضي الله عنه بالناس.

(١) من قوله: وقال الزهري... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٢) في (خ) و(ع): وكذلك ابن سعد بن أبي وقاص يستقرض، ومن هذه العبارة إلى قول هشام الآتي ليس في (ك).

فصل وفيها توفي

عمرو بن سُراقة

[بن] المعتمر بن أنس [بن أداة] بن رياح العَدَوي، من الطّبقة الأولى من المهاجرين، وأمه آمنة بنت عبد الله بن عُمير، جُمحيّة، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وليس له رواية[1].



(١) انظر في ترجمته طبقات ابن سعد ٣/ ٣٥٨، والاستيعاب (١٧٦١)، والتبيين ٤٣٠، والإصابة ٢/ ٥٣٧، وترجمة عمرو ليست في (ك).

السنة السابعةُ والعِشْرون

وفيها فُتحت الأندلسُ، قال سيف عن أشياخهِ: أرسل عثمانُ عبدَ الله بنَ الحُصَيْنِ وعبدَ الله بن عبد القيس إلى الأندلس، فأتياها من قِبَلِ البحرِ، وكتب إليهما: إن القسطنطينية إنَّما تُفْتَحُ من قِبل الأندلس، فإن فتحتُم الأندلسَ، كنتم شُركاءَ مَن يَفتح القسطنطينية في الأجرِ، فسارا إليها، فقاتلاها في البحر والبر، ففتحها الله تعالى.

وقال يزيد بن أبي حبيب: نزع عثمان رضوان الله عليه عمرو بنَ العاص عن خراج مصر، واستعمل عليها عبد الله بنَ سعد بن أبي سَرْح، فكتب إلى عثمان رضوان الله عليه يَشكو عَمراً ويقول: كسر الخراج.

وقال الواقدي: وكان عثمان رضوان الله عليه لا يَعزل أحداً إلا عن جناية أو شِكاية أو استعفاء، فكتب إلى عمرو بالقُدوم عليه، فقَدم مُغضَباً، وعليه جُبَّةٌ مَحشُوَّةٌ قُطناً، فقال له عثمان رضوان الله عليه: ما حَشْوُ جُبَّتك؟ قال: حَشْوُها عمرو، قال له عثمان رضوان الله عليه: لم أُردْ هذا، إنما سألتُ: أَقُطْنٌ هو أم غيره؟

وأقام عمرو بالمدينة يَطعن في عثمان رضوان الله عليه، ويُؤلِّب الناسَ عليه، وسعى في فساد أمره، وبعث عبد الله بن سعد إلى عثمان ﷺ من مصر بمالٍ كثير، فقال لعمرو: يا عمرو، هل علمتَ أن تلك اللِّقاح بعدك دَرَّت؟! فقال له عمرو: هل علمتَ أن فُصلانَها هَلكتْ.

وفيها غزا معاويةُ قبرس، وقيل: إنما غزاها في السنة الثامنة والعشرين، والذي غزاها في هذه السنة أبو الأعور السُّلمي، وحجّ بالناس عثمان رضوان الله عليه.

عبد الله بن كعب

ابن عَمرو بن عَوف بن مَبْذول، وكُنيتُه أبو يحيى، وقيل أبو الحارث، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، وشهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها، وكان عاملَ رسول الله ﷺ على مغانم بدر، وله عَقب، وليس له رواية[1].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٧٩ ، والاستيعاب (١٣٨٥)، والاستبصار ٨٣ ، والإصابة ٢/ ٣٦٢ ، وترجمة عبد الله ليست في (ك).

السنة الثامنة والعِشرون

وفيها فُتِحت قُبرس على يد معاوية بن أبي سفيان في قولِ الواقدي، وقال أبو معشر: كان ذلك في سنة سبعٍ وعشرين.

وقال الواقدي: كان عمر قد منع المسلمين من الغَزْوِ في البحرِ شفقةً عليهم، واستأذنه معاويةُ في ذلك فلم يأذن له، فلما وَلِيَ عثمانُ استأذنه فأذِنَ له وقال: لا تُكْرِه أحداً، مَن غزا طائعاً فاحمِلْه، ولا تُكرِه أحداً، فسار في جماعةٍ من الصحابةِ منهم: أبو ذَرّ وعُبادة بن الصامت، ومعه زوجته أُمُّ حَرام بنت مِلْحان، خالةُ أنس بن مالك، أُخت أُمِّ سُلَيم، وشدَّاد بن أوسٍ وأبو الدرداءِ في آخرين.

وهو أوَّل من غزا الجزائِرَ في البحرِ، وقيل: كان ذلك في سنة ستٍّ وثلاثين، يعني غزاة الصحابة معه.

وقال الواقدي: صالحه أهلُها على مالٍ، والأصحُّ أنَّها فُتِحت عَنْوةً.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن[1] جبير بن نُفَير قال: لمّا افتتح المسلمون قُبرس فرَّقوا بين أهلِها، فجعل بعضُهم يَبكي إلى بعضٍ، فبكى أبو الدرداءِ، فقلتُ له: ما يُبكيكَ في يومٍ أعزَّ اللهُ فيه الإسلامَ، وأذلَّ الشِّركَ وأهله؟ فقال: دَعْنا منك يا جُبَيْرُ، ما أهونَ الخَلْقَ على الله إذا تركوا أمره! بينما هي أُمَّةٌ قادِرةٌ قاهرة، تركوا أمر الله، فصاروا إلى ما ترى، وفي روايةٍ: فسلَّط الله عليهم السَّبْيَ، وإذا سُلِّطَ على قومٍ فليس له فيهم حاجَةٌ[2].

وفيها التقى عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح بمعاوية على قُبرس.

فصل: وفيها تزوَّج عثمان بن عفان نائلة بنت الفَرافِصة.

واختلفت الروايةُ في سبب تَزويج عثمان نائلة، فقال هشام: كان الفَرافصةُ يسكنُ السَّماوَةَ ـ سَماوَةَ كَلْبٍ ـ وكان نصرانياً وابنتُه نصرانيّة، وكانت بارِعةَ الجَمالِ، فبلغ

(١) من قوله: وهو أول من غزا الجزائر... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٢) المنتظم ٤/ ٣٦٤، وأخرجه الطبري ٤/ ٢٦٢.

عثمانَ فخطبها، فحُملِت إليه، فتَحَنّفت قبل أن يَدخُلَ بها.

وقيل: إنَّ عثمان استعمل الوليد بنَ عُقبة على صَدَقاتِ كَلبٍ فزوَّجه نائلة.

وروى الهيثم بن عَدي أن سعيد بن العاص تزوَّج هند ابنةَ الفَرافِصةَ، وبلغ عثمان، فكتب إليه: زَوِّجني أُخْتَها نائلة فقد بلغني جَمالُها، فزوَّجه إيّاها، وبعث بها إليه.

وفي روايةٍ أُخرى قالوا: لمّا جهَّزَ الفَرافِصَةُ ابنتَه من السَّماوةِ بعث معها أخاها ضَبّاً، وكان مُسلماً، وهو الذي زوَّجها من عثمان، وكان أبوها على دِينه، أوصاها وقال: يا بُنَيَّةُ، إنَّكِ تَقْدُمينَ على نساءِ قريشٍ، وهُنَّ أَقْدَرُ على الطِّيبِ منكِ، فعليك بالماءِ والكُحْلِ.

قال هشام: وكانت نَصرانيةً، وقال ابن عساكر في تاريخه: إنما أسلمتْ على يد عثمان، فلما فارقَتْ أهلَها استوحَشَتْ وجَزِعت لفراقِ أهلها وبلادِها، فقالت تُخاطبُ أخاها: [من الطويل]

ألستَ ترى باللهِ يا ضَبُّ أنَّني مُصاحبةٌ نحو المدينةِ أَركُبا
أما كان في فِتيانِ حِصْنِ بن ضَمْضَمٍ لك الويلُ ما يُغني الخِباءَ المُحَجَّبا
قضى الله إلّا أن تموتي غريبةً بيَثربَ لا تَلْقَيْنَ أُمّاً ولا أبا

وكتب الوليدُ إلى عثمان يُخبِرُه، فلما قَدِمَت عليه قام عثمان فصلّى ركعتين ثم قال: يا هذه، أتَأتينا أم نَأتيك؟ فقالت: قد تَجَشَّمْنا إليكَ المسيرَ من السماوة، وهي أبعدُ ممّا بيننا من مسافةِ البيتِ، وقامت فجلست إليه فقال لها: لعلَّكِ تَرَيْنَ شَيْباً وتعلّياً في السِّنِّ، وإنَّ وراء ذلك بقيَّةً من عُلالةٍ من الشبابِ. فقالت: إنَّ أحبَّ الخُلطاء إليَّ من ذهبت عنه مَيْعَةُ الشبابِ، واجتمع حِلْمُهُ، ووَثق رَأْيُهُ، فكان عثمانُ يقول: ما رأيتُ أعقَلَ منها.

وفي روايةٍ أنَّ الوليد بنَ عُقبة قَدِمَ على عثمان فقال: قد زوَّجتُك نائلةَ، فقال له عثمان: زوَّجتَني نَصرانيةً؟ فقال: إذا دخلتْ عليك أسلمتْ، فلما قَدِمَتْ عليه وضع عِمامتَه، فبدا الصَّلَعُ فقال: لا يهولنَّكِ ما تَرَيْنَ من صَلَعي؛ فإنَّ وراءَه ما تُحبِّين، وقال: إمّا أن تَقومي إليَّ أو أقومَ إليك.

وفي روايةِ ابن الكلبي أن امرأةَ عبد الرحمن بن عوف قالت لعثمان: هل لكَ في

بِكْرٍ جميلةٍ، ممتلئةِ الخَلْقِ، أسيلةِ الخَدِّ، أصيلةِ الرأي؟ قال: نعم، فذكرتْ له نائلةَ، فتزوَّجها، فلما قَدِمت عليه وَضع القَلَنْسوة عن رأسِهِ، فبدا الصَّلَعُ فقال: لا يهولنَّكِ ما تَرَيْنَ من صَلَعي؛ فإنَّ وراءه ما تُحبّين، فقالت: إني امرأةٌ من نسوةٍ أحبُّ أزواجِهنَّ إليهن الصُّلْع الكهول. فقال: قد جاوزتُ حدَّ الكهول، وأنا شيخٌ، فقالت: أذهبت شبابَكَ مع رسولِ الله في خير ما ذَهَبَتْ فيه الأعمارُ، فقال: إمَّا تتحولين إليَّ أو أتحوَّل إليك، فقالت: ما قطعتُ من عرضِ السَّماوة ـ أو جَنباتِ السماوةِ ـ أبعدُ مما بيننا، ثم قامت فتحولَّت إليه، فقال: انزعي دِرعَك، فألقَتْه، قال: وخمارَكِ، فطرحتْه، قال: وإزارَكِ، قالت: ذاكَ إليكَ، فحلَّه فكانت أحظى نسائهِ عنده.

وقال هشام: أقامت عند عثمان حتى قُتِل، وهي التي أرسلت بقميصِ عثمان وأصابِعها الخمسِ إلى مُعاوية، فعلَّقه على مِنْبر دمشق سنةً، وخطبها مُعاويةُ فقالت: واللهِ لا قعَدَ موضعَ عثمانَ مني أحدٌ.

ودعت يوماً بمرآةٍ فنظرت فيها، وكانت من أحسنِ الناس ثَغراً، فأخَذَت فِهْراً فدقَّت به أسنانَها، فهَتَمتْ ثناياها، فسال الدَّمُ على صَدْرِها، فبكين جواريها وقُلنَ لها: ما صَنَعْتِ بنفسكِ؟ فقالت: إنَّ الحُزْن يَبلى كما يَبلى الثّوبُ، وإني خِفْتُ أن يَبلى حُزْني على عثمان فأتزوَّج غيره، فيطَّلعَ مني رجلٌ على ما اطَّلعَ عليه عثمان، ووالله لا يَجتلي ثغري أحدٌ بعد عثمان[1]. وسنذكرها في زوجاتِ عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فصل وفيها توفيت

أُمُّ حَرام بنت مِلْحان بن خالد بن زيد

وذكرها ابنُ سُمَيعٍ في الطبقةِ الأولى من الصحابياتِ.

وقد ذكرنا أن النبي ﷺ كان يزورُها ويَقيلُ في بيتِها، وأنَّها أسلمتْ وبايعتْ رسولَ الله ﷺ، وكانت صالحةً، وتزوَّجها عبادةُ بن الصامت.

واختلفوا في وفاتِها:

---

(١) انظر ترجمتها في تاريخ المدينة ٩٨١ـ٩٨٢، وأنساب الأشراف ٥/ ١٠١ـ١٠٣، والأغاني ١٦/ ٣٢٢، والمنتظم ٤/ ٣٦٥ـ٣٦٧، وتاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٠٤ـ٤٠٩.

قال أحمد بإسناده عن أنسِ بن مالك عن أُمِّ حَرام أنها[١] قالت: بينما رسولُ الله ﷺ قائلاً في بيتي، إذا استيقظ وهو يضحكُ، فقلتُ: بأبي أنت وأُمّي، ما يُضْحِكُكَ؟ فقال: «عُرِضَ عليَّ ناسٌ من أُمتي يركبون ظهرَ هذا البحرِ كالملوكِ على الأَسِرَّة»، فقلتُ: ادعُ الله أن يَجعلني منهم، فقال: «اللهمَّ اجعلها منهم»، ثم نام أيضاً واستيقظ وهو يضحك، فقلتُ: بأبي أنت وأُمي، ما يُضحككُ؟ فقال: «عُرِضَ عليَّ ناسٌ من أُمَّتي يركبون هذا البحرَ، كالملوكِ على الأسِرَّة»، فقلتُ: ادعُ الله أن يَجعلني منهم، قال: «أنتِ من الأَوَّلِين»، فغزتْ مع عُبادةَ بنِ الصامتِ، وكان زوجَها، فوَقَصَتْها بغلةٌ لها شَهباءُ، فوقعت فماتت، ذكره[٢] جَدّي في «جامع المسانيد» وقال: أخرجاه في «الصحيحين»[٣].

وذكره ابنُ عساكر وقال: أخرجه مسلم وفيه: يركبون البحر الأَخْضَرَ، قال: فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامتِ أوَّلَ ما ركبَ المسلمون البحر مع معاوية بن أبي سفيان، فلما انصرفوا قافلين من غَزاتهم قَدِموا الشام، فقُدِّمتْ إليها دابَّتُها لتَركَبها؛ فصَرعتْها فماتت[٤].

ومعنى قولِه عليه السلام: أنتِ من الأوَّلين، أي: لا تركَبين البحر ثانياً، ولم يُذْكَر في هذه الرواياتِ مكانُ وفاتِها، وقال أبو نعيم: هو مكان يقال له: قاقيس.

قال أبو نعيم بإسناده عن خالد بن مَعْدان، عن عُمير بن الأسود العَنْسي أنَّه حدَّثه، أنه أتى عُبادة بنَ الصامتِ وهو بساحلِ حمص، وهو في بناءٍ له، ومعه امرأتُه أُمُّ حَرامٍ، قال عمير: فحدَّثتْنا أُمُّ حَرامٍ أنَّها سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «أوَّل جيشٍ من أُمتي يَغزون البحر قد أوجبوا»، قالت أُمُّ حَرام: يا رسولَ الله، أنا منهم؟ قال: «أنتِ منهم». قال هشام بن عمار راوي الحديث: فأنا رأيتُ قبرها، ووقفتُ عليه بالساحلِ بقاقيس، وذكر أبو نُعيم أن قبرها بقُبرس، فقال أبو نُعيمٍ بإسناده عن هشام بن الغاز قال: قبرُ أُمِّ

(١) من قوله: وقد ذكرنا... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٢) من هنا إلى نهاية ترجمة أم حرام ليس في (خ) و(ع).

(٣) مسند أحمد (٢٧٠٣٢)، وصحيح البخاري (٢٧٩٩_٢٨٠٠)، وصحيح مسلم (١٩١٢).

(٤) تاريخ دمشق (تراجم النساء) ٤٨٧ ، وصحيح مسلم (١٩١٢) (١٦٢).

حَرام بنت مِلحان بقُبرس، وهم يقولون: هذا قبرُ المرأةِ الصالحةِ[١].

وكذا قال ابن مَنْدَه وأبو سليمان بن زَبْرٍ، حكى عنهما ذلك ابنُ عساكر، وكان أميرهم معاوية بن أبي سفيان.

وقال ابن سُمَيْعٍ: قبرُها برُودِس، مكانٌ بالساحلِ، قال: غزت مع زَوْجِها عُبادة بن الصّامتِ، وكان معهم أبو ذر وأبو الدّرداءِ، فسقطت من دابّتها فماتت ودُفنت بالساحل[٢]. والله أعلم.



(١) حلية الأولياء ٢/ ٦٢.

(٢) تاريخ دمشق ٤٩٤، ٤٩٦. وانظر في ترجمتها طبقات ابن سعد ١٠/ ٤٠٤، والاستيعاب (٣٥٠٠)، والاستبصار ٤٠، والإصابة ٤/ ٤٤١، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٣١٦ وفيه مصادر أخرى.

السنةُ التاسعة والعشرون

قال الواقدي: وفيها عزل عثمانُ أبا موسى عن البصرة، وولّاها عبد الله بن عامرِ ابن كُرَيْز، ابن خال عثمان، وهو يومئذٍ ابنُ خمسٍ وعشرين سنةً، وكان في وصيَّةِ عمر الخليفةَ بعده أن يُقرَّ أبا موسى الأشعري على وِلايته ولا يَعزله.

وقال سيف: وهذا سادسُ أمرٍ أُخِذَ على عثمان، لمّا ولي عثمان أقرَّ أبا موسى على البصرةِ ثلاث سنين، وعزله في الرابعة.

وقال ابن مَنده: إنَّما عزل عثمانُ أبا موسى عن البصرةِ لأنَّه حثَّ الناسَ على الجهاد إلى كابُل، فقال الناسُ: لنا أُسوةٌ بك، إذا خَرَجْتَ خرجنا، فخرجَ ثَقَلُهُ من القصرِ على أربعين بَغلاً، فتعلَّقوا بها وقالوا: احمِلْنا على بعضها، فقَنَّع بعضَهم بالسَّوطِ فاستغاثوا، وبلغ عثمانَ فعزله.

وفي روايةٍ: أن الأكراد أفسدوا وكفروا، وكذا أهلُ إيذَج، فقام أبو موسى خَطيباً، وزهَّد في الدنيا ورغَّب في الآخِرة، فقالوا: واللهِ ما نخرجُ معه حتى نَنظُرَ هل يُوافِقُ قولُه فِعلَه أم لا؟ فلما خَرَج في البغالِ وعليها الأثقالُ تَعلَّقوا بها، وكتبوا إلى عثمان فعزله، وأمَّر عبد الله بن عامرٍ[1].

وفيها ولّى عثمان على خُراسان عُمير بنَ عثمان بن سعد، وعلى سجستان عبد الله ابن عُمير الليثي، فسيّر عُمير إلى فَرغانة، وشنّ الغارات، فصالحه أهلُ الكُوَر، وكذا عبد الله بن عُمير أثخن في البلاد حتى بلغ النهر.

وفيها انتقضَتْ خُراسان وسجستان، فأمر عثمان عبدَ الله بنَ عامر، فسار إليها في جنود العراق، وكان عُبيد الله بن مَعمر قد تقدَّم عبد الله بن عامر في جيشه، فالتقى به العدوُّ على باب إِصطَخْر، فقتلوا عبيد الله بن مَعمر، وهزموا جيشَه، وبلغ الخبر عبد الله

(١) من قوله: وفي رواية أن الأكراد... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

ابن عامر، فقَدَّم بين يديه عثمان بن أبي العاص الثقفي، فالتَقَوا، فقتل منهم مقتلةً عظيمة، واستقامت البلادُ وفتح إِصطَخْر، وعاد إلى البصرة، وبعث إلى عثمان رضوان الله عليه بالفتح والغنائم(١).

وفي هذه السنةِ رجم عثمان بن عفان امرأةً من جُهينةَ دخل بها زوجُها، فولدت لستّة أشهر، قال محمد بن حبيب الهاشمي: فدخل عليه عليٌّ عليه السلام فقال: ما فعلتَ؟ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ﴾[الأحقاف: ١٥]، وقال: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ﴾[البقرة: ٢٣٣] فأقلُّ مُدَّةِ الحملِ ستَّةُ أشهُر، فأرسل عثمان في أثرِها وقد فات الأمر، وهذا سابعُ أمرٍ أُخِذَ على عثمان.

وقال الواقدي: وفي هذه السنةِ وسَّع عثمانُ مسجدَ رسول الله ﷺ، وابتدأ في بنائهِ في شهرِ ربيعِ الأوّلِ، وبناه بالحجارةِ المنقوشةِ، وزَخْرَفَه بالذهبِ والفضَّة، وسَقَفه بالسّاجِ، وجعل طُولَه ستين ومئةَ ذِراعٍ، وعرضَه خمسين ومئةَ ذِراعٍ، وجعل له ستَّة أبوابٍ، قال: وإنَّما وسَّعه لأنه ضاق بالناسِ.

وذكر جدّي في «المنتظم» وقال: رأيتُ لأبي الوفاءِ بن عَقيل كلاماً حسناً في قوله ﷺ: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ في غيرهِ إلا المسجد الحرام»، قال: هذا الفضل يتعلَّقُ بمسجدِ النبي ﷺ الذي كان في زمانهِ، لا بما زِيدَ فيه بعده(٢). وقد عَلَّمَ أهلُ المدينةِ مكانَ المسجدِ القديم بالحبالِ، وهو مُعَلَّم إلى هَلُمَّ جَرّاً.

قلتُ: وقد ضَيَّق ابنُ عَقيلٍ على الزوّارِ أماكنَ الصلاةِ، وقد يَحتمل أن يَحجَّ خَلْقٌ كثيرٌ فلا يَصِلون إلى ذلك المكان المُعَيَّنِ، وقد قال ﷺ: «جُعِلت لي الأرضُ مسجداً»، وما قصد إلّا دَفعَ الحَرَجِ، والظاهر أنْ ليس في المدينةِ مكانٌ إلّا قد وَطِئه بقَدِمهِ،

---

(١) من قوله: وعلى سجستان عبد الله بن عمير... إلى هنا ليس في (ك)، وانظر الطبري ٤/ ٢٦٤-٢٦٥، والمنتظم ٥/ ٣-٤.

(٢) المنتظم ٥/ ٥، والحديث في مسند أحمد (١٦٠٥) و(٤٦٤٦) و(٧٢٥٣) و(١٤٦٩٤) و(١٦١١٧) و(١٦٧٣١) و(٧٧٣٤) و(٢٦٨٣٥) عن سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي هريرة وجابر وابن الزبير وجبير ابن مطعم وعائشة وميمونة ﷺ، وانظر صحيح البخاري (١١٩٠)، وصحيح مسلم (١٣٩٤-١٣٩٦).

فصارت كلُّها مسجداً، فيحتمل أن معنى قوله ﷺ: «صلاةٌ في مسجدي»؛ تَرغيبٌ في الصلاة فيه، فأما إذا زِيَد فيه، فإنَّ الزائدَ يَصير تَبَعاً، فيكون له حُكْمُ الكُلِّ؛ لأن بَركته ﷺ تعمُّ الدنيا بأسرِها، ألا ترى أن عمر وسَّع في المسجدِ الحرامِ، والصلاةُ فيه في الفضيلةِ سواءٌ[1].

فصل: وحجَّ بالناس عثمان، وأتمَّ الصلاةَ بمكَّةَ وعَرفة، وضرب بمنىً فُسْطاطاً، وصلّى أربعاً.

وقال الواقدي: صلّى عثمان بمنى ومكَّةَ وعرفة أوَّل خلافته ركعتين ركعتين، حتى إذا كانت السنة السادسة من خلافتهِ صلّى أربعاً، فعاب الناسُ عليه ذلك، وهذا ثامنُ أمرٍ عابوه عليه، قال: وجاءه عليٌّ فقال: ما هذا؟ ما حَدَث أمرٌ ولا قَدُم عَهدٌ، وقد صلَّينا ها هُنا مع النبي ﷺ وأبي بكرٍ وعمر ركعتين، وفعلتَه صَدراً من خلافتك، فلمَ أحدثتَ هذا؟ فقال: رأيٌ رأيتُه، فقال: بئس ما رأيت.

وجاءه عبد الرحمن بنُ عوف فأغلظ له، فقال: إني اتَّخذتُ بمكة أهلاً، ولي بالطائف مالٌ، وربما أقمتُ بعد الصَّدَرِ، فقد صرتُ من أهلها، وإن حُجّاجَ اليمنِ قالوا في العام الماضي: الصلاةُ للمقيمِ ركعتان، وهذا إمامكم يُصَلِّي ركعتين وهو مقيمٌ، فقال له عبد الرحمن: لا عُذْرَ لك فيما ذكرتَ.

وأما أهلُ اليمنِ فقد ضرب الإسلام بجِرانِه، وفعل رسول الله ﷺ ذلك، وكان الناس حينئذٍ قليلاً، ولم يَفهموا ما قال رسولُ الله ﷺ حتى بيَّنه بفعلهِ وقولهِ: «أتِمُّوا صلاتكم فإنا قومٌ سَفْرٌ»[2].

وأما قولُك: إنك صِرتَ من أهلِ مكَّةَ، فلست من أهل مكة، زوجتك بالمدينة،

---

(١) من قوله: وذكر جدي... إلى هنا ليس في (خ) و(ع)، والحديث أخرجه أحمد (١٤٢٦٤)، والبخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطيالسي (٨٤٠) و(٨٥٨)، وأبو داود (١٢٢٩)، وابن خزيمة (١٦٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ١٥٤ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

تَقدم بها إذا شئتَ، وتَخرجُ بها إذا شئتَ، فهي تَسكُنُ بسُكْناك.

وأما مالُك بالطائف؛ فبينك وبين الطائفِ ثلاثُ ليالٍ، فلستَ من أهلِ الطائف.

ثم خرج عبد الرحمن فلَقي ابنَ مسعودٍ، فعرَّفه ما قال عثمان فقال: الصلاة ركعتان واتفقت الصحابةُ على ذلك(١).

وقال الهيثم: اعتذر عثمانُ بكثرةِ الخَلْقِ، وأن فيهم الأعجميَّ الذي لا يفهم، فخاف أن يعتقدوا أن صلاةَ الظهرِ ركعتان. فلم يقبلوا عُذْرَه وقالوا: خالَفتَ رسول الله والخليفتين.

وأخرج أحمد في «المسند» بمعناه، بإسناده إلى محمد، عن القاسم بن عوف الشيباني(٢)، عن رجلٍ قال: كُنّا قد حَملْنا لأبي ذَرٍّ شيئاً نُريدُ أن نُعطيَه إيّاه، فأتينا الرَّبَذَةَ، فسألنا عنه فلم نَجِدْه، وقيل: استأذن في الحجِّ فأُذِنَ له، فأتيناه وهو في مِنىً بمكانٍ يُقال له: البلدة، فبينما نحنُ عنده إذ قيل: صلّى عثمان أربعاً، فاشتدّ ذلك على أبي ذَرٍّ وقال: صلَّيْتُ مع رسول الله ﷺ وأبي بكرٍ وعمر ركعتين، ثم قام أبو ذَرٍّ فصلّى أربعاً، فقيل له: عِبتَ على أمير المؤمنين شيئاً ثم صَنعْتَه؟! فقال: الخلافُ أشدُّ، إن رسول الله ﷺ خطبنا فقال: «إنَّه سيكون بعدي سُلطانٌ فلا تُذِلُّوه، فمَن أذلَّه فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عُنُقِه، وليس بمقبولٍ منه [توبةٌ] حتى يَسُدَّ ثُلْمتَه التي ثَلَم، وليس بفاعلٍ، ثمَّ يعود فيكون فيمن يُعِزُّه».

ثم أمرنا رسولُ الله ﷺ أن لا يَغلبونا على ثلاثٍ: أن نَأمُرَ بالمعروفِ، ونَنهى عن المنكرِ، ونُعلِّمَ الناسَ السُّنَنَ.

وهذا الحديث يدلُّ على أنَّ أبا ذَرّ إنَّما قال ذلك بعدما نفاه عثمان إلى الرَّبَذَةِ.

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤/ ٢٦٧ـ٢٦٨.

(٢) في (ك): بإسناده إلى محمد بن القاسم بن عوف الشيباني، وهذا الخبر ليس في (خ) و(ع)، والمثبت من مسند أحمد (٢١٤٦٠).

فصل وفيها تُوفي

سلمان بن ربيعة

ابن يزيد، أبو عبد الله الباهلي، وذكره ابنُ سعد في الطبقةِ الأولى من أهل الكوفةِ ممن يروي عن عمر بن الخطاب، ولم يَرْوِ عن عليٍّ وابن مسعود، قال: وولّاه عمرُ القضاءَ على الكوفةِ[1].

وحكى أبو بكر الخطيبُ، عن أبي وائلٍ قال: رأيتُ سلمان بن ربيعةَ جالساً بالمدائنِ على قضائِها لما استقضاه عمر أربعين يوماً، فما رأيتُ بين يديه رَجُلَيْن يَختصمان، فقيل لأبي وائل: فممَّ ذلك؟ فقال: من انتصافِ الناسِ فيما بينهم[2].

وقال هشام بن محمد، عن أبيه[3]: شهد سلمانُ فُتوحَ الشامِ والعراقِ، ثم سكن الكوفةَ فنُسِبَ إليها. وولّاه عمر القضاء على الكوفةِ، وهو أوَّلُ من وَليَ القضاءَ بها. ثم ولي غَزْوَ أرمينية في خلافة عثمان.

وقال الواقدي: كان يحجُّ سنةً ويغزو سنةً، وكان أبو موسى أميراً على الكوفة، وسلمانُ يقضي في المسجدِ، وقد ذكرنا أنَّه قُتِل ببَلَنْجَر، قال أبو وائل: ولاه عثمانُ غَزْوَ أرمينية[4] فاستُشهد هناك، وقبرُه ظاهِرٌ يُتبارَك به، وجعلوا عِظامَه في تابوتٍ، فإذا احتبَس عنهم القَطْرُ أخرجوه، فاستسقوا به فيُمطرون، فقال الباهلي الشاعر:

وإنَّ لنا قَبرين قبرُ بَلَنْجَرٍ ... وقبرٌ بأعلى الصّين يا لكَ من قَبرِ
فهذا الذي بالصينِ عمَّتْ صِلاتُه ... وهذا الذي بالتُّرْكِ يأتيكَ بالقَطْرِ

وأراد بالذي بالصين: قبرَ قُتيبة بن مُسلم، وهو بفَرْغانة، فجعله بالصين، وببَلَنْجَر قبر سلمان[5].

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٥٢.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ٢٠٦.

(٣) من قوله: ولم يرو عن علي... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٤) من قوله: وكان أبو موسى أميراً... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٥) المعارف ٤٣٣، والاستيعاب (٩٤٩)، وفتوح البلدان ٢٠٦، وتاريخ دمشق ٧/ ٤٣٧، والمنتظم ٥/ ٥-٦، =

عُبيد الله[1] بن مَعمر بن عثمان التّيمي

أبو معاذ، رأى رسول الله ﷺ، وفي صُحبته وروايته خلاف، وَفَد على معاوية فأنشده: [من طويل]

إذا أنـتَ لا تُـرخِ الإزارَ تَـكَـرُّمـاً على الكِلمةِ العَوراءِ من كلِّ جانبِ
فمَن ذا الذي نَرجو لحقنِ دمائنا ومَن ذا الذي نَرجو لحَمْلِ النّوائب

وقال يزيد بن هارون: كان عُبيد الله[2] أميراً على فارس، كتب إلى عبد الله بن عمر وهو أمير عليها[3]: أما بعد، فإنا قد استقررنا فلا يُخاف علينا العدو، وقد أتتْ علينا سبعُ سنين، وولد لنا الأولاد، فكم صَلاتُنا؟ فكتب إليه ابنُ عمر: ركعتان.

غزا عبد الله بنُ عامر اصْطَخْر سنة تسعٍ وعشرين، وعلى مُقدّمته عبيد الله بن معمر، فقتل وسبى، وقاتلوه قتالاً شديداً، وقُتل ابنُ معمر، فأقسم ابن عامر لئن افتتحها عَنوةً ليَقتُلَنّ بها حتى يَسيلَ الدّمُ من باب البلد، ففتحها عَنوةً، فوضع السيف فيها، فقتل خلقاً كثيراً، ولم يَسل الدّم، فقيل له: أفنيتَ الناس، فأمر بصبّ الماء على الدّم، حتى خرج من أبواب المدينة.

وكان له من الولد: عمر ومعاذ وعثمان وموسى.

فأما عمر فأحدُ أجواد العرب، وأنجادها وسادتها وفُرسانها، كان يلي الولايات، وهو الذي قتل أبا فُدَيْك الحَروري وهزم جيشه، ووَلي قتالَ الأزارقة، وضرب أميرَهم قَطَري بن الفُجاءة ففَلق جَبينه، فقيل لقطري: المفَلَّق، قال الشاعر: [من الطويل]

وشَدُّوا وِثاقي ثم أَلْجَوْا خُصومَتي إلى قَطَريٍّ ذي الجَبينِ المُفَلَّقِ

وشهد عمر مع عبد الرحمن بن سَمُرة فتحَ كابُل، وهو صاحبُ الثُّغرة، قاتل عليها

= والإصابة ٢/ ٦١، ومعجم البلدان ١/ ٤٩٠.

(١) في (خ) و(ع): عبد الله، ومن هنا إلى بداية السنة ثلاثين ليس في (ك).

(٢) في (خ) و(ع): كان أبو عبد الله

(٣) في تاريخ دمشق ٤٤/ ٤٣٠: كتب عبيد الله بن معمر القرشي إلى عبد الله بن عمر وهو أمير على فارس. وهو أوضح مما هنا.

حتى أصبح.

واشترى جاريةً بمئةِ ألفٍ، فقال مولاها وهو يُودِّعها : [من الطويل]

سلامٌ عليكم لا زيارةَ بيننا ولا وَصْلَ إلا أن يَشاءَ ابنُ مَعْمَرِ

فقال: قد شِئتُ، خذها وثَمنَها.

ومات بضُمَيْر على خمسةَ عشر ميلاً من دمشق، وسببُ موته أن ابنَ أخيه خَرج مع ابن الأشعث فأخذه الحجّاج، وبلغ عُمر وهو بالمدينة، فخرج إلى عبد الملك يَسأله فيه، فلما بلغ ضُمَيْر وصله خبرُ ابنِ أخيه أن الحجّاج قتله، فماتَ عُمر كَمداً، فقال الفرزدق: [من البسيط]

يا أيّها النّاس لا تَبكُوا على أحَدٍ بعد الذي بضُمَيْرٍ وافق القدرا

وذلك سنة اثنتين وثمانين[1].



(١) انظر في ترجمة عبيد الله وابنه نسب قريش ٢٨٨ ، والاستيعاب (١٦١٤)، وتاريخ دمشق ٤٤/ ٤٢٦ و٥٤/ ٢٢٩ ، والتبيين ٣٣٢ ، والإصابة ٢/ ٤٤٠ ، والكامل ١٢٦٨ ، وديوان الفرزدق ١/ ٢٣٥ (صادر).

السنة الثلاثون[١]

وفيها عزل عثمانُ الوليدَ بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ عن الكوفة، وولّاها سعيد بن العاص، وكان الوليد قد شَرب الخمرَ، وأمر عثمان به فجُلِدَ، يعني أخذ الحدَّ منه[٢].

واسم أبي مُعَيط: أبان، قتل رسول الله ﷺ عُقبة بعد غزاة بدرٍ صَبْراً، وأبو مُعَيط هو ابن أبي عَمرو بن أُمية بن عبد شمس، وكان أبو عَمرو قد سمى نفسه ذكوان، وكان عبداً، فاستلحقه أُميّة، وكنّاه أبا عمرو، فخلف على امرأة أمية، وهي بنتُ أبان أمُّ الأعْياص.

وكان خرج أُميةُ بن عبد شمس إلى الشام، فأقام بها عشرَ سنين، فوقع على أَمةٍ للخم يهوديّة من أهل صَفّورية، فولدت ذكوان بن أمية، وهي على فراش اليهودي، فاستلحقه أمية، ثم قدم به مكة؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ لعُقبةَ بن أبي مُعَيْط يوم قتله بالصفراء لما قال له: يا محمد، ناشدتُك اللهَ والرَّحِم، فقال له رسول الله ﷺ: «هل أنت إلا يهوديٌّ من أهل صَفُّورية».

وأم الوليد بن عُقبة: أروى بنتُ كُرَيْز بن ربيعة أم عثمان بن عفان رضوان الله عليه.

وكان الوليد يدعى الأشعر[٣]، وأسلم يوم الفتح، وبعثه رسول الله ﷺ على الصدقات فخاف.

وفيه نزل: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾[السجدة: ١٨] وكان يُدعى الفاسق.

ولما عَزل عثمان رضوان الله عليه سعدَ بن أبي وقاص رضي الله عنه عن الكوفة، وولّى الوليد قال الناس: بئس ما فعل، عَزل أبا إسحاق الهيِّن اللّيّن، الديّن الوَرِع المستجاب، وولّى أخاه الخائن الفاسق.

(١) قوله: السنة الثلاثون، ليست في (خ) و(ع).

(٢) من هنا إلى قوله: وقال الواقدي ولما ولى عثمان سعيد، ليس في (ك).

(٣) انظر العقد الفريد ٢/ ٤٦٦ .

وأقام الوليد على الكوفة خمسَ سنين لم يُغلق له باب، وكان أحبَّ الناس إليه فُسَّاقهم وسفاؤهم، لرفقه بهم[١].

وكان عمر رضوان الله عليه قد وَلّى الوليد على عرب الجزيرة، وكانوا أخوالَه، وفيهم أبو زُبَيْد النَّصراني، فنادمه الوليد على الخمر، وقطعه إليه، وكان شاعراً.

وكان سببُ شهادة أهل الكوفة على الوليد بُشرب الخمر: أنه كان بالكوفة رجلٌ يقال له: ابن الحَيْسُمان الخُزاعي[٢]، ذو مال، وإلى جانبه أبو شُرَيح الخُزاعي من الصحابة، فاجتمع شبابٌ من أهل الكوفة، فنقبوا دار [ابن] الحَيسُمان، فخرج عليهم وبيده السيف، وصاح فأشرف عليه أبو شُريح وعلم بهم، وقاتلهم ابنُ الحيسمان فقتلوه، وكَثُر الناس عليهم، فأخذوهم، وفي الناس زهير بن جُندب الأزديّ ومُوَرّع بن أبي مُوَرّع الأَسَدي، وشُبَيل بن أُبَيّ الأزدي وغيرهم، وشهد عليهم أبو شُريح الخزاعي وابنُه أنهم دخلوا على ابن الحيسمان فقتلوه.

وكتب الوليد إلى عثمان رضوان الله عليه يُخبره، فكتب إليه: اقتلهم، فقتلهم.

وارتحل أبو شُريح الخزاعي إلى المدينة، وأقام أولاد المقتولين[٣] يتربّصون بالوليد بن عُقبة الدّوائر، ويَحفرون له الحفائر، ويَضعون عليه [العيون]، فرصدوه ليلةً وهو يُنادِمُ أبا زُبَيد النصراني على الخمر، فاقتُحم عليه داره، ولم يكن لها باب، والوليد بين يديه طَبقٌ فيه عِنَب، فأدخل النّصرانيّ تحت السرير، فاستحيى منهم فخرجوا.

وطوى الوليد ذلك عن عثمان رضوان الله عليه، وجاء جماعةٌ منهم: جُندب بن زهير الأزدي إلى ابن مسعود، فقال له: الوليد يَعكِف على شرب الخمر، فقال: مَن استَتَر عنّا لم نَتْبَعْه، وبلغ الوليد فعتب على ابن مسعود في استماعه كلامهم، فتلاحَيا وافترقا عن تغاضُب.

---

(١) في (خ) و(ع): لزيقه بهم؟! ولعل المثبت هو الصواب.

(٢) في (خ) و(ع): أبو الجشماني الخزاعي، والمثبت من الطبري ٤/ ٢٧٢.

(٣) كذا، والذي في الطبري ٤/ ٢٧٣ـ٢٧٤ أنهم آباء المقتولين.

وأُتي الوليد بساحر يهودي من أهل بابل، وكان يَصنع ضُروباً من السِّحر، دخل يوماً على الوليد، فأراه فيلاً يَركض على فرسٍ في المسجد، ثم أراه حماراً دخل في فِيه وخرج من دُبره، ثم ضرب عُنقَ رَجُلٍ وفرَّق بين رأسه وجسده، ثم أحياه، وكان أعيان أهل الكوفة حاضرين عند الوليد، فاخترط جُندب الخير السيفَ وقال: جاء الحقُّ وزهق الباطل، وضرب رأسَ السَّاحر فأبانه، فحبسه الوليد، وأراد قتلَه، فأطلقه السَّجَّان، وهرب جُندب إلى المدينة، فقتل الوليد السَّجَّان، وصَلبه بالكُناسَة، فثار الناس بالوليد.

قال عُبيد بن لاحق: كان رسول الله ﷺ في سفر، فنزل رجلٌ من القوم فساق بهم ورجز، ثم نزل آخر، ثم بدا لرسول الله ﷺ أن يُواسي أصحابَه، فنزل، فجعل يقول: «جندب وما جندب، والأقطع زيد الخير» فقال له أصحابه: ما هذا؟ قال: «رجلان يكونان في هذه الأمة، يَضرب أحدُهما ضَربةً يُفرِّقُ بها بين الحقِّ والباطل، والآخر تُقطَع يدُه في سبيل الله، ثم يُتبع الله آخرَ جسده أَوَّلَه».

فجُندب بن زهير العامريّ الأزديّ هو المذكور، وزيد الخير هو زيد بن صُوحان، شهد جَلولاء وقُطعتْ يدُه، وشهد الجَمل وقُتل يومئذ زيد أخو صَعْصَعة بن صُوحان[(١)].

ولما فعل الوليد بجُندب ما فعل غضب الأزد، وقدم أعيانُهم على عثمان رضوان الله عليه، وفيهم جَثّامة بن الصَّعْب، وطلبوا عَزْلَ الوليد، فغضب عثمان رضوان الله عليه وقال: خرجتُم بغير إذن وَاليكُم، فقال جَثّامة: أبعد اللهُ والينا، وخرجوا غضاباً على عثمان رضوان الله عليه، فقَدِموا الكوفة، ولم يلتفتوا إلى الوليد، وأقاموا يَطلبون غِرَّتَه، حتى سَكِر ليلةً، فدخل عليه جُندب بن زُهَير، وزهير بن عَوْف، وأبو مُوَرِّع، وكلُّهم من الأزد، وأبو خُشَّة الغِفاري[(٢)]، فقدموا المدينة، فشهدوا عليه عند عثمان رضوان الله عليه.

وقال سيف: كان عند الوليد امرأتان: ابنةُ ذي الخِمار وابنةُ أبي عَقيل، فدخل عليه

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٤٣.

(٢) في (خ) و(ع): أبو جهينة، والمثبت من الطبري ٤/ ٢٧٥، وانظر أنساب الأشراف ٥/ ١٣٨.

أبو مُوَرِّع وأبو زينب وهو نائم سَكران، فأكبّا عليه، وأخذوا خاتمه، وانتبه الوليد، فسأل الوليد عن الخاتم فقالا: ما رأيناه.

وقال ابن عيّاش: كان الوليد مُدمناً على شُربِ الخمر، فشرب ليلةً مع نُدَمائه من أول الليل إلى الفجر، فلما أَذَّن المؤذّن لصلاة الفَجر خرج إلى المسجد، فصلّى بالناس أربع ركعات، وهو في غِلالة، وجعل يقول في سجوده وركوعه: اشرب واسقني، ثم قاء في المحراب وهو في الصلاة، فلما سَلَّم من الرابعة قال: أَزيدُكم، ولا يَدري أين هو، فقال له ابنُ مَسعود: مازِلْنا منك في زيادةٍ منذ اليوم، لا زادك الله خيراً، ولا مَن بَعثَك إلينا، وأخذ فَردَةَ خُفٍّ فضرب بها وَجه الوليد، وحَصبه الناس، فدخل القَصْرَ والحَصْباءُ تأخذه، وهو يَترنَّح ويقول أبيات تأبَّط شرّاً: [من الطويل]

ولستُ بعبدٍ غير خمرٍ وقَيْنةٍ وإني عن الدِّين الحنيف بمَعْزِلِ
ولكنني أَروي من الخمر هامتي وأمشي مَشْيَ السَّاحبِ المتَسَلْسِلِ

ثم خرجوا إلى عثمان رضوان الله عليه فشهدوا عليه، فقال لجندب: أنتَ رأيتَ أخي يَشربُ الخمر؟ قال: نعم، رأيتُه سكران يَقلِسُها في المحراب من جَوْفه، وصلّى بنا الفجر أربعاً، وشهد الجماعة بذلك، فقال: ومن أين علمتُم أنها خمر؟! فقالوا: شرب الخمرَ التي كنا نَشربها في الجاهلية، فكتب إليه بالقُدوم عليه، فلما قَدِم قال له: ويحك، فقال: اتّقِ الله فيَّ فإنهم خُصوم، فقال: قد شهدوا عليك أنك كنتَ تَقيءُ الخمر، وما يقيئُها إلا شاربُها.

قال المِسْوَرُ بن مَخْرمة وعبد الرحمن بن أبي الأسود لعُبيد الله بن عَديّ بن الخيار: ما يمنعُك أن تُكلِّم أمير المؤمنين في شأن الوليد بن عُقبة، فقد أكثر الناسُ فيه، قال عبيد الله: فقصدتُه حين خرج إلى الصلاة، فقلتُ: إن لي إليك حاجَة، وهي نصيحة، فقال: أيها المرء، أعوذُ بالله منك، فلما انصرف من الصلاة دعاني فقال: ما حاجتُك، ما نصيحتُك؟! فقلتُ: إن الله بعث محمداً بالحقّ، وأنزل عليه الكتاب، وكنتَ فيمن استجاب لله وللرسول، فهاجرتَ الهجرتَين، وصحبتَ رسول الله ﷺ، ورأيتَ هَدْيَه، وقد أكثر الناسُ في شأن الوليد، فقال لي: أدركتَ رسول الله ﷺ؟ قلت: لا ولكن

خلص إليَّ من علمه ما يَخلُص إلى العذراء في سِترها، فقال: إن الله بَعث محمداً بالحق، فكنتُ فيمن آمن بما بُعث به، واستَجبتُ لله ولرسوله، وهاجرتُ الهجرتَين كما قلتَ، ونِلتُ صِهرَ رسول الله ﷺ، وبايعتُه، فوالله ما غضبتُه[١] ولا غَشَشْتُه حتى توفاه الله، وصحبتُ أبا بكرٍ وعمر مثله، ثم استُخلفتُ، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تَبلغُني عنكم، أمَّا ما أحدث من شأن الوليد فسآخذُ فيه بالحقِّ إن شاء الله تعالى، ثم دعا عليّاً فجلده، وفيه يقول الحُطيئة: [من الكامل]

شهد الحُطيئةُ يومَ يَلقى ربَّه ... أنّ الوليد أحقُّ بالعُذْرِ
نادى وقد تَمَّتْ صَلاتُهم ... أأزيدُكم ثَمِلاً ولا يدري
ليزيدَهم أخرى ولو قَبلوا ... لأتَتْ صَلاتُهم على العَشْرِ
فأبَوْا أبا وَهْب ولو قَبلوا ... لَقَرَنْتَ بين الشَّفْعِ والوِتْرِ
حَبَسوا عِنانَك إذ جَمَحْتَ ولو ... خَلّوا عِنانَك لم تَزل تجري[٢]

فصل

وقد حُدَّ في الخمر في صدر الإسلام جماعةٌ منهم: عبيد الله بن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه، وقيل: عبد الرحمن أخوه، وقُدامة بن مَظْعُون، حدَّه عمر رضوان الله عليه ولم يُحدَّ من أهل بدر في شُربِ الخمر سواه، وعاصم بن عمر بن الخطاب، حدَّه على ما قيل بعضُ ولاة المدينة، وأبو مِحْجَن الثقفي، حدَّه سعد بن أبي وقاص ﵁، وعبد الله بن عروة بن الزبير، حدَّه هشام بن إسماعيل المخزومي، وعبد العزيز بن مروان، حَدّه عمرو بن سعيد الأَشْدَق في آخرين.

وقال الواقدي: ولما ولَّى عثمانُ سعيدَ بنَ العاصِ الكوفةَ وقَدِمها قال: لا أصعَدُ

(١) في تاريخ المدينة ٩٧١ : فما خالفتُه ولا غششتُه.

(٢) انظر خبر الوليد في طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧ و٨/ ١٤٧ و٩/ ٤٨١ ، ونسب قريش ١٣٨ ، وأخبار المدينة ٩٧٠-٩٧٦ ، والفتوح ٢/ ١٦٦ ، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٥ ، والمعارف ٣١٨ ، والطبري ٤/ ٢٧١ ، ومروج الذهب ٤/ ٢٥٧ ، وأنساب الأشراف ٥/ ١٣٠ ، والأغاني ٥/ ١٢٢ ، والاستيعاب (٢٧٠٥)، وتاريخ دمشق ١٧/ ٨٦٧ (مخطوط)، والتبيين ٢١٠ ، والسير ٣/ ٤١٢ ، والإصابة ٣/ ٦٣٧ .

المنبرَ حتى تَغْسِلوه من آثار الوليد بن عُقبةَ الفاسق، فإنه نَجِسٌ، فغسلوه. ثم ظهرت بعد ذلك من سعيد بن العاصِ هَناتٌ.

وفيها غزا سعيد بنُ العاصِ طَبَرِسْتان، خَرَج من الكوفة في جُيوشِها، وكان فيهم جماعةٌ من الصحابةِ، منهم الحسنُ والحسين وحُذيفةُ بنُ اليمانِ والعبادِلَةُ: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وخرج عبد الله بنُ عامرٍ في جُيوشهِ من البصرةِ يُريد خُراسان، فسبق سعيدُ بن العاص فنزل قُومِس، ونزل ابنُ عامر أبْرَ شَهْر[1]، وقتلوا وسَبَوْا.

وسار سعيد إلى جُرْجان، ثم أتى طَمِيسة - وهي من طَبَرِسْتان، وهي مدينةٌ على ساحلِ البحرِ - فقاتلهُ أهلُها، حتى صلَّى المسلمون صلاةَ الخوف، ثم طلبوا منه الأمان، فصالحهم على مئتي ألف درهم، وقيل: إنَّه فتحها بالأمان على أن لا يَقتل منهم رجلاً واحداً، وكانوا قد قتلوا في المسلمين، فلما دخلها قتلهم كُلَّهم إلا رجلاً واحداً، واحتوى على ما كان فيها، وصالح أهلَ جُرجان على مالٍ، وعاد سعيد إلى الكوفةِ، وابنُ عامرٍ إلى البصرة.

ثم إنَّ أهلَ جُرْجان نَقضوا العهدَ، ومنعوا الطُّرُقَ التي فتحها سعيد، حتى فتحها قُتيبةُ بنُ مُسلم.

وفيها سقط خاتَمُ رسولِ الله ﷺ من يَدِ عثمان في بئرِ أَريس، وهي على ميلين من المدينة.

قال الواقدي: جلس عثمان على جانبِ البئرِ، فجعل يَعبَثُ بالخاتم في إصبعه، فسقط فيها، وكانت أقلَّ الآبارِ ماءً وطيناً وحَمأة، فغرم عثمان أموالاً كثيرةً على نَزْحِها، فلم يُوجَدْ، وكان من فِضَّةٍ ونَقْشُه: محمد رسولُ الله، وكان عثمان قد زاد على الكتابةِ: آمنتُ بالذي خلق فسَوَّى، ولمّا لم يَقْدِروا عليه قال عبدُ الله بن سلام: إنّا لله وإنّا إليه راجِعون، ستضطربُ الأُمور بعد اليومِ، فكان كما قال.

وقيل: إنَّما سقط من يدِ مُعَيْقيب، تَخَتَّم به بأمرِ عثمان. والأوَّلُ أصحُّ.

---

(١) في النسخ: منوشهر، ولم أجدها في معاجم البلدان، والمثبت من الطبري ٤/ ٢٦٩ .

وفيها زاد عثمان النّداءَ على الزَّوراءِ، وهي دارُه التي بناها، وكان أذاناً واحداً يومَ الجُمعةِ، فلما كَثُر الناسُ زاد هذا النداء الثاني، ويُسَمّى ثالثاً، وإنَّما صار ثالثاً بإضافته إلى الإقامة(١).

وفيها أشْخَصَ معاوية رضي الله عنه أبا ذر إلى المدينة من الشام بأمر عثمان؛ وذلك أنهما اختلفا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ...﴾ الآية [التوبة: ٣٤]. قال أبو ذر: نزلت فينا، وقال معاوية: في أهل الكتاب، وجعل أبو ذر يقول: يا معشر الأغنياء، واسُوا الفقراء، ويتلو الآية، وكان معاوية يقول: المال مال الله، فقال أبو ذر: لا تقل كذا، ولكن قل: مال المسلمين.

ورُوي عن محمد بن سيرين أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «إذا بلغ البِناءُ سَلْعاً فاخرُج منها، ونَحَا بيده نحو الشام، قال: ولا أرى أُمراءَك يَدعونك»، قال: يا رسول الله، أفلا أُقاتل مَن يحول بيني وبين دارك(٢)؟ قال: لا، قال: فما تأمُرني؟ قال: «اسمَع وأطِعْ ولو لعبدٍ حَبَشيٍّ».

قال: فلما كان ذلك خرج إلى الشام، فكتب معاوية إلى عثمان: أبا ذرّ، قد أفسد الناس بالشام، فبعث إليه عثمان، فقَدِم عليه، ثم بعثوا أهله من بعده، فوجدوا عندهم كيساً، أو شيئاً، فظنُّوا بها دراهم، فقالوا: ما شاء الله، فإذا هي فلوس.

فلما قدم المدينة قال له عثمان: كُن عندي، تَغدو عليك وتَروح اللّقاح، قال: لا حاجةَ لي في دُنْياكم، ثم قال: ائذَن لي حتى أخرجَ إلى الرَّبذة، فأذن له، فخرج إلى الرَّبَذة وقد أُقيمت الصّلاة، وعليها عبدٌ لعثمان حَبَشي، فتأخَّر، فقال له أبو ذرّ: تَقدَّم فَصَلِّ، فقد أُمِرتُ أن أسمعَ وأُطِيعَ ولو لعبدٍ حَبَشيٍّ، فأنتَ عبدٌ حَبَشيّ.

ورُوي عن شيخٍ وامرأتِه من بني ثعلبة قالا: نزلْنا الرَّبَذَة، فمرَّ بنا شيخٌ أشعثُ أبيض الرأس واللّحية، فقالوا: هذا من أصحاب رسول الله ﷺ، فاستأذنّاه أن نَغسِل رأسَه، فأذِن لنا، و استأنَس بنا، فبينا نحن كذلك إذ أتاه نفرٌ من أهل العراق، فقالوا: يا أبا ذرّ، فعل بك هذا الرجل وفعل، فهل أنت ناصبٌ لنا رايةً، فنُمَلّكك برجالٍ ما شئتَ؟

(١) من هنا إلى قوله: وفيها توفي أبي بن كعب، ليس في (ك).
(٢) في طبقات ابن سعد ٤/ ٢١٢ : أمرك.

فقال: يا أهلَ الإسلام، لا تَعرضوا عليّ ذاكم، ولا تُذِلُّوا السُّلطان، فإنه مَن أَذَلَّ السُّلطان فلا تَوبةَ له، والله لو أن عثمان صَلَبني على أطول خَشبةٍ لسَمعتُ وأَطعتُ واحتسبتُ، ورأيتُ أن ذلك خيراً لي، ولو سَيَّرني ما بين المشرق والمغرب لسمعتُ وأطعتُ، وصبرتُ واحتسبتُ، ورأيتُ أن ذلك خيراً لي، ولو رَدَّني إلى منزلي لسَمِعتُ وأطعتُ واحتسبتُ، ورأيتُ أن ذلك خيراً لي.

وقال عبد الله بن سيدان: تناجى أبو ذَرّ وعثمان حتى ارتفعت أصواتُهما، ثم انصرف أبو ذرّ مُبتسِماً، فقيل له: مالك ولأمير المؤمنين؟ فقال: سامعٌ مُطيع، ولو أمرني أن آتيَ صَنْعاء أو عَدَن، ثم استطعتُ أن أفعل ذلك لفَعلتُ.

ولما سَيَّر عثمان رضوان الله عليه أبا ذرّ إلى الرَّبَذَة خرج معه عليٌّ وابناه الحسن والحسين، وأخوه عَقيل، وابنُ أخيه عبد الله بن جعفر، وعمار رضوان الله عليهم، فاعترضهم مروان بن الحَكَم وقال: يا عليّ، إن أمير المؤمنين نهى الناس أن يُشيِّعوا جُندباً، فإن كنتَ لم تعلم فقد أعلمتُك، فقال له: يا ابن الملعون، وحمل عليه بالسَّوط، وضربه على وَجهه، فحاد عنه فوقع بين أُذُنَي راحلته، فانهزم، ومضى عليّ رضوان الله عليه يودع أبا ذرّ، فبكى أبو ذر وقال: رحمةُ الله عليكم أهلَ البيت، إذا رأيتُك ورأيتُ وَلَدَيْك فكأني رأيتُ رسول الله ﷺ.

ونَفيُ أبي ذر رضي الله عنه تاسِعُ أمرٍ أُخِذَ على عثمان رضوان الله عليه.

وفيها سار ابنُ عامر خلفَ يَزدجرد إلى فارس، فهرب إلى كَرْمان، فبعث ابنُ عامر خَلْفه مُجاشِع بن مسعود السُّلَمي، فسقط الثَّلجُ عليه وعلى من معه، فمات مُعظمُ أصحابه، فنزل قصراً على خمسة فراسخ من السِّيرَجان، فهو يُسمّى قصرَ مُجاشع إلى اليوم.

وحجَّ بالناس عثمان رضوان الله عليه.

فصل وفيها تُوفي

أُبيّ بن كعب

ابن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، وأمُّه صُهيلة بنت

الأسود بن حرام.

وهو أحدُ بني حُدَيْلة. واختلفوا فيها: فقال ابنُ مَنْدَه: حُدَيْلَةُ اسمُ أبيهم معاوية بن عمرو.

وكُنيةُ أُبيّ: أبو المنذرِ، كنَّاه بها رسولُ الله ﷺ. وكنّاه عمر بن الخطاب أبا الطُّفَيْلِ.

وقال ابنُ مَنْدَه: سمَّاه رسولُ الله ﷺ سيِّدَ الأنصارِ وأوحدَ القُرَّاء.

وأُبيّ من الطبقة الأولى من الأنصارِ، وشهد العَقَبَةَ مع السَّبْعِين، وبدراً وأُحداً والمشاهِدَ كُلَّها مع رسولِ الله ﷺ.

وكان يُسَمّى الكامل في الجاهليةِ؛ لأنه كان يُحسِنُ الكتابةَ والرَّميَ والسّباحةَ، وهو كاتِبُ الوحي، وأحدُ القُرَّاءِ الذين جمعوا القُرآن على عهدِ رسولِ الله ﷺ حِفْظاً، وأحدُ أربابِ الفتوى على عهدِ رسولِ الله ﷺ، وأَمَرَ اللهُ رسولَه أن يقرأ عليه القُرآن.

ذِكرُ صفته: حكى ابنُ سعدٍ عن الواقدي، عن أشياخهِ قال: كان أُبيٌّ رجلاً دَحْداحاً، ليس بالقصير ولا بالطويلِ، أبيضَ الرأسِ واللحيةِ، لا يُغيِّرُ شَيْبَه.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أبي نَضْرةَ قال: قال رجلٌ منّا يقال له جابر أو جُوَيبر: طلبتُ حاجةً إلى عمر في خلافتِه، وإلى جَنْبِهِ رجلٌ أبيضُ الشّعر أبيضُ الثيابِ، فقال: إنَّ الدنيا فيها بلاغُنا وزادُنا إلى الآخِرةِ، وفيها أعمالُنا التي نُجْزى بها في الآخِرَةِ، فقلتُ: مَن هذا يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: هذا سيِّدُ المسلمين أُبيُّ بن كعب[١]. وفي روايةٍ: إن الدنيا فيها بلاغُنا، وهي زادُنا إلى الآخرةِ.

ذِكرُ بعض فضائله: قال أحمد بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ لأُبيّ بن كعب: «إنَّ الله أمرني أن أقرأَ عليك ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[البينة: ١]، قال أُبيّ: أوَسمَّاني الله لك؟ قال: «نعم»، فبكى. أخرجاه في «الصحيحين»، وللبخاري: أوَذُكِرْتُ عند ربِّ العالمين؟ قال: نعم فذَرَفَتْ عيناه[٢].

وإنما خصَّ سورة «لم يكن» لما فيها من التوحيدِ والرسالة والمعاد وغير ذلك.

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٢.

(٢) مسند أحمد (١٢٣٢٠)، وصحيح البخاري (٣٨٠٩) و(٤٩٦١)، وصحيح مسلم (٧٩٩).

وقال أبو نُعيم بإسناده عن معاذ بن محمد بن أُبيّ بن كعب، عن أبيه، عن جدِّه، عن أُبيّ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا أُبيّ، إني أُمرتُ أن أعرِضَ عليك القُرآن» قال: فقلت: يا رسولَ الله، بالله آمنتُ، وعلى يَدِكَ أسلمتُ، ومنك تعلَّمتُ، فردَّ عليه رسولُ الله القولَ، فقال: يا رسولَ الله، أَوَذُكِرْتُ هناك؟ قال: «نعم باسمِكَ ونَسبِك في الملأ الأعلى»، قال: فاقرأ إذن يا رسولَ الله(١).

وعن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيّ بن كعب قال: قال لي النبيّ ﷺ: «إني أمرتُ أن أقرأ عليك القرآن»، قلتُ: يا رسول الله، وقد ذُكرتُ هناك؟ قال: «نعم»، فقلتُ له: يا أبا المنذر، ففرحتَ بذلك، قال: وما يَمنعنُي أن أفرح والله تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الآية [يونس: ٥٨](٢).

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أنسٍ بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أقرأ أُمتي أُبيُّ ابن كعب»(٣).

وقال مسلم بإسناده عن أُبيّ بن كعب قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أيّ آيةٍ في كتابِ اللهِ معك أَعظَمُ؟» قال: فقلتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، قال: فضرب في صَدْري وقال: «لِيَهْنِكَ العلم أبا المُنْذِر». انفرد بإخراجه مسلم(٤).

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن عمران بن عبد الله قال(٥): قال أُبيّ بن كعب لعمر بن الخطاب: مالَكَ لا تستعملني؟ قال: أكره أن يَدْنَسَ دِينُك(٦).

قال مسروق: سألتُ أبيَّ بن كعب عن مسألة، فقال: يا ابن أخي، أكان هذا؟

---

(١) من قوله: ذكر بعض فضائله... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٢) الخبران في الحلية ١/ ٢٥١، ومن قوله: عن عبد الرحمن بن أبزى... إلى هنا ليس في (ك).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٣.

(٤) صحيح مسلم (٨١٠).

(٥) من قوله: وقال ابن سعد بإسناده عن أنس... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٦) في هامش (ع) حاشية نصّها: قوله إنه سأل عمر الولاية ليس بصحيح، ولم ينقله أصحاب الأخبار، والثبت أنه سئل في ذلك مراراً كثيرة، ولعل هذا من النقل بعد المصنف.

قلت: لا، قال: فأجمَّنا حتى تكون، فإذا كانت اجتهدنا رأيَنا[١].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أبي المهلب، عن أُبيّ بن كعب أنَّه كان يَختم القُرآن في ثماني ليالٍ، وكان تَميم الدّاريّ يَختمه في سبعٍ[٢].

وقال الواقدي[٣]: شهد أُبيٌّ الجابيةَ مع عمر بن الخطاب، وكتب كِتابَ الصُّلْحِ لأهل بيتِ المَقْدِس.

وقال الهيثم بن عَديّ: تقاضى العباسُ وعمر إلى أُبيّ في شيءٍ، فحكم على عمر، فقال له عمر: ما من أحدٍ من أصحاب رسولِ الله ﷺ أجرأُ عليَّ منك، فقال أُبيٌّ: لا، بل ما فيهم أنصحُ لك مني[٤].

وقال أبو نُعيم بإسناده عن أُبيّ بن كعب أنَّه سأل رسولَ الله ﷺ: ما جزاءُ الحُمّى؟ قال: «تُجري الحسنات على صاحبها ما اختَلَج عليه قَدَمٌ، أو ضَرَبَ عليه عِرْق»، فقال أُبيٌّ: اللهمَّ إني أسألُكَ حُمَّى لا تَمنعُني خُروجاً في سبيلك، ولا خُروجاً إلى بيتكِ، ولا مسجد نبيّك ﷺ، قال: فلم يُمْسِ أُبيٌّ قط إلا وبه الحُمّى حتى مات[٥].

وكان يَحجُّ ويَعتمر ويَصوم ويُصلّي ويُجاهدُ في سبيلِ الله إلى أن ماتَ.

ذِكْرُ وفاته رضي الله عنه: واختلفوا فيها، زعم قومٌ أنَّه مات في سنة اثنتين وعشرين، واحتجّوا بأنَّ عمر قال: اليوم مات سيِّدُ المسلمين، والذي قال: اليوم مات سيِّدُ المسلمين غيرُ عمر.

قال ابنُ سعدٍ بإسناده[٦] عن عُتَيّ بن ضَمْرة السَّعدي قال: قَدِمتُ المدينة في يومِ ريحٍ وغُبْرة، وإذا الناسُ يَموجُ بعضُهم في بعضٍ، فقلتُ: ما بالُ الناسِ؟ فقالوا: ما

(١) هذا الخبر ليس في (ك).
(٢) الأخبار الثلاثة في طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٣-٤٦٤.
(٣) من قوله: وقال ابن سعد بإسناده عن أبي المهلب... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).
(٤) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٨٠٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (عبادة - عبد الله بن ثوب) ١٩٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٥) الحلية ١/ ٢٥٥ دون قوله: حتى مات.
(٦) من قوله: وكان يحج ويعتمر... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

أنت من أهل هذا البلد؟ قلتُ: لا، قالوا: مات اليومَ سيِّدُ المسلمين أُبيُّ بن كعب.

وقال الواقدي فيما حكاه عنه ابنُ سعدٍ: إنَّ أهل أُبيٍّ وغيرَ واحدٍ من أصحابنا يقولون: إنَّه مات في خلافة عمر بن الخطاب، سنة اثنتين وعشرين بالمدينة.

قال: وسمعتُ مَن يقول: ماتَ في خلافةِ عثمان سنة ثلاثين، وهو أثبتُ الأقاويل عندنا، وصلى عليه عثمانُ، ودُفِنَ بالبقيعِ؛ وذلك لأن عثمانَ أمره أن يجمعَ القُرآن(١).

قلتُ: والدليل عليه ما روى البُخاري(٢) عن عبد الرحمن بن أَبْزى قال: قلتُ لأُبيّ ابن كعب لمّا وقع الناسُ في أمر عثمان: يا أبا المنذِرِ، كيف المَخْرَجُ من هذا الأمرِ؟ قال: كتابُ الله، ما استبانَ فاعمل به، وما اشتبه فكِلْهُ إلى عامله.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن محمد بن سيرين: أن عثمان جمع اثنَيْ عشر رجُلاً من قُريشٍ والأنصار، فيهم أُبيُّ بن كعب وزيد بن ثابت في جمع القُرآن(٣)، وكذا ذكر جدي في «التّلقيح»(٤) أنَّه مات في سنة ثلاثين، وروى أن الصُّحُفَ التي جُمع فيها القُرآن كانت عند أبي بكرٍ حتى توفّاه الله، ثم عند عمر حتى توفّاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

زاد البخاري، عن ابن شهابٍ، عن أنسٍ: أنَّ حُذيفةَ بن اليمان قَدِمَ على عثمان وهو يُغازي أهلَ الشامِ في فَتْح إرْمِينية وأَذْرَبيجان مع أهل العراقِ، فأفْزَعَ حذيفةَ اختلافُهم في القِراءةِ، فقال لعثمان: يا أمير المؤمنين، أَدْرِكْ هذه الأُمَّةَ قبل أن يَختلفوا اختلافَ اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر: أن أرسلي إلينا بالصُّحفِ نَنْسَخُها في المصاحفِ ثم نردُّها إليك، فأرسلت بها إليه، فأمر زيدَ بنَ ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاصِ، وعبد الله بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحفِ، وقال عثمان للرَّهط القُرشِيِّين: إذا اختَلفتم أنتم وزيدٌ في شيءٍ فاكتبوه بلسانِ قُريش؛ فإنَّما أُنزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا المصاحِفَ ردَّ عثمان الصُّحُفَ إلى حفصة، وأرسل إلى كلِّ أُفُقٍ بمُصْحفٍ مما نَسخوا، وأمر بما سِوى ذلك

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٥، ٤٦٦.

(٢) من قوله: وقال الواقدي فيما حكاه... إلى هنا ليس في (خ) و(ع)، والخبر في التاريخ الكبير ٢/ ٤٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٦.

(٤) ص ١٣٢.

من القُرآنِ فأُحرِقَ، فحرقوا ما كان في صحيفةٍ أو مصحف.

قال زيدٌ: فَقَدْتُ آيةً من سورةِ الأحزابِ حين نَسَخْتُ الصحفَ، وكنتُ أسمعُ النبيَّ ﷺ يقرأُ بها، فالتمسناها، فوجدناها مع خُزيمة بن ثابت الذي جعل رسولُ الله ﷺ شهادتَه شهادة رَجُلين، وهي قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾[الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سُورتها[١].

رَجَعْنا إلى الحديثِ[٢]، فعامَّةُ العلماء على أن أُبيّاً تُوفّي بالمدينةِ.

وبباب شَرقي من دمشق قبرٌ يقال إنَّه قبرُه، والله أعلم بالصوابِ.

وكان له رضي الله عنه من الولد الطُّفيل، ومحمد، وعبد الله، وأم عمر. وأسند عن رسول الله ﷺ مئة حديث وأربعة وستين حديثاً، وروى عنه جماعةٌ من الصحابة والتابعين، رضي الله عنهم أجمعين[٣].

أوس بن ثابت

ابن المنذر بن حرام، من بني النجَّار، أخو حسان بن ثابت، وهو أبو شَدّاد بن أوس، من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخَى بينه وبين عثمان بن عفان رضوان الله عليه، وكانت وفاتُه بالمدينة، وصلّى عليه عثمان رضوان الله عليه، وأُمّه سُخطى بنت حارثة، وكان ثابت خَلَف عليها بعد أبيْه، وكانت العرب لا ترى بذلك بَأساً، ولأوس رضي الله عنه رواية[٤].

أوس بن خَوْليّ

ابن عبد الله بن الحارث بن عُبيد بن مالك بن سالم الحُبْلي، من الطبقة الأولى من

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٧-٤٩٨٨).

(٢) من قوله: وقال ابن سعد بإسناده عن محمد بن سيرين... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٣) انظر في ترجمة أُبيّ: المعارف ٢٦١، وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٤ و٣/ ٤٦٢، والاستيعاب (٢)، وصفة الصفوة ١/ ٤٧٤، والمنتظم ٥/ ٨-٩، وتاريخ دمشق ٢/ ٥٨٣ (مخطوط)، والاستبصار ٤٨، والسير ١/ ٣٨٩، والإصابة ١/ ١٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٦٦، والاستيعاب (٥٢)، والمنتظم ٥/ ٩، والاستبصار ٥٤، والإصابة ١/ ٨٠.

الأنصار، وأُمُّه جَميلة بنت أبي مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك ابن سالم الحُبْلي، أختُ عبد الله بن أُبيّ بن سَلول، وكان يُسمَّى الكامل في الجاهلية وأوّل الإسلام، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وخَلَّفه على السلاح حين دخل مكة لعُمرة القَضيّة ومعه مئتا رجل، وهو الذي نادى عند باب رسول الله ﷺ لما تُوفّي: يا عَليّ، أنشدك الله حَظَّنا من رسول الله ﷺ، فأدخلوه معهم، وآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين شُجاع بن وهب، وكنيتُه أبو ليلى، وليس له رواية(١).

جَبَّار بن صخر

ابن أُميّة بن خَنْساء، من الطبقة الأولى من الأنصار، أحد بني سَلمة، وأمه عتيكة بنت خَرَشة، من بني بَياضة، شهد العَقَبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والخندق، والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين المقداد بن عمرو، وكُنيته أبو عبد الله، وحرس رسول الله ﷺ يوم بدر، وبعثه خارِصاً إلى خَيبر وغيرِها(٢).

حاطب بن أبي بَلْتَعة

ابن عَمرو بن عُمَير اللَّخمي، أحد بني راشدة، من ولد قَحطان، حَليف لبني أسد ابن عبد العُزَّى، وكُنيته أبو محمد، من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها، وهاجر إلى المدينة قديماً، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين رُخيلة بن خالد. وهو الذي كتب إلى أهل مكة يُخبرهم أن رسول الله ﷺ قاصِدُهم في فتح مكة.

وبعثه رسول الله ﷺ بكتابه إلى المقَوْقِس صاحب الإسكندرية، فأقام عنده أياماً ثم استدعاه فقال: إني سائلُك عن شيءٍ فأخبرني، قال: اسأل، قال: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبيٌّ؟ قال: بلى، قال: فما له لم يَدْعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيره؟ قال(٣): ما تقول في عيسى، أنبيٌّ هو؟ قال: نعم، قال: فما بالُه حين أَخَذه قومُه فأرادوا أن يَصلبوه؛ لم يَدْعُ عليهم فيهلكوا حتى رفعه الله إليه؟ فقال: أنت

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠٢، والاستيعاب (٥٣)، والمنتظم ٥/ ٩، والاستبصار ١٨٦، والإصابة ١/ ٨٤.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٣٣، والاستيعاب (٣١٢)، والمنتظم ٥/ ٩، والإصابة ١/ ٢٢٠.
(٣) القائل هو حاطب.

حَكيمٌ، جاء من عند حكيم، وإني مُرسلٌ معك بهدايا إلى صاحبك، وأرسل معك بَذْرَقَةً يُبَذْرِقُونك[١] إلى مكانك، ثم بعث معه بهدايا: منها مارية القبطية، وأختها سيرين، والدُّلْدُل وغير ذلك.

وكان حاطب من الرماة المذكورين، وكانت وفاتُه بالمدينة في سنة ثلاثين، وصلّى عليه عثمان رضوان الله عليه، ودُفن بالبَقيع، وهو ابن خمسٍ وستين سنة، وكان له من الولد: عبد الرحمن ومحمد، وترك يوم مات أربعةَ آلاف دينار، ودراهم وغير ذلك، وكان يتّجر في الطعام وغيره، وله بقيَّةٌ بالمدينة.

ومولاه سعد بن خَوْليّ من قُضاعة، من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً مع مولاه وأحداً، وقتل يوم أُحد شهيداً رحمه الله[٢].

عبد الله بن مَظْعون

ابن حَبيب الجُمحي، من الطبقة الأولى من المهاجرين، وكُنيته أبو محمد، وأمه سُخَيلة بنت العَنْبَس[٣]، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وقيل الثانية بغير خلاف، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين سهل بن عُبيد بن المعَلّى الأنصاري، وتُوفّي بالمدينة وهو ابن ستين سنة، وقيل ثلاث وستين، وليس له رواية رضي الله عنه[٤].

عمرو بن أبي عمرو

ابن ضَبَّة الفِهري، كُنيته أبو شَدّاد، من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً وهو ابنُ ثلاثين سنة، وأحداً والمشاهد كلَّها، وليس له رواية رضي الله عنه[٥].

---

(١) البذرقة: الحراس يكونون مع القافلة.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٠٦، ١٠٧، والمعارف ٣١٧، والاستيعاب (٥٢٩)، والمنتظم ٥/ ٩-١٠، والسير ٢/ ٤٣، والإصابة ١/ ٣٠٠.

(٣) في (خ) و(ع): العباس، والمثبت من نسب قريش ٣٩٤، وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٧١.

(٤) الاستيعاب (١٣٩٠)، والمنتظم ٥/ ١٠، والتبيين ٤٤٧، والسير ٢/ ١٦٣، والإصابة ٢/ ٣٧١.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٧، والاستيعاب (١٧٦٥)، والإصابة ٤/ ١٠١.

عِياض بن زهير

ابن أبي شَدّاد الفِهري، كُنيته أبو سعد، من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأمُّه سَلمى بنت عامر فِهريّة، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ(١).

مسعود بن الرَّبيع القاري

من القارة، من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم، وآخى بينه وبين عُبيد بن التَّيِّهان، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها، وكنيته أبو عمير، تُوفي بالمدينة وقد زاد على الستين سنة، وليس له رواية(٢).

مَعْمَر(٣) بن أبي سَرْح

ابن ربيعة بن هلال الفِهري، كنيته أبو سعد، من الطبقة الأولى من المهاجرين، وأمُّه زينب بنت ربيعة، من بني لؤي، أسلم قديماً، وهاجر إلى الحَبَشة الهجرةَ الثانية، وقيل الهجرتين معاً، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكانت عنده بنت الجَرَّاح أختُ أبي عبيدة رضي الله عنه، وأولدها عُميراً، وكان له ولدٌ آخر اسمُه عبد الله، أمُّه أُمامة بنت عامر بن ربيعة، فِهريّة، والله سبحانه وتعالى أعلم(٤).



(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٦، والاستيعاب (١٩٣٨)، والمنتظم ٥/ ١٠، والتبيين ٤٩٤، والإصابة ٣/ ٤٨.
(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٤، والاستيعاب (٢٤٣٦)، والمنتظم ٥/ ١٠، والإصابة ٣/ ٤١٠.
(٣) ويقال: عمرو، انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٥، والاستيعاب (١٧٣٦)، والمنتظم ٥/ ١١، والتبيين ٤٩٥، والإصابة ٣/ ٤٤٨.
(٤) من ترجمة أوس بن ثابت... إلى هنا ليس في (ك). وجاء في (خ) عقب هذا ما نَصُّه: آخر الجزء الثالث، يتلوه في الجزء الرابع السنة الثلاثون إن شاء الله تعالى، فيها كانت غزاة ذات الصواري وحسبنا الله ونعم الوكيل، كتبه علي بن عيسى الحيري.

السنةُ الحاديةُ والثلاثون(١)

وفيها كانت غزاةُ ذاتِ الصَّواري في قولِ الواقدي، وقال أبو معشر: كانت في سنة أربعٍ وثلاثين.

قال الواقدي: وسببُها أن المسلمين لمّا فتحوا إفريقية، وقتلوا مَن قتلوه بها، وسَبَوْا وغَنموا الغنائمَ، وكان خُمسُها خمسَ مئة ألف دينار، ومن السَّبْيِ والخُيولِ والمتاعِ والكُراعِ والسلاح وغيره ما لا يُحَدُّ، وهلك خلق من عظماء الروم، فَتَّ ذلك في عَضُدِ الرومِ وقالوا: ما بعد هذا الأمر إلّا مركزُ عِزّنا، ودارُ مُلْكِنا، وهي القُسْطنطينيةُ، فحشدوا وجمعوا، وخرجوا من القسطنطينية في خمسِ مئة مركبٍ، وجُموعٍ وأموالٍ وعُدَدٍ لم يُرَ مثلُها، عليهم قُسطنطين بن هِرَقْل.

وبلغ عبد الله بنَ سعد بن أبي سَرْحٍ، فسار إليهم في مراكبَ كثيرةٍ، وجمعٍ عظيمٍ، وتَوافَوْا على جزيرةٍ في البحرِ، واجتمعت السُّفنُ، وقامت الصواري، فسُمِّيت غزاة ذات الصَّواري، وقيل: اسمُ ذلك المكان: ذاتُ الصَّواري.

وأرسل المسلمونَ إليهم: إن شئتُم اللقاءَ على الجزيرةِ، أو في البحرِ، فقالوا: في البَحْرِ، فربطوا السُّفُنَ بعضها إلى بعضٍ، وبات المسلمون يَقرؤن القُرآن ويُصَلّون ويَدْعون، وبات الرُّومُ يَضربون بالنَّواقيسِ، ويَشربون الخمورَ، فلما طلع الصباحُ التَقَوْا، فاقتتلوا قِتالاً لم يُرَ مثلُه في الإسلامِ، حتى صار البحرُ دَماً عبيطاً، لا يظهر فيه لونُ الماء، وبقيت الدِّماءُ تَضربُها الأمواج إلى السواحلِ، وصارت أجسادُ الرجال على السواحل أمثالَ الجبالِ، وتقاتلوا بالخناجرِ والسيوفِ، وقُتِلَ من الفريقين مَقتَلَةٌ لا يُقتل مثلها، بحيث إنَّ دوابَّ البحرِ شَبعت من لحومهم.

ثم إنَّ الله عز وجلَّ بعث على مراكب الرومِ ريحاً فنكس مُعظمها، وانهزم القومُ،

---

(١) في (خ): بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر بخير يا كريم، السنة الثلاثون، وفي هامشها: الحمد لله، وجد في الأصل المنقول منه سنة إحدى وثلاثين، وكذا هو في أصله المنقول منه، فلتراجع غيرها. وفي هامش (ع): لم يوجد في النسخة المنقول منها ولا في نسخة أخرى غيرها سنة ثلاثين فلتراجع نسخة ثالثة (كذا).

وهرب ابنُ هرقل بعدما جُرِحَ جِراحاتٍ كثيرةً، وغنمهم المسلمون، ومات ابنُ هرقل في طريقهِ، وأقام ابن سعدٍ أياماً، ثمَّ قَفَلَ راجعاً إلى مصر منصوراً بعد كَسْرِه الرُّومَ.

فصل: وفيها تكلَّم الناسُ في عثمان ظاهراً، وقالوا: خالف سيرةَ الشَّيخَيْنِ، حتى قال محمد بنُ أبي حُذيفة: لو كُنّا جاهدنا في عثمان كان أولى من جهادِنا في غَزاةِ ذات الصَّواري، فأفسد قلوبَ الناس على عثمان، وتكلّم معه محمد بن أبي بكر، وبالغ وقال: قد خالف سيرةَ الشيخَيْن، أو السنَّةَ وسيرةَ الخليفتين، وولَّى عبد الله بن سعد بن أبي سرحٍ على المسلمين، وقد أباح رسول الله ﷺ دَمَه، وعزل عُمّالَ رسولِ الله ﷺ، ومَن أوصى به عمر رضي الله عنه، وولّى الوليد بن عُقبةَ الفاسقَ، وعبد الله بن عامرٍ، وبني أُميَّة.

وبلغ ذلك عبد الله بنَ سعدٍ وهم بغزاةِ ذات الصواري، فقال لهما: لا تركبا معنا في هذه الغَزاةِ، فركبا مركباً ناحيةً، واعتزلا ولم يُقاتِلا، وقالا: لا يحلُّ لنا القِتالُ مع نائبِ عثمان، فأفسدا قُلوبَ الناسِ، فبعث إليهما عبد الله بن سعدٍ يقول: لو علمتُ أن فعلي يُوافقُ أمير المؤمنين لحبَسْتُكما وعاقبتُكما، وأقاما بمصر على حالهما.

فصل: وفيها هلك يَزْدَجِرد، وسنذكره في آخر السنة.

وفيها سار عبد الله بن عامر في جُيوشِ البصرة إلى خُراسان، ففتح أبْرَشَهر وطُوس ونَسا، وبلغ سَرْخَس ومَرو، وصالح أهلها على ألفَيْ ألف ومئتي ألف دينار، كذا ذكر جدي في «المنتظم»[1]، وهذا مالٌ عظيم. والذي رواه هشام: على مئتي ألف دينار.

وسار سعيد بن العاص إلى نيسابور فافتتحها، وكان كنار صاحب نيسابور كتب إلى سعيد بن العاص وهو والي الكوفة، وإلى عبد الله بن عامر وهو والي البصرة في خلافة عثمان رضوان الله عليه، يَدعوهما إلى خُراسان، ويُخبرهما أن أهل مرو قتلوا يَزْدَجِرد، فانتدب عبد الله بن عامر وسعيد بن العاص أيهما يسبق إليها، وفي جُند سعيد بن العاص الحسن بن علي رضوان الله عليهما وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

وكتب عثمان رضوان الله عليه إلى عبد الله وسعيد: أيّكما سبق إلى خُراسان فهو أميرٌ عليها، فقَدِم ابنُ عامر نَيسابور، وجاء سعيد حتى بلغ الرّيّ، وكانت فتوح خُراسان

(١) ٥/ ١٥.

على يَدَيْ عبد الله بن عامر، فقال له الناس: ما فتح الله تعالى لأحدٍ بمثل ما فتح عليك: فارس وكرمان إلى سجستان[١] وعامة خراسان، فقال: لا جَرَم، لأجعَلَنّ شُكري لله تعالى أن أخرجَ من مَوضعي هذا مُحرِماً، فأحرم من نيسابور، فلما قدم على عُثمان رضوان الله عليه لامَه على ما صَنَع، وقال: ليتك تَضبط من الوقت الذي يُحرم فيه الناس.

وكنار المذكور كان ملِك تلك الدّيار في زمن كسرى، وكان مجوسياً يَعبد النار، وكأنه أحسَّ بانقراض دولة الفُرس وغَلَبَةِ المسلمين، فلما غَلبوا تَقَبَّل أهلُ البلدة منهم.

فصل: وحجَّ بالناس أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضوان الله عليه[٢].

فصل وفيها توفي

أبو الدرداء

واسمه عُوَيمر بن زيد بن قيس بن عائِشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج، وقيل غير ذلك، وأمه محبَّة بنت واقد بن عمرو بن الإطْنابة، وهو من الطبقة الثانية من الأنصار، وكان آخِرَ أهل داره إسلاماً، وكان عبد الله بن رواحة أخاً له في الجاهلية، وكان يدعوه إلى الإسلام وهو يأبى عليه، فرَصَده يوماً، فخرج من بيته، فجاء ابن رواحة، فدخل بيتَه وامرأتُه جالسة تَمشُط رأسها، فقال: أين أخي؟ قالت: قد خرج، فدخل بيت الصَّنَم ومعه قَدُوم، فكسره أفلاذاً وقال: [من الطويل]

تَبَرَّأْتُ من أسما الشَّياطين كلِّها ألا كلُّ ما يُدعى مع الله باطلُ

فلما سمعت المرأةُ صوتَه قالت: ما فعلتَ يا ابن رواحة؟! أهلكْتَني.

وجاء أبو الدرداء فرأى الصنمَ أفلاذاً، فقال: مَن فعل هذا؟ قالت امرأتُه وهي تبكي

---

(١) هنا ينتهي ما لدينا من نسخة (ع).

(٢) بعدها في (ك): وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل. تمّ الجزء الرابع من مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لابن الجوزي (كذا)، تغمده الله برحمته، يتلوه إن شاء الله تعالى في الجزء الخامس: فصل في وفاة أبي الدرداء وما يتعلق بها من إسلامه وصفته وأخباره، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله. طالعه من أوله إلى آخره... أضعف العباد... عيسى بن داود بن فضل بن يحيى بن غافر... وملك في الحادي عشر... سنة أربع وتسعين وسبع مئة سابع كانون الثاني...

خوفاً منه: أخوك ابنُ رواحة، فغضب غضباً شديداً، فقالت له أمُّ الدرداء: لو كانت له قُدرةٌ لمنع، فقام أبو الدرداء، فاغتسل ولَبس حُلَّةً، وأتى رسول الله ﷺ وابنُ رواحةَ عنده، فلما نظر إليه ابنُ رواحة مُقبلاً قال: يا رسول الله، هذا أبو الدرداء جاء في طَلبي، فقال رسول الله ﷺ: «إنما جاء ليسلم، أخبرني ربي بذلك» وأسلم.

وفي شهوده بدراً وأُحداً خِلافٌ، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عوف بن مالك الأشجعي، وقيل بينه وبين سلمان الفارسي.

وكان من عِلية الصحابة ﷺ، وأهل البَيِّنةِ فيهم، وقد حدَّث عن رسول الله ﷺ أحاديثَ كثيرة، وشهد معه مشاهدَ كثيرة.

وكان زاهداً عالماً واعظاً فاضلاً قانِعاً، ولاه عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قضاءَ دمشق، فأصبح الناس يُهنِّئونه فقال: أتُهَنِّئوني بالقضاء وقد جُعلتُ على رأس مَهْواةٍ مَزَلَّتُها أبعدُ من عَدَن أَبْيَنَ، ولو علم الناسُ ما في القضاء لأخذوه بالدُّوَل، رغبةً عنه وكراهيةً له، ولو يَعلم الناسُ ما في الأذان لأخذوه بالدّوَل، رغبةً فيه وحِرصاً عليه.

شَهد اليرموك، وكان قاضي أهلِه، وكان عمر رضوان الله عليه نقله إلى قضاء حمص، ثم أعاده إلى دمشق.

وكانت له دارٌ بدمشق تُعرف بدار البريد، وتُعرف اليوم بدار الغَزّي، فقالت أم الدرداء: كان لأبي الدرداء ستون وثلاث مئة خليلٍ في الله، يدعو لهم في الصلاة، فقلتُ له في ذلك فقال: يا أمّ الدرداء، إنه ليس رجلٌ يَدعو لأخيه في ظَهر الغيب إلا وَكّل الله به مَلَكين يقولان: ولك بمثل ذلك، أفلا أرغَبُ أن تَدعوَ لي الملائكة.

وقال: تَفكُّرُ ساعة خيرٌ من قيام ليلة.

وكان أفضلُ عمله التّفكُّر والاعتبار.

وكان يشتري العصافير من الصِّبيان فيُرسِلُهُنّ ويقول: اذهبْنَ فعِشنَ.

وقال: مَن يَزدَدْ عِلماً يزدد وَجَعاً.

وقال: إن أخوفَ ما أخافُ أن يُقال لي يوم القيامة: علمتَ؟ فأقول: نعم، فيقال: فما عملتَ فيما عَلِمتَه؟

قالت أمُّ الدَّرداء: قلتُ لأبي الدرداء: ألستُ زوجتَك في الجنة؟ قال: نعم ما لم تتزوَّجي بعدي.

وقيل له: كم تُسبِّح كلَّ يوم؟ قال: مئة ألف، إلا أن تُخطىء الأصابعُ.

وقالت أمُّ الدَّرداء: قلتُ لأبي الدرداء: إن احتجتُ بعدك أكلَ الصَّدقةِ آكُلُها؟ قال: لا، اعملي وكُلي، قلتُ: فإن ضَعُفتُ عن العمل؟ قال: التقطي السُّنبُلَ، ولا تأكلي الصَّدقة.

وقال: أُحبُّ الفقراء تواضُعاً، وأحبُّ الموتَ اشتياقاً إلى ربّي، وأحبُّ المرضَ تكفيراً لخطيئتي.

وكان يقول: لولا ثلاث لم أبال متى متُّ، لولا أن أظمأ بالهَواجر، ولولا أن أُعفِّرَ وَجهي بالتُّراب، ولولا أن آمُرَ بمعروف أو أنهى عن مُنكر.

وقال: كنتُ تاجراً قبل أن يُبعثَ محمد ﷺ، فلما بُعث زاولتُ التجارةَ والعبادةَ فلم يجتمعا، فأخذتُ العبادة، وتركتُ التّجارة.

وقالت أمُّ الدرداء: قدم علينا سلمان الفارسي، فقال: أين أخي؟ قلتُ: هو في المسجد، قال: كيف أخي؟ قلتُ: يَصوم النهار، ويَقوم الليل، وما يريد النساء، فأتاه في المسجد، فلما رآه أبو الدرداء قام إليه فالتزمه.

ومرض أبو الدرداء، ففَزِع إلى نفقةٍ كانت عنده، فوجدها خمسةَ عشرَ درهماً، فقال: ما كانت هذه مُبقيةً مني شيئاً، إن كانت لَمُحْرِقَةٌ ما بين عانَتي إلى ذَقَني.

وكان يقول: أعوذُ بالله من علمٍ لا ينفع، ونفسٍ لا تَشبع، ودُعاءٍ لا يُسمَع.

قالت أم الدرداء: دخل علينا أبو الدرداء يوماً مُغضَباً، فقلت: مالك؟ فقال: والله ما أعرفُ فيهم شيئاً من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يُصلُّون الخَمْس.

وقال أبو الدرداء: مُعاتَبةُ الأخِ خيرٌ من فَقْدِه، ومَن لك بأخيك كُلِّه، أعطِ أخاك، ولِنْ له، ولا تُطعْ فيه حاسداً فتكون مثله، غداً يأتيه الموت فيكفيك موتُه، كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة قد تركتَ وَصْلَه.

وقال: إن ناقدتَ الناسَ ناقدوك، وإن تركتَهم لم يَتركوك، وإن هربتَ منهم

أدركوك، هَبْ عِرضَك ليوم فَقرِك.

وقال: ما تَجرَّع مؤمنٌ جَرعةً قط أحبَّ إلى الله من غَيظٍ كَظَمه، فاعفوا يُعزّكم الله.

وقال: إياكم ودَمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تَسري بالليل والناسُ نِيام.

وخطب يزيد بنُ معاوية إلى أبي الدرداء ابنتَه فردَّه، وخطبها رجلٌ من الفُقراء فزوَّجه إياها، فقيل له في ذلك فقال: ما ظنّكم بالدَّرداء إذا قام على رأسها الخِصيان، ونظرت في بيوت يَلتمع فيها بَصرُها، أين دِينها منها يومئذٍ.

وقال: لو تعلمون ما أنتم راؤون بعد الموت ما أكلتُم طعاماً على شَهوة، ولا شربتُم شراباً على شهوة، ولا دخلتُم بيتاً تستَظلُّون فيه، ولخرجتُم إلى الصُّعُدات تَضربون صُدورَكم، وتَبكون على أنفُسكم، لَوَدِدتُ والله أني شجرةٌ تُعضَدُ ثم تُؤكَل.

وقال: ذُروة الإيمان الصبرُ للحكم، والرِّضى بالقَدَر، والإخلاص في التوكل، والاستسلام للربّ عز وجل.

وقال: تَبنون مشيداً، وتأملون بعيداً، وتموتون قريباً.

وقيل له: مالك لا تَشعُر، فإنه ليس رجلٌ له بيتٌ في الأنصار إلا وقد قال شِعراً، فقال: وأنا قد قلتُ فاسمعوه: [من الوافر]

يُريد المرءُ أن يُعطى مُناه ويَأبى الله إلا ما أرادا
يقولُ المرءُ فائدتي ومالي وتَقوى الله أفضلُ ما استَفادا

قال محمد بن كعب: إن ناساً نزلوا على أبي الدرداء في ليلةٍ قَرَّة، فأرسل إليهم بطعام سُخن، ولم يُرسل إليهم بلُحُف، فأنكروا ذلك، فجاء واحد منهم فقام على الباب، فرآه جالساً وليس على امرأته من الثياب إلا ما يُذكر، فقال له: ما أراك إلا بتَّ بنحو ما بِتنا به! فقال: إن لنا داراً نَنتَقِلُ إليها قَدَّمنا لُحفنا وفُرشنا إليها، وإن بين أيدينا عَقَبةً كَؤوداً، المُخِفُّ فيها خيرٌ من المثْقِل، أفهمت ما قلت لك؟ قال: نعم.

وقال: نعمَ صومعةُ المرءِ المسلم بيتُه، يكفُّ لسانَه وفَرجَه وبَصرَه، وإياكم ومجالسَ الأسواق، فإنها تُلهي وتُلغي.

وقال: إياكم ودَعوةَ المظلوم، فإنها تَسري بالليل والناسُ نيام.

وقال: أدركتُ الناس وَرَقاً لا شوكَ فيه، فقد أصبحوا شوكاً لا وَرقَ فيه.

وقال: ما من أحدٍ إلا وفي عقله نَقْصٌ؛ لأنه متى جاءتْه الدنيا ظلَّ فرحاً بها، والليل والنهار دائبان في هَدْم عُمره، ولا يُحْزِنُه ذلك، وما نَفْعُه بعُمرٍ يَنقص، ومالٍ يزيد.

ذكر وفاته: قال معاوية بن قُرَّة: إن أبا الدرداء اشتكى، فدخل عليه أصحابُه فقالوا: ما تَشتكي؟ قال: ذُنوبي، قالوا: ما تَشتهي؟ قال: الجنة، قالوا: أفلا نَدعو لك طبيباً؟ فقال: هو الذي أَضجَعَني.

وقالت أمُّ الدرداء: اللهمَّ إن أبا الدرداء خَطبني فتزوَّجني في الدنيا، اللهمَّ فأنا أَخطبُه إليك، فأسألك أن تُزوِّجنيه في الجنة، فقال لها أبو الدرداء: إن أردتِ ذلك وكنتُ أنا الأوَّلَ، فلا تَزوَّجي بعدي، فمات أبو الدرداء، وكان لها جَمالٌ وحُسنٌ، فخطبها معاوية، فقالت: لا والله، لا أتزوَّجُ زوجاً في الدنيا حتى أتزوّجَ أبا الدرداء إن شاء الله تعالى في الجنة.

وقالت أم الدرداء: إن أبا الدرداء لما احتُضر جعل يقول: مَن يَعمل لمثل يومي هذا؟ مَن يعمل لمثل ساعتي هذه؟ مَن يَعمل لمثل مَضجَعي هذا؟ ثم يقول: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام: ١١٠] ثم قُبض رحمه الله ورضي عنه.

وتوفي بدمشق في خلافة عثمان رضوان الله عليه، وله عَقِبٌ بالشام، وقَبرُه بالباب الصغير، في الحومة التي فيها قبورُ الصحابة ﷺ.

قال عَوف بن مالك الأشجعي: رأيتُ في المنام كأني أَتيتُ مَرْجاً أخضر، فيه قُبَّةٌ من أَدَم، حولها غَنمٌ رُبوض، تَجترُّ وتَبعَرُ العَجوة، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: لعبد الرحمن بن عوف، فانتظرتُه حتى خرج من القُبَّة، فقال: يا ابن مالك، هذا ما أعطانا الله تعالى بالقرآن، ولو أشرفتَ على ما في هذه الثنيَّة لرأيتَ ما لم تر عينُك، ولسمعتَ ما لم تَسمع أُذنُك، ولم يَخطر على قلبك، أعدّه الله لأبي الدرداء؛ لأنه كان يدفع الدنيا بالرَّاحتَين والنَّحر.

وكان لأبي الدرداء من الولد: بلال، وأمُّه أم محمد بنت أبي حَدْرَد الأسلمي،

ويزيد لا عَقِبَ له، والدرداء وبها كان يُكنى، ونَسيبة، وأمهم محبَّة بنت الربيع بن عمرو، أختُ سعد بن الربيع.

فأما الدرداء فتزوَّجها عبد الله بن سعد بن خَيثمة من الأوس، فولدت له.

وأما نَسيبة فتزوجها سعيد بن سَعد بن عُبادة بن دُلَيم، فولدت له، ولهم بقيَّةٌ بالشام.

وكان له زوجتان، وكلاهما يُقال لها أم الدرداء، أدركتْ إحداهما رسول الله ﷺ، واسمها خيرة بنتُ أبي حَدْرَد الأسلمي، لها صُحبة ورواية. والثانية تزوّجها بعد وفاة رسول الله ﷺ، وهي التي تَروي عنه، واسمها هُجَيمة بنت حيي، وهي التي خطبها معاوية بعد موت أبي الدرداء، فأبت أن تتزوَّجَه.

أسند أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ مئةً وتسعةً وتسعين حديثاً، وروى عنه جماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين(١).

نُعيم بن مسعود

ابن عامر الأشجعي، وكُنيته أبو سلمة، وهو الذي خَذّل الأحزاب حتى تَفرَّقوا في غزاة الخندق، وهاجر إلى المدينة بعد غزاة الأحزاب، وحَسُنَ إسلامُه، وبعثه رسول الله ﷺ إلى قومه يستَنْفِرهم لما خرج إلى تبوك، وله صُحبة ورواية(٢).

يَزدَجرد بن شَهريار

ابن أبرويز ملك فارس، وسببُ هلاكه أنه هرب من كرمان إلى مرو في جماعةٍ من أصحابه، فسأل مَرزُبانَها مالاً فمنعه، وأرسل المرزبان إلى الترك يَستنصرهم عليه فأَبَوا، فبيَّتوه ليلاً، وقتلوا أصحابَه، وهرب وَحده، فأتى منزلَ رجل يَنقُر الأَرْحاء على شطِّ المَرْغاب ليلاً، فأوى إليه، فقتله وأخذ ما عليه من الجواهر والسلاح، وألقى جسدَه في المرغاب.

---

(١) انظر ترجمة أبي الدرداء في: طبقات ابن سعد ٤/ ٣٥١ و٩/ ٣٩٥، والمعارف ٢٦٨، والاستيعاب (٢٩١٦)، وحلية الأولياء ١/ ٢٠٨، وتاريخ دمشق ٥٦/ ٢٥٣، والمنتظم ٥/ ١٦، وصفة الصفوة ١/ ٦٢٧، والاستبصار ١٢٥، والسير ٢/ ٣٣٥، والإصابة ٣/ ٤٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٥/ ١٦٦ والاستيعاب (٢٦٠١)، والمنتظم ٥/ ١٨، والإصابة ٣/ ٥٦٨.

وأصبح أهل مَرو، فقَصُّوا أثره، حتى خَفي عليهم عند منزل النقَّار، فقرَّروه فأقرَّ بقتله، فقالوا: هات ما كان عليه، فأخرجه لهم، فأخذوه، وقتلوا النَّقَّارَ وأهلَ بيته، وأخذوا متاعهم، ومَضَوا إلى المرغاب، فأخرجوا جسده، وجعلوه في تابوت، وحملوه إلى إصطَخر فدفنوه بها.

وكان مُلكه عشرين سنة، منها أربع سنين في دَعَة، وستة عشر في الحروب والهرب من مكان إلى مكان، وانتهى بموته مُلك الأكاسرة، واستقام بعده الملك للعرب.



السنة الثانية والثلاثون

فيها غزا معاوية من مضيق القسطنطينية في عشرة آلاف من المسلمين، ومعه جماعةٌ من الصحابة ﵃، فوصل الخليج، ومعه زوجتُه فاختة بنت قرظة، وغنم المسلمون غنائم كثيرة، وتَحصَّن الروُم منهم بالحصون، وعاد إلى دمشق.

وفيها غزا عبد الرحمن بن ربيعة بَلَنْجَر، وكان نازلاً قريباً من باب الأبواب، وطلب من سعيد بن العاص المدد، فأمدّه بحَبيب بن مسلمة الفِهري، وأبطأ على عبد الرحمن ابن ربيعة المدد، فسار نحو بَلَنْجَر، فحصرها، ونصب عليها المناجيق، وبلغ التُّرك فقصدوه، وقتلوه ومعظمَ أصحابِه، فيقال: إن القوم أخذوا جسد عبد الرحمن فجعلوه في سَفَط من رُخام، وحملوه معهم، فكانوا يستسقون به.

وفيها سار عبد الله بن عامر من البصرة إلى المشرق، فافتتح بلاداً كثيرة: الطَّالَقان وجُوزَجان وبَلْخ وطَخارِسْتان، وكان على مقدّمته الأحنفُ بنُ قيس، وقيل: إنما جَهَّز ابنُ عامر الأحنف، وأقام هو بالبصرة يُمدُّه بالمال والرجال، فنازل الأحنف مَرْورُوذ وضايقها، وإذا بفارس قد برز، فوقف بين الصَّفَّين ـ وبيده كتاب ـ وقال: أنا رسول، فجاؤوا به إلى الأحنف، فأخذ الكتاب فقرأه، وإذا فيه:

من باذان مَرزبان مَرْو إلى أمير المؤمنين: إنّا نحمد الله الذي بيده تغييرُ الدُّوَل، يَرفع مَن يشاء بعد الذُّل، ويَضع مَن يشاء بعد العزّ، إن الذي دعاني إلى مُوادَعَتك ما كان من إسلام جَدّي الهرمزان، وما كان من رأي صاحبكم فيه وإكرامه إياه، وقد دعوتكم إلى الصُّلح، وأن أُؤدّي إليكم في كل سنة ستين ألفَ ألفِ درهم خراجاً[(١)]، وتُقرُّوا بيدي ما كان مَلك الملوك كِسرى أقطعه جدّي الهرمزان.

فأجابه الأحنف إلى ذلك، وسار إلى بَلْخ، فصالحوه على أربع مئة ألف درهم، ثم عبر النهر، ووصل إلى خُوارِزْم، وهجم الشتاء، فقال لأصحابه: ما تَرون؟ فقال بعضُهم: قال عُمرو بن مَعدي كرِب: [من الوافر]

(١) في الطبري ٤/ ٣١٠ : ستين ألف درهم.

إذا لـم تَـسـتَـطـعْ أمـراً فـدَعْـه وجـاوِزْه إلـى مـا تـسـتـطـيـعُ(١)

فعاد إلى البصرة بالأموال والغنائم. وحجَّ بالناس عثمان بن عفان رضوان الله عليه.

فصل وفيها توفي

أبو ذرّ الغِفاري ﷺ(٢)

واسمُه جُندُب بن جُنادة بن كعب بن صُعَير بن الوَقْعَة بن حَرَام بن سفيان بن عُبيد بن حرَام بن غِفار بن مُلَيل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر، من الطبقة الثانية من المهاجرين، وكان آدَم طُوالاً، أبيضَ الرأس واللّحية، لا يُغيِّر شيبَه، وكان شُجاعاً فاتكاً، يقطع الطريق وحده، ويُغير على الصّرم كأنه أسد، ثم قذف الله الإسلام في قلبه، فقدم مكة، وسمع من رسول الله ﷺ، وكان يتعبّد قبل مبعث رسول الله ﷺ وإسلامه قديماً بمكة، قال: كنتُ في الإسلام رابعاً أو خامساً، ورجع إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى مضت بدر وأحد والخندق، وقدم المدينة بعد ذلك.

ذكر إسلامه: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ بمكة قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، واعلم لي علمَ هذا الرجل الذي يَزعم أنه نبيٌّ يأتيه الخبرُ من السماء، واسمع من قوله، ثم ائتني.

فانطلقَ حتى قدم مكة، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال: رأيتُه يَأمرُ بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو الشّعر، فقال: ما شَفَيتَني مما أردتُ، فتزوّد، وحمل معه شَنَّةً له فيها ماء، حتى قدم مكة، فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يَعرِفُه، وكره أن يَسأل عنه، حتى أدركه الليل، فاضطجع، فرآه علي رضوان الله عليه، فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه، فلم يَسأل واحدٌ منهما صاحبَهَ عن شيء حتى أصبح.

ثم احتمل قِربتَه وزادَه إلى المسجد، فظلَّ ذلك اليوم ولا يرى رسول الله ﷺ ، حتى أمسى، فعاد إلى مَضجعه، فمرَّ به عليٌّ رضوان الله عليه، فقال: ما أنى للرجل أن يَعلم

(١) ديوانه ١٤٥ ، والطبري ٤/ ٣١٣ .

(٢) سلفت بعض أخباره في سنة ثلاثين.

منزلَه؟ فأقامه علي رضوان الله عليه، فذهب معه ولا يسأل واحدٌ منهما صاحبَه عن شيء.

حتى إذا كان اليوم الثالث أقامه علي رضوان الله عليه معه، ثم قال له: ألا تُحدِّثني ما الذي أقدمك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتَني عهداً وميثاقاً لَتُرشِدَني، فأعطاه العهد والميثاق، فأخبره، وقال: إنه رسول الله حقاً، فإذا أصبحتَ فاتْبَعني، فإن رأيتُ شيئاً أخافُه عليك قُمتُ مكاني [كأني] أُهريق الماء، فإن مضيتُ فاتبعني حتى تدخل مَنزلي، ففعل، فانطلق يَقفوه حتى دخل على النبي ﷺ، ودخل معه، فسمع من قوله، وأسلم مكانَه، فقال له رسول الله ﷺ: «ارجع إلى قومك، فأخبرهم حتى يأتيك أمري»، فقال: والذي نفسي بيده لأَصرخنَّ بها بين ظَهرانيهم.

فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله، فثار القوم، فضربوه حتى أضجعوه، فأتى العباسُ فأكبَّ عليه وقال: ويلكم، ألستُم تعلمون أنه من غِفار، وأن طريقَ تجارتكم إلى الشام عليهم، فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه فأنقذه العباسُ منهم.

قال خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة: كان أبو ذر رجلاً يُصيب الطريق، وكان شجاعاً يتفرَّد وَحدَه، يَقطع الطريق، ويُغير على الصِّرم في عَمايَة الصُّبح على ظهر فرسه أو على قَدميه، كأنه أسد، ويَطرق الحيَّ، ويَأخذ ما أخذ، ثم إن الله عز وجل قَذف في قلبه الإسلام، وسمع بالنبي ﷺ وهو يومئذٍ بمكة يَدعو مُختفياً، فأقبل يَسأل عنه، حتى أتاه في منزله، وكان قبلَ ذلك قد طلب مَن يُوصله إليه فلم يجد، فانتهى إلى الباب، فاستأذن ودخل، وعنده أبو بكر رضوان الله عليه، وقد أسلم قبل ذلك بيوم أو يومَين، وهو يقول: يا رسول الله، والله لا نَستَسرّ بالإسلام وَلَنُظْهِرَنّه، ورسول الله ﷺ لا يَردُّ عليه شيئاً.

قال أبو ذر: فقلتُ: يا محمد، إلام تَدعو؟ فقال: إلى الله وحده لا شَريك له، وخَلعِ الأوثان، وتَشهدُ أني رسول الله، فقلت: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنك رسولُ الله، ثم قال أبو ذر: يا رسول الله، إني مُنصرفٌ إلى أهلي وناظرٌ متى تَأمر بالقتال فألحق بك، فإني أرى قومَك عليك جميعاً، قال: أصبتَ فانصرف.

فكان بأسفلِ ثنيَّةِ غزال يَتَعرض لعِيرات قريش، فيقطعها ويقول: لا أردُّ إليكم شيئاً حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن فعلوا ردَّ عليهم ما أخذَ منهم، وإن أَبَوْا لم يَردَّ عليهم شيئاً، فكان على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ومضت بدرٌ وأحد، ثم قدم فأقام بالمدينة مع النبي ﷺ.

ذكر بعض مَناقب أبي ذر وأخباره رضي الله عنه:

قال رسول الله ﷺ: «ما أَقَلَّت الغَبْراء، ولا أَظَلَّت الخَضْراء على رَجل أَصدَقَ من أبي ذر».

وقال ﷺ: «مَن سَرَّه أن يَنْظُرَ إلى تَواضُع عيسى بن مريم، فليَنْظُر إلى أبي ذَرّ»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «أيُّكم يَلقاني على الحال التي أُفارقُه عليها؟»، فقال أبو ذر: أنا، فقال له رسول الله ﷺ: «صَدقتَ».

قال عِراك بن مالك: قال أبو ذرّ: إني لأقربُكم مَجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة، وذلك أني سمعتُه يقول: «أقربُكم مني مَجلساً يوم القيامة مَن خَرج من الدنيا كهَيئةِ ما تركتُه فيها»، وإنه والله ما منكم من أحدٍ إلا وقد تَشبَّثَ منها بشيءٍ غيري(٢).

وآخى رسول الله ﷺ بين أبي ذرّ وبين المنذر بن عمرو، أحد بني ساعدة.

وقال أبو ذرّ: أوصاني خليلي بسبع: «أمرني أن أُحبَّ المساكين، والدّنوّ(٣) منهم، وأمرني أن أنظرَ إلى مَن هو دوني ولا أنظر إلى مَن هو فَوقي، وأمرني أن لا أسألَ أحداً شيئاً، وأمرني أن أَصِلَ الرَّحم وإن أَدبرتْ، وأمرني أن أقولَ الحقَّ وإن كان مُرّاً، وأمرني أن لا أخافَ في الله لَومةَ لائم، وأمرني أن أُكثِرَ من: لا حول ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم، فإنهن من كنزٍ تحت العرش».

ولما قدم أبو موسى الأشعري لقي أبا ذر، فجعل يَلزمُه ويقول: مَرحَباً بأخي، وأبو ذر يَدفعُه ويقول إليك عنّي، لستُ بأخيك، إنما كنتُ أخاك قبل أن تُستَعْمَل.

---

(١) أخرجهما أحمد (٦٥١٩) و(٢١٧٢٤)، وابن سعد ٤/ ٢١٤ ، والترمذي (٣٨٠١) و(٣٨٠٢)، والحاكم ٣/ ٣٤٢ عن عدد من الصحابة، وانظر سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٩ .

(٢) أخرجهما ابن سعد ٤/ ٢١٤_٢١٥ .

(٣) كذا، والذي في المسند (٢١٤١٥)، وطبقات ابن سعد ٤/ ٢١٥ : أمرني بحب المساكين والدنو منهم.

ثم لقي أبا هريرة، فالتزمه وقال: مرحباً بأخي، فقال له أبو ذر: هل كنتَ عملتَ لهؤلاء؟ قال: نعم، قال: هل تطاولتَ في البناء أو اتَّخذت زرعاً وماشية؟ قال: لا، قال: فأنت أخي، أنت أخي(١).

وقال أبو ذر: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي، لا تَأمَّرَنّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنّ على مال يتيم»(٢).

وقال عليٌّ رضوان الله عليه: لم يبق اليوم أحدٌ لا يُبالي في الله لومةَ لائم غير أبي ذر ولا نَفسي، ثم ضرب بيده على صَدره(٣).

وقال سفيان الثوري: قام أبو ذر عند الكعبة فقال: أيها الناس، أنا جُندب الغِفاري، هلمّوا إلى الأخ النّاصح الشَّفيق، فاكتَنَفه الناسُ فقال: أرأيتم لو أن أحدَكم أراد سفراً، أليس يَتَّخذُ من الزَّاد ما يُصلحُه ويُبَلِّغُه؟ قالوا: بلى، قال: فسفر طريق القيامة أبعدُ ما تُريدون، فخذوا ما يُصلحكم، قالوا: وما يُصلحنا؟ قال: صوموا يوماً شديدَ الحرّ لحرِّ يوم النُّشور، وصَلُّوا ركعتين في ظلام الليل لوَحْشَةِ القبور، وحُجُّوا حجَّةً لعَظائم الأمور.

كلمةُ خيرٍ تَقولُها، أو كلمةُ شرٍّ تَسكُتُ عنها؛ ذخيرةٌ لوقوف يومٍ عظيمٍ، اجعل الدنيا مَجلسَيْن: مجلساً في طَلب الحلال، ومَجلساً في طلب الآخرة، والثالث يَضرُّك ولا يَنفَعُك، اجعل الدنيا درْهَمَيْن: درهم تُنفقُه على عيالك، ودِرهم تُقدِّمُه لآخرتك، الثالث يَضرُّك ولا يَنفعُك ولا تُرِدْه، ثم نادى بأعلى صوته: يا أيّها الناس، قد قَتلكم حِرصٌ لا تُدركونه أبداً(٤).

قال عبد الله بنُ خِراش الكعبي: وجدتُ أبا ذرّ في مظلَّةِ شعر بالرَّبَذة، تحته امرأةٌ سَحْماء، فقلت له في ذلك فقال: أتزوَّجُ مَن تَضَعُني أحبّ إليَّ ممن تَرفَعُني، مازال بي

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٢١٦.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥٦٣)، وابن سعد ٤/ ٢١٧، ومسلم (١٨٢٦).

(٣) طبقات ابن سعد ٤/ ٢١٨.

(٤) حلية الأولياء ١/ ١٦٥.

الأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر حتى ما ترك لي الحقُّ صديقاً[١].

وبعث إليه حَبيب بن مَسلمة وهو أمير الشام بثلاث مئة دينار، وقال: استَعِن بها على حاجتك، فقال أبو ذرّ لرسوله: ارجع بها إليه، اما وَجَد أحداً أغرَّ بالله منا، ما لنا إلا ظلٌّ نتوارى به، وثَلَّةٌ من غَنَم تَروح وتغدو علينا، ومولاة لنا تصدَّقتْ علينا بخِدمَتِها، ثم إني لأَتَخَوَّفُ الفَضْلَ[٢].

ودخل رجل على أبي ذر، فجعل يُقَلِّبُ بَصَرَه في بيته، فلم يَرَ فيه شيئاً، فقال: يا أبا ذرّ، أين مَتاعُكم؟ فقال: إن لنا بيتاً آخر، نُوجّه إليه صالِحَ متاعنا، قال: إنه لابُدَّ لك من متاع ما دُمتَ ها هنا، فقال: إن صاحبَ المنزل لا يَدَعُنا فيه.

وكان يقول: الجليسُ الصّالح خيرٌ من الوَحدة، والوَحدة خيرٌ من جَليس السُّوء، ومُمْلي الخير خيرٌ من الصَّامت، والصَّامتُ خيرٌ من مُملي الشَّرّ، والأمانةُ خيرٌ من الخيانة، والخائن خيرٌ من ظنِّ السُّوء[٣].

قال أبو ذر ﷺ: كنتُ أَخْدُمُ رسول الله ﷺ، ثم آتي المسجدَ إذا أنا فرغتُ من عَملي، فأَضْطَجع فيه، فأتاني رسول الله ﷺ يوماً وأنا مُضطجعٌ، فغَمَزني برِجله، فاستويتُ جالساً، فقال لي: «يا أبا ذر، كيف تَصنع إذا أُخرجتَ منها؟»، قلتُ: أنطلقُ إلى السَّعةِ والدَّعة، فأكون حَماماً من حمام مكة، قال: «فكيف تَصنعُ إذا أُخرجتَ من مكة؟»، قلت: [إلى] السَّعةِ والدَّعة، أنطلقُ إلى الأرض المقدَّسة والشام، قال: «فكيف تَصنَعُ إذا أُخرجتَ من الشام؟»، قال: إذاً أَضَع سيفي على عاتِقي، قال: «أَوَخيرٌ من ذلك؟ تسمعُ وتُطيعُ وإنْ كان عبداً حَبَشيّاً»[٤].

قالت أمُّ ذرّ: لما حضرت الوفاةُ أبا ذرّ بكيتُ، فقال: ما يُبكيكِ؟ قلتُ: ومالي لا أبكي وأنتَ تموتُ بفَلاةٍ من الأرض، ولا يَدان لي بتَغييبك، وليس معنا ما يَسعُك كَفَناً، فقال: لا تبكي وأَبشِري، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لنَفَرٍ أنا فيهم:

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٢٢.

(٢) حلية الأولياء ١/ ١٦١.

(٣) الخبران في تاريخ دمشق ١٩/ ٣٧، ٣٩ (مخطوط).

(٤) مسند أحمد (٢١٥٥١).

«لَيموتَنَّ رجلٌ منكم بفَلاةٍ من الأرض، يَشهده عصابةٌ من المؤمنين»، وليس من أولئك النَّفَرِ أحدٌ إلا وقد مات في قريةٍ، أو في جماعة غيري، وأنا الذي أموتُ بالفَلاة، والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبتُ، أبصري الطريق، فقلتُ: أنّى وقد ذهب الحاجُّ، وانقطعت الطُّرق؟ فقال: انظري.

فكنتُ أشتدُّ إلى الكَثيب، فأقومُ عليه وأعود، وإذا برجال على رَواحلهم، كأنهم الرَّخَمُ، فألحتُ بثوبي، فأسرعوا، ووَضعوا السِّياطَ في نُحورها يَستَبقون إليّ، فقالوا: يا أمةَ الله مالك؟ قلتُ: امرؤٌ من المسلمين يَموتُ، تَحضرونه فتُكفِّنونه، قالوا: ومَن هو؟ قلت: أبو ذر، قالوا: صاحبُ رسول الله ﷺ؟ قلتُ: نعم، ففَدَوْه بآبائهم وأمّهاتهم، فأسرعوا إليه، فدخلوا وسَلَّموا عليه، فرحَّب بهم وقال: أبشروا، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لنَفَرٍ أنا فيهم: «لَيموتَنَّ رجلٌ منكم بفَلاةٍ من الأرض...» وذكر الحديث، وقال: وما بقي من القوم غيري، وأنتم عِصابةٌ من المؤمنين، وليس لي كفنٌ إلا ثوبٌ هو لي ولأمِّ ذر.

وإني أَنشدكم الله، لا يُكفنّي منكم رجلٌ كان أميراً ولا عَريفاً، ولا بَريداً أو نَقيباً، وقالت: وليس في القوم إلّا من قارَفَ من ذلك شيئاً، إلا فتىً من الأنصار، قال: أنا أكَفِّنُك في رداءٍ من غَزْلِ أمي، قال: فأنت تُكَفّني، فكَفَّنَه الأنصاري، ودَفَنه في النَّفر الذين كانوا معه، وكان الرَّهطُ منهم: مالك بن الحارث الأشتر، وحُجْر بن عَديّ، وجرير بن عبد الله البَجلي، والأسود بن قيس النَّخعي وغيرهم. وقال جرير: هذه غنيمة نادرةٌ ساقها الله إلينا، فتولّى أمرَه[1].

وروى محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نَفى عثمان رضوان الله عليه أبا ذر إلى الرَّبَذة، لم يكن معه إلا امرأتُه وغلامُه، فأوصاهما: إذا متُّ فغَسلاني وكفّناني، وضعاني على قارعة الطريق، فأوّلُ رَكْبٍ يَمرُّ بكم فقولوا: هذا أبو ذرّ صاحبُ رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه، فلما مات فعلا ذلك به، ووضعوه على قارعةِ الطريق، وأقبل عبد الله بنُ مسعود في رهط من أهل العراق عُمَّاراً، فلم يَرُعْهم

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٢٠، والحلية ١/ ١٧٠.

إلا بالجنازة على ظهر الطريق، قد كادت الإبل أن تَطأَها، فقام إليهم الغلام وقال: هذا أبو ذر صاحبُ رسول الله ﷺ، فأعينونا على دَفْنه، فاستهلَّ عبد الله يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ: «تمشي وَحدَك، وتموتُ وحدَك، وتُبعَثُ وحدك»، ثم نزل هو وأصحابُه فوَارَوْه، ثم حَدَّثهم ابنُ مسعود حديثه، وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك، ثم قدم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المدينة، فمات بعد عشرة أيام(١).

وأسند أبو ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ مئتي حديث وأَحَداً وثمانين حديثاً، وشهد فتح بيت المقدس والجابية مع عمر رضوان الله عليه، وليس له عَقِب، ويقال: كانت له ابنةٌ.

وحكى ابن سعد قال: وتبعتْه جُوَيْرية سوداء، قيل له: هذه ابنتُك؟ قال: تَزعمُ أُمُّها ذلك(٢). وعبادة بن الصامت ابنُ أخي أبي ذر.

الحارث بن نوفل

ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، وأمه ظُرَيْبة من بني دُهْمان من الأزد، من الطبقة الثانية من المهاجرين، كان رجلاً على عهد رسول الله ﷺ، وأسلم عند إسلام أبيه نَوفل، وصحب رسول الله ﷺ، وروى عنه الحديث، واستعمله رسول الله ﷺ على بعض أعمال مكة، ثم ولّاه أبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم مكة، ثم انتقل إلى البصرة، واختطَّ بها داراً، ونزلها في أيام عبد الله [بن عامر بن كريز]، ومات بالبصرة في خلافة عثمان رضوان الله عليه.

وكان له من الولد عبد الله الملقَّب بَبَّة، وهو الذي اصطلح عليه أهلُ البصرة أيام ابن الزُّبير، وولد في زمن رسول الله ﷺ، وحَنّكه ودعا له، ومحمد الأكبر، ورَبيعة وعبد الرحمن ورَمْلة وأمُّ الزبير وظُرَيْبة، وأُمُّهم هند بنتُ أبي سفيان صخر بن حرب بن

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٢١.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ٢٢٣، وانظر في ترجمته المعارف ٢٥٢، والاستيعاب (٢٩١٩)، والطبري ٤/ ٢٨٣، وأنساب الأشراف ٥/ ١٧٠، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٤٠ و١٧٤، وصفة الصفوة ١/ ٥٨٤، والسير ٢/ ٤٦، والإصابة ٤/ ٦٢، والمنتظم ٤/ ٣٤٦ وفيات سنة (٢٥هـ).

أميَّة بن عبد شمس، وعُتبة ومحمد الأصغر والحارث ورَيْطة وأمُّ الحارث، وأمهم أمُّ عمرو بنت المطَّلب بن أبي وَدَاعةَ السَّهمي، وسعيد لأمٍّ وَلَد.

وأخرج له ابنُ سعد حديثاً رفعه إلى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن أبيه أن رسول الله ﷺ عَلَّمهم الصلاةَ على الميّت فقال: «اللهمَّ اغفِرْ لحيِّنا وميِّتنا ـ أو لأحيائنا وأمواتنا ـ وأصلح ذاتَ بيننا، وألِّفْ بين قلوبنا، اللهمَّ عبدك فلان بن فلان، لا نعلم إلا خيراً، وأنت أعلمُ، فاغفر لنا وله»، قال: فقلتُ وأنا أصغرُ القوم: يا رسول الله، فإن لم نعلم خيراً؟ [فقال:] «فلا تقُلْ إلا ما تَعلم»(١).

الحكم بن أبي العاص

ابن أميّة بن عبد شمس، عمُّ عثمان رضوان الله عليه، وأمه رُقَيَّة بنت الحارث، مَخزوميّة، ويُسمّى طَريدَ رسول الله ﷺ ولَعينَه.

أظهر الإسلام يوم الفتح خوفاً من القتل، ولم يَحسُن إسلامُه، ولما انتقل من مكة إلى المدينة نزل على ابن أخيه عثمان رضوان الله عليه، فكان عيناً على رسول الله ﷺ، يُطالع الأعراب والكفار بأخباره، فنفاه إلى الطائف.

بينا رسول الله ﷺ يمشي ذات يوم، مشى الحكمُ خَلفَه، فجعل يَخلج بأنفه وفمه، أي: يُحاكي رسول الله ﷺ، ويتكفَّأُ ويَتمايل، فالتفت رسول الله ﷺ فرآه، فقال له: «كن كذلك»، فما زال عُمرَه على ذلك.

وقد لَعنَه رسول الله ﷺ وما وَلَد، ولهذا قالت عائشةُ رضوان الله عليها لمروان: أشهد أن رسول الله ﷺ لعن أباك وأنت في صُلْبِه.

وهجا عبد الرحمن بن حسان بن ثابت مروانَ بنَ الحكم فقال: [من الكامل]

إن اللعينَ أباكَ فارْمِ عظامَه ... إن تَرْمِ تَرْمِ مُخَلَّجاً مجنونا
يُضْحي خميصَ البَطْنِ من عمل التُّقى ... ويظلُّ من عَملِ الخبيث بَطينا(٢)

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ٥٢ـ٥٣، وانظر ترجمته في: نسب قريش ٨٦، والاستيعاب (٤٣٥)، والتبيين ١٠٠، والسير ١/ ١٩٩، والإصابة ١/ ٢٩٢.

(٢) الموفقيات ٢٥٧، وأنساب الأشراف ١/ ١٧٤ و٥/ ٢٨٤، والاستيعاب (٤٨٢).

ومازال مَطروداً مَنْفياً بأرض الطائف حتى تُوفّي رسول الله ﷺ.

فلما ولي أبو بكر رضوان الله عليه كلَّمه عثمان فيه فقال: عَمّي، فقال: عمك إلى النار، هيهات هيهات يا ابن أبي العاص أن أُغَيِّر شيئاً فعله رسول الله ﷺ، لا رَدَدْتُه أبداً، فلما توفّي أبو بكر رضوان الله عليه كَلَّم فيه عمر رضوان الله عليه، فأغلظ له وقال: وَيحك يا عثمان، تتكلَّمُ في لعين رسول الله ﷺ وطريدِه، وعدوِّ الله وعدوِّ رسوله.

فلما مات عمر رضوان الله عليه وولي عثمان رضوان الله عليه كان أوَّل ما أحدث من الأحداث رَدّ الحكم إلى المدينة، فاشتد ذلك على المهاجرين والأنصار وأعيان الصحابة، وأنكروا عليه، وكان ذلك أوَّل ما أنكروا.

وأقام من سنة أربع وعشرين إلى سنة اثنتين وثلاثين مُكَرَّماً عند عثمان رضوان الله عليه؛ يُعطيه الأموال، ويُكرم بنيه، ويَرفعهم على رؤوس الصحابة، فلما توفّي الحكم غَسّله وكَفَّنه وصَلّى عليه، ومشى في جنازته، وضرب عليه فُسطاطاً، ولم يَشْهده أحد من المهاجرين والأنصار، سوى عثمان رضوان الله عليه وبني أمية، فاشتدّ ذلك على المسلمين، وأظهروا سبَّ عثمان رضوان الله عليه والوقيعةَ فيه، وناداه الأشتر النَّخعي وهو على المنبر: يا عثمان، تَذبَح حمامَ المدينة، وتُؤوي طَريدَ رسولِ الله ﷺ ولَعينَه، وتَضرب على قبره فُسطاطاً؟! ستَعلم. وكتبوا إلى الأطراف بإباحةِ دمه، فكان ذلك من أكبر الأسباب لقتل عثمان رضوان الله عليه.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: كنا جلوساً عند النبي ﷺ وقد ذهب عمرو بنُ العاص يَلبَسُ ثيابَه ليَلحقني، فقال رسول الله ﷺ: «يَدخُلُ عليكم الساعةَ رجلٌ لَعين»، فوالله مازلتُ وَجِلاً، أَتَشَوَّفُ داخلاً وخارجاً حتى دخل فلان، يعني الحكم[١].

وقال الشيخ موفق الدين رضوان الله عليه في «الأنساب»: كان الحكم من مُسلمة الفتح، وقدم المدينة، فأخرجه رسول الله ﷺ إلى الطائف؛ لأنه كان من المستهزئين برسول الله ﷺ، وكان يُؤذيه، ولعلّ النبي ﷺ كان يَمقُته لما أطلعه الله عليه مما يكون

(١) أخرجه أحمد (٦٥٢٠)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٤٨٢).

من ذُرِّيته، فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتّخذوا دين الله دَخَلاً، وعَبيد الله خَوَلاً، وماله دُوَلاً»(١).

وكان له من الولد عشرون ذكراً وإحدى عشرة أنثى، وهم: عثمان الأكبر، والحارث، ومروان، وعبد الرحمن، وصالح، وأمّ البنين، وزينب الكبرى، وأمُّهم آمنة بنت عَلقمة بن صَفوان، وقيل: أمُّهم صَفيّة بنت أبي طلحة، من بني عبد الدّار، وأمُّها مارية بنت مَوهَب الكِندي، وهي الزّرقاء التي كانوا يُعيَّرون بها.

وعثمان الأصغر، وأبان، ويحيى، وحَبيب، وعَمرو، وأمُّ يحيى، وزينب الصغرى، وأم شيبة، وأمُّ عثمان، وأمُّهم مُليكة بنت أَوفى، من بني ذُبيان.

وعمرو، وأوس، والنعمان، وأمُّ أبان، وأمُّ عَمرو، وأُمامة، وأمُّهم أمُّ النعمان، من بني جُشَم.

وعُبيد الله، وداود، والحارث الأصغر، والحكم، وعبد الله، وأمُّ الحكم، وأمُّهم [ابنة] مُنَبِّه من بني عجلان.

ويوسف وأمه أم هاشم بنت عُتبة، وقيل: بنت أبي هاشم بن عُتبة.

وخالد وأم مُسلم لأم ولد.

فأما عثمان فيُسمّى الأزرق.

وأما الحارث بن الحكم فتزوج مفداة بنت الزّبرقان بن بدر، فولَدَتِ له، ومن ولده خالد بن عبد الملك بن الحارث، ولّاه هشام المدينة، وكان مَذْمومَ السيرة، يُلقَّب فَرقَداً.

وسعيد بن عبد العزيز بن الحارث، كان صهرَ مسلمة بن عبد الملك على ابنته، وولاه مَسلمة خُراسان في أيام يزيد بن عبد الملك، فلَقي التُّركَ من وراء النهر، فهزمهم ولم يَتبعهم خوراً منه وجُبناً، ثم التقاهم ثانياً، فقتلوا مُعظَمَ أصحابه وهزموه، وهو الذي ولّى نصر بن سيار طَخارستان.

(١) التبيين ١٨٢، وأخرجه أحمد (١١٧٥٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

وكان سعيد يُلقّب خُدَينة، وهي الدّهقانة بلسان فارس، وسببُه أنه دخل عليه دِهقانٌ من وراء نهر بلخ، فوجده قد رَجَّل شعرَه، ولبس ثوباً مُعَصْفراً، فقال: ما هذا إلا خُدَيْنة، شبّهه بالمرأة.

وكان يقول: إنما سُمِّيتُ خُديْنة لأني لم أوافق على قتلِ اليَمانية فضَعَّفوني، وكلَّم رجلٌ من أسد خُدَيْنَة في شيءٍ فأغلظ له، فقال للرجل: يا مِلْط، فقال الرجل: [من الكامل]

زعمت خُدَيْنةُ أنني مِلْطٌ ... ولِخُذْنَة المِقراضُ والمِشْطُ
ومَكاحِلٌ ومَجامِرٌ ولها ... من دَلِّها في خدِّها نَقْطُ[1]

ودخل الحارث بن الحكم على أبي هريرة فجلس معه على وِسادته، ودخل رجل فجلس بين يدي أبي هريرة، وقال: عدى عليَّ الحارث، فقال له أبو هريرة: قُم يا حارث، فبكى الحارث، فقال له: قم يا حارث فاجلس مع خَصمِك؛ فإن رسول الله ﷺ أمر بمساواة الخَصمين بين يدي الحاكم، ومَضت السنةُ بذلك، فقام الحارث فجلس مع خصمه[2].

وأما مروان بن الحكم فوُلد على عهد رسول الله ﷺ، قال مالك بن أنس: وُلد يوم أُحد بالطائف، فلما تُوفّي أبوه ضَمَّه عثمان رضوان الله عليه إليه، واستَكتَبه فاستولى عليه، وكان يُقال له: خيطُ باطل.

ونظر إليه عليّ رضوان الله عليه يوماً فقال له: ويلك، وويلٌ لأمة محمد ﷺ منك ومن بَنيك إذا شابت ذراعاك.

وكان لا يُتَّهم في الحديث، روى عنه جماعة من التابعين؛ منهم عروة بن الزبير رضي الله عنهما وعلي بن الحسين رضي الله عنهما[3].

وأما عبد الرحمن بن الحكم فيُكنَى أبا مُطرِّف، ويُقال: أبا الحارث، وكان يُهاجي

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٣٣٥-٣٣٧.
(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٩٣ (مخطوط).
(٣) التبيين ١٨٣-١٨٤.

عبد الرحمن بن حسان فيَنتصِفُ منه ويُقاومه، وهو القائلُ لمروان: [من الطويل]

تجبَّرتَ واستكبرتَ حتى كأنما نَرى بك فينا قيصراً وابنَ قيصرا
فذا العرش لا تغفِر لمروانَ إنني أراه بأخلاق المكارم أغْسرا[١]

أراد العُسرة لا من اليد، ومن شعره: [من الوافر]

ألا [مَن] مُبلغٌ مروانَ عنّي رسولاً والرسولُ من البَيانِ
فإنك لن ترى طَرداً لحُرٍّ كإلصاقٍ به طرفَ الهَوانِ
وهل حُدِّثتَ قبلي عن كريم مُعينٍ في الحوادث أو مُعانِ
يُقيمُ بدارِ مَضْيَعةٍ إذا لم يكن حَيرانَ أو خَفِقَ الجَنانِ
فلو أنّا بمَنزلةٍ جميعاً جريت وأنتَ مُضطرِبُ العِنانِ
ولولا أن أُمَّ أبيك أُمِّي وأنْ مَن قد هَجاك فقد هجاني
لقد جاهَرْتُ بالبَغضاءِ إني إلى أمر الجهارة والعلان[٢]

وأدرك عبد الرحمن يوم الدّار مع إخوته مروان والحارث، وعثمان الأكبر بن الحكم.

وكانت ابنةُ عبد الرحمن تحت يحيى بن سعيد بن العاص فطلّقها البتَّة، فانتقلها عبد الرحمن إليه، فأرسلت عائشة رضوان الله عليها إلى مروان: اتَّقِ الله ورُدَّ المرأةَ إلى بيتها[٣].

ولما عزل معاويةُ مروانَ عن المدينة بعث مروان أخاه عبد الرحمن إلى معاوية ليَستَصلحَه، وكان معاوية ولّى سعيد بنَ العاص المدينة، فقال عبد الرحمن لمعاوية: [من الوافر]

أتتْكَ العِيسُ تَنفُخُ في بُراها تكَشَّفُ عن مَناكبها القُطوعُ
بأبيضَ من أُميَّةَ مِضرَحِيٍّ كأنّ جبينَه سيفٌ صَنيعُ

فقال له معاوية: أزائراً جئتَ أم مُفاخِراً مُكاثراً؟ فقال له: على أيّ ذلك شئتَ،

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٣٤٠.
(٢) التبيين ١٨٥.
(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٩٢١ (مخطوط).

فقال معاوية: ما أشاءُ من ذلك شيئاً، و أراد معاوية أن يَقطَعه عن الكلام الذي عَنَّ له، ثم قال له معاوية: على أيِّ فَرسٍ أتيتَ؟ قال: على فرس أَجَشَّ هَزِيمٍ، وأراد قولَ النَّجاشِيّ لمعاوية: [من الطويل]

ونـجَّـى ابـنَ حَـرْبٍ سـابِـحٌ ذو عُـلالَـةٍ أجَـشُّ هَـزيـمٌ والـرِّمـاحُ دَوانـي
إذا خِـلـتَ أطـرافَ الـرِّمـاح تَـنـالُـه مَـرَتْـه بـه الـسَّـاقـانِ والـقَـدَمـانِ

فغضب معاوية وقال: أما إنه لا يَركبه [صاحبه] في الظُّلَم إلى الرِّيَب، ولا هو ممّن يتسَوَّر على جاراته، ولا يَتوثَّبُ على كنائِنه بعد هجعة الناس، وكان عبد الرحمن يُتَّهم بذلك في كنائنه، فخجل عبد الرحمن[1].

وكان مروان يطوف بالبيت ويقول: اللهمَّ أذهب عني قولَ الشعر، وأخوه عبد الرحمن يقول: اللهمَّ إني أسألُك ما استعاذ منه، فذهب الشعر عن مروان وقاله عبد الرحمن[2].

وقال معاوية لعبد الرحمن: أراك تُعجَبُ بالشّعر، فإن قُلتَه فإياك والتَّشبيب بالنساء، فإنك تَعُرُّ به الشريفة، وتَرمي به العَفيفة، وتُقِرُّ على نفسك بالفَضيحة، وإياك والهجاء؛ فإنك تُحنِقُ به كريماً، وتَستَثير لئيماً، وإياك والمدح؛ فإنه كَسب الوَقاح، ولكن افخَرْ بمفاخِر قومِك، وقُلْ من الأمثال ما تَزينُ به نَفسَك، وتَتوَدَّدُ به إلى غيرك، فإن الشِّعرَ أدنى مُروءَةِ السَّرِيّ، وأفضلُ مروءةِ الدَّنيّ.

وعبد الرحمن هو القائل لما ضرب يزيد بنُ معاوية رأسَ الحسين بن علي رضي الله عنهما بالقضيب؛ بكى وصاح وقال: [من الطويل]

لَـهَـامٌ بـجـنـبِ الـطَّـفِّ أدنـى قَـرابـةً من ابنِ زياد العبدِ ذي النسَّبِ الوَغْلِ
سُـمـيَّـةُ أمـسـى نَـسـلُـهـا عـددَ الـحَـصـى وبـنـتُ رسـول الله أمـسـتْ بـلا نَـسْـلِ

فضرب يزيدُ صَدرَه بيده وقال: يا ابن الحَمقاء، مالك ولهذا[3].

---

(١) الأغاني ١٣/ ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) الأغاني ١٥/ ١١٣.

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٩٢٢-٩٢٣ (مخطوط)، والأغاني ١٣/ ٢٦٣-٢٦٤.

وهو القائل أيضاً: [من الوافر]

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيّاً

وأما أبان بنُ الحكم فتزوج أم عثمان بنت خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيط[١].

وأما عثمان الأصغر بن الحكم فولاه عبد الملك المدينة.

وأما عبيد الله بن الحكم فقتله الحنتفُ يوم الرَّبَذة.

وأما يحيى بنُ الحكم ـ كُنيته أبو مروان ـ فولاه عبد الملك المدينة، وكان خائناً بخيلاً، وفيه يقول [أيمن بن] خُرَيم بن فاتِك الأسدي: [من الطويل]

تركتُ بني مروان تَنْدى أكفُّهم ... وصاحبتُ يحيى ضَلَّةً من ضَلاليا
لقد كان في ظلِّ الخليفةِ وابنِه ... وظلِّ ابنِ ليلى ما يَسُدُّ اختِلاليا
أميراً إذا ما جئتُ طالبَ حاجةٍ ... تَهيَّا لشَتْمي أو أراد قِتاليا
فإنك لو أَشْبهتَ مروانَ لم تَقُلْ ... لقوميَ هُجراً إذ أَتَوك ولاليا

وتزوَّج يحيى بنُ الحكم زينبَ بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فقال عبد الملك: أدرِكوا بيتَ المال، يعني أنه خائن، وولاه عبدُ الملك حمص.

وكان يحيى أحمق، وَفَد على عبد الملك بغَيْر إذنه، فقال له: ما الذي أَقْدَمَك بغير إذني، ومَن استَعملتَ على المدينة؟! فقال: أبانَ بنَ عثمان، فقال: لا جَرَم، لا تعودُ إليها أبداً، وأقرَّ عبدُ الملك أباناً عليها، فأقام والياً تِسعَ سنين، وحج فيها بالناس سنتين، وفي ولايته تُوفّي محمد بن الحنفية وجابر بنُ عبد الله بالمدينة، فصلّى عليهما.

وكان شُخوص يحيى إلى الشام في سنة خمس وسبعين، وقدم عبد الملك حمص؛ فقتل إسحاق بنَ الأشعَثِ صَبْراً، فتكلّم أهلُ حمص، فبلغه، فصَعِد المنبر وقال: ما حديثٌ بلغني عنكم يا أهل الكُوَيفة الصُّغرى؟! فقام إليه عبد الرحمن بن ذي الكلاع فقال: لسنا أهل الكُوَيفة، وإنما نحن أهل الكوفة الذين قاتلنا معك مصعبَ بن الزُّبير، وأنت القائلُ يومئذ: والله يا أهلَ حمص لأُواسينَّكم ولو بما ترك مروان، وعليك يومئذٍ قَباؤك الأصغر، فسكت عبد الملك.

---

(١) في (خ): فتزوج أم عثمان بنت أبان بن الحكم، والمثبت من أنساب الأشراف ٥/ ٣٣٦، ونسب قريش ١٧١.

وقال له رجلٌ من أهل حمص: اعزِلْ سَفيهك عنا، فالتفتَ عبد الملك إلى يحيى ابن الحكم وقال له: ارتحلْ عن جِوار القوم.

وكان يحيى بن الحكم حَسَنَ المَحْضَرِ للناس عند عبد الملك، وهو القائل حين قَتل عبد الملك عمرو بنَ سعيد الأشْدَق فقال: [من الطويل]

أعينَيَّ جُودا بالدُّموعِ على عَمرِو عشيَّةَ تُبْتَزُّ الخلافةُ بالغَدْرِ
كأنّ بني مروانَ إذ يَقتلونه بُغاثٌ من الطّيرِ اجتمعْنَ على صَقْرِ
غَدرتُم على عمرو بني خَيْطِ باطِلٍ وأنتم ذَوو قُرْبى به وذَوُو صِهْرِ
فرُحْنا وراح الشَّامِتون عشيَّةً كأن على أكتافنا فلَقُ الصَّخرِ
لحى الله دُنْيا تُدخِل النارَ أهلَها وتَهتِكُ ما دون المحارمِ من سِتْرِ(١)

وأما يوسف فأمُّه أمُّ يوسف بنت هاشم بن عُتبة.

وأما خالد بن الحكم فكان مع عبد الملك يوم قَتل عمرو بنَ سعيد، وانتدب قومٌ يُقاتلون مع عمرو، فبعث عبد الملك خالداً إليهم، فهَزمهم.

وأما بناتُ الحكم؛ فتزوَّج أمَّ البنين سعيدُ بنُ العاص، وتزوّج زينبَ أسيدُ بن الأَخْنَس الثقفي، وتزوَّجَ أمَّ يحيى عُروةُ بنُ الزُّبَير، وكانت أصغرَ وَلَد الحكم، وتزوّج أمَّ أبان عبد الله بنُ المطَّلب بن حَنْطب المخزومي، ثم خلف على أُختها أمِّ الحكم، وتزوَّج أُمامةَ بنت الحكم عبدُ الرحمن بنُ الحارث بن أبي ذِئب، من بني عامر بن لُؤيّ(٢).

سلمان الفارسي

كُنيته أبو عبد الله، ويُقال له: سلمان الخير، وكان يقول: أنا ابنُ الإسلام، وهو من الطبقة الثانية من الصحابة، قال: أنا من رَامَ هُرْمُز، تَداوَلَني بِضعةٌ وعشرون من ربّ إلى ربّ، وقيل: أصلُه من إِصْطَخْر، وقيل: من أهل أَصبهان، من قريةٍ يُقال لها: جيّ، وقال: كان أهلُ قريتنا يَعبدون الخيلَ البُلْق.

---

(١) نسب قريش ١٧٩، وأنساب الأشراف ٥/ ٣٣٩، والأغاني ٢٠/ ٣١٠، وتاريخ دمشق ١٨/ ٥٦ـ٥٧، والتبيين ١٨٤ـ١٨٥.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ٣٣٦.

أسلم سلمان عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة، ومنعه الرّق من شهود بدرٍ وأُحدٍ، وشهد الخندق، وهي أوّلُ غزواته مع رسول الله ﷺ، وكان قد سافر يَطلبُ الدِّين مع قوم، فغَدروا به وباعوه، وتقلَّبتْ به أحوالٌ عجيبة، وأهوالُ غريبة، وولاه عمر رضوان الله عليه المدائن.

وحكى الواقدي عن أشياخه، عن سلمان الفارسيِّ قال: كنتُ أنطلقُ مع غِلمان من قريتنا إلى جبلٍ فيه كَهفٌ، فانطلقتُ وَحدي يوماً، فإذا في الكهف رجلٌ طويلٌ، عليه ثيابٌ من الشَّعر، فأشار إليَّ، فدنَوتُ منه فقال: يا غُلام، أتعرفُ عيسى بنَ مريم؟ قلتُ: لا، قال: بلى هو رسول الله، فآمِنْ بالله ورسوله، وبرسول يأتي من بعده اسمُه أحمد، يُخرجُه[1] الله من غمِّ الدنيا إلى رَوح الآخرة ونَعيمها، قلت: وما نَعيمُ الآخرة؟ قال: نعيمٌ لا يَفنى.

فرأيتُ النُّورَ يَخرج من شَفته، فعَلِقَه فؤادي، فكان أوَّل ما علَّمني الشَّهادة، فقال: قل أشهد أن لا إله إلا الله، وأن عيسى روحُ الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم، ورسولُه، ومحمّدٌ رسولُه بعده، وأن الإيمانَ بالبَعْثِ حقٌّ، وكذا الجنة والنار، ثم قال: إن أدركتَ محمداً ـ فإنه يَخرجُ من جبال تِهامة ـ فأقرِئْه مني السَّلامَ، وقل: وصيُّ عيسى يُسلِّم عليك.

وقال رسول الله ﷺ: سلمانُ سابِقُ الفُرس، وخطّ رسول الله ﷺ الخندقَ، وقطع لكلِّ عشرةٍ أربعين ذِراعاً، فاحتجَّ المهاجرون والأنصار في سلمان، وكان رجلاً قويّاً، فقال المهاجرون: سلمانُ منّا، وقال الأنصار: لا بل منّا، فقال رسول الله ﷺ: «سلمانُ منّا أهل البيت».

وآخى رسول الله ﷺ بين سلمان وأبي الدّرداء، وقيل: بينه وبين حُذيفة.

وذهب أبو الدرداء مع سلمان يَخطُب عليه امرأةً من بني ليث، فدخل فذكر فضلَ سلمان، وسابقتَه وإسلامَه، وأنه يَخطب إليهم فتاتهم فلانة، فقالوا: أما سلمان فلا نُزَوِّجه، ولكنا نُزَوِّجُك، فتزوَّجها، ثم خرج فقال: إنه قد كان شيءٌ، وإني أستحيي أن أذكره، قال: وما ذاك؟ فأخبره الخبر، فقال سلمان: فأنا أحقُّ أن أستحيي منك، أن أخطُبَها وكان الله تعالى قد قضاها لك.

(١) في تاريخ دمشق ٧/ ٣٩٤ (مصورة دار البشير): أخرجه.

وسئل علي رضوان الله عليه عن سلمان فقال: أُوتي العلمَ الأوّلَ والعلمَ الآخر، لا يُدرَك ما عنده.

وسئل عنه أيضاً فقال: ذاك امرؤٌ منّا وإلينا أهل البيت، ثم قال: مَن لكم بمثل لُقمانَ الحكيم، قرأ الكتاب الأولَ والكتابَ الآخر، وكان بحراً لا يُنْزَف.

وكان عطاءُ سلمان خمسةَ آلاف، وكان على ثلاثين ألفاً من الناس، وكان يَخطب الناسَ في عباءةٍ، يَفترشُ بعضَها ويَلبَس بعضَها، وكان إذا خرج عَطاؤه أمضاه، ويأكلُ من سَفيف يده، وكان يتصدَّقُ بعطائه، ويَحمل الخُوصَ، وكان يستظلُ بالفَيْءِ حيث ما دار، ولم يكن له بيت، فقال له رجلٌ: ألا نَبني لك بيتاً تَستظلُ به من الحَرِّ، وتَسكنُ فيه من البَرد؟ فقال له سلمان: نعم، فلما أدبرَ صاح به سلمان فسأله: كيف تبنيه؟ فقال: أبنيه إن أقمتَ فيه أصابَ رأسَك، وإن اضطجعتَ فيه أصابَ رجليك، قال سلمان: نعم.

وتزوَّج امرأةً من كِندة، فلما كانت ليلةُ البِناء مشى معه أصحابُه، فلما بلغ بابَ امرأته قال: ارجعوا جزاكم الله خيراً، ولم يُدخِلْهم، ودخل وحده، فلما نظر إلى البيت وهو مُنَجَّدٌ قال: أمَحمومٌ بيتُكم؟! أم تحوَّلَت الكعبةُ في كِندة؟! فلم يَدخل حتى نَزعَ كلَّ سترٍ في البيت، فلما دخل رأى مَتاعاً كثيراً، قال: لمن هذا؟ قالوا: لك ولامرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ، أوصاني ألا يكون متاعي من الدنيا إلا كَزَادِ الرَّاكب، ثم رأى خدماً فقال: لمن هؤلاء؟ فقالوا: لك ولامرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي، [أوصاني] أن لا أُمسِك إلا ما أنكح أو أُنكح، فإن فعلتُ فعليَّ مثلُ أوزارهنّ، ثم قام فصلّى وصلَّت المرأةُ معه، ثم قضى حاجتَه.

فلما أصبح غدا عليه أصحابُه فقالوا: كيف وَجَدَت أهلك؟ فأعرض عنهم، فألَحُّوا عليه فقال: إنما جعل الله السُّتورَ والأبوابَ والجُدُرَ ليُوارى ما فيها، حسبُ امرىء منكم أن يسأل عما ظهر له، أما ما غاب عنه فليس له أن يَسأل عنه، سمعتُ النبي ﷺ يقول: «المتحدِّثُ في ذلك كالحمارَيْن يتسافَدان في الطريق».

ودخل عليه رجل وهو يَعجِن فقال: ما هذا؟ فقال: بعثنا الخادم في عمل، فكرهنا أن نَجمع عليه عَمَلَيْن، ثم قال له: إن فلاناً يُقرِئُك السلامَ، فقال له سلمان: منذ كم

قَدِمتَ؟ قال: ثلاثة أيام، قال: أما إنك لو لم تُؤَدِّها كانت أمانةً لم تُؤَدِّها.

قال النعمان بن حُمَيد: دخلتُ مع خالي على سلمان بالمدائن وهو يَعمل الخُوص، فسمعتُه يقول: أشتري خُوصاً بدرهم، فأبيعه بثلاثة دارهم، فأُعيدُ درهماً فيه، وأُنفق درهماً على عيالي، وأتصدَّقُ بدرهم، ولو نهاني عنه عمر بن الخطاب ما انتَهيتُ.

قال ثابت: كان سلمان أميراً على المدائن، فجاء رجلٌ من أهل الشام معه حِملُ تين، وعلى سلمان أَنْدَرْوَرْد وعباءة، فقال لسلمان: تعال احمِلْ هذا، وهو لا يَعرفُه، فحمله سلمان، فرآه الناسُ فعرفوه، فقالوا: هذا الأمير، فقال الرجل: لم أعرفه، فقال سلمان: لا حتى أبلُغَ منزلَك.

وقال شيخٌ من بني عَبْس: أتيتُ السُّوقَ فاشتريتُ عَلَفاً بدرهم، فرأيتُ سلمانَ ولا أَعرفُه، فسَخَّرتُه فحَملتُ عليه العَلَفَ، فمرّ بقومٍ فقالوا: أنحمل عنك يا أبا عبد الله؟ فقلتُ: مَن هذا؟ قالوا: سلمانُ صاحبُ رسول الله ﷺ، فقلتُ: ضَعْه عافاك الله، فأبى حتى أتى به مَنزلي وقال: قد نَويتُ فيه نيَّة، فلا أَضعُه حتى أبلُغَ مَنزِلَك.

وكان إذا أصابَ الشَّيءَ اشترى به لحماً، ثم دعا المجَذَّمِين فأكلوا معه.

وقال عمرو بن أبي قُرَّةَ الكندي: عرض أبي على سلمان أُختَه فأبى، وتزوّج مَولاةً له يُقال لها بُقَيرة، فبلغ أبا قُرَّة أنه كان بين سلمان وبين حذيفةَ شيءٌ، فأتاه يَطلُبه، فأُخبِر أنه في مَبْقَلَةٍ، فتَوَجَّه إليه، فلقيه معه زِنْبيل فيه بَقْل؛ قد أدخل عصاه في عُروة الزِّنْبيل وهو على عاتقه، فقال: يا أبا عبد الله، ما كان بينك وبين حُذَيفة؟ قال: يقول سلمان: وكان الإنسان عَجولا، فانطلقا حتى أتيا دار سلمان، فدخل سلمان الدّار، فقال: السلام عليكم، ثم أَذِن، فإذا نَمطٌ موضوع على باب، وعند رأسه لَبِنات، وإذا قرطان فقال: اجلس على فِراش مولاتك التي تُمهِّد لنفسها.

ثم أنشأ يُحدِّث أن حُذيفة كان يُحدِّث بأشياءَ كان رسول الله ﷺ يقولُها في غَضبه لأقوام، فأُسألُ عنها فأقول: حُذيفةُ أعلمُ بما يقول، وأكره أن تكون ضَغائنُ بين أقوام، فأُتي حُذيفةُ فقيل له: إن سلمان لا يُصدّقك ولا يُكَذِّبُك بما تقول، فجاءني حُذيفةُ فقال: يا سلمان يا ابن أمِّ سلمان، فقلتُ: يا حُذَيفة يا ابن أمِّ حُذيفةَ، لتنتَهينَّ أو لأكتُبَنَّ

إلى عمر، فلما خَوَّفتُه بعمر تركني، وقد قال رسول الله ﷺ: «من ولد آدم أنا، فأيُّما عبدٍ مؤمنٍ لَعَنْتُه [لَعنةً] أو سببتُه سَبَّةً في غير كُنْهِه، فاجعلْه صلاةً له»(١).

وقال رجل من عبد القَيْس: رأيتُ سلمان في سريَّةٍ وهو أميرُها على حمارٍ، عليه سَراويل، وخَدَمَتاه تُذَبْذِبان، والجندُ يقولون: قد جاء الأمير، فقال سلمان: إنما الخيرُ والشرُّ بعد اليوم.

وافتخرت قريش عنده فقال سلمان: لكني خُلقتُ من نُطفةٍ قذرة، ثم أعودُ جِيفةً مُنتنة، ثم يؤتى بي إلى الميزان، فإن ثَقُل فأنا كريم، وإن خَفَّ فأنا لئيم.

وروى خليفةُ بنُ سعيد المراديّ عن عمِّه قال: رأيتُ سلمان الفارسي بالمدائن في بعض طُرُقها يمشي، فزَحَمتْه حملة من قَصَبٍ فأوجَعَتْه، فتأخَّر إلى صاحبها الذي يَسُوقها، فأخذ بعَضُدِه فحرَّكه ثم قال: لامِتَّ حتى تُدرِك إمارة الشباب.

قال رجل من عبد القَيْس: مرَّ سلمان بصبيان من فِتيان الجُند، فضحكوا وقالوا: هذا أميرُكم؟ فقلتُ: ألا تسمع؟ فقال: إن استطعتَ أن تأكلَ من التّراب فكُلْ، ولا تكونَنَّ أميراً على اثنين، واتَّقِ دعوةَ المظلومِ والمضطرّ فإنها لا تُحجَب.

وكان خِباؤه من عَباءة وهو أمير الناس.

وسُرق عَلَفُ دابَّته فقال لجاريته أو غُلامه: لولا أني أخاف القِصاص لضَرَبْتُك.

وقدم المدينة فقال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: اخرجوا بنا نتلقَّى سلمان.

وقال سلمان لحذيفة: أخا بني عَبْس: إن العلم كثير، والعُمر قصير، فخُذْ من العلم ما تحتاجُ إليه في أمرِ دِينك، ودَعْ ما سواه فلا تُعانِه.

وقال: إنما مثل المؤمن في الدنيا كمريض معه طَبيبُه الذي يَعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى شيئاً يَضُرُّه منعه وقال له: لا تَقرَبْه؛ فإنك إن أتيتَه أهلكك، فلايزالُ يَمنعُه حتى يَبرأ من وَجَعه، وكذا المؤمن؛ يَشتهي أشياءَ كثيرة مما قد فُضّل به غيرُه من العَيْش، فيَمنعه الله إياه، ويَحجُزه حتى يتوفّاه فيُدخله الجنة.

قال جرير: قال سلمان: يا جرير، تواضَعْ لله، فإنه مَن تواضَعَ لله رَفَعه الله يوم

---

(١) أخرجه أحمد بطوله (٢٣٧٢١).

القيامة، يا جرير، هل تَدري ما الظُّلُمات يوم القيامة؟ قلتُ: لا، قال: ظُلمُ الناس فيما بينهم في الدنيا، ثم أخذ عُوداً لا أكاد أراه بين أُصبعَيْه وقال: يا جرير، لو طَلبتَ في الجنة مثلَ هذا العُود لم تجدْه، قلت: أبا عبد الله، فأين النَّخلُ والشَّجَرُ؟ قال: أُصولُها اللؤلؤ والذهب، وأعلاها الثَّمر.

دخل سعد بنُ أبي وَقَّاص على سلمان يَعودُه، فبكى سلمان، فقال له سعد ﵁: ما يُبكيك يا أبا عبد الله؟ تُوفّي رسولُ الله ﷺ وهو عنك راضٍ، وتَرِدُ عليه الحوضَ، قال سلمان: والله ما أبكي جَزَعاً من الموت، ولا حِرْصاً على الدنيا، ولكنّ رسول الله ﷺ عَهِد إلينا عَهْداً فقال: «لتَكُنْ بُلْغةُ أحدكم من الدنيا مثل زادِ الرّاكب»، وحَولي هذه الأساوِد، وإنّما حوله جَفْنةٌ أو مَطهرة أو إجّانة، فقال له سعد: يا أبا عبد الله، اعهَدْ إلينا بعهد نأخُذُ به بعدك، فقال: يا سعد، اذكُر الله عند هَمِّك إذا هَمَمْتَ، وعند حُكمك إذا حَكَمْتَ وعند يدك إذا قَسمتَ، والأمير يومئذٍ سعد ﵁، فلما مات نظروا في بيته فلم يَرَوا فيه إلا إكافاً ووطِاءً، ومَتَاعاً قُوِّمَ نحواً من خمسةَ عشر دِرهماً.

ولما حضرت سلمانَ الوَفاةُ قال لصاحبةِ منزله: هَلُمِّي خَبيئك الذي استَخبأتُك، فجاءت بصُرَّة مِسْك، فقال: ائتيني بقَدَحٍ فيه ماء، فنثر المسك فيه، ثم ماثَه بيده، ثم قال: انضَحِيه حَولي فإنه يَحضُرني خَلْقٌ من خَلْق الله تعالى، يَجدون الرِّيحَ ولا يأكلون الطَّعام، ثم اجْفَئي عليَّ الباب وانزلي، ففعلت وجلست هنيهة، ثم صعِدت فإذا هو قد مات.

وعاش مئتين وخمسين سنة، لا يَشكُّون في هذا، ويقول بعضهم: ثلاث مئة وخمسين سنة.

ومات بالمدائن في عِلِّيّةٍ لأبي قُرَّةَ الكِندي.

قال سلمان لعبد الله بن سلام: يا أخي، أيّنا مات قبل صاحبه فليَتَراءى له، قال ابن سلام: أوَيكون ذلك؟ قال: نعم، إن نَسَمةَ المؤمن مُخَلّاة تذهب في الأرض حيث شاءت، ونَسَمةُ الكافر في سجّين. فمات سلمان، قال عبد الله بن سلام: فبينا أنا ذات يوم قائل نصفَ النهار على سرير لي، فأغفيتُ إغفاءةً، إذ جاء سلمان فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقلتُ: أبا عبد الله، كيف وَجَدتَ مَنزلك؟ قال: خيراً، وعليك

بالتّوكُّل؛ فنِعْم الشيء التوكل، وجدتُ التوكل شيئاً عجيباً، وردّده ثلاث مرات.

ولم يكن لسلمان رضي الله عنه ولدٌ ذكر، وكان له ابنتان بمصر وواحدة بأصبهان.

أسند سلمان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ستين حديثاً، وروى عنه جماعة من الصّحابة، منهم: ابن عباس وسعد بن مالك وأنس وعُقبة بن عامر وأبو سعيد الخُدري وكعب بن عُجرة وأبو الطُّفيل عامر بن واثلة في آخرين، ومن التابعين أبو عثمان النهدي، وعبد الله بن أبي زكريا وغيرهما[١].

سِنان بن أبي سِنان

ابن مِحْصَن الأسدي، من الطبقة الأولى من المهاجرين، شهد بدراً وأحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ[٢].

أبو سفيان

صَخْرُ بنُ حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قصيّ، وأمه صفيَّة بنت حَزْن بن قيس عَيلان، لم يزل في عَداوة رسول الله ﷺ، مُقيماً على كُفره، يُحاربُه في كلِّ موطن إلى عام الفتح، فأسلم، وكان الإيمانُ في قلبه مُتَزَلْزلاً، يُعدُّ في المؤلَّفةِ قُلوبُهم، ثم استقرَّ إيمانُه، وقوي يَقينه، وكان قد كفَّ عن القتال بعد الخندق، وبعث إليه رسولُ الله ﷺ هديَّةً من تمر عَجوة، وكتب إليه يَستهديه أدماً، فقَبل هديَّته وأهدى إليه.

وقال الشيخ موفّق الدين رضي الله عنه في «الأنساب»: كان حَرْبُ بن أمية رئيسَ بني عبد شَمس ومُقَدَّمها في حروب الفِجار وغيرها، وكان ابنه أبو سفيان من أشراف قريش، وكانت إليه رايةُ الرُّؤساء المعروفة بالعُقاب، لا يَحملها في الحرب إلا هو أو رئيسٌ مثلُه، وكان ذا رأيٍ وحلمٍ ودهاءٍ؛ إلا أنه كان جاهداً في عداوة رسول الله ﷺ

---

(١) انظر في ترجمة سلمان: طبقات ابن سعد ٤/ ٦٩ و٨/ ١٣٩ و٩/ ٣١٩، والمعارف ٢٧٠، والاستيعاب (٩٤٨)، وحلية الأولياء ١/ ١٨٥، وتاريخ دمشق ٧/ ٣٨٩ (مخطوط)، والمنتظم ٥/ ٢٠، وصفة الصفوة ١/ ٥٢٣، وتاريخ بغداد ١/ ١٦٣، والسير ١/ ٥٠٥، والإصابة ٢/ ٦٢، وتهذيب الكمال وفروعه.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٨٨، والاستيعاب (١٠٠٠)، والتبيين ٥٠٩، والإصابة ٢/ ٨٢.

ومُحاربتِه، وكان قائدَ قريش يومَ أحد والأحزاب.

ويقال: كان أفضل قريش في الجاهلية ثلاثة: عُتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأبو سفيان، فلما جاء الإسلام أدبروا في الرأي. وفُقئت عينُه يومَ الطَّائف، فلم يزل أعور حتى شهد اليرموك[١].

قال مُبشّر بن الحُوَيرث: فُقِدت الأصواتُ يومَ اليرموك إلّا صوتَ رجلٍ واحد يقول: يا معاشرَ المسلمين، يومٌ من أيام الله، أبلُوا فيه بلاءً حَسَناً، يا نصرَ الله اقترب، والقتال يعمل، وإذا به أبو سفيان تحتَ راية ابنه يزيد.

ومات بالمدينة وله ثلاثٌ وثمانون سنة، وقيل: بِضعٌ وتسعون، وصلّى عليه ابنُه معاوية، وقيل: بل صلى عليه عثمان رضوان الله عليه.

خرج أبو سفيان تاجراً إلى الشام ببضائعَ فيها بضاعةٌ لرسول الله ﷺ؛ فلما عاد وَجد رسول الله ﷺ يدعو إلى الله، فلم يُعطِه بِضاعتَه، ولقي رسول الله ﷺ فقال له: يا ابنَ عبد الله، أما تُريد بِضاعتَك؟ فقال: «أنت صاحبُ أمانة، ذاك إليك» فبعث بها إليه.

أقبلَ أبو سفيان من الشام ومعه هند ومعاوية على حمار، فلما دَنَوا من مكة لقوا رسول الله ﷺ خارجَ مكة؛ وذلك أوَّل الإسلام، فقال أبو سفيان: انزلا ليَركبَ محمد، فقالت هند: أتُنزِلُنا لأجلِ هذا الصابىء؟! فقال لها: هو والله خيرٌ منك ومن ابنك ومني.

لطم فاطمةَ أبو جهل، فلَقيتْ أبا سفيان وشكَتْ إليه، فرجع معها إليه وقال: الطِميه لَعنه الله، فلَطمتْه، فقال أبو جهل: أَدْرَكَتْك المنافِيَّةُ؟! قال: نعم، وجاءت فاطمةُ سلام الله عليها فأَخبرتْ رسولَ الله ﷺ، فرفع يديه وقال: «اللهمَّ لا تَنسَها لأبي سفيان».

ورماه سعيد بنُ عُبيد الثَّقفي من حِصن الطائف بحَجَرٍ فقلع عينَه، فجاء إلى رسول الله ﷺ وعينُه في يده، فقال له رسول الله ﷺ: «أيما أحبُّ إليك؛ أن أسألَ الله فيَردّها عليك، أو يُعَوِّضك عَيناً في الجنة؟» فقال: لا، بل عيناً في الجنة.

ولما أعطاه رسول الله ﷺ الإبل يوم الجِعرانة والوَرِق ـ أعطى ابنَيْه ـ قال له: والله

(١) التبيين ٢٠٢.

إنك لكريم، فداك أبي وأمي، لقد حاربْتُك فلَنِعْمَ المحارَب كنتَ، وسالَمتُك فلَنعم المسالم كنت، فجزاك الله خيراً.

وأهدى مَلكُ اليمن إلى الكعبة سبعةَ جَزَائرَ أو عشرة، وأمر أن لا يَنْحرها إلا سيِّدُ قريش، وكان أبو سفيان قد عَرَّس بهند بنت عُتْبة، وكان من عادتهم أن يُقيموا عند العَروس سبعةَ أيام، فقالت هند: أيها الرَّجل، لا يَشغلنّك النساء عن هذه المكرُمَة، وربما فاتت، فقال لها: دعي عنك هذا، فوالله لا يَنْحَرُها غيري، فأقامت في عُقُلها؛ حتى خرج في اليوم السابع فنحرها.

ولم يكن في قُريش أشَحّ من أبي سفيان، وشكَتْه هند إلى رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله ﷺ، إن أبا سفيان رجلٌ شَحيحٌ، وليس لي إلا ما يدخل بيتي، فقال: «خُذي ما يَكفيك وولدك بالمعروف».

ولما اعتَمر أبو بكر رضوان الله عليه شكى إليه ناسٌ أبا سفيان، فانتَهره، فقال له أبو قُحافة: يا عَتيق، أتَرفع صوتَك على ابنِ حَرْبٍ؟ فقال: يا أبتِ، إن الإسلام هدم بُيوتاً منها بيتُه، وعمر بُيوتاً منها بيتُك.

وقف أبو سفيان بباب عثمان رضوان الله عليه وهو خليفة فحَجَبه، فقيل له: ما كنا نظنُّ أنك تقفُ بباب مَن يَحجُبُك؟! فقال: لا عَدِمتُ من قومي مَن أقفُ ببابه فيَحْجُبُني.

ومات أبو سفيان أعمى، وكان له قائدٌ يقودُه.

زار أبو سفيان ابنَه معاوية بالشام وهو أمير، ومعه ابنُه عُتبة وعَنْبَسة، فكَتَبَتْ هند إلى ابنها معاوية: احمل أباك على فَرس وأعطِه أربعةَ آلاف درهم، واحمل عُتبة على بَغل وأعطه ألفَي درهم، واحمل عَنْبسة على حمار وأعطه ألف درهم، ففعل معاوية، فقال أبو سفيان: أشهد بالله إن هذا عن رأي هند.

وبعث معاويةُ إلى عمر رضوان الله عليه من الشام بأَدَاهِمَ، وهي القيود، وقال: هذه وَجَدْناها في بعض حُصون الرُّوم، وبعث معها بمال، وقال للرسول: أَوصِلْها إلى أبي سفيان ليُوصِلَها إلى عمر، فبعث أبو سفيان بالقُيود إلى عمر رضوان الله عليه وحبس المال، فلما قرأ عمر رضوان الله عليه الكتاب وفيه ذِكرُ المال استَدعى أبا سفيان،

وقال: أين المال؟ قال: أنفقتُه، فأمر عمر رضوان الله عليه بوَضْعِ الأَداهم في رجله، وقال: والله لا يَخرج إلا بالمال، فأحضر المالَ، وبلغ معاوية ذلك فقال للرسول: أَعجَبَتْ أميرَ المؤمنين الأَداهِمُ؟ فقال: نعم، وأوَّل ما طرح أباك فيها، فقال: لو فعل الخطَّابُ ذلك لفَعَل به مثلَ ما فعل بأبي سفيان.

بنى أبو سفيان دُكّاناً بمكة، فكان يَسْمُر عليه، فلما حجَّ عمر رضوان الله عليه شكاه أهلُ مكة، فجاء فوقف عليه وقال: أخرِبْ هذا الدّكان، فأبى، فضَربه بالدّرّة فصاح، فضربه ثانياً وثالثاً وهو يَستغيث، وعمر رضوان الله عليه يقول: الحمد لله الذي أذلَّ أبا سفيان؛ فأصبح يَستغيثُ بمكة فلا يُغاث، ثم قال: والله لتَنقُلَنَّ الحِجارةَ على ظهرك أو على عُنقك، ففعل.

وحجّ عمر رضوان الله عليه، فاستعدى رجلٌ من بني مَخزوم على أبي سفيان في أرض غصبه إياها، فقال له عمر رضوان الله عليه: ادفع إليه أرضه، فقال: لا أفعل، فضربه بالدّرة، فصاح: يا آل قُصيّ، فخفَقَه ثانياً وقال: يا ملعون[1]، أدعوى الجاهلية، فقالت له هند: يا عمر، أتضرب ابنَ حَرْب بالدّرة؟! أما لرُبّما رُمتَ ذلك فاقشعَرَّت منه بُطونُ البَطحاء، فقال عمر رضوان الله عليه: الحمد لله الذي أذلّكم بهذا اليوم.

ذكر أولاده: كان له من الذّكور سبعة: حَنْظلة، ويزيد، ومعاوية، وعمرو، ومحمد، وعُتبة، وعَنْبَسَة، ومن البنات عشرة: أمُّ حَبيبة، وهي رَمْلَةُ الكبرى ﵄، وعَزَّة، وأمُّ الحكم، وجُوَيْرية، وصَخْرة، وهند، وميمونة، ورَمْلَةُ الصغرى، وأُميمة، وأمُّ حَبيب[2].

فحَنْظلة أخو أمّ حَبيبة ﵄ لأبيها وأمِّها [أمهما] صفيّة بنت أبي العاص.

ومعاوية وعُتبة وجُويرية وأمُّ الحكم أمُّهم هند بنت عُتبة.

فأما حَنظلةُ فقتله عليّ رضوان الله عليه يوم بدر كافراً، وبه كان يُكنى أبو سفيان.

وأما يزيد فتقدَّم ذِكره[3].

---

(١) كذا؟! وليست هذه العبارة في المصادر التي روت الحادثة.

(٢) كذا، والذي في المصادر أن أميمة هي أم حبيب، انظر طبقات ابن سعد ٦/ ٥، والتبيين ٢٠٤.

(٣) في سنة ثمان عشرة.

وأما عمر فهو الذي أُسر يوم بدر.

وأما عُتبة فكُنيته أبو الوليد، وُلد على عهد النبي ﷺ، وولاه عمر رضوان الله عليه الطائف، ثم وَلاه معاويةُ مصر، وولاه المدينة والموسم، وشهد يوم الدّار، وشهد الجَمل، ثم هرب فعيّره عبد الرحمن بن الحكم.

وكان من فُصحاء قريش، ولم يكن في بني أمية أَخطَبُ منه، خطب بمصر وهو والٍ عليها فقال: يا أهل مصر، خفّ على ألسنتكم مَدْحُ الحقِّ فلا تأتونه، وذمُّ الباطل وأنتم تَفعلونَه، كالحمار يحمل أسفاراً، يُثقله حملُها، ولا يَنفعُه علمُها، وإني لا أُداوي داءَكم إلا بالسيف، ولا أَبلُغُ بالسيف ما كفاني السَّوط، ولا أبلغُ بالسوط ما صَلح بالدرّة، فالزموا ما ألزَمَكم الله لنا تَستوجبوا ما فرض الله لكم علينا، وهذا يوم ليس فيه عقاب، ولا بعده عِتاب.

وولدُه عَمرو بن عُتبة كان من رجالات قُريش، قدم على عمِّه معاوية، وسمع منه الحديث ومن جماعةٍ من الصحابة، وسكن البصرة، وقدم على يزيد بن معاوية فأقطعه الزاوية ونهر مَعْقِل، وقدم على عبد الملك فأقطعه قَطيعة، وذكره ابن عَيّاش في الحُوْل من الأشراف، ومدحه الفرزدقُ فقال: [من البسيط]

لولا ابنُ عُتبةَ [عمرو] والرَّجاءُ له ... ما كانت البصرةُ الحمقاءُ لي وَطَنا[1]

وأما محمد وعَنْبَسَة فأمُّهما عاتكة بنت أبي أُزَيهر، أَزديّة، وقيل: دَوسِيَّة، ولمحمد ابن أبي سفيان ولدٌ اسمُه عثمان بن محمد، كان عاملَ يزيد بن معاوية على المدينة سنةَ الحَرَّة.

وعَنْبَسة كُنيتُه أبو عامر، روى عن أمّ حبيبة زوجِ النبي ﷺ ورضي عنها أنه ﷺ قال: «مَن حافظ على أربعٍ قبل الظُّهر وأربعٍ بعدها حَرَّمه الله على النار»، قال: فما تَركتُهنّ منذ سمعتُ أمَّ حبيبة تقول ذلك.

واستعمله معاوية على الصَّائفة سنة اثنتين وأربعين، فبلغ مَرج الشّحم، وولاه الموسم بمكة، وروى عنه مَكحول وشَهْرُ بن حَوْشَب وغيرهما، وابنُه عثمان بن عَنْبَسة

(١) انظر في ترجمة عتبة وابنه تاريخ دمشق ٤٥/ ١١٣ و٥٥/ ٣٤٧، إضافة إلى ما سنذكر من مصادر قريباً.

الذي صلى على معاوية بن يزيد[١].

الطُّفَيل بن الحارث

ابن المطلب بن عبد مَنَاف بن قُصيّ، من الطبقة الأولى من المهاجرين، واسم أمه سُخَيلة بنت خُزاعي، ثقفيّة، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى بينه وبين المنذر بن عُقبة بن أُحَيحة بن الجُلاح، وقيل بينه وبين سفيان بن نَسْر بن زيد بن الحارث الأنصاري.

والطفيل أخو عُبيدة بن الحارث لأبيهما وأمّهما، والحُصَين من المهاجرين الأوَّلين، شهد بدراً وأحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وتوفي أيضاً في هذه السنة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين رافع بن عَنْجَدَة[٢]، وكان للحُصين من الولد عبد الله الشاعر.

وأما عُبيدة فإنه جُرح يوم بدر، ثم مات في جِراحه شهيداً رضي الله عنه.

وللطُّفيل والحُصين رضي الله عنهما صُحبة، وليس لهما رواية[٣].

العباس بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه

عمُّ رسول الله ﷺ، وأمه نُتَيلة بنت جَناب بن كُلَيب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مَناة بن عامر، وهو الضَّحيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النّمر بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان، كُنيتُه أبو الفضل، من الطبقة الثانيةمن المهاجرين، فيمن لم يشهد بدراً مع النبي ﷺ.

ولد قبل الفيل بثلاث سنين، وكان أسنَّ من رسول الله ﷺ بثلاث سنين، وكان أبيضَ، بَضّاً، رَجِلَ الشَّعر، حَسنَ اللحية، تامَّ القامَة، رَحْبَ الجبهة، أهدبَ الأشْفَار،

(١) انظر في ترجمة أبي سفيان وأولاده: نسب قريش ١٢١، وطبقات ابن سعد ٦/ ٥، وأنساب الأشراف ٤/ ٩، والاستيعاب (٢٩٦٧)، وتاريخ دمشق ٨/ ٢٣٧ (مخطوط)، و٤٧/ ١٣، ٢١ و٥٦/ ١٧٧، والمنتظم ٥/ ٢٧، والتبيين ٢٠٢، والسير ٢/ ١٠٥، والإصابة ٢/ ١٧٨.

(٢) في (خ): وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين الحصين وابن رافع بن عجرة، والمثبت من طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠.

(٣) انظر في ترجمتهم نسب قريش ٩٣-٩٤، وطبقات ابن سعد ٣/ ٤٨-٥٠، والاستيعاب (١٢٦٨)، والمنتظم ٥/ ٢٩، والتبيين ٢٣٢، والإصابة ٢/ ٢٢٤.

أقْنَى الأنف، عظيم [العرنين، سهل] الخدَّيْن، بادِناً، ربقاً، جميلاً، عاقلاً، مَهيباً، جواداً.

وكان يَتّجر في الجاهلية إلى خُراسان وغيرها، وكان رئيساً في الجاهلية، إليه السِّقايةُ وعمارةُ المسجد الحرام، ولا يمكّن أحداً يتكلّم في المسجد الحرام بهُجْر.

أسلم بمكة قبل بدر، وقيل: قبل أن يُهاجر رسول الله ﷺ، وأسلمتْ أمُّ الفضل معه، وكان مُقامُه بمكة عيناً ومُعيناً لرسول الله ﷺ؛ يكتب إليه بالأخبار، وكان مَن كان بمكة من المؤمنين يَتَقَوَّوْنَ به، ولقد كان يَطلبُ أن يَقدُمَ على رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسولُ الله ﷺ: «مقامُك بمكة مُجاهداً أحسنُ» فأقام بأمر رسول الله ﷺ، وكان يَكتُم إسلامه.

وقال رسول الله ﷺ يومَ بدر: «مَن لَقي العبّاسَ منكم فلا يَقْتُلْه؛ فإنه خرج مُستكرَهاً»، فلَقيه أبو اليَسَر، فقال له: أتُقاتل ابنَ أخيك وقد نهى عن قَتلك؟ فقال: ليس ذلك بأوَّلِ صِلتِه وبرِّه، فأسره أبو اليَسَر.

وقال سهل بن سعد: استأذن العبّاسُ رسول الله ﷺ في الهجرة، فقال: «اطمئنَّ يا عمّ؛ فإنك خاتَم المهاجرين كما أنا خاتم النبيِّين».

وفادى العباسُ نوفلاً، وعَقيلاً ابنَ أخيه، ثم رجعوا إلى مكة ثم أقبلوا إلى المدينة مُهاجِرين.

قال عَقيل بن أبي طالب للنبي ﷺ يوم بدر: مَن قتلْتَ من أشرافهم، أنحن فيهم؟ فقال له: «قُتل أبو جهل» فقال: الآن صفالك الوادي، وقال له عَقيل: إنه لم يَبقَ من أهل بيتك أحدٌ إلا وقد أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «فقُلْ لهم فلْيَلْحقوا بي»، فلما أتاهم عَقيل بهذه المقالة خرجوا فقدموا المدينة بأولادهم وأهاليهم.

وكان قُدومُ العبّاس ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب من مكة على رسول الله ﷺ في أيام الخندق، وشيَّعهما ربيعةُ بن الحارث بن عبد المطَّلب في مَخرجهما إلى الأبواء، ثم أراد الرُّجوع إلى مكة، فقال له عمّه العباس وأخوه نَوفل بن الحارث: إلى أين تَرجع؟ إلى دار الشّرك، يُقاتلون رسول الله ﷺ ويُكذِّبونه؛ وقد عزَّ رسول الله ﷺ

وكثف أصحابُه، امضِ معنا، فسار معهما حتى قدموا على رسول الله ﷺ مُسلمين مهاجرين.

وشهد العبَّاس ليلةَ العقَبة، وأخذ البَيعةَ لرسول الله ﷺ على الأنصار، واستوثق له، وشهد معه فتح مكة ويوم حُنَين، وثبت معه، وفَداه بنفسه، وشهد الطائف وما بعده.

وكان رسول الله ﷺ يُكرمُه ويُجلُّه ويُعظِّمُه، وكان وَصولاً للرَّحم، يقومُ بأمر الحَجيج، يسقي ويُطعم، وكان عظيماً عند الخُلفاء والصحابة، وكانت منزلتُه أن مَن لَقيَه من الخلفاء: أبو بكر وعمر رضوان الله عليهما مُدَّةَ ولايتهما وهما راكبان؛ إلا نزلا، وقاد كلٌّ واحدٍ منهما دابّته، ومشى مع العباس إلى داره.

قال الزُّهري: لقد جاء الإسلام وإن جَفْنَةَ العباس لتدورُ على فقراء بني هاشم، وإن سَوطه وسيفَه لمُعَدٌّ لسُفهائهم.

وقال رجل: هذا العباس، ما أسلم حتى لم يبقَ كافر، فشكى العبّاس إلى رسول الله ﷺ، فخرج مُغْضَباً فقال: «إن العبّاسَ عمي، وعمُّ الرَّجل صِنْوُ أبيه».

قال ابن عباس: إن رجلاً من الأنصار وقع في أبٍ كان للعبّاس في الجاهلية، فلَطَمه العبّاس، فلبس قومُ الرجلِ السّلاح وقالوا: والله لنَلْطِمنّه كما لطمه، وبلغ رسولَ الله ﷺ، فصعد المنبر وقال: «أيها الناس، أيُّ أهلٍ أكرمَ على الله؟» قالوا: أنت، قال: «فإن العبّاس مني وأنا منه، لا تَسبُّوا مَوتانا فتُؤذوا أحياءَنا»، فجاء القوم فقالوا: يا رسول الله، نَعوذ بالله من سَخطك.

قال عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث: دخل العبّاس على النبي ﷺ مُغضَباً، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أغضبك؟»، فقال: يا رسول الله، ما لنا ولقريش؟ إذا تَلاقَوا بينهم تلاقوا بقُلوبٍ مُنشرحة، وإذا لَقونا لقونا بغير ذلك؟! فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرَّ وَجهُه، واستَدَرَّ عِرْقٌ بين عينيه، وكان إذا غَضب استَدرّ، فلما سُرِّي عنه قال: «والذي نفسي بيده، لا يَدخل قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحبّكم لله ولرسوله»، ثم قال: «أيّها الناس، مَن آذى العبّاس فقد آذاني، إنما عمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبيه».

جاء أسقفُ غزَّة إلى رسول الله ﷺ وهو بتبوك، فقال: يا رسول الله هلك عندي

هاشم وعبد شمس، وهما تاجران، وهذه أموالهما، فدعا رسول الله ﷺ عباساً فقال: «اقسم مالَ هاشم على كُبَراء بني هاشم»، ودعا أبا سفيان بن حَرْب فقال: «اقسم مال عبد شمس على كُبراء ولد عبد شمس».

ولما قدم العباسُ ونَوفل رضي الله عنهما مُهاجِرَيْن آخى رسول الله ﷺ بينهما، وأقطعهما بالمدينة في موضعٍ واحد، وفَرَع بينهما بحائط، فكانا مُتَجاوِرَين، وكانا شريكَيْن في الجاهليَّة مُتحابّيْن مُتَصافِيَيْن وكانت دارُ نوفل التي أقطعه إياها رسولُ الله ﷺ في موضع رَحْبة القضاء وما يليها إلى مسجدِ رسول الله ﷺ، وهي اليوم رَحْبَةُ القضاء، وهي تُقابل دارَ الإمارة التي يُقال لها دار مروان، وكانت دار العباس حديدها، وهي التي في دار مروان إلى مسجد رسول الله ﷺ، وهي دار الإمارة، وأقطع العَبَّاسَ دارَه الأخرى التي بالسوق؛ في الموضع الذي يُسمَّى مَجزرة ابن عباس.

ولما كَثُر المسلمون في عهد عمر رضوان الله عليه ضاقَ بهم المسجد، فاشترى عمر رضوان الله عليه ما حول المسجد من الدُّور؛ إلا دارَ العبَّاس وحُجَرَ أمهات المؤمنين، فقال عمر رضوان الله عليه للعباس: يا أبا الفضل، إن مسجد المسلمين قد ضاق بهم، وقد ابتعتُ ما حولَه من المنازل، نُوسِّع به على المسلمين في مسجدهم، إلا دارك وحُجَر أمَّهات المؤمنين فلا سبيلَ إليها، وأمّا دارُك فبعنيها بما شئتَ من بيتِ المال، فقال العباس: ما كنتُ لأفعلَ ذلك، فقال عمر رضوان الله عليه: اختَرْ منّي إحدى ثلاث: إما أن تبيعها بما شئتَ من بيت المال، وإما أن أُخَطِّطَك حيث شئتَ من المدينة، وأبنيها لك من بيت المال، وإما أن تتصدَّق بها على المسلمين، فقال: لا واحدة منها، فقال عمر رضوان الله عليه: اجعل بيني وبينك مَن شئتَ، فقال: أُبيّ بن كعب.

فانطلقا إلى أبيّ، وقصّا عليه القصة، فقال أبي: إن شئتُما حَدَّثتُكما بحديثٍ سمعتُه من رسول الله ﷺ قالا: حدِّثنا، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أوحى الله إلى داود: ابنِ لي بيتاً أُذكَر فيه، فَخَطّ له هذه الخِطّة؛ خطة بيت المقدس، فإذا تَربيعُها يُزَوِّيه بيت رجلٍ من بني إسرائيل، فسأله داودُ أن يبيعه إياه فأبى، فحدَّث داود نفسه أن يَأخذَه منه، فأوحى الله إليه يا داود، أمرتُك أن تبنيَ لي بيتاً أُذكَرُ فيه، فأردتَ أن تُدخِلَ في بيتي

الغَضَبَ، وليس من شأني الغَضَب، وإن عُقوبتَك أن لا تَبنيَه، فقال: يا رب، مَن يَبنيه؟ قال: يَبنيه مِن ولدك».

فأخذ عمر رضوان الله عليه بمجامع ثياب أبيّ بن كعب فقال: جئتُك بشيءٍ فجئتَ بما هو أشدُّ منه، لتَخرُجَنَّ مما قلتَ، فجاء به يَقودُه، حتى أدخلَه المسجد، فأوقفَه على حلقةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبو ذر، فقال أبيّ: نَشدتُ اللهَ رجلاً سمع رسول الله ﷺ يَذكر حديثَ بيت المقدس، حيث أمر الله داودَ أن يبنيه إلا ذكره، فقال أبو ذرّ: أنا سمعتُه من رسول الله ﷺ، وقال آخر: أنا سمعتُه من رسول الله ﷺ، وقال آخر: أنا سمعتُه يعني من رسول الله ﷺ، فأرسل أبيّاً فأقبل أبيٌّ على عمر رضي الله عنهما وقال له: يا عمر، أتتَّهمني على حديث رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: يا أبا المنذر، لا أتَّهمك عليه، ولكن كرهتُ أن يكون الحديثُ عن رسول الله ﷺ ظاهراً، وقال عمر للعباس: اذهب فلا أَعرض لك في دارِك، فقال العباس رضي الله عنه: أما إذا فعلتَ هذا فإني قد تصدَّقتُ بها على المسلمين، أُوسِّع بها عليهم في مسجدهم، فأمّا وأنت تُخاصمني فلا، فخطَّ له عمر رضوان الله عليه دارَه التي هي دارُه اليوم، وبناها له من بيت مال المسلمين.

ولما قدم صفوان بن أُميَّة الجُمَحي المدينة قال له رسول الله ﷺ: «على مَن نَزلتَ يا أبا وَهْب؟» قال: على العباس، قال: «نزلتَ على أشدِّ قريشٍ لقريش حبّاً».

قال العباس رضي الله عنه: يا رسول الله، ألا تُؤَمِّرني؟ فقال: «نَفْسٌ تُنجيها خيرٌ من إمارةٍ لا تُحصيها».

وبقي في بيت المال بَقيَّة، فجاء العباس بعدما قسم عمر رضوان الله عليه بين الناس، فقال العباسُ لعمر رضي الله عنهما والناس: أرأيتم لو كان فيكم عمُّ موسى أكنتم تُكرمونه؟ قالوا: نعم، قال: فأنا عمُّ نبيِّكم، فكلَّم عمر رضوان الله عليه الناس؛ فأعطَوه تلك البقيَّة التي في بيت المال.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أعتق أبي عند مَوته سبعين مملوكاً.

وأوَّلُ مَن أشار بالعَوْل في مسألةِ الفرائض العباس رضي الله عنه، وهي أولُ مسألةٍ حدثت في زمن عمر رضوان الله عليه، وهي: امرأةٌ ماتت وخَلَّفت زوجَها وأختَها وأمَّها، وهي

مسألة المباهلة، فجمع لها عمر رضوان الله عليه الصحابة ﵃، ثم قال: أشيروا عليَّ فيها، فقال العبّاس ﵁: أرى أن يُقسم المالُ بينهم على قَدْر فُروضِهم، وتابعه مَن حضر، وعمل عمر ﵁ بقوله.

وكُفَّ بَصرُه قبل مَوته بخمسِ سنين، وكان قد خَضَب وترك، وكان يقول: اللهمَّ اسبق بي أمراً ما أحبُّ أن أُدرِكَه، يُشير إلى فتنة عثمان رضوان الله عليه.

وتوفّي العباس رضوان الله عليه يوم الجمعة لأربع عشرة ليلةً خلت من رجب، سنة اثنتين وثلاثين، في خلافة عثمان رضوان الله عليه، وهو ابنُ ثمانٍ وثمانين سنة، ودُفن بالبقيع في مَقبرة بني هاشم، وقيل: كانت وفاتُه في رمضان سنة اثنتين وثلاثين، وقيل: سنةَ تسعٍ وعشرين، أو أربع وعشرين، والأوّلُ أصحُّ.

ولما توفيَّ بعث بنو هاشم إلى أهل العَوالي مُؤذّناً يؤذنهم ويقول: رحم الله مَن شهد العباس، فحشد الناس، ونزلوا من العَوالي، فلما أُتي به إلى موضع الجنائز تضايق، فتقدَّموا به إلى البقيع؛ فلم يَقدر أحدٌ يَدنو منه ومن سريره لكثرة الزِّحام، وبعث عثمان رضوان الله عليه الشُّرَط يَضربون الناس، وعلى سريره بُرْدُ حِبَرَة قد تَقطّع من الزِّحام.

ولما مات أرسل عثمان رضوان الله عليه يقول: إن رأيتُم أن أَحضُرَ غَسلَه فعلتُ، فأذِنُوا له، فجاء فجلس ناحيةَ البيت، وغَسله علي وعبد الله وعبيد الله وقُثَم بنو العباس ﵁، وحَدَّتْ نساءُ بني هاشم عليه سنة، وصلّى عليه عثمان رضوان الله عليه بالبقيع، ودُفن بالبقيع في مَقبرة بني هاشم، واجتمع في جنازته خَلْقٌ لم يجتمع لغيره، ونزل في قبره عليّ وابناه الحسن والحسين، وعبد الله وعبيد الله وقُثَم بنو العباس ﵃، وقيل: إن عثمان رضوان الله عليه نزل في قبره، وقيل: جلس على شَفير قبره ﵁.

ذكر أولاده: كان له عشرةٌ من الذّكور، وخمس من البنات، فالذكور: الفضل، وعبد الله، وعُبيد الله، ومَعبد، وقُثَم، وعبد الرحمن، وتَمّام، وعَون، وكَثير، والحارث، والإناث: أمُّ حَبيب، ويقال: إنها أمُّ حبيبة، وصفيَّة، وأُميمة، وأمّ كلثوم، وآمِنة.

فأما الفضلُ فكان أكبرَ وَلَده، وبه كان يُكنى، ومات بطاعون عَمواس، ولم يُعقِب.

وأما عبد الله فهو الحَبْر أبو الخُلَفاء، توفي سنة ثمان وستين.

وأما عُبيد الله فهو الجواد، توفي سنة سبعٍ وخمسين.

وأما عبد الرحمن فمات بالشام، وقيل: استُشهد باليرموك.

وأما قُثم فكان أشبهَ الناس برسول الله ﷺ؛ لأنه آخر مَن خرج من قبره، وولّاه عليّ رضوان الله عليه مكة، فلم يَزل عليها إلى أن مات[1]، وقيل: المدينة، وليس له عَقِب، وغزا خُراسان وعليها سعيد بنُ عثمان بن عفّان، فقال له: يا ابن عمّ، أضربُ لك بألف سهم؟ فقال: يَكفيني سهمٌ واحد، وكان ذلك في أيام مُعاوية.

وكان قُثَم ورعاً فاضلاً، مات بسَمَرقند، وكان رَضيع الحسين رضي الله عنه، أرضعتْه لُبابَة بلبانها.

وأما مَعْبَد بن العباس فكان من أصاغر وَلَدِ العباس، ووَلَد مَعْبد عبدَ الله والعباس وميمونة، أمُّهم أمُّ جَميل بنت السَّائب، هلاليّة، وعمر وآبية وحفصة لأمّهات الأولاد، ولمعبد بقيّةٌ وعَقبٌ كثير.

وكان مَعبد شخص في خلافة عثمان رضوان الله عليه إلى إفريقية غازياً مع عبد الله ابن سعد بن أبي سَرْح فاستُشهد بها، وكُنيتُه أبو عبد الرحمن.

ومن ولده عبد الله الأكبر بن مَعْبد، رُوي [عنه] الحديث، وولدُه العباس بن عبد الله ابن مَعْبد، وَلّاه أبو جعفر مكة والطائف، وهو أوّلُ مَن أظهر السَّوادَ بالحجاز.

فهؤلاء الستة، وهم: الفضل وعبد الله وعُبيد الله وعبد الرحمن وقُثَم ومعبد من أمِّ الفضل لُبابَة الكُبرى، وفيهم يقول عبد الله بنُ يزيد الهِلالي، وقيل: يزيد بن عبد الله: [من الرجز]

مـا وَلَـدتْ نَـجـيـبَـةٌ مـن فَـحْـلِ
كـسِـتَّـةٍ مـن بـطـنِ أمِّ الـفَـضْـلِ

وفيهم يقول أيضاً: [من الطويل]

ونـحـن وَلَـدْنـا الـفَـضْـلَ والـحَـبْـرَ بـعـده ... عَـنَـيتُ أبـا الـعبَّـاسِ ذا الفَضْـل والنَّدى

---

(١) أي: علي.

ألا وعُبيدَ الله ثمَّ ابنَ أمِّه ألا قُثَماً أعني وذا الباع مَعْبَدا
غُيوثٌ على العافِين خُرسٌ عن الخَنَا لُيوثٌ إذا ما مُوقِدُ الحربِ أوقَدا

وكان يُقال: ما رأينا بني أمٍّ وأبٍ قطُّ أبعدَ قُبوراً من بني العباس ﷺ، فالفضلُ بالشام، وعبد الله بالطائف، وعُبيد الله بالمدينة، وقُثَم بسَمَرْقَند، ومَعبد بإفريقية، وعبد الرحمن باليرموك، وأختُهم لأبيهم وأمِّهم أمُّ حَبيب.

وأما تَمّام بن العباس فأمُّه أمُّ ولد روميّة، وتُسمّى سَبَا، وقيل: حِميريّة تُسمّى سيا بالياء، وهي أمُّ كَثير بن العباس.

وكان تَمّام أصغر وَلدِ العباس، وكان من أشدِّ [أهلِ] زَمانه بَطشاً.

فوَلَد تمّام جعفراً، رُوي عن جعفر بن تَمّام الحديث، وولد أمَّ حبيب بنت تمام، أمُّها العالية بنت نَهيك بن قيس، من بني صَعْصَعة، ووَلَدَ تَمّامٌ أيضاً: العباس وقُثماً والعالية وكثيرة وصفيّة، وأمُّهم أمُّ حازم بنت نَهيك بن قيس أيضاً، خلف عليها تمام بعد أُختها، ونفيسة بنت تمام أمُّها أم كلثوم بنت عبد الله بن عقيل بن أبي طالب، وكان لتمام أولاد وأولاد أولاد انقرضوا، وكان آخر مَن بقي منهم يحيى بن جعفر بن تمام، فهلك في خلافة أبي جعفر المنصور، فوَرِثه سليمان وعيسى وصالح وعبد الصمد وإسماعيل بنو علي بن عبد الله بن عباس بالقُعْدُد، فوهبوا حقَّهم لعبد الصمد بن علي، فصار مِيراثُه كلُّه إليه.

وكانت ابنةُ أبي جعفر المنصور عند [ابن] قُثَم بن تمام بن العباس، وقيل: إنما كانت عند يحيى بن جعفر بن تمام.

روى تمام الحديثَ عن رسول الله ﷺ، فقال أحمد ﷺ: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يَصُفُّ عبد الله وعُبيد الله وكَثيراً بَني العباس ثم يقول: «مَن سبق إليّ فله كذا وكذا» قال: فيستبِقون إليه، فيَقعون على ظهره، فيَلزمُهم ويُقَبّلُهم[1].

وأما عَون بن العباس فوُلد على عهد رسول الله ﷺ، ولا روايةَ له، ولم يُعرف اسمُ أُمِّه.

(١) مسند أحمد (١٨٣٦).

وأمّا كَثير بن العبَّاس فروى عن أبيه وغيره، وكان فقيهاً صالحاً قليلَ الحديث، وليس له عَقِب، روى عنه الزهري وأبو حازم الأعرج، وكان يَسكن على فراسخ من المدينة بالمعرَّس، ثم يأتي يوم الجمعة إلى المدينة، فيَنزل دار أبيه العباس رضي الله عنه، فيُصلّي الجمعة ثم يَنصرف، وكانت وفاتُه بيَنْبُع.

ولما احتُضر كتب على كَفَنه: كَثير بن العباس يشهد أن لا إله إلّا الله.

وولد كَثير: يحيى بنَ كَثير، وأمُّه أمُّ كلثوم بنت علي عليه السلام، وهي الصغرى، دَرَج، ووَلَدَ الحسنَ بنَ كثير، دَرَج.

وأما الحارث بن العبَّاس فأمُّه حُجيلة بنت جُنْدب بن الربيع بن عامر، هُذَلِيَّة، وقيل: لأمِّ وَلَد، ويُلَقَّب أبا عَضَل، وكان العباس رضي الله عنه قد وَجَد عليه، فلحق بالزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه وهو في بعض مَغازيه بمصر، فكلَّمه فيه فرضي عنه، وذهب بصرُ الحارث بعدما ذهب بصرُ العباس، فقال: أنتم زعمتُم أنه ليس أبي؟! ها قد ضَعفتُ وقد عَميتُ كما عَمي.

ووَلَد الحارث عبدَ الله، وولد عبدُ الله السَّرِيَّ بنَ عبد الله، ووَلّاه أبو جعفر مكة، وقيل: المدينة واليمامة، وكان جَواداً مُمَدَّحاً، وأمُّ السَّرِيّ جمال بنتُ النعمان بن عمرو ابن مَبذول، وقد مَدح السَّرِيَّ الفرزدقُ وابنُ هَرْمَة وحبيبُ بن شَوْذب وغيرهم، ولما عُزل عن اليمامة قال حَبيب بن شَوْذب: [من البسيط]

راح السَّرِيُّ وراح الجودُ يَتبعُهُ ... وإنما الناسُ مَذْمُومٌ ومَحمودُ
لقد يَروحُ إذا راحتْ ركائبُه ... عن أرضِ حَجْرٍ وربِّ الكعبةِ الجُودُ
مَن كان يَضمن للسُّؤّال حاجتَهم ... ومَن يَقولُ إذا أعطاهم عُودوا

وأما بنات العباس رضي الله عنه: فأمُّ حَبيب من أمِّ الفضل، وهي لُبابَةُ الكُبرى، وليس للعباس رضي الله عنه من أمِّ الفضل ابنةٌ غيرها.

قالت أمُّ الفضل: قال رسول الله ﷺ: «لو بلغتْ أمُّ حبيب وأنا حيٌّ لتزَوَّجتُها»، وتزوَّجها الأسود بنُ سفيان بن عبد الأسد المخزومي، وولدت له رزق ولُبَابَة.

وأما صفية وآمنة فلأمّ ولد، وشقيقهما كَثير وتَمّام، تزوَّج صفيّة محمد بن عبد الله

ابن مَسروح من بني سعد بن بكر، وآمنه بنت العباس كانت عند العباس بن عُتبة بن أبي لهب، فوَلَدت له الفضلَ بنَ العباس الشاعر، وأمها أمُّ ولد، وأمُّ كلثوم بنت العباس لأمِّ ولد.

أسند العباس الحديثَ عن رسول الله ﷺ، والمشهور عنه أنه روى عنه خمسةً وثلاثين حديثاً(١).

عبد الله بن حُذافة

ابن قيس بن عديّ بن سعد بن سَهْم بن عَمرو بن هُصَيص الهاشمي، وكُنيته أبو حُذافة، وأمُّه تميمة بنت حُرْثان، من بني الحارث بن عبد مَنَاة، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وبعثه بكتابه إلى كسرى، وأمّره رسول الله ﷺ على سريّة، فأمرهم أن يَجمعوا حطباً ويَقتَحموا النّارَ، [فأبوا، فصوَّبَ رسولُ الله ﷺ فعلَهم]، وأَسَرَتْه الروم في سنة تسع عشرة.

قال أنس: خطب رسول الله ﷺ خُطبةً ما سمعتُ مثلَها قط، فقال: «لو تَعلمون ما أعلم لضَحكتُم قليلاً ولبَكيتُم كَثيراً»، فغطَّى أصحابُ رسول الله ﷺ وجوهَهم ولهم حَنين، فقال عبد الله بنُ حُذافَة: مَن أبي؟ فقال: «حُذافَة»، فبرك عُمر على رُكبتَيه وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، قال ابنُ شهاب: فقالت أمُّ عبد الله بن حُذافَة لابنها: ما رأيتُ ولا سمعتُ بأعقّ منك أأمِنْتَ أن تكون أمُّك قد قَارفَتْ بعضَ ما يُقارِفُ أهلُ الجاهلية، فتفضَحها على أعيُنِ الناس؟ فقال عبد الله: والله لو أَلحَقَني بعبدٍ أسود للَحِقْتُ به(٢).

وتوفي بمصر ودُفِن بمَقبرتها، وهو الذي بعثه رسول الله ﷺ فنادى في الموسم:

---

(١) انظر في ترجمة العباس وأولاده: طبقات ابن سعد ٤/ ٥ـ٣٠ و٦/ ٣٤٧ـ٣٥١ و١٠/ ٤٩، ونسب قريش ١٨ و٢٥ و٢٧ـ٢٨ و٣٧ـ٣٩، والمعارف ١٢١، وأنساب الأشراف ٣/ ٥ و٢٨ـ٢٩ و٧٢ـ٧٧، والاستيعاب (١٨٩٠)، وتاريخ دمشق (عبادة ـ عبد الله بن ثوب) ١٠٤ فما بعدها، والمنتظم ٥/ ٣٥، وصفة الصفوة ١/ ٥٠٦، والتبيين ١٤٩، والسير ٢/ ٧٨، والإصابة ٢/ ٢٧١، وانظر مصادر أخرى في حواشي تاريخ دمشق والسير.

(٢) صحيح مسلم (٢٣٥٩)، وانظر مسند أحمد (١٢٦٥٩).

إنها أيامُ أكلٍ وشربٍ وذكرِ الله تعالى، وله رواية ﵁(١).

عبد الله بن زيد

ابن عبد ربّه بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن الخَزْرج الأنصاري، وهو صاحبُ الأذان، كُنيته أبو محمد، من الطبقة الأولى من الأنصار، لقي رسول الله ﷺ في النّفر الستّة الذين أسلموا، وشهد العقبة مع السبعين، وبدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكانت معه رايةُ بني الحارث بن الخزرج يوم الفتح.

وكان عبد الله بن زيد يكتب في الجاهلية بالعربية تُوفّي بالمدينة في هذه السنة وهو ابنُ أربعٍ وستين سنة، وصلّى عليه عثمان رضوان الله عليه، ودُفن بالبقيع.

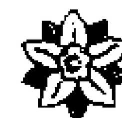
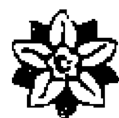
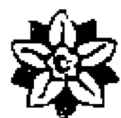
وله عَقب بالمدينة منهم: محمد وأمُّه سَعدة بنت كُلَيب بن يساف، وأمُّ حُميد بنت عبد الله، أمُّها من أهل اليمن، وكان له إخوة: حُرَيث بن زيد بن عبد ربه، شهد بدراً وأحداً، وله عَقِب(٢).



(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٧٦ ، والاستيعاب (١٣٤٥)، وتاريخ دمشق (عبد الله بن جابر - عبد الله بن زيد) ١٢٠ ، والمنتظم ٥/ ٣٢ ، والتبيين ٤٦٨ ، والسير ٢/ ١١ ، والإصابة ٢/ ٢٩٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٩٧-٤٩٨ ، والاستيعاب (١٣٧٩)، والمنتظم ٥/ ٣٥ ، والاستبصار ١٣٢ ، والسير ٢/ ٣٧٥ ، والإصابة ٢/ ٣١٢ .

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله